

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190514

UNIVERSAL
LIBRARY

OUP—880—5-8-74—10,000 .

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ۸۹۲۵۷۱۲۱

Accession No. 48273

Author زکی دہلوی

ابن زیدون

Title

ذیلان ابن زیدون و شریعت و فسطاط تصنیف ۱۶۸۶

This book should be returned on or before the date last marked below

شِعْرُ الْأَنْدَلُسِ

ديوان ابن زيدون

رَسَائِلُهُ اخْتِبَارُهُ شِعْرُ الْمَلِكَيْنِ

« ابن زيدون عبقريّ زمانه قصر المصنّون عن إحسانه

أحد الروم في الحريرة عساه ومشوا في حياه وأصانه . »

CHECKED 1966

« سوني »

شَرِّحَ وَضَبَطَ وَتَصَنَّفَ

كامل كيلاني و عبد الرحمن خليفة

الطبعة الأولى

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - رقم ٤٧٤

كل الحقوق محفوظة

©

طبع بطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

واشرطته : محمد امين عمران

فهرس

مقدمة ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
١٧	ابن جهور - بنو عباد	٨	تصدير
٢٧	المهاجع الأدبية	١٠	مقدمة الديوان
٣٠	نشأة ابن زيدون	١٠	تحرير الديوان
٣٣	بجترى المغرب	١٠	أثر من التحرير
٣٧	شاعرية ابن زيدون	١٢	أثر التحرير
٤٢	لماذا سجن ابن زيدون	١٣	لماذا مدأت هذا الديوان
٤٤	حساد ابن زيدون	١٥	تعميد العسكرة
٥٠	حب ولادة	١٦	رسائل ابن زيدون وأخباره
٥٥	أدب ابن زيدون	١٧	إلمامة
		١٧	ملوك الموائف

فهرس ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
٣٨	جواب كتاب	١	في السجن
٣٩	في العزل	٤	ذكرى أنام الوصال
٤٠	في مدح ابن جهور	٩	في مدح ابن جهور
٤٩	بعد خمسمائة يوم في السجن	١٢	ذكرى ولادة
٥٤	من قصيدة صعبها بطليوس	١٣	بعد اعرار من السجن
٥٧	في العزل	١٩	في مدينة بطليوس
٥٨	بين صديقين	٢٢	يوم بوصل ساعة
٥٩	دعوة	٢٣	في عيد الأضحى
٦٠	قال في الوري الشيخ أبي الحزم	٣٤	في طرطوشة
٦٠	وصال	٣٥	إلى الوري أرى عند الله

صفحة		صفحة	
١١٩	حب	٦١	وقال معانبا من قصيدة
١٢٠	في مدح ابن جهور	٦١	موقف وداع
١٢٢	الى المظفر	٦٢	وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن - جهور
١٣٠	في نكسة بنى دكوان	٦٦	مداعبة
١٣٦	تهنئة بقران	٦٨	حرب الناس وامتنحن
١٣٩	عهد	٦٩	في مدح ابن جهور
١٤٠	مدح ورثاء	٧٤	عنا
١٤٨	الى ابن دكوان	٧٥	رثاء فناء
١٤٩	الى المعتصم	٧٦	في العزل
١٥٠	مدح ورثاء وتهنئة	٧٧	تهنئة
١٥٢	هدية عب	٧٨	تهنئة بقصد
١٥٣	رثاء ابن دكوان	٧٩	في مدح ابن جهور
١٥٨	في مدح المعتصم	٨٢	سكر
١٦٥	عنة معاج	٨٩	شماعة
١٦٧	شكر على زيارة	٩١	هدية تقاض
١٦٨	تهنئة	٩٢	لا يها الشمت
١٦٩	اتداء قصيدة	٩٨	أترع الكأس
١٧٠	الى أي الناسم	٩٨	لا حيلة في الحب
١٧٤	مدح ابن جهور ورثاء أمه	٩٩	في مدح ابن جهور
١٧٧	في مدح ابن جهور	١٠٥	الى ابن جهور
١٨٤	رثاء أم المعتصم	١٠٦	محلس أي على
١٨٨	دل للدعاة	١٠٧	جواب
١٩٢	ذكرى قرطبة	١٠٨	كن كيف شئت
١٩٥	سلوى المصنفر	١٠٩	حيي
١٩٧	في مدح المعتصم	١١١	في العزل
١١٦	في » »	١١١	في بعض مجالس الأس
١٢٣	دولة عباد	١١٢	شكوى وألم
		١١٨	جواب

٢٦٥	قسم
٢٦٥	خداع الأمانى
٢٦٦	فى العزل
٢٦٦	الى هاجر
٢٦٦	دعاء مح
٢٦٧	أنت حبيبى
٢٦٧	ما الذى أسكره ؟
٢٦٧	شوق بعد سلاوان
٢٦٨	أسر الهوى
٢٦٨	معدرة
٢٦٨	وصف الكأس
٢٦٩	غاية المحبين
٢٦٩	صعح اللذذ
٢٦٩	لا يأس
٢٦٩	عت
٢٧٠	تحى الحبيب
٢٧٠	لا يأس فى الحب
٢٧٠	بقية المساك
٢٧١	عزور الملى
٢٧١	صلى
٢٧١	شكوى صائفة
٢٧١	وفاء المحب
٢٧٢	عذر الحبيب
٢٧٢	حذر العاشق
٢٧٢	قناعة المحب
٢٧٣	كيف السلو
٢٧٣	أنت الملى

٢٢٣	الى حبيب
٢٢٤	فى مدح أنى المطر
٢٢٩	ذكرى قرطبة وأيام الصبا
٢٣٦	الى ابن عدوس
٢٤١	مدح ابن -هور وشكر ناديس
٢٤٣	اسم من أحب
٢٤٤	الى أنى العجائى
٢٤٧	بن ابن ريدون والمعتمد
٢٤٨	الى المعتمد
٢٤٨	حواف للمعتمد
٢٤٩	حواف آحر للمعتمد
٢٤٩	وهل للمعتمد يستهديه حرا
٢٥٠	وهل محاورا المعتمد
٢٥٣	وهل
٢٥٣	وهل
٢٥٤	مهنة
٢٥٧	ذكرى ولادة
٢٥٨	الى ولادة
٢٥٩	الى أنى حفص بن برد
٢٥٩	ليل أس
٢٦٠	دواء
٢٦١	حسبى رساك
٢٦٢	عودى الى الوصال
٢٦٣	أنو القاسم
٢٦٣	وهل
٢٦٤	آلام المحب
٢٦٤	كيف السلو

صفحة		صفحة	
٣١١	الى المعتمد	٢٧٣	بقاء على العهد
٣١٣	صرعى الحب	٢٧٤	أبن وداؤك
٣١٢	ذكرى قرطبة	٢٧٤	صرح الحب
٣١٣	رسائل ابن زيدون وأحاربه وشعر الملوك	٢٧٥	وفاء الحب
٣١٤	الرسالة الهلالية	٢٧٥	أنت حسبي
٣٣٣	الرسالة الخدبة لابن زيدون	٢٧٥	الى هاجر
٣٤٦	رسالة الى المطير	٢٧٦	لاستيل الى السلو
٣٥٥	رسالة الى ابن مسعدة	٢٧٦	أنت الحياه
٣٥٧	رسالة الى المعتصم	٢٧٦	ذكرى معاهد قرطبة
٣٥٨	رسالة من قرطبة	٢٧٧	غدر الحبيب
٣٦٠	من رسالة	٢٧٨	اصنع ما شئت
٣٧٠	شعر المعتصم	٢٧٨	أمية
٣٧٧	شعر المعتمد	٢٧٨	نمسي هداؤك
٣٧٩	ابن عمار	٢٧٨	دين الحب
٤٠١	معارضات الشعراء لابن زيدون	٢٧٩	وفاء
٤٠١	معارضة أبي بكر	٢٧٩	في سبيل الهوى
٤٠١	معارضات أمراء الشعراء	٢٧٩	صلة الحب
٤٠٩	معارضات من كتبنا الحديث	٢٨٠	مقيم على العهد
٤٢١	معارضات من كتبنا فتح الحب	٢٨٠	آلام الحب
٤٢٣	معارضات من كتبنا	٢٨١	لمعدينا والأعالي
٤٢٥	معارضات من كتبنا	٢٨١	الى المعتمد
٤٢٥	معارضات من كتبنا	٢٩٩	الى المعتمد على الله
٤٢٦	معارضات من كتبنا العيني	٣٠١	جواب
٤٢٧	معارضات من كتبنا	٣٠٣	الى المعتمد
٤٣٠	دراسة الدكتور أحمد صفي لابي زيدون	٣٠٦	جواب على بيت مطير
٤٣٨	دراسة الأستاذ السكندري	٣٠٧	البيت المطير
٤٤٢	دراسة الأستاذ علام سلامة	٣٠٧	حل البيت المطير
٤٤٣	دراسة الأستاذ أحمد ركي انشا	٣٠٨	جواب على بيت مطير
٤٥٥	مهرس القوافي		

مقدمة ابن زيدون

تقدير

لحضرة صاحب السعادة أمير الشعراء

يَا ابْنَ وَيَدُونِ مَرْحَبًا قَدْ أَطَلَّتِ التَّغْيِيَا
إِنَّ دِيْوَانَكَ الَّذِي ظَلَّ سِرًّا مُحَجَّبَا
يَشْتَكِي الْيَتِيمَ دُرُّهُ ، وَيُقَامِي التَّعْرُبَا
صَارَ - فِي كُلِّ بَلَدَةٍ - لِلْأَلْبَاءِ مَطْلَبَا
جَاءَنَا « كَامِلٌ » بِهِ عَرِيًّا مُهَذَّبَا
تَجِدُ النَّصَّ مُعْجِبَا وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجِبَا

أَنْتَ فِي الْقَوْلِ كُلِّهِ أَنْجَلُ النَّاسِ مَذْهَبَا
يَأْبَى أَنْتَ هَيْكَلًا - مِنْ فُنُونٍ - مُرَكَّبَا
شَاعِرًا أَمْ مُصَوِّرًا كُنْتَ، أَمْ كُنْتَ مُطْرِبَا؟
تُرْسِلُ اللَّحْنَ كُلَّهُ مُبْدِعًا فِيهِ مُغْرِبَا
أَحْسَنَ النَّاسِ هَاتِفًا ، بِالْفَوَانِي مَشْبَبَا
وَتُرِيَلُ الْمُتَوَجِّعِ نَ النَّدِيمِ الْمُقْرَبَا
كَمْ سَقَاهُمْ بِشِمْرِهِ مِدْحَةً أَوْ تَعْبَا
وَمِنَ الْمَدْحِ مَا جَزَى وَأَذَاعَ الْمَنَاقِبَا

إِذَا الْمَجُوءُ هَاجَهُ - لِمَا تَابَهُ - أَبَى

وَرَأَاهُ رَذِيْلَةً لَا تُكْنِي التَّأْدُبَا
مَا رَأَى النَّاسُ شَاعِرًا فَاضِلَ الْخُلُقِ طَيِّبَا
دَسَّ لِلنَّاسِقِينَ - فِي زَنْبِقِ الشَّعْرِ - عَقْرَبَا

* *

جُلْتُ فِي الْخُلْدِ - جَوْلَهُ هَلْ عَنِ الْخُلْدِ مَنْ نَبَا ؟
صِفْ لَنَا مَا وَرَاءَهُ مِنْ عِيُونٍ وَمِنْ رُبَى
وَنَعِيمٍ وَنَضْرَةٍ وَظِلَالٍ مِنَ الصَّبَا
وَصِفِ الْخُورَ مُوحِزًا - وَإِدَاشِتَ - مُطَابَا

* *

وَمَنْ تَرَ الْأَرْضَ - مِثْلَ مَا كُتُمُوا مَسِي - مَلْعَبَا
وَتَرَى الْعَيْشَ لَمْ يَزَلْ - لِابْنِي الْمَوْتِ - مَا رَبَا
وَتَرَى ذَلِكَ - بِالَّذِي عِنْدَ هَذَا - مُعْدَبَا

* *

« إِنْ مَرَّوَانٌ عُصْبَةٌ يَصْنَعُونَ الْعَجَائِبَا
طَوُّوْا الْأَرْضَ مَشْرِقًا - بِالْأَبَادِي - وَمَغْرِبَا
آلَهُ أَطْلَعَكَ فِي ذِرْوَةِ الْجَدِّ كَوْكَبَا
أَنْتَ لِلنَّعْجِ تَنْتَمِي وَكُنِيَ الْفَتْحُ مَنَصِبَا
لَسْتُ أَرْضَى بِغَيْرِهِ لَكَ جَدًّا وَلَا أَبَا »

« شَوْقِي »

مقدمة

١ تحريف الديوان

كان أبسر ما في هذا الديوان سحبه وصطفه وشرحه : فقد أسانا ما كابدناه فيه من عاء التحريف كل عاء آخر كابدناه فيه ، وعدد وفق السباح أيعا توفيق في تشويه محاسن هذا الديوان المقدس ، وتحريف أبياته ، وطمس غوره وتنويه .

ولقد كما قرأ القصيدة عدة مرات ، وكأنا - لشدة ما فيها من تحريف واضطراب - أمام طاسم عامص لاسبيل إلى حله ، ثم لا يلبث الصبر أن يبدل من العقاب ما كما يوقن باستحالة تذييله ، وكانت تعريبا لهذه الأمور والانتصار - كلما احتراضا - أن فتحم أخرى حتى انتهيا من هذا الديوان ونحن لاسكاد بصدق ما قد احترا ، هذه المغارة المحممة . ورفعا عن ذلك المحم الزائع كثيرا من الحساب والكسا المتراسة بوجه .

وما رعم أنا قد برأنا هذا الديوان من كل عيب ، ورهذه عن كل تحريف ، ولكنا محروء فمرعم أنا لم أأل جهدا في تربيته من كل عيب وتربيته عن كل تحريف ، فإذا بدع عن خاطرنا معنى أولخى مذهبا كلال في تصحيح بيت أو تحلية عامص وهم الدهن الاساني يخلق ثم يسط ، ويدع ثم يسحب ، ويعتوره الفص والكلال ، وهوى ما يكون رغبة في تونخى الادباع والسكالك .

٢ أمثلة من التحريف

قلنا إن سح هذا الديوان وصطفه وشرحه كانت أبسر ما من العاء ، وهذا الكلام ر عما ملح فيه القارىء الخلق لدهن نوعا من الزهو والخيلاء ، ولكنه الخفية التي لا أثر للعلافة فيها ، ولو أنا أردنا أن نسر ذلك ما أصاحنا من تحريف أو تشويه . لاضطرابا إلى ذكر أكثر أبيات الديوان ، وقد أشربنا إليها ، وأصعنا من لكاب ، فندخرى ، وذكر القليل منها عن الكثير ، ليرى القارىء المصنف مقدارا ما حى السباح تلى شعر هذا الشاعر العظيم ، ونحن لارى في مثل هذا العمل إلا أنه ركة يؤدها الأديب ، يذوب العرى الزاهر بأروع الخواص العسية وأسمى المعاني الرائعة

وليمثل القارىء نفسه أمام هذا البيت مثلا .

« لم يدع منى شام من حله مع أنى لم أرل ننت العرر . »

وألبت التالى :

« كأننا لم يواليا زمان لين الأخدع . »

أوقوله فى من القصيدة : « وأب العمل لا يجمع . »

أوقوله فى قصيدة أخرى :

« حياء هو الليل ادلم طلامه . »

أوقوله :

« رمن كما لون الرما ع يشوق ذكره العظيم »

أوقوله : « لم أدع حطى منها الخيل . »

أوقوله :

« فما انك إلا عدل بسك إن بسر فالحسم لا للنس منك مقام »

فى قصيدة لم يرد فيها ذكر اسمه تتأنا :

فإذا قرأت البت الأول قراءة صحيحة . قلت :

« لم يدع مى سقاهى حلدا مع أنى لم أرل نبت المر »

والبت التالى

« كأننا لم يوالنا زمان لين الأخدع »

والشطر الثالث : « وأب العمل لا يجمع »

والبت الرابع :

« حقاء هو الليل ادلم طلامه »

والبت الخامس

« رمن كما ألوف الرما ع يشوق ذكره العظيم »

والبت السادس

« لم أرع حطى منها الخيل »

والبت السابع

« فما انك إلا عدل بسك ان بسر فالحسم لا للنس منك مقام »

فإذا أضفت إلى هذا العناء عناه آخر هو بعض تكملة الأبيات الناقصة بما يلائمها، طهر لك

أنا لم ركن . ما بين فى وصف ما كابدناه من المشقة والعب .

ومن أمثلة ذلك قوله : « . . . فى حواركم دليل . »

وقد أتممناه بما يلائم المعنى فقلنا : « [حاشى] فى حواركم دليل »

وقوله :

« ساهما لأياديك التى بعضها فوق الشاهى »

وقد آمنناه وأصلحناه كما يلي .

« [مقتله] شامها لأبادي . لك التي بعصها فوق الشاء »
وانما اجترأنا بهذه الأمثلة القليلة لأن الفقرة - كما يقول شيخ المعرفة - تدخل على الشجرة
ولأن الديوان كله مائل بين يدي القارئ فلا حاجة بنا إلى الإفاضة في ذكر الأمثلة .

٣ أثر التحريف

وكثير مما يرويه أساتذة الأدب في المدارس من شعر ابن زيدون محرف أو مشوه ، من ذلك ما أفتته الأستاذ علام سلامة في مذكراته المطبوعة لطلبة دار العلوم :

« ربت ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الله الوري طيبا . »

والبيت في وصف ولادة . وصوابه . « ريب ملك » ، وقد أكثر شعراء الأندلس - ومنهم ابن زيدون - من هذا التعبير ، والرواية التي أحدها الأستاذ علام هي رواية مع الطيب الذي لا يقل تحريفه وتصحيحه عن تحريف الديوان وتصحيحه . وقد أنشأ هذا البيت كما يلي :

« ريب ملك كأن الله أنشأ مسكا وقدر إنشاء الوري طيبا »

وهذا يظهر حال أسلوب ابن زيدون وروعة أدائه .

وقد روى بعض الأدباء البيت الثاني لابن زيدون هكذا .

« سون من الأيام جس قلعتها أسيرا ، وإن لم يد شد ولا قط . »

وصوابها « سون من الأيام جس قطعها » فان سون من الأيام أو سون من الليالي أو سون من الساعات لا معنى لها - ويؤيد هذا الرأي قول ابن زيدون نفسه من قصيدة أخرى في رسالة لاس جهور .

« أفصرا مني حيا من الأيام »

وقد وقع في هذا التحريف الأستاذ أحمد ركي ماشا ثم تبعه في ذلك الأستاذ أحمد السكدرى

وطن الأستاذ ركي ماشا ابن زيدون قد سجن مرينيه الأولى جس سواب ، واسدل

على ذلك ما لبيت الأول ، والثانية حسبا في يوم ، واسدل على ذلك ما لبيت الثاني .

أما الأستاذ السكدرى فتد قرأ ابن زيدون سجن جس سواب (١) ، وهو لم

يسجن إلا حسبا في يوم كما يدل على ذلك شعره .

(١) قال الأستاذ السكدرى :

« لست ابن زيدون في السجن سبع سنين ، ولكن كم كان منها ؟ وحتى كان مدوفا ؟ »

أما الأول فيجبنا هو عليه قوله من قصيدته الطائفة اللينة :

« سون من الأيام - جس قلعتها أسيرا ، وإن لم يد شد ولا قط »

وأما الثاني فيجبنا هو أيضا عليه قوله من قصيدته الرائية التي كتبها من السجن إلى أبي الحرم

جهور : « لم يرد شاي كمره وأرى برق المشاع في عاوس الشعر »

وقد جنى تحريف الفساح على أدباء العربية وشعرائها جاية لا تعتر فاصطارت سببه آيات
الملاغة ودقائق السبان وعرف الكثيرون عن أدبهم بعد أن رأوا ما فيه من الخلط والتشويه
والتحريف ولا وهم على ذنوب لم يجترموها وأحدوهم بعيوب لا يد لهم فيها :

« وذنب جرّء سفهاء قوم وحل بعير جارمه العقاب »

ولا يزال رجال الأدب وأساتيده الأفاضل مسؤولين عن إصلاح هذه الروائع وتنظيم هذه
الكنوز الفيسة وردّها إلى الصواب، حتى يظهر حلال الأدب العربي وروعته وتراً دمم القدماء
مخالق آثارهم الأدبية من الخلط والتشويه .

٤ — لماذا بدأت بهذا الديوان

كانت فكرة موفقة سديدة تلك الفكرة التي خطرت بالأساذ الكبير الدكتور «أحمد
صيف» مدرس الأدب العربي بالجامعة المصرية التقدمة حين طلب الى عام ١٩٢٢ أن أترجم
لمجلة الجامعة الفصل الرابع الذي كتبه الأستاذ المستشرق « نيكلسون » عن الأدب الأندلسي
وتاريخه ، فقد كان من آثار تلك الفكرة أني شطت إلى إلقاء تلك المحاضرات التي أظهرتها
للقراء في ذلك العام بعنوان « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي ^(١) » ووعدت في مقدمة
ذلك الكتاب بالعودة إلى البحث .

قل الثلاثي لإعبد الصاكتش ولشبية صمن غير مهتمير

ونحن نعلم أن اختطاع دعوة بي أمية من فرطة كان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وسلم أن قد ولد
ان ريدون في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة فإذ كان بدأ خدمته في دولة آل حور وهو في الثانية
والعشرين من عمره ولذا قدروا أنه مات بهذه القصيدة في مدأ اعتقاله كما هو الظاهر إذ قد صرح فيها
بأنه لم يبلغ الثلاثين ، كانت مدة خدمته لأل حور لا تزيد على ستين وكان بدء اعتقاله في نهاية سنة أربع
وعشرين وأربعمائة أو أول خمس وعشرين وأربعمائة .

لست ان ريدون في السجن خمس ستين استطعم فيها أبا الحرم حوروا واستنعم عنده ما به أن
الريد محمد بن حور ، وكان أليعه وصديقه من قل وضيره من الرؤساء ووجوه فرطة ومث إليه وإلهم
شكواه مدة قصائد أبدعها ورسائل استمد فيها حبه فإ ألاب له قلا له

(١) وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب ما يلي

طلب الى حضرة الدكتور أحمد صيف ، أن أترجم الفصل التاسع من كتاب « تاريخ آداب العرب
للاستاذ نيكلسون » لألفيه في الجامعة المصرية ، وهو الفصل الذي أفرده من كتابه المنع ، الكلام
على تاريخ الأدب العربي في أسبابها .

لم أكد أنقرأ هذا الفصل حتى بدا لي خطره وعظمته وعرضت لي عدة ملاحظات على بعض ما جاء به
ولم أكد أنصرع في مناقشة منطق الجوهرية حتى اتسع أمني مجال البحث وشمسي على مواصلة ما رأيت من
القص للشديد الذي يكاد يلخص كل مطلع على الكتب العربية التي تناولت الكلام في هذا الموضوع وما
علمته من الحاجة الماسة الى كتاب يسر على طلبة الأدب الأندلسي وغيرهم من المثقفين ، قليلا مما
يحكيهونه من عناء البحث في الأعطال العربية الضخمة الموهشة ويحفظ وتتهم الثمين من الفساح .

والآن أعود إلى الكتابة بعد عشر سنوات مضت على تلك الحوث التمهيدية الأولى .

ولكن لماذا اخترت ابن زيدون وبدأت به قبل غيره من الشعراء ؟
لقد كسبت أسىء الظن بشعر ابن زيدون وأدبه ، ويجعل إلى - كما يجمل إلى كثير من
أدبائنا الذين يتسرعون في الحكم على الشعراء من غير أن يقرأوا أشعرهم بدراسة
وعصورهم دراسة مستفيضة - أنه شاعر صفة مولع بالدع والفتالات اللطيفة لا يسمو إلى
درجة الفحول الممتازين .

فلما وصلت إلى قول « يكسون » في فصوله « زائع » : « وكوا يلصون ابن هاني » بأنه
متنبى العرب ، كما يقول ابن زيدون بأنه محترى العرب ^(١) « صارت الهاري حيشد بأبى
لا أستطيع الحكم على غيره . ثانياً من هذه المسئلة ، وقد عقدت فصلاً موحراً في المقارنة بين ابن
هاني والمتنبى ، لا بد من دراسته ديوانيهما دوراً بذلت الآن عن بعض رأى في ذلك الفصل . ولم
أستطع المقارنة بين ابن زيدون والمحترى ، لأنى قرأت ديوان الثانى ولم أقرأ للأول إلا بضع
قصائد لا تكفى للحكم على شاعر .

وذكرت أن حلال بيتنا القريب لا ياسب مع هذا تضاماً لعنا الذين ركوا أوضح الأثر في بلاد
تستمد منها الحياة والوقوة ، « من كان من إباح الأبحول الإنسان تضاماً ، الأمم دوى الأثر الكبير في
المصاراة الدالية فهو أشعر الأبحول - تضامه على كل شيء .
دعى هذه الانتارات إلى عدم الاقتصار على ترجمة هذا الفصل المتع وتم أخذه مرصفاً من المراجع
الكثيرة التى رجب إليها بدلاً من أن أتخذة موسوعاً ضيقة .
وقد أشرت في هذا الكتاب على ترجمة بعض الأول من هذا الفصل ، وقد أنقبت القسم الأكبر من
هذه المحامرات - أكثر من ثمانين في خمسة المصريات ، ثم نشرت بعضها في إحدى الصحف الأدبية
فقبلت من الأستاذين والصحافيين على طيب .

ولم يبق أن أورد في حوسب الكتاب كثر من المادى الضرورية التى أضطرت إلى صيق الزن إلى
الاكتفاء بالاشارة إليها دون ذكرها وقت الحاجة المصبرات .
وقد تمتعت ذكر ثمانية وثلاثين مكاناً من الكتاب - ما كنت تشغل لوقت كتابتها - إلى
الاستشهاد به أولاً إلى وث - أ - ظهور الأدب - لها برهما .
(و بعد) هذه هزات سريره أتيت به إلى نوح الأدب الاندلى - و - ثمها بعد قليل التمس الذى
سمي عليه أها النارى على إلهامه هذه دراسة لأدب في ذلك العصر ، واحدها بوة لكتاب تذوق فيه
ذلك الأرج شىء من الوسم ولا سبب إذ أمكننا لمرس . وكان في الأصل بية .
(١) فان الأستاذ يكسو

« إن قامة الله » المن رجحاني طلب العلم إلى إفريقيا ومصر وإلى المدن المقدسة في بلاد العرب وإلى
حواسر - ورويا العظمة والبرى ، وإلى حراسن وركتد بل وإلى بلاد الصين أيضاً - ذات نحوى
كل ماسى الأديان وحسن اللاعة العربيه لمن أحسن اسباباً لإعلامه كما يرى ذلك من تصدح الفصل
الخامس من كتاب المرى . لهذا كان حركة مثله لأدب في دوى ونشاط علم يستأثر أحد من رجال الفرق
والمرتب فعلى حاس ، معرف الناس قبل كل شىء أنه متعبر سمراء الاندلس تأس هاني وابن زيدون كان
يقعها الناداة قون المحزون بهاء بنى العرب وحترىه .

ورأيت أن واجب الأمانة يقضى على أن أدرس ابن زيدون كما درست السعدي لئلا ينسى لي أن أضعه .

وما كدت أبدأ في درس ابن زيدون ، شعره وثره ، وأتقضى أحاره وأخبر عصره ، حتى رأيت ماراعى وأدهشني مارأيت ، لقد كنت أستكثر عليه اسم شاعر عادي فصرت أسنقه الآن اسم شاعر كبير وكنت أكرهه لكلفه بالصنعة التي هفت إليها كثر شعراء ذلك العصر وأهملت عليها أكثر الأدب العربي ، فإذا في أحب هذا اللون الرائع من الصعة المجدبة التي تتمزج بالنس وتهيمن على القلب وتغيب فيها أشد الناس مضاهيا ، وقد عرف ابن زيدون كيف يتخذ من الصبغة والديع أصوات لا تضان في الأداء والتعبير والإبداع في تصوير أروع المعاني الساحرة وأدق الحوالم النفسية ، وإذا بها نفس تطرب إلى الجبال وتفتن في التعبير عنه ، وطبيعة سمحة صانع لالنواء فيها ولا تكلف ، وقد صدق القائل : « كل طعام ينالوه الصحيح ينقلب إلى سمعة ، وكل طعام ينالوه المريع ينقلب إلى مريع » وهكذا كرها المقلدون في الصعة والديع ، كما حب إليها المدعون كثيرا من ألوان الصعة والديع .

الحق أن ابن زيدون ساحر ماني حلاب يتحد من الصعة وسيلة للروعة والدقة وحسن الأداء ، كما يتحد المصور الماهر من محلف الألوان والأصابع - وسيلة للتعبير عن أدق وأحلى الأسرار والمخات .

ولا أكنتم الفارئ أي من ألد أعداء الصعة اللطيفة ، ولكني من أشد أنصارها إذا حاب عن هذه الطريق .

ولقد أراء بعض الكتاب أن يعيب على ابن زيدون وأما قول فراس أيهما من رجال الأساليب ، وسوا أن الأسلوب العالي هو غاية نجاح دونهما الرقاب ، وأن طول المراتبة والدرس تخلق من صاحبها الكاتب الحادق والشارع اللق ولكنهما أعجز من أن يخلق الكاتب الموهوب والشاعر العفوي أوتاهما الأسلوب العالي الذي يحاول بعض الأدباء أن يررب به ويحقره .

٥ تنفيذ الفكرة

ولم أك دأ في قراءة ديوانه وسنخه حتى أكثر الرجل وقت شعره وسحرت بيبانه الرائع وإن قطع على إعجابي وفتني ما اعتوره من التحريف والتشويه - وهما من جبايات الصاخ على الأدب العربي - ولكني اعترت المص في هذه الطريق الوعرة وصممت على اجتياز هذه المعارك التي لأعلام فيها ولاصوي^(١) نسترشد بها في السبر ، ثم شعلتي أعالي الكتيرة عن المضي فيها لما تنقله من عاء لا تختمله حتى المهوكة ، وفراغ من الزمن يضيق عنه وقتي المردحم بالفروض والواجبات .

(١) الصوي - لانات الطريق التي طلى عليها اسم « Milestones »

ولم يكن من اليسير على أن أظفر بأديم تدفقه العبرة على الأدب العربي الى التضحية بصحته ووقته في عمل مضن شاق لا يفهم منه القارئ العادي إلا أنه حين سهل لا يتجاوز شرح ديوان شاعر وسطه .

ولكن صديقي الأديب العالم العاضل الشيخ عبد الرحمن خليفة تقدم الى مظهر الى استعدادة لمعاوضتي في هذا العمل والسير معي في هذه المغامرة .

ولصديقي العاضل ولع شديد بدرس الأدب العربي، وغيره نادرة على اللغة العربية، وحرص بالغ على كسور البيان العربي، وصدر لا يشركه فيه الا القليل من الأدباء المخلصين، وعزيمة لا تعرف للتردد والكوص معنى، وهذه هي الصفات التي كست ولا زال أشدها فيمن ينصدي لمثل هذه الأعمال المضنية .

وكان صديقي عند حسن طي به، فقد كان يقضي معي الساعات الطوال دانا لا يكل ولا يبي ولا يمتزعره الارشما يتحدد، ويعود إلى أقوى مما كان عليه نشاطا وهمة، وهكذا مضيا معترئين في شرح الديوان وسطه وإصلاح تحريره حتى أظهرناه للقارئ في هذا المظهر الأنيق .

٦ - رسائل ابن زيدون وأخباره

ولما كان التحريف قد لحق نثر ابن زيدون كما لحق أشعاره وان جمعت عناية الأدباء وتعاونهم وشروحهم عاه التحريف في الرسالتين الحديبية والمزلية فقد رأينا أن نثبت كل ما وقع لنا من نثر ابن زيدون وشعره وأخباره كما أنثنا ما وصل اليها من شعر « المعتمد » و « المعتضد » و « ابن جهور » وبعض المعاصرين لان زيدون كان عمارة وغيره، وأنعمهم بدراسات الأدباء المعاصرين تمة للبحث .

وقد اتسع الطاق حتى صاقت صفحات هذا الديوان - على كثرتها - فاضطرت إلى فصل سفيرين عنه واحراهما مستقلين ليعاونا القارئ على درس هذه العسكرة من كل وجوها. وسأفرد - ان شاء الله - كتابا يظهر بعد انتهاء طبع هذا الديوان الخافل . عنوان « ابن زيدون - أدبه وعصره » وكتابا آخر بعنوان « ملوك الطوائف »، يتناول مساهم الكلام في عصر ابن زيدون الذي عاش فيه، حتى لا يبتلى عليا قول المتنبي :

« ولم أرى عيوب الناس عيا كقص القادرين على التمام »

فاذا انتهيت من ذلك بدأت في إظهار ديوان « ابن حديس » في الحلقة الثانية من سلسلة شعراء الأندلس، إن ساعدت الظروف وكان في الأجل بقية .

كامل كيلاني

المشاهير

١ - ملوك الطوائف (١)

ابن جهور - بنو عباد

منذ سنين عديدة تقلص ظل السلطة العامة عن الولايات الاسلامية ، وأصبح أمرها يسدها ، ولم يكن تفكك السلطة أمراً مرغوباً فيه عند أهل تلك الولايات عامة ، فقد ذهب بهم التفكير إلى أبعد مداه جزعاً من المستقبل وأسفاً على الماضي . ولم يستفد من هذا الاعلال في البلاد إلا ملوك الافرنج وحدهم . وكان من نتائج هذا الاعلال أن انقسم قواد البربر جنوب الجزيرة فيما بينهم ، وحكم العقالة الشرق ، وصار مانقي بعد ذلك نهماً مقبلاً بين الطائفتين المتوئمتين على الحكم ، وآخرون من قبايا الأسر العريقة ممن سنحت لهم الفرصة وساعدتهم على الثبات أمام ضربات « عبد الرحمن الثالث والمنصور » التي كانت مصوبة إلى الأرسطوقراطية ، وانتهى الأمر بأن تكون من المدينتين الكبيرتين : قرطبة ، واشبيلية . حكومتان شورتان ، أما قرطبة فقد حدث بعد إعلاء الخلافة أن اجتمع كبار أهلها وعمدوا إلى إسعاد السلطة التمييزية إلى « ابن جهور » الذي عرف عبد الجبج بالحدارة والاستحقاق لتقلد هذا المنصب والاصطلاح بالحكم فرفض بادي ذي بدء ، هذا المركز السامي الذي عرص عليه ، وبعد إلحاح من جماعة المستخين له ، رضى بقول هذا المنصب ، ولكن على شريطة أن يكون عضواً من أمرته زميلين له في مجلس الشورى ، وهما : محمود بن عباس ، وعبد العزيز بن حسن ، فأجاب الجماعة إلى ما طلب ، ولكن على شرط أن يكون لهدبن الاثنين صوت استشاري .

وقد حكم السفير الأول الحكومة الشورية الحديدية بطريقة عادلة رشيدة ، وإليه يرجع الفضل في أن أهل قرطبة لم يعودوا يشكون شيئاً من المظالم التي كانت تقع عليهم من قوة البربر . فكان أول ما وجه إليه نظره أن صرفهم عن الخدمة ، واحتفظ بنى

(١) ارجع إلى ما نعرضناه في آخر الديوان للأستاذ « يكلسون » « ص ٤٢٧ » أما هذا الفعل هو العلامة دوزي وقد نقله من كتاب « ملوك الطوائف » الذي طبعه قريباً في شاء الله .

ايغورين» « Beni - Iforen » وحدهم ، وهم الذين يستطيع أن يعتمد على ولائهم وطاعتهم ، واستند بالآخرين الذين سرحهم من البربر خرسا وطبيا . وكان يظهر بمظهر من يريد استقرار نظام الحكم الجمهوري ، فكان إذا طلب إليه سيد إمبريقول : « ليس من شأني أن أقرر أمرا هو من اختصاص مجلس الشورى ، وما أنا إلا مسد لأوامره وقراراته . »

وكما وردت عليه قصة أو كتاب رسمي يكون موجها إلى شخصه أبى تسلمه وأمر بتوجيهه إلى مجلس الوزراء . ولم يكن ليصدر قرارا قل عرصه على مجلس الشورى ، أصف إلى هذا أنه لم يكن يتظاهر الة بمظهر الحاكم ، هو - بدلا من أن يقيم قصر الخلافة - نقي مقبلا بمسكه المتواضع الذي اعتاد سكناه دائما . وكانت العقيدة في نراهته ثابتة قوية لا تخوم حولها الشكوك والريب ، وقد رفض مع هذا - أن يكون بيت المال في داره وتحت إمرته ، معهد عراسته إلى أكر الناس مقاما وأكرهم احتراما في المدينة . ومع حه - في الحقيقة - لئال ، قصب عليه المصلحة ألا يرتك عملا غير شريف ، ولما كان مقصدا بل وحرصا حرصا يكاد يصل به إلى درجة السحل فقد أثرى حتى صار أعنى رجل في قرطبة ، ولكنه في لوقت نفسه بذل من الجهد المحمود ما هو به البسر والرحاء على الناس كافة .

وكان يذل ما في وسعه لتحسين العلاقات الودية بينه وبين الممالك المجاورة ، وقد كتب له السجاح في ذلك . فلم يمض وقت طويل حتى توطد الأمن . وأمنت السل ، وانتشرت التجارة والصناعة وهطلت أسعار المواد العداية . وأتم قرطبة طوانب كثيرة من السكان أعادوا ماء الأحياء إلى دمرها البربر أو أحرقوها حيا أو قفوا الذهب واللب في المدينة . وعلى الرغم من هذه الأعمال التي قام بها - فن قرطبة - عاصمة الخلافة القديمة - لم تسترد مكانتها السياسية ، ومد ذلك الحين بدأت اسبيلية - التي سعى تاريخها عاية خاصة - تحرر الشأن الأول في المركز السياسي .

كانت اسبيلية - مد أمد بعيد لا تزال - مرتبطة الخطا بقرطبة مائرة بما يجري من الحوادث فيها ، مأساة بالعاصمة حاصعة الملوك الدولة الأموية على التصقم ثم لدولة بني جود ، ومن جراء ذلك كان للنورة التي وقعت في قرطبة أثرها السيئ في اسبيلية ، فقد نار القرضيون على هلم بن جود وطرده ، وهؤل هذا الأمير على الإلحاء إلى اسبيلية حيث يقيم بها ولده ، ومعهما حامية من البربر تحت قيادة محمد بن ربري من قبيلة بني ايغورين .

وأرسل إلى الاسبيليين يأمرهم بإحلاء مائة مسكن لجوذه القادمين معه . وقد ترك هذا الأمر أثرا سيئا في نفوس أهل إشبيلية هذا إلى ما عرف عن جود هلم الذين هم أقر أباء جدمهم من أهم من كار اللصوص . وقد أظهرت قرطبة للاشبيليين أن من الممكن أن يتحرروا من هذا البر الذي يصجون بالشكوى مه . هؤلوا على أن يحدوا حدو قرطبة ، إلا أن حوهمهم من عملية البربر المقيمة بين طهراتهم حال يسهم وبين تحقيق أمابهم ، وبعد

جهد مجح فاضى المدينة «أبو القاسم بن عاد» فى كسب قائد الحامية وضمه إلى جانبه بعد أن صرح له بأنه من الهين السهل أن يصحح ملكا على اشيلية ، فأعلن جيتد محمد بن زبرى استعداده لمساعدته ، وسارع القاضى فعقد بينه وبين قائد بربر «قرمونة» محالفة تقلدوا السلاح - على أثرها - صد ولدى قاسم وحاصروا قصره .

ووصل قاسم إلى أبواب اشيلية التى كانت مغلقة ، وحاول أن يجتذب سكان المدينة إليه بالوعود الخلافة ، ولكنه أخفق فى هذه المحاولة ، ولما أوجس حيفة من هسه على ولديه اللذين كانا معرضين للهلاك داخل المدينة ، قطع على هسه هذا أن يجلى - هو ومن معه من الجند - عن أراضي اشيلية ، اذا ما أسلخوا إليه ولديه وأموالهما ومملكاتهما ، فصمن له الاشيليون تعيد هذا الشرط ، وعلى أثر ذلك استحبهم وعاد أدرجه ، وتم سحت للقاضى أول فرصة ليرضى حامية البربر . ولما حصلت المدينة على حريتها اجتمع سكانها ليختاروا حاكما يولونه عليهم ، إلا أن الحواطر فى هذه الحال لم تكن هادئة والعوس لم تكن مطمئة خشية أن تتحصن الحوادث عن ثورة . أو أن بعيد بوجود الكثرة عليهم ، وجيتد لا يتوانون لحظة عن معاقبة المجرمين التائرين ، ولهذا لم تد من أحد منهم أية رعة قط فى أن يأخذ على عاقبه تحمل عبء المسؤولية عما وقع .

واتفق عامتهم على أن يلقوا عبء المسؤولية على عاتق القاضى وحده الذى حسدوا ثروتا واستشعروا سرورا حيا فى أعماق هوسهم بدو الساعة التى تصادر فيها هذه الثروة الطائلة .

فحرصوا على القاضى أن يتولى حكم المملكة ، وكان - مع ما يجيش بصدوره من مطامع وآمال - حكما حارما ، فهدس فى إياه أن يتولى الحكم فى وقت غير مناسب . ولم يكن القاضى مصل السب بالسلالات العريقة ، إلا أنه امتار بجيارته أكر ثروة ، فقد كان يملك ثلث أرض اسديانة ، وفوق ذلك فقد كانت له مائة سامة من الاعتار بطرا المواهه العلمية ، وكان يهوره أن يضم إلى هذه المؤهلات أن تدح أسرته ضمن السلالات العريقة القديمة . وقد تم له ذلك - فيما بعد - تريجا ، وكان يدرك أنه فى حاجة ماسة إلى وجود عدد من الجند تحت إمرته ، وليس لهذا العدد وجود ، ولم يشك فى أن الارسقاطية العظيمة المجيدة فى اشيلية لابد أن تثور على صعلوك مثله غير معروف النسب ، يسمو مكانه إلى اسم دروة الخلافة ، ولم يكن ثمة شيء غير هذا فى الواقع ، وقد وقع هذا حقيقة عندما أوسك بوعاد أن يؤسسوا الخلافة لأنهم . ونعمة رعم آل عاد أنهم من سلالة مالوك « لحم » الدين كانوا يحكمون الحيرة قديما

فمن ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم) وكان الشعراء الذين يريدون إيساع بطونهم يتحسرون . العرس للإشادة بهذا النسب العربى المزعوم ، على أنه لم يوجد ما يبرر هذا الزعم ، لأن بى عاد والمترعين إليهم ومن يمتقونهم لم يستطيعوا أن يقيموا الدليل على ذلك ، وكل ما يربط هذه الأسرة بمالوك الحيرة أنها تنسب إلى هيلة لحم اليمية التى ينسب إليها مالوك الحيرة . ولكن فرج أسرة آل عباد لى

تسلسل منه آثؤهم لم يقطن - على ما ظهر - الحيرة نتا ، ولكم كانوا يقيمون أخيرا بالعرش الواقعة على حدود مصر وسوريا في قسم إيمير » Emese . »

وعلى الرغم من أن آل عاد بذلوا ما استطاعتم كي يصلوا نسبهم بملوك الحيرة فانهم لم يستطيعوا أن يصعدوا به إلى أبعد من بعم والد عطف ، وكان عطف هذا على رأس كتيبة من جنود إيمير وقد رحل إلى أسيا مع بلج حيث أعطيت لحدود إيمير أراض على مقربة من اشيلية وأقام على ضفاف الوادي الكبير ، وقد انحدر عن أصل هذه الأسرة فردع فيما قرب من سعة أحيال أحرحت ببط من طلعة الماصي أناسا صالحين عاملين مقتصدین ، واسماعيل والد القاضي هو عواص مدها وهو الذي خطب فيه في الصحبة الذهبية لسلاة اشيلية اسم عاد (١) . ولا غرو فقد كان اسماعيل من حملة الأقلام والسيوف ، وكان رجل فقه ودين كما كان رجل حرب وطعان ، وقد تولى قيادة فرقة في حرس هشام الثاني ، ثم صار - فيما بعد - إماما لمجلس قرطبة الكبير ، ثم قاضيا لاشيلية ، واشتهر بالفقه والدكاه والورع وإرشاد العامة ، وإسداء الصبح للكافة ، وكانت شهرته في الزاهة ترو على شهرته في غير ذلك من الأمور ، هو على الرغم من انتشار الفساد والرشوة كان يتورع عن أن يقبل هبة من سلطان أو وزير ، وكان كريما إلى أبعد غايات الكرم ، وقد لقي القرطبيون منه كرم الصياغة ، وحسن العشرة ، فخلته كل هذه المزايا والصفات حريا أن يحجروا كبر ألقاب السل والسؤدد في العرب .

وقبل العهد الذي نحن بصدد توي إلى رجة الله في غصون سنة ١٠١٩ .
ورعما كان اسمه أبو القاسم محمد يمانه علما وأدما وإن كان لا يدايه خلقا وفصلا ، فقد كان أنانيا إذا أثره وطمع وصلب ونكد وإسكار للحميل ، وقد حدث على أثر وفاة أبيه أن طمع في أن يخلفه في منصب القضاء ، ولكن القوم آثروا عليه غيره ، فتقدم بالرجاء إلى قاسم بن جود فقال - بفضل قاسم - منصب القضاء الذي كان يؤمله . وقد يرى المنتفع للحوادث فيما بعد كيف كان سكرانه لهذا الحيل .

وفي مفتتح هذا العهد الذي نحن بصدد - أشار سلاة اشيلية وأصحاب الرأي بها على أبي القاسم قاضي اشيلية أن يتنوا عرش المملكة ، ولما أدرك العاية التي يرمون إليها أظهر لهم أنه لا يستطيع أن يقبل هذا الشرف الذي يولونه إياه إلا بشرط أن يشرك معه في الحكم أفرادا بعينهم هو مسموع على أن يكونوا ورراءه وأعوانه في الاصطلاح بأعناء الحكم بحجة أن هؤلاء الأشخاص الذين يشركهم معه في الرأي ستألف مهم هيئة شورية تقوم على تدبير المملكة بحيث لا يصدر إلا عن رأيهم ، ولا يتحد أي قرار بدون مشاورتهم ، فقل الاشيليون ما لشرطه القاضي من أن يكون حكمه على قواعد الشورى فلا يحكم بمفرده ، وطلبوا إليه إنخاذ ما اذترمه من تعيين أولئك الرماء والأعوان ، فعين بعض كرام الأسر العريقة مثل ابن حجاج وآخرين كانت تسمو إليهم الأنظار وترمقهم العيون من نصرائه الذين أعجبهم العصر ،

(١) وكان عاد الحد الثالث لإسماعيل

وأطلعهم كواكب في سماء المصبر ، كآبى بكر الريدى العالم البحرى الشهير مؤدب هشام الثانى ، وبعد أن تم له ما أراد من ذلك انصرف همه الى تكوين جيش للملكة ، ورفع أعطيات وأرزاق الجند ، فاضوى تحت لوائه كثير من العرب والبربر ، ثم اشترى عددا كبيرا من الممالك ودرّهم على القتال وسرد منهم حملة على الشمال ، وهى فى الكثير العالب كانت موجهة الى أسراء آخرين ، وقد حاصر قصرين فى شمال فيزى أنشأ متقابلين على صخور يفصلهما سور وأطلق عليهما اسم الأخوين وهما معروفان الآن باسم «الأفوين» وكان يقطنهما اسبانيون مسيحيون كان أسلافهم قد عقدوا معاهدة مع موسى بن نصير ، والظاهر أن هذين القصرين لم يكونا فى العصر الذى تحدث عنه فى حيازة ملك ليون ولا فى حيازة أمير مسلم ، ولذلك استولى القاضى عليهما وأرغم الذين كانوا يدايعون عنهما - وهم زهاء ثلاثمائة فارس على - الانصواء تحت لوائه ، وبذلك رادت نواة جيشه فلفت خجامة فارس ، ونمة اجتمع لديه من الجدماء يكتفى للإعارة على الممالك المتاحجة له ، إلا أن حالته هذه لم تكن لتمكّه من صد هجمات قوية جديدة صد اشيلية ، وهذا ما وقع له سنة ١٠٢٧ ، فى هذه السنة جاء الخليفة الجودى يحيى بن على وأمير بربر قومونة محمد بن عبد الله وحاصرا اشيلية ، ولما كان فى منتهى الضعف بحيث لا يستطيع المقاومة طويلا أخذ الاسديليون يعارصون يحيى وأعلنوا أنهم مستعدون للاعتراف بسيادته عليهم على شرط ألا يدخل البربر مدينتهم فقبل يحيى هذا الشرط ولكنه شرط عليهم - صامانا لوأفهم وإحلاصهم - أن يرسل بعض أعيان ولاء اشيلية أولادهم ليكونوا عسده وهائن يضمن بها ولاء الاشديليين ، فلم يستطع أحدهم أن يقدم ابيه حشية من البربر الذين يقضون على حياته لأقل شهة ، والقاضى وحده هو الذى لم يتردد فى إجابة الطلب إذ أرسل الى يحيى نجله عاد. ولم الخليفة بما للقاضى من الجاه والعودا اكتفى بقول ابيه رهية لديه ، وبفضل هذا العمل المجيد الدال على الاحلاص للبلاد اردادت مكانة القاضى عند الاشديليين عامة ، وأصبح - منذ ذلك الحين - لا يخشى شيئا لامن جاب الشعب ، ولا من جاب الخليفة الذى اعترف بسيادته شكلا وحيل إليه أن الفرصة السانحة قد أمكنته من الافراد بالحكم .

ولما كان قد أبعد من مجلس الحكم مثل ابن حجاج وغيره ولم يبق معه سوى زميلين ثم رأى أن يصرفهما عن خدمته - ، وبني زيدى ، وعين رجلا من خواص أشيلية اسمه «حبيب» رئيسا للوزارة ، ولم يكن حبيب هذا من رجال المادى إلا أنه مع هذا كان ذكيا مخلصا بكل معانى كلمة الاحلاص لمولاه ، مصرفا الى مصلحته .

وعلى أثر ذلك أراد القاضي أن يزيد في رقعة المملكة بالاستيلاء على باجة ، وقد حلت أخيرا هذه المدينة المصائب في غضون القرن التاسع عشر من جراء الحرب التي نشبت بين العرب والحائنين . إذ نهت وخرب البربر جزءا منها ، وعاثوا فيها سلبا ، وأحرقوا مصادفوه في طريقهم ، وكان في نية القاضي إعادة تشييد محاربها ، ولكن لما انفصل بعد الله بن الأفطس أمير « باداجوز » عزم القاضي ، جود جيوشه تحت إمرة ابنه محمد « الذي حمله فيما بعد باسم المطهر » وتم استيلاء هذه الجيوش على باجة في الوقت الذي جاء فيه اسماعيل بن القاضي بجيش اشيلية وجيش حليف أبيه أمير قرموه ، فبدأ حصارها في الحال وأمر فرسانه بالسلب والنهب في القرى الواقعة بين افورا والبحر ، وعلى الرغم من المدد الذي جاء من اس طيفور ، فان محمدا كان سيء الحظ كثيرا إذ بعد أن فقد نخبة فرسانه المحاربين وقع أسيرا بين يدي أعدائه وأرسل الى قرموه .

زادت هذه الانتصارات في حجة القاضي وحليفه الأمير ، فلم يكنفيا بالاغارة على ناداحور وحدها بل أعارا على قرطبة أيضا فاصطرت حكومتها أن تستعجم للدفاع كثيرا من ربر ولاية سيدونا .

وبعد فترة من الزمن أرم القاضي وحليفه صلحا أو سبه - إن شئت - هدية مع الافتازيد وحينئذ أطلق محمد من الأسر برضا القاضي (مارس سنة ١٠٣٠) ولما أطلع أمير قرموه بأطلاق سراحه عزم عليه أن يعرج في طريقه على اشيلية ، ويدفع القاضي شكره ، ولكن محمدا لفرط استمثاره من القاضي ، قال لأبي البربر : « إني أوتر أن نضل سحيك على أن نفوم عما أشرت به على » ، فادا كست مديبا لعرك ماطلاق سراجي ، وكان على أن أشكر قاضي اشيلية وفاء لهذا الحق ، فاني أقص أن أتقي حيث أنا سجين » فاحترم الأمير شعوره وأرسله الى ماداجوز مشيعا بما يليق برجل عظيم مثله من واجب الاحلال والتكريم .

وبعد نضع سين أي - سنة ١٠٣٤ انقم عند الله بطريقة قد تقدر غير شريفة ونأثر لنفسه من تلك الشدائد التي مآله ، وذلك بأن أتاح لقاضي أن تمر بأرضه حدوده قيادة ابنه اسماعيل وهي ذاهبة في طريقها للاغارة على مملكة ليون ، ولما كان اسماعيل وحشوده في مميق لا يبعد كثيرا عن الحدود الليونية باعته جيش الافتازيد فقتل من جنود اشيلية مقتلة عظيمة ، وقتل فرسان ليون فلول الجيش عد لا يذهم بالفرار ، وأفلت اسماعيل من هذه المدحمة معه سر يسير من رجاله ، وفيما كان موليا وجهه شطر مدينة لشونه الواقعة على حدود مملكة أبيه من الجهة الشمالية الغربية تحمل هو ومن معه أشد آلام الحرمان من حاجات المعيشة الضرورية .

ومنذ هذه ^{١٠٣٥} أراد القاضي المحصم الأكد لأبي « باداجوز » وليس لدينا معلومات تفصيلية عن

المعارك التي دارت بعد ذلك بين أمير «بلداجوز» وخصمه، وما لا ريب فيه أن هذه الحروب لم يكن لها نتائج ذات شأن عظيم لأسانيا المسلمة ولم تترك فيها أثرا يضارع ما تركه فيها أحداث آخر سستاوله فيما يلي. قلنا ان القاضي اعترف بسيادة الخليفة الجودي يحيى بن علي، ولكن هذا الاعتراف عبارة عن تعهد غير مجد وقد بقي كذلك مدة طويلة فقد طام القاضي بحكم أشبيلية بلا سلطان عليه ولا رقابة وكان يحيى من الضعف بحيث لا يستطيع أن يلزمه بالمحافظة على حقوقه وقد نذلت هذه الحال تدريجا اذ وفق يحيى لأن يضم حوله جميع أمراء البربر قريبا، فأصبح من الآن بحق زعيم عامة الحزب الافرقي بعد أن كانت هذه الرعامة فيما مضى اسمية، ولما كان معسكره العام في قرمونة التي طرد منها محمد بن عبد الله فقد أصبحت جيوشه تهدد قرطبة وأشبيلية في آن واحد، وقد أوحى هذا الخطر المخيف المهدق الى القاضي بفكرة وطنية لها خطرها، قيمتها لو لم يشها الحرس والفلمع والأباية والخشع.

فقد رأى من الضروري أن يجتمع العرب والمقالة تحت راية حاكم واحد حتى لا يهزو البربر الذين اتحدوا الاملاك التي سبق لهم غزوها.

وهذه هي الوسيلة التي تجمل الملاد ممحاة من حلول مثل ما حل بها من المصائب من قبل، وكان القاضي يشعر من أعماق نفسه بهذه الضرورة، فقويت عنده الرغبة في أن يتألف حزب قوي كبير يدع فيه جميع العناصر المعادية للحزب الافرقي، وهو في الوقت ذاته يمتنى أن يكون رئيسه، ولم تكن المقات التي عليه أن يذلها ليل تلك العاية تخاية عليه. فقد كان يدرك أن ملوك الصقالسة وأمراء العرب، وشيوخ قرطبة يجرحون في كرامتهم اذا ما حاول أن يبسط سلطانه عليهم، على أن شيئا من ذلك لم ينشط همته ولم يجعل اليأس يتسرب الى نفسه.

ولما كانت المصادفات ستخدمه، فهو يستطيع الى حد ما من الوصول الى العاية التي يرى اليها، والمشروع الذي يعمل على تحقيقه، وسرى فيما بعد على أي نحو يتم له ذلك.

أسلمنا أن الخليفة العباسي «هشام الثاني» حر من القصر في عهد سليمان الثاني. رقلنا ان أكثر الظواهر تدل على أنه مات في آسيا عموما ولا غير معروف. ومع هذا فقد بقي الشعب غير مصدق بوفاة تعلقه المفترط بالدولة الأموية التي درت عليه أحلاف اليسر والراء، وكسته حلل الشرف والمجد، وكان عامة أمراء الشعب يتنقون الاشاعات التي كانت ترد اليهم من الخارج مبنية ببقائه على قيد الحياة باهتمام وشغف، وهناك أفراد كانوا يزعمون أنهم واقفون على تفاصيل حياته ما آسيا فقد أشاع بعض أولئك الرامعين أنه رحل أولا إلى مكة وبعده حروطة مملوءة بالقود والعائس، فسله الزنوح الذين كانوا برهقه مامعه، وأنه استمر يومين لا يتدوق طعنا ولا شرما، إلى أن رآه رجل يصعد المحار فرق له ورثي خاله، ففرض عليه أن يمنح له الصلصال على أن يعطيه في اليوم درهما ورغيفا، فرجا صانع القنخار أن يعطيه الآخر سلما إذ قد مضى عليه يومان لم

يناول فيهما طعاما وبعد لأى استطاع هشام على كسل رقعة في العمل أن يكسب قوت يومه ، إلا أنه أتف من هذه الحالة فهرب ، وسار مع فاطمة ذاهبة الى فلسطين ، ووصل الى اورشليم ، وهو في أشد حالات الاملاق ، وهناك بينما هو يتنقل في بعض طرق المدينة إذ وقف على حانوت حصري ، وأخذ ينظر الى عمله بانفاد شديد ، فسأله الحصري : هل تعرف هذه الساعة ؟ فأجابه بحزن كلا ، وأما آسف لأنه لا سبيل الى العيش وكسب ما أسد به الرمق ، فقال الحصري : اذن فابق معى لحاجتى اليك في احضار الخيزران ، ولك أجرك ، فقبل مسرورا وبقى عند الحصري الى أن حذق الصناعة ، وما زال على هذه الحال يصنع سبن ، وقد أذاعوا بعد ذلك أنه عاد الى أسيايا في سنة ١٠٣٣ ورل مائته ثم تحول عنها الى المريه ، فوصل اليها سنة ١٠٣٥ فاصطر الأمير زهير الى إبعاده خارج حدود مملكته ، فرحل الى كلاترافا وثمة التقى بها عصا التسيار .

هذه الرواية التي صادفت رواجاً وقولا من الشعب لا تستحق على ما يظهر أن نال ثبوت من الثقة ، والذي وقع حقيقة هو أنه في العهد الذي كان فيه يحيى يهتد إشبيلية وقرطبة ، كان في كلاترافا رجل حصري اسمه حلف يشبه تمام الشبه الخليفة هشاما الثاني ، ولكن لم يقم دليل على أنه هو بعينه ، وقد نفى الأمويون شيعة هشام ومعهم ابن حيان وابن حزم المؤرخان ما دار حول هشام المرعوم من الروايات والاراجيف وعدوه صرما من الخيلة السياسية والحداق والفتنة ، وإن كان من مصلحتهم لو أمكن الوقوف لهشام على أثر ، ولم يتوقف حب حين طرق سمعه كثيرا أنه سببه هشام عن ادعاء أنه هو نفسه الخليفة هشام الثاني ، وقد جارت هذه الخيلة على أهالي كلاترافا ، لأن حلفا لم يكن معروف السب عندهم ، والأعرب من هذا أنهم دخلوا في طاعته ، وثاروا على أميرهم اسماعيل بن دهمان - بن أمير طليللة فجاء هذا وحاصره ولم تطل مدة مقاومتهم ، وأخرج هشاما المرعوم من المدينة فهذا ثار الأهالي ، وعادوا الى السكية والحصوع .

ولم يته دور حلف عند هذا الحد ، بل رجع عودا على بدء حين علم قاضي إشبيلية بحره وعلم الفائدة التي يجنيها من وراء ذلك الرجل اذا هو أحصره الى إشبيلية ، وكان الذي يهيمه إنما هو استغلال الموقف قطع الطر عن سحبة الرجل . كما كان يسره كثيرا أن يرضى الناس أنه هشام ، ليستطيع أن يكون اسمه حربا صد البربر ويكون هو بصوان كونه رئيس الوزراء زعيم روح هذا الحرب ، ولهذا بادر الى دعوة الخليفة المرعوم الى إشبيلية ، ووعده بتعسيده اذا نجح في اثبات شخصيته ، ولما حضر الحصري الى إشبيلية قدمه القاضي الى ساء هشام بالقصر ، فصرحن جميعون تقريرا بأنه هو بعينه الخليفة السابق ، وعول القاضي على قولهم ، وبث الى سيوح إشبيلية وأسماء العرب والصقالبة يعلمهم بأن هشاما الثاني عنده ، ويدهوهم الى جل السلاح معه دفاعا عن حقوقه ، ومؤازرة لتفضية الخلافة وقد كان الله هذا المسمى

بالنجاح ، واعترف بسيادة هشام محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخالوع الذي لجأ إلى إشبيلية ،
وعند العزيز أمير بلنسية ، ومجاهد أمير دانية ، وحزب طليار ، وأمير ترنوزا (طرطوشة) .
وعلم عامة الشعب في قرطبة علما مقروبا بالسروور أنه لا يزال على قيد الحياة ، إلا أن كبيرهم
أبا الحزم بن جمهور كان أظلم تصديقا للخبر حرصا على الحكم ، فلم ينخدع ، ولم تجد هذه الحيلة
إلى نفسه مساعا ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى مقاومة إرادة الشعب ، ومخالفة ميوله ، ورأى ضرورة
اتحاد العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد ، لأنه كان يخشى في ذلك الحين أن يهاجم البربر
قرطبة ، فلهذه الأسباب لم ياقص أغراض مواطنيه ، وسمحت نفسه بأن تتجدد البيعة لهشام
الثاني من جديد .

وكان من نتيجة هذه الحوادث أنه بينما كان الحزب العربي الصقلبي يتسلح ضد يحيى ، كان هذا
محاصرا إشبيلية محذرا في تخريب ما يتصل بها من العمران ، موطننا العيس على الانتقام الهائل
من القاضي الحاش ، ولكن الملتعين حوله من بربر قرمونة الذين أكرههم على الانضواء تحت
رايته - كان هواهم مع هشام الثاني خائفتهم السابق ، وكانت المخابرة بينهم وبينه سائرة ، وفي
أكتوبر سنة ١٠٣٥ ذهب فريق منهم خفية إلى إشبيلية ، وأبلغوا القاضي ومحمد بن عبد الله
أنه من السهل ماعنة يحيى لأنه لا يكاد يفيق من السكر ، ولم يدع القاضي وحليفه هذه الفرصة
تمر دون أن يستفيدا منها ، وهما وجه القاضي إسماعيل ومعه محمد بن عبد الله على رأس
الحيش الأسدي ، وعند ما أرجى الليل سدوله كن إسماعيل مع أكثر الجند في كمين ، وأرسل
كوكبة لمداورة قرمونة ليعرى يحيى بالخروج إلى طاهرها وقد نجح في خطته هذه ، إذ كان يحيى
حينئذ يلعب مع يحيى ابن عباد على رأس جيش ثملا ، فنهض وكان متكئا على سريره وصاح قائلا :
« يا لها من فرصة سعيدة ، هذا ابن عباد مقل لريارتى ، والآن أيها الجند ، حذوا أسلحتكم
وامتلوا جياذكم قبل صياح الوقت ، وخرج في ثلاثة آلاف فارس ، وكان اليد قد لعب برأسه
فلم يتمل ريثما يحيى جده ويظم خططه ، يضاف إلى ذلك أن طلام الليل الخالك كان يحجب
عنه كل شيء ، وفوجئوا الأشديليون من هذا الهجوم المماغت فقابلوه من جاسهم بجند وعنف ،
وأحدوا يتفقرون نظام نحو المكان الذي كن فيه إسماعيل ، ومن هذه اللحظة سعى يحيى إلى
حقنه بنفسه . فان إسماعيل أقص عليه بكل قوات الجند ، واضطره إلى التقهقر ، وقتل
يحيى معه في المعركة ، وكاد يأتي القتل على أكثر رجاله لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك ،
وقال له : « إن أغلب هؤلاء المساكن من بربر قرمونة الذين أكرههم هذا الطاغية على الدخول
في خدمته مع كراهتهم واحتقارهم له . » فأبقى عليهم وأمر جده بترك تفقهم وخف محمد
ابن عبد الله إلى قرمونة على طهر جواده ليسترد ملكه ، وأراد أن يروج يحيى الدين استولوا على
أبواب المدينة أن يحولوا بينه وبين الدخول لولا أن ساعده الأهالي على دخولها من ثمة ،
وسار إلى قصر الإمارة وسلم ساء الأمير يحيى إلى بيته ، واستولى على ما في القصر من كنوز
ونقائس « نوفمبر سنة ١٠٣٥ »

وقد أحدث مأ وفاة يحيى سرورا عظيما في اشبيلية وقرطبة ، وعند ما وصل الخبر الى مسامع القاضي خنّ ساجدا شكرا لله ، وحذا حذوه جميع من كانوا حوله ، والآن أصبح القاضي لا يخشى شيئا من جاب الجوديين ، وقد نودى بادر بن أحد أشقاء يحيى خليعة في ماله ، وقد كان يعوزه الوقت البكافي الذي يستطيع فيه أن يكسب بقوة هوذه ، وما يقدره من وعود ، قلوب زعماء البربر ، ليحصلهم في صفه ، ولهذا لم يعد في استطاعته أن يخضع الجزيرة بعد أن نادى الرنوج فيها بأن عمه محمد ، خليعة .

ولما رأى القاضي أن الظروف خدمته ، همّ بأن يقيم هو وهشام الثاني الموعود بقصر الخلافة في قرطبة ، إلا أن نقطة اس جهور ، وتصميمه على عدم الحلّ عن الحكم ، وقنا حجر عثرة في طريقه ، فقد نجح في اقناع أهل قرطبة أن الخليعة الموعود لم يكن سوى رجل ماكر مخادع وأن اسم هشام قد أُلقي من الامامة ، وعرف أن القاضي عد محبته هشام الى قرطبة سيلقي أبوابها معلقة في وجهه ، وثمة لا يستطيع التعلل على مدينة مبيعة حبيبة مثلها ، فيصطر أن يعود من حيث أتى .

٢٦٦

وعوّل في بداية الأمر على أن تصكر حيوشه عند الأمر الصقائي ، وهو الأمير الوحيد الذي أبى الاعتراف بهشام الثاني . ذلك الأمر هو رهبر أمير المرية ، وممد أراد الخليعة قسم أن يهون على الأمير ، واقطعه عدة أملاك بدأ رهبر باصر الجوديين ، ولما نودى بادر بن خليعة بادر بالاعتراف به ، ولما صار الآن مهتدا من القاضي عقد محالفة مع حوس العرطاطي ، ثم رحب بجيش إسبيلية ، وذهب لمقائلاته بمجوده وجود خليعة إذ اصطره إلى التقهقر . ومن المحقق أن القاضي قد نال في الاعتداد بقوته ، ولم يحسب حساب أعدائه ، وكان عليه أن يخشى يحيى الوقت الذي تعرض فيه حوس المرية وعرطاطة بدورها إسبيلية . وكثيرا ما حدثه محاسن الصدف التي شاءت أن يحلّسه أحد أعدائه من عدوه الآخر .

٢ - المناهج الأدبية (١)

كل ما يكتب في هذا العصر إنما هو محاولات أولية ترمى الى المثل الأعلى الذي نشده جميعا ، ولا يزال الأدب العربي وتاريخ الأدب العربي في أشد الحاجة الى جهود الأدباء المتواصلة لتنظيمه وتحيته وإصلاح تحريفه والكشف عن الاغلاط الكثيرة التي ألحقها به النساخ . ولا زال كل جهد يدل في ازاحة الستور عن هذه المناجم الغنية مفتقرا الى جهد آخر يشد أزره ويساعده .

قد كما الى عهد قريب لاسكاد يؤمن بأن في العربية كلها شاعرا واحدا يجارى المشهورين من شعراء العرب . فلما انصرف الأدباء والعلماء الى الدرس والتحقيق والبحث والتحليل ، اكتشف الشباب محجة من مادة الفكر العربي المتأثرين ، ولا زلنا نطمح في ازاحة الستور عن بقية اعلام الفكر العربي القدماء .

وقد كان من الطبعي أن يصحب نهضتنا وهي في أولها ما يصحب كل نهضة أخرى من العلو والاسراف في بعض النواحي ، وفي مهضنا الأدبية عيب جوهري نخشى أن يعوق سيرها حياء من الزمن نحن في أشد الحاجة الى الانتفاع به واستغلاله بأقصى ما فينا من قوة ، ذلك العيب الجوهري هو أن أكثر من يكتب في تاريخ الأدب العربي يقسم قسمين : فريق من المحافظين الحامدين وفريق من المجددين المسرفين .

يأتى الفريق الأول الا أن يتقيد بالمصوص القديمة ويأخذ بآراء القدماء في القدر والأدب بالغة ما بلغت من الاضطراب والفساد من غير أن يعي نفسه بعجزها وتعميقها ولا يكاد يردد الا عبارات محمودة و (كليشيات) قد أراها الدهر ولا يكاد يجزو على استخلاص شريحة واحدة من مخونه الطويلة واطلاعه الواسع ، فاصرو القيس أكرم مرآياه أنه وقف واستوقف ، وبكى واستنكى ، وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت واحد وذلك في قوله :

« قها نك من دكرى حبيب و منزل سقط اللوى بين الدحول غومل »

والباعة النيباني قد بز الشعراء بقوله :

« فانك كالأل الذى هو مدركى وان حلت أن المتأى عك واسع »

الى آخر هذه العبارات التي حان الوق لاراقتها بعد أن أنهكها طول الاستعمال وكثرة الاستشهاد والتكرار .

الفريق الثانى من غلاة المجددين أو - على الأصح - دعاة التجديد ، لا يبالون بالمصوص ولا يعنون أنفسهم بدرس الموضوع الذى يتصدون لحته ، وربما اكتفى بعضهم بالخلاصات المدرسية التافهة في الحكم على الشعراء والأدباء والأدب العربي كله .

فالعرب - في رأى أحدهم - لم يطر قوا نوعا بعينه من الشعر ، لأنه لم يقرأ هذا النوع في تلك

(١) ثبت فيما على فصولا مختارة من رسائلهم ان زيدون ، تنويرا لقراء .

الخلاصات المدرسية ، وهذا الشاعر لا يسمو الى مرتبة الفحول لأن الآيات القليلة التي قرأها في تلك الخلاصات لا تبرر وضعه في مصاف الممتارين والوايغ .

وهم لا يرون اذا تصدوا للكتابة إلا وسيلة واحدة للطرافة والابداع وهي الخيال ، فهم لا يبالون اذا أعوزتهم المصوص أن يخلقوا تاريخ الشاعر خلقا ، وأن يدعجوا حياتهم في حياته وينحلوه فئاتهم وما يتحياوه في موسمهم من مزاياء فتراهم يخلقون من الشاعر صورة هي أصدق مرآة نستشف فيها نفوسهم .

فاذا كان أحدهم طليعا تلص شاعرا مشهورا بالخلاعة ولم يعن حسه بشرح أسباب خلاعته مقدار عيائه بتبرير الخلاعة والتدح بها ، وإذا كان أحدهم حاقدا تلص شاعرا مشهورا بالخلق ، ولم يعن بالأسباب التي أحفظته على معاصريه عيائه بتبرير هذه الخلعة فيه . ولست أسكر على الباحث أن يتصدى لتحليل أية نص إيساية ماجة أو جادة ، راضية أو ساحطة ، ولكسي أسكر عليه أن يخلق التاريخ خلقا ليؤيد رأيا - صالحا كان أو فاسدا - فان أمانة المؤرخ ودقته هما أول واحده نحو الحقيقة والانصاف

اما أن يصبر هوى أو يحوى وراء حيل أو يطلق لنا - ملازمية ولأمانة - نظريات معلومة وآراء فاسدة حاطة نفعها ولا روية ولا تدبر ، فذلك أصغر على الحقيقة من أولئك الحامدين الذين لا يتقنوا نالادب خطوة واحدة .

وقد نابع من تهوس وشطط بعض دعاة التحديد أنهم أ - كروا كل - حيل عري - لماذا ، لأهم سمعوا أن أحد المستشرقين و - « إن العرب صيقوا الخيال وإن سعة الخيال وعمق الفكر وقف على الآريين »

فان الرومي مثلا واسع الخيال لأنهم اسمعوا سعة خياله ، بل لأن حدته روى . والمعري لأخياله له وان كان خياله أوسع من حيل ابن الرومي - لماذا ، لأنه عربي فجع ، ولكن المعري هو صاحب رسالة العمران التي تعد آية من آيات الخيال العربي . هذا يقولون فيها : الأمر غاية في اليسر ، ليس في رسالة العمران كلها حيل واما هي كتاب أنشأه المعري في جغرافية الحنة والنار .

ومن اليوم الى أن يظهر للمعري حد روى في رسالة العمران كتاب جغرافية ، ومتى ظهر له حد آرى أصحت « رساله العمران » كسما من أروع كتب الخيال هكذا يحكمون من غير أن يحاسوا موسمهم على ما يهلون . وقد حاولا جهدا أن يلمس لاس زيدون جدا آريا - يقدم به الى هذه الفئة لسكب - من مواهبه وحياله ، فلم يظفر بذلك .

على أن في ابن زيدون مزبة قد تشفع له عند هؤلاء المقتوبين بالعرب ومايت إلى العرب . فقد نشأ ابن زيدون في بلاد الأندلس : وهي في صميم أوروبا ، هو شاعر أوربي البيت وقد مدحه كثير من المستشرقين ، ولعل هذا يشفع له عند هؤلاء المقلدين .

أما الشباب المنصف الذي لا يبنى إلا بالحقائق ، فانا نتقدم إليه بديوان ابن زيدون ورسائله ، وسيرى فيها أمثلة من الابداع والافتان ، ونماذج من الروعة والاحسان ، وصفحات رائعة من صفاء الديباجة وسحر البيان - وكلما تقة بأن دوس ابن زيدون سيكون أكبر حافظ على درس غيره من خول الأدب العربي والبيان العربي .

وما أجدر الباحثين أن يتوخوا الانصاف فان آفة الرأي الهوى ، وأكثر الباقدين لا يفسد عليهم بحوثهم إلا التحيز وتنكب الجادة وإرصاد الزوات العسكرية الطائشة . وى يقينى أن الناقد كالمقاضى يجب أن يتوخى النزاهة التامة ، ويسمو بعسه عن مزالح الأهواء ، ولا يألو جهدا فى البحث عن الحقيقة ، أما أن يقلب الناقد محاميا للدفاع أو نائب اتهم - كما يفعل أكثر الكتاب - فهذا ما لانصاه له ، ولعلّ أكبر عقاب يناله هو فقدانه الثقة بما يكتب .

٣ - نشأة ابن زيدون

ولد ابن زيدون في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ في زمن الدولة العاصمية ، في أول عهد المظفر ابن المصور بعد سنة واحدة من موت المصور بن أبي عامر . وهو من أسرة مجيدة من بني مخزوم ^(١) ، وهو أحد ثلاثة تسموا ابن زيدون وهم :

١ - أبوه : عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون وكنيته أبو بكر ، وكان نقيباً بقرطبة وكان قاصياً وعالماً مشهوراً وأديباً واسع العاقة .

وقد مات ^(٢) سنة ٤٥٥ هـ ، وترك له وسه حينئذ إحدى عشرة سنة وهكذا أصاب ابن زيدون اليتيم وهو صغير .

٢ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون صاحب هذا الديوان الذي بين يدي القارئ ، وكنيته أبو الوليد

٣ - أمه أبو بكر بن زيدون الذي تولى بعد وفاة أبيه ورارة المعتمد بن عباد وقتله يوسف بن تاشفين ، بعد أن استولى على ملك بني عباد سنة ٤٨٤ هـ .



وكان ابن زيدون صاحب هذا الديوان أشهر هؤلاء الثلاثة وقد كرس حياته للدرس والتحصيل وساعده بوعه ومواهبه على ذبوع صيته وشهرته وهو لم يتجاوز العشرين من سنيه . وكان عصره أزهى عصر أدنى في الأندلس وقد نمد على أسانيد الأدب في رمة وألم من كل علم نظرف . وفرض الشعر ومع فيه وهو في العشرين من عمره ، واشترك في الفتنة القرطبية ، ودم دميبة كبير في تلك الثورة التي اندلعت بديارها في قرطبة .

وكان ابن زيدون من رعماء تلك الفتنة التي رلزلت دولة بني أمية ودولة بني حود والعلويين ، وانتهى الأمر بالقضاء عليهم جميعاً وقيام ملوك العلوانب على انقامهم

وكانت سنة وقت الثورة ثمانياً وعشرين سنة ^(٣)

(١) بنى من قريش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد .

(٢) مات أبوه بمدينة البيرة ، وسبب حشته الى قرطبة فدفن بها ، ومما وصل اليها من رثاء الشعراء فيه قول بعضهم :

«أذكر من الرياضة هـ ما وجوم من المكارم هـ ما
حلوه من طعة نحو أخرى ليواوا به ثراه الأريما
مشحون الحجاب ماء صينا ليدأوى هـ مكانا هـ ما

(٣) بدأت الثورة سنة ٤٢٤ هـ وكانت ولادته سنة ٣٩٤ هـ فتكون سنة حينئذ ٢٨ طاماً . وقد سئل ملك بني أمية في الأندلس ٦١٢ سنة وثلاثة وأربعين يوماً . وقد انقسمت ممالك الأندلس بعد

فقربه اليه ابن جهور ^(١) وأعلى قدره ثم لم يلبث أن منحه لقب « ذى الوزارتين » .
وكانت بين ابن زيدون وابن عبدوس مفاصل كثيرة لاشتراكهما في حب ولادة ،
فأخذ يكيد له ابن عبدوس هو وأصحابه اللقون على ابن زيدون عند أبي الحزم حتى غيروا
عليه قلبه وسجنوه بتهمة التآمر على قلب الملك واعادته الى بني أمية كما سنفصل ذلك في
رسالة خاصة .

وقد أنشأ ابن زيدون في سجنه كثيرا من القصائد الرائعة والرسائل المليحة التي يراها
القارى في ديوانه . وحاول أن يستعطف بها ابن جهور متوسلا اليه تارة بأبنة أبي الوليد وتارة
بغيره من أصدقائه ، فلم تلقى شكواه أذا صاعية . على أن السجن لم يمس ابن زيدون حبه
ولادة فطمع فيها نخة من أروع قصائده ، ولما ينس من عمو أبي الحزم ، لجأ الى الفرار من السجن ،
ولم يمس ولادة التي كان يهيم بها ، ولكنها أغفلته واشتغلت عنه بحب ابن عبدوس ^(٢)
على أن ابن زيدون لم ينسها طول حياته ، وما زال يطمع الأشعار متعزلا بها ، شديد الحنين
الى أيام وصلها وطلجها المعين الثرار الذي لا يبيض ، وما زال يلهمه أروع حواطره الثائرة
وعواطفه المآحجة ، وكان من أكثر الأسباب في وصول ابن زيدون الى مرتبة الرعاية بين
شعراء العرب المختارين .

سقوط الدواء الأموية الى سمع عقرة مملكة منها ، قرطبة ، واشبيلية ، وحيان ، وقرمونة ، والرب ،
والحريرة ، الحضر ، ومرسية ، ودمية ، ودابة ، وطرطوشة ، ولاردة ، وسرطنة ، وطليطلة ، واحة ،
واشوبه الخ

قال ابن حزم : كانت طرطوشة وسرطنة وقرطبة ولاردة وقائمة أوبى في يد بني هود . وبليسية
في يد عبد الملك بن عبد العزيز . و لكر رأى حافوق طليطلة - من حبة النمل - في يد بني ريس . وطليطلة
في يد بني دى اللون . وقرطبة في أيدي أماء حور . واشبيلية في يد بني عاد . ومالقة والحريرة الحضر
في يد بني رزان من الربر . والماربة في يد وهيد النامري ثم ابن صهاح . ودببة وسمالها الخرائر
الشرقية في يد محمد العامري . وطلدوس وإبرة وشتر . لشوبه في يد بني الأفضس وأصبح كل امرئ
وما احار من الألف والاسماء ، حتى أن المسلمين ، لما جلس على كرسى الخلافة ، قال للناس اجتمع :
« ارتكواكم شتموا وارتسوا » أحسن من الخطط « فقاموا في أيامه - مفردة ومثمة - أرادوا
الدائرة ، وأحاث الطارة ، فصلا عن رهاب الكلاب والخمعة .

(١) هو أبو الحزم من جهور الذي استولى على المملكة بعد طلع الحد آخر خلفاء بني أمية ، ولم تحول
عن دأبه الى قصر الخلافة ، وحصل الأمر شوري ، وسلس الأمور عزمه وحسن تدبيره ، وكانت مدته في
الحكم أربع عشرة سنة وصحة أشهر ، ثم خلفه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور الذي مات في شوال
سنة ٣٤٣ هـ

(٢) وفي ذلك يقول ابن زيدون .

« أكرم بولادة دهر المدمر لو فرقت بين بطار وعطار
قالوا : أو عاصم أصحى لم لها طت : الفراشة قد تدنوس النار
عجزتموا بأن قد صار يحميها فيسبح ، وما في ذلك من طار
أ كما شهد أصنام أطانه مصاء وبصا صمعا عه لغار »

ولما مات أبو الحزم عاد ابن زيدون الى قرطبة وانضم الى أبي الوليد وقام بالسفارة بينه وبين ملوك الطوائف فأعجبوا به وتموا استئثارهم به لبراعته وخسب سيرته وتمكن من دولة ابن جمهور وابتم له الخطا ثانية حتى أفسد الحساد مصلح ، وخشى ابن زيدون أن يلقى من الابن ما لقي من الأب من السكال والسجن ، ففر هاربا من قرطبة . وطلّ ينتقل في أرجاء الأندلس من رنده إلى باداجوز إلى اشبيلية أخيرا حيث اتصل بعباد ابن محمد صاحبها الملقب بالعتضد (١) ولم يكن يخفى أدبه وشهرته ومكانته عليه فهمس له وبش وألقى اليه مقاليد وراثته ، وبعد أن مات العتضد حاول الوشاة وعلى رأسهم ابن عمار أحطس أصدقاء المعتضد أن يعيروا قلبه عليه وأن يدسوا له عدده فلم يفلحوا ، وأقصاهم المعتضد بن عاده وقرّب اليه ابن زيدون وأعلى مكانته عنده وطلّ ابن زيدون يزين له غزو قرطبة حتى ملكها عنوة هصل تدير ابن زيدون وسعة جلته ، وانتقل المعتضد وابن زيدون اليها وجعلها عاصمة ملكه .



ولما وقعت الثورة صديود اشبيلية ، انهمز ابن عمار وابن مرثبان وأصارهما هذه العرصة لاقصاء ابن زيدون عنهم تخلصا من مافسته ، فزيروا للمعتضد أن يورده إلى اشبيلية لشدة تعلق أهلها به واستغلال حزم في تسيير الاضطراب وتهدة الحواطر ، وكان المعتضد يعلم ما يكره أهل اشبيلية لابن زيدون من الحب وماله عندهم من المكانة والخطر وكان ابن زيدون مريضا فاضطره المعتضد الى السفر ، فلم يستطع إلى محالته سيلا ، ولم يلبث أن اشتدت به الحلى وألح عليه السقم فلهقت به أسرته . ولكن الشيعوكة والمرص تكاثما عليه فأهلكاه في ١٥ رجب سنة ٤٦٣ هـ فخن عليه أهل اشبيلية أشدّ الحزن ودون فيها باحتفال مهيب . وقد مكث في خدمة آل عاده تسعة عشر عاما ، ولوطال عمره قليلا لألح حساده وماسوسه في تعيير قلب المعتضد عليه والتسكيل به كما أفلحوا في مثل ذلك من قبل ، ولكن الموت أقده من دسائسهم وكيدهم ورجحه من شرهم .

(١) استطاع المعتضد أن يملأ على كل ما واجهه من العقبات وبدل أقصى ما يبدل دامية من القضاة حتى صعد الجوسلم له الملك وكان أكثر من يماوته من المنطلي وأشدّهم عليه صهاجة و هو برال الذين كانوا قرموة وأعمالها من نواحي اشبيلية ، فلم يرل يعرف الحيلة فارة - كما يقول المراكشي - ويجهز الجيوش أخرى الى أن استسلم مرق كلتهم ، وشفت منتظم أمرهم ، ومعهم عن جميع تلك البلاد ، وصفت له أموره .

بمحتري المغرب

« ويقول من أدانا : إن ابن زيدون بمحترى زماننا، وصدقوا

لأنه هذا حذر الوليد في منى قصائده » « ابن سام »

قلت في فصل سابق : إني ترددت في مشايعة « نيكلسون » حين وصلت إلى قوله :

« وقد أطلقوا على ابن هاني لقب متبج العرب ، كما أطلقوا على ابن زيدون لقب بمحترى

العرب . »

وقد قلت حينئذ :

« ولما كالم ندرس ابن زيدون دراسة تمكنا من الحكم عليه حكما صحيحا ، فانا نترك

مناقشة القسم الثاني من هذه التسمية ونكتفي الآن بالكلام على القطعة الأولى وهي تشبيه

ابن هاني بالمتبج لاستطاعتنا الكلام في هذا الموضوع . »

والآن بعد عشر سنوات أستطيع أن أقرر مستوقا : أن هذه التسمية صادقة في تفصيلها

وإجمالها ، وأن من يدرس ابن زيدون والمحترى يطلق على ابن زيدون لقب بمحترى المغرب ، ولو

لم يعرف أن القدماء قد أطلقوا عليه ذلك اللقب ، فكلاهما رائع النظم ساحر الأداء ، وأكثر الصور

الشعرية التي أبدعها جديرة بأن تال نال أعز مكان في أرقى المناحف الشعرية .

ولقد يسر علينا ما لقيناه من الجهد والعناء في إظهار هذا الديوان أن به من الصور الشعرية

الرائعة والبيان الساحر الحلاب ما يحربه الأدب العربي والشعر العربي في أروع عصورها

وأضرها ، فقد كان ابن زيدون في سموه وأفانه - وما أكثر سموه وأفانه - مثالا رائعا

لشاعر المدح القادر المتصرف بفنون القول وأساليب البيان .

وأحب أن أصرح القاري أي كدت أنسرّع في الحكم حين عرضت لهذه التسمية في

كتابي « نظرات في تاريخ الأدب الأدبي » ، فأقرر أن في هذه التسمية كثيرا من الاسراف

والمبالغة ، وقد كنت حينئذ متشعرا بروح المحترى مأخوذا بسحر يانه ، وكنت لا أكاد أصدق

أن شاعرا - كان زيدون - جدير أن يوضع معه في ميزان أو يشركه في إحسان .

ولكنني رأيت أن من الظلم والعس أن أفاضل بين شاعرين درست أحدهما دراسة مستفيضة

ولم أقرأ لثانيهما إلا عشرات من الأبيات و بضع صفحات من النثر ، فأرجأت الحكم حتى أتم الدرس .

وهذه حالة نفسية تعرض لأكثر المشتغلين بالأدب في هذا العصر ، وهي آفة من الآفات

التي تفسد على الباحثين بحوثهم ، فإن أكثرهم لا يتورع في الحكم على شاعر لم يدرسه ولم يعم

بقراءة آثاره وتقصى أخباره ، بأنه شاعر ممتاز أو سخي ، وبعضهم يكتفي بالختصرات المدرسية

والختارات الشائعة المقتضبة فيصدر الأحكام السريعة على الشعراء والأدباء وربما عكف

أحدهم على درس شاعر ولم يدرس غيره ، فراح يملأ الأرض تمجيدها ويسرف في إظهار مزاياه

وتفضيله على جميع شعراء العربية حتى يقول أحدهم في وصف بعض الشعراء :

« فهو الشاعر من فرعه إلى قدمه وهو الشاعر في جيده ورديته ، وهو الشاعر فيما يحتفل به وما يليقه على عواشه » الى أن يقول « فما تحرك حركة الاكلان العقريه فيها أرفى نصيب » (١)
وقد كان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم شارح ديوان ابن الرومي ، يرى بعد أن درسه دراسة مستفيضة أن ابن الرومي أشعر شعراء العربية . وأكثرتهم نصراً بنون القول وكان الناث له على ذلك أنه عكف على درسه زمناً طويلاً فظهرت له مزاياه الباهرة فحسب أن أحداً من الشعراء مهما سما لن يصل إلى مكانة ابن الرومي .

وهؤلاء الباحثين عذرهم في إصدار هذه الأحكام وإن لم يصفوا الحقيقة ، فإن كل شاعر من هؤلاء العجول يترحم لنا عن حصارة هائلة ويخلق لنا في أجواء ساحرة نفسياً - حين يحلق فيها - كل شاعر سواء ، فالحترى والمننى والمعري وابن الرومي وابن زيدون وابن جنيب وأضرابهم يكاد يعبك واحد منهم ويملأ هسك حذاء وروعة إذا اقتصرت على درسه وحده .
ولكنك بعد ذلك جدير ألا تحكم بتعصيل أحد هؤلاء على الآخرين والارراء بهم لأنك لم تدرسهم جميعاً دراسة مستفيضة .

وإذا ذكر هذه المسألة أُنِي كنت في مجلس يصم صعوة من رجال الأدب المختارين كانوا يناقشون في الأدب فقال أحدهم :

« إن سيد كتاب العربية وإمام البيان العربي هو ابن المقفع » ثم راح يطويه ويحلق عليه كل عبارات الثناء ، فقال له الآخر : « أما أنا فليست من رأيك ، فإن أما المرح الاصحاني بنثره المجز قد مر كل كتاب العربية » فقال الثالث : « أين أنتم من عبد الحميد الكاتب فهو سيد هؤلاء جميعاً » فابرى له الرابع قائلاً :

« الحق أن امام البيان العربي هو الخياط » ثم سألوني رأيي فقلت :
« بل سيد كتاب العربية هم هؤلاء جميعاً وأضرابهم ولكن كل واحد منكم تكاف على دس كاتب من هؤلاء خيل إليه أن أحدا لا يدايه ملاءة وسحرا »

وهذا مثال لا يزال يتكرر ولازلنا نرى في كل يوم ما نحن بآئي إلا أن يتنصر لاهة بعينه ويعمله على جميع الناس ، وفي هذا ما فيه من الاسراف والمبالاة وظلم الحقيقة .

وما رأيك في قروى لم يعادر فريته الحقيقة طول عمره ، فلما سافر إلى مدينة كبيرة ورأى ما فيها من مصورخمة وحدائق غناء ، طن أن هذه المدينة الكبيرة - التي جمعت ألوان الحضارة والترف وجماليات السرور - هي أجمل مدن العالم ، وليس من الضروري أن يزور الانسان كل المدن الشهيرة ، فله أن يكتبي بواحدة أو أكثر ، ولكن من الضروري لمن يريد للمقارنة بينها وبين سائر المدن أن يزورها ويعرفها جميعاً .

كذلك ليس من الضروري أن تقرأ كل شعراء العالم ، ولكن من الضروري الا تفضل أحداً من الشعراء عليهم جميعاً من غير أن تقرأهم جميعاً .

(١) ارجع إلى كتابي « صور جديدة من الأدب العربي » ص ٢٢٢ »

ماذا ، بل أنت اذا توخيت الإنصاف والشفقة والمزاواة عاجز - بعد طول الأناة والبرس - عن البت في تفضيل شاعر من الفحول على آخر ، وإن المصنف التزيه ليرتد في أن يحزم بتفضيل قصيدة رائعة على أخرى كما يتردد في تفضيل حساء بارعة في الجبال على شبيبها ، ورحم الله الأعرابي الذي طلب إليه أن يعاضل بين نوعين من الحلوى ، فظل يتذوق أحدهما نارة ، ويتذوق الثاني نارة أخرى ثم يعود إلى الأول ويرجع إلى الثاني ثم قال :

« انتهى كلما أردت أن أحكم لاحدهما أدلى الآخر بحجته »

وليس في قدرة ناقد غربي تزيه أن يسخف شاعرا خلا كشكسبرو وإن كان في قدرته أن ينتقده ويظهر عيوبه .

أما عنيدنا فعلى العكس من ذلك ، لا يتحرج كاتب عن تسخيف شاعر غل كالابهي أو إسكار شاعرية المعري أو تحقير مهاب ابن الرومي أو ابن زيدون أو ابن جديس أو السحري إلى آخر هؤلاء الفحول .

ثم ماذا ، عندما من يجرؤ على اسكار شاعرية عصر بأكله كمصر ملوك الطوائف (١) الذي بعد أرمي عصر أدبي في الأندلس ، بل عندما متهمون بجرؤون - فيزعمون بلاحيطة أو مبالاة - أن يسكروا الأدب العصري كله في جميع عصوره المختلفة ، وعندما آخرون يسكرون روعة الأدب العربي في شتى لغاته وعصوره من غير أن يحشمو أنفسهم قراءة شيء من آثار هؤلاء أو أولئك .

وما كما لعرض لمناقشة أمثال هؤلاء المتسرعين في الحكم لولا أن عدوهم كادت تسرى إلى أكثر شامسا وبعض شيوخ الأدب واعلام الفكر عندما .

وقد ساعدت الخلاصات المدرسية التي كتبها مدرسو الآداب عندما على إصدار هذه الأحكام السريعة ، فان أحدهم ليكتب كتابا يعرض فيه لتاريخ أدب اللغة في جميع عصوره ويقتبس من أحكام القدماء ما شاء من غير أن يقرأ ديوان شاعر واحد بأكله ، ومن غير

(١) ومن هذه الأحكام قول أديب من هذا الطراز الحديث في همام هذا العصر الذهبي - عصر ملوك الطوائف - الذي لا يكاد يعرف منه غير اسمه :

« دلکم عمر الاسترخاء والترف . عصر ترغ فيه الأعمار والصائر فتكل مما رواه المشور والطواهر تهجم الماهر في ذلك العصر فعرب الحواس ، وعموت الحب افطرى فتروح في رفاته ديدان الفهرات . وذهيك مصر تكون فيه الهائم أصدق حاس من الناس ، لأن الهائم لا تائب بلبل ولا تهتدله في مثل هامة المصور يأخذ الناس من كل شيء ، يأيسره ، ويضمون من كل مطلب بأقربه إلى الحسن وأصمره . لا يكون الجمال فيها إلا صفة والبصرة تلحسها الألسنة حتى تزول ثم تمحها هافا ، ولا تكون الدساتين والأمواه إلا مجالس شراب وصراوح هواء ، ولا الطبيعة كلها ورياحيتها وأعمارها إلا طغسة مطرورة بمختلف الألوان والأشكال ، ولا الشمس إلا هرا هرا أو صور ضرا سويا لئلا تلت من البيون ما لا تال الفوس ، وما الأخلاق والفرور والشرف إلا آدابا يصططح عليها المارقون ليدوم لهم صفو المجلس ، ثم ماشاء الماقر بعد ذلك من غي وشار ، وما طاب له من هبت واستنار لا يشبه ذلك ولا يمدح و أداه . »

ان يدرس عصره ويتقنى أخباره ، وهو لو فعل لما استطاع إصدار فصل واحد من كتابه .
وعندنا أن الخلاصات المدرسية - - - - - بها الا بعد أن يستوفى اللاحئون درس
العصور والشعراء والأدباء ويقطع كل منهم لشاعر يعينه أو كاتب يعينه ، فيدرسه من جميع
نواحيه ، فإذا تم ذلك كله أمكن اختصار بحوثهم المستفيضة في صفحات قليلة للماثئين .
وقد تكاثفت فئة من أعلام اللاحئين في العصر الحديث كقليل على درس المتنبي وابن الرومي
والمعري ، وطفروا بنتائج ماهرة أقمت كثيرا من الشباب النصف بأن عندنا من الشعراء من
ناهى بهم ونخر معتطين ولا تردّد في مقارنتهم بأكبر شعراء العرب .

وما كان في قدرة اسنان أن يفهم جلال شعراء العرب وكتابه ويقدر مواهبهم الممتازة
وعقر باتهم المدة لو لم يحرص المقاد والشرح واللاحئون لتحلية كل غامض وتوضيح ماسح
انجهاهم الفكرية ، ولن يقتنع الشباب العربي بأن أدبا زاحر بالشعراء الدحول الدين
لا يتحللون عن أكبر شعراء العرب ، الا بعد أن يتعدى أدناؤنا وباحثوا لتحليل آثار القدماء
وتنظيمها وشرح غامضها وإراحة السطور عن ماسح العقريّة فيها وتقديم ثمار جهودهم الناصجة
للشباب العربي ، وثمّ يرى شيئا أن هذه العقول العربية الكبيرة التي استوعبت أرقى
الحضارات في أزهى العصور وعبرت عن أحفى الحواخ العسية وأدقّ الاحساسات وأروع
الأفكار وأعنف الآراء ، حديرة بالانصاف والاقبال عليها والتمتع سحرها العاتق .

وسيرى الشاب الذي يلقى عليه أكر الآمال في ديار ابن زيدون يحترى المعرب ، إذا
درسه بحاية وأناة . ولم يكتف بتصفحه والمزور به على عادته - مروراً سريعاً ، أن ابن زيدون
كان جديراً بما بذلنا من عناء وجهد ، وأنه جدير بمعاودة الكرة لدرسه دراسة مستفيضة
في رسالتنا التي أردناها لتحليل أدبه وعصره والنسبة على دقائقه ومراياه والالهام بعصره الراهي .
و بعض الناس يصولون المحترى على ابن زيدون . لأن ابن زيدون كان يحب به ،
وهو رأى محدود عليهم . فان إعجاب ابن زيدون بالمحترى كان إعجاب المعري بالمتنبي ، إعجاب عظم عظيم ،
ولو تقدّم ابن زيدون ربه على رمن المحترى لعن المحترى شعره ، واتخذ منه مثالا يسج
على منواله وإماما يهتدى به في مه الرائع .

شاعرية ابن زيدون

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر المهنون من إحصائه
أخذ الزوم - فى الجريرة - منه وشعروا فى خياله وانتهاه »
« شوق »

لكل شاعر من الفحول طابع خاص يمتاز به شعره فاذا امتاز المعرى بالفلسفة فى شعره
وامتاز المتنبي بالحكمة ، وامتاز ابن الروم بالوصف على المعانى النادرة ، وامتاز أبو العتاهية
بازهديات ، وأبو نواس بالخرجات ، والبحتري بحسن العلم ، وأبو تمام بالصناعة وابن جندب
بالوصف فإى ميزة امتاز بها شعر ابن زيدون ؟

ميزة ابن زيدون التى تكاد تفرد به من شعراء العربية هى الفن . فهو شاعر فنى قل أن
يكون فيلسوفاً أو حكيماً أو غوصاً على المعانى أو وصافاً .

الفن وحده هو الذى أكسب ابن زيدون زعامة الشعر فى عصره ، وأغرى فحول الشعراء
فى زمنه وبعده زمنه بمحاكاةه والانسواء تحت رايته . هو شاعر الفن الذى أبدع أمير الشعراء
فى وصفه حين قال :

« بأى أت هيكلا من فون مركا »

وإنك ترى صورته الصية قد وصلت الى الذروة ، وقلمنا اشترك ابن زيدون مع شاعر آخر
من الفحول فى معنى من المعانى إلا أنه ابن زيدون به ، وأعجزه ببيانه الساحر المحجب .
حتى البحتري الذى كان القاد ليقول ابن زيدون به ، كثيراً ما اشترك معه ابن زيدون فى
صور شعرية وتوقفت صور ابن زيدون على صور البحتري .

وإعما خصصنا البحتري بالذكر ، لأن البحتري هو المثال الذى اختاره ابن زيدون ومحا
نحوه حتى غلب عليه اسم بحتري المغرب .

ومن المحجب أن ابن زيدون قد اشترك مع البحتري فى عدة صور شعرية - كما اشترك
مع غيره من الشعراء - فكان ماذا ؟

كانت الصور الكلامية التى يدهها الشاعران جديرة أن توضع فى أرقى المتاحف حين
يشاركان فى غرض واحد ، ولكن الصور التى أبدعها ابن زيدون جديرة بالجائزة الأولى فى
أغلب الأحيان .

قال البحتري :

« ولما حضر ناسدة الاذن آخرت	رجال عن الباب الذى أنا داخله
فأفضيت من قربى إلى ذى مهابة	أقابل بدر التم حين أقابله
كما انتصب الرمح الردينى ثقفت	أنابيه ، واهتز للطنم عامله
وككالدبر ، وأقياده ، تم سعوده	وتم سناه واستهلت منازلها
وسلمت ، فاعتاقت جناتى هيبه	تأزعى القول الذى أنا فائله
فلما تأملتنا الطلاقة ، واشتيت	إلى يشر أنستنى ومخايله

دنوت قبلت الديو من يد امرئ كـریم بحياه ساط أنامله
صفت - مثل ما نصفوا المدام - خلاله ورف - كمارق النسيم - شمائله «
وقال ابن زيدون :

« فلما قضينا ماعانا أداؤه
قرنا محمد الله حمدك ، إنه
وعدا إلى القصر الذي هو كومة
إذا نحن طالما والأفق لاس
رأيك في أعلى المصلى كاعا
ولما حصرنا الادن والدر حادم
وصلنا وقلنا الديو مك في يد
لقد جدت حتى ما نصن خصاصة
وكل بما يرضيك داع فلفح
لأؤكد ما يعطى إليسه ويزلف
يعاديه منا ناظر أو مطرف
محاجته والأرض بالحبل ترجف
تطلع من محراب داود يوسف
تسير فيمضي ، والقضاء مصرف
سها يتلف المال الجسيم ويحلف
وأمت حتى ما بقل نخوف »

فأى الصورتين يصل القارى ؟

الحق ان الانسان ليحار في تفصيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادنا نصلان الى
أقصى درجات الكمال . وتحلى إبداع الشاعرين فيهما إلى أقصى حد ، ولكن المصنف لا يلبث
بعد طول الروية والأناة . أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التي أدها اس زيدون بحترى المغرب
على صورة صاحبه بحترى المشرق .

وقد وقع كثير من القاد المعاصرين في خطأ شيع حين تسرعوا في الحكم على اس زيدون
بأنه مقلد في أكثر معانيه غير متدع ، وحسوه لذلك مصاحح السكر لا يعد شعره إلى الأعماق ،
وقد عاب بعض المترجمين في الحكم مثل ذلك على أناتول فرانس ، وعبروه بأنه كان أسلوب
لا أكثر : كما عبروا ابن زيدون بذلك ، وسوا أن العن - كما يقول أناتول فرانس - ليس في
الابداع والاختراع بقدر ما هو في حسن التأليف ودفعة الانسجام . وكثيرا ما نتخذ أناتول من
الحوادث النافذة وسيلة إلى خلق قصة رائعة . وإما يمتاز الشاعر على الشاعر - إذا اشتركا
في معنى من المعاني - بما يدهه أحدهما من الألوان وما يوفق اليه من التعبير عن طلال
المعاني ودقائقها .

فان أمهات المعاني - كما قلت في كتابي « صور حديدة من الأدب العربي » مشتركة بين
اللاس - على اختلاف لغاهم وأرماهم وبيئاتهم وأحاسسهم - وانك لو حاولت أن تجد لأكثر
المعاني أشاها لما أعياك ذلك . ورمما قلت المعنى تحسب أنك اهدرت به ثم عثرت على شبيهه
- بعد عام أو عامين - في شعر قديم أو حديث عربي أو غربي وقديما هل عثرة :

« هل غادر الشعراء من مترد ؟ » وذلك أن النص الاساية - على اختلاف
تزعمتها وشقى أحساسها وشعورها - تكاد لا تختلف في الشعور بأمهات المعاني ، وثمة تتوارد
الخواطر . وانما يمتاز الشاعر على الشاعر بالافتنان في أداء هذه المعاني ، وروعة الأداء وحسن

التعبير عن دقائقها وظلالها والابداع في صوغ الخواج النفسية والصور الشعرية المشرقة بالحياة والقدرة على نهضة الجو الرائع الذي تخالفيه شاعريته وعرض معانيه في أبهى صورها وأجل حلها .
ولضرب للقارئ مثلاً واحداً من أمثلة عدّة لا يتسع لها المقام :

لعلّ كثير من الناس يدركون من أمثلة الحياة ونظمها أن ما يضرّ واحداً قد ينفع الآخر .
هذا معنى شائع ميسور لكل متأمل وليس للسرقة مجال فيه . وقد أفن كثير من الشعراء في صوغه فظهرت في ذلك ميزاتهم ومواهبهم وتجلت قدرتهم على الخلق والابداع .

وقد صاغه المتنبي في أبسط صورته فقال : « مصائب قوم عند قوم فوائد . »
وتناوله ابن الرومي من قبله فجاءه في صورة أخرى وهي قوله :

« فاشقني إنما هجاؤك عدى فحسكات تزيد في السراء
ومحال أن يسعد السعداء الدهر إلا بشقوة الأشقياء . »

ولما طرقه المعري جلاء في أدع صورته وأجلها فقال :

« وسخط الطاء بما نالها تولد منه رضى الخابل . »

مثّل لنا - من ذلك المعنى الشائع المطروق - صورة رائعة دقيقة مشرقة بالحياة وأظهر لنا - ريشة المصور العطن - طيبة بوقعها القدر وسوء الحظّ - وكبد الطالع في حالة المأص
فدرك أن حينها قد اهترت وأن هلاكها وشيك ، وصياداً يراها - في هذه الحال من الألم والسخط - هيري فرصة ثمينة مادرة بات يحلم بها طويلاً .

واقعد أحسن الحرجاني حين قال في صمن فصل طويل نحب أن يرجع القارئ إليه في كتابه :
« وقد يتفاضل مدعو هذه المعاني - بحسب مراتبهم - فنشترك الجماعة في الشيء المتداول ويفرد أحدهم بلغة تستعدب أو ترتب يستحسن أو نأ كيد بوضع موضعه أو زيادة اهتدى إليها - دون غيره - فيريك المتذلل في صورة المستدع والمخترع . »
وقد ضرب الحرجاني لذلك أمثلة كثيرة ثم قال :

« ولم يبق عليك إلا أن تحترس من التمریط - كما احترست من الاطراف - فلا نكون كن يرى السرقة لانتم الا باجتماع اللعط والمعنى وتقل البيت جملة والمصراع تاماً ، بل لا يعرف إلا من يفعل هل عد الله بن الرب بآيات معن بن أوس . »
إلى أن قال بعد كلام طويل :

« والتسرق - أيدك الله - داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمدّ من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه . »

ومن أجل ما أورده في ذلك الفصل قوله :

« ومتى انصفت علمت أن أهل عصرنا - ثم العصر الذي بعدنا - أقرب فيه إلى المعذرة وأبعد من المذمة ، لأن من قدما قد استغرق المعاني وسقى إليها وآتى على معظمها ، وانما يحصل

على بقايا إما أن تكون تركت رغبة عنها واستهان بها أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها وتعتذر الوصول إليها .

ومنى أجهد أحدها نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذنه في تحصيل معنى - بظنه غريبا مستعدا وطم يبت يحسه فردا محترقا ، ثم تصح عنه القواوين - ثم لم يحظ أن يجده بعينه أو يجده مثلا بعض من حسنه .

ولهذا السب أحضر على نفسي ولا أرى ليعرى من الحكم نلى شاعر بالسرقه . وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في حجة المحترى لما ادعى السرق في قوله : -

« والشعر طهر طريقتك راكه عنه مشعب أو غير مشعب »

ورعا ضم بين الركك مهجه والصق الطب العالي على الطنب »

فاذا شئت أن مثل لك من شعر ابن زيدون بما يؤيد هذا الرأي ، عرسا لك نغمة موجزة

من أقوال رجال البيان في نصص المعاني التي طرقها ابن زيدون . ول معاوية : « السرو التعافل »

وقال المتنبى : « ليس المعنى بسيد في قومه لكن سيد قومه المتعابى »

وقال زهير

« ومن لم يصابع في أهور كثيرة يصرس بأبيات ويوطأ عسقم »

وقال بشار :

« اذا أنت لم تشرب مراما على القدى طمئت وأى الناس تصوم مشاره »

هش واحداه أوصل أحاك ، فانه مقاروف دس صرمة ومحامه »

وقال أحد الشعراء .

« ومن يتبع حاهدا كل عثرة يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب »

وهل آخر :

« اقل معادي من بأنيك معتبرا ان بر عسندك فيما قال أو خرا »

فقد أحلك من أرساك ظاهره وهذ أناعك من يعصيك مسترا »

الى آخر ما ملوه في هذا المعنى وهو كثير عتزي منه بما ذكرنا ، فهل ترى في كل ما ملوه

أروع من قول ابن زيدون :

« إن السيادة بالاغصاء لاسسة سهادها وجمال الحسن في الخفر »

ألا ترى أن فن ابن زيدون قد غلب فون هؤلاء المحول الأعداد وتوق عليهم في هذه

الصورة الرائعة ؟

واسطر الى ذلك البيت الرائع الذي طمنا تعينا به وحسنا فانه قد تخطى به درحات الكمال

والإبداع حين قال :

« يزيدك وجهه حسا اذا مازوته نظرا »

وقد أخذه ابن الرومي فقال في « وحيد » المعنية :

« ليت شعري ، اذا أعاد الينا كرة الطرف مبدئ ومعيد
أهمي شيء لانسام العين منه ؟ أم لها كل ساعة تجديد ؟
بل هي العيش لا يزال به حتى استه رضى على غرائنا ويفيد »

انظر كيف تعلق ابن زيدون في نظمته ونحوه اوفى أى صورة مشرقة بالحياة رائعة الحسن
صاغه ذلك الشاعر العجوى فقال :

« حسن أمانين لم تستوف أعينا غلاته بأمانين من النظر . »

ومن اليسير على كل انسان أن يقرر أن حبه قد هجره وأنه لا يزال باقيا على عهده .
ولكنه ليس من اليسير عليه أن يؤدي هذا المعنى كما أداه المجنون يقول :

« وأدبتي حتى اذا ما فتنتي بقول يحل العصم سهل الأباطح

نابت عي حين لالى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح »

ولا أن يقول مثل قوله أيضا :

« أليس وعدتني بأقل أنى إذا ما نت عن ليلى تتوب

فها أنا نائ عن حب ليلى فالك كلما ذكرت تذوب . »

أو يقول كما قال ابن زيدون :

« كان التجارى بمحصن الودم زمين ميدان أنس جرينا فيه أطلاقة »

فالآن أحد ما كنا لمهدكو سلوم وجينا نحن عشا (١) ؟ »

تلك صور فية تتخلع دوما الرقاب ولا يحسن أن يقولها إلا شاعر فنى موهوب ، ولا تزال
أهميات المعانى كأصول لأنواع لا تكاد تختلف فى جلتها وان اختلفت فى دقائقها وتفاصيلها ، وانك
تترى ألف حساء تترى فى وجه كل منهم ملامحة من الحسن لا توجد فى الأخرى ، ولا يزال
الرسام يتفنن فى التعبير عن أسرار الوجوه ويدع ماشاء ابداعه ، ولا يزال اللحن الواحد يؤديه
ألف مغن بلرب تحس نفسك لكل صوت سحرا خاصا يختلف عن الآخر .

وما تريد أن شخص ابن زيدون بالابداع فى كل معانيه دون سائر الشعراء ، فقد تخلف عنهم
وقصر فى بعض قصائده كما يقصر المحول أحيانا . الشعر كما يقول ابن الرومى كالشجر :

« ركب فيه اللحاء والخشب اليا يس والشرك بينه الثمر . »

ولكن الانصاف يقضى عليك - إذا تصدبت للتفضيل بين الشعراء - أن تقارن بين روائعهم
وبدائعهم ، أما يقولونه عمو الحاطر ، أو فى ساعات الكلال والضعف ، فليست جدرا أن تحكم به
على شاعر بينهم ، وقد تخرج الشجرة الممتازة إلى ثمارها الشبيهة العضة - ثمرة جفة فلا ينقص ذلك
من قيمتها . وما تريد أن ننصر لابن زيدون وأن نمدحه واكتنا نريد أن ننصفه ولا نظلمه .

(١) هاأت ذا ترى صورتي رائد بين لمين واحد ، فهل تستطيع أن تعمل احداها من الأخرى ؟ ألا ترى
أن كل واحدة من هاتين الصورتين مستقلة عن الأخرى وكل الاستقلال وإن كانتا تعبران عن معنى واحد ؟
ألا ترى إلى الصدق الذى يحتل فى كل صورة بينهما ؟ ألا تست كل واحدة من هاتين الصورتين ملكا
الشاعر لا يتنازع فيها الآخر ؟

لماذا سجن ابن زيدون ؟

لأنكاد نقرأ تاريخ ابن زيدون في أي كتاب من كتب الأدب ونصل إلى هذا الفصل من تاريخ حياته حتى نقرأ هذه الجلة بنصها أو معناها .

« ثم سجنه ابن جهور لسبب وشاية أعداء ابن زيدون به » .

ولكن كيف وشى به أعداؤه فأحفظوا عليه قلب ابن جهور وأى وشاية هي ؟ ذلك مايقف أمامه مؤرخو الأدب من غير أن يتعرفوا له حلا .

وقد حاول بعضهم أن يعلل ذلك بأصنام ابن زيدون في حب ولادة وقلوب ابن عدوس وأحبابه وشوا به عد ابن جهور فسحبه لأن أبا الحرم بن جهور - في رعمهم - رجل ورجع يؤثر القوى والرهدة ولا يقل أن يرى إلى حانه خليفا ماحسا كابن زيدون ، وسى هذا العربي من مؤرخي الآداب أن ابن عدوس همه كل معصا في حب ولادة وكان أكثر من ابن زيدون حلاعة ومجوا إن كان لابد من هذا التفسير الذي ارتضاه مؤرخو الآداب ، فليس من الاصاف أن يطلق اسم الماسن المستهتر على مثل ابن زيدون ، فقد كل اذا فورن بعبه من شعراء عصره وشعراء العصور الأخرى أعد عن هذه الصفة اتى ألقها به ، ومؤرخو الآداب ، ولم يكن أبو الحرم بن جهور هتا متذلا ورعا متقشعا كما حاولوا أن يقولوا ، فقد كسر دمان الحرم حين ولي أمور الناس ، وهذا يدل على حزم ومهذ فطر ولا يدل على نقشف ورهد وورع .

وما كان أبو الحرم ليسىء الى وريره الذي حاص إلى حانه نار اثورة القرطية وكان يلها ملاءته ويعدبها ببيانه والذي كان لا يستعنى عه أبو الحرم بن جهور ، قول ليس أبو الحرم الذكى الأريب - الذي شاد ملكا - ومعد الأساس بين الزعارج والفن - من العلة بحيث يأبه لأمثال هذه الصعائر ، اما كان يعنى أنا الحرم بن جهور أن يثبت ملكه ولا يعسه بعد ذلك أن يكون ابن زيدون ملاكا طاهرا أو شيطانا فاحرا .

وقد سجن ابن زيدون ورير ابن جهور وكان مهرا للقتل وسجن ابن عمار وزير المعتمد وقتل وسجن غيرهما من الأبناء والشعراء الذين استررهم ملوك الطوائف ، فاذا شئت أن نتحدث عن أسباب سجنهم وقتل أكثرهم ، فلن نجد لذلك الاسما واحدا وتهمة لا يتعداها من شاء أن يدس أو يكيد وهي التهمة التي تعنى ملوك الطوائف وقض مضاجعهم ونسبهم كل يد أسلفت إليهم ، هذه التهمة هي التآمر على قلب الملك والطمع فيه .

ولقد كان ابن عمار أحلص صديق للمعتمد وكان المقرب الأمين عده وكان أعز عليه من نفسه على حد تعبير المعتمد ، ولكنه طمع في الملك فسى للمعتمد كل شيء الا سجنه وقتله والانتقام منه .

ولم نأخذ المعتمد رجة بأحد أولاده حين عرف أنه يطعم في ملكه ، فقتله حنقا عليه .

وقد كان ابن زيدون شابا في مقتبل عمره وكان قريب عهد بالثورة التي دعا إليها آل جهور .
وكان أقرب شيء الى هذه النفس الشابة الفتية المتوقدة عزما وحمه ، والتي ظفرت بالوزارة
في مشهل حياتها السياسية أن تطمح الى ما هو أبعد من الوزارة .

وقد كان ابن زيدون كثير السعرات وكان موقعا محموبا من ملوك الطوائف ذائع الشهرة
في عصره ، وكان قويا شديد النكاية والسخرية بخصوصه ، ولم يكن لهم طريق يسلكونها
للانقاص منه الا الكيد له - على أسلوب ذلك العصر - عند ابن جهور بأنه غير مخلص
لعهده ولا أمين لأمره .

وما نرى ابن زيدون من تهمة التآمر فانه هو نفسه لم يتصل منها اتصالا واضحاً صريحاً ،
بل نحن لانرى في تصديقها حرجا فقد كانت الظواهر كلها تؤيدها ولا تنمىها .

وقد فر ابن زيدون من سجن أي الحزم ثم عاد بعد وفاته الى ابنه أبي الوليد وبذل له
الصيحة كما بذل لأبيه ، وظهر عده بأعلى مكانة . ولكن تهمة ذلك العصر فرت به من جديد
وكاد - لولا فراره - يسجن من جديد ويقضى قية عمره في السجن .

وقد انفصل بالمتضد وحاول خصومه أن يدسوا له فلم يفلحوا ولما مات المتضد أعادوا
الكرة وأرادوا أن يعيروا عليه قلب المعتمد فأحققوا ، وقرعهم المعتمد أشد قرع وما زال
ابن زيدون الوفي الأمين المخلص للمعتمد ، حتى قربت ميته وقرب نجاح أعدائه في تغيير قلب
المعتمد عليه ، ولوطال عمره قليلا لأصاه من كمال المعتمد وانتقامه مآصاه من أي الحزم
وما كاد يصيبه من أبي الوليد بن جهور . ولكن المية أقدمته من شرورهم وأحقادهم كما أسلفنا .
على أن سجن ابن زيدون قد ترك في همة الفتية الوثابة أثرا لا يوصف . وألمه الحكمة
والأناة والصبر وعلمه مداراة الناس ومحاملة الخصوم ، وأقمه بأن معاداة الرجال غير مأمونة
المواقف وأن السهام « فلما اعتورت غرضا الا كلمته حتى بهى ما اشتد من قوته » فلم يدخر
جهدا فيها بعد في اكتساب رضى العامة والخاصة ، حتى أحوه - الاقليل ممن دهمهم الحسد
والغيرة وهؤلاء لاحيلة لأحد في اكتساب رصاهم وسل سخائمهم وأحقادهم - وقد مات فكاه
أهل أشبيلية وجزعت لعقده جهرة معاصريه . ولا تزال أشعاره ورسائله التي نظمها في سجنه
آيات فذة من البيان العالي والشعر المجرى . ولا زال قوله :

« لايهى الشامت المرتاح حاطره أنى معى الأماوى ضائع الحطر
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة أم الكسوف لعير الشمس والقمر »

وقوله :

« ولا يسط الأعداء كوفى في السجن فاني رأيت الشمس تحصن بالسجن
وما كنت الا الصارم العصب في جفن أو الليث في غاب أو الصقر في وكن
أو العلقى يخنى في الصوار ويخبا »

إلى آخر هذه القصائد الفذة التي كتبت لها الخلود . مثالا عاليا للشعر الرائع والبيان الساحر

حساد ابن زيدون .

كان من الطبيعي أن يلقي أديب مثقف وشاعر مجيد وسياسي مدرّب كابن زيدون سوطاً في مقتل شابه الي أرقى الدرجات - كثير من المفايين والحساد يقومون على أدبه وتقوفه ويغارون من قرّبه الى الملوكة الذين أكبروا فضله وأدبه قرّبه منهم وحاطوه برعايتهم ، وقد لقي ابن زيدون في قرطبة جماعة من المفايين وعلى رأسهم الوزير الأديب أبو عامر بن عدوس ، فكادوا له حتى أحفظوا عليه أنا الخزم جمهوره سحبه كما أشرنا الى ذلك في فصل سابق . ثم قرّ من السجن وعاد فواصل بأبي الوليد بن أبي الحرم ، فلم يقطع كيد المفايين حتى غيروا عليه قلب الابن كما غيروا عليه قلب أبيه من قبل ، فعزّ ابن زيدون خوفاً من السجن ومازال ينتقل بين ملوك الطوائف حتى استقرّ به البوى في اشبيلية فلقى من كيد الحساد وعنتهم مثل ما لقي في قرطبة ، ولكن مدائحه الخالدة التي مدح بها المعتضد والتي تعدّ من معاصر الشعر العربي وروائعه ، وحسن سياسة ابن زيدون وبعده نظر المعتضد تعلت على كيد المفايين وأرغمت أنوفهم وأحلت في المكان الأول كما يقول من قصيدة راتحة :

« وأرغم في رى أنوف عصاة لقاءهم جهنم وأعينهم شزر »

« اذا ما لبث في الدسب عاقد حوة وهم سباطا حمله على الصدر »

فلمامات المعتضد أعادوا الكرة وجعوا جوعهم للكيد له عبد المعتمد ولكن المعتمد صدمهم أشع صدّ وقرّبه اليه ، فلم يس له ابن زيدون هذه اليد وفي ذلك يقول :

« يطيل العدا في التناحي حية يقولون لانتست قد قصي الأمر »

ثم ما زالوا يكيدون له حتى أقصوه عن قرطبة الى اشبيلية منهزين فرصة مرضه فسار اليها مرغماً حيث لقي حتمه . وألح كيد ابن عمار وأصحابه في التخلص من مناسة ابن زيدون . ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده في أبي الحرم وأبي الوليد والمعتضد والمعتمد من الشكوى الصارخة من كيد الحساد الذين تلوّعوا لابتذائه وأرهقوه بدسائسهم المتوالية ، والحسد داء قديم وكما لقي الأدباء والشعراء الممتازون منه ما حص عليهم حياتهم وأقص مضاجعهم .

وقد لقي المتنبي قبله في مجلس سيف الدولة من حسد أبي فراس وابن خالويه ، ثم لقي عند كافور الاخشيدى من حسد ابن حنبل ، ثم لقي في بغداد من حسد الوزير المهلبى الذي أغرى به الشعراء والأدباء كالخاتمي وابن سكرة وغيرهما ، ما أقلق باله وفاده الى حتفه .

وقد كان يبلغ المتنبي بعد أن ترك سيف الدولة تشنيع حساده به عبده ، فيقول :

« رأيتمكم لا يصون العرض جاركم ولا يدرك على صرعاكم اللب »

جزاء كل قريب منكم ملل . وحظ كل غريب عنكم ضغن . »

الى آخر ما قال .

وكان يبلغ ابن زيدون عن ابن جهور بعد اتصاله بالمتنشد ما يسوءه في نفسه وقرابته
بقرطبة فيقول :

« بنى جهور أحرقت بجفائك مؤاذا غابال المدائح تعبق
تعدوني كالغبر الورد إنما تطيب لكم أغاسه حين يحرق »
وقوله :

« قل للوزير وقد قطعت بمدحه زما فكان السجن مه ثوابي :
لا تخش في حق بما أمضيته من ذاك في ولا توق هتابي
لم تخط في أسرى الصواب . وها هدا جزاء الشاعر الكذاب . »
وقوله .

« من ملغ عى البلاد اذا ننت أن لست للمس الألوف بائع
أما الهوان فصنت عه صمعة أعشى بها حد الزمان الشارح
فليغم الحط المولى أنه ولي فلم أتعه خطوة تابع
ان العى هو القاعة لا القى يشتف قطعة ماء وجه القابع »
الى آخر ما قال .

وقد كان لهذه المامسات أثرها العظيم في ابداعه الشاعرين واطهار أروع ما قاله من الشعر ،
وصدق القائل :

« لولا اشتغال الاربما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود »
وما كاد المتنشد يتولى الأمر بعد أبيه المتنشد حتى شط الدساسون والمفسدون لمحاربة
ابن زيدون فرموا اليه برقعة فيها قصيدة طويلة أولها :
« يأبها الملك العلى الأعظم اقطع وربدى كل باغ ينم
واقسم ببيعتك داء كل منافق يندى الجليل وصد ذلك يكتم »
فكان رد المتنشد على ذلك قوله :

« كذبت ما كم صرحتوا أوججموا الدين أمنن والسجبة أكرم
ختم وروهم أن أخون ، وربما حاولتم أن يستخف يللم (١) . »

(١) وفيها يقول

« وأردم نصيب صدر لم يبق والسر في ثمر الحور تحطم
ورغم - محالكم - لمجرب موال يثبت قبحال ميمزم
أنى رحوتى صدر من جر بتم مه الوفا وظلم من لا يعلم
أنا لكم لا القى بمر غرسه عدى ولا مى الصبة يهدم
كلوا . والامارقوا لى سلكه باقى السفيه يتألمها يبللم »

وقد عرف ابن زيدون كيف يشكر له هذه اليد في قصيدته الرائعة التي يقول فيها :

« وأرى المساعي كالسيوف تبادرت
ولكم تسامى بالربيع نصابه
وفيها يقول ويندع :

« قل للعاة المنصين قسيهم
أسررتهم ، فرأى محي عيونكم
وعائتم - للعسق - طعوسعا
ونسذتم التقوى وراء ظهوركم
ما كان حلم « محمد » ليحيله -
وفيها يقول بعد أن أعراه بأعدائه :

« فرق عوب ، فرأرت رارة زاحر
يا ليت شعري هل يعود سمعهم
لى مك - فليدب الحسود تلطيا -
ودعوف حظ ليس يفتأ يحتلى
الى آخر هذه القصيدة الرائعة .

وقلنا نحاو قصيدة من قصائده من ماسة يخلقها حلقا ، وينطرق منها الى الشكوى والألم
من حساده ومسافيه وما لقيه من كيدهم وعنهم
ومن أروع ماذهل في ذلك ، قوله من قصيدة :

« كان الوشاة وقد مبيت نأفكهم
الى أن قال :

« أنا سيفك الصديء الذي مهما تشأ
وقوله :

« ايه « أبا الحرم » اهتل عرة
لاطارى حظ إلى عاية
عناك - بعد العتب - أمية
لم ينشئ عن أمل ماجرى
ألسنة الشكر عليها فصاح
ان لم أكن منك مريض الجراح
مالى على الدهر سواها اقتراح
قد برقع الحرق وتوسى الجراح .

وقوله :

« ما جال بعدك لخطى فى سا القمر
إلا ذكرتك ذكر العين بالآثر
إلى أن قال :

« حسن أفاين لم تستوف أعيما
غليانه بأفاين من النظر .
إلى أن قال :

«من يسأل الناس عن حاله، فشاهدها
لم تطلو برد شباني فكبرة وأرى
قبل الثلاثين إذ عهد الصا كث
ها انها لوعة في الصدر فادحة
لايهنى الشامت المزناح خاطره
هل الرياح بجهم الأرض عاصفة ؟
إن طال في السجن إيداعى فلا عجب
وان يشط - « أبا الحرم » الرضى - قدر
ماللذئوب - التي جاني كآثرها
من لم أزل من تأنيسه على قفة
إلى أن قال :

« لانه عى لم أسالك معصا
واستور الخط من صح وصاغية
هني أسأت فكان الطلق سيئة
ان السيادة بالأعضاء لابسنة

وقال :

« ولو أبى أسطيع كي أراضى العدا
إلى أن قال :

« جواد إذا استنّ الحيات الى مدى
نوى صامى في مرابط الهون يشكى
إلى أن قال :

« أعدك للجلي وآمل أن أرى
بعمالك موسوما وما أبا بالفضل . »

ثم قال :

« أن زعم الواشون ما ليس مزعما
وأصدى إلى إسعافك السانغ الجنى
• ولو أننى واقمت عمدا خطيئة
لم أسترحب « العجار » ولم أطلع
وانظر إلى قوله :

« فديتك كم ألقى التواغر من عدا
هفا عنهم قدرى الرفيع فأهجرأوا
قراهم - ليران الفساد - قباب
وبانيهم خلقى الجيسل ههابوا »

وقد تسمع الليث الجعاش نقيقها
إذا راق حسن الروض أوطاح طيبه
إلى أن قال :

« فأنت الحسام العصب أصدى منه
وما السيف مما يستبان مضاه
وقوله :

« لا تستجز وضع قدرى بعد رمعه
إلى أن قال :

« طن العدا اذا أغت - أنها انقطعت
لابأس بالأمر - ان ساءت مادته
إلى أن قال :

« كم غرة لى تلقها قلوبهم
إذا تأملت حى عتب غشم
تلك العرائن لم يصلح لها شم
أودعت نعلهاك منهم شر مقترس
لازال جدك بالاعداء يصرعهم

ومأروع قوله معتزاعن هجره ابن جهور : « وهو يرى ويسمع أن بالخضرة قوما لا يحصرهم
العد ، تحتمل سقطاتهم وتعتز هواتهم وتقال عثراتهم وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة إلا ساركنهم
فيها ولا يعمون بذريعة يعرودون دوى بها » الخ .

وقوله :

« أرى نوة لم أدر سرّ اعتراضها
جاء هو الليل ادلم طلامه
هب العزل أنفى للولاية غاية
ميم أرى ردّ السلام إشارة
أناس هم أخنى للدعة مقولى

وقوله :

« ألا هل أتى الفتان أن قناهم
وأن الجواد الفات الشاوصافن
وأن الحسام العصب ثار بجفنه
وماذم من غريه قد ولا قط »

وقوله :

« متون من الأيام خس قطعها أسيرا ، وان لم يبد شد ولا قط . »

وقال :

« وما زال يدينى ، ويثنى قبوله هوى سرف منه وصاغية فرط . »

وقال :

« عدا سمعه عنى فأصنى الى عدا لهم فى أدبى كلما استمكنوا عط بلغت المنى إذ قصروا قلوبهم مكان أحقاد أسودها رقط . »

وقوله :

« ومثل قد تهفوه نشوة الصا واثى لنهاى نهاى عن التى ومثل قد يعمو ، ومالك من مثل أشاد بها الواشى ويعقلى عقلى . »

الى أن قال :

« وما كنت بالمهدى الى السودد الحا ولا بالمسء القول فى الحسن الفعل . » الى أن قال :

« هى العل زلت فى ، فهل أت مكذب لقليل الأعادى انها زلة الحسل . » الى أن قال :

« ألا إن طى - بين هليك - واقف وقوف الهوى بين القطيعة والوصل . » الى أن قال :

« وأين جواب عنك ترضى به العلا اذا سألتنى بعد ألسة الحفل . »

إلى آخر ما أبدعته هذه العقريّة الجبارة ، من الاقتنان البارع ، فى صورها الشعرية التى لاتنسى .

٤ حب ولادة

تمرّ شتى الحوادث بالإنسان فيسأها ولا تكاد تترك في نفسه أثرا يذكر، على أن لبعض الحوادث أثرا لا يمحي، حيث تمرّ الأيام والشهور والسنون وهو باق في ذهنه يؤثر فيه أعمق الأثر، ويطبع نفسه بطابع خاص، ومن الحوادث التي أثرت في نفس ابن زيدون وشعره ونثره أكبر الأثر، حادثان : حب ولادة . وحبه زهاء عاين .

فأما حب ولادة فقد ألهمه إلهاما وأكسبها شاعرية خصصة فاضت بأعذب الشعر وأبدعت في ضروب الغزل ما شاء لها أن تدع، وأحرجت لنا أروع قصائده الغزلية، وألممته أسمى ألوان الحيال العالي والغزل الرقيق . كقوله :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك »

وقوله :

« أما مني نفسي ، فأنت جيعها ياليتني أصبحت معض منك
يدنو يومك حين شط مزاره وهم أكاد به أقل فاك »

وقوله :

« كان التجارى بمحص الوذ مدر من ميدان أس حريا فيه أطلاقا
فالآن أجد ما كما لعهكم سلوتم وقياغن عشا »

وقوله في صس القصيدة :

« لا سكن الله قلما عن ذكركم فلم يطربجراح الشوق حفاة »
وقوله من قصيدة أخرى :

« باليل طل ، لأشتهي إلا بوصل قصرك
لو كان عسدى فرى مات أرعى قورك »

وقوله :

« بى وببك ما لو شنت لم بصع سرادا ذاعت الأمرار لم يذع »
وقوله :

« بتم وبها ما اتلت جوامعا شوقا إليكم ولا جفت ما قيا »
إلى أن يقول :

« ماحقا أن تقرأ عين ذى حد با ولا أن تسروا كاشحا قيا »
« غيظ العدا من تساقيا الهوى فدعوا بأن بعض فقال الدهر أميا »
« فاحلل ما كان معقودا بأفسا وأبنت ما كان موصولا بأيديا »

وقوله :

« لاستجدن في عشقها - زمنا يسى سواف أياى وأزمانى »

حتى تكون لمن أحببت خاتمة نسخت - في حبها - كفرا بإيمان «
وقوله :

« إن ساء فعلك بي ، فما ذنبي أنا ؟
لم أسأل حتى تكن عذرك - في الذي
وقد شكوتك - بالضمير - إلى الهوى
منيت نفسي - من وفائك - ضلة
وقوله :

« أغائبة عني وحاضرة معي
أفي الحق أن أشقى بحك أو أرى
ألا عطفة تحيا بها نفس عاشق ؟
مليتي - بعض الوصل - حتى تبيني
وقوله :

« قد كان - في شكوى الصابة - راحة
لو أنني أشكو إلى من يرحم «
وقوله :

« لما اتصلت اتصال الحب بالكبد
ساء الوشاة مكانك واتقدت
فليسخط الناس لأهد الرضى لهم
لو استطعت - إذا ما كنت غائبة -
وقوله :

« يا ليل خبر . اني
بالله قل لي : هل وفي ؟
التد عنه خبرك
فقال : « لا . بل عذرك »

وقوله :

« لئن فاتني منك حظ الطير
وان عرضت غفلة للرقي
أحاذر أن تنظني الوشا
واسبر مستيقا انه
لأكتفين بساج الحسبر
- غسبي تسلية تختصر
ة ، وقد يستدام الهوى بالخضر
سيحطلي - بيل المي - من صبر »

وقوله :

« أشمت بي فيك العدا
لو كان يملك قديرة
مكنت الحياة لعاشق
وبلعت - من ظلمي - المدى
- من حبك القلب افتدى
- مذ حلت - أيقن بالردى

لم يسئل عنك ولو سلا لعدوته ، فبك اعدى «
وقوله :

« أبديتلى - من أمانين القلى - عبرا
لم تق جارحة بالهجر من جسدى
فليخن كفك انى بعض من ملكت
ولقض ماشئت - من محروم صلة -
سقى لهدك والآيام ثقلى
إذ الزمان بليغ فى مساعدتى
ان كان لى أمل الا رصاك فلا

وقوله :

« انى لأعجب من شوق يطاولى
كم نظرة لك فى عيى علمت بها
قلب يطيل مقاماتى لطاعتكم -
ماتوئى بنصوح - من عمتكم

وقوله :

« معاهد طو لم تزل فى طلالها
رمان رياض العيش خصر نواصر
فان بان منى عهدا ، فلوعة
تذكرت أياى بها فتادرت
وصحة قوم كالمصاييح كلهم
الى أن قال :

« محل عينا بالتصاىى - حلاله فأسعدنا ، والحادثات بيا
فالحقت تلك الميالى ملامه ولا دم - من داك الحبيب - دمام «

وقوله : وهو بطليوس من قميدة راتمة :

« إن قرت العين بأن أموا لم آل أن أسترضى المعنوا
حسبى ان أحرم المعيا قد يعم المدنف أن يتوبا «

وقوله :

لم ينبجنى منك ما استشعرت من حذر هيات كيد الهوى يتهلك الحذر
مكان حبك الافة قدسرت هل يستطيع فنى أن يدمع القدر «
وقوله :

« مالى ضررك لو سسر بمرآك الحزين

وتلقت لصب حبه فيك يحين « وقوله :

د ماضر لو أنك لي راحم
يهنيك يا سؤل ويأبيني
تضحك في الحر وأبكي أما
أقول لما طار عنى الكرى
يا ناعما أيقظني حسه
وعلى أنت بها عالم
انك عما أشتكى سالم
لقد - فيما بيننا - حاكم
قول معنى قلبه هائم
هلى رفاذا أيها النائم «

وقوله :

« هلاجلت - مدتك ففى غاية
لا تصدن ما قد تأكد بيننا
حاشاك من تضيع ألف وسيلة
ان أجبه خطأ فقد علقبتى
الصب أباهما يجهد الجاهد
- من صالح - خطرات ظن فاسد
شجى العدو لها بذنب واحد
ظلمها بأبلغ من عقاب العامد «

وقوله :

« علام املك دواعى القلى ؟
ألم الزم الصبر كيما أخف ؟
ألم أرض منك ببر الرضى
ألم اغتفر موفقات الدو
وما ساء طوى أن يسيء
على حين أصحت حس الضمير
وصانك منى وفى أبى
وفيم ثنتك نواهى الضل ؟
ألم أكثرت الهجر كي لأمل ؟
وأبدي السرور بما لم أنل ؟
بعمدا أتيت بها أم زلل ؟
فى القمل حسك حتى فصل
ولم تغ مك الأمانى بدل
لعلق العلاقة أن يبتذل «

وقوله :

« عليك السلام سلام الوداع
وما باختيار تسليت عنك
ولم يدر قلبى كيف التروع
إلى أن رأى سيرة فامثل «

إلى آخر هذه القصيدة التى تخلق بك فى جو العاص بن الأحف ، حتى ليخيل إليك أنها من شعره قد ألحقها بديوانه الخافل بهذه الروح الحائرة القلقة .

« يا من غدوت به فى الناس مشتهرا
قلبي عليك يقامى الهم والفكرا
إن غبت لم ألقى إساما يؤنسنى
ولن حضرت فكل الناس قد حضرا
واظفر إلى قوله وقد حاجته الذكري الى قرطبة :

« سقى الله أطلال الأحبة بالحي وحاك عليها ثوب وشى منمنا
وأطلع فيها للأزهار أنجما فكم رملت فيها الحرائد كدوى
إذ العيش غص والمان غلام »

وما أروع قوله فى تلك الموشحة الساحرة :

« أهيم بحار عجز وأخضع شذا المسك من أردانه يتذوق
إذا جئت أشكوه الحوى ليس بسمع ها أما فى شئ من الوصل أطمع
ولا أن يرور القلتين مام »

الى أن يقول :

« فقل لمان قد تولى نعيمه ورتت - على مر الليالى - رسوهم
وكم رقيه - بالعنى - بسيمه ، ولاحت - لسارى الليل فيه نجومه
عليك من الصب المشوق سلام »

وقوله فى ذكرى قرطة وولادة ومجالس أسه :

« أقرطة الغراء ، هل فىك مطعم وهل كد حرى لبيك تقع
وهل للياليك الجيدة مرشح اد الحسن مرأى فىك واللهم مسمع
واد كسف الدنيا ليدىك موطأ »

« أليس عجيبا أن تشط الوى بك فأحيا كأن لم أس مع جنانك
ولم يلثم شعى حلال شعابك ولم يك خلق بدوّه من ترابك
ولم يكنفى - من نواحيك - منشأ »

الى أن يقول :

« معاهد أكنها لمعهد تصرما أعص من الورد الجوى وأنعمنا
لنسا الصا فيها حبرا ممما وقدما إلى اللدات جيشا عرمرما
له الأمن رده والعداوة مرما »

وقوله :

« أحواصا للواردين مصادر ولا أول إلا سبتلوه آثر
وإنى لأعتاب الرمان لاطر فقد يستقبل الحد ، والحد عاثر
ونحمد عقيب الأمر مارال يشأ »

وما أبدع قوله :

« وان ملا دنت فيها لأهون ومن رام مثلى بالدينه أدنا . »

الى آخر هذه القصائد العدة التى يفخر بها الأدب العربى والبيان العربى . والذى كان
الباعث الأول على نظمها الحب وصفها للمحب من حب ولادة .

٥ - أدب ابن زيدون

قلما يظفر الإنسان بأديب عربي يحمل لواء الزعامتين في النظم والنثر ، فان أغلب ما نشاهده أن يبدع الأديب في أحد النوعين إبداعاً يعطى على إبداعه في الآخر ، أما ابن زيدون فملك قراً نثره فلا تكاد تصدق أن شعره يتساقى إلى مثل هذه المرتبة العالية ، فإذا عدت إلى شعره أنساك إبداعه روعة ما قرأت من نثره ، وهكذا لا تكاد تقرأ قطعة مختارة من شعره أو نثره حتى تملأ نفسك بهجة وسرورا ويسيك سحرها كل شيء آخر . وليس من الانصاف أن نقول إنه شاعر ممتاز حسب أوزان ممتاز فقط ، وما أجدرنا أن نضعه فقول إنه زعيم من زعماء البيان العربي .

لقد قضى ابن زيدون حياته بين المرس والتحصيل والتجارب والاختصار والاتصال بكبار ساسة عصره ودهانهم ، وصهره له حب ولادة كما أسلمنا ، وحبه إلى وطنه ، وأثر في نفسه الشاعرة الحساسة ما ماترت به الأندلس من جبال التربة وصفاء الجو ، ولقي من السعادة والتمتع بالحسن أشهى وأعذب ما لقي محبة ، ثم لقي من لوعة الصدا والهجران أشقى وأمر ما لقي إنسان : « حسن أهلين لم تستوف أعياناً غاليات بأهلين من النظر »

ولقد بدم بصولجان السلطة والقوة حيناً من الدهر ثم شق بالسجن بين الأشرار والمجرمين زمناً غير قليل ، ولقي من كيد المنافسين والحساد كما أسلمنا ما لم يلقه أحد . فلا غرو أن تصافو كل هذه العوامل القوية على حلق الشاعر العظيم . وأنت إذا درست أدب ابن زيدون دراسة مستفيضة رأيته حليفاً بأن يقول كما قال فيلسوف العرب :

« ماصر في هذه الدنيا بو زمن إلا وعدى من أخلهم طرف »

ولقد ترى في أدبه أمثلة من ثقافة الممرى وسعة اطلاعه وتمسكه من اللغة ، ومحاظته على أساليبها ، كما ترى فيه أمثلة من صناعة أبي تمام ونظم الجحترى واسترسال ابن الرومي وقوة أداء المتنبي .

ولمك لتقرأ أكثر غرله فيخيل اليك لسهولته أنك تخلق في أجواء العباس بن الأحنف والشريف الرضى والمجنون ، ثم تقرأ أخواباته فيخيل اليك لاسترساله وافتتانه في ضروب القول ، أنك تقرأ ابن الرومي وهو يخاطب أبا القاسم التوزي بهمزيته المشهورة ، ثم تقرأ رسائله فيخيل إليك أنك تقرأ رسائل الجاحظ في براعة الاستخفاف والنهكم أو رسائل الممرى في سعة الاحاطة وكثرة الاستشهاد ، والولوع بالأمثال .

وقد كان ابن زيدون زعيم شعراء عصره في الأندلس فلا غرو أن يكون أدبه أصدق مرآة يتحلى فيها أدب هذا العصر الزاهر وثقافته :

وقد كان يجمع - إلى حسن رويته - قوة الذاكرة وسرعة الدبشة ، ولعلما يتفق لأديب همق
التفكير مع ذلاقة اللسان ، فقد روى صاحب نفع الطيب محدثا عن ذلاقة ابن زيدون : أن ابنته
توفيت ، وبعد الفراغ من دفنها ، وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة لبشكر لم ، فقيل ،
إيه ما أعلد في ذلك الوقت عارة قالم لأحد ، قال الصفدي : « وهذا من التوسع في العارة
والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية » إلى أن قال - بعد أن قارن
بينه وبين واصل بن عطاء في تجننه الزاء ، وأما ابن زيدون فأقول في حقه : « أقل ما كان في
تلك الجنازة - وهو وزير - ألب رئيس ممن يتعين له أن يشكر له ويضطر إلى ذلك فيحتاج في
ذلك إلى ألف عارة مضمونها الشكر وهذا كثير العاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كده :
« ولكنه صوب العقول إذا انثرت سحائب منه أعقت مسحات . »
ومهما كان في هذا الحر من الاسراف ، فإن بعضه كاف في الدلالة على فضله .
وكان ابن زيدون إلى ذلك إماما من أئمة عصره حتى قال بعض الأدياء فيه :
« من لس الباض ونختم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو ونعقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون ،
فقد استكمل الطرف » .

كامل كيلاني



في السجن^(١)

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة الصياغة بالأم واللوعة والحزن ، وهو في السجن ، وصفت بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حمص بن برد »

مَا عَلَى ظَنِّي بَأْسٌ^(٢) يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو^(٣)
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرْءِ عَلَى الْأَمَالِ يَا سُبْحَ
وَلَقَدْ يُنْجِيكَ إِغْفَاً لَوْ يُرِيدُكَ^(٤) احْتِرَاسُ
وَالْمَحَازِيرُ سِيَّهَامٌ وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ^(٥)
وَلَكُمْ أَجْدَى^(٦) قُمُودٌ وَلَكُمْ أَكْثَى^(٧) اتِّمَاسُ
وَكَذَا الدَّهْرُ^(٨) - إِذَا مَا عَزَّ نَاسٌ - ذَلَّ نَاسٌ
وَبَنُو الْأَبْنَامِ أَخِيَا فَ مَرَّاهُ وَخِسَاسُ^(٩)

(١) جاء في لسان الغياث :

« وله عند هذه الوفاة من آلامه ، يحاطب أبا حمص بن برد ، وقد حار ولم يجد هادياً ، وصار رهيناً لا يرحو هادياً ، وعلم أن الناس مظلون ، وعلى من اقتات الدهر مظلون ، لا يديهم في الشدة إزاء ، ولا يشبههم من ذوي الخطوة رهز ولا إحصاء . »

ما على ظني بأس يجرح الدهر ويأسو

وقد ذكرت بترتيب مخالف هذا الترتيب الذي نقله عن نسخة الديوان .

(٢) ويروي : « ما على ظني بأس » . (٣) يداوى . (٤) وفي رواية : « ويؤدبك احتراس » (٥) جمع قوس : من يعقوب وأبي عبيد هو على معال ، وأصله نواس قلت الواو ياء لمساية الكسرة ، وشاهده قول القائل :

« ووتر الأساور القياسا صغدية تتزع الأماسا »

(٦) أمي : أو أفاد . (٧) أحقق ولم يمز - يقول : كثيراً ما يكون التعمود عن المطلب سبباً في الظفر والتموز والسبب سبباً في الاخفاق والخرمان ، وقد نهات الشراء على هذا للمي كثيراً ، ومن أحسن ما جاء به قول ابن رزمي :

والسبي في الرزق والأرزاق قد قسمت مني ألا إن بسى للرزق بصرعته

(٨) وفي رواية : « وكذا الحكم » .

(٩) الناس أخياك : أي محتلون ، هربف وحيس : قال أحمد الأعرابي : « الناس أخياك وشقي في الشيم »

لَبَسَ الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ مُتَعَهُ ذَاكَ اللَّبَاسُ ^(١)
 بَابَا حَفْصٍ وَمَا سَا وَكَ فِي فَمِمْ وَإِيسُ ^(٢)
 مِنْ سَتَا ^(٣) رَأَيْكَ لِي فِي فَسَنِي ^(٤) الْحَطَبِ أَقْبَاسُ
 وَوَدَادِي لَكَ نَصٌ ^(٥) لَمْ يُخَالِفْهُ قِيَّاسُ ^(٦)
 أَنَا حَيْرَانٌ وَلِلْأَنْزِ وَضُوحٌ وَالْتِيَّاسُ
 مَا تَرَى فِي مَعْتَبَرٍ حَا لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا ^(٧)
 وَرَأَوْنِي سَاكِرِيًّا ^(٨) يَتَّقِي مِنْهُ الْمَسَاسُ
 أَذُوبُ هَامَتِ بِلَحْيِي فَأَتَيْتَاسُ ^(٩) وَأَتَيْتَاسُ
 كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا لِي وَلِلْذُّبِ أَعْيَاسُ ^(١٠)

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع المرور »

(٢) هو القاضي إيس بن معاوية بن إيس المرزولي القنصاء في زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يضرب
 به الثقل في الألفية :

والألفي الذي يطل لك الطل كان قد رأى وقد سمعا

وليس هذا هو من علم الحريري بقوله في الفاتحة السابعة « عاذا ألتقي ألعبة ابن عباس ، وراسق فراسة
 إياس » وعاءه أو تمام في صيدته البنية عوله :

اندام عمر في ساحة حتم في حلم أحب في دكة إياس

(٣) من سوء رأيك (٤) طرفة (٥) الصن : السد القطوع صحته والتميز على شي .
 وهو في عرف الضماء ، مقطوع صحته فلا يحالمة قياس ، فكأنه يقول : إن ودادي مسد إليك ، أو
 هو موقوف عليك ، أو مميم لك ، وقد استعمل الشاعر لفظي الصن والتميز ، وهما من
 مصطلحات النحاة ، من طاعته في ذلك ، وهو يشير بذلك إلى اصطلاح النحاة إذ يعتبرون الصن والتميز من
 مآخذ الأحكام الفرعية ، والأول صريح بفتح القراء أو الحديث ، والثاني لإطلاق نصية - لا ص فيها -
 نصية أخرى منصوبة لاشتراكهما في لغة حكم الأول (٦) وفي رواية : القياس

(٧) حانوا (٨) الساسي : عظيم من بني إسرائيل عبد العليل . قال الكشاف : هوف في الدنيا
 مفعوه لشيء أمته منها وأوحش ، وذلك أنه مع من مخالطة الناس مساً كياء ، وجرم عليهم ملاقاته ومكالمته
 ومبايعته ومواجهته وكل ما يباحش الناس به منهم ، وإذا من أحداء رحلا أو امرأة حم الملبس
 والممسوس ، تحالي الناس وتجاوزوه ، وكان يصيح في الناس « لا مساس » .

(٩) الانهاس بالثين : الأحد بالأخراس ، والسين : الأحد بقسم الأستان ، وفي رواية : هاتهاب وانتهاس
 (١٠) طلب الصيد بالليل ، ومعنى الأبيات أن أعداءه كالثبات لا ينون من نهش لجه ، متظاهرين بالتوردة له
 والاشفاق عليه ، بهم يسألون من حاله يتجسسون ، كما يتجسس القتب ليتعرف مواعيل مريسته .

* *

إِنْ قَسَا النَّحْرُ فَلَمَّا ۝ مِنْ الصَّغْرِ أُنِجَلِسُ (١)
وَلَنْ أَمْسَيْتُ نَحْبُو مَا فَلَنْيْتُ أُخْتَبَسُ
يَلْبُدُ (٢) الْوَزْدُ السَّبْتَى وَلَهُ بَعْدُ أَفْتِرَاسُ

* *

فَتَأْمَلُ كَيْفَ يَنْشَى مُقَلَّةَ الْمَجْدِ النَّعَاسُ
وَيُقْتُ الْمِسْكُ فِي التَّرْبِ بَ قِيَوْمًا وَيُدَاسُ

* *

لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرُدَا ۝ إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ (٣)
وَأُذِرْ ذِكْرِي كَأَسَا مَا أَمْتَطَلْتُ كَفَاكَ كَأَسُ
وَأَغْتَنِمُ صَفْوَ اللَّيَالِي ۝ إِنَّمَا الْعَيْشُ أُخْتِلَاسُ
وَعَسَى أَنْ يَسْمَحَ الذَّهَبُ ۝ رُ فَقَدْ طَالَ الشَّمَا سُ (٤)

(١) أى تنشق بضع منه الماء ، وفى القرآن الكريم : « وإن من الجبال لما تجمر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء » (٢) يلمس بالأرض ملازماً مريضه لا يرحله والورد من أسماء الأسد ، واللهى الحرى ، ومنه فى صفة أن لؤلؤة قاتل صربى الخطاب رضى الله عنه . قول الضلع : حذى الله حياء من إمام وباركك يد الله فى ذلك الأديم اللمزق وما كنت أحى أن تكون وفاته تكفى سنق أدرق العين مطرق والسق البر أبساً ، وفى الحجارة لابن سلام قوله : يلد الورد السنق البيت ، كقول النابغة : وقلت يا قوم إن البيت مقس على برائه لومة المارى وأحد ابن الرومى قال :

سكنت سكوماً كان وهماً لومة عمار كذاك البيت لوم يلد

(٣) يقول : لا يكن عهدك كالورد فى سرعة الدبول ، فان عهدى دائم كالأس ، وجر هذا للمى قول للمباس بن الأحنف :

ولكنى بريت بلورد عهدى . وليس يوم الورد والاس دائم

(٤) وفى رواية ثانية : « وقد طال التماس » ومنى الرواية الأولى أن حسان النحر وتجره قد طالا .

ذكرى أيام الوصال^(١)

« كتب ابن زيدون هذه القصيدة العذبة ، يتحسر فيها على
انقضاء أيام الوصال ويشكو فيها ما يحسه من الوجد المبرح
والألم القاسي ، وقد عثت بها إلى حبيته «ولادة بنت المستكفي»
أديسة الأندلس العذبة ، يستطعمها ويتلف على أيام
الوصال الساقطة »

أَضْحَى الثَّنَائِي بِدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا	وَنَابَ ^(٢) عَنْ طَيْبٍ لَفِيَا مَا بَجَاهِينَا
أَلَا ^(٣) وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْيَتِيمِ صَبَّحَنَا	حِينَ فَقَامَ بِنَا لِلصَّيْنِ نَاعِينَا
مَنْ مُبْلِغُ الْمَلْبِسِينَ بِاتِّزَاجِهِمْ	حُزْنَا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَنْتَلِي وَيُلِينَا
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَارَالَ يُضْحِكُنَا	أُنْسًا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
غِيظَ الْعِدَامِينَ نَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا	بِأَنْ نَعَصَّ ^(٤) فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا
فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَمْقُودًا بِأَنْفُسِنَا	وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا
وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخَشَى تَفَرَّقْنَا	فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِنَا

(١) جاء في تلاد المتيان :

« ولم يرل يروم دو ولادة يتمدر ، وياح دمه دونها ويهدر ، لسوء أمره في ملك قرطبة وواليا ، وقائم
كان يسبها إليه وواليا ، أخذت بي حور عليه ، وسددت أسنهم إليه ، طما يش من لياها ، وحب
هنا عباها ، كتب إليها يستدري عهدها ، وتؤكد ودعا ، ويستدري من رافها ما تطلب الذي حشه ، والامتحان
التي حشه ، وبها ما سلا منها بحر ، ولا حاسا ما ين سلوه لها من متب حر ، وهي قصيدة ضربت
في الابداع بهم ، وطلعت في كل خاطر وود ، وزعت مترا قصره حبيب وابن المهمل »
وقد طارض هذه القصيدة كثير من الشعراء - من قداما ، وعديين - وقد أنشأ شيئا من ذلك في غير هذا
المكان من الكتاب فليرجع إليه من شاء (٢) رواية الديوان « نان » .

(٣) لمة في علا ، والمهج الملاك ، وللمي هلا صبعنا الملاك صبيحة يوم العراق - كآل المهجر واللوت
في نظر الشاعر سيان مادام كلامها يمدد من بحبه ويهواه بل اللوت أروح لأنه فراق اضطرار ، أما
المهجر فإنه عن احبار (٤) غصن الماء هرق به أو وقف في حلقه .

* *

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَمْ تُنْتَبِ^(١) أَعَادِيكُمْ
لَمْ نَسْتَعِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ
مَا حَقَّقْنَا أَنْ تَقْرُوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ
هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَىٰ أَعَادِينَا
رَأْيَا وَلَمْ تَتَّقَلَا غَيْرَهُ دِينَا
بِنَا وَلَا أَنْ تَسْرُوا كَاشِعًا فِينَا

* *

كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسَلِّدُنَا عَوَارِضُهُ
بَيْنَهُمْ^(٢) وَبِنَا فَمَا أَتَيْتُ جَوَانِحُنَا
نَكَاذُ حِينَ تَنْجِجُكُمْ ضَمَائِرُنَا
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيْمَانُنَا فَقَدَتْ
إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا
وَإِذْ هَضَمْنَا^(٣) فُتُونُ^(٤) الْوَصْلِ دَانِيَةً
لَيْسَتْ^(٥) عَهْدُكُمْ عَهْدُ الشُّرُورِ فَمَا
لَا تَحْسَبُوا تَأْيِيدَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا
وَقَدْ يَلِمُنَا فَمَا لِلْيَأْسِ يُغَيِّرُنَا^(٦)
شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَتْ مَا فِينَا
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَمْسَى^(٧) لَوْلَا تَأْيِيدُنَا^(٨)
سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لَيَالِينَا
وَمَرَجُ^(٩) اللَّهِ وَصَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
فَطَافُهَا فَجَبِينَا مِنْهُ مَا شَبِينَا
كُنْتُمْ لِأَزْوَاجِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا
إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِيطِينَ

(١) أعتبه أعطاه العتي أي أرماه ، يقول : إما لم زمن أعداءكم ، فهل أنتم كذلك لم ترضوا أعداءنا
(٢) كنا نرى أن اليأس يسل ، فما زال يأساكم يريدنا ولو طابكم ، وفي هذا المعنى يقول المهنون :

أليس وعدتي يا قلب اتى إذا ماتت عن ليلى تتوب
مها أنا ناك عن حب ليلى فإلك كما ذكرت نخوب

(٣) هضم وبهنا (٤) الفتون (٥) التتوي

(٦) حصر القمصن : إيمانه (٧) سروبه وآواحه أو الفتون جمع فتى ، وهو القمصن وما تشعب
منه ، من السلال (قال أبو الهيثم : الفتون تكون في الأغصان ، والأغصان تكون في الشعب ، والشعب
تكون في السوق) فكان الشاعر استعار الوصول أننا يهصرها أي يميلها إليه كما أراد انقطاع زهرها ،
(٨) أي سقيا لمعك عهدا ، أي بالله لا يخذلنا ، الأعرابي : عهدا ، عهدا

وَاللّٰهُ مَا طَلَبْتُمْ^(١) أَهْوَاؤَنَا بَدَلًا مِنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

* *

يَلْسَأِرِي الْبَرْقِ غَايِدٍ^(٢) الْقَصْرَ وَأَسْقِي بِهِ
وَأَسْأَلُ هُنَالِكَ هَلْ عَنِّي^(٣) تَذَكُّرُنَا
وَيَا نَدِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا
فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مُسَاعَفَةً
مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوُدَّ يَسْقِينَا
إِنَّمَا تَذَكُّرُهُ أَمْنِي يُعْنِينَا
مَنْ لَوْ عَلَى الْقُرْبِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَبًّا تَقَاضِينَا^(٤)

* *

رَيْبُ مُلْكٍ كَانَ اللَّهُ أَنْشَأَهُ
أَوْ صَاغَهُ وَرِقًا^(١) مَحْضًا وَتَوَجَّهَ
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ زَفَاهِنَةً
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ طِرًّا^(٢) فِي أَكِلَتِهِ^(٣)
كَأَنَّمَا أَثْبَتَ فِي صَخْرٍ وَجْتِهِ
زُهرُ الْكَوَاكِبِ تَعْوِيذًا وَثَرِينًا^(٤)
مِسْكًا^(٥) وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينًا
مِنْ نَاصِعِ التَّبَرِّ إِبْدَاعًا وَمَحْسِنًا
تُومُ الْعُقُودِ وَأَدَمَتُهُ التَّرَى لِينًا^(٦)
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِنَا
زُهرُ الْكَوَاكِبِ تَعْوِيذًا وَثَرِينًا^(٧)

(١) وفي رواية . « ما طرقت » استحدثت ، بدلا طريحا ، يفهم أنه ما استحدثت هوى حديثاً مد

هوى أحياه ، (٢) ماكره فالمام أول النهار

(٣) هل شغل من مألوه يذكرها كما شغلنا نذكره .

(٤) المص في الزيارة أن تكون كل أسبوع ، وللقصود هنا التفتة . يقول الشاعر :

لأننا لم نغفاس الوصال من الدهر عا ، ولكسا تقا- يباه الحاح فهل ترى الدهر - سد هذا -

يسمى دلقاء ؟

(٥) ليس هذا المحبوب معلوماً من طين أو تراب كسائر التبركلا ، وإنما هو طينة من المسك ولا زال

الشعراء المحبون يتناولون فيس يحسون إلى الآن ، حتى قال بعضهم أحياناً له وحته :

أنت روحانية لا تدعي أن هذا الحسن من طين وماء

(٦) فسه ، يريد أن الله أبدعه ناصع الياض وتوجه شعر دمي (٧) يقول إذا تلى آذنه أي

أنتفذه وشق حلها عليه (توم) أي لآلئ الخلود وحرته (البري) أي الحلايل ، وذلك لرافته

(٨) مرصعة ، جمع كيلة : وهي ستر وثيق يقي من العوض

(٩) يعني أن حاله استمرار زهر الكواكب لتكون زينة له ، وتعويذه من عيون حاسديه

مَاضِرٌ أَنْ لَمْ تَكُنْ أَكْفَاءُ شَرَفًا وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَكَافِينَا

* *

يَا رَوْضَةَ طَالَمَا أَجَنَّتْ لَوَاحِظَنَا وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَنَسْرِينَا
وَيَا حَيَاةَ تَمَلُّينَا ^(١) بِزَهْرَتَيْهَا مُنَى ضُرُوبًا وَلَدَاتِ أَفَانِينَا
وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ ^(٢) فِي وَشِي ^(٣) نَعْمَى سَجَبْنَا ذِيْلُهُ جِينَا
لَسْنَا لُتْمِيكَ إِجْلَالًا وَتُكْرِمَةً وَقَدْرُكَ الْمُتَلَّى عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا
إِذَا انْفَرَدْتَ وَمَا شُورِكَتْ فِي صِفَةٍ فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينَا

* *

يَا جَنَّةَ ائْتَلِدِ أَبْدِلْنَا بِسِدْرَتِهَا وَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ زُقُومًا وَغَسَلِينَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَبَيِّنْ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا وَالسُّعْدُ قَدْ غَضَّ ^(١) مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا
سِرَانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلُمَاءِ يَتَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادِ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِينَا ^(٢)
لَا غَرَوْ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ تَهَتَّ عَنْهُ التَّهَى وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا
إِنَّا فَرَأْنَا الْأَمْسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

(١) تنصا وسمعا

(٢) ضرته وحفنه (٣) في سمي كالنوب الماوى الوعى أى الفش .

(٤) أنامه ما لم يش ما

(٥) قال ابن بسام : وهو مسمى مشهور وهو في الشجر كثير ، قال أبو الطيب :

أرورهم ورواد الليل ينشع لي وأنى ويأس الصبح ينرى في

على أن أبا الطيب أحاد وكرره في مواضع من شعره كقوله :

لا تلتق إلا بليل من تواصله فالشمس تمانة والليل قواد

وكل من إلى هذا المسمى أشار ، لحوالى الليل دار ، وهو قولهم : « الليل أحسن ليل »

قول : ولم ترى هذه المعاني التي ذكرها ابن بسام أدنى وأطرف من قول ابن زيدون :

« سِرَانٍ فِي ظِلِّ الظُّلُمَاءِ » الخ

أَمَّا هَوَاكَ فَلَمْ نَمْدِلْ بِمَنْتِلِهِ شَرِبًا وَإِنْ كَانَ يُزُونَا فَيُظْمِنَا^(١)
لَمْ نَجْهْ أَفْقُ جَمَالٍ أَنْتِ كَوَكْبُهُ سَالِينَ عَنْهُ وَلَمْ تَهْجُرْهُ قَالِينَا
وَلَا أُخْتِيَارًا نَجْتَبِنَاهُ عَنْ كَبِّ لَكِنْ عَدَّتْنَا عَلَى كَرَمِ عَوَادِينَا^(٢)
نَأْمَى عَلَيْكَ إِذَا حُتَّ مَشْمَشَةُ^(٣) فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا
لَا كَوْسُ الرِّاحِ تُبْدِي مِنْ تَمَائِلِنَا سِيمَا أَزْيَاحٍ وَلَا الْأَوْتَارُ ثُلُهَيْنَا
دُوبَى عَلَى النُّهْدِ مَا دُمْنَا مُحَافِظَةً فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا^(٤)
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِبُنَا وَلَا اسْتَفْدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يَقْنِينَا
وَلَوْ صَبَا^(٥) نَحُونَا مِنْ غُلُومِ مَطْلَعِهِ بَذَرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُصْنِينَا
أَبْنَى وَفَاءً - وَإِنْ لَمْ تَبْذُلْ صِلَةً - فَالطِّيفُ يَقْنَعُنَا وَالذِّكْرُ يَكْفِينَا
وَوِ الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَقْتَ بِهِ يَبِضُ الْأَبَادَى الَّتِي مَازَلْتَ تُؤَلِّينَا
عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامٌ اللَّهُ مَا بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكَ تُخْفِيهَا^(٦) فَتُخْفِينَا

(١) قال ابن سبأ : « وهذا معنى متداول من أشهره قول العائل :

وقى إذا ما أردت من شره ربا ناك الرى طبا ما

كالمر - أروى ما يكون القى من غربا - أعطش ما كانا

ولان الروى دبا يباسه من من الوحوه :

« يارب وقى ما من اللهى يحبس به نايك

بروى ولا ينهاك من شره - وللا يرويك وينك »

(٢) لم تنحه عن كتب أى قرب اختياراً ، ولكن صرفنا على كره ما شوقنا .

(٣) مزوجة : أى عزز ليليك من علسا إذا حث الشمول للمزوجة (٤) دوى عاطلة على

النهد مادما عافطى طلحاً للصف يحزى كما حورى

(٥) مال (٦) أحببت الشيء أحبيه ستره ، وحبيته أحبيه تأبى بمعنى ستره ، ونعمى أطهره ،

وعلى ذلك قوله « نحيا » أى سترها « نحيا » بهنح أوله أى تطهرنا ، وشاهد حماه يحبه بمعنى

أطهره . قوله :

فان تكتموا السر لا نخفى وإن تشوا الحرب لا نعد

وقوله تعالى فى قراءه « أكاد أخفيها » بالفتح أى أطهرها . .

في مدح ابن جهور^(١)

مَا لِلْمُدَامِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكِ فَيَتَبِيلُ فِي سُكْرِ الصَّبَا عِطْفَاكِ
هَلَّا مَزَجْتَ لِعَاشِقِيكِ سُلَاقَهَا يَبْرُودُ ظِلْمِيكِ أَوْ يَعْذِبُ لَمَّاكِ^(٢)
بَلْ مَاعَلَيْكِ وَقَدْ مَحَضْتُ^(٣) لَكَ الْهُوَى فِي أَنْ أَفُوزَ بِمُحْظَوَةِ الْمَسْئَلِ^(٤)
نَاهِيكِ فَلَمَّا أَنْ أَضْرَبِي الصَّدَى^(٥) بَرَحًا^(٦) وَقَالَ الْبُرَى عَوْدُ أَرَاكِ

* *

وَاهَا لِعِطْفَاكِ وَالزَّمَانُ كَأَنَّمَا صُبِغَتْ غَضَارَتُهُ^(٧) يَبْرُدُ صَبَاكِ
وَاللَّيْلُ مَهْمَا طَالَ قَصَرَ طَوْلُهُ هَاتِي وَقَدْ غَفَلَ الرَّقِيبُ وَهَاتِي
وَأَطْلَمَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ فَحِلَّتُهُ شَكُوَايَ رَقَّتْ فَاقْتَضَتْ شَكْوَاكِ
إِنْ تَأَلَّيْنِي سِنَّةَ النَّوْومِ خَلِيَّةً فَلَطْلَمَا نَافَرْتِ فِي كِرَاكِ^(٨)
أَوْ تَحْتَسِي بِالْهَجْرِ فِي نَادِي الْقَلَى فَلَكُمْ حَلَّتْ إِلَى الْوِصَالِ حُبَاكِ^(٩)

* *

أَمَامُنِي نَفْسِي فَأَنْتِ جَمِيعُهَا يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بَعْضَ مَنَّاكِ
يَذْنُو بِوَصْلِكَ حِينَ شَطَّ مَزَارُهُ وَهَمُّ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالِكِ

(١) تصدّى كثير من الشعراء المعاصرين لممارسة هذه القصيدة وقد ذكرنا مراراً من ذلك في غير هذا المكان من الكتاب طبعاً إلى ما شاء .

(٢) الظلم : ماء الأسان أو برقيها ، واللى : سكرة في الشفة (٣) أحلمت

(٤) يقول : ماضرك - بعد أن أحلمت لك الهوى ، ومحضتك الحب أن أفوز منك بمحظ السواك .

(٥) العطش الشديد (٦) مشقة وشدة (٧) بهجته . يقول الشاعر : ما أحسن عطشك

فيما معنى والزمان كأنما صبغت بهجته بما كسبت أنت به من رد الشباب (٨) يقول أن قصادي اليوم

الآن غالبية غير مالية بي ، فكثيراً ما أسهك الهوى ، وطاديت في نومك (٩) احبي بالثوب اشتعل

واللهي كهدي جمع جبهة مثله الماء ، فكان الشاعر يقول : إن نعلتي في نادى البغض (القلى) عتيبة

أو مشقة بجبهة الهجر ، فكثيراً ما عرعت إلى الوصال ، وحلت لأحلك حاك .

وَلَنْ تَجْنُبَ الرَّشَادَ بِغَدْرَةٍ لَمْ يَهْوِ فِي النَّفْسِ هَوَاكَ ^(١)

✱ ✱

لِلْجَهْوَرِيِّ أَبِي الْوَلِيدِ خَلَاتِقُ كَالرَّوْضِ أَضْحَكُهُ الْغَمَامُ الْبَاكِ
مَلِكُ يَسُوسُ الدَّهْرَ مِنْهُ مُهَذَّبُ تَذْيِيرُهُ لِلْمَلِكِ خَيْرٌ مِلَاكِ ^(٢)
جَارِي أَبَاهُ بَعْدَ مَا فَاتَ الْمَدَى فَتَلَاةٌ بَيْنَ الْقَوْتِ وَالْإِذْرَاكِ
تَمْسُ النَّهَارَ وَبَدْرُهُ وَتُجْمُؤُهُ أَبْنَاؤُهُ مِنْ فَرْقَدٍ وَسِمَاكِ ^(٣)
يَسْتَوْضِعُ السَّارُونَ زَهْرَ كَوَاكِبٍ مِنْهُمْ تُبِيرُ غِيَابَ الْأَخْلَاكِ ^(٤)
بُشْرَاكِ بَا دُنْيَا وَبُشْرَانَا مَعَا هَذَا الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ فَالِكِ ^(٥)

✱ ✱

تُلْقِي السِّيَادَةَ ثُمَّ إِنَّ أَضْلَفَهَا ^(٦) وَتَنَى فَقَدَتِ السَّرَوَ ^(٧) فَهَوَ هُنَاكِ
وَإِذَا تَمَيَّتِ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ فَرَقُ الْمَحَاسِنِ فِي الْأَنَامِ فَذَاكِ
مَصْنَعُ بَادِرَةٍ وَطَوْدُ سَكِينَةٍ وَجَوَادُ غَابَاتٍ وَجِذْلُ حَكَاكِ ^(٨)

(١) المعنى انش وقعت في المعنى بسبب عدوك في ذاتي أما لم يهوى في المعنى غير هواك .

(٢) مَلِكُ الْأَمْرِ : مَكْرُ الْمَمَرِ ، أَيْ قَوَاهُ الَّذِي يَمُكُّهُ .

(٣) الْفَرْقَةُ وَالْمَلَايِكَةُ مِنَ الْحُومِ الْبَرَّةِ (٤) مِ الْمُسْتَرْشِدِينَ رَأْسُهُمْ إِذَا دَحَتِ الْحَوَادِثُ أُمْتَالَ

لِلْحُومِ الرَّحْرِ لِلسَّارِينَ فِي طُلُوعَاتِ الْبَلِيلِ الْهَيْمِ (٥) وَهَذَا هَذَا الْيَبِ عَمْرٍ بَيْتِ مَا تَمَسُّ هَكَذَا : -
(وَصَفَتْ حَامِلَكَ وَاسْتَفْهَتْ حَاكِ)

(٦) دَحَتِ عَمَكَ وَدَحَتْ ، وَاحْطَلَبَ الدُّنْيَا فِي قَوْلِهِ « بُشْرَاكِ يَادِيَا » .

(٧) الرُّوْدَةُ وَالشَّرَفُ وَالْوَصْفُ عَلَى فِعْلِ يَفْعُلُ يَفْعُلُ سُرُوْبِي سُرُوْبِي (٨) الدَّادَةُ الْمَدَّةُ ، وَالْحَدَلُ أَصْلُ شَجَرَةٍ تَقَطُّعُ رَأْسُهَا أَوْ عَرْدُ يَصْعَدُ فِي الْمَطْنِ لَتَحْكُ هَذَا الْبَلُّ الْخَرِي يَحَالُ هُوَ حَدَلُ حَكَاكِ ، وَمِ حَدَلُ حَكَاكِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَاكِ مِنَ الْبَدْرِ الْأَصَارِي يَوْمَ سَقِيْعَةِ بَنِي سَاعِدَةَ « أَنَا حَدِيلُهَا الْحَكَاكِ » ، وَعَدِيْقُهَا الْمَرْحُ « أَيْ أَنَّهُ يَشْتَقِي بِرَأْيِهِ وَعِلْمِهِ وَتَحَارِيهِ فِي الْأُمُورِ كَمَا تَشْتَقِي الْأَلُّ الْخَرِي بِهَذَا الْجَدَلِ ، وَمَعْنَى اللَّيْتِ أَنَّهُ مَصْمُومٌ كَالْيَبِ فِي الْعَصَبِ ثَابِتٌ كَالطَّوْدِ فِي الْحِلْمِ سَاقٌ إِلَى الْيَابِلَاتِ مَحْرَبٌ يَشْتَقِي بِرَأْيِهِ مَلِكٌ لَا يَلِيْعُ مَكْرَهُ .

طَلَقُ يُفْنَدُ فِي السَّمَاحِ ، وَجَاهِلٌ مَنْ يَسْتَشْفُ النَّارَ بِالْمُخْرَكِ (١)

* *

صَنَعَ (٢) الضَّمِيرُ إِذَا أَجَالَ يَمْزِقُ (٣) يُمْنَاهُ فِي هَلٍ وَفِي إِشْكَ (٤)
نَظَمَ الْبَلَاغَةَ فِي خِلَالِ سَطُورِهِ نَظَمَ اللَّائِي الثُّومِ فِي الْأَسْلَاكِ
فَادَى بِمَسَاعِيهِ الزَّمَانُ مُنَافِسًا أَحْرَزَتْ كُلُّ فُضِيلَةٍ فَكْفَاكِ
مَا الْوَرْدُ فِي جَنَاهُ سَامَرَةُ النَّدَى مُتَحَلِّيًا إِلَّا يَبْعُضُ حُلَاكِ
كَلًّا وَلَا الْمِسْكُ النَّمُومُ (٥) أَرْبِجُهُ مُتَعَطِّرًا إِلَّا بِوَسْمٍ (٦) تَنَاقُ
الْهُوْ ذِكْرُكَ لَا غَنَاءَ مُرْجِعٍ يَفْتَنُ فِي الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْتِنَانِ (٧)
طَارَتْ إِلَيْكَ بِأَوَّلِيَّاتِكَ هِزَّةٌ تَهْفُو لَهَا أَسْفَا قُلُوبُ عِدَاكِ (٨)

* *

يَأْتِيهَا الْقَمَرُ الَّذِي لِسَنَانِهِ (٩) وَسَنَاهُ تَعْنُو السَّبْعُ فِي الْأَفْلَاكِ
فَرَحَ الرَّيَاسَةِ إِذْ مَلَكَتْ عِنَانَهَا فَرَحُ الْعُرُوسِ بِصِحَّةِ الْإِمْلَاكِ (١٠)

- (١) الخشبة التي تحركها النار ، ولعلها ناش الوحه سمع وأن الكرم طيبة بيسه وليس يزيد
تعبد المحامين إلا تماديا وكرمه كالدار يزيد بها المراك اشتغالا
(٢) يقال لسان صغ ، وشامر صغ ، وبيع صغ ، إذا كان خلوا ماعرا ، ولعلها أنه كان رائج البيان
سيان رويته وإسراجه (٣) هيمية (٤) إسراع
(٥) صيغة مبالغة من نم للذك سطح ، والأرْبِجُ تومج ورج المسك
(٦) الوسم : العلامة والثناء واللحج — يحاط على لسان الرمان في هذا البيت والذي منه مسامي المنسوح
شبه أن الورد في مجاه ليس متحليا إلا ببعض خلاها ، وأن المسك في سطوع أريجها لم يكن متعطرا إلا من
الساميا بالناس (٧) ما الهو إلا ذكر تلك السامي لانها صريح يطلق في السماء صوتة ومسك .
(٨) طارت : أسرع ، والحطاب السامي ، والهزة عرك في نشاط واتوايح ، ولعلها أسرعت إليك أيتها
للسامي مواكب الأولياء ، وقد حقت لها جزاء أبواب الأعداء
(٩) السام بالذة الرصة والقمر البوء (١٠) عقد الكالج

مَنْ قَالَ إِنَّكَ لَسْتَ أَوْ حَدَّثَ فِي النَّهْيِ وَالصَّالِحَاتِ قَدَانٌ ^(١) بِالْإِشْرَاكِ
قَلَدَنِي الرَّأْيَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ حَسْبِي لِيَتَوَنَّى زِينَةً وَعِزًّا
وَإِذَا تَحَدَّثْتَ الْحَوَادِثُ بِالرَّنَا شَرًّا إِلَى فَقُلْ لَهَا إِيَّاكَ ^(٢)
هُوَ فِي ضَمَانِ الْعِزِّ يَعْبَسُ وَجْهَهُ لِلخَطْبِ وَالْخُلُقِ النَّدَى الضَّحَّاكَ ^(٣)

✱ ✱

وَأَحْمٌ دَارِي تَضَاعَفَ عِزُّهُ لَمَّا أُعِينَ بِمَسْحَقٍ وَمَدَاكَ
وَالدَّجْنُ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ حَاجِبٌ وَالْجَفْنُ مَثْوَى الصَّارِمِ الْفَتَاكِ
هَنَاتُكَ مَحْتُكٌ أَتَى لَوْ أَنَّهَا سَخَصُ أَزْوَرُهُ لَقُلْتُ هَنَّاكَ
دَامَتْ حَيَاتُكَ مَا اسْتَدُمْتُ فَلَمْ تَرَلْ نَحْيَا بِكَ الْأَخْطَارُ بَعْدَ هَلَاكَ

ذكرى ولادة ^(٤)

وَدَّعَ الصَّبْرُ مُجِبٌ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ
يَفْرَحُ السَّنُّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطَا إِذْ سَمِعَكَ
بَا أَمَا الْبَدْرِ سَنَاوُ وَمَنَا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَمَكَ
إِنْ يَطْلُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَتُّ أَشْكُو قِصَرَ الْأَيْلِ مَعَكَ

(١) أي هذا الذي هل لك لست أوجد فيها قد دان بالشر

(٢) إذا الحوادث تحدثت بالنظر إلى مؤخر عينها ، هل لها حذار (٣) هو أي ذلك الذي تهم الحوادث أن تطرأ إليه شرراً في ضمان عزم الممدوح العائس في وجه الحوادث وفي ضمان خلقه الذي أي الدخلى الصالح عن ثبور الأمان .

(٤) حا. في تلابد القيان :

ولما رحل عنه من كان يهواه ، وفاحأه منه ونواه ، فسايره قليلا وماشاه . وهو يجرهم ألم الفراق حتى يفسده ، فاستعمل الوداع ، وفي كده ما فيها من الاصغاء ، فأمام يومه بحلة للمجموع ، وبات ليلة ظفر المصروع ، يردد المكر ، ويحمد الذكر . قال :

وقد عزا صاحب مع الطيب هذه الآيات الأربعة إلى ولادة .

بعد الفرار من السجن^(١)

« بعد أن فرّ ابن زيدون من السجن أرسل يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر الشفاعة ويستنزل أبا الحزم ابن جهور وكان ابن زيدون مخفياً بقرطبة . فقال : « » وبلغني أنك أحد اللّاعين لي ، ومن أمثالهم : « ويل للشحى من الخلى » ، وهان على الأملس^(٢) ما لاقى العير^(٣) وعلمت أن العاجز من لا يستد^(٤) ، طامره يعجز لا محالة ، ولم أستحز أن أكون ثالث الأذلين - العير والود^(٥) .

وبدكرت أن الفرار من العلم ، والحرب مما لا يطلق من سنن المرسلين ، وقد دل تعالى على لسان موسى : « همررت معكم لما خفتكم »

فطرت في مفارقة الوطن ، فقديمًا صاع الفاضل في وطنه ، وكسد العلق في معدنه ، كما قال :

أصبح في مشعري وكم بلد يكون عودا الكساء^(٦) من حطه
فاستخرت الله في إغاذ العرم ، وأما الآن حيث أمت بعض الأمن
إلا أن التي لم يرتفع ، ومادة التي لم تقطع :

شَحَطْنَا وَمَا بِالذَّارِ نَأْيٌ وَلَا سَحَطٌ وَشَطٌّ عَيْنٌ نَهْوَى الْمَزَارُ وَمَا شَطُوا^(٧)

(١) جاء في فلأند الحقيان :

وله عند فراره ، وحروجه من مراره ، وقد أقام بقرطبة متوليا يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر الشفاعة ويستنزل أبا الحزم بن جهور

(٢) الصحيح العاهر . (٣) الذي نظره فرحه ، أى أن السليم العاهر لا يحس ألم أحبه للفروح العاهر . (٤) يشير إلى السيب المهورى :

« ليت هسداً أغزقتنا مائمه وشمت أحسا مما تحد

واسقت مرة واحدة إغما الماز من لا يستد »

(٥) يشير إلى قول القائل :

ولا يقوم على صيم يراد به إلا الأدلان عير الحى والود

هنا على المسب مربوط برمته ودا يشح فلا يرثى له أحد

وابن زيدون يعنى أنه حدير الأيتيم على الدل ، وأن يخلص من الصيم كل ما في وسعه ، وفيه در الشفري إذ يقول :

« ولكن تساهرة لاجيم بي على الصيم إلا ربنا آغول »

(٦) عود البخور أو ضرب منه (٧) شحطت النار : تشط بفتح العين شطاً وشحوطاً وشطت تشط بالضم سعت . يقول : قويت دار من أهوى ، وذنا مزارها . إلا أنه قرب في غاية البعد لاستحالة اللقاء .

أَحْبَابَنَا أَلَوْتَ بِمَحَادِثِ عَهْدِنَا حَوَادِثُ لَاعَقْدُهُ عَلَيْنَا وَلَا شَرَطُ^(١)
 لَعَنَرَكُمُ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَضَى بِشَتْ جَمِيعِ الشَّمْلِ مِنَّا لَمُسْتَشْطُ^(٢)
 وَأَمَّا الْكَرَى مُذْ لَمْ أَزْرَكُمْ فَهَاجِرٌ زِيَارَتُهُ غِيبٌ وَإِلْمُهُ فَرَطُ^(٣)
 وَمَا شَوْقُ مُقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالصَّدَى إِلَى نُطْفَةِ زَرْقَاءِ أَضْرَرَهَا وَقَطُ^(٤)
 بِأَبْرَحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَدُونَمَا أُدِيرُ النَّيَّ عَنْهُ الْقِتَادَةُ وَالْخَرْطُ^(٥)
 وَفِي الرَّيْبِ الْإِنْسِي أَحْوَى كِنَاسُهُ نَوَاحِي ضَمِيرِي لَا الْكَتِيبُ وَلَا السَّقَطُ^(٦)

قال هذه القصيدة عند مراده من الحسن واحتياجه قرطه ، يحاط بها ولادة من كثر وهو لا يمكنه أن يدنو من دارها ، أو يحب لمزارها ، مشقاً أن يقع فريسة في يد من يمدو عليه أو يسطو ، ملازماً محلاً لا يتحرك ولا يخلو ، حامل الأديب « ناكراً » هوأى من أبيه والفرق ، مستطفاً من أى المزمع ابن جمهور النقي ، شاكياً إليه فرط إصعاقه ، إلى عصاة السوء ، من أعدائه ، راحياً أن يجره من شيعته ، على سابق عادته ، وأن يختصه الشفاعة ، سد طول التثا والصراعه ، وأن يدمجه بطلته ، وتدهس كرجته عن أى أن يمس عن هذه ذلك المصط ، فأمره إلى من يده الله والنس .

(١) أَلَوْتُ : دهرت ، والمقد أوكد اليهود ، واللى دهرت محمداً بعد ما حدثت تحرى صرورها على غير ما هوى ونريد ليس يساً وبها عهد يؤكده ، ولا شرط عده (٢) الش : التفرق ، والجميع : المجتمع ، والشمل : الاجتماع . يقال جمع الله شملك أى ما شئت من أمرك ، وقرق الله شمله أى ما احتج من أمره ، ومشتط : أى حارر بها حكمه وهوى (٣) الكرى : اليوم ، وزيارته هـ : أى يروى يوماً بعد اغتطاعه أماماً ، ومنه « ررحاً ، تردد حاً » والالهم مصدر ألم ، راره ها ، والفرط :

منتج مسكون الحين . يقال آتبه في المرط ، أى في الحين بعد الحين
 (٤) الخواص : حايا الصلوع للطفة على القلب ، والطمة : الماء الصافي وتجمع على نطف ، والوقط : حمر في الصخر يجمع فيها ماء السماء .

(٥) مأرج بأشد رحا وشدة وعداء من شوقي ، أدير إلى عه : أى ما أطالب إلى تركه والانصراف عنه من قولهم ، أدار فلاناً عن الأمر إذا طلب منه تركه . قال الشاعر :

بديروى من سالم وأديرى وحيلة بين اليمين والأب سالم

والقتادة شجرة قصيرة ذات فسان محتمة كل قصيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسطه شوكة كالابر ، وخرط القتادة احتداد شوكتها من أعلى إلى أسفل بأسرار اليد مقفوسة على أعضائها ، وفي المثال « من دون ذلك خرط القتاد » (٦) الرب : الرب من الظلاء أو القطيع من بحر الوحش ، والاسى : مقابل الوحى أحوى في شيعته حرة صاربة إلى السواد ، والكناس : مستتر من الشرح للظلاء كالبيت للسان والفرستكن فيه من الحر ، والكتيب الرمل المهدود ، والسقط : مثلث الماء الرقيق من الرمل حيث انقطع سطه

غَرِيبٌ فُؤُونِ الْحُسْنِ يَرْتَأَحُ دِرْعُهُ مَتَى صَاقَ ذَرْعًا بِاللَّيِّ حَارَهُ الْمِرْطُ^(١)
كَأَنَّ فُؤَادِي يَوْمَ أَهْوَى مُودَعًا هَوَى خَافِقًا مِنْهُ بِحَيْثُ هَوَى الْقُرْطُ^(٢)
إِذَا مَا كِتَابُ الْوَجْدِ أَشْكَلَ سَطْرُهُ فَمِنْ زَفَرْتِي شَكْلٌ وَمِنْ عَبْرَتِي نَقْطُ^(٣)
أَلَا هَلْ أَتَى الْفَتَيَانَ أَنْ فَتَاهُمْ فَرِيَسَةً مَنْ يَتَدَوُّ وَيُهْرَهُ مَنْ يَسْطُو^(٤)
وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِتَ الشَّوْرَ صَافِينَ تَحْوَنُهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رِبْطُ^(٥)
وَأَنَّ الْحَسَامَ الْمَضْبَ نَارٍ يَجْفَنِيهِ وَمَا ذَمَّ مِنْ غَرِيْبَةٍ قَدْ وَلَا قَطُ^(٦)

* *

عَلَيْكَ (أَبَا بَكْرٍ) بَكَرْتُ بِهِمَّةً لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي وَإِنْ نَالَهَا حَطُ^(٧)
أَبَى بَعْدَ مَا هَبَلَ التَّرَابُ عَلَى أَبِي وَرَهْطِي فَذَا حِينَ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ^(٨)
لَكَ النِّعْمَةُ الْخَفْرَاءُ تَنْدَى ظِلَالُهَا عَلَى وَلَا جَعْدٌ لَدَيْ وَلَا قَهْطُ^(٩)

(١) الدرع : القميص ، والمرط : كساء من خز ومحوه يؤزر به ، والقميص يحور القهدين والمصر ،
والمرط : يحور الردف ، والردف جميل ، والمصر نحيل (٢) أهوى مال إليه حايا ظهره في حال
توديعه ، وهوى المرط ، وهو ماسلق في شجة الأذن ، سقط متديلا هوى مؤاده معه حافيا
(٣) أشكل سطره من أشكل عليه الأمر احتلط ولم يبين ، والشكل والنقط تمييز الكتاب بحركات
الأعراب ، وإعجابه ليطهر معناه . يقول إذا أشكل على من أهوى كتاب الوجد أوضحته له بما أصعبه من
زمرات ، وأصعبه من عرات (٤) التبتان يريد بهم تبيان قرطه ، والهمزة : الصبغ المرص لن
سطره عليه ويقتضيه (٥) الشأو : العاية ، والصاب : الذي يقوم على ثلاث ويبنى سلك يده الرابع
تحوونه وتحووه : تقصه ، ومنه قوله تعالى : « أَوْ يَأْخُذْكُمْ عَلَى تَحَوُّفٍ » ، وشاهد تحوونه عني تقصه قول لبيد :
عدافرة تمص دالداق تحونها نزول وارتمال أي تقص لها وشعبها
وشكل العاية : شدت قواها بجمل ، وأزرى به : أهانه وحقره (٦) الحسام الصبغ : السيف القاطع ، وثأو مقيم :
يردأه كالصبغ الماسد في حقه ، وما عيب من غريبه : أي حده به ، وهو القاطع طولاً ولاقط ، وهو القاطع عرضاً .
(٧) بدأ بمحاطب الأدب (أبا بكر) ويستنصه منه ، ويذكر يده عنده . يقول : إن لي همة طالية
لها خطرها مكرت بها عليك وتحت بك قديما ، وإن نالها إلا أن انحطاط بعد علو .
(٨) أت أن بعد قدر أبي وأنت وحدك رهطى حين لم يبق لي رهط . (٩) نمط النعمة عطاء لم
مكدها له ، لك عدى النعمة الخفراء التي تقلى ، والتي مارلت أنكركها ولا أنكركها ولا أكرها ولا أكرها

وَلَوْلَاكَ لَمْ تَقْبُ زِنَادُ قَرِيحَتِي فَيَقْتَبِ الظُّلَمَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقْطُ^(١)
وَلَا أَلْفَتْ أَيْدِي الرِّيعِ بَدَائِعِي فَرَنْ خَاطِرِي ظَلَمُ وَمِنْ زَهْرِهِ لَقَطُ^(٢)
هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخَطُ بَعْرِقِي وَكَأَنَّ لِشَيْبِ الْحَمِّ فِي كَبِدِي وَخَطُ^(٣)
وَطَاوَلَ سُوءَ الْحَالِ نَفْسِي فَأَذْكَرْتُ مِنَ الرُّوسَةِ الْغَنَاءِ طَاوَلَهَا الْقَعْطُ^(٤)
مِثُونَ مِنَ الْأَيَّامِ حَمْسُ قَطْعَتَيْهَا أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ شَذُّ وَلَا قَطُ^(٥)
أَتَتْ فِي كَهَامِيصِ الْإِنَاءِ مِنَ الْأَذَى وَأَذْهَبَ مَا بِالثُّوبِ مِنْ دَرَنِ مَسْطُ^(٦)
أَتَدْنُو قُطُوفُ الْجَنَّتَيْنِ لِمَعْشَرِ وَغَايَتِي السَّدْرُ الْقَلِيلُ أَوْ الْحَمْطُ^(٧)

(١) لم تقب: أي لولاك لم تظهر مار، فربما الشبهة ظلماء في الأبرار، وينتبه العلماء بأني عليها ويلاشبها، والسقط: مثل الماء ساكن البقي ما سقط من البار في الرديين. يقول: لولاك لم تدك فربما يظهر عند اقتراحها ما تنتبه الظلماء. (٢) الظم: نظم الحب في السك، واللقط: اللقطة. أي ولولاك (أبا بكر) ما ألفت بدائعي مسد الربيع، فهو يلقط من عاس الزهر ما أطعه في سك الحاطر. (٣) الوحط: وثو الشيب، واختلاط بياضه بسواد الرأس، والمرق: وسط الرأس، وهو موضع مرق الشعر من الحين إلى الدائرة، والمي لم أشب هيب الكبرة، ولكن شبت شيب اله. (٤) يقول: أن مطاولة سوء الحال معه ذكرته بحال الروسة الغناء طال عليها أمد القسط. (٥) القسط: ما قطع الأسير، وهو أن يجمع بين يديه ورجليه محل أو نحوه، والمي أنه قطع حجابة يوم فرطة أسيراً، ولكن ملاقي ولا غل لأنه كان محتماً متوارياً عن الأنظار.

(٦) اللوس: السل، وميص الثوب: صل الأصابع، ومسط الثوب: له ثم تحريكه لاستخراج مائه والدرن: الوسع، والمعنى حدث في أيام الخوف والاعتقال عند نهايتها مفسول الدب كما صل الاماء من الأذى، والثوب من الدرن. (٧) السدر: السق، والحمط: كل بنت أحد من الرارة طعما فلم يمكن أكله. يشير بهذا إلى قصة الحيتين في قوله تعالى: فأرسلنا عليهم سيل العرم وبذلناهم بحنثهم حتى ذواتي أكل حط وأتل وشئ من سدر قليل. ووصف السدر بالقة لكونه أحسن شيء فيها بذلوا، والعرم بفتح كسر، والكسر: بكسر فككون، واللعاة: صم صمغ متشديد اللون كلها. كما يؤخذ من اللسان والكشاف. أساء الله بني لحبس ماء العيون والأمطار ويترك فيه فتحات توضع عليها أبواب لاطلاق الماء على حسب ما يحتاجون إليه في سقيهم، وقد ورد ذكر المساء في بعض قصائد الديوان. يمثل في هذا البيت حاله بحال ساء إذ أعرضوا عن الشكر، غرّب الله حنثهم بسيل العرم وأبدلها عنها الحمط، والأمل والتفيل من السدر، ومعنى البيت: أيموز خيرى بالعم ولا أكاد أطر مائة الحف.

وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَعْرِفَنِي الْمُنَى وَلِلْعَرِّ فِي الْعُشْوَاءِ مِنْ ظَنِّي خَبْطٌ^(١)
أَمَا وَأَرْتَنِي النِّجْمَ مُوْطِي أَحْمَصِي لَقَدْ أَوْطَأْتَ خَدَيَّ لِأَخْصِ مِنْ يَخْطُو^(٢)
وَمُسْتَبْطِلُ الْعُتْبَى إِذَا قُلْتَ قَدْ أَتَى رِصَاءُهُ تَمَادَى الْعُتْبَى وَاتَّصَلَ السُّخْطُ^(٣)
وَمَا زَالَ يُذْنِبُنِي وَيُذِي قَبُولَهُ هَوَى سَرَفٍ مِنْهُ وَصَاحِبُهُ قَرِطٌ^(٤)
وَنَظْمُهُ ثَنَاءٌ فِي ظِلَامٍ وَلَايَةٍ تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَا لِآلَتِهِ وَسَطٌ^(٥)
عَلَى خَضِرِهَا مِنْهُ وَسَاحٌ مُفْصَلٌ وَفِي رَمِيهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِمَطٌ^(٦)
عَدَا سَمْعُهُ عَنِّي وَأَصْنَى إِلَى عَدَى لَهُمْ فِي أَيْدِي كُلِّهَا أَسْتَمَكُنُوا عَطُ^(٧)
بَلَقْتُ الْمَدَى إِذْ قَصَرُوا - فَعَلُّوهُمْ مَكَانٍ أَصْغَانِ أَسَاوِدُهَا رُقُطٌ^(٨)

(١) المرء الذي لم تجرب الأمور ، وفي التثنية : « هو يحط خط عشاء » يخرب لدى يرك رأسه ، ولاهم إمامة أمره ، كالداه العشواء التي يحط بيدها كل ماسرت به لدوء صرعا ، والعشواء : هائلة لال لا لال ، يريد أن طه حمله على الاعتقاد الملقى ، خط لمرارة في عشواء من طه أي في طلة والس . (٢) أما حرف للاستعجاح معنى ألا ، ولتحقق الكلام الذي يتلوه معنى حقا ، والأحصى طن ادم الذي لا يلمق لأرض عند الوط . يقول : حقا لقد أوطأت خدي لسكل واملى في حل أها أرتى مما معنى النجم موطن أحصى (٣) العتبى : الرضا ، والعب : السخط ، ورواية : « قد أتى » (٤) صاحبه الرجل من يلم به ويعنى محله من أهله وحاشيته ، وقرط يريد ههنا أنهم مرطون عليه في القول أي يسمعون ، والمعنى وما زال يقربى منه هوى متجاوز حد الاعتدال وبعد قبوله حاسية معرفة في القول . وقد جرى في هذا البيت على أسلوب التثنية والفسر للرب ، وهو يرى أن عمدوده مسرف في هواه فهو يذنبه لذلك وإن حاسديه يسمعون في الوشاة به فهو يشبهه لما يسمعه من وشايتهم للتكررة (٥) أي وما زال يقربى منه علم ثناء أجبره في ظلم ولاية كأنه المقد العس عمت به الدنيا كل لؤلؤة منه حذيرة أن تكون واسطة المقد لمعاشتها .

(٦) أي على حصر الولاية من طله وشاح مفصل ، وفي رأسها تاج مرصع ، وفي جيدها سبط من لؤلؤ (٧) الأديم : الخلد ، والبط : شق الثوب طولاً أو عرضاً من غير إمامة ، والمعنى صرف ابن جمهور سمعه على وأصمى إلى أعداء كلما تمكنوا من عرض قدوه كما يتد الأدم وشقوه كما يشق الثوب .

(٨) المدي : الداه ، والأسدان : الأخفاد ، والأساود : الحيات ، والرفط : جمع رقطاء ، وهي التي في ألونها سواد وبياض ، والمعنى بليت الناية التي قصروا عنها ممكن في قلوبهم من الأخفاد ما شبه الحيات الرقط التي تنمت للسوم القلطة

يُؤْتُونِي عُرْضَ الْكَرَامَةِ وَالْقَلِيلَ وَمَا دَهَرُهُمْ إِلَّا النَّفَاسَةُ وَالنَّعْطُ^(١)
وَقَدْ وَصَّيْتَنِي بِأَتِي لَسْتُ أَهْلَهَا وَلَمْ يُؤْنِ أُمَّتَالِي بِأَتَالِهَا قَطُ^(٢)
فَرَزْتُ فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِزَابَةٌ فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبْطُ^(٣)
وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ تَعُودَ كَبْدُهَا لِي الشِّيمَةُ الرَّهْرَاءُ وَالْخُلُقُ السَّبْطُ^(٤)
وَحِلْمُ أَمْرِي تَعْفُو الذُّنُوبُ لِعَفْوِهِ وَتُغْنِي الْخَطَايَا مِثْلَ مَا يُجِي الْخَطُ^(٥)
فَا لَكَ لَا تَخْتَصُمْنِي بِشَفَاعَةٍ يُلُوحُ عَلَى دَهْرِي لِيَسْتَهِيَ عِلْطُ^(٦)
يَنِي بِنَسِيمِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدُ نَفْحُهَا إِذَا شَعَشَعَ الْمِسْكُ الْأَحْمَ بِهِ خَلْطُ^(٧)
فَإِنْ يُسَيِّفِ الْمَوْتَى فَتُغْنِي هَبْنَةُ تَنْفُسُ عَنْ نَفْسِ الظِّ بِهَا ضَفْطُ^(٨)
وَإِنْ يَأْبَ إِلَّا بَضَ مَسْطُوطَ فَضْلِهِ فَنِي يَدِ مَوْتَى فَوْقَهُ الْقَبْضُ وَالنَّسْطُ

(١) وفي رواية: العُط والمعى يعطونى استعمل منه حاجة الكرامة والدين ، وليس منه أحد الدهر (إلا العاسة) من سس عليه فاشى سس به وكره أن يسئل إليه ، و (السط) من سط الرجل بسطه قسطا من باب ضرب حده ، ومن معانيه أيضا تنبى الوصول إلى صفة عبرك من غير أن تروى به .
(٢) أى حملونى معروفا بالنسبة والصفة الملية التي لست متأهلا لها ، والتي ما ملى أى اسئل بها أمتالي مما مضى .
(٣) إزابه . سب في الزينة والشك والاثام ، والمعى مررت من السحر ، فان ملوا إن في الفرار ما يجعل متهم ، فقد مر موسى من القبط حين انشروا به وهما يقتله يشير إلى قوله تعالى حكاية من موسى عليه السلام : « فدرت منك لما حشكتك »

(٤) السط : السهل . (٥) الليسم : السكواة يوسم بها البعير ، والباط : الوسم عرسا في العبي يقول : لماذا لا ترضى عى وتحنى شفاعك لأفعل بها على دهرى وأدله وأدعه في معاه دفعة بينة الأثر يحط أو خطين أو خطوط . (٦) المسر : الطيب المعروف ولوه أسود ، وطلق المسر اسما على العرعران ، وهو المراد هنا ، والورد حمرة تضرب إلى صخرة حسنة ، وشمشع : مزج ، والأهم : الأسود من كل شيء ، أى بنى مع هذه الشماعة براحة العرعران الورد إذا مزج بالمسك الأسود .

(٧) تنس : تبرج ، وألط بها - وفي رواية : ألت بها - لارها . قال أبو العلاء :

• ألتوا بالفتح وتأسوه ولو أمروا به لحنوه

أى لارم الناس الفيج علادا منهم حين نهام الله به ولو أمرهم به لبعهم عنادهم إلى نكبه، مسط : أى سبق

في مدينة بطليوس ^(١)

يَا دَمْعُ صُبْ مَا شِئْتَ أَنْ تَصُوبَا ^(٢)
وَبَاقُ وَاذَى أَنَّ تَذُوبَا

إِذِ الرِّزَايَا أَصْبَحَتْ صُرُوبَا ^(٣)

لَمْ أَرِ لِي - فِي أَهْلِهَا - ضَرِيَا ^(٤)

قَدْ مَلَأَ الشَّوْقُ الْحَشَا تَذُوبَا ^(٥)

فِي الْقَرْبِ إِذْ رُحْتُ بِهِ غَرِيَا

عَلِيلَ دَهْرٍ سَأَفِي تَمْذِيَا ^(٦)

أَذَى ^(٧) النَّصِي إِذْ أَبْعَدَ الطَّيْبَا ^(٨)

❖ ❖

لَيْتَ الْقَبُولَ ^(٩) أَحَدَنْتَ هُبُوبَا

رِيحُ يَرْوُحُ عَمْدَهَا قَرِيَا ^(١٠)

بِالْأَفْقِ الْمُهْدَى إِلَيْنَا طَيِّبَا ^(١١)

(١) مدينة كبة من مدن الأندلس تقع على تربة. وهذه الأرحورة تدكرنا بالأرحورة المشهورة : « دمع المطايا تسم الحبوب » الخ (٢) انك يا دمع ما شئت أن تصوب ، والأصل في الصوب رول المطر ، والفعل صاب يصوب والأمر صب . قالوا : وكلّ تارل من حلو إلى أسعل فقد صاب ، ومنه قوله « كأنهم صابت عليهم سحابة » . (٣) أسافا . وفي رواية : إن الرزايا (٤) طيعاً أو مثيلاً . يقول : انك يا دمع قد صبت عليك ألوان من المصائب والآلام لم تصب على أحد من المرزبيين . (٥) آثار الحروب إذا لم ترضع من الحلة ، ومنه قول العزوق : ومكمل ترك الحديد ساقه نداه من الرساق في الأحصا

(٦) أمرصى دهر قد حشمى دلّ الاعترا وسامى سو . العدا . (٧) وفي رواية : أهي النسي (٨) قرب النهر من السقام في وقت أمد فيه على الطبيب . (٩) ما يستفك بين يدك من الريح إذا وقتت في التلة . (١٠) أي يكون رواحها تحمله الريح من للطر قريباً ، والعهد هنا معناه المطر الأول الذي يليه الرسمي . (١١) أي متملاً بآفاق الذي طالما أهدى إلينا من ناحية الحبيب طيباً

تَعَطَّرَتْ مِنْهُ الصَّبَا جُيُوبًا
يُبْرِدُ حَرَّ الْكَبِدِ الْمَشْجُوبَا^(١)

* * *

يَا مُتَّبِعًا إِسَادَهُ^(٢) التَّأْوِيَا
مُتَرِّقًا فَتَنَ سَمِّ الْفَرِيَا
أَمَّا تَجَمَّعَتِ الْمَشَلَّ الْمَضْرُوبَا
أَرْسَلَ حَكِيمًا^(٣) وَاسْتَشِيرَ لَيْبَا

* * *

إِذَا أَتَيْتَ الْوَطْنَ الْحَبِيبَا
وَالْجَانِبَ الْمُسْتَوْصَحَ^(٤) الْعَجِيبَا
وَالْحَاضِرَ^(٥) الْمُنْفِصِحَ الرَّحِيبَا
فَحَيَّ^(٦) مِنْهُ مَا أَرَى الْخُنُوبَا

(١) يقول ذلك الغريب الذي تعطرت به حبوب الصبا كدما منه فيه ما يبرأ الشوق. وفي الأصل «الشوبا»

(٢) الاسناد سير الليل كله لا تفرس فيه ، والتأويب : سير النهار كله لا تفرح فيه .

(٣) وفي رواية : أرسل حليما .

(٤) الماحون هم أو الذي يستوصحه الزاكن أى يستقرمه ويستكفه بأن يصح كفه على صبيه في الشمس

لينظر هل يراه . (٥) الحاضر : سعد الادي . (٦) مرة ط بالأبيات قبله . يقول : أيها

المواصل سير الليل كله سير النهار كله متفرقا قد ملّ السير إلى الحباب البري أنى مرسلك في حاجة ،
ومنع للثلث المشهور :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فارسل حكيما ولا توسه

. وإن باب أمر طيك التوى مشاور ليلا ولا تمسه

ذلك ألك إذا أتيت فرك الوطن المحبوب ، والحاب للأهول والماضرة العسيرة على مما قد ترى الحنوب
تحيث يقيم الحبيب ، وقوله : ما رأى حلة مقترمة وحدث هكذا وحرر .

مَصَانِعُ ^(١) تَجْتَذِبُ ^(٢) الْقُلُوبَا
 حَيْثُ أَلِفْتُ الرَّشَّاءَ الرَّيْبَا ^(٣)
 مُخَالِفًا ^(٤) فِي وَضْعِهِ الرَّقِيْبَا
 كَمْ بَاتَ يَنْدَرِي ^(٥) لَيْلُهُ الْغَرِيْبَا
 لَمَّا أَتْنَنِي فِي سُكْرِهِ قَضِيْبَا
 تَشْدُو ^(٦) حَمَامٌ حَلِيْبَةً تَطْرِيْبَا
 أَرْسُفُ مِنْهُ اللَّبْسِمُ الشَّدِيْبَا ^(٧)
 حَتَّى إِذَا مَا أَعَنَّنِي لِي مُرِيْبَا ^(٨)
 سَبَابُ أَفْقِي هَمٌّ أَنْ يَشِيْبَا
 بَادَرْتُ سَفِيَا ، هَلْ رَأَيْتَ الدَّيْبَا ؟ ^(٩)

(١) ديار وأسية وقصور . قال ليد .

لبنا وما تلى السحوم الطوالع وتقى الديار بمدما والمصابح

(٢) تجذب . (٣) الرشا : الطي إذا قوى ونحرك . وشي مع أمه ، والرب : للربي من قولهم

صى مرب وروب . وفي رواية : القبا

(٤) من المخالفة بمعنى عدم الموافقة أو من قولهم جاء ملائ خلاف صاحبه ومخالفته إذا أتى بعده مخالفا له .

(٥) يندري يخال من قولهم دريت إلى أي احتلت له وحلت حق أصبهه ، والمريب : الشديد السواد

ومعنى الأبيات تلك دور ومصابح تجذب القلوب إليها ألف فيها الرشا القوي في بحر الصمة محالما أي آتيا في ضفة الرقيب ، فكثيرا ما يخالل إليه الشديد السواد ليصب منه عرّة ويجلس منه ففله .

(٦) نسي ، استدار شدو الحمام لوسوسة الخلى (٧) أرسف : كاسر وأضرع مملوع وشعب

للأه والريق ونحوهما رشما ، وهو للمس والقيل وشرب الماء قبلها قليلا ، وللسم ، القبل ، والشيب : صغته مأخوذة من الشب وهو رد وعدوة في الأسان . قال ذو الرمة :

لجاء في شعبي حوة نس وفي الثنا وفي أبنائها شعب

(٨) اعنن : اعترض ، ومربيا : دارب . (٩) يقول في هذا البيت والأبيات قبله : بتّ ناعما

ليلتي بالعناق والتفصيل حتى إذا اعترضني مارأي من سواد أفق وشك أن يصعبه سوء الصبح فادرت الطريق أسمى ، هل رأيت القتب ، يزيد : هل رأيت القتب في خلفته وسرعة عدوه وفرازه ويحي : أنه قد مرّ القتب .

هَمَزُهُ (١) حُلُو الْجَنَى رَطِييَاً

* *

أَهَاجِرِي أَمْ مُوسِي تَأْنِيْبَا
مَنْ لَمْ أَسِغْ مِنْ بَعْدِهِ مَشْرُوبَا (٢)
مَا صَرُّهُ لَوْ قَالَ لَا تَنْرِيَا (٣)
وَلَا مَلَامَ يَلْحَقُ الْقُلُوبَا
فَدَ طَالَ مَا تَجَرَّمِ الذُّنُوبَا (٤)
وَلَمْ يَدْعُ فِي الْمُدْرِ لِي نَصِيْبَا

إِنْ فَرَّتِ الْعَيْنُ بِأَنْ أَوْمَا (٥)
لَمْ آلْ أَنْ أَسْتَرْضِي الْغَضُوبَا
حَنِيْبِي أُنْ أَحْرَمَ الْمَغِيْبَا
فَدَ يَنْفَعُ الْمَذْنِبَ أَنْ يَتُوبَا

يوم بوصل ساعة

بِاللَّهِ خُدْ مِنْ حَيَاتِي بَوْمَا وَصَلْنِي سَاعَةً
كَثِمًا أَنَالَ بِقَرَضٍ مَا لَمْ أَنَالَ بِشِفَاعَةٍ

(١) أملتني إلى وعظمتني على وهو جواب لما .

(٢) حل هذا الحبيب الذي عصمت حراة ولم أحد سماعا للشراب إلى خلق هاجري أو موسى

لوما وتثريا . (٣) أي مرر عليه إذا هو قل العذر في اللام والعتاب .

(٤) كثيرا ما ادعي على دوما لم أفعلا (٥) بقوله في هذا البيت والذي بعده : إن فرت العين

بالروح إلى الوطن بذلت جهدي في استرجائه ، وكهاني أن أحرّم على سي ترك هذا الوطن وأتوب
قد تنفع توبة للذنب .

في عيد الأضحى^(١)

« لما حلّ ابن زيدون من المعتد بالمكان الذي حلّ ، وانتكت
عقد شدائمه واحلّ ، تسلت نفسه من شجوها ، وحثت إلى صفا
« ولادة » وحجوها ، وتذكرها وما تناساها ، وعودته لوعنها
وأساها ، وحن إليها حين من حيل يبه و بين ما يشتهي ، وقنع
باهداء تحية تلح إليها وتتهى . فقال يتعزل بها ويمدح المعتد^(٢) : »

أَمَّا فِي نَسِيمِ الرِّيحِ عَرَفْتُ مُعْرِفُ أَنَا هَلْ لِدَاتِ الْوَقْفِ بِالْجَزْعِ مَوْقِفُ^(٣)
فَنَقَضِي أَوْ طَارَ الْمُنَى مِنْ زِبَارَةِ لَنَا كَلَفُ مِنْهَا بِمَا تَسْكَفُ^(٤)
صَمَانٌ عَلَيْنَا أَنْ تَرَارَ وَدُونَهَا رِقَاقُ الظُّبَا وَالسَّمَهَرِيِّ الْمُثَقَّفُ^(٥)
وَقَوْمٌ عِدَى يُبْذَوْنَ عَنْ صَفَحَاتِهِمْ وَأَزْهَرُهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْحَقْدِ أَكَلَفُ^(٦)
غَيَارَى يَمْسُدُونَ الْفَرَامَ جَرِيرَةَ بِهَا وَالْهُوسَى ظُلْمًا يَغِيظُ وَيُؤَسِفُ^(٧)

(١) هو أضحى سنة ٤٤٥ هـ . وهذه القصيدة من ضمن قصائده التي يمدح بها المعتد ، وقد ذكر
طريقاً منها ابن سالم في الدرة ، وقد نسي أبياتها ، وذكر طائفة منها كذلك صاحب فلاح البيان في
ضمن ما ذكره من طرف ابن زيدون وأحارده ، وقصره وأشعاره . (٢) فلاح البيان .
(٣) أما استهزاء به بمعنى التني ، والعرف : الريح الطبا ، والجزع : مطط الوادي ، والوقف : السوار
- من المالح وغيره - قال حران المود الحميري :

كوقف المالح من دكى منك تحية من اليمن النجار

أو هو الخلل حال من الدمة وغيرها . والمعنى : لب لنا في هبوب نسيم طيب رائحة يبرقنا هل المحروية
واسعة مكان وقوسها من مطط الوادي نقضى الخ . وفي رواية : يبرق .

(٤) المعنى : هل لها وقعة فالمعنى نقضى حاجت النفس من زيارة لاولع عما تشجسه من مشقة التضرع لها .
(٥) الظلمة : جمع طمة ، وهي حد السيف ، والسهمري : الزمخ ، واللثيم : السوى بالثياب ، وهي
حشمة فيها حرق توصع به الراح لتسوية ما افرح منها ، أى نحن صامسون على ألسنا أن ترار ، ودون
زيارتها طاب السيوف الرقيقة ، وأسنة الراح الصلبة ، وفي ضمن السج حرير طيباً أن ترار .

(٦) أى ودون الوصول إليها أماً قوم ممدون يظهر ما يحسنونه من السداوة والفرط على وجوههم ،
والشرق للضوء من تلك الوجوه أكلت أى بكلف وسواد من طلبة الحق .

(٧) غيارى وغيارى - بفتح الياء وصحها - كسكارى وسكارى جمع غيران من عار الرجل على امرأته
بما رغبة ، والجريرة : الدب والحماية يحياها الرجل على نفسه أو يجرها على غيره ، ويؤسف : كينص
وزناً ومعنى ، ومنه قوله تعالى « فلما آسفونا انتقمنا منهم »

يَوَدُّونَ لَوْ يَنْفِي الْوَعِيدُ زَمَانَنَا وَهَيْهَاتَ رَجِ الشَّقِيقِ مِنْ ذَاكَ أَغْصَفُ^(١)
يَسِيرُهُ لَدَى الْمُشْتَاكِ فِي جَانِبِ الْهَوَى نَوَى غُرْبَةً أَوْ مَجْهَلُ مَتَّصَفُ^(٢)
هَلِ الرُّوعُ إِلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي أَمِ الْهَوَلُ إِلَّا غَمَّةٌ ثُمَّ تُكْشَفُ^(٣)
وَفِي السَّيْرَةِ الرَّقْمِ وَسَطَ قِيَّاسِهِمْ بَعِيدُ مَنَاطِ الْقُرْطِ أَحْوَرُ أَوْطَفُ^(٤)
تَبَايَنَ خَلْقَاهُ ، فَجَبَلُ مَنْعَمُ تَأَوَّدَ فِي أَغْلَاهُ لَدُنْ مُهَفَّفُ^(٥)
فَلَمَّا نَكَرَ الْمُرْتَجِّ مَا حَازَ مِثْرُ وَلِلْمُغْصِنِ الْمُتَهَرِّجِ مَا صَمَّ مِطْرُ^(٦)
حَبِيبُ إِلَيْهِ أَنْ نُسَرَّ بِوَضْلِهِ إِذَا مَحْنُ زُرْنَاهُ وَهَيْهَاتَ وَنُسَمَفُ
وَلَيْلَةٌ وَافَيْنَا الْكُتَيْبَ لِمَزْعَدِ سُرَى الْإِنِّ لَمْ يُعْلَمَ لِمُسْرَاهُ مَرْحَفُ^(٧)

(١) الوعيد : التهديد والتحريم ، والزم : ما خرج المعنى في أسر الرأية والرمع عليه ، وأغصف : اسم تفصيل من صفت الزح تعصف فالكسر معي فاصف أى شدة تعصف من صرب ماله من تراب ومخوه ، أى يودون لو يصرها تهديدهم عما أهداه من أسريارت تلك احساء التي ما روى لمياء وهيهات أن يصرها من ذلك صارف ، من ربح الشوق أشد مصيا بنا إلى باخيتهم من يهدهده ووعيده.

(٢) يقول يسير علينا في حب الهوى الاعتراق واعتفاف المعامل

(٣) الروع : الخوف ، والمجرة : الشدة .

(٤) السيرة : نكر مفتوح نوع من الرود يحاطه حرر كالـ دور ، ويقال ثوب رقم إذا رقم أى كشف عليه ثمة ، أو اسم التاجر ، ومناط القُرط مطقة ، وأحور : وصف من حور العين ، وهو شدة سواد اللقطة في شدة بياضها ، وأوطف : ضويل شعر أهداب العين ، وفي الأصل أوطف ، والمعنى أن حبيبه الذى تلتس تلك الحلة السيرة الثمينة تقيم وسط ذال الأعداء وهي سيدة ، هوى الرط أى طولة العرق ، في هديها حور ، وفي أهدابها وطف . (٥) عل : أى ردف صدم تام ، ومعهم : من السمة والراحة ، وعدم الامتنان في عمل البيت لומר الحلم ، ويكرم ذلك الصالة والامتلاء ، وتأوَّد : نثى ، ولدى أى عصى لين ، ومهفهم أى حصر دقيق مائل ، يقول : تابعت حققة أسفله وأغلاه ، فردف تبيل وحصر عجل .

(٦) المالك : من المال ما تقدر وارنفع ، وفي الأصل : المالك . والمثمر : ممرور وهو ما يند على الوسط ، والمطرّف - وهي مثلة للم - من ثياب الخمر ما حصل في طرية طمان ، ونحج على مطارف ، أى طكيتب للرج ما هوام المثر ، وللمص للهر ما صبه للمطرف . (٧) وافينا الكتيب : أى توافينا

على موعد في الكتيب ، والبرى : السبر القليل ، والأين : الأعياء والتعب ، والمزحف الماة وهو من الرحب وهو اللقى قليلا قليلا ، أو المراد به ما أثر للقى ومنه مزحف الحية ، وهو أثر اسياها في الرمل قال للشاعر :
مكان مزاحب الحيات فيه - قيل الصبح آثار الساط .

تَهَادَى أَنَاةَ الْخَطْوِ مُرْتَاعَةَ الْحَشَا كَمَا رِيحُ يَغْفُورُ الْفَلَاحَ الْمُتَشَوِّفُ^(١)
فَمَا الشَّمْسُ رَقَّ الْقَيْمُ دُونَ إِبَاتِنِهَا سِوَى مَا أَرَى ذَلِكَ الْحَيِّينَ الْمُتَنَصِّفُ^(٢)
فَدَيْتُكَ أَنَّى زُرْتِ ثُورُكَ وَأَصْبَحُ وَعِطْرُكَ نَمَامٌ وَحَلْيُكَ مُرْجِفُ^(٣)
هَيْبِكَ أَغْتَرَزْتَ الْحَيَّ وَاشْيِكَ هَاجِعُ وَفَرْعُكَ غَرِيبٌ وَلَيْسَ لَكَ أَغْضَفُ^(٤)
فَأَنَّى أَعْتَسَفْتَ الْهُوْلَ خَطْوُكَ مُدْمِجُ وَرَدُّكَ رَجْرَاجٌ وَخَضْرُكَ مُخْطَفُ^(٥)
لَجَاجٌ، تَهَادَى الْحُبُّ فِي الْمَشْرِ الْعِدَا وَأُمُّ الْهُوَى الْأَفْقُ الَّذِي فِيهِ نَشْتَفُ^(٦)
وَأَنْ تَتَلَقَّى السَّخْطَ - عَائِينَ - بِالرَّضَى لَغَيْرِ أَنْ أَجْنَى مَا يَرَى حِينَ يَلْطَفُ^(٧)
كَفَاءً مِنَ الْوَصْلِ النِّجَةِ خُلْسَةً فَيُوجِي طَرْفُ أَوْ بَنَانُ مُطَرَّفُ^(٨)

(١) تهادى أصله تهادى أى تخاصم وسكون ، وأناة الخطو . منتدة الخطو وسعها بالمصدر ، وهو الأناة بمعنى الزودة للسامية ، ومرتاعة الحشا : معرفة القلب ، وريح : مريح وأجيب ، والصور : العاوي والمتشوف : المتطلع . وفى معنى السبح للشفوف ، وهو الذى يرفع رأسه . ويعد صوره ليندلى إلى العلى .
(٢) إياة الشمس - بالكسر والفتح - حسبها وصودها ، وإية هى الشمس أيضا ، قال أبو العلاء :

ومضى العالم من صعد لولا إياة لم يكن سحت

أى لولا الشمس لما كان العمر ، وللصف . الذى عليه الصيف وهو الحار ، أى لست الشمس يستقر العلم اليمى حسبها وصودها إلا ما أراه ذلك الحين من حسن يبدو من حل الصيف .

(٣) وفى معنى الروايات : قبيك وهو مصدر منصوب لباته من العمل والاقدير سألت الله حمدك من قوله تعالى « من اليمين وهى القبل قبيك » أى محيط ، والمستعمل قبيك الله . مثل عمرك الله ، وهو مصدر منصوب أيضا باب من العمل تدره عمرك الله بالشديد ، ومعناه هنا : ملازمك ، ومرحب : من أرحب إذا تحرك واضطرب ، ويصح أن يكون من أرحب نالاه للجهول فهو مرحب ، وفى معنى السبح بدل قبيك مديك . (٤) هيك : قال هك فلت ، وهيك فلت كذا ، ولا يقال هك أنك فلت ، ولا هى أنك فلت ، والمعنى احسبى وأعدى ، واعتبرت الحى : حشه وحزت به على غير علم ، ومرعك عريب : شمرعك شديد السواد ، وأصعب حاك السواد ، يقال ليل أصعب إذا ألس ظلامه .

(٥) مدمج : داخل صبه فى بصب ، ومخطف : صابر يقال مرس مخطف الحشا : أى صابره .

(٦) نشفت : نفخس ، والمعنى أمرى لحاج عند تهادى فى حرم أهواه من المصير العناء وهدى الهوى : المكان الذى فيه أمقت وأضس . (٧) المعنى والحاج أيضا أن تجعل السخط ، وقد هاجر صاحب هيرة يشتد حفاؤه ومخلفته ، حين يمل لطفه ورقته . (٨) النان : الطرف أى طرف بالهاء .

خَلِيلِي مَهْلًا لَا تَلُومًا فَإِنِّي
فَاعْتَفَ مَا يَلْقَى الْمُحِبُّ لِمَجَابَةِ
وَإِنِّي لَيْسَتْهُنَّ بِنِي الْبَرَقُ صَبُوءَ
وَمَا وَلَعِي بِالرَّاحِ إِلَّا تَوْهُمُ
وَتَذَكِيرُنِي الْعِقْدَ الْمَرْنِ مُجَانَّةُ
فَمَاقِلَ مَنْ أَهْوَى طَوَى الْبَذَرِ هَوْدَجُ
وَلَا قَبْلَ «عَبَّادٍ» حَوَى الْبَحْرِ مَجْلِسُ
فَوَادِي أَيْفُ الْبَثِّ وَالْجِسْمُ مُذْنَفُ
عَلَى نَفْسِهِ فِي الْحُبِّ حِينَ يُعْتَفُ
إِلَى بَرَقٍ ثَمَرٍ إِنْ بَدَأَ كَاذٌ يَخْطَفُ
لِظَلْمٍ بِهِ كَالرَّاحِ لَوْ يُتَرَشَّفُ^(١)
مُرْنَاتُ وَرَقِي فِي ذُرَا الْأَيْكِ تَهْتَفُ^(٢)
وَلَا صَانَ رَيْمُ الْقَفْرِ خِذْرُ مُسَجَفُ^(٣)
وَلَا تَحْمِلُ الطَّوْدَ الْمَظْمُ رَفْرَفُ^(٤)

(١) لظلم به : أى ما نمر في البيت قبله . ماء في اللسان ، والظلم : اناء الذى يحرق ويظهر على الاسنان من صماء اللون لاسم الرقيق كالنمرد حتى تجعل لك فيه سواد من شدة البرق والصماء : قال كعب بن رهير : تخلو عوارب دى ظلم إذا انتفت كاله مهمل بالراح معلول
لو يترشف : لو حال على ، وفى من السجح إذا يترشف ، والترشف : من الماء قليلا قليلا . قال ابن سنام : «أراه بت أى الطبيب وما شرق الماء إلا تذكر الماء به أهل الحبيب نزول
(٢) المرن : اسم فاعل من الأرماء ، وهو الصوت الحرس ، والحلك : حب تتعد من مسار المؤاؤ ، أو من العصة أمثال المؤاؤ ، ولورق : جمع ورقة . وفى الخنة التى لوها بين السواد والسمرة . وفى ما تسمى فى عرف أهل مصر : نيامة ، وفى مثل هذا يقول الشاعر الخفس حراى العود النيمرى .
ثم هاجى حاتم ورق بالمدينة هـ

والأبك : جمع أبكة ، وهى شجر الكثير اللب ، وتهتف : تروح . (٣) اليهود : ما ترك فيه المرأة يكون مقسا وغير مقب ، وفى من السجح بدل مناص صه ، والزم : الذى الخافس الياس ، والخدر للسحب : ما على كل مدخل أو مائدة من يرافقه سبحانه أى ستران بينهما بنوق كالمصراعين .
(٤) (ولا قبل عاد) هو للممد لله أو عمر عاد من الظاهر المؤيد بالله أى لتقام محمد بن إسماعيل قضى أشيلية ينهى سبه إلى الحمان من المذخر ملوك الحيرة ، وهو صاحب قرطلة وأشيلية وما والاها من جزيرة الأندلس ، ولئ الملك مد وقات أمه الظاهر محمد بن إسماعيل العامى سنة ٤٣٣ هـ وكان هو وابنه للمتمد أوسع ملوك الطوائف ملكا ، وأشدهم بأسا ، وأكثرهم عددا وعددا ، وكان المعتصم دما ذكره ابن سنام صاحب الدجيرة قط رحى العنة ، ومنتهى غاية المحبة فى ملاد الأندلس ، ولئ سياسته عزى السب فى تلك الحروب الطاحنة التى اشتت بين ملوك الطوائف واستعان بعضهم على بعض فيها بالمدد الذى انتهز فرصة ضعفهم ، وتفرق كلهم فعمل على إزالة ملكهم ، وإخراج السليبي من بلادهم - والرف - العرش والبسط ، وكل ما أعد للجلوس ، وفى الدليل المرير « متكتبين على رفرى حضر » وهو جمع رفرى ووراء جمع الجمع . قال ابن سنام : وهذا البيت للفسطول بمحلته حيث يقول فى ابن أى طامر :
وكيف أسوى ماله والبحر مجلس وقام بسبه الواسيات سرير

هُوَ الْمَلِكُ الْجَعْدُ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ تَكْفُ مُرُوفُ الْحَادِثَاتِ وَتُصَرَفُ^(١)
 مُهَامٌ يَزِينُ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَهْلُهُ مَلِكٌ قَبِيهٌ كَاتِبٌ مُتَقَلِّبُ^(٢)
 يَتِيهٌ بِمَرْقَاهُ سَرِيرٌ وَمِنْ بَرٍّ وَيَحْمَدُ مَسْعَاهُ حُسَامٌ وَمُصْصَفُ^(٣)
 رَوِيَّتُهُ فِي الْحَادِثِ إِذْ لَحْظَةُ وَتَوْفِيهُ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَخْرَفُ^(٤)
 يَدِلُّ لَهُ الْجَبَارُ خِيفَةً بِأَسِيهِ وَيَمْنُو إِلَيْهِ الْأَبْلَجُ الْمُتَغَطِرُ^(٥)
 حِذَارُكَ - إِذْ تَبْنِي عَلَيْهِ - مِنْ الرَّدَى وَدُونِكَ فَاسْتَوْفِ التِّي حِينَ تُنْصِفُ^(٦)
 سَمْعَتُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالتَّوَى كِتَابٌ تُرْجَى أَوْسُقَانُ تُجْدَفُ^(٧)
 أَغْرَى مَتَى نَذْرُ مَنْ دَوَاوِينَ نَجْدِهِ يَرْفُنَا غَرِيبٌ مُجْمَلٌ أَوْ مُصَنَّفُ^(٨)
 إِذَا نَحْنُ قَرَضْنَاهُ قَصَرَ مُطْنِبُ وَلَمْ يَتَجَاوَزْ غَايَةَ الْقَصْدِ مُسْرِفُ^(٩)

(١) الحمد . قال في القاموس : والحمد إذا ذهب به مدح المدح له معيان مسحان ، أحدهما : أن يكون مصبوب الحواشي ، شديد الأسر والخلق غير مترجح ولا مضطرب ، والثاني : أن يكون شعره جعدا غير سطر ، لأن سوط الشعر من العالة على سمور اللحم من الروم والفرس ، وحودة الشعر من العالة على سمور العرب ، فإذا مدح الرجل الحمد لم يخرج من هذين المصنفين ، الخ مقال في الحمد على كلا الاعتبارين المدح أو الذم فادبره ، والذي هو الملك المجمع الخلق الذي ليس له رعا مسترعى الأعضاء ، أو الحمد المبرر ، أو الكريم الذي في طله وكده تكف غير الحوادث وصروف الدهر وتردها عن أن تصد المستطيل طله بالسوء .

(٢) الاد الطبع ، والتوقيع . ما يكتبه الملك في الكتاب من حل قصيرة ، وأحرف قصيرة ، لا يهاد أوامر ، وإمضاء شؤون دولته ، وليس تكميله في الحادث العظيم القطيع القاصي سريع لاحتياج إلى ترتيب ، وعدم تعجل ، وتوقيعه الكاشف طرفة الخطوط كلمات قليلة جامعة لمصون ما يريد إعادته .

(٣) الأبلج : الأيسر ، والمتطرب : السيد السري المختار في مشيئة .

(٤) ستمتعهم : ستمتعهم ، والتوى : تولى ، وترسى : اتق وتسير ، وتحدو تدعى بالمحاذيب .

(٥) أعز كريم الأموال وأصحها ، وندرس : أي متى نرس أعضا على قراءة ماسطر في دفاتر عمده ، يرقا : أي يحسا الخ ، وفي الأصل : « متى تدرس » ، والغريب : العاصي الجديد عن العلم ، والمحصل : المحتاج إلى التيسير والبيان ، والمصنف : الذي صنفه من نص ، وللبين حفاؤه وإحاطه .

(٦) قرطاه : من التفریط وهو المدح والثناء ، وأصله من تفریط الحلة أي دبتة بالقرط ، والمطلب : للمطلب المتدبر ، العمل ، والتصد : بالتوسط والاحتفال .

فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الْحَاسِدِ مَتَى أَدْعَى سِبَاقَ الْعَتِيقِ الْفَائِتِ الشَّأْوِ مُقْرِفٍ^(١)
 أَلَيْسَ « بَنُو عَبَّادٍ » الْقِبْلَةَ الَّتِي عَلَيْنَهَا لِأَمَالِ الْبَرِيَّةِ مَعَكَفُ^(٢)
 مُلُوكُ يُرَى أَحْيَاؤُهُمْ فَخَرَّ ذَهْرُهُمْ وَيَخْلُفُ مَوَاتُهُمْ ثَنَاءً مُخْلَفُ^(٣)
 بِهِمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءُ فَأَوَّجُهُ سُمُوسُ وَأَيْدِي مَنَ حَيَا الْمَزْنِ أَوْ كَفُ^(٤)

* *

أَسَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسٌ وَتُجْزِلُ حَظَّ الْحَمْدِ وَهُوَ مُسَفِّفُ^(٥)
 لَقَمَرُ الْيَدَا الْمُسْتَدْرِجِيكَ بِرَعْمِهِمْ إِلَى غَيْرِهِ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ تُكْسَفُ^(٦)
 لَكَالُوكِ صَاعَ الْغَدْرِ لَوْثُ سَجِيَّةٍ وَكَيْلَ لَهْمٍ صَاعِ الْجَزَاءِ الْمُطْفَقُ^(٧)
 لَقَدْ حَاوَلُوا الْمُظْلَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا فَأَعْجَبَهُمْ عَقْدُ مَنَ الْهَمِّ مُخَصَفُ^(٨)

(١) العتيق : الحبيب الكريم من الخيل ، والشأو : النايه ، والمقرف : المحبب وهو الذى أمه ردونة وأبوه رنى أو العكس . (٢) معكف مصدر ميمي بمعنى المكوف أى إقامة وملازمة .

(٣) أى موهب . ملوك يرى الناس أحياءهم معفرة الرمان ، ومخلف من « موهبواهم ذكر حسن وثناء موروث يتحدث به الناس ، وشاقله الخلف من السلف .

(٤) الحيا : الطير ، والرد : السحاب ، وأوكف : أعطل وأغرر والحقى : فاحت بهم الأرض السماء فوجوههم أبهى طلعة من البرات ، وآثار سهم ، وسرن أيديهم أغرر وأعطل من السحب الهاملات .

(٥) ممس . ملبس ملهوس جهته مظلم لا يدرى من أين يؤتى له ، ومسعف : بارل من أسف الطائر إذا دنا من الأرض ، والحقى : يا من معاك الحبيدة أبنت معى المحد فى حل كوه عامضا ملتصا ، وأحزرت بأستاراك الحبيدة حظ المحد على حين حظ عيرك منه حقير ، وحواب الداء فى الأوقات بعده .

(٦) لمر العدى : يقسم بحياتهم منهكاً للإشارة إلى إحماقهم فيما حاولوا ، المستدرجيك : أى الذين حاولوا فى رعمهم أن يتدرخوا بك قليلا قليلا على حرة ، ويأحدوك على عملة إلى ما تكاد له السس تكسف لحرأتهم ، وهول ما أقدعوا عليه . (٧) لكالوك : أى لقد كالوك من لؤم سحبتهم صاع العدر ، وكلتهم صاع الجزاء . والمسقوه على غدرهم ، وللمطرب : فى الأصل اللقوس اللوحوس من طرب الكيل قمه ويحسه ، وقد استعمل بمعنى الزاوى وهو المراد هنا .

(٨) لعد حاولوا المعطى : أى التمسك المعطى ، التى لا شوى لها : أى التى لا تصيب الأطراف ولكن تصيب للقاتل ، وأعلمهم عقد : أى رأى وتدير من همك وهزلك ، محصف : محكم شديد لاحتلال فيه .

وَمَا رَأَيْتَ الْعَذَرَ هَبَّ نَسِيمُهُ تَلَقَّاهُ إِعْصَارُ لِبَطْشِكَ حَرْجَفُ^(١)
 أَظَنَّ الْأَعَادِي أَنْ حَزَمَكَ نَأْمُ لَقَدْ تَعَدَّى الْفَسَلُ الظَّنُونُ فَخُلِفُ^(٢)
 دَوَاعِي نِفَاقٍ أَنْذَرْتُكَ بِأَنَّهُ سَيَأْشُرِي وَيَذْوِي الْعُضْوُ مِنْ حَيْثُ يُشَافُ^(٣)
 تَحَمَّلْتَ عَيْبَ الدَّهْرِ عَنْهُمْ وَكُلَّهُمْ بِنِعْمَاكَ مَوْصُولُ التَّعَمُّ مُمْرِفُ^(٤)
 فَإِنْ يَكْفُرُوا النِّعْمَى فَلَنَكْ دَارُهُمْ بِسَيْفِكَ قَالِحُ صَفْصَفُ الرَّسْمِ تُنْسَفُ^(٥)
 وَطَى الثَّرَى مَتَوًى يَكُونُ قُصَارُهُمْ وَإِنْ طَالَ مِنْهُمْ فِي الْأَدَاهِمِ مَرَسَفُ^(٦)
 وَبُشْرَاكَ عَيْدُ الْبَشَرِ مُظْلَلُ وَحَالِظُ فِي نَيْلِ الْغَنَى مُتَكَنَفُ^(٧)

(١) النسيم : الريح تهب هبوباً خفيفاً ، والأعصار : الريح الشديدة التي تهب من الأرض ، وشبه العاصف مبرقع كالعمود إلى نحو السماء ، وهي التي تسمى بالرومة ، وفي لائل « إن كنت ريحاً فقد لافيت إعصاراً » يصرح بالرحل يأتي ندمه في السالة والقوة ، والخرجف : البارد وصف بها الأعصار . وفي الأصل « خرجب »
 (٢) الفصل : الرذل الذي لا أحق ، ولغني لم يتحمس على الأعادي أو تدبيرك بأنه عن كيدهم وعدهم
 وكثيراً ما أهد الضول الحق الأرواح فتعلمهم .

(٣) يشرى العصور . أي يظهر عليه ورم وفروح حجاج إلى الكي ، وذوي . بدل ويسر ، وبشأف
 أي تكوي شافته أي قرحة لتدب بالكي ، والتي تمشي على طائفه - م فيها العاق والدر مكاب بالسرور
 الرئيس له ، الفاء فلم يكن يد من معاضه الكي لاستقصاء شافته ، وفي رواية « يدوي العصور »
 (٤) أي كبيتهم مؤوه السعي ، وحلت عنهم الماء ، مكاب في ظل حماك دائم النعم والتوف .

(٥) قصارهم . بكال نصرك وقصارك وقصارك أن تفعل كذا أي عابك ، والأداهم : القيود إحداهما
 جمع أدهم وتسمى بالأسود أيضاً ، والرسم . مصدر ميمي من الرسا وهو مسى التقي ، أي أن هؤلاء
 الأعداء سيكون ما لهم أن يموتوا في الحس ، حد إن تطول عليهم مدته .

(٦) احتفل إلى ذكر مطهر من مظاهر البهولة عند روح الملك أملاة العبد ، وترتب الملكة في ذلك
 على ما يؤخذ من مسح الأعشى أن يادي في طامة الله ، وأهل الأسواق ليلة العيد يجرح أهل كل مساعة
 بظاهر الله ، ويسحق أهل كل سوق ماجة ، متعبلين بأحسن الثياب ، وكل منهم متكب موساً أو مقلد
 سيبا ، ومع أهل كل سوق علم يخص به ، عليه ربك أهل تلك الصاعه عما يباسهم ، ويكر الملك بالركوب
 ميرك وهي يمه وبشاره فارسان ، ومملك ركاية رحلان مقلدان مسجيين ، ويركب السكر منه مينة
 ومبيرة ، ويصطف الناس صغوا يمشون قدامه ، والمولوج حله ملصون به ، والأعلام منشورة وراعه ،
 والطبول حله حتى يمشي العيد ، ثم يعود يصرف طامة الشعب ويعد السباط فيضرب طعانه حواصه وأحيان
 مملكته ، ومعنى البيت أنه يمشيه باليد : بهذه السرور ، وبكتمه الحظ بلوغ للقي .

بَشِيرٌ بِأَعْيَادِ ثَوَافِيكَ بَعْدَهُ كَمَا يَنْسُقُ النَّظَمَ الْمَوَالِي وَيَرْصُفُ^(١)
 تَجَرَّدَ فِيهِ سَيْفُ دَوْلَتِكَ الَّذِي دِمَاوُ الْعِدَى دَأْبًا يَفْرِيهِ تُطْلَفُ^(٢)
 هُوَ الصَّارِمُ الْمَضْبُ الَّذِي الْعَزْمُ حَدُّهُ وَحَلِيَّتُهُ بَذْلُ النَّدَى وَالْتِمَعُفُ^(٣)
 مُهَامٌ تَمَّا لِلْمُلْكِ إِذْ هُوَ يَافِعُ وَتَمَّتْ لَهُ آيَاتُهُ وَهُوَ خُلْفُ^(٤)
 كَرِيمٌ يَمُدُّ الْحَمْدَ أَتَقَسَّ قِنِيَّةُ فَيُولَعُ بِالْفِعْلِ الْجَبِيلِ وَيُشْنَفُ^(٥)
 غَدَا بِجَحْمِيسٍ يُقْسِمُ النَّعِيمُ إِنَّهُ لَا خُفْلَ مِنْهَا مُكْفَهَرًا وَأَكْثَفُ^(٦)
 هُوَ النَّعِيمُ مِنْ زُرْقِ الْأَسِنَّةِ بَرْقُهُ وَلِلطَّبْلِ رَعْدُ فِي نَوَاحِيهِ يَقْصِفُ

* *

فَلَمَّا قَضَيْنَا مَا عَنَّا أَذَاؤُهُ وَكُلُّ بِمَا يُرْضِيكَ دَاجٍ قُلْحِفُ^(١)
 قَرْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ حَمْدَكَ إِنَّهُ لَا وَكَدُ مَا يُحْطَى لَدَيْهِ وَيُزْلِفُ^(٢)

(١) نسق النظم : أى يتابع فيه ويجمعه على طريقة نظام واحد ، ويرصف : أى يعظم ويمجد ، والمعنى
 هذا العبد شير أعياد تأتى صدق على صدقه وترثيه .

(٢) ربه : محبته ، وتطلف : تتهذر من قولهم ذهب دمه طلقاً أى هدرأ .

(٣) اللام الباع الذى سارف الاحتلام ، واحلف : الذى احتلب بطرالباس فيه معضم يقول قد احتلم
 وأدرك ، ومعنى يقول غير مدرك ، والمعنى ساءت به إلى الملك وهو دون الاحتلام ، وتمت له علاماته
 ورسومه ومجراته ، وهو مشكوك فى احتلامه .

(٤) الجيش : الجيش الحرار التام العرق من اللقمة والليمة والليمة واللب واللب واللب وأراد به السكر
 السائر فى موك الملك حد حروجه لصلاة العبد ، واللب : السحاب ، واحلف : أى أكثر منها احتشاداً
 واحتكاماً فى حال كونه (مكهراً) أى مظلم أسود لما على الجبد من الغرور والسلاح ، وأكثف : أى
 أكثر كثافته ، وتراكب من السحاب لشدة الرحام وكثرة العدد وأعاد السير فى قوله (منها) على السم مؤثراً
 مراعاة للمعنى . (٥) أى طأ أدياً ما أمها أذاؤه من صلاة العبد : وكل الناس داج فلح فى الدماء
 بما يرضيك ، وحواسلها تأتى بعد .

(٦) يحطى : أى يوح المحطوة والتصيل ، ورلف : يقرب ، والمعنى : ولما اتفينا من صلاة العبد
 حمداً من حمد الله والتفاء عليك لأنه أبلغ فى بلوغ المحطوة لديه ، والرلى إليه

وَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي هُوَ كَمَنَّةٌ يُعَادِيهِ مِنَّا نَازِرٌ أَوْ مُطَرَفٌ ^(١)
فَإِذْ نَحْنُ طَالِعُنَاهُ وَالْأَفْقُ لَا بَسٌ تَحَاجَّتْهُ وَالْأَرْضُ بِالْخَيْلِ تَرْجُفُ ^(٢)
رَأَيْنَاكَ فِي أَغْلَى الْمَصَلَى كَأَنَّمَا تَطْلُعُ مِنْ عِجْرَابِ دَاوُدَ يُوسُفُ ^(٣)
وَلَمَّا حَصَرْنَا الْإِذْنَ وَالْمَدَهْرُ حَادِمٌ تُشِيرُ فَنَمْضِي وَالْقَصَاءُ مُصَرَفُ ^(٤)
وَصَلْنَا فَقَبِلْنَا الْبَدَى مِنْكَ فِي يَدٍ بِهَا يُتَافَأُ الْمَالُ الْحَبِيمُ وَيُخْلَفُ

* *

لَقَدْ جَدْتِ حَتَّى مَا يَنْفُسِ خَصَاعَةٌ وَأَمِنْتُ حَتَّى مَا يَنْفُسِ نَحْوَةٌ

(١) يعاديه أى ، اكروه ومددوه فيه فى أول النهار ، والمطرف أى يدعى الطرف فى القصر من حب وإعجاب ، وهو فى الأصل الذى أصاب طرفه أى عنه عود هودناً أى طرفة فى الشيء ، ولا يجمع مرفه أو هو اسم فعل من طرف الشيء أحده ، فاب الشاهر

أطرف أكباراً كأن وجههما - وجهه عذارى حبر أن تقضا

(٢) مثاله : أى القصر ، والمعاجة ، مثله سائر أصل من النار ، وترحب اضطرب .

(٣) المصلى : للكل بعد الصلاة العيد ، وقضاء طلع وأشرف عليهم من عجرا ، ودوى عن الزحاح قوله تعالى « وهل أباك من الخمر إذ تسروا العجرا » إذ دخلوا على داود ، قال العجرا أربع بيت فى الدار ، وأربع مكان فى المسجد ، ونعمى . رأيتك حين عودتنا إلى القصر ومطاعنا . أى مشرفاً بأعلى المصلى من عرفة فصر كأتى أرق من عجرا داود فى يوم نسكه وعادته وجه يوسف رائياً فى حبه وحاله .

(٤) قال ابن سناء

وقوله ولما حصرنا الأدن البيت مع الذى حده أرى أنا الوليد احتدى فيه حدو لوليد فى أيات أشدها لحسنها وحى من أحسن ما بلى فى الحية

ولما حصرنا سدة الأدن أحرقت رجل عن الباب الذى أما داخله
فأصغت من قرب إلى ي . ١٠ أقال بدر الله حين أقامه
كما انتصب الرمح الردى ضمت أما يسه وأمر لطف عامه
وكالدور واجته لم سموده وتم ماء واستهل مارله
وسللت فاضحات حانى حبه تناهى الخول الذى أما قائله
طما تأملنا الطلالة واشى إلى بنشر آسنتى محابه
دونت ضلت الذى من يداسرى كرم محابه - سلط أماله
صفت مثل ما يصمو المدام حلاله وركت كما رقت السيم شلاله

وقول ابن زيدون وصلنا قبلى الذى من يداسرى معى مليح ولطيف صحيح ، إلا أنه كارتاه ليط بيتا بحتى ويقول حسن أدياننا إن ابن زيدون بحتى زماننا وصعدنا لأه حدا حدو الوليد فى بطن قصائده .

وَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمُحْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ وَلَا ذَلِكَ مُقْتَادٌ وَلَا لَانَ مَقْطِفٌ
لَكَ الْخَيْرُ، أَنِّي لِي بِشُكْرِكَ نَهْضَةٌ وَكَيْفَ أُودَى قَرْضَ مَا أَنْتَ مُسْتَلِفٌ^(١)
أَفْذَنْتَ بِهِمَ الْحَالِ مِنِّي غُرَّةً يُقَابِلُهَا مَارَفُ الْجَمُوحِ فَيُطْرِفُ^(٢)
وَبَوَّأْتَهُ دُنْيَاكَ دَارَ مُقَامَةٍ بِحَيْثُ دَنَا ظِلٌّ وَذُلٌّ مَقْطِفُ^(٣)

✱ ✱

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَلْبِسَتْهَا مُنْدَسِيهِ أَسْرَبَلُهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَالْحَفْ
مَوَاهِبُ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّمَا مِنَ الْمَزْنِ تُمَرِّى أَوْ مِنَ الْبَحْرِ تُغْرِفُ
فَإِنْ أَكْ عَبْدًا قَدْ تَمَلَّكَ رِقَهُ فَأَرْفَعُ أَحْوَالِي وَأَسْتَفِي وَأَشْرَفُ^(٤)

(١) نهضة : أى ضامة وقدرة أى كيف يكون لى قدرة على القيام بشكرك ، ومسلم : اسم فاعل من أسلفه أى أمر ، وفى رواية : « قَرْضَ مَا أَنْتَ مُسْتَلِفٌ »

(٢) المسمى اكسدت سواد الحال أى مرة ببداهة وواجهها طرف الطدوح الذى يند صهرا إلى الشىء يطرف أى يندت فيها نظره من قولهم هلال مطروف العين سلال إذا كان لا يطر إلا إليه .

(٣) أى أزلنى وأحلى من دنيائك الشبهة بدار للعامة حنة دنا ظلها ودلت قلوبها .

(٤) فان أك : أى أولئنى من لم عهداً موهوباً لك هى أحد انبأى إليك ماله ووده والرق اسى أحوالى وأرسمها وأشرفها ، قال أبو القليب اللتى « ومن وجد الاحسان بيذا نعيذا » .

ولذكر - بمناسبة هذه القصيدة القصيدة التى قالها ابن رندون بحترى العرب فى المعتضد باقة بمناسبة عيد الأضحى - قصيدة بحترى الشرق التى قالها فى الموكل بمناسبة عيد العطر - ليرى القارى صورتيين قاربت بينهما اتحاد العرس والشاعرية وان احتلعت القافية والعصر :

الله مكر قحلية حمير ملكا يحسه انطليعه حمير
نعمى من الله اصطفاه فعلاها والله ردى من يشاء ويغدر
عاسم أمير المؤمنين ، ولا تزل تعطى الريادة - والثناء - وتشكر
من مواضع الحرية ، هاقى فيها القتل على العلى والمسكر

✱ ✱

بالرصد - وأنت أصل صائم - وبسبه الله الرصية تهمز
فانعم بيوم العطر هيا ، إنه يوم أمر - من الزمان - مشتم
أظهرت عز الملك فيه يحتفل له ، يحاط الدين فيه ويمر

في طروشة (١)

عَرِيبٌ بِأَقْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا (٢)
تَحْمَلُهَا مِنْهُ السَّلَامُ إِلَى الْغَرْبِ
وَمَا خَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي أَحْتِمَالِهَا
سَلَامٌ هَوَى يَهْدِيهِ جِسْمٌ إِلَى قَلْبِ (٣)

حدا الحال كبيره ، وقد عدت
طاليل نصل ، وأمواس ندى ،
والأرس حاشية تبتدئ ثقلها ،
والشس مامة توبد بالمعنى
حتى طلت صوء وحك ، هكك
واقى فيك الأطرود ، فوسع
يمجدون رؤيك التي هروا بها
دسكروا ظنك الي هلالوا
حتى انتهت إلى المصلى فأسأ
ومثيت مشية حاشع مواضع
وإن مشه تكب فوق ما

عنداً يسيرها العديد الأكثر
والدس تلح ، والأسسة رهز
واغو متكر الحوالب أعمر
مورا ، وطفها المعاح الأكثر
تلك الدس ، والنحال ذلك المتبر
يوى ذك بها ، وعين تعار
من أم الله الأق لا تكمر
لما طلمت من الصعوف وكروا
بور غسى يسوء عليك ويظهر
فه لا يرهي ، ولا يتكمر
في وسوء لسي إليك الممر

أبنت من صلل الخطاب بحكمة
وولفت في رد الي مذكرا
وواعط شعت الصدور من الذي
حسنى لقد علم الجول وأخلصت
صلوا وراهك آحدين نصمة
فاسلم بجمرة الآله فلم يرل
الله أعطاك الحب في الوري
ولأت أملاً لعيون لعيه

تبي عن الحق المسير وتحمر
الله تسدر تارة وتفسر
بتأدها وشفاؤها معدو
من المروى واحتدى التنجبر
من وهم وبدمة لا تحمر
يبب الذنوب لمن يشاء ويحمر
وحاك بالفصل الذي لا يكر
وأحل قدراً في الصدور وأكرم

(١) هي مدينة بأقصى الشرق من الأندلس على البحر الأبيض المتوسط ، وهي من أعمال بلنسية . قالوا :
وكانت متنة العمارة ، وهي من العرس البحرية التي يتنابها التجار ويسافرون منها إلى سائر الأعمار ، وقد
استول عليها الأفرنج وعلى جميع حصونها في سنة ٥٤٣ هـ (٢) ربح الماء ، وهي التي تب من
للشرق ، وتقال لها الدبور (٣) ليت الماء تحتل أعاسها سلاماً من جسم في الشرق إلى مؤاده الباقى
هذه في العرب ، وقريب من هذا للمي قول عبد الرحمن الباخل « صقر قریش » :

إن حسي كما علمت بأرضهم ومؤايدى وساكنيه بأرض
فسدر الله بالفراق طيله فسي اختاماً سوف ينفي

إلى الوزير أبي عبد الله^(١)

« لم تل الأيام تدنى » ابن ريدون « وتعدده ، وتسوؤه وتسعده ،
وتقذفه إلى كل نارح ، وتطوف أمله عين اللاعب المارح ، حتى
أحله « بلسية » وهلال ذكائه كما أمر ، وعصن ساهته نابع قد أثمر ،
وبوعد العرير غرر ملكها ، ودرر سلكها ، يهضون محور الندى ،
ويومضون في كل مسدى ، حل مهم محل الجيا في الكؤوس ،
ورقع مهم موقع الدشائر في الدفوس ، وأقام بين مرة تواصله ، ومسرة
تعارله ، ومكارة تعاديه ، ومحاملة كراخ القطر وعاديه ، فلما حصل ،
وحصل ما حصل ، تذكر عدد رهة ذلك العيش وبور عمره قد
صوح ، وعصن سه قد دوح ، فلم يجد إلا له طيبا ، ولم يهصر غير
فه عصا رطبا ، فكتب إلى ابن عبد العرير^(٢) :

رَاحَتْ فَصَحَّ^(٣) بِهَا السَّقِيمُ رِيحٌ مُعْطَرَةٌ النَّسِيمُ
مَقْبُولَةٌ هَبَّتْ قَبُو^(٤) لَا^(٥) فَهِيَ تَعْبُقُ فِي الشَّيْمِ^(٦)
أَفْضِيضُ مِسْكٍ أَمْ بَلَدٌ سَيِّئَةٌ لِرِيَّاهَا^(٧) نَعِيمٌ^(٨)
بَلَدٌ حَبِيبٌ أَفْقُهُ لِفَتَى يَحُلُّ بِهِ كَرِيمٌ

(١) هو الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز . (٢) فلان المدنيان .

(٣) وفي رواية « راح لها السقيم » راحت أي ردت وطابت ، وراح لها السقيم من قولهم : « راح
للأمر يراح » إذا أحسنه أريحه وحة ونشاط ، أي فارتاح لطيها السقيم .

(٤) القول : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور أو لأن العس تبليها .

(٥) أي أن ريح الصبا تحمل معها عطرا تنسم منه طيب الشدى .

(٦) لريحها الطيبة ؟ (٧) يقول لمن سمى بلاتية الشدى الذي تستروح العس إليه مدهة عليا .



أَيْنَا أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ دُعَاءُ مَطْلُوبِ الْغَرِيمِ (١)
 إِنَّ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِكَ فَالْمَذَابُ بِهِ أَلِيمٌ (٢)
 أَوْ أَتْبَعْتُكَ حَيْنَهَا نَفْسِي فَأَنْتَ لَهَا قَسِيمٌ (٣)
 ذِكْرِي لِمَهْدِكَ كَالشَّهَاءِ دِ (٤) مَرَى قَبْرِحَ بِالسَّلِيمِ
 مَهْمَا ذَمَّمْتُ فَمَا زَمَا نِي فِي ذِمَامِكَ بِالذَّمِيمِ (٥)
 زَمَنْ كَمَا لَوْ الرِّضَا عِ شَوْقُ ذِكْرَاهُ الْفَطِيمِ (٦)
 أَيَّامٌ أَغْقَدُ نَاطِرِي بِذَلِكَ الْمَرَأَى الْوَسِيمِ (٧)
 فَأَرَى الْقُوَّةَ غَضَّةً فِي نَوْبِ أَوْاهِ حَلِيمِ (٨)
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّكَ مِنْ قُوَادِي بِالصَّيْمِ (٩)
 وَلَنْ تَحْمَنَ عَنْكَ لِي جِسْمٌ فَخَنَ قَلْبِ مُقِيمِ (١٠)

- (١) أيها : بكسر الهمزة بمعنى ردى من الحديث ، وفتحها معنى اكعب واسكت ، أو لتعبد بمعنى هيبات ، أى مد دعاء مطلوب الغريم ، والغريم : الأمر الذى عليه العليم ، والمعى هيبات يحدى دعائى وأنا من فلتنة الحادثات على أسره . وفى الأصل : « مطلوب الغريم »
- (٢) لى الصدر إذا صهرت مرافقك وعيل صبرى فقد اشتدت فى الألم لعادتك .
- (٣) القسيم : شطر الشيء المقسوم ، أى أنت شطر نفسى الثانى فلا مى لى عك .
- (٤) وفى الأصل : « كالصناد »
- (٥) العلمام : الحنى والحزمة ، والمعى مهما دمت : من عهد الرمان العادر مل آدم ذلك العهد الجيد الذى قصته عليك وصمت فيه قريك ووطايك .
- (٦) وقد كان فى ذلك العهد المحبوب ممت ذكريات سارة أس إليها كما يحس الطفل المفقود لى عهد الرضاع القريب . وفى الأصل « زمن كالون الرضاع » (٧) أيام ينعم ناظرى برؤية محياك البهى .
- (٨) الأواه : الكبير التأوه إشماماً ومرقاً ، قالوا : « وهو الكبير التضرع والدعاء أو الحزن والبكاء أو هو الرحيم الرقيق » والمعى : فأرى الفتوة - فى صولتها - مقترنة بالخشية والنصرع والحلم ، وفى الكتاب الكريم : « إن لإبراهيم عليه آواه ميب » (٩) الصيم : الحس أو الحالى .
- (١٠) وإذا رحل عك جسمى فان قلبي لم يرحل منك ولم يحل من حبك هو ثابت مقيم عندك .

قُلْ لِي بِأَيِّ خِلَالٍ سَرَزْ وَكَ^(١) قَبْلُ أَفْتَنُ أَوْ أَهْمُ^(٢)
 أَيْبَجِدُكَ الْمَتَمَّ^(٣) الَّذِي نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيمِ^(٤)
 أَمْ ظَرَفِكَ الْخُلُو الْجَنَى أَمْ عِرْصِكَ الصَّافِي الْأَدِيمِ
 أَمْ يَرْكَ الْعَذْبِ الْجَمَا مَ، وَبِشْرِكَ الْغَضِّ الْجَمِيمِ^(٥)
 أَمْ بِالْبَدَائِعِ كَاللَّآ لِي مِنْ تَشْيِيرٍ أَوْ قَطِيمِ
 وَبَلَاغَةٍ إِنْ عُذَّ أَهْلُهَا فَأَنْتَ لَهُمْ زَعِيمِ
 فَقَرَّ نُسُوحُ بِهَا الْمُدَا مُ إِذَا تَكَرَّرَهَا النَّدِيمِ^(٦)
 إِنْ أَشْمَسَتْ تِلْكَ الطَّلَا قَةً قَالَنَدَى مِنْهَا مُقِيمِ

* *

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْخُطُو طَ حَبَاكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ
 لَا أَسْتَرِيدُ اللَّهَ تُنْصِي فِيكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ
 فَلَقَدْ أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنَّكَ غُرَّةُ الزَّمَنِ الْبَهِيمِ
 حَسْبِي الشَّنَاءُ لِحُسْنِ بَرِّكَ مَا بَدَا بَرَقَ قَشِيمِ^(٧)
 ثُمَّ الدُّعَاءُ بِأَنْ تَهْنَأَ طَوَّلَ عَيْشِكَ فِي نَعِيمِ
 ثُمَّ السَّلَامُ تُبْلَغْنَهُ فَعَيْبُ، مُهْدِيهِ سَلِيمِ^(٨)

-
- (١) السرو : العسل والسعاء و الرواة . (٢) لاني لا أدري أى خلال صلتك جدير بالاشارة والفتويه ، وأى زيارتك حدير بأن يهيم به طورك ويشتف (٣) الشامل .
 (٤) اعظم المجد الحديث ، والمجد القديم . (٥) الحام - جمع جة بتشديد الليم - الماء الكثير المجمع ، يقال : جت البئر جوما ، إذا اجتمع ماؤها وارتفع بعد نزح ما فيها ، قال زهير :
 « ولما وردت الماء زرقا جامعا ومنعنى الحاضر للتخيم »
 والجميم : الثبت الكثير . (٦) كلمات تمذهب بها الجمر إذا ردها القديم .
 (٧) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين ينظر ، وفي الأصل : « لحسن برتك » .
 (٨) وفي رواية : « ثم السَّلَام ببلنسه بقلب مهديه السلام »

جَوَابُ كِتَابِ

« كتب إليه الوزير أبو بكر بن الطيبي :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار

وقلّ منا ومك اليوم زوّار

ويسا كل ما تدر به من ذم

وللصا ورق خصر ونوّار

وكل عتب وإعاب حوى الله

مواقع حلوة عسدى وآثار

فادكر أحاك غمر - كلما لعت

به اللبالي - طان الدهر دوّار »

فجابه بديها في طور رفته : »

لَوْ أَنَّنِي لَكَ فِي الْأَهْوَاءِ مُخْتَارُ لَمَّا جَرَّتْ بِالَّذِي تَشْكُوهُ أَقْدَارُ

لَكِنَّهَا فِتْنٌ فِي مِثْلِ غَيْبِهَا تَعْمَى الْبَصَارُ إِنْ لَمْ تَعْمُ أَبْصَارُ^(١)

فَأَحْسِنِ الظَّنَّ لَا تَرْتَبْ بِهَدِ فَتَى تَعْفُو الْعُهُودُ وَتَبْقَى مِنْهُ آثَارُ

لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمُنَى فِي الْأَمْرِ يُمَكِّنُهُ لَمَّا أَغْبَكَ - يَوْمًا - مِنْهُ زَوَّارُ^(٢)

فَلَا يَرِيْنُكَ فِي ذِكْرِ الصَّدِيقِ بِهِ مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ أَنَّ الدَّهْرَ دَوَّارُ

(١) لو كلال في الخيار فيما تهواه وتجه لما جرى القدر بما يسوءك ويمتلك على الشكوى ، ولكنه قدو

لا سبيل إلى رده ، وقته فضل في قيامها القول ونصى الأصار

(٢) لو كان الأمر يمدى لما تعلمت عن ريارتك يوملاواه

في الغزل

وَضَحَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَتَقَى الشَّكَّ الْيَقِينُ
وَرَأَى الْأَعْدَاءَ مَا غَرَّ تَهْمُ مِنْهُ الظُّنُونُ
أَمَلُوا مَا لَيْسَ يُعْنَى وَرَجَوْا مَا لَا يَكُونُ
وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونُ الْمَهْمَةَ مَوْلَى لَا يَخُونُ^(١)
فَلَمَّا الْغَيْبُ سَلِيمٌ وَإِذَا الْوُدُّ مَصُونُ^(٢)

* *

قُلْ لِمَنْ دَانَ بِهَجْرِي وَهَوَاهُ لِي دِينُ
يَا جَوَادًا بِي إِيَّايَ بِكَ وَاللَّهِ صَنِينُ
أَرْخَصَ الْحُبُّ قُودِي لَكَ وَالْعَلَقُ^(٣) تَمِينُ

* *

يَا هِلَالًا تَتَرَا نَاهُ نُفُوسٍ لَا عِيُونُ
حَبَابًا لِلْأَتْلَبِ يَقْسُو مِنْكَ وَالْقَدُّ يَلِينُ^(٤)
مَا الَّذِي ضَرَّكَ لَوْ سُرَّ بِمِرَاكِ الْحَزِينُ
وَتَلَطَّفْتَ لِصَبٍّ حَيْثُ^(٥) فَيْكَ يَحِينُ
فُوجُوهُ الْفُظْ شَتَّى وَالْمَعَاذِيرُ فُتُونُ^(٦)

(١) وفي رواية : وتموا أن يخون ال جدد مولى لا يخون
(٢) غاب ظن الأعداء وظهر أنني لم أكن لمولاي عهداً ، وأن إخلاصي ووفائي لها سليلك وودعي له لا ينقض
(٣) النيس ، وفي رواية : « والعلق التمين » .
(٤) وفي رواية « والمك يلى » . (٥) حلاكه . (٦) شقى .

في مدح ابن جهور

قل بمدح الوزير الأجل محمد بن جهور بن محمد بن جهور :

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّقِيعَ شَبَابُ فَيَقْعُرُ عَنْ لَوْمِ الْمَحِبِّ عِتَابُ ^(١)
 عَلَامَ الصَّبَا غَضُّ يَرْفُ رَوَاؤُهُ إِذَا عَنَّ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ ذَهَابُ ^(٢)
 وَفِيمَ الْهَوَى مَحْضٌ يَشِفُّ صَفَاؤُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَنْهُ تَوَابُ ^(٣)
 وَمُسْعِفَةٍ بِالْوَصْلِ إِذْ تَرَبَّعُ الْحَمَى هَلَا كُلَّمَا قَطْنَا الْحَنَابَ حَنَابُ ^(٤)
 تَطْلُنُ الذُّوَى تَعْدُو وَالْهَوَى عَنْ مَرَارِهَا وَدَاعِي الْهَوَى نَحْوُ الْبَعِيدِ مُجَابُ ^(٥)

- (١) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ حَسْرَةَ الْحُبِّ إِذَا حَسِيَ دَمًا هُوَ مُسَارَةُ شَاءَ ، وَأَنَّ الشَّابَّ لَحَسَى فِي الْأَعْيُوبِ وَلَمَّا فِيهِ مِنَ الْقُرْبَى وَالْمُحِبَّةِ يَتَرَفَّعُ فِيهَا فِي تَحْيِيزِ الْعُقُوبَةِ وَتَنْزِيلِهَا مِنْ لَوْمٍ عَيْفٍ إِلَى عِتَابٍ حَمِيفٍ يُلَطِّفُ مَدْلَهُ عَلَى الْقَلْبِ ، وَإِذَا كَانَ الشَّابُّ حَسِرَ شَامِعٌ لِلْحَسَنِ فَإِنْ أَحْمَرَهُمْ بِالْإِقْصَارِ عَلَى الْوَمِ ، وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَ عُلْفَةِ :
- فَانْ تَسْأَلُونِي دَلَسَاءَ ، فَاغِي حَسِيرَ بِأَدْوَاءِ النَّسَاءِ طَلِبِ
 إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ تَلَّ مَالَهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدَعِي صَبِ
 يَرُدُّ نَرَاءَ الْمَالِ جَيْثَ وَحْدِهِ وَضَرَحَ الْقِيَابِ عَنْهُمْ عَجَبِ
- (٢) غَضُّ : طَرَى نَافِصٌ ، يَرْفُ رَوَاؤُهُ : يَتَرَفَّقُ فِيهِ مَاءُ الْحَسَنِ ، وَالرَّوَاءُ الْحَسَنُ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : وَمَا قَبِيحَةُ الشَّابِّ وَصَارَةُ الصَّبَا إِذَا احْتَقَا فِي تَرْغِيبِ الْحَسَنِ وَعَجَزَا عَنْ اكْتِسَابِ وَدَعِي .
- (٣) مَحْضٌ : حَالِي لَا شَائِلَةَ فِيهِ ، وَشَفُّ مِنْ شَعُوبِ الْمَاءِ أَيْ يَشْفِي مَا وَرَاءَهُ أَيْ وَفِيمَ حَبَابٍ حَالِي لَا يَشُوبُ صَعَادَةً كَثِيرَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَسَنِ مَثْوًى فَهُوَ وَجَزَاءُ عَلَيْهِ .
- (٤) لِلرَّوْعِ : لِلْوَسْعِ الَّذِي يَقُولُونَ بِهِ زَمَنُ الرَّبِيعِ ، وَالْحَمَى : مَوْسِمٌ فِيهِ كَلَامٌ بِحَمِيهِ أَهْلِهِ مِنْ أَنْ يَرْطَاهُ غَيْرُهُمْ ، وَقَطْنَا : مِنَ الْقَبِيطِ وَهُوَ صَيْبٌ الْقَبِيطِ يُقَالُ قَطْنَا بِمَكَانٍ كَذَا أَيْ أَقْبَا فِيهِ زَمَنُ الصَّيْبِ وَالْقَبِيطِ وَالصَّيْبُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالْجَنَابُ الْأَوَّلُ مَا قَرِبَ مِنْ عَجَّةِ الْقَوْمِ أَيْ قَطْنَا فِي الْمَكَانِ الْقَرِيبِ مِنَ الْحَمَى وَاتَّخَذْنَاهُ مَصِيفًا لَنَا ، وَالْجَنَابُ الثَّانِي النَّاحِيَةُ ، أَيْ رَبِّ حَسَاءَ تَسْمَعِي بِوَصْلِهَا كُلَّمَا اتَّخَذْنَا حَاسِبَ الْحَمَى مَصِيفًا لَنَا وَكَانَتْ لَهَا نَاحِيَةُ الْحَمَى سَكْنًا فِي زَمَنِ الرَّبِيعِ ، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ جَنْسٌ مُتَكَثَرٌ كَمَا تَرَى .
- (٥) تَطْلُنُ مَسَافَةً لِمَدَّ يَدَيْهِ وَيَتَنَا تَصْرِفُ مَعْنَى عَنْ زِيَارَتِهَا وَالْحَالُ أَنَّ دَامِي الْهَوَى الَّذِي يَدَايِي مِنْ نَاحِيَتِهَا مُجَابٌ لِنَعْوَةِ .

وَقُلْ لَهَا نِصْوَةٌ بَرَى تَحْفُضُهُ الشَّرَى وَبَهْمَاءُ غُفْلٌ الصَّخَصَعَانِ تَجَابُ^(١)
 إِذَا مَا أَحَبَّ الرَّكْبُ وَجْهَهَا مَضُوءَالَهُ فَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَحْبُ رِكَابُ^(٢)
 عَرُوبُ الْأَحْتِ مِنْ أَعَارِبِ حِلَّةِ تَجَاوَبُ فِيهَا بِالصَّهِيلِ عَرَابُ^(٣)
 غِيَارِي، بِنِ الطَّيْفِ الْمَعَاوِدِ فِي الْكَرَى مُشِيحُونَ مِنْ رَجْمِ الظُّنُونِ غَضَابُ^(٤)
 وَمَاذَا عَلَيْهَا أَنْ يُسْتَنَّى وَصَلَهَا طِمَآنٌ - فَإِنْ لَمْ يُغْنِنَا - فَضِرَابُ^(٥)
 أَلَمْ تَذَرِ أَنَا لَا نَزَاحُ لِرِيَّةِ إِذَا لَمْ يُمْلَعِ بِالنَّجِيعِ خِضَابُ^(٦)
 وَلَا نَشَقُّ الصِّطْرَ النَّوْمَ أَرِيحُهُ إِذَا لَمْ يُشْمَعِ بِالْمَجَاجِ مَلَابُ^(٧)

(١) النِّصْوَةُ : المَهْزُولُ والمُرَادُ به البعير الذي أصابه السر أي أمزله ، وري عصه البرى : أي أدهب لجه البعير بالليل ، والبهماء : الغنم لا يهتدي فيها ، وغفل : أي لا علامة بها ولا أثر يعرف ، والمصحفان : المستورة الحرداء ، أي وتل هذه المحبوبة الثانية سير أصابه السر ولاة محبولة لا أثر لها لصاراة والطرق تحاب وتطع سيرا لأحلبها . (٢) في معنى هذا البيت قول الشاعر :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لِسِلَى أُرُورَهَا أَرَى الْيَدَ تَطْوِي لِي وَيَدُو بِمِيدَهَا

(٣) العرُوب : الطيبة لروحها المنعجة إليه ، والأحت : ظهرت أولوت طرف شيء من مكان بعيد والأعارب : الأعراب ، والحلة : مجتمع الثوب ، والعراب : الخيل العربية ، والمعنى : روعة من طاعة روحها والتحب إليه بحيث لا تلتفت إلى غيره . قد لوحظ بطرف منديل أو نحوه من ناحية الحلة التي ينزل بها أولئك الأعراب البيروني حيث ارتطوا خيولهم وركبوا رماحهم .

(٤) غياري : جمع غيران من الغيرة وهي الحمية والأفقه . يقال رجل غيور على أهله وكذلك غيران والأشئ غيبي ، والمشيح : المحدث المجد للسرع إليك لمداصة الموت أو الدفاع عن الحرم ، ومنه قوله .

أَتَى لِي هَمِي وَأَيُّ بِلَاقِي وَأَحْدَى الْحَمْدِ نَائِمِي الرِّيحِ

وَأَقْدَمَ عَلَى الْمَكْرُوهِ مَسِي وَضَرَى حَامَةَ الْبَطْلِ لِلشَّيْخِ

(٥) مَسِي : أي يسهل ويسير ، ومنه نسي له كذا أي تسهل وتيسر ، وقال الشاعر :

وَأَعْلَمُ مَا لَيْسَ بِالطَّنِّ أَنَّهُ إِذَا اللَّهُ سَيَّهَقْدَ فِيهِ تَيْسِرَا

والمعنى : وأي نعمة ولوم عليها في أن يسهل الطريق إلى وصلها مطاعة بالرمح فان لم تنص فصارية بالسيوف (٦) نزاح : كساحف من قوهم فلان يراح للمعروف إذا أحدث له أريحية وحقة ، ويطع أي يلون بلون التجميع أي الدم ، يقول عن لا يستريح لوصول الغايات إذا لم تدفع عنه من دم الأعداء .

(٧) النجوم : مبالغة في الظلم كمن به عن سطوع الزائفة ، والأريج : ما يروح من الطير ، ويشممع : يختلط ، والمعاج : النار ، والملاط : كسحاب الطير ، أي لا يستريح إلى اشتاق عطرها من الساطع الأريج إلا بعد امتشاق الحسام ، واختلط ما تثيره سنابل الخليل من الغراب ، بما يروح من رائحة الللاب ، والمعنى أنه لا يجب أن يطير بحدق الدائد إلا إذا اعتصبها اعتصابا يحد السيف . فهو لا يسلم الرية إلا بالدم ولا ينشق الصطر إلا مشدودا بنهار الهيباء .

وَكَمْ رَاسِلَ الْغَيْرَانُ يَهْدِي وَعِيْدُهُ فَسَارَاعَهُ إِلَّا الطَّرُوقَ جَوَابُ^(١)
وَلَمْ يَثْنِيْنَا أَنَّ الرِّبَابَ عَقِيْلَةٌ تَسَانَدُ سَعْدُ دُونَهَا وَرِبَابُ
وَأَنْ رُكُزَتْ حَوْلَ الْخُدُورِ أَسِنَّةُ وَخَفَتْ بِقُبِّ السَّابِحَاتِ فَيَابُ^(٢)
وَلَوْ نَذَرَ الْحَيَّانِ غِبَّ الشَّرَى يَنَا لَكَرَّتْ خُطَايَ أَوْلَمَادَ كَلَابُ^(٣)
وَلَيْلَةٌ وَافْتَنَّا تَهَادَى فَنَمْتَرَى أَيْسُو حَبَابُ أَوْ يَسِيبُ حُبَابُ^(٤)
يُعَذِّبُهَا عَضُّ السَّوَارِ يَعْصَمُ أَبَانَ لَهَا أَنَّ النَّمِيمَ عَذَابُ
لَا بَرْحَتُ مِنْ شَيْحَانِ خُطَّ لِنَامُهُ إِلَى خَفَرٍ مَا حُطَّ عَنْهُ نِقَابُ^(٥)
تَوَى مِنْهُمَا ثَنَى النِّجَادِ مُشِيعُ نَجِيدُ وَمَيْلَاهُ الْوُشَاحُ كَمَا بُ^(٦)

(١) الغيران : وصف من البيرة ، والطروق : طروق الحى بالليل ، وى التمتع لوصول وهم
البيور يقول ان الروى .

ألا رعا سؤت البيور وساءنى وبات كلانا من أحيه على وحر
وقلت أوماهاً عداهاً كأنها ياسع حر حصت لؤلؤ الحر

(٢) الثب : جمع ثناء وأث والآب الصاصر من الحبل ، ومضى هذا البيت والذى قبله لم يصرماعن ريادة
هذه المحوية التى كفى عنها نازب أن تصاد هابك الفيلتان وتماوتا دون لوصول إليها .

(٣) نذر به كمرح عليه لغيره وعطال وكلاب ضم أولها يومان من أيام العرب ، أى لو علم بمرافا
إليها عدان الحيان لكان لنا ممها يومان كبوى عطال وكلاب فى المهرة والمول .

(٤) يسمو : أى يرتفع لئلاطر اليه من بعيد يستنيه وحاب - بالفتح - تروح الماء وطرافه التى كأنها
الروى أو النسيج وبالصم الحية ، ويسمو اليها حاب بالفتح وهو الماء فى تداعيه وتوجهه وإحداثه طرائق
كطرائق النسيج وهو تمثيل لاحتلاص الخطا فى اللقى ، وللملى : وادكر ليلة واتنا عصية منك أيقبل نخونا
حبيب أو تنساب اليها حية . يقول : لقد كسلا ندرى أن تكون ليثنا ليلة أس واختلط بقرب الحبية ، أم
ليلة حرب وضراب بنزوا أهدانا إيانا ، وسمو الحاب : فيه إشارة إلى قول امرئ القيس :

سموت إليها - صدمانام أهلها - سمو حاب للماء ، حالا على حال

(٥) لأبرحت : لقد أبردت فى الحذر وتوقع موائمة العدو ومشايخته ، والشحان : البيور الحذر على
لحريم ، والخمر : المياه ، والاثام : الرجل ، والقاب : للرأه ، يقول : لقد وضعت الاثام عن وجهي وتمتعت
بجيب لم يرفع عه وجهه غلب لمرط حياته . ولقد كنت - إلى ذلك - دائم الحذر والتوقع لموائمة العدو .

(٦) توى : أطم ، وثى السجاد : بكر أولها أى على العرش والوسائد ، وللشبح : كظم الشجاع ،
والنجد : الأسد - وهو يرمى بذلك نفسه - وميلاء الوشاح : يريد أن وشاحها به بل وانحدار لتهود نديها
وضهور كنعينا ، والكساب : كساب التى كذب نديها - وهو يرمى بها حيته - وفى معنى هذا البيت
يقول الطمرانى :

وبنا على وهم النصور يسمتا جيباً حواشى بردها وردانيا
وكانت لمساءات البالى كثيرة لما برحت حتى شكرنا " ١١

يَمْلِكُ مِنْ إِغْرِيبِ تَنْرٍ يَمْلُهُ غَرِيبُ كَمَا الْمَرْبُ وَهُوَ مَصَابُ (١)
إِلَى أَنْ بَدَتْ فِي دُفْعَةِ الْأَفْقِ غُرَّةٌ وَتَفَرَّ مِنْ جُنْعِ الظَّلَامِ غُرَابُ (٢)
وَقَدْ كَادَتْ الْجُوزَاءُ تَهْوِي فَخِلَتْهَا تَنَاهَا مِنَ الشَّعْرَى الْعَبُورِ جَنَابُ (٣)
كَأَنَّ الثَّرْيَا رَايَةً مُشْرِعٌ لَهَا جَبَانٌ يُرِيدُ الطَّلْعَ ثُمَّ يَهَابُ (٤)
كَأَنَّ سُهَيْلًا فِي رِبَاوَةٍ أَفْقِدَ مُسِيمٌ نُجُومَ حَانَ مِنْهُ إِيَابُ (٥)
كَأَنَّ الشَّمَا قَانِي الْحُشَاةِ شَقَّةً صَنَى فَخْفَاتُ مَرَّةٍ وَمَتَابُ (٦)
كَأَنَّ الصَّبَاحَ اسْتَقْبَسَ الشَّمْسَ نَارَهَا فَبَاءَ لَهُ مِنْ مُشْتَرِيهِ شِهَابُ (٧)
كَأَنَّ إِيَابَةَ الشَّمْسِ بِشْرًا بَيْنَ «جَهْوَرِ» إِذَا بَذَلَ الْأَمْوَالِ وَهِيَ رِعَابُ (٨)
هُوَ الْبَشَرُ شِمْنَا مِنْهُ بَرَقَ فَهَامَةٌ لَهَا بِاللَّهَى فِي الْمُتَقِينَ مَصَابُ (٩)

(١) طلل : أى يكرر من التلليل وهو حتى الثمرة مرة بعد مرة ، ومنه قول امرئ القيس :

فعلت لها سيري وأرعى رملنه ولا تمديى من حناك الملل

والأفريس : الطلع حمل ما ماله مكررا من قبلها بمنزلة إفريس أبيض حلو تكرر جناه ، ومنه أى يعلية مكررا ، والفريس : ماء الأسا ، والرباب : الرق للرشوف ، قالوا : وهو الرق ما دام فى المم .

(٢) الدهمة : سواد الليل ، والمره : يابض الصبح ، شبه الصبح فى استمجاله الذهبى بمن يطير هرابا ، ويطير هذا قول ابن المعتز :

كأما وصوه الصبح يستعمل الذهبى يطير هرابا ذا قوادم جوت

(٣) الجوزاء : نجم يمتد فى حور السماء أى وسطه ، والشعرى : شريان « إحداهما » الشعرى الصبور وهو كوكب يطلع بعد الجوزاء وسميت الصبور لأنها - كما يقال - عبرت السماء عرضاً ولم يعبر السماء هربا غيرها وهو الذى عبدها طائفة من العرب فى الماهلية ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « وأنه هو رب الشعرى » أى التى تبتدونها « وثانية » السبعاء تقول العرب فى أحاديثها لأنها انحسرت من بكائها على المور ، وثانها : مطلقها ، والحاب : التناحية والفتاء .

(٤) سهيل نجم ، ورباوة أنه ما ارتفع منه ، ومسيم : اسم فاعل من أسام الابل أى أوطاها ، شبه سهيلا بغيره آخر الليل وراء النجوم براح حاذمه رجوع ورواح .

(٥) إِيَابَةُ الشمس : بكسر الهمزة وفتحها ضوؤها وحسبها .

(٦) الهيا : بالضم العطاش ، والحنى : كالملقى طالب العسل والجود ، والمصاب : بالفتح تزول

للطر مصدر يميم من هباب للطر يصبوب إذا تر

جَوَادُ مَتَى اسْتَمَجَلَتْ أُولَى هِيَابِهِ
فَنِي عَنِ الْإِنْسَانِ دَرْ نَوَالِهِ
إِذَا حَسَبَ الثِّيلَ الرَّهِيدَ مَنِيْلُهُ
عَطَايَا يُصِيبُ الْحَاسِدُونَ بِحَمْدِهِ
مَوْطَأًا أَكْنَافِ السَّمَاحِ دَنَتْ بِهِ
فَرْزُهُ تَرَزُّ أَكْنَافَ غَنَاءِ طَلَّةِ
زَعِيمِ الْمَسَاعِي أَنْ تَلَيْنَ شَدَائِدُهُ
مَهِيْبٌ يُغْفِئُ الطَّرْفَ مِنْهُ لِأَذِنِ
لِأَبْلَجِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ إِذَا أُخْتَبِيَ
وَذِي ثُدْرًا يَمْدُو الْعِدَا عَنْ قِرَاعِهِ
إِذَا هُوَ أَمْضَى الْعَزْمَ لَمْ يَكْ هَفْوَةٌ

كَفَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْخِفْمِ قُبَابُ
إِذَا اسْتَنْزَلَ الدَّرَّ الْبَكِيَّ عَصَابُ^(١)
فَالْعَطَايَاهُ الْحِسَابِ حِسَابُ^(٢)
عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُحِبُّوا بِهَا فَيَحَابُوا
خَلَائِقُ زُهْرٍ إِذَا أَنْفَ نِصَابُ^(٣)
أَرَبَّتْ بِهَا لِلْكُرْمَاتِ رَبَابُ^(٤)
يُمَارِسُهَا أَوْ أَنْ تَلَيْنَ صِعَابُ
مَهَابَتُهُ دُونَ الْحِجَابِ حِجَابُ^(٥)
عَلَا نَظَرَ مِنْهُ وَعَزَّ خِطَابُ
غِلَابُ فَهَمَّا عَزَّهُ فَنِغْلَابُ^(٦)
يُؤَثِّرُ عَنْهَا فِي الْأَنَامِلِ نَابُ^(٧)

(١) الباقة البسوس : هي التي لا تدر إلا على الأساس بأن يقال لها « س بس » تنكأ لها ، والبراقين ، والركن الباقية التي قل لها ، والمصاب : بالكسر شد لغدى الباقة لتبر . يقول : إن نواله قريب ميسور لا يكفه شقة ولا يحولك إلى إلحاف . (٢) حسب : عد ، والحساب : بالكسر بمعنى الكثيرة الكافية صفة لطاياه ، ومنه قوله تعالى « عطاء حساباً » أى كافي ، واللى : إذا عد العطاء القليل عليه ومعطيه ليحصى ما لطاياه الكثيرة الكافية عد ولا إحصاء . (٣) يقال رجل موطأ الأكشاف : كعظم أى سهل دمت الأخلاق سمع كريم ، والمصاب : كالصبر الأمل ، واللى : أه سهل حوالب السباح يقره مك ويدنو به إليك دماء أخلاقه وإن حلامصب وسما أسفه (٤) الماء : الكثيرة الشمر ، واللغة : الروضة بلها الطل ، وأريت : من أرب بالمكان إذا زمه والرباب السحاب . (٥) يقول إن ابن جهور مهيب يضى من مهابة ومع هذا فهو يمس طرفة حياء ، وهذا قريب من قول القرردق :

« يضى حياء ، وضى من مهابة فلا يكلم إلا حين ينتم »

(٦) دو تدرأ : يضم أوله أى صاحب عدة وقوة على دفع أعدائه من دمه ، وغلاب : أى منال ، وعزه : غلبه ، وحلاب : من حله إذا خضعه ، وى اللؤل : إذا لم تلب فاطلب (٧) يقول إذا أَمْضَى الْعَزْمَ لَمْ يَكْ إِشَاوُهُ هَفْوَةٌ يَمْسُ عَلَيْهَا أَنْفُهُ نَعْمًا وَقَبْطًا

عَزَائِمُ يَنْصَاعُ الْعِدَا عَنْ مُيْرَهَا كَمَا رَهَيْتَ يَوْمَ التَّنْصَالِ رَهَابُ^(١)
صَوَائِبُ، رِيَشُ النَّصْرِ فِي جَبَّائِهَا لَوْ أَمَّ، وَرِيَشُ الطَّائِشَاتِ لُنَابُ^(٢)
حَلِيمُ تَلَافَى الْجَاهِلِينَ أَنَاثُهُ إِذَا لَحِمُ عَنْ بَنَفِ الذُّنُوبِ عِقَابُ^(٣)
إِذَا عَثَرَ الْجَانِي عَمَّا عَفَوْ حَافِظُ بِنُعْنَعَى لَهَا فِي الْمَذْنُونِ ذِنَابُ^(٤)
شَهَامَةُ نَفْسٍ فِي سَلَامَةِ مَذْهَبِ كَمَا الْمَاءُ لِلرَّاحِ الشَّمُولِ قَطَابُ^(٥)
« بَنَى جَهْوَرٍ » نَهْمًا فَعَرَّضْتُمْ بِأَوَّلِ فَسِرُّ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ لُبَابُ
حَطَطْتُمْ بِحَيْثُ أَسَلَتْ طَعَتْ سَاحَةَ الْعُلَا وَأَوْقَتْ لِأَخْطَارِ السَّنَاءِ هِضَابُ
بِكُمْ بَاهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءُ فَأَوْجُهُ شُمُوسُ وَأَيْدٍ فِي الْمُحُولِ سَحَابُ

* *

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسُ وَعَاوِرَ مَعْنَى الْحَمْدِ وَهُوَ خَرَابُ^(٦)
عُمَيْكَ بَذَرُ وَالْبُدُورُ أَهْلَةٌ وَيُمْنَاكَ بَحْرُ وَالْبُحُورُ عُمَابُ^(٧)
رَأَيْتُكَ جَارَكَ الْوَرَى فَعَلَبْتَهُمْ لِذَلِكَ « جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَابُ »^(٨)

- (١) الاصباح الرحوم أى برح الأعداء مما أسره من العزائم حوما ورحبة كما رعت يوم النصال رهاب أى صال رفيقة جمع ره كل . (٢) صواب : صفة العزائم حوما ورحبة كما رعت يوم النصال رهاب أى صال رفيقة جمع ره كل . (٣) صواب : ريش السهم إذا لم يستدل فادأ احتدل فهو إوام . (٤) وهذا قريب من قول المتن : « ترقى أيها الولي عليهم فان الرق بالمخاني عتاب »
(٥) الدباب : بالكسر جيت يشد به ذب السمير فلا يخطر به أى يحركه يمياً وجملاً بيملاً راكمه ، أى أنه بما يسديه إلى الحياة من سمي يمتهم من الوقوع في الذنب كما يجمع الدباب داب البعير من تلويث راكمه بخطرته
(٦) قطاب : بالكسر مزاج . (٧) معمس : حتى مشقه ، والنقى : المنزل .
(٨) عتاب : بالكسر جمع عتاب وهو المدير . أو هو سيل الوادى ، وجمه عتاب ، قال ابن دريد : « والباس خصص عتاب وأمنى » ويجمع أيضاً على عتابان ، قال الحريري : وأحياه إلى ذكرها في مقاماته : « أيجود الوضوء من ماء النصال » قليل : « وهل أحسن منه لعربان »
(٩) وللدكيات - وللدكيات بالتصحيح - الجبل التى بلغت تمام السن ونهاية الشباب وفى اللتل : « حرى للدكيات غلاب » أى أن تنال الجرى غلاباً

فَقَرَّتْ بِهَا مِنْ أَوْلِيَاكَ أُخِيٌّ وَذَلَّتْ لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ رِقَابُ

* * *

فَتَعَتَّ الْمُنَى مِنْ بَعْدِ إِهْلَامِنَا بِهَا وَقَدْ صَاعَ إِفْلِيدُ وَأَبْنَاهُ بَابُ (١)
مَدَدَتْ ظِلَالُ الْأَمْنِ تَخْضَرُ تَحْتَهَا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَعْدَى الْبِقَاعِ شِعَابُ (٢)
حَتَّى سَأَلْتُ فِيهِ الْبُنَاتَ جَوَارِحُ وَكَفَّتْ عَنِ الْبَهْمِ الرِّتَاجَ ذِتَابُ (٣)
فَلَا زِلْتُ تَسْنِي سَنَى مَنْ حَظَّ سَعْيِهِ نَجَاحُ وَحَظُّ الشَّائِنِيهِ تَبَابُ
فَإِنَّكَ لِلدِّينِ الشَّعِيبِ لِمَلَامُ وَإِنَّكَ لِلْمَلِكِ الثُّيَّ لِرَنَابُ (٤)
إِذَا مَعَشَرُ الْهَاهُمْ جُلَسَاوَهُمْ فَلَهُوْكَ ذِكْرُ وَالْجَلِيسِ كِتَابُ (٥)
نُفُوزِكَ عَنْ شَهْرِ الصِّيَامِ الَّذِي أَتَقَضَى فَإِنَّكَ مَفْجُوعٌ بِدِ قُصَابُ
هُوَ الزُّورُ لَوْ تَعَطَّى الْمُنَى وَضَعُ الْعَصَا لِيَزْدَادَ مِنْ حُسْنِ التَّوَابِ مُكَابُ
شَهِدْتُ لَأَدَى مِنْكَ وَاجِبَ فَرَضِهِ عَلِيمٌ يَمَا يُرْضَى الْإِلَهَ تِقَابُ (٦)
وَجَاوَزْتَ يَنْتَ اللَّهُ أَنْسَا بِمَعَشَرِ خَشَوْهُ فَغَرُّوا رُكْمًا وَأَنَابُوا
لَقَدْ جَدُّ إِخْبَاتٌ وَحَقٌّ تَبْتَلُ وَبَالَغَ إِخْلَاصُ وَصَحَّ مَتَابُ (٧)

- (١) إِيهَامُ : الْإِلَهَ إِعْلَاقُهُ ، وَاب : مِمَّنْ أَيْ مَخْلُوقٌ ، وَالْإِفْلِيدُ : الْمَتَاعُ .
(٢) أُهْدَى : أَفْضَلَ تَعْمِيلًا مِنْ عَدِيَّتِ الْأَرْضِ يُقَالُ أَيْرُسُ عِدَاةٍ وَهِيَ الْطَبِيعَةُ الْقَرِيبَةُ الْخَالِصَةُ مِنَ الرُّوحِ الْعَبِيدَةِ مِنْ مَاءِ الْأَنْهَارِ وَالْمَدَاوِلِ ، وَالشَّعَابُ : جَمْعُ شَعْبٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الْحُلِّ وَصِيلُ الْمَاءِ ، يَقُولُ أَنَّهُ مَدَّ طَلَالَ الْأَمْنِ عَلَى الْأَوْدَانِ ، وَحَمَلُ الْخَبَرِ يَمْتَدُّ إِلَى الْجَوَاهِرِ الْبَيِّنَةِ مِنْ مِيَاهِ الْأَنْهَارِ .
(٣) الْبُنَاتُ : صَوَابُ الطَّيْرِ ، الْبَهْمُ : وَاحِدَتُهَا بَهْمَةٌ بِالْمَخِ وَمِنْ أَوْلَادِ الصَّالِ وَالْمَرْ وَالْبَئَرِ . وَهَذَا إِلِيٍّ مِنْ أَبَدِيعِ مَا قَرَأْتَاهُ فِي وَصْفِ اسْتِجَابِ الْأَمْرِ . (٤) الشَّعِيبُ : لِلتَّعَرُّقِ ، وَالثُّيَّ : الْعَاسِدُ مِنْ ثَأْنٍ يَأْتِي لِهَوْنِ ثَأْنِ كِبَرِ إِذَا مَدَّ ، وَرَنَابُ : جَمْعُ رَوْيَةٍ وَهِيَ لِلتَّطْمَةِ مِنَ الْحَشِّ يَشَبُّ بِهَا الْإِنَاءُ وَيَسْبِيهَا ثَلَاثَةُ الْجَلَا (٥) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِ اللَّحْنِيِّ :
(٦) الْقَتَابُ : بِالْكَسْرِ السَّامُ بِالْأُمُورِ .
(٧) الْإِخْبَاتُ : مَكْدَرُ اخْتِ إِلَى رَبِّهِ اطْمَآنٌ إِلَيْهِ وَتَخَضُّعٌ وَتَوَاضُّعٌ ، وَالْحَبِيطُ : الْإِعْطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

سَيَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا بِكَ لَكَ مَفْعَرُهُ
وَبُشْرَاكَ أَعْيَادُ سَبَنِي أُطْرَاها
تَرَى مِنْكَ سَرَّوَالِكَ فِي قَشَفِ الثَّقَى
فَأَبْلٍ وَأَخْلِفَ إِمَّا أَنْتَ لَابِسُ
فَقَدَيْتُكَ كَمْ أَلْقَى الْفَوَاغِرَ مِنْ عِدَا
عَمَّا عَنْهُمْ قَدْرَى الرَّفِيعِ فَأَهْجَرُوا
وَقَدْ تَسْمَعُ أُنَيْتَ الْحَاشِئُ نَهَيْهَا
إِذَا رَاقَ حُسْنُ الرُّوضِ أَوْفَاحَ طَيْبُهُ
فَلَا بَرَحَتْ تِلْكَ الضَّعَائُ إِنِّهَا
يَقُولُونَ شَرَفِي أَوْ فَعَرَبُ صَرِيمَةٍ
فَأَنْتَ الْحَسَامُ الْعَضْبُ أُصْدَى مَتْنُهُ
وَمَا السَّيْفُ مِمَّا يُسْتَبَانَ مَضَاوُهُ
وَأَنَّ الَّذِي أُمَلْتُ كَدَّرَ صَفْوُهُ
وَقَدْ أَخْلَفَتْ مِمَّا ظَنَنْتُ عَخَائِلُ
فَقَنْ لِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ عَلَيْهِمْ
لِيُخْرِجَهُمْ إِنْ لَمْ تَرِذْنِي نَبْوَةٌ

وَتَحْسُنُ فِي دَارِ الْخُلُودِ مَأْبُ
كَمَا أُطْرَدَتْ فِي السَّهْمَرِيِّ كِمَابُ
فَيَبْزُقُهَا مَرَأَى هُنَاكَ مُجَابُ
لِهَذِي اللَّيَالِي الْغُرِّ وَهِيَ نِيَابُ
قِرَاهُمُ - لِيَبْرَأَنَّ الْفَسَادِ - ثِقَابُ (١)
وَبَابِنَهُمْ خُلُقِي الْجَمِيلُ فَعَابُوا
وَتُعَلِّي إِلَى الْبَذَرِ الشَّاحَ كَلَابُ
فَمَا صَرُّهُ أَنْ طَرَفٌ فِيهِ ذُبَابُ
أَفَاجِ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوجِ لِصَابُ (٢)
إِلَى حَبْثُ أَمَلِ الْفُؤُوسِ نَهَابُ (٣)
وَعُطَّلَ مِنْهُ مَضْرَبُ وَذُبَابُ (٤)
إِذَا حَارَ جَفْنُ حَذُهُ وَقِرَابُ
فَأُضْحَى الرِّمَانُ بِالسَّخَطِ مِنْهُ يُشَابُ
وَقَدْ صَفَرَتْ مِمَّا رَجَوْتُ وَطَابُ
إِذَا لَجَّ بِالْخَضَمِ الْأَلَدُ شِيَابُ
يُسَاءُ الْفَتَى مِنْ مِثْلِهَا وَيُرَابُ

(١) الفواغر : جمع فاغره من غفراه إذا ضعه أراد بها الخلوف ، والقناب : ما أنقبت به النار واشتعلت
به من صغار البیدان . يقول : نفسى دأؤك ، كم ألقى الكوارث من أعداء خبثاء دوى مكر خى فى تدبير
الفتن ، ودعاء فى لعب الفراك . (٢) لصاب : بالكسر من لعب الجلد بالهمز لرق به من شدة
الحرارة يريد ان ما يحملونه من خفن له تقع فى صدورهم كلذع الأذى سبب لهم الخزال .
(٣) الصرمة : البرصة وقطع الأسم ، والتهاب : بالكسر الفئام جمع نهب .
(٤) مضرب السيف : بالفتح والكسر ، وذبابه : بالضم حده .

فَقَدْ تَتَمَشَّى صَفْحَةَ الْمَاءِ كُذْرَةً وَيَنْطَوُّ عَلَى صَوْنِهِ النَّهَارِ صَبَابٌ ^(١)
 سُرُورُ الْغِنَى مَا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ حَسْرَةٌ وَأَرَى الْغِنَى مَا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ صَابٌ ^(٢)
 وَإِنْ يَكُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ مُؤَمِّلٌ فَأَنْتَ الشَّرَابُ الْعَذْبُ وَهُوَ مَرَابٌ
 أَيْغُورٌ مِنْ جَارِ السَّمَاءِ كَيْنِ جَانِبٍ وَيُعْزِرُ فِي ظِلِّ الرَّيِّعِ جَنَابٌ ^(٣)
 فَأَيْنَ ثَنَاءُ يَهْرُمُ الدَّهْرُ كِنَزَةً وَحَلِيتُهُ فِي الْغَابِرِينَ شَنْبَابٌ
 مَا بَكَى عَلَى حَقِّي لَدَيْكَ كَمَا بَكَى رِيحُهُ لَمَّا ضَلَّ عَنْهُ دُؤَابٌ
 وَأَشْكُو بُؤُوسَ الْجَنَبِ عَنْ كُلِّ مَضْجِعٍ كَمَا يَتَجَاوَى بِالْأَسِيرِ ظُرَابٌ ^(٤)
 فَتَقِي يَهْرُزُ الشَّعْرَ وَأَصْفَحَ عَنِ الْوَرَى فَأَيْتَهُمْ - إِلَّا الْأَقْلَ - ذُبَابٌ
 وَلَا تَعْدِلِ الْمُتَيْنِ بِي فَأَنَا الَّذِي إِذَا حَضَرَ الْمُقَمُّ الشَّوَارِدُ غَابُوا
 يَتُوبُ عَنِ الْمَذَاحِ مِنْهُ وَاحِدٌ جَمِيعُ الْخِصَالِ أَيْسَ عَنْهُ مَنَابٌ
 وَرَدْتُ مَعِينَ الطَّعْنِ إِذْ زِيدَ دُونَهُ أَنَا لَمْ يَكُنْ فِي حَجَرِيهِ لُؤَابٌ ^(٥)
 وَنَحَدِنِي عِلْمُ تَوَالَتِ فُتُونُهُ كَمَا يَتَوَالَى فِي النِّظَامِ سِخَابٌ ^(٦)
 فَعُدْ يَدِي يَنْضَاءُ يَصْدَعُ صِدْقُهَا فَإِنْ أُرَاجِيفَ الْعُدَاهِ كَذَابٌ
 وَحَاشَاكَ مِنْ أَنْ تُسْتَمَرَّ مَرِيرَةٌ لِمَهْدِكَ أَوْ يَخْنِي عَلَيْكَ صَوَابٌ ^(٧)

(١) غطا بطو : ستر والصاب سحاب رقيق يشبه الصفا .

(٢) الأرى : السبل ، والصاب : شعر مر واحدة صاه .

(٣) يبور : من أعور المكان إذا بنت منهورة ، ويمز : أى صلب ومنه اللبأء للأرض الصلبة .

(٤) اللطرب : ككتف ما مأ من الحجارة وحده طربه والجمع طراب بالكسر .

(٥) ديد : بالنساء للجهول مع ، والمهرة : متع فسكون الناحية ، ولواب : بالغم عطش ، واللى : أنه طبع

على الشعر وورد معين الطبع في حين أن غيره من الشعراء حسن من وروده على في حابه لواب أى عطش

(٦) للجد : كعظم الذى جرب الأمور وناسها سقه وعلته التنابر وعله للجد بالقال للمجبة ،

والسخاب : بالكسر القند . (٧) المرر : والليرة الحمل ، والاستمرار إحكام ذلك ، يقول حاشاك

أن أمدوك إلى إصلاح محادث من مهدك ، أو يخنى عليك وجه الصو

بعد خمسمائة يوم في السجن

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة في مدح ابن جهور واستعطافه ، وقد وردت في آخر رسالته الجديدة التي بعث بها إلى ابن جهور (١) بعد أن مهد لتلك القصيدة بقوله مخاطبا ابن جهور :

وإنك إن سنيت عقد أمرى نيسر (٢) ، ومتى أغفرت (٣) في فك أسرى لم يتعذر ، وعلمك محيط بأن العروف ثمرة النعمة ، والشفاعاة زكاة اللوذة ، وفضل الجاه تعود به صدقة (٤)

وإذا امرؤ أهدى إليك صنعة من جاهه ، فكأنها من ماله لعل ألقى العصا بذراك (٥) ، وتستقر في النوى في ظلك ، وأستأنف التأدب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجد للحاسد مجال لحظه (٦) ، ولا أدع لقادح مساغ لفظه ، والله ميسرك من إطلاقي (٧) بهذه الطلبة ، واشكائي من هذه الشكوى لصنعة تصيب منها مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حسبما أنت خليق له ، وأنا منك حري به ، وذلك بيده ، وهين عليه .

ولما تواتر غرر هذا الثروا تسقت (٨) درره ، فبرز عطف غلوائه ، وجو ذيل خيلائه (٩) ، علرضه النظم ماهيا ، بل كايده مداها ، حين أشفق من أن يطفك استعطافه ، وتميل بنفسك العافاه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة له ، وما زال

(١) وقد أثبتنا هذه الرسالة في مكان آخر من الكتاب طبرح إلى أماري إذا شاء .

(٢) ان يمرت ما عقد من أمرى نيسر وسهل . (٣) قبل العذر .

(٤) قال الشاعر :

قد تمت القول أن الشفقة على الصديق والمدون صدقه
وأصل العالم عند الله من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أمات البائس لللهوا أفاته الله إذا أخيا

(٥) في كنتك . (٦) فلا يجد الحاسد سبيلا إلى الصفاة في وتعه بالنظر إلى وأنا منكوب

(٧) أسماي وأتالي ما أجنه . (٨) انطمع . (٩) كبره وزعموه .

يستكد لقهن الليل ، والمخاطر الكليل حتى زف إليك عروسا
مجاهدة في ألوانها ، منصوصه ^(١) بجليها وملابها ^(٢) وهامى القصيدة

أَهْوَى فِي طُلُوعِ رَنَاقِ النُّجُومِ وَالْمَتَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسيمِ
مَرَّتَا عَيْنُنَا الرِّيقُ الْحَوَائِي لَوْ يَدُومُ السُّرُورُ لِلْمُسْتَدِيمِ
وَطَرَهُ مَا أَتَقَصَّى إِلَى أَنْ تَقْصَى زَمَنٌ مَا دِمَامُهُ ^(٣) بِالنَّسيمِ ^(٤)
إِذْ خِتَامُ الرِّمَاءِ الْمُسَوِّجِ رِزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ نَسِيمِ
وَعَرِيضُ الدَّلَالِ ^(٥) غَضُّ ^(٦) جَنَى الصَّبَا ^(٧) نَشْوَانُ مِنْ سُلَافِ ^(٨) النَّعِيمِ
طَالَمَا نَاقَرَ الْهَوَى مِنْهُ غِرٌّ ^(٩) لَمْ يَطْلُ عَهْدُ جِيدِهِ بِالنَّعِيمِ ^(١٠)

* *

أَيُّهَا الْمُوَذِّنِي بِظُلْمِ الْأَبْيَالِي لَبَسَ يَوْمِي بَوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ ^(١١)
قَمَرُ الْأَفْقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ هُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ

(١) مرقوعة .

(٢) للاب : الزعران . قال الشاعر : « كالحقة الصمراء ما لك صبرها علاها »

(٣) ديمانه : عهد . (٤) لم يقض لنا وطرا من السرور ذلك الحياة الدائمة والعيش الرغد

حتى تولى ذلك الزمن غير مدموم العهد . (٥) وذلك الحال الطيب الحسن .

(٦) الغض : الطرى ، التامع : الناضر . (٧) الهوى . (٨) حر .

(٩) نافر الهوى : طاله . (١٠) لم يحرب الأمور .

(١١) التيم : جمع تيمية ، وهو العود : جمع عودة . أى الميزات ونحوها مما يطلق على الشيء ليس

به العين ، وقد أسكر الاسلام ذلك ، وى هذا يقول القتاتل :

وإذا للفتة اشتت أظفارها الميت كل تيمية لا تفع

ومضى ذلك البيت : أن حبيب قد طامى الهوى وحلاه لأنه فرحت لا يزال قريب العهد بالتيم ، فهو

لا يذك كالقول التامع لفرارته وحداثة عهد .

(١٢) أيها الخبيث بما تمخره لى الببال من كيد ، رويدك لا تخفى عليك فلت بحق يوما على دهرى

لأنى كنت مع الظلم دائما

وَهُوَ النَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْجُو بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوُ الْعَظِيمِ^(١)

* *

بَوَّأَ اللَّهُ «جَهْورًا» شَرَفَ السُّو
وَأَجِدُ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْدُ
رَفَّكَ الْخُصُوصُ^(٢) وَفَقَ الْعُمُومُ^(٣)
وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ يَعْلَمُ الْعَلِيمُ^(٤)
خَطَرُ يَنْقُضِي الْكَمَالَ يَنْوَعِي^(٥)
خُلُقِي بَارِعٍ وَخَلْقِي وَسِيمِ^(٦)

* *

أَيْهَا ذَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْمَصَابِ بَدَّ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ^(٧)

(١) أكثر الشراء من ذكر هذا المعنى في صور مختلفة ، وكادوا يذكرونه بمس هذه الألفاظ ، وقد ذكره أبو تمام بأسلوب آخر قال :
لا تكرر عطل الكريم من المعنى فالليل حرب للملك العال
ومنه قول أبي العلاء :

والخط يبتاع الليل وكل شكنا نأ على ، ما شكاه قنبر

(٢) المروءة . (٣) المحسن : الخالص . (٤) الخصوص : الخاصة ، قال الشاعر :

المنح حليلى عد هـ فلا زلت قريباً من سواد الخصوص

(٥) اتفق الخاصة والعام على تلبية مقاليد الأمور (٦) القمر : بالضم والفتح ، الذي لم يحرب الأمور (٧) سلم الجميع مقاليد أمورهم إليه ، واتفق طاعتهم وحاستهم على الاعتراف له بالفضل وأولو العلم عرفوا بالعلم فصله ، ثم ظلمهم في ذلك الماهلون ، واكتفى القمر الجاهل بلم الخبير المحرب ، قالوا : وابن زيدون ينظر من طرف حتى إلى قول البحرى :

ودود الفضل يحسون على صدك من بين سيد ومسود

عرف الماهلون فضلك بالمدح وقال الجاهل بالقليل

(٨) خطر : شرف وارتفاع قدر ، وعلو منزلة ، ينقض الكمال : يطرأ الكمال وبلوغ الناية لما أحرزه من جلال المجايا ، ووسامة الحفلة .

(٩) والمصاب بدَّ قرعها للحليم : تصيب للثلث العربي للمهور : « إن المصايرت لدى الحلم » وهم يضربون هنا للثلث لذكركم إذا نبهته الله

مَا عَنَّا أَنْ يَأْتَفَ السَّابِقُ الْمَرْ
وَبَقَاهُ الْحُسَامُ فِي الْجَفْنِ يَبْنِي
أَفْصَرْتُمْ مِثِينَ خَمْسًا مِنَ الْأَيَّامِ
وَمَعْنَى مِنَ الضُّعْفَى بِهَيَاتِ
سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ وَفِي الْمَا
نَارُ بَنِي سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ لَفَظَهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ^(١)

* *

بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بَرْدًا وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ^(٢)

(١) السابق : العرس ، للربط : اسم مكان - مكر العين وفتحها - والفتح في الخيل : السكر ، والتطعيم : تمام الحس فيها ينه عنه - وهو على هذه الحال من الاعتقال - فالمعنى الذي سُمّ مكاه الذي ربط به - لفته وكرمه ، وقد وجد هذا البيت في ديوانه على هذه الصورة :

..... يَأْتَفُ الْمَرْطُ فِي الْعَتَقِ مَعَهُ وَالتَّطْهِيمِ

ما كلفه مما ورد في الروايات الأخرى .

(٢) للمنى : المحوس من التمية وهي الحبس الطويل ، والمعنى : للرمس اللام ، والمهات : جمع هة وهي الشدائد أو كسبها من الأشياء ، ومكأت : أى قدرت المرح قل أن يرد أدامته ، والكلم : المراحات والمعنى : ومحوس من الرمس اللام بسبب أسياء أدمت قرح حراحته بمراحات أخرى ، ردد أن هذه السجن أصيب إليه صاء المرض فهو في عصبى ، يعانى ألم شديد .

(٣) أى مرض لا يورث به - وأما في السجن - فأندوى عبادة من يرورى ما يكن ولين شمانى لو أنكن ذلك (٤) أى نار بى وطلم استمر لظاهى حنة الدعة والراحة والألم فأصبحت كالصريم : أى كالأيل في السواد بعد الاحتراق ، وفيه تلجى إلى قصة أصحاب الحلة المذكورة في قوله تعالى في سورة القلم « إنا بدلناهم كما بدلنا أصحاب الحلة إذ أنسوا بصيرتها مصبيج » الآيات ١٧ : ٣٣ وهم قوم كانت لأسهم هذه الحلة فكان يأخذ منها قوت سنده ويصدق باليق ، فلما مات رأى بوه أن يستأثروا بما فيها لأصهم وعيالهم فحلفوا بصيرتها مصبيج ، أى ليقطع ثمارها مبكرين في الصبح حمية عن أهيل الساكنين « مطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم » أى احترقت صارت في السواد كصفحة الليل .

(٥) أفديك أنت أيها الممدوح بأبى ، إن تشأ تكس تلك النار التي مرت إلى حنة الأمل برداً وسلاماً فلا تحترق كنار إبراهيم إذ فلف فيها بأمر غرود فكانت برداً وسلاماً عليه فلم يحترق ، وفيه تلجى إلى قوله تعالى « فلما ياتركون برداً وسلاماً على إبراهيم » .

لِلشَّيْبَعِ الثَّنَاءُ ، وَالْحَمْدُ فِي صَوْنِ الْحَيَا لِلرِّيحِ ، لَا لِلْيَوْمِ^(١)
وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُدْلَلَ لِي الْعَتَبُ مَثَابِي إِلَى الْهَمَامِ الرَّعِيمِ^(٢)
وَوِدَادُ يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ ، وَيَبْقَى بَقَاءَ هَوْدِ الْكَرِيمِ
وَتَنَاهِ أَرْسَلْتُهُ سَلَوَةَ الظَّا عَنِ عَن شَوْقِهِ وَلَهُوَ الْمُقِيمِ^(٣)
فَهُوَ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ
لَمْ يَزَلْ مُنْضِيًا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا نِي مُصِيخًا إِلَى أَعْذَارِ الْكَرِيمِ
وَمَتَى يَبْدَأُ الصَّبِيحَةَ يُؤَلِّفُكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالنِّعَمِ^(٤)

(١) أى للشيخ الثناء والحمد لا للشعور إليه ، كما ان الحمد في نزول للمطر لرياح التي تؤلب به اليوم
فيقول المطر بسبحا لاليس النجوم ، وهو كقول المعتزى :

حار حدى ولرياح الواتى تحلب البيت مثل حد اليوم

(٢) كميل تدليل ما استصعب تدليه رجوعى إلى الهمام الرئيس . وقد ورد في بسى السخ البيت التالى
بعد هذا البيت :

أمل يرغم الحفاء إليه وهو بيت للغمام ماضى العزيم

(٣) أى مدح أرسلته مار على ألسنة الناس مسير للتل إذا تلاه الغاصن تلى به من شوقه إلى وطنه
وحينته إلى أهله ، وإذا تلاه المقيم كان فيه لهوه وأنه .

(٤) أى من يبتدئك بالحيل تفرك حصاله التامة ، وتحملك أخلاقه الكامة على المطالبه بتقيم ما بجدك به
من معروف ، وتكامل ما شرع فيه من صنيع يريد - بمارة أومح - أن ماله عليه من لمة مبتدأة ، ويد
سابقة يمت في عهه أملا لويافى إعطاء تلك النعمة ما عاز ما وعد به ، وى هذا المعنى يقول أبو تمام :

هذا سحاب أنت سقت حمامه فطيك - بعد الله - فيض حمامه

إن أهداء العرف مجد باسق والمجد - كل المجد - فى استقامه

وقرب منه قول المتنبي :

ولم أر فى عيوب الناس ميأ كدعس القادرين على التمام

وقول الغزال :

إذا ما سديت مكرومة فأنعم فانت البدو يطلع بالتمام

من قصيدة صنعها يَطْلِيوس^(١)

« قال هذه القصيدة عند مراره من السجى والتجائه إلى بى عاد بإشبيلية سنة ١١١١ هجرية ، وكان قد وافاه الفطر بالأخفى وهو على حاله من الذكرى والشوق إلى معاهد قرطبة ، كان يخرج إليها في العيد ، ويترجع عتارهما ، ويلهو بمحاسنها مع من يهوى ، وقد أذكى تذكرها في مؤاده لاصح الشوق ، وبه كاس الوجد ، فأحد يذكرها ممهداً ممهداً ، ويصف ما حلفته في حسه من الأثر ، ويبين ما أثارته دواعي الذكرى في قلبه من الصباة والأسى والشوق ، ويقول صاحب فلانة العقيان في هذه الأماكن التي يذكرها به : - « هذه معاهد لبي أمية نعت بها ليالي وأياما ، وطلت فيها الحوادث عنهم لياما ، فهاءوا (يفرق العقاب) وشاموا به رقا يبدو من نقاب ، وسوا (يحوى الرصاة) ، وطسموا عيشا تولى الفجر حلاؤه ورفاهه ، وأسندوا صبح الناصح ، وحسدوا أس (مجلس فاصح) ، وعموا (بالمرء) ، وصموا عن بيا صاحب (الرواء) حق رحلهم الموت بها وتوضهم ، وعوضهم منها ما عوضهم إلى آخر مقال » .

خَايِلَى لَا فِطْرَه يَسْرُ وَلَا أَخْضَى فَمَا حَالُ مَنْ أُمْنَى مَشُوقًا كَمَا أَخْضَى
لَنْ شَاقِيَنِ (شَرَقُ الْمُقَابِ) فَلَمْ أَزَلْ أَخْضَى عَمَّخُوضِ الْهَوَى ذَلِكَ السَّقْفَا^(٢)
وَمَا أَتَفَكُّ جُوفِي (الرَّصَافَةُ) مُشْعِرِي دَوَاعِي ذِكْرِي تُعَقِّبُ الْأَسْفَ الْبَرَا^(٣)

(١) نطليوس : يفتحين وسكون اللام ، وباء مصومة ، وسين مهملة مدية كبيرة بالأدلس من أعمال ملردة على نهر « آنه » غربي قرطبة كما في معجم البلدان . (٢) العقاب : نالهم العلم الصنم والصحرة العظيمة في عرس الحمل اسم موضع قرطبة ، ومحموض الهوى : حاله .

(٣) (حوى الرصاة) : الجوى يضم الجيم الواضع الحوف . قال في اللسان وشى : حوى أى واسع الجوف ، ودلاء حوف : أى واسعه ، و (الرصاة) : ضم صفتح اسم لعدة مواضع منها بالأدلس موضعان أحدهما بلدة صيرة حد ثلثية ينسب إليها الرفاء الأدلسي الرصافي الشاعر المشهور والأخرى وهي التي ذكرها هنا عند قرطبة أنشأها عبد الرحمن الناحل أول ملوك الأدلس من بى أمية وسماها رصاة جده هشام بن عبد الملك بن مروان التي كانت بالثمام كما يؤخذ من ابن خلكان فلا عن كتاب ليانوت الجوى اسمه « المشترك وصا يختلف صعا » ، والبرج : يفتح فسكون العقاب والشدة وصف به الأسف مبالة والمراد أنها تعقب أسرا مبرحا شاقا شديدا

وَيَتَنَاجُ (قَصْرُ الْفَارِسِيِّ) صَبَابَةً لِقَلْبِي لَا تَأْثُرُ زِنَادُ الْأَمْنَى قَدْخَاً^(١)
وَلَيْسَ ذَمِيماً هَهُؤُا (تَجْلِسُ نَاصِحٍ) فَأَقْبَلَ فِي قَرْطِ الْوُلُوجِ بِدِ نُصْحَا
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى (عَيْنِ شَهْدَةٍ) تَزَالَ عِتَابٍ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْخَا^(٢)
وَقَاتِعُ جَانِبَيْهَا التَّجَنُّى فَإِنْ مَشَى سَفِيرُ خُضُوعٍ يَتَنَاجَى كَذَّالِ الصِّلْحَا^(٣)
وَأَيَّامُ وَصِلِ (بِالْمَقِيْقِ) أَقْتَضَبَتْهُ فَلَا يَكُنْ مِمَّادُهُ الْبَيْدُ فَالْفِصْحَا^(٤)
وَأَصَالَ لَهْوِي فِي مُسْنَاءِ مَالِكٍ مُعَاطَاةً نَدَمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْسَبَحَا^(٥)
لَدَى رَاكِدٍ يُصْنِبُكَ مِنْ صَفْحَاتِهِ قَوَارِيرُ خُضْرٍ خِلَتْهَا مُرَدَّتُ صَرْخَا^(٦)

(١) يقول : تنبذ ذكرى قصر الفارسي قلبي صابة لا تضر عن قبح وباد الخوض ، والرناد ما يفتح به النار

(٢) يعني أنه ما لهو به في هذا المكان حيث عتاب أمرز به صراً طلبها وطمحا .

(٣) التجنى ادأؤها عليه دبا لم يعه ، والسفير الصلح بين القوم ، وللمنى أن هناك ورائع حاما ادأؤها الذنوب عليه كان حصوه فيها رسول سلام لتوكيد الصلح بينهما . (٤) يقال اتصيت الدين أى قبضته وأحدثه ، والصلح بالكسر عيب العارى ، وللمنى أن أليها معلومة من السنة كنت أحصل فيها (بالعقيق) على الوصل واتصيه في مباده كما يقتضى أى يقدس الحرم دينه ، فان لم يكن ذلك الانضاء موعده البيد فالصبح . (٥) الأمال : جمع أسبل وهو ما يهدى البصر إلى العرب ، والسنة : سنة

يبنى في وسط الوادى لاحتجاز الماء ورد ما لا يبل منه ومنعه عن الجرى في طريقه للتاد ، له أبواب تمتح لاطلاق الماء بحس الحاجة ، ومع الحرم . قال في الصلح ، « للسنة الحرم لاواحد له من لقطه » ، وللمنى أنه يذكر تلك الأيام التي كان يلهو بها مع الأصيل في تلك السنة الملكية مرة بمطاطة الراح إذا شاء ، وأخرى بالبحر والعموم والماء ، وهذا مما يثبت أنهم كانوا يهود (الخزائنات) لاحصاء الأرض وإمداد البرك بالماء بعد تملكته . (٦) قال بصر المصيرين في قوله تعالى (قيل لها ادخلي الصرح) . للصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير ، ومن معاني الصرح الساحة أيضا ، فكانت أراد تشبيه ماء للساة الراكدة في حضرته واستوائه بزجاج أخضر مرد (بالتشديد) ، أى ملى صرحا أى ساحة مستوية من زجاج

مَعَاهِدُ لَدَاتٍ وَأَوْطَانُ صَبْوَةٍ أَجَلْتُ اللَّغْلَى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحًا^(١)
 الْأَهْلَ إِلَى (الزَّهْرَاءِ) أَوْبَةً تَارِحَ تَقْضَى تَنَائِبَهَا مَدَامِعُهُ تَرْحًا^(٢)
 مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَابُهَا فَخَلْنَا الْمِشَاءَ الْجَوْنَ أَثْنَاءَ مَا صُبَّعًا^(٣)
 يُمَثِّلُ قُرْمَيْنَا لِي الْوَهْمُ جَهْرَةً فَقَبَّعْنَا فَالْكَوْكَبُ الرِّحْبُ فَالسَّطْحَا^(٤)
 حَلَّ أُرْتِيَا حِ يَذْكُرُ الْخَلْدَ طَيْبُهُ إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَقَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى^(٥)

(١) القدح : كسر مكون واحد السهام التي كانوا يستخدمون بها الخزور في اللعب ، وكانت تدححح
 للبيسر حمرة ثلاثة منها عدل ، وسعة من دوات الاصاء ، وكان للعلل أو مرها مظارطة سعة أجزاء من
 الخزور ، فإذا أحل عرج القدح يده في الخريطة ، وأحرج للعلل باسم أحد المتخمين كان هو الفائز
 بأكبر الأقسام وأمر المخطوط . يقول : هذه معاهد لدات قصبت فيها من القدات ، وبلت فيها من
 الأمانى ما حمل قدحى فيها للعلل . (٢) الزهراء من عائل أمية الدنيا أنشأها أبو العفر عبد الرحمن
 ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عثمان بن مروان بن الحكم الأموي للقب
 بالناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس بالقرب من قرطبة في سنة ٣٢٥ هـ والصفحة بينها وبين قرطبة ستة أميال
 تقريباً ، وطول الزهراء من الشرق إلى الغرب ٢٧٠٠ ذراع ، وعرضها ١٥٠٠ ذراع ، وعدد الدواري التي
 فيها ٤٣٠٠ سلمية ، وأبوابها نحو ١٥ باباً ، وكان الناصر يقيم على محاربتها ثلث حيازة بلاد الأندلس التي
 كانت تلحق في ذلك الوقت نحو ستة ملايين من الدنانير ، وهي من أحسن مآثر الدنيا وأبدعها ، وقد أكثر
 أهل قرطبة في وصفها وما نقله الشعراء فيها ، ولهم في ذلك تصانيف ، والأوبة : الروح ، والبارح :
 الجيد ، وتقضى أحد وتناول حقه من غريمه ، وهي الدامع ها ، والفرج : من فرج الشر ، وهو استنراف
 ملها ، ورأيت في بعض النسخ (قصت مبابها مدامعها - معاً) (٣) للقصورة : ناحية من النناء
 على جبالها تنصر على الملك ، أو على صاحب المار ، أو هي القار الواسعة الحصنة ، وتجمع على مقاصير
 ومقاصير ، والجنيات : جمع حنة كسجدة وسجدة ، وفي السال ما يفيد اختلاف المعون في إسكان النون
 وتضعها في اللزدة ، وغل عن ابن حنبل : وقد غرى الناس بقولهم ، أما في ذراك وحبتك بفتح النون
 قال والقصوب إسكان النون ، واستشهد على ذلك بقول أبي صفير البولاني :

لما سلعة من حنن تهادفت بها حننا الجودي والليل داس

بأطيب من فيها وما دقت طمها ولكني فيما ترى العين فارس

والجود : هنا الأسود ، واللى أن تلك المقاصير أضيفت نواحيها بالمصاييح والسر ، لحسن التشاء في داخلها صبحا
 (٤) يمثل له الوم هذه الموضع من الزهراء كأنه يراها جهرة (٥) في بعض النسخ عن بدل من
 وفي بعضها ينفذ ينفذ ينفذ ، ولعلها مصححة عن يفرى ، والأشبه بالصواب ما هنا ، ومعنى لليت أن

هَذَا الْجَمَامُ الزُّرْقُ تَنْدَى حِفَاقَهَا ظِلَالُ عَمِدَتِ الدَّهْرِ فِيهَا قَتَى سَمْعَهَا^(١)
تَقَوَّضْتُ مِنْ شَذْوِ الْقِيَانِ خِلَالَهَا صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَطَارَ الْكَرَى صَبْحَهَا^(٢)
وَمِنْ تَحْلِ الْكَأَمِ الْمَقْدَى مُدِيرَهَا تَقَعَّمُ أَهْوَالٍ تَحَلَّتْ لَهَا الرُّغْمَا
أَجَلٌ إِنْ لَبِىَ فَوْقَ شَاطِئِ نَيْطَةٍ لَا قَصْرَ مِنْ لَيْلِي بِأَنَّهُ قَالِبَطَا^(٣)

في الغزل

عَلَامَ صَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ وَصُولٍ قَدَيْتُكَ وَأَعْتَزْتَ عَلَى ذَلِيلٍ^(١)
وَفِيمَ أَفْتَتْ مِنْ تَعْلِيلِ صَبٍّ صَبِيحِ الْوَدَى ذِي جَنَمٍ عَلِيلٍ
فَهَلَا عُدَّتْنِي إِذْ لَمْ تَعُودْ بِشَخْصِكَ بِالْكِتَابِ أَوْ الرَّسُولِ^(٢)
لَقَدْ أَغْيَا تَلَوُّنُكَ أُخْيَالِي وَهَلْ يُفْنِي أُخْيَالِي فِي مَلُولٍ^(٣)

الزهراء محل ترناح المس إليه يذكر طيه جة المله حيث يمتنع أن يصدى اللق أى يمشى أو يصحى أى يبرز للشمس ، وبه الإشارة إلى قوله تعالى « إِنَّكَ أَلَا تَعْرِى مِنْهَا وَلَا تَعْمَى » وأنت لا تطأ بها ولا تصحى « ولا شك أن الجوع ، والعمرى ، والطأ ، وعدم السكن أركان الشقاء فى هذه الحياة وبدونها يكون العجز والراحة والسعادة ، وأن الشخص فى الحياة الدنيا متى يطل هذه الأشياء بجماله فى دار العجز والملة ، وقد تومرت له فى الزهراء أسباب الراحة والعجز فادكره ذلك جة المله .

(١) الحمام : جمع حمة ، ومع مكان احتجاج الماء ، والزرق : صفة للجمام بمعنى المياه المجهضة ، وحافها : جوابها وما يطيب بها من حولها ، والمعى هناك فى الزهراء البركة ذات الأمواه الرق تطلنا حافها وحولها ظلال بلية ندية (٢) أي أبدلت من سماع صوت المسبات خلال تلك النوادى الآلة بأنواع الطرب سماع صدى هذه العلوات المصفاة يتردد فيها ضجع العاديات من الخيل يطير النور من العين (٣) نيطه وآنه : نهران (٤) يقول : لما قد قطعت جبل عجب دائم الوصال لك ولماذا تكبرت على عذوك الخاضع القليل .

(٥) هلاعدنى بالكتاب أو الرسول إذ لم يكن من عادتك أن تعودنى بشخصك .

(٦) من أجل ما قرأناه فى هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

لو كنت طابة لكن لومنى ألى رضاك وزرت غير معان
لكن قلت طيس لي من حية صد للؤلؤ خلاف صد العاب

ولرب منه قول ابن الرومى :

ولكنكم كنتم تريدون علة لهاجكم أدنى عتاب إلى العبد
أرجت صلاح القبل باليد العبرى لنا ظلمكم فانسد القبل بالبه

بين صديقين

« كتب إليه ذو الوزارتين أبو عامر معانا :

ناعدنا على قرب الجوار
 كأننا صدنا شحط المرار
 نطلع لى هلال الهجر بدرا
 وصار هلال وصلك فى سرار
 وشام شديم وصلك لى رهجى
 مهلا كان ذلك فى استنار
 أبجمل أن ترى عى صورا
 وأصبح مولها دون اصطار
 ولما أن هجرت وطال غمرى
 عقرت هموم مسى بالعقار
 وكستأر يدسمعك من عتافى
 ولكن على قرب النجار
 فراع مودتى واحفظ جوارى
 فان الله أوصى بالجوار
 وورنى معما من غير أمر
 وآس موحنا من عقردار
 لجأوه ابن ريدون : »

هَوَاىَ - وَإِنْ تَنَاءَمْتَ عَنْكَ دَارِى -
 مَقِيمٌ لَا تَنْفِيرُهُ عَوَادِ
 رَبَّائِكَ قُلْتَ : إِنَّ الْوَصْلَ بَذَرُ
 مَتَى خَلَّتِ الْبُدُورُ مِنَ السَّرَارِ (١)
 وَرَبَّائِكَ أَنَّنِي جَلْدُ صَبُورُ
 وَكَمْ صَبْرٌ يَكُونُ عَنِ أَصْطِبَارِ (٢)

(١) متى أفترت أن الوصل بدرا مات حقيق أن نعلم أن لهدر - لا ب شقى هو إذا اكتمل نموه فى وسط العمر لحقه الخاق فى آخره .
 (٢) إن صبرى ليس طيبيا ولكنى انكحه اضطرارا إليه لأنى لا أجد مندوحة منه .

وَلَمْ أَهْجُزْ لِعَيْبٍ غَيْرِ أُنَى أَصْرَتْ بِي مُعَاقَرَةُ الْعُقَارِ
وَأَنْ أَلْعَمَزَ لَيْسَ لَهَا خِمَارٌ^(١) مُبْرِحٌ بِي ، فَكَيْفَ مَعَ الْخِمَارِ^(٢)

* *

وَهَلْ أُنَمَى لَدَيْكَ نَعِيمَ عَيْشٍ كَوْنِي أَخَذَ طُرَّزَ بِالْعِذَارِ
وَسَاعَاتٍ يَحُولُ اللَّهُوْ فِيهَا بَحَالِ الطَّلَّ فِي حَدَقِ الْبَهَارِ^(٣)
وَإِنْ يَكُ قَرَّ عَنْكَ الْيَوْمَ جِسْمِي - قُدَيْتَ - فَا لِقَلْبِي مِنْ قَرَارِ^(٤)
وَكُنْتُ عَلَى الْبِعَادِ أَجَلَ عِلْقِي^(٥) لَدَى ، فَكَيْفَ إِذَا صَبَحْتَ جَارِي^(٦)؟

دعوة

« كتبها إلى ذى الوزارتين أبى عامر يدعو إلى زيارته »

طَابَتْ لَنَا لَيْلَتُنَا الْخَالِيَةِ فَلْتُنْسِنَاهَا هَذِهِ النَّالِيَةِ^(١)
أَبَا الْمَعَالِي نَحْنُ فِي رَاحَةِ فَأَنْقُلْ إِلَيْنَا الْقَدَمَ الْعَالِيَةِ
لَيْلَتُنَا عَاطِلَةٌ إِنْ تَغَيَّبَ عَنَّا ، فَوَزْنَا كَيْ تُرَى حَالِيَةِ
أَنْتَ الَّذِي لَوْ تُشْتَرَى سَاعَةٌ مِنْهُ يَدْهَرُ لَمْ تَكُنْ غَالِيَةِ

(١) سورة . (٢) إذا كانت المحرقة لا سكر فيها تبرح بى ما بك بها إذا أسكرت .

(٣) البهار : بت طيب الريح . (٤) إذا كاد جسمى قد قرَّ فراود بهيأته لك مانً ظلى لا يزال

يهو إليك . (٥) الملق : النفيس ، قال الشاعر :

« أبيت العن أن سكاب خلق هيس لا يمار ولا يباع »

(٦) ذلك - مع البعاد الذى يسي الألاف - كت أجلى مخلوق لى ، فكيف أساك وقد زادنى الجوارحانيك

(٧) لقد طابت لبة أسس بربك ما فكرتها ، وليدنا ما يضرنا من الضرور فى ليلتنا التالية ما صا

قال في الوزير الشيخ أبي الحزم

« بَنِي جَهْوَرٍ ، أَحْرَقْتُمْ بِمِغْفَائِكُمْ جَنَائِي وَلَكِنَّ الْمَذَامِحَ تَعْبِقُ ^(١) »
تَعْدُوْنِي كَالْمَنْبَرِ الْوَرْدِ ^(٢) إِنَّمَا تَطْيِبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ ^(٣) حِينَ يُحْرَقُ

* *

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَذْجِهِ زَمَنًا فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَاتِي
لَا تَخْشَى فِي حَقِّي عَا أَمْضِيَّتُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي وَلَا تَوْقٍ عِتَائِي ^(٤)
لَمْ تُنْخَطِ ^(٥) فِي أَمْرِ الصَّوَابِ مُوَفَّقًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

وصال

وَشَادِنِ أَسْأَلُهُ قَهْوَةً ^(٦) فَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ ^(٧)
فَبِتُ أَسْقَى الرَّاحَ مِنْ رِيْقِهِ وَأَجْتَنِي الْوَرْدَ مِنْ الْخَدِّ

(١) حبى : الطيب يبقى من باب مرح ثبت رائحته زمانا ، يقول دارم من أركم أحرتم نوادي بار
المجاء ، وقابلتم شكواي عدم الاصفاء ، فان مدبهي باق فيكم ملازم اركم ملازمة الطيب صاحبه .
(٢) الزعفران لونه . (٣) ما يبعث منه عد الاحراق من الروائح الطيبة ، واللى : تحملوني
في عداد ما يحرق من الطيب الهى ليس لكم من إحراقه إلا طيب أحاسه . قال ابن بسلم هـ إدراة
هذين البيتين ، وأراه توارد مع أنى على بن رقيق القيرواني حيث يقول :
أراك أتيت أحاك الله وعندك مقت وعندي مقه
وأنتى طيبك وقد سؤنى كما طيب العود من أرقه .
وأخذه ما من قول أبى تمام :

لولا اشتعال النار فيها جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
(٤) لا تخشى حتى لو ما بما أمدته في من حكم السجن ولا توقى كتابي فاني أنا الحقيق بالقوم والكتاب
(٥) أبدل الهزة من الباء وحدها للحارم كما يحدها من المثل وأصله لم تخطئ ، يقول : لم تعد في
أمرى الصواب وقد وقعت في حكمك على بالسجن بعد أن انقضت زمانا لمسك ، وهذا جراه من يكذب
في شعره ويصدق من لا يستحق للحد ، وقريب من هذا المجاء قول ابن الروي :
إن كنت من جل حق غير مختار وكنت من رد مدح غير مثب
فأعطيني من العرس القى كتبت به الصبيدة أو كفارة الكذب
(٦) حرأ : يسخن حر دمه . (٧) أي ورد وجته .

وقال معاتبا من قصيدة أولها

بَنَيْتَ فَلَا تَهْدِمُ وَرِشْتَ^(١) فَلَا تَبْرِي وَأَمْرَنْتَ حُسَادِي وَحَاشَاكَ أَنْ تُبْرِي^(٢)
أَرَى نَبْوَةَ لَمْ أَذِرْ مِرَّ اعْتِرَاضِهَا وَقَدْ كَانَ يَحْلُو قَارِضَ الْهَمِّ أَنْ أَذِرِي^(٣)
جَفَاءَ هُوَ اللَّيْلُ أَذْهَمَ ظَلَامُهُ فَلَا كَوَكَبٍ لِلْعَذْرِ فِي أَفْقِهِ يَسْرِي^(٤)
هَبِ الْعَزْلَ أَخْشَى لِلْوِلَايَةِ قَايَةَ فَمَا غَايَةَ الْمَوْفَى مِنَ الظِّلِّ أَنْ يُكْرِي^(٥)
فَقِيمَ أَرَى رَدَّ السَّلَامِ إِشَارَةَ تَسَوَّغُ بِي إِزْرَاءَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُزْرِي^(٦)
أَنْسُ هُمْ أَخْشَى لِلذَّعَةِ مِقْوَلِي إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا قَمَلَتْ لَهُمْ مُضَرٌ^(٧)
فَلَنْ عَاقَتِ الْأَفْدَارُ قَالَتَنْفُسُ حُرَّةٌ وَإِنْ تَكُنِ الْعَتِي فَأَخْرِجْهَا أُخْرِي

موقف وداع

وَلَمَّا التَقَيْنَا لِلْوَدَاعِ غُدِيَّةً وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ رَايَاتُ
وَقُرْنَتِ الْجُرْدُ الْعِتَاقُ^(٨) وَصَفَقَتْ^(٩) طُبُولٌ وَلَا حَتَّ لِلْفِرَاقِ عَلَامَاتُ
بَكَيْنَا دَمَا حَتَّى كَانَ عِيُونُنَا جَرَى الدَّمُوعِ الْحَمْرِ فِيهَا جِرَاعَاتُ
وَكُنَّا نُرْجَى الْأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهِ زِيَادَاتُ

- (١) من راشت صديقه كساه وأصلح حله . (٢) من البره : وهو الشفاء من المرض .
(٣) أرى خوة لم أدر من اعترضها أى منها الود من أن يسير في طريقه الأول ، وقد يكشف ما عرض لي من الهم والحزن بسبب ذلك أن أعرف سر تلك البوة والحفوة .
(٤) جاء كالمثل اشتد ظلامه لم يسر في أهه كوكب عذر واضح . وفي الأصل :
« جاء هو الليل أذهم ظلامه »
(٥) أكرى : الظل يكرى شمس ، واللى : هب الزل أخشى حاقمة ماويلته من محل فلا ينبغي أن تكون غاية ما أوفى على من ظلك ورمائك أن يكرى أى يتقش . (٦) معنى البيت : في أى ذنب أراك تشبه بالسلام إشارة تسبغ وتحوز لمن شاء أن يزرى في الأزراء في والتعشير لثاني .
(٧) اضراء : بالعيد ونحوه أفرأه به فهو مضر أى مضر ، يقول : أولئك الزارون على المحفرون لثاني أناس هم أخوف الناس من لسان لو لم تكن مما ضلته مهي قد اضربتهم في وأهزتهم بالرواية على
(٨) الجياد الكريمة (٩) دقت الطبول ويزدانا باللب

وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن جهور

هَكَأَ عَهْدَنَا الشَّمْسُ تَعْتَادُ الْكِلَانَ ^(١) أَمْ عَهْدَنَا الْبَذَرُ يَحْتَابُ ^(٢) الْحُلَيْنُ
أَمْ قَضِيبُ الْبَابِ يَعْنِيهِ الْهَوَى أَمْ غَزَالُ الْفَقْرِ يُصْبِيهِ الْفَرْزَانُ ^(٣)
خَرَقَ الْعَادَاتِ مُبْدَى مُورَةٍ حَشَدَ ^(٤) الْحُسْنُ عَلَيْهَا قَاجَحَفَلُ ^(٥)
مُشْرَبُ الصَّفْحَةِ مِنْ مَاءِ الصَّامَا مُشْنَعُ الْوَجْهِ مِنْ صَبْغِ الْحَجَلِ
مَنْ عَذِيرِي ^(٦) مِنْهُ إِنْ أَغْبَتْهُ ^(٧) لَيْسَ الْمَهْدَ وَإِنْ حَاوَدْتُ مَلُ

(١) جمع كله بالكسر ، وهي ستر رقيق يحاط كالبيت جوق فيه من العوس ونحوه ، وتقدم هذا المعنى عند قوله في القصيدة الويتية :

كانت له الشمس طئرا في أكلته بل ما تحلى لها إلا أحيائنا

(٢) يحتاب يلمس من قولهم : احتاب القميص إذا لمسه ، وشاهده قول ليد :

فذلك إذا رقص الوامع بالصبي واحتاب أودية السراب أكلها

أي لست الاكلام أودية السراب ، والحلال الصم جمع حلة أنت أن من يهواه شمس وأنه يدر على الحقيقة ،
وتصحب من احتجاب الشمس في الكلال ، واحتجاب أي لمس الصدر الحلال ، وأبكر أن يكون ذلك
ممهودا في العادة . (٣) يمسبه : يهيمه ، ومسنه : يشوقه ويدعوه إلى الصا والحين إلى من
يحب ، والزلزل : مفارقة النساء ومعادتهن ، أي ولم يبعد أبدا أن الهوى يهيم فليس بالان ، وأن المفارقة
تصغر غزال التمر إلى الصا حين إلى من يهوى . (٤) احتجح .

(٥) احتشد واحتجم : أي أتى بالمعجزات ذلك الذي طلع عليها صورته العائسة الجامعة لصور الحسن ،
الحالقة بأشواق الحال .

(٦) يقال من عذيري من ملان أي من صبري ، ويقال : عذري ملان بالصا أي هات عذرا له ،
ومنه قول ذي الاصص العدواني :

عذري ملني من عدواني كانوا حية الأرض

فني يمس على يمس فلم يرعوا على يمس

أي هات عذرا فيما فعل بعضهم يمس من الهوى ، والقتل ، والتقاعد ، والتناقض ، ولم يرع بعضهم على
يمس يمس ما كانوا حية الأرض التي يمنحها كل أحد ، ويقال عذيري من ملان أي من يمسني ، ومسه
قوله الآخر :

عذيري من الايمان لا إن حموة صغار ولا إن كست طوع يديه

ولاني لمقتاق إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كسرت عليه

(٧) من السب في الزيارة ، أي جئت زائرا يوما وتركتك يوما أو أكثر يقال : « زرغبنا تردد جابا » وفي
السان : « انب في الزيارة قال الحسن في كل أسبوع »

قَاتِلْ لِي بِالتَّجَنِّي ، مَا لَهُ لَيْتَ شِعْرِي أَحْلَاكَ مَا أَسْتَحِلُّ ؟

* * *

أَيُّهَا الْمُتَحَالٌ ^(١) فِي زِينَتِهِ أَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْحَالِ ^(٢) فَخَلْ ^(٣)
لَكَ إِنْ أَذَلَّتْ ^(٤) عَذْرُ وَاصْبِحْ كُلُّ مَنْ سَاعَفَهُ ^(٥) الْحُسْنُ أَذَلُّ
سَبَبُ السُّقْمِ الَّذِي بَرَّحَ بِي صِحَّةٌ كَالسُّقْمِ فِي تِلْكَ الْقَلْبِ ^(٦)
إِنَّ مَنْ أَخْطَى أَبَاهُ « جَهْوَرٌ » قَالَتِ الْآمَالُ عَنْهُ فَفَعَلْ ^(٧)
مَلِكٌ لَدَّ جَنَى الْعَيْشِ بِهِ حَيْثُ وَرَدُ الْأَمْنُ لِلصَّادِي عِلَلٌ ^(٨)

(١) ذو الحيلاء الملبس بنمسه للنمى رينته وحاله .

(٢) الحلال له معان كثيرة منها الحيلاء ، وهو المراد هنا ، وقد أورد صاحب اللسان عن ابن برى
أبياتاً في معاني الحال ، وللناس منها لما نحن فيه قوله :

وَإِذَا أَنَا حَذِلٌ لِمَوَى أَمَى الصَّا وَلَقَدْ زِلَ لِلرَّيْحِ ذِي الْقَهْوِ وَالْحَالِ

أَيُّ الْحِيلَاءِ . (٣) أَى كُنْ دَا حِيلَاءَ وَهَوِ وَتَكْبَرِ ، مِنْ حَالٍ بِحَالٍ بِمَعْنَى اخْتِلَالٍ ، وَمَعْنَى بَيْتِ الْحَمَاسَةِ :

فَالِ صَكْتُ سَيْدِنَا سَدْنَا وَإِنْ كُنْتُ لِحَالٍ فَادْبَحْ نَحْلَ

مَعْنَاهُ : إِنْ صَلَّتْ مَا يَوْجِبُ فِي السِّيَادَةِ عَلَيَا سَدْنَا ، وَإِنْ حَاوَلَتْ أَنْ تَسُودَنَا لَجَرْدِ الْكِبَرِ وَالْإِخْتِلَالِ
فَإَدْبَحْ فَاحْذِلْ مَا شِئْتَ أَنْ تَحْتَالَ ، فَامْكُ لِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسُودَنَا حَيْثُ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي نَحْنُ بِمَعْنَاهُ :
أَيُّهَا الْمُتَحَالُ الْمَزْهُوُّ صُلَا وَكِرَا زِينَتُهُ وَحَالُهُ كُنْ دَا حِيلَاءَ وَغَرِّ وَاعْبَاهُ فَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ لِمَرُطِ حَالِكَ .

(٤) يُقَالُ أَذَلَّ عَلَيْهِ وَتَدَلَّ : ابْطَأَ وَاحْتَرَأَ وَتَعَمَّى وَغَيْرَ مَوْصُوعٍ نَحْنُ .

(٥) سَاعَدَهُ وَوَاتَاهُ وَأَسْعَمَهُ بِخِلَافِ أَسَاءَهُ لَهُ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ أَفْرَطْتَ فِي الدَّالَةِ عَلَى قِلَّةٍ بِمَعْنَى

لَكَ ، وَاعْتِدَادًا بِمِصَافَةِ الْحُسْنِ وَمَوَاتَاةٍ مَكَ فِي الْإِدْلَالِ فَهَذَا وَاضِحٌ .

(٦) يَقُولُ : أَنْ سَبَبَ الْمَوِي وَالسُّقْمِ الْقِيَّ اشْتَدَّ بِي تَجَرُّعُهُ وَأَذَاهُ فَخَوَّرَ فِي لِحَلِّ تِلْكَ الْعِيُونَ الصَّبِيحَةِ

لِلرَّيْصَةِ ، وَهَذَا مَعْنَى مَطْرُوقِ الشُّرَاهِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ مَجَاهِدَ فِي مَرَضِ الْعِيُونَ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

عَلِمَ بِمَاجَتِ الصَّدُورِ مِنَ الْمَوِي سَرِيعَ بَكَرِ الْهَظِّ وَالْقَلْبِ حَازِعَ

وَبِجَرَحِ أَحْشَائِي مِيزَ مَرِيضَةٍ كَجَلَانِ مَتَنِ السَّيْفِ وَالسَّيْفِ قَاطِعَ

(٧) يَعْنِي أَنَّ « ابْنَ جَهْوَرٍ » : إِذَا قَالَتْ الْآمَالُ عَنْهُ قَوْلًا صَدَقَ قَوْلُهَا لَهُ .

(٨) هَذَا مَعْنَاهُ .

أَحْسَنَ الْمُحْسِنِ مِنَّا فَجَزَى مِثْلُ مَا لَجَّ مُعِيهِ فَأَحْتَمَلَ^(١)
 سَنِيَهُ فِي كُلِّ بَرٍّ مِثْلُ^(٢) إِذْ مَسَاعِي مِنْ يَنَاوِيهِ^(٣) مِثْلُ^(٤)
 لَا يَزَلْ مِنْ حَاسِدِيهِ مُكْبَرُ أَوْ مُقِلُّ^(٥)، سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ^(٦)

« يَا بَنِي جَهَنَّمَ » الدُّنْيَا بِكُمْ حَلَيْتَ أَيَّامَهَا بَعْدَ الْعَطَلِ^(٧)
 إِنَّمَا دَوَّلتُكُمْ وَاسِطَةً^(٨) أَهَدَتِ الْحُسْنَ إِلَى عِقْدِ الدُّنُولِ
 نَحْنُ مِنْ نَمَائِكُمْ فِي زَهْرَةٍ جَدَّدَتْ عَهْدَ الرِّبْعِ الْمُقْبِلِ^(٩)
 طَابَ كَانُونُ^(١٠) لَنَا أَتْنَاءَهَا فَكَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ بِالْحَمَلِ^(١١)
 زَهَرَتْ أَخْلَاقُكُمْ فَأَبْتَسَمَتْ كَأَبْسَامِ الْوَرْدِ عَنْ لَوْلُو طَلٍّ

(١) أحسن المحسن ما لجواه وكأناه على إحسانه ، كما تكررت إساءة السبي ، فاحتلها عنوا به وكرما .

(٢) أي كائن السائر يشيع في الناس ذكره ، ويحمد أثره .

(٣) يلاحره ويهاديه . (٤) جمع مثال ، أي أئمة وصور يقول أن مسامي المدوح في صلة الناس بأنواع البر والاحسان أصبحت مضرباً للأمثال ، في حين أنه ساعى أعدائه للباوتين له صور حادثة أملاكه - كاترى -

لم يشع لها ذكر ولم يعرف عنها أثر . (٥) يدعو باستمرار حاسديه على الاكثار أو الافلال

من لومه على مايجبه على رءوسهم من ويلات ، ويغزله بهسم من هزوات ويقول « سبق السيف العدل » أي ملامى لوم أكثر الأعداء منه أم أفعوا ، وهو مثل مشهور يضرب للأمر الذي فات لم يمكن تداركه .

(٦) مصدر عطلت المرأة كمرح لم يكن عليها حل ، وهو ضد « حليت » .

(٧) هي الهزة التي في وسط الشدة وتند أفس حوهرة فيه .

(٨) يقول : نحن قد حلطنا من سائكم في بهجة من الرمال ، وضرة من الحياة ، حددت لنا عهد الربيع عند استقبال أبله ، وتجدد أوانه ، والربيع عند العرب ريعان . الربيع القى فيه النور والكلأ ، والربيع الذي تترك فيه الثمار .

(٩) شهر ، وهو اثنان : كانون الأول ، وكانون الثاني .

(١٠) الحمل : برعم من بروج السماء

* *

أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَهَمَّا تَقَعُ بِالْبَحْرِ (١) يُنْتَأَى قَالْبَحْرُ وَشَلْ (٢)
مَنْ لَنَا فِيكَ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ تُحَذِّرُ الْعَيْنُ إِذَا الْفَضْلُ كَمَلْ (٣)
شَرَفَتْ تَقْنَى عَنِ الْمَذْحِ بِهِ مِثْلَ مَا يَنْفَى عَنِ الْكُحْلِ الْكَحْلُ (٤)

* *

أَنَا غَرَسْتُ فِي ثَرَى الْعَلِيَاءِ لَوْ أَبْطَأْتُ سُقْيَاكَ عَنْهُ لَدَّيْنِ
لِي ذِكْرُ الَّذِي أَسَدَيْتَهُ نَابَهُ وَدَّ حَسُودُ لَوْ خَلَّ (٥)
فَلَيْمَتْ بِالْأَدَاءِ مِنْ حَالٍ فَتَى أَدْبَتْهُ مِيرُ النَّاسِ الْأَوَّلِ
قَوَّحَى الْحِكْمَةَ عَنْ قَائِلِهِمْ : « الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزَمَكَ الْعَمَلُ »

* *

أَقْبَلْتُ نَعْمَاكَ تُهْدِي نَفْسَهَا لَمْ أُرِغْ (٦) حَقَّى مِنْهَا بِالْجِلْبَانِ
فَقَبِلْتُ الْيَدَ (٧) مِنْ بَطْنِ يَدٍ ظَهَرُهَا - الدَّهْرُ - عَمَلُ الْقَبْلِ
كَلْنَا بُلُغَ مَا أَمَلَهُ قَابَلُغُ الْغَايَةِ مِنْ كُلِّ أَمَلٍ
وَإِذَا مَا رَامَكَ الدَّهْرُ فَفَتْ وَإِذَا رُمْتَ الْأَمَانِي فَتَلْ

(١) الكرم . (٢) ماء قليل يجل من حل أو صخرة .

(٣) يقول من لنا عن بعد فيك عيبا واحدا فانا نحن نحمد عليك وقد كنت صائبك عيون الماسدين ، وهو لطيف قول الآخر :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوجب به من المين

(٤) الكحل : حركة أن تسود مواضع الكحل من العين خلفه ، أي شرف تسمى بسبه من الملح كما تسمى العين للكحول خلفه عن التكحل بالكحل صناعة . (٥) أسديته : أعطيته ، والذكر التابه : الغريب للشهر ، وهو خلاف الحامل . (٦) لم أطلب وى الأصل : « لم أدع » . (٧) الجلبان .

مداعبة

« كتبها إلى أبي عبد الله بن القلاس البطليوس
يداعبه بها »

أَصْبَحَ لِقَائِي وَأَسْمَعُ وَخَذْتُ - فِيمَا تَرَى - أَوْ دَعُ
وَأَقْصِرْ - بَعْدَهَا - أَوْ زِدْ - وَطِرْ - فِي إِثْرِهَا - أَوْ قَعْ

* *

أَلَمْ تَتَلَمَّ بِأَنَّ اللَّغْوَ يُعْطَى بَعْدَ مَا يَمْنَعُ
وَأَنَّ السَّيِّئَ قَدْ يُكْذِبُ^(١) وَأَنَّ الظَّنَّ قَدْ يَخْذَعُ
وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَمْرٌ تَوَهَّمُ أَنَّهُ يَنْفَعُ

* *

فَإِنْ يُحْدِثُ مِنَ الدُّنْيَا جَنَابٌ طَالَمَا أَمْرَعُ
فَمَا إِنْ غَاضَ لِي صَبْرٌ وَمَا إِنْ فَاضَ لِي مَذْمَعُ
وَكَأَنَّ رَامَتْ الْأَيَّامُ مُ تَرْوِيحِي فَلَمْ أَرْتَعْ^(٢)
إِذَا صَافَقَنِي الْجُلَى تَجَلَّتْ عَنِّي أَرْوَعُ^(٣)
عَلَى مَا قَاتَ لَا يَأْمُنِي وَمِمَّا نَابَ لَا يَجْزَعُ
تَدِبُ إِلَى مَا تَأَلَوُ عَقَارِبُ مَا تَبَى تَلْسَعُ

(١) يخفق ، وقد كرر هذا للمعنى في سببته فقال :

« ولكم أحسن شعور ولكم اكدر القلس »

(٢) حاولت الأيام أن تعبى فلم أخف .

(٣) أى أن المصائب لا تنال منه مثلاً ، صادت من صافه الهم لا تزل « ، والجلى : الأمر العظيم والحادث المروع ، والأروع : الذي الحديد المؤاد إلى التمس ، والمعنى : إذا تزلت بي على الحوادث تكشفت عنى حاضر العقل حديد المؤاد ، وفى الأصل « صابنى » من صاب السهم القوس يسمى أصاب ، وهى لمة قلبية لا تظن أن ابن زيدون يلبأ إلى استعمالها مع غرارة مادته

كَأَنَّا لَمْ يُولَدْنَا زَمَانُ لَيْنُ الْأَخْدَعُ (١)
 إِذِ الدُّنْيَا - مَتَى تَقْتَدُ أَيُّ سُرُورِهَا - يَتَّبِعُ (٢)
 وَإِذْ لِلْحَظِّ إِفْبَالُ وَإِذْ فِي الْعَيْشِ مُسْتَمْتَعٌ
 وَإِذْ أَوْتَارُنَا تَهْفُو وَإِذْ قَدْ أَخْنَا تُنْرَعُ (٣)
 وَأَوْطَارُ الْمُنَى تُقْضَى وَأَسْبَابُ الْهَوَى تَشْفَعُ
 فَمِنْ أَذْمَانَةٍ (٤) تَعْطُو (٥) وَمِنْ قُمْرِيَةٍ تَسْجَعُ
 أَعِذْ نَظْرًا فَإِنَّ الْبَغْ سَى جِمَا لَمْ يَزَلْ يَصْرَعُ
 وَلَا تُطْعِ أَلْتَى تُغْوِيكَ، فَهَى لَغِيهِمْ أَطْوَعُ (٦)
 تَقْبَلْ - إِنْ أَتَى - خَطْبًا وَأَنْفُ الْفَعْلِ لَا يَفْرَعُ (٧)

- (١) يقول : إنك مولع الآن بالكيد والاساءة إلى مناسيا تلك الأيام التي ألفت فيها بسا الرمن اللواتي ، حين كنا أحوين متآلفين ، وفي الأصل : « كأما لم يولينا » .
 (٢) وفي الأصل : « إاد الدنيا مي » . (٣) تملأ .
 (٤) الأدماء - الناتج - شجر الحلة ، وهي أكبر من البقول وأصغر من الشجر ، الأدماء : يضم
 مكون هلاو إنه جمع إدماء كحمراء وهي الطيبة الخالصة البياض ، قال ذو الرمة :
 من المؤلمات الرمل أدماء حرة شطاع الضحى في منها يتوحد
 وصحح بعض القوميين أن أدماء مفرد كتمصاة وإذن هي مرادة لأدماء ، وتمطوا : تتناول إلى الشجر
 لتناول منه . (٥) تمل .
 (٦) دع هوية هذه الماكرة فلها أطوع لمواية أعدائك ومناصيك ولن تستطيع أن تستطيع أن تنفل على كيدهم
 وغوايتهم ، وفي الأصل : « هي لبنيهم أطوع » .
 (٧) قرع الأمت رمز لهوان ، قالوا : وحس الألف بالضرب لأنه محل الأمانة والكبر والشتم .
 والعرب تقول في امثالها : « أنف الفحل لا يفرع » وهي قوله : فخطب الكفاء .
 والأصل لحل الأبل إذا ضرب وجهه من الشاة التي يريدون تاحتها منه .
 قالوا : ومثل ه أبو سفيان بن حرب حين دامه زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) ابنته أم حبة قال :
 « ذاك الفحل لا يفرع أخه » .
 وفي الأصل : « وأنف البهل لا يفرع » يقول : إن العظيم لا يهن عزمه أمام المخطوب والكوارث ، وليكن
 لك في هذا عاء ولتلقا . أى خطب إن أنك بصدور وحس ، غير واحد على تلك المرأة الفادرة التي لا قيمة
 لها ولا خط

وَلَا تَكُ مِنْكَ تِلْكَ الْدَّارُ بِالرَّأْيِ وَلَا الْمَسْمُوعُ
فَإِنْ قُصَّارَكَ الدَّهْلِيَّزُ، حِينَ سَوَّاهُ الْمَضْجِعُ^(١)

جَرَّبَ النَّاسَ وَأَمْتَحَنَ

خُنْتُ عَهْدِي وَلَمْ أُخِنْ بِعَتْ وَدَى يَلَاغَمُ
قَائِلًا : « هَلْ مُزَايِدٌ رَابِعًا أَنْتُمْ مِنْ يَزِيدٍ »^(٢)
عُدَّتِي كُنْتُ لِإِزْمَا نِ، فَقَدْ خُلْتُ وَالزَّيْنُ^(٣)
أَرْخِصَ الْبَيْعَ كَيْفَ شِئْتُ وَذَرْنِي، لَتَنْدَمَنَّ^(٤)
سَوْفَ ثُبُلِي بِسَيْرِنَا، جَرَّبَ النَّاسَ وَأَمْتَحَنَ

(١) وتلك تلك الدار التي كانت ذكريتها مع آلامك وأحرامك ، طيسرك أهل وإكساب ودعاء
وقصارى ما فعل إليه أن تكون في المحلير حين ، مع غيرك بالمسح .

(٢) مع عهدي رحيماً مع سبق ودادي لك ، وأحدثت ذلك علي في السبق راحداً به باخاً ممن
يشتره بأعس الأمان . (٣) كنت عدي التي أطول بها الرمن فأصحت حرماً على آب والرمن .
ولرب من هذا المني وأدق منه وأدوع قول ابن الرومي :

« تحذركم دوماً فلياً تمسوا سهام السدا هي مكتم لهاها
وفد كنت أرحمكم حين ناسر على حين حلال المني عهاها »

إلى أن يقول :

« بقوا وقعة للمدور على محرة - وطوا نال لها ونالها »

وقول القائل :

(٤) « واخوات حبهو دوماً فكاهوا ، ولكن للأمان
وحبهو ، سهاها صالحت مكاهوا ، ولكن في مزاوي
وقالوا : « قد صحت ما تلوب لفصداوا ، ولكن من ودادي »
(٤) ازهد في ودي كما شئت فوالله لنيس على رهادك في ، وما أجل قول ابن الرومي
« ولربما يودي أن يبال فاني في غير ذلك من الأمور أرخص
إليك لا تستل ما أرخص طرا ، فأقل منه ما لا أرخص
شئى - من استقرنى وظلنى به أنى سألهم عن ذلك شوعمرس »

في مدح ابن جهور

« قلها في مدح أبي الحزم بن جهور
أحد ملوك الطوائف »

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيْبَا فَصَلِّي بِفَرْعِكَ لَيْلَكَ الْغَرِيْبَا ^(١)
وَلَدَيْكَ - أَمْنَالِ النُّجُومِ - قَلَانِدُ أَلِفَتْ سَمَاءَكَ لَبَّةً وَتَرِيْبَا ^(٢)
لِيُنْبَ عَنِ الْجُوزَاءِ قُرْطُكَ كُلَّمَا جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَغْرِيْبَا ^(٣)
وَإِذَا الْوِشَاحُ تَعَرَّضَتْ أَتْنَاوُهُ طَلَعَتْ تُرِّيَا لَمْ تَكُنْ لِنَغْيَا ^(٤)

(١) سراك : سيرك ليلا ، العريب : الشديد السواد يقول كاد الصباح يصعدك فصلى سواد الليل بسواد شعرك ، أليس شعرك كالأبل ، قال ابن سمام :
قوله : « فصلى معرك ليلتك العريبيا » من قوله أبي الطيب :
« كنت ثلاث روائف من شعرا في ليلة فأرت ليلى أرسا »
ويطر إلى قول المرى :
« يود أن طلام الليل دام له ويريد فيه سواد القلب والصر »
ولتهامى :

« وتود لو حملت سواد قلوبها وسواد أعينها سواد عذار »
وقال محمد بن هاني :

قد أطلوا بالهم منها فجرهم فكورث شمس النهار نصا
واستأهوا نساتها عرا ، ولو فقدوا نواصيها أبادوا العيا

(٢) الله بورن الحيه البحر - والغريب : واحد ترائب الصدر ، وهي موضع القلادة منه - والمعنى لديك قلائد شبيهة بالبحوم تسكن سماء البحر والصدر ملك كما تسكن الدحوم السماء - وأمثال البحوم بالنصب حال من قلائد الكره ، تقدم عليه ، وهو الذي سوع بجىء صاحب الحال بكره ، قال ابن مالك :
« ولم يكره عالادو الحال إن * لم يتأخر » ومن شواهد قوله : « وما لام معنى مثلها لى لام »
فمثلها بالنصب حال من لائم الكره ، ويجوز أن يكون أمثال متندا حره لديك وقلائد بدلا منه .
(٣) الحوراء : نجم يقترب من حور السماء أى وسطه ، شبه قرطها بالحوراء وجمعت أى مالت معرفة كأنها طائر يث حاده . يقول أبيى عن الجوزاء قرطك فإذا مالت معرفة لتصب في الأفق .

(٤) الوشاح : أديم يسبح عريضا ويرصع بالجوهر وتشده للراة بين طائفيها وكشحيها وتشبه الثريا إذا تعرضت أى سارت معوجة بالوشاح الموجة أتناؤه - وأثناء الوشاح ما أنفى منه ، قال اسرؤال القيس :
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح للفصل
أى أوجت ولم تستقم في سيرها اعوجاج ما أنفى من الوشاح على جلبة امتشت به .

وَلَطَمْنَا أَبْذَنَتِ إِذْ حَيَّتَنَا كَفَاهِي الْكَفِّ الْخَضِيبُ خَضِيْبًا



أُطْلِقِنَةَ ، دَعَوَى الْبَرَاءَةِ شَأْنَهَا أَنْتِ الْعُدُوُّ فَلِمَ دُعِيتَ حَيِّبًا^(١)
مَا بَالُ خَدِّكَ لَا يَزَالُ مُضْرَبًا يَدَمٍ وَلَحْظُكَ لَا يَزَالُ مُرِيًّا^(٢)
لَوْ شِئْتُ مَا عَذَّبْتُ مَهْجَةَ عَانِقٍ مُسْتَعْذِبٍ فِي حُبِّكَ التَّمْذِيْبَا
وَلَوْ زِدْتِهِ - بَلَى عَذْبَتِهِ - إِنْ أَلْهَوَى مَرَضُ يَكُونُ لَهُ الْوِصَالُ طَيِّبَا
مَا الْمَجْرُ إِلَّا الْبَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ لَمْ يَشْعُ فَاهُ بِدِ الْغُرَابِ نَعِيًّا^(٣)

- (١) يا متهمة بمن الماتقين يا عصوبة الكلب بذمائم أنت العدو فكيف دعوتك منك حبا .
(٢) مثله قول الحميري :

« عيناك قد احتره بدى وعلى حديثك نوره »

(٣) شعاه فاه يشعوه . ونحوه ، والحب والحب : صوت الغراب ، ونحوى ما المجرى إلا إلى إلا أن الغراب في هذه المرة - لم يمتح فاه ليندنا بذلك المجرى المبيت ، والحب بدير المراقعة العرب ، ويسمون الغراب الأبقع غراب الحب ، هل عنترة :

« طعن المدين مراقهم أتوقع وحرى بينهم الغراب الأبقع »

وقال النابغة الذبياني :

« رغم الأحة أن رحلتهم غدا وبذاك تعاب الغراب الأسود
لا سرحنا بعد ، ولا اهلا به إن كان تمرق الأحة في حد »

وقال قيس ابن ذريح :

« ألا يغراب الرب ، قد غرت بالدى ألدو من لى فهل أنت واقع
ولمك لو أبليت : قبلى اسلمى بكت حدوا وأرمن منها للداغ »

وقال الحميري : « نى من العران ليس على شرم يحبرنا أن الشعوب إلى صدق
أصده في سره ، وقد لغرت صابة مومى بعد آياته النسخ »

وقال في رثاء الشريف المرتضى :

« من شاعر لا ين قال قصيدة رثى الشريف على روى الفاف »

إلى آخر هذه الأبيات التي لاحجة بنا إلى تصحيحها .

وقد شد أحد الشعراء فأنهى باللائمة على من نهب هذا الذهب الخاطى في دم الغراب ، وبرأه من تهمة

التفريق ، فقال :

والناس يلحون غراب الحب لما جهلوا

وحل غراب الحب إلا ناقة أو جمل

وما على طهر غراب الحب تطوى الرحل

وَلَقَدْ قَعْنَىٰ فِيكَ التَّجَلُّدُ نَحْبَهُ فَتَوَىٰ وَأَعْقَبَ زُفْرَةً وَنَحْيَا
وَأَرَىٰ دُمُوعَ الْعَيْنِ لَيْسَ لِفَيْضِهَا غَيْضٌ إِذَا مَا الْقَلْبُ كَانَ قَلْبِيَا

»
* *

مَالِي وَلِلْأَيَّامِ لَجَّ مَعَ الصَّبَا عُدْوَانُهَا فَكَسَا الْعِدَاوَةَ مَشِيْبَا
عَقَّتْ هِلَالَ السَّنِّ قَبْلَ تَمَامِهِ وَذَوَىٰ بِهَا غُصْنُ الشَّبَابِ رَطِيْبَا
لَأَمْ بِي مَا لَوْ أَلَمْ بِشَاهِقٍ لَأَنْهَالَ جَانِبَهُ قَصَارَ كَثِيْبَا^(١)
فَلَنْ تَسْنِي الْحَادِثَاتُ فَقَدْ أَرَىٰ لِلْخَفْنِ فِي الْمَنْصِبِ «الطَّرِيرِ نُدُوبَا»^(٢)
وَلَنْ عَجِبْتُ لِأَنْ أَصَامَ «وَجَهْوَر» نِعمَ التَّصْيِيرُ لَقَدْ رَأَيْتُ عُجِيْبَا
مَنْ لَا تُعَدِّي النَّائِبَاتُ لِجَارِهِ زَخْفًا وَلَا تَمْشِي الضَّرَاءُ دَيِّبَا^(٣)
مَلِكٌ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهُ مُوَفَّقٌ مَا زَالَ أَوَابَا إِلَيْهِ مُنِيْبَا
يَأْتِي رِضَاءَهُ مُكَارِبَا وَمُوَالِيَا وَيَكُونُ فِيهِ مُمَاقِبَا وَمُنِيْبَا
مُسْتَرَسِمٌ بِالذَّهْرِ يَقَعْدُ صَرْفُهُ إِنْ قَامَ فِي نَادَى الْخُطُوبِ خَطِيْبَا

(١) اللي : لقد نزل بي ملو رل بجل شامق لقط جابه صار كنيبا ميلا أي رملا له ميل واتتر -

وهو مأخوذ من قوله تعالى « يوم ترحب الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا ميلا »

(٢) قسي : أي تمشي مكروها من قولهم سلمه حسما إذا أولاه إياه وأراد به عليه - والجفن :

الغند - والصب : السيف - والطير : القاطع - والدوب : جمع نوب بمعنى وهو في الأصل أثر الجرح في الجسم إذا لم يبرح عن الجلة - وأراد به هنا أثر الصدا القى بلو مرند السيف لطول مكته في السد - وللي فلان يجرى طول الكت في السجى فان السيف يبدأ بطول الكت في الجفن .

(٣) عدى : بالتصنيف تحفر وترفع في العدو - وزحما من زحف الجيش - والفرء : من قولهم

فلان يلقى الفرء إذا ملى مستغيا فيها يوارى من الشجر - والذبيب : مصدر دب الخمل والتبع معنى على هيئته واللم : نعم التصير ظهور من لا يترسج التائبات إلى جاره زحما ولا تهب إليه مستغية

لَا يُوسَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيرُ بِهِ وَلَا يَتَعَادُ إِذْسَاكَ الْكَلَامُ قَضِيْبًا^(١)
تَأْنِي ضَرَائِيَهُ الضُّرُوبَ نَفَاسَةً مِنْ أَنْ تَقِيْسَ بِهِ النُّفُوسَ ضَرِيْبًا^(٢)
بَسَامُ تَغْرِ الْبِشْرِ إِنْ عَقَدَ الْحُبَا فَرَأَيْتَ وَضَاحًا هُنَاكَ مَهِيْبًا^(٣)
مَلَأَ النَّوَاطِرَ صَامِتًا وَلَرُبَّمَا مَلَأَ الْمَسَامِعَ سَامِمًا وَجِيْبًا^(٤)
عَقْدُهُ تَأَلَّفَ فِي نِظَامِ رِيَاسَةٍ نَسَقَ اللَّالِيْ مَنْجِيْبًا وَجِيْبًا^(٥)
يَقْشِي التَّجَارِبَ كَهْلَهُمْ مُسْتَنِيْبًا بِقَرِيْحَةٍ هِيَ حَسْبُهُ تَجْرِيْبًا
وَإِذَا دَعَوْتَ وَلِيْدَهُمْ لِعَظِيْمَةٍ لَبَّاكَ وَفَرَاقَ السَّاحِرَ أُدِيْبًا^(٥)

(١) الرأى الطير : ما به محبة وأمله من اختيار المعين قل أن يحتر - و نصب : للفتب من قولهم
انصب المظلة والكلام أى أرسلها من غير إعداد وتهيئة - والمعنى : أنه لا ينسب سمة المعلة في الرأى ولا
يرسل الكلام منتصا مرتعلا من غير إعداد له ورياسة عليه .

(٢) ضرائبه : سبائيه - والصروب : جمع صرب وهو التل والشبه كالصرب ، أى تمنع سبائيه أن
يكون له أمثال وأشياء فاسدة ذلك الخلال الكريمة أى صاها وأاء من أن تقبس به النفوس ضريا وشديها
(٣) الحوة : كبرية وسفرة تجمع على حا كبرف وسدر ، والاحتناء أن يصم الحائس رجليه إلى طيه
ومعصهما مع ظهره يثوب وقد يمتحي يديه ، وهو يوم مقام إسعاد الطير إلى حائط أو نحوه ، أى أنه
كثير الالتصاق بعلامه ويصر أن جلس تحتها مطرت منه وساح الحية مفرق الظلمة مهيبا .

(٤) للمعنى : أنه ملأ الواطر - روعة وهبة في حال صوته وللصامح حكمة وديانا سامعا من الناس ومجيبا
قال ابن سمام :

قوله : « ملأ الواطر صامتا » من قول ابن زيدون أيضا :

أسألها واحمل بكاك حواجا تحم الشوق سائلا ومجيا

ويطر أيضا إلى لفظ هذا البيت دون معناه قول أنى للطيب :

فدعاك لحسدك الرئيس وامسكوا ودعاك حلفك الرئيس الأكبر

حلفت معانك في الميوس كلامه كالخطب علأ مسمى من أصر

ويصح أيضا هذا البيت قول أنى نواس - على ما صرحه من الناس -

« ألا فاسقى حرا وقل لي : هي الجر » وهذا التعبير فيه أضمت الوحده ، وبتت من حرف أشبه من هذه

كلها بيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب التبروان :

سل عما والخطى به وانظر إليه محمد صله السامع والانواء والفصل

(٥) لك : أمائك - وفرق السامح : يريد أن يباهه بفرق أى يجرى كلاما حريا سهلا - وأديبا :

لها أديبا بالراء للهمة أى حافظا

هَمُّ تَنَافُسِهَا النُّجُومُ وَقَدْ تَلَا فِي سُوَادٍ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقِيبًا
وَحَامِسُنْ تَنْدَى رَقَاتُكَ ذِكْرُهَا فَكَادُ تَوَهُمُكَ الْمَدِيحُ نَسِيبًا ^(١)
كَأَلَسِ أَخْضَرَ نَضْرَةً، وَالْوَرْدُ أَحْمَرَ بَهْجَةً، وَالْمِسْكُ أَذْفَرُ ^(٢) طِيبًا
وَإِذَا تَفَنَّنَ فِي اللِّسَانِ ثَنَائُهُ فَاقْتَنَ لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ غَرِيبًا ^(٣)
غَالِيًا بِمَا فِيهِ فَغَيْرُ مُوَافِقٍ مَرَقًا وَلَا مَتَوَقِّعٍ تَكْذِيبًا ^(٤)

* *

كَانَ الْوُشَاءُ وَقَدْ مُنِيتُ بِإِفْكِهِمْ - أَسْبَاطَ يَمْقُوبٍ وَكُنْتُ الذَّيْبَا ^(٥)
وَإِذَا الْمُنَى بِقَبُولِكَ الْفَضْلَ الْجَنَى هَزَّتْ ذَوَائِبُهَا فَلَا تَشْرِيبَا
أَنَاسِيْفُكَ الصَّدَى الَّذِي - هَمَّاءُ تَشَاءُ تُعِدُّ الصَّقَالِ إِلَيْهِ وَالتَّذْرِيبَا ^(٦)
كَمْ صَاقِي مِنْ مَذْهَبٍ فِي مَطْلَبٍ فَتَنِّيَتْهُ فُسُحُ الْمَحَالِ رَحِيْبَا
«وَرَهَا» حَنَابُ الشُّكْرِ - حِينَ مَطَرَتُهُ بِسَحَابِ النَّعْمَى - فَرَدَّ خَصِيْبَا ^(٧)

(١) قال ابن ماس :

قوله : « فَكَادُ تَوَهُمُكَ الْمَدِيحُ نَسِيبًا » من قول أبي تمام :

(٢) أذفر : دكن طيب الريح .

طاب بك المدح والدحى فاق وصف البيار والفتييا

(٣) إذا تنس : أى أطرد مدحها في اللسان - فاقتن : أى أحدى من مود وضروب من المدح لم يكن

مراد للباح عربيا لأنه يستعمل من صفاته فيقول .

(٤) موافق : مدان ، والتوقع : للتطر - والمسى : بالغ مدحه بما فيه من الصفات فلم يكن مدايا

إفراطاً ولا متغوراً تكديبا .

(٥) منيت بليت - والافك الكذب والتحدث بالباطل ، يريد أنه يرى مما اجلى به من إفكهم براءة

الدف من دم ابن يعقوب .

(٦) للتدريپ : التعديد .

(٧) وجد هذا البيت في الأصل وفي غيره من الطائر ناهيا ، والزيادة عطيا السائق .



فَتَهْنِئِ الْأَعْيَادَ عَادَةً لِأَبْسٍ يُبْلِي الدَّرِيسَ فَيَسْتَجِدُّ قَشِيباً^(١)
وَمَتَّى سَعَيْتَ لِتَنْزِيحٍ مُتَعَذِّرٍ فَوَجَدْتَهُ سَهْلَ الْمَرَامِ قَرِيباً^(٢)
وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدَرُ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ لِحُكْمِهِ تَعْقِيباً

عتاب

أَحِينَ عَلِمْتَ حَظَّكَ مِنْ وِدَادِي وَلَمْ تَجْهَلْ حَقَّكَ مِنْ قُوَادِي
وَقَادِنِي الْهَوَى فَاتَّقَدْتُ طَوْقاً وَمَا مَكَّنْتُ غَيْرَكَ مِنْ قِيَادِي
رَضِيتَ لِي السَّقَامَ لِأَبَسَ جَنَمٍ كَحَلَّتْ الطَّرْفَ مِنْهُ بِالسُّهَادِ^(٣)



أَجَلْ عَيْنِكَ فِي أَسْطَارِ كُنْبِي تَجِدْ دَمْعِي مِزَاحًا لِلْعِدَادِ^(٤)
قَدَيْتُكَ إِنِّي قَدْ ذَابَ قَلْبِي مِنْ الشُّكُوفِ إِلَى قَلْبِ جَمَادٍ

(١) يقال تهناً الطعام ونهأ به كما يقال نطق العي، ونطق به - أي نهأ بالأعياد غير محال مادته فيها من إلهاء الثوب الدريس أي الخلق، وليس القشيب أي الحديد، وهذا طبع قوله في الآية .

فأبل وأحلف إنما أمت لاس لهدى أقبالي القز وهي ثياب

(٢) ومتى سعت لملّ الأمل ولكم سعت الدت - والذي يظهر أن هذه الأبيات التي غنمت بها هذه القصيدة ومع فيها شيء من التعريب طبعه .

(٣) يقول : « أجب أيقنت أنني لا أمل أحداً علك من ملي وعلمت أنني أسير هواك خزيني ملي ذلك الاخلاص والحب سقاماً وتسيباً . وما أمل قول المجهول : .

وأدبتي حتى إذا ما فتنني بقول يحمل اللحم سهل الأباطح

تأملت عني حين لالي حيلة وعادرت ما طردت من الجوامع

(٤) تأمل في سطور الكتب التي أهدت بها إليك محمد دمي مجلداً بعددته

رثاء فتاة

« قال برئ ابنه المعتض المتوفاة قبل وفاته بثلاث »

سَرَّكَ الدَّهْرُ وَسَاءَ قَافِنُ شُكْرًا وَعِزًّا (١)
 كَمْ أَفَادَ الصَّبْرُ أَجْرًا وَأَقْتَضَى الشُّكْرُ نَمَاءَ (٢)
 أَنْتَ إِنْ تَأْسَى عَلَى الْمَفْقُودِ إِلْفًا وَأَجْتَبَاءَ (٣)
 فَاسْأَلْ عَنْهُ فَيَزِدْ وَأَخْشَلِ الرُّزْمَ إِبَاءَ (٤)
 أَيُّهَا « الْمُعْتَضُ » الْمَنْصُورُ مَلَيْتَ الْبَقَاءَ (٥)
 وَتَزِيدَتِ مَعَ الْأَيَّامِ عِزًّا وَعَلَاءَ (٦)
 إِنَّمَا يُكْسِبُنَا الْحُزْنَ نُهُنَا لَا فَنَاءَ (٧)
 أَنْتَ طَبَّ أَنْ دَاءَ السُّمُوتِ قَدْ أَغْيَا الدَّوَاءَ (٨)
 فَتَأْسَى (٩) إِنْ ذَاكَ الْخَطْبُ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ
 وَسَيَفْنَى الْمَلَأُ الْأَعْلَى إِذَا مَا أَلَّهُ شَاءَ

✱ ✱

حَبْدًا هَدَى عُرُوسٍ دَفَنَهَا كَانَ الْمِدَاءُ
 عَمَرَتْ حِينًا وَمَاءَ الْحُزْنِ شَكْلَيْنِ سَوَاءَ

(١) ابن : الرم من دولهم فبب حياتي أي لرمته ، قاله صفة :

فأحتبها لب البية منهل لايد أن أسقى بذاك المهل

فاني حياك لا أبالك واطلى أي امرؤ سأموت إن لم أقتل

والصبي : مرك الدهر وساءك فاشكره على أن مرك وتمز بذلك مما ساءك .

(٢) زيادة . (٣) الاجتباء : الاصطباء .

(٤) ملئت البقاء : منطك الله بالبقاء . (٥) اللاء : الرمة .

(٦) إنما يكسبها الحزن ألما لا فائدة فيه ولا جدوى منه .

(٧) أنت طام خير بأن داء الموت لا جود له . . (٨) اصبر .

نَمْ وَلَتْ فَوَجَدْنَا أَرْجَ (١) الْمِسْكِ ثَنَاءً
جَمَعَتْ تَقْوَى وَإِخْبَاءً تَأَ (٢) وَفَضْلًا وَذَكَاءَ
سُتُوٍّ مِنْ جَاهِ الْكَوْثَرِ الْمَذْبِ رَوَاءَ (٣)
حَيْثُ تَلَقَى الْأَتَقِيَاءُ ، الشُّعَدَاءُ الشُّهَدَاءُ

* * *

هَانَ مَا لَاقَتْ عَلَيْهَا أَنْ غَدَتْ مِنْكَ فِدَاءَ (٤)
غُفْمُ أَخْبَابِكَ أَنْ تَبْقَى وَإِنْ غُمُّوا فَنَاءَ (٥)
قَالْبَسِ الصَّنْعَ مُلَاءَ وَأَسْحَبِ السَّعْدَ رِدَاءَ (٦)
وَرِثِ الْأَعْدَاءَ أُنْعَمَا رَهْمُ وَالْأَوْلِيَاءَ (٧)

في الغزل

مَا صَرَ لَوْ أَنَّكَ لِي رَاحِمٌ وَعَلَيَّ أَنْتَ بِهَا عَالِمٌ
يَهْنِكَ نَاسُؤُلِي وَبَا مُبَغْتِي أَنْكَ مِمَّا أَشْتَكِي سَالِمٌ (٨)
تَضَحَّكَ فِي الْحُبِّ وَأَبْكِي أَنَا اللَّهُ - فِيمَا يَنْتَنَا - حَاكِمٌ
أَقُولُ لِمَا طَارَ عَنِّي الْكَرَى قَوْلَ مَعْنَى قَلْبُهُ هَائِمٌ
« يَا نَاعِمًا أَيْعَظَنِي حُبُّهُ هَبْلِي رُقَادًا أَيُّهَا النَّاسُ » (٩)

(١) طب . (٢) الاحبات : المشوع . (٣) ستروى من ماء الكوثر .

(٤) هون عليها حطب الموت أنها اعتدلتك معها من الردى .

(٥) إن أحبابك ليرون في جفائك أكبر دور لهم ولو احتدوك بأعصم .

(٦) اللام واللامه : الرطة ذات لغبين ، وللمنى : ارملى في حلال المروء والسعادة .

(٧) وحبك لله أعمار أعدائك وأسمائك .

(٨) من أبعد ما قرأناه في هذا المعنى قول الصريح الرضى :

« أهون عليك - إذا امتلأت من الكرى - ، أى أيت بليلة للـشـوع ،

(٩) يقول : « ليس من العدالة أن تلم وأسر ، فالتم على بالكرى سداً أن يعلو هجرتك » .

تهنئة

« وقال يهنئ المعتضد وقد شرب دواء »

أَتَحَدَّثَ حَافِيَةَ الدَّوَاءِ وَنِلْتَ حَافِيَةَ الشِّفَاءِ
وَخَرَجْتَ مِنْهُ مِثْلَمَا خَرَجَ الْحَسَامُ مِنَ الْجِلَاءِ
وَبَقِيتَ لِلدُّنْيَا فَأَنْتَ دَوَاوُهَا مِنْ كُلِّ ذَا
وَوَرِثْتَ أَعْمَارَ الْمَدَى وَقَسَمْتَهَا فِي الْأَوْلِيَاءِ (١)
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْجَيَا دَسَارَ فِي ظِلِّ اللُّوَاءِ
وَأَجْتَالَ يَوْمَ الْحَرْبِ قَدْ مَا وَأَخْتَى يَوْمَ الْحِبَاءِ (٢)
بُشْرَاكَ عُقْبَى صِحَّةٍ تَجْرِي إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءِ
فِي دَوْلَةٍ تَبْقَى بَقَا الدَّهْرِ آمِنَةً الْفَنَاءِ
وَمَسْرُوعٍ يُفْضِي بِهَا زَمَنٌ كَحَاشِيَةِ الرَّذَاءِ
وَأَشْرَبَ فَقَدْ لَدَّ النَّسِيمُ وَرَقَّ سِرْبَالُ الْهَوَاءِ
لِنَرَى بِكَ الْبَهْوَ الْمُطْلِ عَيْسُ فِي حُلَلِ الْبَهَاءِ
وَبَقِيتَ مَقْدِيًّا بِنَا إِنْ نَحْنُ جُزْنَا فِي الْفِدَاءِ (٣)

(١) قوله : « وقسمتها في الأولياء » يذكرونا قول العباس الأصم :

لو كنت هذا الحب لخدمته حكيم أو قصاص
لطلسته لجمعه من كل أرض أو سماء
فقسمته بيني وبينه من حبيب عني بالسواء
حقاً إذا متنا جميعاً والأمر إلى انتهاء
مات الهوى - من سعدنا - أو طش في أهل الوفاء

(٢) أحال : من إحالة القديح في اليسر وبأسه قدما أي طار بالظفر والصر على الأعداء ، واحتال في الحرب وحال بمعنى واحد وبأسها قدما صمتين - وللتخفيف بالاسكان في منه حائر - ومساء جال في الحرب يعني قدما أي إلى الامام ، والحاء : بالكسر العطاء .
(٣) مدلك أعمارنا إن كل يغبل ما هذا الفداء .

تهنئة بفصد

« وقال بهنيه بفصد »

لِيَهْنِكَ أَنْ أُمَحَّدْتَ طَاقِبَةَ الْفَصْدِ فَدَّهِ مِنَّا أَجْمَلُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
وَيَا عَجَبًا مِنْ أَنْ مَبْضَعٌ قَاصِدٍ تَلَقَّيْتَهُ لَمْ يَنْصَرِفْ نَابِي الْهَدِّ
وَمِنْ مُتَوَلَّى فَصْدٍ يُمَنَّاكَ كَيْفَ لَمْ يَهْلُهُ عُيَابُ الْبَحْرِ فِي مُعْظَمِ الْمَدِّ
وَلَمْ تَنْفُسْهُ الشَّمْسُ الْمُنِيرُ شِعَاعُهَا فَيُخْطِئَ فِيهَا رَامَهُ سَنَى الْقَصْدِ

* *

سَرَى دَمَكَ الْمُهْرَاقُ فِي الْأَرْضِ فَكَتَسَتْ أَفَانِينَ رَوْضٍ مِثْلَ حَانِيَةِ الْبُرْدِ
فِصَادُ أَطْلَبِ الدَّهْرِ فَالْفَطْرُ فِي الثَّرَى كَمَا طَلَبَ مَاءَ الْوَرْدِ فِي الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
لَقَدْ أَوْفَتْ الدُّنْيَا بِعَهْدِكَ نُصْرَةً كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهَا كَرَمَ الْعَهْدِ (١)
لَدَى زَمَنِ غَضٍّ أُنَيْقٍ فِرْنْدُهُ (٢) كَيْثُ فِرْنِدِ الْوَرْدِ فِي خَجَلَةِ الْهَدِّ
تُسَوِّغُ مِنْهُ الْعَيْشُ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ مُقَابَلَةً الْأَرْجَاءِ بِالْكَوْكَبِ السَّعْدِ

* *

فَهَبْ إِلَى اللَّذَاتِ مُؤَثِّرَ رَاحَةٍ نُجْمٌ بِهَا (٣) النَّفْسُ الْفَيْسَةَ لِلْكَدِ (٤)
وَوَالِ بِهَا فِي لَوْلُوٍ مِنْ حَنَابِهَا (٥) كَحِيدِ الْفَتَاةِ الرُّودِ فِي لَوْلُوٍ الْعِقْدِ
وَأِنْ تَدْعُنَا لِلْأُنْسِ - عَنْ أَرْجِيَةٍ - فَهَذَا يَا نَاسُ الْمَوَلَى إِذَا أَرْتَاحَ بِالْعَبْدِ

(١) يقال وفي المهد أو في المهد وكلاهما بمعنى واحد قال تعالى « وأومر مهد الله » ومعنى ألبت لقد

طاعتك الدنيا على العرة ووقت المهد ولم تنقصه فكأنك قد علمتها الوفاء وكرم المهد .

(٢) أنيق الوسى . (٣) ترتاح بها .

(٤) تخم : يقال تخم وأحما هو أى تركها تستريح ما قدته ، واللى : انشط إلى اللذات مفضلا الراحة قليلا ، وترك تلك تستريح ما قدته من قوتها لتتأهب الكد والعمل لها في الدولة .

(٥) الجانب : الحاجة وما قرب من محبة النوم .

في مدح ابن جهور

- مَا طَلُوْكَ عَذْلِكَ لِلْمُحِبِّ بِتَأْفِيعٍ ذَهَبَ الْفَوَادُ فَلَيْسَ فِيهِ بِرَاجِعٍ ^(١)
فُنُذْتُ حِينَ طَمِعْتَ فِي سُلُوَانِهِ هَيْبَاتٍ لَا ظَفَرٌ هُنَاكَ لِطَامِعٍ ^(٢)
فَدَعِيهِ حَيْثُ يَطْوِلُ مَيْدَانُ الصَّبَا كَيْمَا يَجْرُ بِهِ عِنَانُ الْخَالِجِ ^(٣)
مَاذَا يَرِيكَ مِنْ فَتَى عَزِّ الْهَوَى فَعَنَّا لِنُخَوِّتِهِ بِذِلَّةٍ خَاصِعٍ ^(٤)
هَلْ فَيَّرَ أَنْ تَحْضَرَ الْوَفَاءَ لِنَادِرٍ أَوْ غَيْرَ أَنْ صَدَقَ الْوَسَالَ لِقَاطِعٍ ^(٥)
لَمْ يَهْوَ مَنْ لَمْ يُنْسِ قُرَّةَ عَيْنِهِ سَهْرُ الصَّبَابَةِ فِي خَلِيٍّ هَاجِعٍ ^(٦)
وَاهَا لِأَيَّامٍ خَلَّتْ مَا عَهْدُهَا - فِي حِينِ ضَيِّعَتِ الْمُهْوَدَ - بِضَائِعٍ ^(٧)
زَمَنْ كَمَا رَاقَى السَّقِيطُ مِنَ النَّدَى يَسْتَنْ فِي صَفَحَاتٍ وَرَدٍ يَانِعٍ ^(٨)
أَيَّامٍ إِنْ عَتَبَ الْحَبِيبُ - لِهَفْوَةٍ - شَفَعَ الشَّبَابُ فَكَانَ أَكْرَمَ شَافِعٍ ^(٩)

(١) المدل : اللوم ، واللى : لا تملديه وليس المدل بافع عما ذهبت فؤاده مع من يهواه فليس يرجعه كثرة اللوم والتصيب . (٢) فمنت : أى سبت إلى الكذب وسبغت الرأى حين تطمين في سلو محب يمد كل المدد أن يطر طامع في سلوانه سائل .

(٣) الخالغ : من حلق الفرس مداره ألقاه عن نفسه فعدا بفرس ، وهو مثل يغرب لمن أطلق من قيده ، يقول : اتركه وشأنه في الهوى حيث يتبع له مجال الصبا ، وسراج الشاب ، كي يطلق لنفسه التنازل في اللهو والراح . (٤) ماذا يريك : ماذا تكرهينه ويسوءك من فتى ، أو أى فتى يمحط منه في ربه وشك ، وما : حصع وأطاع ، والنخوة : العظمة والكبر ، وهذا البيت يذكرنا بحول المريد الأرضي :

« لو حيث يستع للمرار وقتنا لمبتنا من عزه وحسوبي »

(٥) مضاه : هل يعرف غير محس الوفاء لمن صدر ، وحسن الصلة لمن هجر .

(٦) لم ينفق طعم الهوى من لم يكن سهر الصباة في خلى نائم حينا إلى شغ ، وقرة ليمه .

(٧) واه : كلمة يصعب بها من طيب الشيء وحسنه ، واللى : ما عهد تلك الأيام التي تروق بهجتها بصالح عندي في حين ضيقت أنت كل المهود .

(٨) راقى : أعجب ، والسقيط : ماسقط من الندى على الزهر ، ويستن : ينصب كالدمع في صفحة الورود

(٩) قريب من هذا للى قوله في مطلع بآيته :

أما طلت أنت الشمع شباب فيقصر من لوم الحب خطاب

علام الصبا فسر يرف رواؤه إذا من وصل الحسان ذهاب

مَالِي وَلِدُنِيَا غُرُوتٌ مِنَ الْمُنَى فِيهَا يِبَارِقُ السَّرَابِ الْخَادِجُ
مَا إِنْ أَزَالَ أَرُومُ شُهْدَةً قَامَا أَنْحَى مُجَابَّتَهَا بِإِزْرَةٍ لَا سِعِ (١)

* *

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْبِلَادِ إِذَا نَبَتْ أَنْ لَسْتُ لِلنَّفْسِ الْأَلُوفِ يَأْجَعُ (٢)
أَمَّا الْهَوَانُ فَصُنْتُ عَنْهُ صَفْحَةً أَغْشَى بِهَا حَدَّ الزَّمَانِ الشَّارِعِ (٣)
فَلَيْتَ نَعِيمَ الْحِطِّ الْمُوَلَّى أَنَّهُ وَلَّى فَلَمْ أَتْبِعْهُ خُطْوَةً (٤) تَابِعِ
إِنْ النَّفْيَ لَهُوَ الْقَنَاعَةُ لَا الَّذِي يَشْتَفُ نُطْفَةً مَاءٍ وَجْهَ الْقَانِعِ (٥)

* *

اللهُ جَارُ « الْجَهْوَرِيِّ » فَطَالَمَا مُنِيتُ (٦) صَفَاهُ (٧) الدَّهْرَ مِنْهُ بِقَارِعِ

(١) شهدة : ناهم والفتح واحدة العهد وهو الصل مادام لم يصبر من شمه ، والعاسل : الذي يشتار الصل أى يأخذه من الخلية ، والمحاجة : ما يحبه النحل من الصل ، وبين « عاسل » و « لاسع » حلس التلب ، والملى : ملأت أطب من الدنيا أملا يحكى محاجة طبل حننا إمرة لاسع .

(٢) نبت : لم يوافق المقام بها قال : « وإذا بابك منزل فتحول » ، واجع : مزهق مسمى وقائلها محام والملى : من يلغى فى ساكنى تلك البلاد التي رحلت عنها مع شدة تعلق بها أن لسب مقاتل مسمى أسما ومحام على مبارقتها إذا نبت في ولم توافى الاقامة فيها ، وفي معنى التحول من منزل الصم قول شار : إذا أمكرتى طعة أو مكرتها حرحت مع البارى على سواد

أى على بقية من سواد الليل .

(٣) الشارح : من شرع نحوه حد السبب أو الرمح وأفرعه سنده له وهو طير مول الآخر :

مرس للطمان إذا البيا - وحوها لا تعرض للسب

(٤) ناهم ما بين للتدبير وتجمع على خطا وخطوات .

(٥) البطقة الماء : التقليل ، ويشتمها : يفرجها عن آخرها ، يقال اشتب في شره إذا أتى على آخر ما في الآف لم يستر ، والمراد هنا أنه يرغبها كلها عند السؤال ، والقناع : السائل ، وفي الكتاب العزيز « وأطعموا الفقاع والمتر » وهو من قح - بالفتح - قنوا إذا سأل ، لاس قح - بالكسر - قناعة إذا رضى ولم يرق ماء وجهه بهذا السؤال ، يقول أن النفى على النفس بالقناعة لا على المال الذى يستتر فيه السائل ماء وجهه ، ويشتم آخر قطرة من حياته .

(٦) اجليت .

(٧) المحر العريس الأملس وجمع على صفا .

مَلِكٌ ذَرَى أَنْ الْمَسَاعِي مُنْمَعَةٌ فَسَعَى فَطَابَ حَدِيثُهُ لِلْسَّامِعِ
 شِيمٌ هِيَ الزَّهْرُ الْجَنِيُّ تَبَسَّمتْ عَنْهُ الْكَمَامُ فِي الضَّحَاءِ^(١) الْمَانِعِ^(٢)
 أَغْرَى مُنَافِسَهُ لِيُذْرِكَ شَاوَهُ فَشَاءَ بِالْبَاجِ الطَّوِيلِ الْوَاسِعِ^(٣)
 تَبَتْ السَّكِينَةُ فِي النَّدَى كَأَنَّمَا تِلْكَ الْحَبَا لِيَتَّ بِهَضْبٍ مَتَالِعِ^(٤)
 عَذْبُ الْجَنِيِّ لِلْأَوْلِيَاءِ فَإِنْ يَسِجْ فَالَسَّمُ يَا بَنِي أَنْ يَسْوَعَ جَارِجِ

* * *

يَأْيُمَا الْمَلِكُ الَّذِي حَاطَ الْمَدَى لَوْلَاكَ كَانَتْ جَمَى قَلِيلَ الْمَانِعِ
 أُنِسَ الْأَنَامُ إِلَيْكَ فِيهِ ، فَهَمَّ بِهِ مِنْ قَامٍ أَوْ سَاجِدٍ أَوْ رَاكِعِ
 مُتَبَوِّثُونَ جَنَابَ عَيْشٍ مُوْنِقٍ مُتَفَيِّثُونَ ظِلَالِ أَمْنٍ شَائِعِ
 فَلْتَضْرِبَنَّ مَعَهُمْ بِأَوْقَرِ شِرْكَةٍ فِي أَجْرِهِمْ مِنْ مُؤْتِرٍ أَوْ شَافِعِ
 خَيْرُ الشُّهُورِ اخْتَرْتُ عِنْدَ طُلُوعِهِ خَيْرَ الْبِقَاجِ لَهُ بِأَسْعَدِ طَالِعِ^(٥)

(١) النهار قبل انقضاءه بقليل وزمنه بعد زمن الضحى .

(٢) الرَّمْع .

(٣) الشَّارُ : الطَّلُوعُ وَالْفُوطُ وَالْعَايَةُ ، وَشَاءَ : سَجَّه .

(٤) النَّدَى : الْجَلْسُ ، وَالْحَا : بِالْفَمِّ وَالْكَسْرِ جَمْعُ حَبْوَةٍ وَهُوَ أَنْ يَجْعَ الْجَالِسُ سَاقِيَهُ إِلَى بَطْنِهِ يَدِيهِ أَوْ يَجْعَ ظَهْرَهُ وَسَاقِيَهُ ثَوْبٍ ، وَالْإِحْتِاءُ مِنْ طَاوَةِ الْعَرَبِ وَهُوَ يَنْتَعِ الْجَالِسُ مِنَ السُّوْطِ وَهِيَ مِنَ الْجِدَارِ الَّتِي يَسْتَدِ إِلَيْهَا ظَهْرُهُ ، وَلَيْتَ : لَفْتُ وَطَوَيْتُ حَوْلَهُ كَمَا تَطْوِي السَّامَةَ ، وَاللَّعْنُ : أَنَّهُ وَفُورٌ فِي جَمَلِهِ رَاحِلٌ الْجَلَّاشُ كَأَنَّمَا شَدَّتْ تِلْكَ الْحَبَا مِنْهُ عَلَى طُودٍ مِنَ الصَّخْرِ تَتَحَدَّرُ عَنْهُ مَسَائِلُ الْمَاءِ .

(٥) يَقُولُ إِنَّ شَهْرَ الصِّيَامِ وَهُوَ خَيْرُ الشُّهُورِ فَقَدْ اخْتَرْتُ لَهُ خَيْرَ الْبِقَاجِ عِنْدَ طُلُوعِهِ بِأَسْعَدِ طَالِعِ

شكر

« وقال أيضا وقد أباح له المعتضد التنزه مع

حرمه في إحدى جساته . »

فَمَرَمَنِي لَكَ الْإِيَادِي ^(١) الْبِضُّ نَشَبُ ^(٢) وَافِرٌ وَجَاءَ عَرِيضُ
كُلَّ يَوْمٍ يَجِدُ مِنْكَ اهْتِيَالُ ^(٣) ، عَمْدُ شُكْرِي عَلَيْهِ غَضُّ غَرِيضُ ^(٤)
بَوَّأَنِي ^(٥) نَمَّاكَ جَنَّةَ عَذْنٍ جَالٍ فِي وَصْفِهَا فَضْلُ الْقَرِيضُ
مُجْتَنِي مُدْنٍ ، وَظِلُّ بَرُودُ ، وَلَنَسِيمُ - يَشْفِي النُّفُوسَ - مَرِيضُ ^(٦)
وَمِيَاهُ قَدْ أَخْجَلَ الْوَرْدَ أَنْ صَا رَضَ تَذْهِيبُهُ لَهَا تَقْضِيضُ
كُلَّمَا غَنَّتِ الْحَمَامُ قُلْنَا : « مَعْبِدٌ - إِذْ شَدَا - أَجَابَ الْغَرِيضُ » ^(٧)

(١) العم . (٢) اللب : المال والمغار . (٣) فم .

(٤) الغرس : ماء المطر ، وكل أمس طرى ، وللعن : إني أطعمك كل يوم سم جديد فأبجك منك

شكر جديد . (٥) أحتي أو أرلتي أو أسكنني .

(٦) يصب الحية التي أكله بها ممدوحه بأن قطوعها دابة وطلها طليل ويسمها عليل يشي العوس .



(٧) معبد والعريض

هذان من أعلام الموسيقى العربية وقد كالا متعاصري ، وقد ذاع صيتهما حتى أصابا مضرب الأمثال في إحادة النماء والاحتلال فيه ، وقد كان معبد يقدر سماع المرض ويشيد به ، كما تدل على ذلك قصة تعارفهما التي ترك لحد روايتها بأسلوبه المتع ، قال :

« خرجت إلى مكة في طلب لقاء العريس ، وقد دلى حسن شأه في لجه :

وما ألس ملأ شياء لا ألس شاذنا ينك مكحولاً أسبلا مدامعه

وقد كان يلقي أنه أول لحن صم ، وأن الحن تهته أن يعنيه لأنه من طائفة منهم فاطلوا من مكة من أهل حسنه وفي هذا التهيد ما يدل على تصورهم واعتقادهم في ذلك العصر ، فقد سحرتهم ألحان العريض ففسوا إليها للمجزات وأنشأوا حولها الأساطير

.....

قال مريد :

فلما قدمت مكة سألت عنه فقلت على منزله فأثبته ، ففرحت الباب ، فلما كمل أحد ، فسألت بعض الجيران فقلت : هل في الدار أحد ؟ فقال لي : نعم فيها القريض ، فقلت : إني قد أكثرت حق الباب فلما أحاطني أحد قالوا : إن القريض هناك ، فرحمت فدفقت الباب ، فلم يحس أحد ، فقلت : إن نفي غثائي يوما يحس اليوم فاندفعت دسيت لحى في شعر حبل ، فوالله ما سمعت حركة الباب ، فقلت : بطل سحري ، وصاع سحري وحثت أطلب ما هو صبر علي واحترت نفسي ، وقلت : لم يوهني لصعب غثائي عنده ، فلما شعرت إلا صائح يصبح يا مريد للمنى ، اهتم وثاق عى ، شعر حبل الذى تمى فيه ياشقى البخت ، ونهى :

« وما أس مل أشياء لا أس قولها . . . »

(قال) فلقد سمعت شيئا لم اسمع أحسن منه وقصر إلى نفسي وطعت نصيحتك على بما أحسن من هذه ، وقلت : انه طرى بالامتنار من الناس تغزبا لعمه وتعطيا لفره وان مثله لا يستحق الادال ، ولا ان تتداوله المرحال ، فاردت الاصراف إلى المدينة واجبا ، فلما كنت غير بعيد إذا صائح يصبح بى :

يا مريد الطرأ ذلك فرحمت ، فقال : إن القريض يدهوك ، «أمرعت فرحا مدنوت من الباب . فقال لي :

أحب النحول ، فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ، فخرج الباب فصيح ، فقال لي : ادخل ولا تطل الخلوس فدخلت فاذا شمس طالعة فى بيت ، فسلمت فرد السلام ثم قال : احلى جلست ، فاذا أسل الناس وأصنهم وجأ وخلفا وحلقا ، فقال : يا مريد كيف طرأت إلى مكة ، فقلت : حبل مداءك وكيف عرفتى ؟ فقال : بصوتك فقلت : وكيف وأنت لم تسمع صوتي ؟ قال : لما غنيت مرثلك به وقلت : إن كان مريد فى الدنيا فهذا ، فقلت : حلت فذاك فكيف أجتى بقوك : «وما أس مل أشياء لا أس قولها ، ، فقال :

قد علمت أنك تريد أن أسمك صوتي :

«وما أس مل أشياء لا أس شادنا بكه مكحولاً أسلا مدامه»

ولم يكن إلى ذلك سبيل لأنه صوت قد نهيت أن أغنيه فميتك هذا الصوت جواباً لما سألت وغيت فقلت : والله ما عدوت ما أردت فهل لك حاجة ، فقال لي : يا أبا عباد لولا ملازمة الحديث وتخل إطالة الجلوس لا استكثر منك فاعذر ، فخرجت من عنده وأنه لأحل الناس منى ورجعت إلى المدينة ، فتحدثت بمحدثه وجمعت من فطته وقيافته ، فلما رأيت الساماً إلا وهو أحل منه فى صبي .

*
**

ومما نختاره من أحبار مريد الطرية ما حدث له فى السفينة ، فقد رويوا عنه أنه كان قد علم الفناء جارية من جوارى الحجاز تدعى طيبة وعن بخرمها ، فاشترها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشترها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهب به كل مذهب وولدت عليه ، ثم ماتت . بعد أن ألفت محمد بن برمجة من الزمان . وأخذ جوارره أكثر غناها عنها ، فكان لمحبته

إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار مبد وأين مستقره ويظهر التصبب له وللبلل إليه والتقديم لمتائه على سائر أماني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ مبدأ خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردوها صادف الرجل وقد خرج منها في ذلك اليوم إلى الأهواز فآكترى سفينة ، وجاء معه يمتس سمية ينحدر بها إلى الأهواز فلم يجد غير سمية الرجل ، وليس يعرف أحد منهما صاحبه ، فأمر الرجل لللاح أن يحميه معه في مؤخر السفينة ففعلوا وانحدروا ، فلما صاروا في نهر الأبية تشددوا وهربوا وأمر جواربه ففتن ومعد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه ثروة وحفان غليظان وري جانب من زى أهل الحجاز إلى أن فت إحدى الحوارى :

بات سعاد وأسى جعلها الصرما واحتلت المور فالأجراح من إضا
(والثناء لمجد) فلم تجد أداءه فصاح بها مبد : يا حارية إن غناك هذا ليس بمستقيم (قال) فقال له مولاه - وقد غصب - وأنت ما يدريك الثناء ؟ ما هو إلا أن تحك وتزعم شألك فأسك ، ثم غنت أسوأاً من شاء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت : يا بة الأزدى قلني كتيب . . . (والثناء لمجد) فأخلت بعضه ، قال لها مبد : يا حارية لقد أعطت بهذا الصوت إحلالاً شديداً . فغضب الرجل وقال له : وبك ما أنت والماء ، ألا تكف عن هذا الفصول . فأسك ، وغنى الحوارى ملياً ثم غب إحداها :

حليل عوجاً منك ساعة مى على الريح غشى حاجة ونودع
(والثناء لمجد) فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها مبد : يا هذه أما تعوين على أداء صوت واحد ؟ نصب الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفصول بوجه ولا حيلة ، وأنسى بالله أن طودت لأحرجك من السفينة فأمسك مبد حتى إذا سكنت الحوارى سكته اندفع بى الصوت الأول حتى فرغ منه ، فصاح الجوارى : أحسن يا رجل فأعده ، قال : لا والله ولا كرامة ، ثم اندفع بى الثانى ، فقلن لبيعن : ويحك هذا والله أحسن الناس غناء فله أن يبيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا تأخذنه منه فانه إن فانا لم نعد مثله أبداً فقال : قد سمعنى سوء ردهً هليكن وأنا حالف مثله منه وقد أسلمناه الاساءة فاصبر حتى نذاره ، ثم غنى الثالث وزلزل عليهم الأرض ، فوثب الرجل فخرج إليه وقتل رأسه ، وقال : يلبسنى احطاًنا عليك ولم تعرف موزيك ، فقال له : بهلك لم تعرف موسى قد كان ينسئ لك أن تتجت ولا تبرع إلى بسوء العفرة وجاء الثول . فقال له : قد أعطأت وأنا أحسن إليك مما حرى وأسأك أن تنزل إلى وتخطئ بى ، قال : أما الآن فلا . فلم يزل يرمى به حتى نزل إليه ، قال له الرجل : من أخذت هذا الثناء . قال : من بى أهل الحجاز ، فمن أين أخذته حواريك ، فقال : أخذته من حارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكأب قد أخذت من أبى عباد مبد وعنى جفريهما فكانت تحمل مى على الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عز وجل بها وبنى هؤلاء الحوارى ومن من تليها فأتا إلى الآن الغصب لمجد وأفضله على اللين جيا وأفضل صنعه على كل صنعة . فقال له مبد : أوايك لأنت هو اخترقنى ؟ قال : لا (قال) فبك مبد بيده صلته ، ثم قال : وأنا والله مبد وإليك قدمت من الحجاز ووايت البصرة ساعة نزلت السفينة لأصعدك بالأهواز ووافقه لافترت في حواريك هؤلاء ولأجلن لك في كل واحدة منهم خلفاً من اللاضية ، فأكب

الرجل والجواري على يديه ورجليه يملونها ويقولون : كئشنا منك طول هذا حق جفوناك في المحاربة وأسأنا عمرك وأنت سيدنا ومن تنبى على الله أن تلقاه . ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه في وقته ثمانية ديار وطييا وحدايا بمثلها وانحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى خلق حواريه وما أخذته ، ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز .



وقد روى أبو الفرج قصة قدوم معبد إلى مكة وسماحه من المعين وغناؤه لم فقال :

قال معبد : فيه فاعلى هنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيت وذكر ، قلت : لا بين مكة فلاسمين من المعين بها ولأعنيهم ولأكرمن إليهم ، فابنت حمارا طرحت عليه إلى مكة ، فلما قدمت بها حماري وسألت من الذين أن يجتمعون ، قيل : بقمصان في بيت فلان جلست إلى منزله باللس ففرب الباب ، فقال من هذا ، قلت : انظر فافاك الله ، فدنا وهو يسبح ويستعيد كأنه يخاف ، ففتح ، فقال : من أنت فافاك ، الله ؟ قلت : رجل من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قلت : أنا رجل أشتري اللثاء وأرهم أي أصرف مهيشا وقد باسي أن القوم يجتمعون عندي وقد أحب أن تنزلي في جانب منزلك وتحلطي بهم فاه لا مؤونة عليك ولا عليهم مي ، بلوى شيئا ثم قال : انزل على ركة الله (قال) فقلت فتاتي منزلك في جانب حبرته ثم جاء القوم حين أصبحوا واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا فأكروني وهالوا : من هذا الرجل . قال : رجل من أهل المدينة حبيب يشتري اللثاء ويطلب عليه ليس عليكم منه ثناء ولا مكروه . فرحوا في وكلتهم ثم استظفوا وشربوا وغنوا وخطت أعني بنائهم وأطهر ذلك لهم وبجهم مي حتى أقفا إياها وأخذت من هانهم وهم لا يدرون أسواتا وأصواتا وأصواتا ، ثم قلت لأن صريح : مدبك امسك على صوتك :

قل لهد وترها ميل شحط النوى غدا

قال : أو تحسن شيئا ، قلت : تطر عسى أن أصنع شيئا . واندفعت فيه دنيته فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنت فافاك الله . قلت : فأمسك على صوت كذا فامسكوه على دنيته فزادوا عجباً وصيحا . فلما تركت أحدا منهم إلا فحيت من غناؤه أسواتا قد تغيرتها (قال) صاحوا حتى علت أصواتهم وهروا بي ، وقالوا : لأنت أحسن بأداء غنانا عما منا ، قلت : فامسكوا على ولا تصحكوا بي حتى تسبوا من فاني ، فامسكوا على صيت صوتا من فاني صاحوا بي ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلى وقالوا : نخط بالله إن لك لصييا واسما وذكرا وإن لك دينا هاننا لهما عظيما فمن أنت ؟ قلت أنا معبد فقبلوا رأسي وقالوا : انعت علينا وكنا نهابون بك ولا لندك شيئا وأنت أنت . فأنت عندهم شهرا أخذ منهم وأخذون مني ما صرفت إلى المدينة .



ومن الطرف النادرة ما حدث لمعبد والأسود .

قال معبد : بهت إلى بني أسراء الحجاز وقد كان جمع له الحرمان إن اشخص إلى مكة فشخصت ، قال : فقدت من غلامي في بصر تلك الأيام واشتعد علي المر والطنش فاشتيت إلى غياه في أسود ، وإذا جاب

جَاوَزَتْ سَمَةَ^(١) مُشَيِّدَةَ الْمُنَى لِيَبْرُقَ الرَّخَامُ فِيهِ وَمِيضُ
رَمَزِهِ أَوْقَدَ الْفِرْنْدَ^(٢) عَلَيْهِ سَلْسَلُ بَحْرِهِ أَوْثَالُ يَفِيضُ
وَسَطَهَا دُمِيَّةٌ يَرُوقُ أَجْتِلَاهُ الْكُلُّ مِنْهَا وَيَفْتِنُ التَّبْعِيضُ^(٣)

ماء قد بردت قلت إليه قلت : يا هذا اسقى من هذا الماء ، فقال لا ، قلت : فأدنى لي في الكفن ساعة قال : لا ، فأعنت فانفتحت ولحأت إلى طلائها فاستترت به ، وقلت : لو احدثت لهذا الأمير شيئا من الماء أقدم به عليه ولعلني إن حررت لاسى ان يبل حاتي رقيق يحفف مني بمس ما أحده من المعطش . فترغمت بصوتي : « القصير فالجمل فالخاء بينهما » فلما سمى الأسود ما شرعت به إلا وقد احتلني حتى ادخلني خاضه ثم قال اي بأبي أنت وأمي ، هل لك في سويي السلت بهذا الماء البارد ، قلت : قد منعتني أكل من ذلك وهربة ماء تحزني (قال) فسقاني حتى رويت وحاء العلام فأقت منه إلى وقت الرواح ، فلما أردت الرحلة قال : اي بأبي أنت وأمي الحمر شديد ولا آمن عليك مثل الذي أصابك فأدنى لي أن أحمل منك قربة من ماء على عنقي وأسقى بها منك بكلما عطفت سبكتك وغشيتي صوتا (قال) نلت : ذلك لك ، والله ما فارقتني يفتني وأصبه حتى طمت المنزل .

وأحار معدد والبريس طوية متفرقة في كتاب الألفي فليرح إليها من شاء .
(١) الحمة - فالفتح - العين الحارة الماء . يستقي بها الأعداء ومنه الحديث : « مثل العالم كمثل الحمة يأتيها السعداء ويتركها الفراء » فيها هي كذلك إذ حار ماؤها وقد انتفع بها قوم وفق أنوام يتمكنون أي يشدمون والحمة مدينة ذات بياض معدنية حارة واردة بالغرب من مدينة « لوشة » وقد زارها « ابن بطوطة » ودخل مسجدها ووصف ما فيها من صيد البر والبحر ، والحمة - أيضا - اسم لمدين أخرى ذات بياض معدنية حارة في إقليم « غرناطة » وإقليم مرسية وغير ذلك ، وحة غرناطة ، وتسمى مدينة الحمة عند أهل غرناطة .

(٢) الفرند : السيف ووشبه وجوهره ، وهو ما يرى فيه شبه نهار أو مدب نل ، والفرند : الورد الأحمر أيضا .

(٣) أحد هذا المعنى من قول ابن الرومي في حيد للمنية :

وغيري بحسبها قال : « صمها » قلت : « أراء ، حين وشديد .

يسهل القول : إنها أحسن الأش - ياء طرا وهصب التحدث »

وفي هذه القصيدة يقول :

عادة وانها - من النس - قد ومن العلى مقلان وحيد

ورهاها من مرعها ومن المحدثين ذاك السواد والتوريد

هي برد - بحدها - وسلام وهي العاشقين جهد جهيد

مالا صغليه - من وحنيتها - نعيم ترشاف ريقها تبريد

مثل ذاك الرضاب ألقا ذاك لا . وجود ، لولا الاياه والتصيد

ومعها يقول :

تحنلى الناظرين إليها فتشقى بحسبها وسعيد

مطلبه - تسكن القلوب وترعا حما - وقربة لها تهريد

بَشَرٌ نَاصِعٌ وَخَذَ أُسَيْلٌ وَحْيًا طَلَّقَ وَمَزَنَ غَضِيضٌ
وَقَوَامٌ كَمَا اسْتَقَامَ قَضِيبُ الْبَابِ إِذْ قَلَّ^(١) رَأَاهُ الْأَرِيضُ^(٢)
وَابْتِسَامٌ لَوْ أَنَّهَا اسْتَنْزَبَتْ فِيهِ أَرَاكَ اسْتَأْذَنَهُ الْإِعْرِيضُ^(٣)
وَالْتِفَاتٌ كَأَنَّهَا هُوَ بِالْإِيحَاءِ - مِنْ فَرَطٍ لُطْفِهِ - تَغْرِيسُ

* * *

لَمَحَ طَلَّةٌ مِنَ الْمَيْثِ مَا إِنْ لِلْمَوَى عَنْ عَمَلِهَا تَغْرِيسُ
سَوَّغَتْنِي نَيْمَهَا نَفَحَاتُ اللَّيْلِ - مِنْ سَحَابِهَا - تَرْوِيضُ
تَابَعَتْهَا يَدُ الْهَمَامِ أَبِي عَمْرِو فَا غَمَرُهَا لَدَى مَغِيضُ^(٤)

تسمى حكاها لا تسمى
لا تراها هناك تعطف عني
من هدوت وليس به اعطاء ،
مد في شأو صوتها من كا
وأرق الدلال والسبح منه
استراه يمدوت طوراً وعباً
فيه وهي وفيه حل من الف
طاب هواها وما ترجع فيه
ثم يقع الصدى ، وهاء
طها - الحمر - لثم مستزيد
في عوى مثلاً يحل حليم
ما تسمى القلوب إلا أصابت
من سكود الأوصال - وهي تحيد
- لك منها - ولا يدور يد
وسحر وما به تلبس
ف - كأطلس طشتها - مديد
وراء الشجا ، فكاد يبيد
مستلذ نسيطة والشد
م صوح يحال فيه التصيد
كل شيء لها بذلك عهد
عده يوجد السرور العبد
ولها - الفهر - سامع مستعيد
- راح له - وهوى رشيد
بهاواها من حيث تريد

إلى آخر هذه القصيدة المدة التي تسمى منها هذا القدر اليسير طيرح إليها من شاء في ديوانه ليقارن بين
هذه القصيدة وقصيدة ابن ريمون .

(١) طه : سفاه ، والأريس : الركن القربة الخلق للبت . (٢) المعجب

(٣) استمررت : بالمت في الصلح ، والأريس : الظلم وكل أبيض طرى .

(٤) اليد : الصبة ، والفهر : للواء الكثير ، وميم : اسم مفعول من ميم الماء فهو ميم إذا طار

وصب ، أي ثابت لك اللع من رعد العيش يد مضافة إلى « أبي مرو » لا تزال تمرنا بميمها التي

التي لا يمس مؤذ . فليس ميمها للزير الماء ناضياً عندي .

مَلِكٌ ذَلَدٌ عَنْ حَيْىِ الدِّينِ مِنْهُ مَنْ إِلَيْهِ فِي نَصْرِهِ التَّفْوِيزُ
وَسَمَا نَاطِرُهُ مِنَ الْمَجْدِ فِي دُنْيَاهُ قَدْ كَانَ كَفَهُ التَّفْخِيزُ^(١)
إِنْ أَسَاءَ الزَّمَانُ أَحْسَنَ دَأْبَا مِثْلَمَا بَايَنَ النَّقِيزِ النَّقِيزُ^(٢)

* *

يَا مُعِزُّ الْهُدَى الَّذِي مَا لَيْسَ مَا هُ إِلَى غَيْرِ سَمِيهِ تَقْرِيزُ
يَا مُحَلِّي بَقَاعِ حَالٍ ، مَكَانَ النَّجْمِ - مَهْمَا يُقَسِّ إِلَيْهِ - حَضِيضُ^(٣)
إِنْ أَتَى أَنْ أَيْسَرَ الرَّغَائِبِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ الْقِدَاحِ مَنِ مُفِيزُ^(٤)
لَوْ بَقَاعُ الْمَجَرَّةِ اعْتَضَتْ مِنْهُ رَاحَ يَدْعُو ثُبُورَهُ الْمُسْتَعِيزُ
حَظُّ سِنِّ أُمْرِي نَأَى مِنْكَ قَرْعُ وَفُصَارَى بَنَانِهِ تَعَضِيزُ

* *

حَسْبِيَ النُّصْحُ وَالْوِدَادُ وَشُكْرُ عَطَرِ الدَّهْرِ مِنْهُ مِسْكُ قَضِيضُ
دُمٌ مُوَقَّى وَلَيْكَ - الدَّهْرُ - حَبِيبُ رُ مَسَاعِيكَ ، وَالْمَدْوُ مَهِيضُ
فَاعِزَاتُ الْمُلُوكِ أَنْكَ مَوْلَا هُمْ حَدِيثُ مَا يَبْنِيهِمْ مُسْتَقِيزُ

(١) وتطلع إليك طائر المجد بعد أن كف ناطره كثرة التمسيس . يريد أنه بعد أن زاد عن حوزة الدين

سما ينطره في شؤون دينا كان قد صرعه عنها كثرة التمسيس والاعراس .

(٢) وقرئ من هذا قول الشاعر :

ضدَّان لما استجبما حسا والمدَّ يظهر حسه الضدَّ .

(٣) البقاع : ما ارتفع من الأرض . يقول : يامن أظنى حالا رفيعا ، إذا قيس إليه النجم - على رسته -

مد حضيضا . (٤) المبيض : من أبيض الرجل بفعل الميسر إذا ضرب بهلوه فولمت مائة متفرقة .

شفاعة

قال هذه القصيدة يمدح أبا الحزم بن جهور ويحرم بمخابه ويطلب
شفاعته ، قال ابن بسام :

« كان أبو الوليد من أشراف دولة الجهاورة واسطفته اسطفاه الفرس
للأساورة ، وقد اختص بأبي الوليد اختصاص الفرع بالورواريطهم
ارتباط الأمانة بالفور ، وأبو الحزم بن جهور - إذ ذاك - رأس الجماعة
وأصل تلك الأسرة المطاعة من رجل أدم من ممان وأجرأ من ليث
خفان وأدم من عمرو بن الحلال . وكان ابن زيدون متصلاً بابيه
أبي الوليد أطول حبه اتصال أبي زيد بأبي الوليد بن عتبة وبينهما
تألف أحراما بكعبته وطافا وسبيا من تصاديفهما طافا وابن زيدون
بعد ذلك حساما مسلولا ويرى أنه يرد به صعب الخطوب دلولا ، إلى
أن طلب صد أبيه أبي الحزم وتوسل فاستمع به تلك الأسرة والأسل
فألقى إليه هناك عطفه ولا كعب عنه سنان صرفه مع استعطائه له
بكل مقال يحمل سقام الاحقاد واستلطائه إياه بما يرد الصب
سلس الفياض ، فمن يدع ذلك وأحسه قوله :

يا أبا الحزم اهتبل غرة ألسنة الشكر عليها نصاح

أَمَّا وَالْحَاطِظُ مِرَاضٍ صَحَّاحُ تُصْبِي وَأَعْطَايَ نَشَاوَى صَوَاحُ
لِبَاسٍ بِالْحُسْنِ فِي خَدِّهِ وَرَدُّ وَأَثْنَاءُ ثَنَائِيهِ رَاحُ
لَمْ أُنْسَ إِذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً وَشَاحَهُ اللَّاصِقَ دُونَ الْوِشَاحِ (١)
أَلَمْتُ بِالْأَلَطِ مِنْهُ وَلَمْ أَجْتَمِعْ إِلَى مَا فِيهِ بَعْضُ الْجَنَاحِ
لَأَصْفِيَنَّ الْمُصْطَفَى (٢) « جَهْورًا » عَهْدًا لِرَوْضِ الْحَزَنِ عَنْهُ أُنْتِصَاحُ

(١) قال ابن بسام : قوله : « وشاحه اللاصق دون الوشاح » معنى متداول ، ومن أنزله عصرًا

قول المعنى من أهل وقتنا :

« إن المميز على حقوقه أنه بالرد حل منك ملا يحمل

عندى له جسي مكان وشاحه إن الطبل بشكه يتطل »

وقريب من هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

« يا ليت عباس سربله على جسدي أو ليلى كنت سربلا لعباس »

(٢) وفي رواية ابن بسام : « لأصفيَنَّ للرؤف جهورا »

جَزَاءَ مَا رَفَعَهُ شُرْبَ الْمُنَى وَأَذَنَ السَّعَى بِوَشَكِ النَّجَاعِ^(١)
يَسْرَتْ أَمَالِي بِتَأْمِيهِ فَمَا عَدَانِي مِنْهُ فَوْزُ الْقِدَاحِ^(٢)
لَمْ أَشِمِ الْبَرْقَ جَهَامًا وَلَمْ أَقْدَحِ الصَّمَّ بِيضِ الصَّفَاحِ^(٣)
مَنْ مِثْلُهُ - لَا مِثْلَ يُلْنِي لَهُ - إِنْ فَسَدَتْ حَالُ فَرَزِ الصَّلَاحِ
يَا مُرْشِدِي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ أَغْنَى عَنِ الْمَصْبَاحِ صَوْنَهُ الصَّبَاحِ
رَكِيْنٌ مَا تُثْقَى عَلَيْهِ الْحُبَا يَهْفُو بِهِ نَحْوُ الثَّنَاءِ أَرْتِيَاخِ^(٤)
ذُو بَاطِنٍ أَقْبَسَ نُورَ الثَّقَى وَظَاهِرٍ أَشْرَبَ مَاءَ السَّمَاحِ
أَنْظُرْ تَرَى الْبَدْرَ سَنَا وَأَخْتَرِ نَجْدَهُ كَأَلْسِنِكَ إِذَا مِيتَ فَاحِ^(٥)

* * *

إِلَيْهِ « أَبَا الْخَزَمِ » اهْتَبِلْ غِرَّةً أَلْسِنَةُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فِصَاحِ^(٦)
لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةِ إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ مَرِيضَ الْجَنَاحِ

(١) ربه : من ورود الابل ردها ، وهو أن ترد الماء في كل يوم متى شامت .

(٢) يسرت يجهور أن يكون بالتشديد بمعنى سهلت وبالحفيف من يسر يسر إذا ضرب بدجاج لليسر -
واللحى على الثاني صرمت بدجاج آمالي يأسراً لم يمدنى أن عزت وأمر القداح -طوطا ، وفي رواية ابن بسام :
« هدرت آمالي بتأمله »

(٣) أي لم اضطر البرق ليس به مطر ، ولم اقتدح صلحا لم يور فلراً .

(٤) ركيْن من الركاة أي الرزاة - واللحى : أنه وقور الحوة ورونها يهو ، ويحرك نحو المدح أريحية
يهتز صد سكون في مجله ووطر .

(٥) مات اللحى . يجهت إذا مرهه يده في الماء فداها مرسك ونحوه - يقول اضطر تراه كاليد ساهواها
وأختره تحده كاللح فاح شداه وقد ميت أي مرس نالده ، وللحى - إذا سحق - فاح شداه ، وقد قال
للحوى في هذا المعنى وأجلد ما شاء أن يجحد .

« حل البلي سبيد المرء فائدة فالحك يزاد من طيب إذا سحا »

(٦) اهتبل : الخضم يقال اهتبل فعلته - والغرّة : بالسكس اللمة ، وفي المثل « الفرّة تجلب الدرّه »
أي اللمة تجلب الرزق - واللحى : استكثر أبا الخزم في صفة أصدانك من اللعان والأموال تنطلق الألسنة
مصححة بشكره ، وفي رواية ابن بسام : « ألسنة المعمر عليها فصاح »

عُتْبَاكَ - بَعْدَ الْعُتْبِ - أُمْنِيَّةٌ
لَمْ يَشْنِي عَنْ أَمَلٍ مَا جَرَى
فَأَشْحَذَ بِحُسْنِ الرَّأْيِ - عَزَى يُرْعِ
وَأَشْفَعَ فَلِلشَّافِعِ نَعْمَى بِمَا
إِنَّ مَحَابَّ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا
وَقَاكَ مَا تَخْشَى مِنَ الدَّهْرِ مَنْ
مَالِي عَلَى الدَّهْرِ سِوَاهَا أَفْتِرَاحٌ^(١)
قَدْ يُرْقِعُ الْخَرْقُ وَتُوَسِّى الْجِرَاحُ
مِنِّي الْعِدَاءُ أَلَيْسَ شَاكِيَ السَّلَاحِ؟^(٢)
سَنَاءٌ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ النَّوَاحِ^(٣)
وَالْحَمْدُ فِي تَأْلِيفِهَا لِلرَّيَاحِ^(٤)
تَمَيَّنْتَ فِي تَأْمِينِهِ وَأَسْتَرَّاحُ

هدية تفاح

« رول في تفاح أهدهاء إلى المعتصد بالله »

أبى عمرو عاد بن محمد بن عاد «

يَا مَنْ تَرَيَنْتِ الرَّيَا سَةً حِينَ أَلَيْسَ ثَوْبَهَا
وَلَهُ يَدٌ يَلْسَ النَّمَا مُمْ مِنْ أَنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا^(١)
جَاءَ تَكَ جَامِدَةٌ الْمَدَا مَ فَخَذَ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا^(٢)

(١) النسي : الرجوع إلى ما يرضى العائب أى رجوعك بعد العتاب إلى ما يرضى أمنيته لا اقترح على الدهر سواها . (٢) فَوَ حُسْنِ الرَّأْيِ عَزَى يحب من العدا ، أليس عزى شاكي السلاح ؟ (٣) سناء : سهله وسره - من عقد : أى من حل عقد - وثيق النواح : أى عسر الحل من أى نواحيه أمنيته ، وقرأت شامدا على هذا فى أمالى أبى القاسم الرجس ، إن معاوية بن أبى سفيان صرف روح ابن زناع من عمله لحياة بلقته عه ، وأمره بالدوم عليه فعل ، فأمر ضربه فلما أحدثته الشياطين قال : « لستك الله يا أمير المؤمنين أن تهدم منى ركننا أنت بليتة ، أو تصع من حديسة أنت وفعتها » الخ ما قال ، فقال معاوية . « إذا الله -ى حل عقد تيسر ، خلياها عه - ومعنى البيت أنه يطلب شفاعته ، ويبين أن الشافع على الشفوع له يد وصية بسبب ما سهله ويسره من حل عقد تيسر بعد أن تعقدت أواخيه وتوقفت نواحيه . (٤) الحيا : اللط - يريد أن الحمد للشافع لا الذى قبل منه الشفاعة ، كما أن الحمد ليس للسبب الذى منها اللط بل للرياح التى تزدها ثم تؤلف بينها فتنطر ، وقد كرر هذا المعنى فى بعض قصائده فقال :
للشيفع لقناء - والحمدى صوب الحيا للرياح لا لتيوم

انظر (ص) من هذا الديوان . وقد سبقه الشحرى إلى هذا المعنى فقال وأبدع :

« لحزعدى ، والرياح - الاوائى تجلب الليث - مثل حمد التيوم »

(٥) نزول المطر . (٦) جبل للدمام وهو الحرم نوعين جامدة وهو التفتاح ودائبة وهو الراح وطلب إلى للمدح أن يهرق عليها فوهيا وهو الراح الحقيقية .

لا يهنا الشامت

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور وقد كتبها
إليه من السجن . »

مَا جَالَ بَعْدَكَ لَحْفِي فِي سَنَا الْقَمَرِ إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ ^(١)
وَلَا اسْتَطَلْتُ ذِمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرْتُ مَعَ الْقَصْرِ ^(٢)
نَاهِيكَ مِنْ سَهَرٍ بَرَّحَ تَأْلَفُهُ شَوْقِي إِلَى مَا أَنْقَضَى مِنْ ذَلِكَ السَّهَرِ
فَلَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلُ لَوْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ ^(٣)

* *

أَمَّا الصَّنَى فَجَعَلَتْهُ لَحْظَةً عَنْ كَأَنَّمَا وَالرَّدَى جَاءَ عَلَى قَدَرِ ^(٤)
فَهَيْئَتُ مَعْنَى الْهَوَى مِنْ وَحْيِ طَرَفِكَ لِي إِنَّ الْخَوَارَ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْخَوَرِ
وَالصَّدْرُ مُذْ وَرَدَتْ رِفْهَا نَوَاحِيَهُ تَوْمُ الْقَلَائِدِ لَمْ تَجْنَحْ إِلَى صَدْرِ ^(٥)

(١) أي لم أحل طحلي في نور القمر مدغبتك هي إلا ذكرتك كما يذكر لرائي هي الشيء وداته بما يراه من آثاره . (٢) الغناء : ما فتح البقية الثانية من الليل - أي ما عبت أن يطول ما بقي من عمر الليل إلا أسفا على ليلة اشتعل على ما يمر مع قصرها والشراء كثيرا ما يمتنون إلى الوصال بالقصر ، ومن أمدع ما قرأناه في ذلك قول الشريف الرضي .

« أشكو الليالي غير معتنة إما من الطول أو من القصر

تطول في حصرهم وتقص في الوصل . بل ، فلا يلتقي على القدر

يا ليلة كاد من تقاصرها يمتد بها العشاء بالسحر »

(٣) يعني أن يصل ظلام الليل بما يستميره من سواد القلب والبصر ، ولو لم يأت أي وليته استعار ، ولا خفاء أن سواد القلب وسواد العين من أغس الأشياء وأعزها ، ولكنه يندلجها طويلا في سبيل اسدامة الليل وطوله ، وجاء لابن سبأ في الدجيرة في هذا البيت . قوله : « لو استعار سواد القلب والبصر » لعل للمرى حيث يقول :

يود أن ظلام الليل دام له وزيد به سواد القلب والبصر

(٤) العين : بنتحي من عن الشيء إذا طهر أملك واعتس .

(٥) ردها : هو أن ترد الامل للماء كل يوم - توم القلائد : جمع تومه فالهم وهي القلاوذة ، استعار ورود الابل ردها للازمة المحلى صدرها من غير أن تحنج صد الورود إلى الصدر .

حُسْنُ أَفَانِينَ لَمْ تَسْتَوِفْ أَعْيُنَنَا قَاتَاتِهِ بِأَفَانِينَ مِنَ النَّظَرِ
وَأَمَّا لِشَفَرِكَ ثَمَرًا بَاتَ يَكْلُوهُ فَيَرَانُ تَسْرَى عَوَالِيهِ إِلَى الثَّمَرِ (١)
يَقْطَانُ لَمْ يَكْتَحِلْ غَمَضًا مُرَاقِبَةً لِزَابِطِ الْجَاشِ مِقْدَامٍ عَلَى الْغَيْرِ (٢)
لَا لَهُوَ أَيَّامِهِ الْخَالِي عِزُّهُ يَجْمَعُ وَلَا نَعِيمُ لَيْالِيهِ يُنْتَظَرُ
إِذْ لَا النَّجْبَةَ إِيمَاءُ مُحَاسِنَةٍ وَلَا الزِّيَارَةُ إِمَامٌ عَلَى خَطَرِ
مَتَى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهَا إِنَّ الْفَرَامَ لَمُعْتَادُ مَعَ الذِّكْرِ

* *

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدَهَا تَحْضُ الْيَمَانِ الَّذِي يُبْنَى عَنِ الْخَبَرِ
لَمْ تَطْلُو بُرْدَ شَبَابِي كِبَرَةً وَأَرَى بَرَقَ الشَّيْبِ أَغْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّمْرِ (٣)
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَتَبُ وَلِلشَّبِيَّةِ غُضُنُ غَيْرُ مُهْتَصِرِ

(١) يَكْلُوهُ : يحمله وشار عليه - وغيره : وصف من النيرة - والعوالى صدور الرماح - الثمر : جمع ثمره بالغم وحى الطرق والمفاد السلوك أو أراد ما جمع الثمرة وحى الفرة وحى النحر .
(٢) المرور : جمع مرة بالكسر وحى النقة ، وللمنى : أنه ينهر عرات الرقيب الساحر طول ليله هجرة وحفاظا ومراقبة ، فيقدم راط الجاش بالرم من يظنه وتنبه ومراقته إياه ، ولا يحكم مما اقتضاه من موافاة حبيبه .
(٣) الكبرة : جمع مكرن كبر السن - والمارس : الحد يقال أحد الشمر من طرضيه - وللمنى : أن يياض المشيب ونط طرضيه قبل أن يخالج برد الشاب وقل أن يحد من سبه ثلاثين ريعا ، وأبدع أبو نواس في هذا للمنى أيما إبداع إذ يقول في سبيته :

« وإذا عددت سىء كمى ولم أحد لشيب عدوا في التزول براسي
قالوا كبرت قلت ما كبرت يدى من أن تير إلى فى بالكلى »
وقال ابن الرومى : « قد يشيب الفسق وليس عجبا أن يرى التور في التصيب الرطيب »
وقال الآخر : « يا صر هل لك في شيخ فق أبدا وقد يكون شباب غير حيان »
وقال أبو العلاء : « ارجع إلى السن فاطر ما تقادما فاحكم عليه ولا تحكم على الشمر
فكم ثلاثين حولا شيت ، وممت ستون ، والشيب فيها غير مستمر
وليس ذلك إلا حبة جعلت طبعا ، ولا قيل : شاب الرأس قد عمر .

هَإِذَا لَوْعَةٌ فِي الصَّدْرِ قَادِحَةٌ نَارَ الْأُمَى وَمَشْيِي طَائِرُ الشَّرِّ^(١)

لَا يَهْنِي الشَّامِتَ الْمُرْتَاحَ خَاطِرُهُ أَنَّى مُعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ^(٢)

هَلِ الرِّيحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ؟ أَمْ الْكُسُوفُ أَغْيَرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(٣)

إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِبْدَاعِي، فَلَا عَجَبٌ قَدْ يُوَدِّعُ الْجَفْنَ حَدَّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

وَإِنْ يُبْطِئُ - «أَبَا الْحَزَمِ» الرِّضَى - قَدَرٌ عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبٌ عَلَى الْقَدَرِ

مَا لِلذُّنُوبِ - آتِي جَانِي كِبَارِهَا غَيْرِي - يُحْمِلُنِي أَوْزَارَهَا وَزَرِي^(٤)

(١) أي أنها لوعة قدح نار الأمل والحزن في صدره ، ومشيب رأسه ما تطير من شر تلك النار الموقدة فيه ، وحده في الدجوة لأن سام قل هذا الدت توله .

يا لردايا لقد شامت مهلهما محمرا فما اشرب المكرهه - امسر والصبر القدر الصبر ، فهو يسي أنه لا يشرب من المصائب بالقدح الصبر .

وحده صده في سحتي الديوان المخطوط في هذا البيت ناقضا هكذا :

حوادث استعصفتي ما حوت لها عرارها

ونحن شتيناها كما وجدناها .

(٢) لا يهين : يقال هان الأمر أي نهأه - معنى الأمانى : اسم مفعول من الماء وهو الهب - والخطير

الغمر والمزلة - والمسي : لا يهين الشامت المتلوح البؤاد يكون في ماء ويصبب الأمانى ويكون صائم القدر والمزلة .

(٣) أراد نعم الأرض ما نعم على وجهها من النبات ولم قم على ساق ومه قوله تعالى « والجم والشجر يسجدان » وهذا البيت دليل على - فله أي لا تفرح أنها الشامت فارجح لا تصبب إلا بما له ساق من

الشجر ، والكسوف : لا يكون لغير الشمس والقمر - وهو معنى طرفة الشراء كثيرا ، ومه قول أبي تمام - الزاج إذا ما أعصف قصفت هيدان محد ولم يساق نارتم

بات امش وشم لا كسوف لها والشمس والدرمها المهرق رقم

وقرب منه قوله أيضا :

لا تكري عطل الكرم من الاذى فالسيل حرب للكلاب المال

(٤) الوزر : بالكسر الذنب والوزر محتجب المعنى وللها - واللى : لأي سبب يحمل ملحق ومعتصم ثمة ما حاه غيري من كثر الدوب ، وهو نظير قول للمري :

وحررم حره سمها قوم وحل شجر حارمه العقاب

مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْيِيهِ عَلَى تَقَةٍ
ذُو الشَّيْئَةِ الرَّسْلِ - إِنْ هِجَتْ حَفِظَتْهُ -
مَنْ فِيهِ لِمَجْتَلِيٍّ وَالْمُبْتَلَى نَسَقًا
مُذَكَّلٌ لِلْمَسَاعِي حُكْمَهَا شَطَطًا
وَزِيرٌ مَسْلَمٌ كَفَاهُ يُنْزِلُ طَائِرَهُ
أَغْنَتْ قَرِيْبَتَهُ مَنَعْنِي تَجَارِيَهُ
كَمْ أَشْتَرَى - بِكَرَى عَيْنِيهِ - مِنْ مَهْرٍ ،
فِي حَضْرَةِ غَابِ صَرْفُ الدَّهْرِ خَشْيَتُهُ -
مُتَمِّعٌ بِالرَّيْبِ الطَّلَقِ نَازِلُهَا
مَا إِنْ يَزَالُ يَنْتُ الثَّبَتُ فِي جَلْدِهِ

* *

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي وَالنَّجْمَ فِي قَرْنٍ فَعِيمَ أَصْبَحْتُ مُنْهَضًا إِلَى الْغَفْرِ (٨)

- (١) الذَّائِبُ : النَّمْل ، وَالْبَحِي : اِدْمَاءٌ ذَبَّ لَمْ يَصْلِهِ - أَيْ أَمَا عَلَى تَقَةٍ مِنَ الْحَصُولِ عَلَى أَيْبَقِ ، وَإِنْ تَأَيَّ ، وَلَا أَحْدَرُ أَنْ يَسْبَ إِلَى دِمَا لَمْ أَعْمَلْ .
(٢) الشَّيْئَةِ الرَّسْلِ : الْحَلْقُ السَّهْلُ السَّحْبُ - وَالْمُحِبَّةُ : الْقَنْضُ - وَالْمُسْتَعْتَبُ : مَصْدَرٌ مِمَّا يَمَعِي
الِاسْتِعْتَابُ أَيْ الْاِسْتِرْصَاءُ يُقَالُ اسْتَعْتَبْتُ أَيْ اسْتَرَأَيْتُ فَاعْتَبْتُ أَيْ أَرْضَاؤُهُ - وَالْبَحِي : لِلْبَحْرِ .
(٣) الْمُجْتَلَى : الْبَاطِلُ ، وَالْمُبْتَلَى : الْحَقُّ ، وَالْبَحْرُ : الْغَرَبُ أَيْ مَحْجَرُ سَرَى شَرِيفٌ .
(٤) الْمَسَاعِي الْمَآثِرُ أَيْ مَدَائِلُ لِمَعَانِهِ أَنْ تَقْتَضِ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَظِيمُ الْمُسِيحُ الْمَلِكُ .
(٥) عَصِدُ الْمَرِّ : مَقْتُولُ الْقَتْلِ .
(٦) يَقُولُ أَنَّهُ لَا مَعِيَّةَ لِيَاخُتَاجَ إِلَى تَحَارُوبٍ وَإِنْ بَدَأْتَهُ فَنِي مِنْ رُوحِهِ وَطَرْتُهُ الْمَرِيضَةُ تَمِي مِنْ إِطْلَاقِ الْفِكْرِ وَقَدِيمًا قَالُوا :

- الْأَلْمَى الَّذِي يَطْلُبُ بِلَا الطَّلَسِ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
(٧) الْحَلْدُ : الْأَرْضُ الصَّلَاةُ ، أَيْ أَنَّهُ مَدَّ سَاسَ لِلْمَلِكَةِ وَهُوَ دَائِبٌ عَلَى مَثَلِ الْبَاتِ وَالزُّورِ فِي أَرْضٍ لَا تَنْتَبِهُ لِمَلِكِيَّتِهَا وَإِفَادَةُ الْمَاءِ إِلَيْهَا مِنْ حَيَوْنَ تَصْعَرُ مِنَ الْعَجْرِ .
(٨) يَقُولُ : مَا لَكَ أَهْلُكُتْ آمَالِي وَبَدَلَتْ مَكَانِي الْعَالِيَةَ عِنْدَكَ الَّتِي كُنْتُ تَحْمِلُهَا فَوْقَ فُرُوعِ النَّخْلِ فَأَنْزَلَنِي إِلَى حَبْسِ الْمَوَالِ

أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدَبِي غَرَسَ لَهُ مِنْ جَنَاهُ يَانِعُ الثَّمَرِ (١)
وَسِيْلَةَ سَبَبَا - إِلَّا تَكُنْ نَسَبَا - فَهَوَ الْوِدَادُ صَفَا مِنْ غَيْرِ مَا كَدَّرِ

* *

وَبَائِي مِنْ ثَنَاءِ حُسْنُهُ مَثَلٌ وَشَيْءُ الْمَحَاسِنِ مِنْهُ مُعْلَمُ الطَّرْرِ
يُسْتَوْدَعُ الصَّخْفَ لَا تَخْفَى نَوَافِحُهُ إِلَّا خَفَاءَ نَسِيمِ الْمِسْكِ فِي الصَّرْرِ (٢)
مِنْ كُلِّ مَخْتَالَةٍ بِالْجَبْرِ رَافِلَةٌ فِيهِ اخْتِيَالُ الْكَعَابِ الرُّودِ بِالْجَبْرِ (٣)
تُجْنَى لَهَا الرُّوضَةُ الْفَنَاءُ أَفْضَحُهَا نَجَالُ دَمْعِ النَّدَى فِي أَعْيُنِ الزَّهْرِ (٤)

(١) رف السات اعتر - يقول : حل حين انتشرت آدابي ومدامحي في الأفاق ماخنت يانع الثمر ، ولم يذكر جواب الاستعظام في البيت سده لأنه مفهوم من السياق ، وهي عادة مألومة كما قال الشاعر :

«الآن لما كنت أكل من معي وافتر نابلك عن شاة الفارح
وتكاملت بك المروءة والنقي وأعت ذلك مالمعال الصالح»

وقول المائل :

« أنت لي همي وأنى بلائي وأحدى الحمد دأبني الريح
وإحشائي على المكروه عسى وضيئي هامة البطل المشيع
وقولي - كما حثأت وحانت - مكالمك محمدى أو تسرعى »

وربما ذكر الحواب كما ترى في قول ابن الرومي :

«الآن حين رأرت واستمع الوري وأرى وأندر كلب فر ديسه
الآن حين سقت كل مساق فتركت اسرع حربه تقريسه
يتكلم للتكمون ربابسقى ليطلل بذاك معجب تعجيبه »

(٢) أى يستودع ذلك الثناء - للضروب بحسه للتل - بطون الصخف ولا يمكن أن يخفى ما يروح من أريجها إلا إذا حل ربح المسك في الصرر .

(٣) أى من كل محبة تحتال بما فيها من اللذات القى سطرت به آيات يانه وسحر ملاعته اختيال الحارفة التي كس ثيابها بما تلتسه من وفي منور ويرد مجبر .

(٤) أى أنه يصطبح المهرة التي يكتب بمدادها آيات بلاغته ويعمر لأجلها الروضة الماء أفصحها الحبا ، وجاءت في أعين أرهاق المدح والثناء .

يَا بَهْجَةَ الدَّهْرِ حَيًّا وَهَوًّا - إِنْ فَنَيْتَ
لِي فِي اعْتِمَادِكَ - بِالتَّائِمِلِ - سَابِقَةً
فَقِيمَ غَضَّتْ مُهْوِي مِنْ غَلَا هَمِي
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ فَمَا الْعَتَبِ لِي أَسْنُ
نَذَرْتُ شُكْرَكَ لَا أَنْسَى الْوَفَاءَ بِهِ
حَيَاتُهُ - زِينَةُ الْأَنْكَارِ وَالسَّيْرِ (١)
وَهَجْرَةٌ - فِي الْهَوَى - أَوْلَى مِنَ الْهَجَرِ
وَحَاصٍ بِي مَطْلَبِي عَنْ وَجْهِ الظَّفَرِ (٢)
إِلَى الْمَذُوبَةِ مِنْ عَتَبَاكَ وَالْخَصْرِ (٣)
إِنْ أَسْفَرْتَ لِي عَنْهَا أَوْجُهُ الْبَشَرِ (٤)

* *

لَا تَلُهُ عَنِّي قَلَمٌ أَسْأَلُكَ مُعْتَسِفًا
وَأَسْتَوْفِرِ الْخَطَّ مِنْ نُصْحٍ وَصَافِيَةٍ
هَبْنِي جَهْلْتُ فَكَانَ الْعِلْقُ سَيِّئَةً
إِنْ السِّيَادَةِ بِالْإِغْضَاءِ لَا بِسَةِ
رَدَّ الصَّبَا بَعْدَ إِفْهَاءِ عَلَى الْكَبِيرِ (٥)
كِلَاهُمَا الْعِلْقُ لَمْ يُوهَبْ وَلَمْ يُعَرِّ (٦)
لَا عُدْرَةَ مِنْهَا سِوَى أَنِّي مِنَ الْبَشَرِ
بِهَاءَهَا وَبِهَاءِ الْحُسْنِ فِي الْخَفَرِ

(١) هي في هذا البيت ممدوحه وهو لا يزال حيا يبرق ، وقد أهدى هذا للمنى - ولم يحسن الأخذ - من قول أبي العلاء :

« حال دى الأرض كانوا فى الحياة وهم سعد المات حال الكتب والسير . »

(٢) حاس : حاد ومال .

(٣) العتب : السخط وإظهار الوحدة لمخالفة ارتكبت ، والعتي : الرضا والروح إلى المنة بعد السخط ، والخصر : المروءة ، والمنى : هل من سبيل سعد العتب الشبيه بالماء الآس أى للتعبير الذى لا يستيقنه ساره إلى العتي الشبيه بالماء المذبذبات السائح شرابه - وقد أحسن أبو العلاء في حمل برد الماء الذى يصير به أطيب لشاربه سنا في هجره لا مراطه في الخصر والبردة وذلك حيث يقول :

« لو اختصرتم من الاحسان ورتكتم والمذبذبهجرا للاطراف في الخصر . »

(٤) الصبر في « عنها » طائد إلى العتي ، والنصر : جمع نصرى .

(٥) أى لم أعضعف في السؤال ولم أطلب مستجيلا .

(٦) استوفى : استكثر ، وصاحبة : الانسان حاصته الدين يميلون إليه ويمشون بجملة ويطلبون ما عنده والمائق : الشيء الغيبى الذى يسر به لبعاسه فلا يوجب ولا يمار ، وقد ورد في ديوان الحماسة قول الشاعر :

« أبيت الأمن إن سكاب ملق غيب لا يمار ولا يماح

مفسدة مكرمة طينا يماح لها الببال ولا تماح

سليلا ساجين . تماجلاها إذا نسا يصمها الكراع . »

لَكَ الشَّفَاعَةُ لَا تُثْنِيْ أَعِيْنَهَا دُونَ الْقَبُولِ يَقْبُولِي مِنَ الْمَدْرِ (١)
وَالْبَسَنِ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضِرَاءِ أَيْكُنْهَا ظِلًّا حَرَامًا عَلَى «الْآفَاتِ وَالْبَعِيرِ» (٢)
نَعِيمَ حَتَّى دُنِيَا - إِنْ هِيَ أَنْصَرَمَتْ - نَعِمَتْ بِالْخُلْدِ فِي الْخَنَاتِ وَالنَّهْرِ

أترع الكأس

أَدْرِهَا فَقَدْ حَسَنَ الْمَجْلِسُ وَقَدْ آتَى أَنْ تُرْعَ الْأَكْوَسُ
وَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ وَلَّى الرَّبِيعُ إِذَا لَمْ تَجِدْ فَقْدَهُ الْأَنْفُسُ (٣)
فَإِنَّ خِلَالَ أَيِّ عَامٍ بِهَا يَخْضُرُ الْوَزْدُ وَالرَّجِسُ (٤)

لا حيلة في الحب

يَا مُنْجِلَ الْفُضْنِ الْفَيْنَانِ إِنْ خَطَرَا وَقَاصِحَ الرَّيِّ الْوَسْنَانِ إِنْ نَظَرَا (٥)
يَفْدِيكَ مِنِّي مُحِبٌّ شَانُهُ عَجَبٌ مَا جِئْتَ بِالذَّنْبِ إِلَّا جَاءَ مُعْتَذِرَا (٦)
لَمْ يَنْجِنِي مِنْكَ مَا اسْتَشْعَرْتُ مِنْ حَذَرٍ هَيْهَاتَ كَبَدِ الْهَوَى بَسْتَهْلِكُ الْحَذَرَا
مَا كَانَ حُبُّكَ إِلَّا فِتْنَةً قُدِرْتُ هَلْ يَسْتَطِيعُ الْفَتَى أَنْ يَذْفَعَ الْقُدْرَا (٧)

(١) المدد : جمع عذره كعذره مصدر كالمدر . (٢) وحده هذا البيت في الأصل مائصاً هكذا :
وَالْبَسَنِ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضِرَاءِ أَيْكُنْهَا ظِلًّا حَرَامًا عَلَى الْآفَاتِ . . .

ووحده في هامش بعض النسخ تكملة لهذا البيت كـ (وَالْبَعِيرُ) وهذه السكامة يابسها الآفات لا الاروات
خلصت تكملة البيت بملكتين كما ترى إحداهما من هامش بعض الأصول ، والأخرى يسطها السياق .

(٣) أدر الكأس فقد صما المجلس وإعاده حسنه من حسن الربع فلم يرد نفس الربيع فدا .

(٤) فان حلال أي عامر تذكرنا بالورد والرحمن ويسينا طيبها عليها .

(٥) يقول : « إنك ترى ما المعنى المورق إن مشيت وترى ما الطلى الغرير الطرف إن نظرت .

(٦) يقدمك العدا مح أسره عجيب ، ذلك كما أثبت دماً أي إلا أن يخلص لك الأعداء وعظمتها لك حلقاً

(٧) كنت أندر أنك تهجرني بعد الوصال وكنت اتلاني كل سب يؤدي إلى ذلك وأحذر جهدي ألا يقع

ما حفته ولكن القدر لابد أن يمدح حكمه وليس يمدح حذر . وما أحل قول الشاعر الناعم محمود أي الوفا :

« يَا لَيْتَنِي فِي الْهَوَى دَعَى وَمَا حَلَفَ رَوْحِي لَهُ ، لَيْسَ أَمْرِي فِي الْهَوَى يَدِي »

وقول الماس بن الأحف :

« لَقَدْ وَلَعْتُ حَوَاءَ مِنْكَ بَلِيَّةً ، عَلَى أَمْسِيهَا ، وَغِلَامِنِ الْخُلْدِ . »

فى مدح ابن جهور

مَرَادُهُمْ حَيْثُ السَّلَاحُ حَمَائِلُ وَمَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدَّمَاءُ مَنَاحِلُ^(١)
وَدُونَ الْمَنَى فِيهِمْ جِيَادُ صَوَافِنُ وَمَأْتُورَةٌ يَبِضُّ وَتُثْمَرُ عَوَائِلُ^(٢)
لِكُلِّ بَجِيدٍ فِى السَّجَادِ كَأَنَّمَا تُنَاطُ بِمَنْشَرِ الرُّمَحِ مِنْهُ الْحَمَائِلُ^(٣)
طَوِيلٌ عَلَيْنَا لَيْلُهُ مِنْ حَفِيفَةٍ كَانَ صَبَابَاتِ النُّفُوسِ طَوَائِلُ^(٤)
كِنَاسٌ دَنَا مِنْهُ الشَّرَى فِى مَحَلَّةٍ بِهَا اللَّيْتُ يَعْدُو وَالْفَزَالُ يُعَاوِلُ^(٥)

(١) للراد : اسم مكان من راد يرود أى ارتاد طلبا للحممة والكلاء ، والمحال . جمع حيلة وهى الشجر الكثير المتجمع اللتب الذى يستمر ما فى داخله ، والمحال - جمع مهل - وهو موضع الهل وهو القرب أولا يقال شرب هلا بعد مهل يريد أنهم مهلول من دم واردهم ، وللمنى : الذى يرود حتى أولئك العرب الاتحاد حيث تسكن الحممة يرود هناك حائل يكثر فيها السلاح واشتتت الرماح ، ومن يرد به تجمعهم نجد صاهل نهل فيها النماء وتعرض واردها لاسباب النماء .

(٢) الصوافن : من الخيل جمع صاف وهو الذى يقوم على ثلاث ويبنى سبك الرامة ، ومأتورة صفة السيوف ، يقال سيف مأتور أى فى منه أثر بفتح فككون وهو ترد السيف وجوهره وديباجه ، والسمر الرماح ، والعوائل : صدورها جمع طائل ، يقول دون ما سماء حتى مبيع الصافات الحيات حتى يبيع السيوف وسمر الرماح .

(٣) نخيد : شجاع ذو عدة وبأس ، والنعاذ : حائل السيف ، وتناط : تعلق ، بتى الرمح : أى إقامة كالرمح فى الطول ، والعرب تمدح بالطول وتعدى المعلمة والقصر ، قال رجل من بني :

«ولما التقى الصعان واحتلما قفا نهالا وأسباب النايأ نهالها

بين لى أب القماء ذلة وإن أهرأ الرجل طواها

دعوا يا لسمد واشتيا لطي أسودالصرى إقدامها وراها .

وقد أجاد أبو الفداء فى مدح القصر ، فقال :

«عـ الأمام لطول همة ماخذ أوى به قصر على أضراجه

سهم الفى أعصى مدى من سيمه والرمح ، يوم طانه وضراجه .»

(٤) الحبيطة : السحب ، والصبايات : جمع صبا به وهى المشرق ، والطوائل : جمع طائلة وهى الفترة والنأر

يقول بطول على كل طويل الجاد ليه من حبيطة وغصب علينا ، وكان المشرق وصافات العوس أوحشت له صدنا طوائل وتراى فهو كن يطلبنا ليشأر ما .

(٥) الكناس : مأوى الأطباء والبرقاني تستكن فيه من الحر ، والفرى : موضع يهبط إليه الأسود .

أَمَمْتُ الْقِيَابَ الْحُمُرَ وَسَطَّ عَرِينَهُمْ لَقَدْ قُصِرَتْ فِيهَا السُّرُوبُ الْمُعَايِلُ^(١)
 أَمْجُوبَةٌ لَيْلَى وَلَمْ تُخْضِبِ الْقَنَا وَلَا حَجَبَتْ شَمْسُ الضَّحَاءِ الْقَسَاطِلُ^(٢)
 أَنَاةٌ عَلَيْهَا مِنْ مَنَا الْبَذَرِ بِسَمِّ وَفِيهَا مِنَ الْغُضَنِ الضَّيْرِ شِمَائِلُ^(٣)
 يَجُولُ وَشَاكَاها عَلَى خَيْرَانَةٍ وَتُشْرِقُ فِي «مَوْسِيَّتَيْنِ» الْخَلَاجِلُ^(٤)
 وَلَيْلَةٌ وَافَتْنَا الْكُتَيْبَ لِمَوْعِدِ كَمَا رُبِعَ وَسَنَانُ الْعَشِيَّاتِ خَاذِلُ^(٥)
 تَهَادَى - أُنْسِيَابَ الْأَيْمِ - يَغْفُو أَنَارَهَا مِنْ الْوَشْيِ مَرْقُومُ الْعِطَافَيْنِ ذَائِلُ^(٦)

(١) الرين : مأوى الأسد ، وقصرت : حست قال تعالى « حور مقصورات في الخيام » أي محوسات في الخيام محذرات على أرواحهن في الحيات ، والسرور جمع سرب بالكسر وهو القطيع من الظباء والنساء والغدير ، وشصوص في كس الله أنه يجمع على أسراب وسراب ، وقد جمعه هنا على سرور ، والقياس لا يأتيه كما في حل وحول وضرر وضرورس ، والمقاتل جمع غفقه وهي من النساء الكريمة الماهرة ، ولعلني أقسم بحياة القباب الحمر وسط عرين حماها والداءين عنها من أولئك الأسود لند حست فيها أسراب المعائل وصف من السرور إليها والمخروح للاقنا .

(٢) الصحاء : ارتفاع النهار ووقته عقب الضحى مثل انصاف النهار ، والقصاصل جمع قسطل وهو الصار الساطع (٣) الامانة : المرأة التي فيها فتور من اليقظ وتأن ، قال الشاعر :

أَنَاة تَرِينُ التَّيَّامَ وَإِنْ قَدِمْتَ هَلَا فَأَحْسِنُهَا هَلَا

أي ترين البعد لامة حذبا ومتعة شوب واحد ، والسا : الصوء ، واليسم ما عليها من أثر الوسامة والخس ، والسمائل : الطاع .

(٤) وفي الأصل « وتفرق في بردتين احلال » وهذه الرواية بمنح ورن الأيب ، وقد أبدلناها بلفظة « موشيتين » الموصوعة بين قوسين لأنها تعني بردتين مقوشتين ولأنها قريبة منها في رسم الحروف ، إلى أن يظهر خلاف ما أفتناه هنا .

(٥) ربع : من لأسر معاشي ، والوسان : العائر الغرض شبه المرأة الوشي من النوم ، والعشيات : جمع عشية وهي آخر النهار ، والخالل : من حدثت الطيبة وهي خادل تحلفت هي صواحباها واهرت ، يقول ما أس لا أس لية وادنا في الكتيب لومت حددناه موعدا لقاء مكات كما ربع طلي فاطر المخطط المفرد عن سائر سرب الطاء . وقد مر الشطر الأول من هذا البيت في تصديده الثانية ص (٢٤) من هذا الكتاب إذ قال :

وليلة وانتنا الكتيب لموعد سرى الأين لم يعلم لمراء مزحف

تهادى أناة المظور مرتافة الحشا ربع يعمور الملا للتصرف

(٦) تهادى : أصله تهادى ، وهو معنى في تناقل وتمايل وسكون ، والأين الحية ، وبمعو : يعمو والاثار : جمع أثر جمعه على فعال بالكسر جمعا قياسيا كما في جبل وجبال وحل وجمال ، قال ابن مالك : « وفصل أيضا فعال ما لم يكن في لامة افعال » .

قَمِيدِكَ ، أَنَّى زُرْتِ ضَوْدَكَ سَاطِعٌ وَطَيْبُكَ نَفَاحٌ وَحَلِيكَ هَادِلٌ (١)
هَيْبِكَ أَغْتَرَزْتَ الْحَى وَأَشِيكَ هَاجِعٌ وَفَرَعُكَ غَرِيبٌ وَلَيْبُكَ لَاقِلٌ (٢)
فَأَنَّى أَعْتَسَفْتَ الْهَوَلَ خَطُوكِ مُدْمِجٌ وَرَدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَعِطْفُكَ مَائِلٌ
خَلِيلِي مَالِي كُلُّمَا رُمْتُ سَلَوَةٌ تَعَرَّضَ شَوْقٌ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ
أَرَاخُ إِذَا رَاحَ الْفَسِيمُ شَامِيَا كَأَنَّ شَمُولًا مَا تُدِيرُ الشَّمَائِلُ (٣)
صَلَاةً تَمَادَى الْهَبُ فِي الْمَشْرِ الْعِدَا وَلَاحَ الْهَوَى فِي حَيْثُ تُخْشَى الْفَوَائِلُ (٤)

ولم يثر مما راحمه من كثرة اللمعة على هذا الجمع ، والمطاف . والكسر والمعطف كل ثوب كالرداء واللباس تطعت أى تردت به ، وسمى مطافاً لوجوعه على عطى اللباس وما ناحيته عقه ، والرتوم : ذو الوعى والنش أو المكروب عليه ريم التاجر ، والمائل ذو الدبل ، وهو أيضاً من الدالان وهو معنى مقارب الخطو فيه . ومع وعلة شبه عشية الدب أو الثعلب من حل ، أو هو معنى سريع خفيف فى ميس وسرعة وبهسى الدب . وإالة ، واللى الأول هو المقصود بها ، يقول وانتا للوعدى تلك الليلة تنهذى مشيتها كالسياب الحية فى الرمل نحو ما تركه من آثار النش ، دبل ثوبها المودى ، وهو قريب من قول امرئ القيس : « حربت بها أسمى عمر وراءها على أنزبا دبل مرط مرحل . »

(١) هيبك : مصدر ، يحوب لياسته عن العمل والتقدير سألت الله حطك ، وهادل : مهمل مسترح إلى أسفل (٢ و ٣) مكرران مع قوله لما تقدم فى الغاية :

« هيبك اغتورت الحى واشيك هاجع ومرطك عربت ولبك أصعب »
« فأنى اعتسفت الهول خطوك مدمع وردفك رجراج وحصرك عطف »

ولكن تنعيم الغاية كما ترى ، واغترت : بالعين المعجمة أنت منهم مرة وعلة فزرتنا ، وقد صممه معنى خدعت صمدها إلى العفول بعنه ، وتقدم تصيره بالعين المهملة معنى حب الحى وطعت به سائلة على غير علم من أهله ، إلا أن هذا يستعمل غالباً فى المترأى طالب المعروف . قال حاتم الطائي :
« أوقد فان الليل ليل قرّ والريح يا علام ربح صرّ »
لعل أن يصرها المستر إلى حلف صيماً فأنت حر .

(٣) أراح : كأراح من الارتاح ، وراح : من الرواح ، والشمول : من أسماء الجر ، والعمائل : جمع العمال بالفتح وهو ربح ثوب من قبل الشام عن يمار الغلة ، وفى العمال والشمول يقول الشاعر :

« أملت سليبي والنسيم عليل غليل لى أن العمال شمول »
كأن الحزامى صنعت منه فرقفا فسكر أصاح المطى تطول .

(٤) معنى مكرر باعطه ولكن بتغيير الغاية مع قوله فى الغاية للتشبهه :
« للاح تمادى الحب فى المشر المدا وطم الهوى الأفق الذى به دشنت . »

كَأَنَّ لَيْسَ فِي مُعْنَى اِهْمَامٍ «مُحَمَّدٍ»
أَغْرَأَ إِذَا شِمْنَا سَحَابَ جُودِهِ
يُبَشِّرُنَا بِالتَّائِلِ الْغَمْرِ «جُودُهُ»
لَدَيْهِ رِيَاضُ السَّجَابَا أَيْقَنَهُ
أَتَى فَمَا تِلْكَ السَّمَاحَةُ نُهْزَةُ
زَعِيمُ اَلدَّهَاءِ أَنْ تُصَابَ مِنَ الْعَدَا
فَمَا سَيَفُ ذَاكَ الْعَزَمِ فِيهِمْ عِصْدِ
بَنِي «جَهْوَرٍ» عَشْتُمْ بِأَوْفَرِ غِبْطَةٍ
تَفَاصِلَ فِي السَّرْوِ الْمُلُوكِ، فَحَلَّشْتُمْ
مُسْلٍ وَفِي مَتْنِي أَيْادِيهِ شَاغِلٌ^(١)
تَهَلَّلَ وَجْهَهُ وَأَسْتَهَلَّتْ أَنْأَلُ^(٢)
وَقَبْلَ الْحَيَا مَا تَسْتَطِيرُ الْمَخَايِلُ^(٣)
تَمَلُّغُلُ فِيهَا لِلْعَطَا جَدَاوِلُ
وَفِي فَمَا تِلْكَ الْجِبَالُ حَبَائِلُ^(٤)
مَكَابِدُهُ مَا لَا تُصِيبُ الْجَحَافِلُ
وَلَا سَهْمُ ذَلِكَ الرَّأْيِ أَفَوْقُ نَاصِلُ^(٥)
قَالُوا لَا كُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ طَائِلُ
أَنَايِبَ رُمَحِ أَنْتُمْ فِيهِ حَامِلُ

- (١) مسل أي صارف عن امرئ لدى تحدثه عما سبق من أبيات القسيده ، ومتنى الأيادي : إعادة للمعروف مرتب ما كثر ، والاصماء من حرور الميسر يشربها المواد ميطمئنها الأبرام ، فان الحاجة :
- « ييك دو - رصم هي وصلهم وليس حمل أسر مثل من علما
أني اتمة أيسارى وأصحبه متنى الأيادي وأكسوا لبعنه الأدماء »
واليت من حسن أبيات التحلى من السيد إلى الملح .
- (٢) تهلل : أشرق وظهرت عليه أمارات السور ، واستهل من استهلل للطر وهو أصابه نشوة حتى يسمع له صوت ، شه أمامه في الخود لسحاب للتهلل .
- (٣) الحيا : طر ، ما تستطير . ما راندة أو مصدرة ، وتستطير . تنسر وتمم الأتي ، والمخايل : جمع غيلة وهي أن ترحو وتضرب أن السماء حلقة للطر ، وفي الأصل « يشربها بالمثل الدر » وصده ماض وقد أكدنا الشطر لبط « جوده » الموصو به بن هلالين أحدا من السياق ، ومعنى البيت يشربها بالطاء الكبير حوده وقبل استهلل للطر تنقصر محله وعلاماته في السماء .
- (٤) الأتي : اللامد الذي يتأتى للأمر ، وبرزة : يربد أنه لا يبدل السباحة اشباراً وفترافاً إذا صنعت له الفرصة بل يأتى لها وينص عليها في كل وقت غير متحين لها المرض ، والحل : المهد والدهة والتواصل وعدم التفاضل ، والمخايل : جمع حالة وهي العبيدة وفي الحديث « النساء حائل الشيطان » أي مصايده .
- (٥) المصد والمصاد : سيم تمنى على شكل الحبل يتحده الفضاون لبط العظام ، والرعاة لقطع مروج الشجر ليملوا بما يسقط من ورقها فسيم وإلهم ، وأفوق : مكسور المعوق بالضم وهو حرف السهم وإذا كان في إحدى رمي السهم أي حربه انكسار مدلك السهم أفوق ، والاصل : السانط النمل وهو حديثة للسهم ، وللمنى : أنه ماضى البرعة صاف الرأي ، وفي الأصل : « أفوق نامل » .

لَنْ قَلَّ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ عَدِيدُكُمْ
فِدَاؤُكُمْ مَنْ إِنْ تَعَدَّهُ ظَنُونُهُ
مَنَّا كَيْدٌ^(١) فِعْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ تَكَلَّفُ
فَإِنْ سِيرَتْ أَخْلَاقُهُمْ يَخْلُقُ
لَكَ الْخَيْرُ، إِنِّي قَائِلٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ
لَعَنَ سَرَافُ النَّعْرِ وَافَاكَ وَقَدْهُمْ
لَا عُدْرَتَ لَمَّا لَمْ يُمَلِّكَ مُكْتَمُهُمْ
نَضَدَتْ رِيَاحِينَ الطَّلَاقَةِ غَضَّةً
فَمِنْهُمْ إِلَّا سَدِيدُ زِرَاعِهِ
صَمَانٌ عَلَيْهِمْ أَنْ سَيُؤْتَرُ عَنْهُمْ

فَإِنْ دَرَارَى النَّجُومِ فَلَاكِلُ^(٢)
لَحَاقَكُمْ فِي الْمَجْدِ فَالْهَرُ مَاطِلُ
إِذِ الشَّرُّ طَبَعَ مَا لَهُمْ عَنْهُ نَاقِلُ
فَكُلُّ خَصِيْبٍ لَا مَحَالَةَ نَاصِلُ^(٣)
فَنَ لِي بِأَسْتِيفَاءِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ ؟
لَمَّا دَمَ مِنْهُمْ ذَلِكَ النَّزْلُ نَازِلُ
إِذَا عَذَرَ الْمُسْتَقِلَ الْمُتَاقِلُ^(٤)
وَرَقَرَقَتْ مَاءَ الْبَرِّ وَهُوَ سَلَاسِلُ
إِلَيْكَ مُقِيمُ الْقَلْبِ وَالْجَنَسُ رَاحِلُ
عَلَيْكَ ثَنَاءٌ فِي الْحَافِلِ حَافِلُ^(٥)

(١) ألم كثير من الشراء بهذا المعنى في صور مختلفة نختار منها قول السموأل في لامية الميمورية :

« نعيمنا أنا قليل عديدنا ظلت لها : إن الكرام قليل

وما قل من كاب نقابا مثلا شباب تسمى للعلا وكهول . »

وقول العباس بن مرداس :

« سات الطير أكثرها مراحا وأم الصقر مقلقة نزور . »

(٢) جمع مكود من تكد الرجل بالياء المجهول هو مكود إذا كثرت أسئلة وقيل غيره .

(٣) حصب : محسوب ، واصل : وصف من صل الشعر يصل بالضم رالعه الحصاب ، وهو معنى

كثير الورد في كلام الشعراء ، قال ربيع .

« ومهما تكن عدامى من حليقة وإن حلها نعى على الناس تعلم . »

وقال الآخر : « ومن يجد بها سوى خيم منه يدعه وينله على الصب خيما . »

وقال ذو الأصم العدواني .

« كل امرئ صائر يوما لشيئته وإن تخلق أخلاقا إلى حين . »

(٤) لأعدرت : لقد بدا عذرك واضح ، والمستقل : المستقل لمكتمهم أكثر مما تستلزمه موجبات

العياض ، وللتنادل : للتناطح الذي أقبل على مصيعة مأله وأصدره ، يقول أنت عذرا لنفسك وانصاحا حين

لم تحل ولم تسأ طول مكث سراء التفر الواحدين عليك في وقت يعرف فيه للتنافل عذر مضيقه إذا مل مكثه

وعده نفلا .

(٥) صمان على هؤلاء الوادئين أنه سيؤثر وروى عنهم ثناء عليك في المحافل حاصل بأنواع الحماد والمدائح .

مَسَاجِدَ هِيَ الْعِقْدُ أَنْتَظَامَ مَحَاسِنِ
تُخَيِّرُ بِهَا الْأَمَالُ وَاللَّيْلُ وَاقِبُ^(١)
تَحَلَّى بِهَا جِيدُ مِنَ الدَّهْرِ حَاطِلُ
وَتَحْصِبُ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ مَاحِلُ

هَيْنَا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي بِكَ أَصْبَحْتَ
تَلْقَاكَ بِالْبُشْرَى وَحَيَاكَ بِالْمُنَى
لَنْ يَنْصَرِمَ شَهْرُ الصَّيَامِ لَبَعْدَهُ
رَأَيْتَ أَذَاءَ الْفَرَضِ ضَرْبَةً لَا زِمَ
سَدَنَتْ^(٢) بَيْتَ اللَّهِ حُبَّ جَوَارِهِ،
هَجَرَتْ لَهُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتَ آلِفُ
فَإِنْ تَتَنَاقَلَكَ الدُّنَا فَطَالَمَا
أَلَا كُلُّ - رَجَوْى فِي سِوَاكَ - عُلَاةُ
فَمَا لِعِمَادِ الدِّينِ - حَاشَاكَ - رَافِعُ

لَا تُنَنِّي الْخُطْبَ الَّذِي أَنَا خَافِئُ
أَرَى خَاطِرِي كَالصَّارِمِ الْعُضْبِ لَمْ يَزَلْ
وَمَا الشَّعْرُ بِمَا أَذِيهِ فَضِيلَةٌ
بَقِيَتْ كَمَا تَبَقِيَ مَمَالِيكَ إِنَّمَا
فَمَا نَسْتَرِيدُ اللَّهَ بَعْدَ نِهَايَةٍ
وَبَلَّغْتِي الْحِطَّ الَّذِي أَنَا آمِلُ^(٣)
لَهُ شَاحِذٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صَاقِلُ
تَرِينُ، وَلَكِنْ أَنْطَقْتِي الْفَوَاضِلُ
خَوَالِدُ حِينَ الْعَيْشِ كَالظِّلِّ زَائِلُ
لِنَفْسِكَ غَيْرَ الْخُلْدِ إِذْ أَنْتَ كَامِلُ^(٤)

(١) في الأصل «رائد» (٢) وفي الأصل «سدك» (٣) وقد ورد بعد هذا البيت قوله :

«..... أَلَمْ يَمْحُهَا أَنَا لَا فَعِلْ وَلَا أَتَ حَاطِلُ»

وقد أبيتله ناصبا كما ورد بالأصل .

(٤) قرب من هذا البيت قوله من قصيدة سابقة :

« لَا أَسْتَرِيدُ اللَّهَ ، مَعِيَ بِكَ ، لَا بَلَّ أَسْتَدِيمُ »

إلى ابن جهور

« وقال أيضا مع تلاح أهداه إلى ابن جهور . »

أَتَتْكَ بِلَوْنِ الْمُحِبِّ الْخَجِلِ تُخَالِطُ لَوْنَ الْمُحِبِّ الْوَجِلِ^(١)
 عِمَارُ تَضَمَّنَ^(٢) إِذْ رَاكَهَا هَوَاوُ أَحَاطَ بِهَا مُعْتَدِلِ
 تَأْتَى^(٣) لِإِلْطَافٍ تَذْرِيجِهَا فَنَ حَرِّ شَمْسٍ إِلَى بَرْدِ ظِلِّ^٤
 إِلَى أَنْ تَنَاهَتْ شِفَاءَ الْعَلِيلِ وَأَنْسَ الْمَشُوقِ وَلَهُوَ الْفَزْلِ
 فَلَوْ تَجَمَّدُ الرِّاحُ لَمْ تَعْدُهَا وَإِنْ هِيَ ذَابَتْ فَغَعَزُ تَحِيلِ^(٥)
 لَهَا مَنَظَرٌ حَسَنٌ فِي النُّفُوسِ كَذُبَاكَ لَكِنَّهُ مُتَقِلِ^(٦)
 وَطَعْمٌ يَلِدُ لِمَنْ ذَاقَهُ كَلْدَةً ذِكْرَاكَ لَوْ لَمْ يَعْلِ^(٧)
 وَرَيَا إِذَا تَفَحَّتْ خِلَتُهَا عُمِلُ ثَنَاءَكَ أَوْ تَسْتَهِّلِ^(٨)
 يُمَثِّلُ مَلْعُسُهَا لِلْأَكْفِ لَيْنَ زَمَانِكَ أَوْ يَمَثِّلِ^(٩)

- (١) معنى البيت: أنتك هذه التلاحات بحمرة كحمرة حدود اللوح صد الخجل، تخالطها صفرة كصفرة حدود الماشقين عند الوحل . (٢) أى تكمل بأصابع هذه الثمار هواء مصلد متوسط بين الحرارة والبرودة (٣) تأتى للاسمر ترقى له وأناه من وجهه ، والمعنى : تطلب ذلك الهواء فى تدرج نموها وصفها بذلك الألوان الراهية تنقل منها من حر شمس إلى برد طل حتى صبحت وأبست . (٤) يقول لو أن ذوب الراح تحول إلى حمد لم يعد أن يكون ذلك التلاح ، ولو أن حامد السباح تحول إلى ذوب أحر لم يعد أن يكون حرا حلالا لأن على شاربها . (٥) يعنى : أن منظرها حسن يتعظم ما فى دنيك من عظم إلا أنه حسن متقل حائل ، وحسن دنيك لا يحول ولا ينتقل .

- (٦) ولها طعم حلو للذائق لذيذ كلدته ذكراك فى الأسباح إلا أنه يعلى وترديد ذكراك لا يعلى . (٧) ولها رذا : أى رذ طيبة ، نعل : أى عمل مدحك ، أو تستهل : أى ترفع صوتها بالثناء عليك . (٨) يصور لمس التلاح الباع للأكف لين زمالك حتى كأنها تحسه ، أو يعتل أى يضرب نفسه مثلا بين زمالك .

صَقَوْتُ فَأَدَلَّتْ^(١) فِي عَرَضِهَا وَمَنْ يَصْنَعُ مِنْهُ الْهَوَىٰ فَلْيَدِلْ
قَبُولُكُمَا نِمْنَةً غَضَّةً وَفَضْلٌ - بِمَا قَبْلَهُ - مُتَّصِلٌ
وَلَوْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ نَفْسِي اخْتَصَرَ تَ عَلَى أَنَّهَا غَايَةُ الْمُخْتَفِلِ^(٢)

مجلس أبي علي

« لما ورد ابن زيدون إشبيلية نزل في دار
ذي الوزارتين الكاتب أبي علي بن جلة وهو
يسى فيها مجلساً ، فصع أبيتاً فكنت فيه : »

عُمَرَ مَنْ يَمُرُّ ذَا الْمَجْلِسَا أَطْوَلَ عُمرٍ يُنْهَجُ الْأَنْفَسَا
وَبَعْدَ ذَا غَوْضَ عَنْ دَارِهِ عَدْنَا وَمَنْ دِيَابِجِهِ السُّنْدَسَا
وَوُفَى الْفَوْزَ بِهَا وَالرَّضَى وَوُفَى الْأَسْوَاءِ وَالْأَبْوَسَا^(٣)
وَدَامَ عِبَادٌ لِمَهْدٍ الْهَدَى يَحْرُسُ حَتَّى يُفْنِيَ الْأَحْرُسَا^(٤)

* *

مُقْتَضِدٌ بِاللَّهِ إِحْسَانُهُ جَمَّ إِذَا مَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَسَا
الْمَلِكُ الْقَمَرُ النَّدَى الْمُقْتَنَى مِنْ كُلِّ حَمْدٍ عِلْقَهُ الْأَنْفَسَا^(٥)
إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلَيْهِ نَهْدٌ قُوَّةٌ مُقْتَدِرٌ أَخْرَسَا^(٦)
لَا زَالَ بَذْرًا طَالِمًا نَيْرًا يَكْشِفُ مِنْ أَمَانَا الْخَنْدَسَا^(٧)

(١) الأدلال الدلال والاساط والمرأة على من تحب بإظهار العادة عليه ، أى وتحت بما بيننا من الصفاء
والود فأمرط في العادة عليك بمرس هذا التصاح الذى يتهاذى مثله الأسماء المضمون ، ومن يصف في
الهمز طيطهر الدلال على من يحبه .

(٢) المحمل المبالغ في الاحماء ، والمعنى : لو كنت حين أردت الاحماء . أهديت منى لاختصرت ، على
أنها عادة ما أحصل وأألم في تقديمه إليك هدية . (٣) الأسواء : جمع سوء والأبوس جمع بؤس .

(٤) الأحرس : الدهور ، جمع حرس يفتح مسكون وهو الدهر .

(٥) للملك العظيم الاحسان الذى طهر من الشاء بما لم يطهر به غيره من آيات الحمد .

(٦) إذا رام الحبس للمين أن يصف مجده أعياء انخرس لأنه يحاول بذلك أن يظهر للمستحيل .

(٧) الطلام .

جواب

« كتب الوزير العقيه صاحب الأحكام والأجاس
« أنو طالب بن مكي » يتين وهما :

« يا سعيد الدار موصو

لا بقلبي ولساني
رما ماعدك الله

رمأدنتك الأمانى . »

فكتب إليه الأبيات التالية :

لَا أَفْتِنَانْ كَافْتِنَانِي فِي حُلَى الظَّرْفِ الْحِسَانِ^(١)
خَصَّنِي بِالْأَدَبِ اللَّهُ فَأَعْلَى فِيهِ شَانِي
خَاطِرِي أَنْفَدُ - مَهْمَا قَيْسَ - مِنْ حَدِّ السَّنَانِ

* *

أَيْهَا الْمُرْسِلُ أَطْيَا رَ الْمُعْتَى لِامْتِحَانِي
هَآكْ كَى تَزْدَادَ فِي الْآدَابِ عِلْمًا بِمَكَانِي
قَدْ أَتَنَّا الطَّيْرُ تَشْدُو بَعْضَ أَيْكَاتِ الْأَغَانِي
بِرِطَانَاتٍ قَضَنَّا مَا اقْتَضَتْنا مِنْ يَكَانِي

* *

إِنْ تَعَنَّى الْبُلْبُلُ أَهْتَا جَ غِنَاءِ الْوَرَشَانِ^(٢)

(١) قال في الحان : الطرف البراعة ودكاء الفل يوصف به العتيان الأروال والعتيات الرولات ولا يوصف به للشيخ ولا السيد ، وقد وصف الحسان الطرف مالملة ، ويعبور أن يكون فالضم جمع طرفه ، فانه يجمع على طرف بصمتين ، والاسكان في الله جائر ، واللى : ليس يمجده أحد - كما أعيد - الافتنان في صوغ تلك الحلى الحسان التي عليها الطرف والبقاة .

(٢) الورشان : طائر لجه - فيها يقولون - أحب من الحمام ، واللى : أن غناء البلبل يحتاج غناء الورشان . يشهر بذلك إلى أن شعر صديقه الوزير اهتمامه بحرك فيه بواص الشعر كما احتاج غناء البلبل غناء الورشان .

فَتَأْدَى مِنْهُ يَتَا غَزَلٍ مُنْقَرِدَانِ
لِحُبِّ فِي حَيْبٍ عَنْهُ نَأَى مِنْهُ دَابِ :
« يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا بِقَلْبِي وَلِسَانِي
رُبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ فَأَذْنَتِكَ الْأَمَانِي »

كن كيف شئت

بَاغَزَالاً أَصَارَنِي مُوثِقًا فِي يَدِ الْحَيْنِ
إِنِّي - مُذْهَجَرَتِي - لَمْ أَذُقْ لَذَّةَ الْوَسَنِ
لَيْتَ حَظِّي إِشَارَةً مِنْكَ، أَوْ لِحَظَةً عَنِّي^(١)
شَافِعِي يَا مُمَدِّدِي فِي الْهَوَى - وَجْهَكَ الْحَسَنِ
كُنْتُ خِلَافَ الْهَوَى فَأَنَا الْيَوْمَ مُرْتَهَنٌ^(٢)
كَأَنَّ بَرِّي مُكْتَمًا وَهُوَ الْآنَ قَدْ عَلَنَ^(٣)
لَيْسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبٌ فَكَمَا شِئْتُ لِي فَكُنْ^(٤)

(١) يقول : إني اقم معك بالحق العليل الناهي وأكتفى بأن يكون حظي من حرك إشارة أو لغة سريعة ،
وقد دار الشعراء حول هذا المعنى ، وأمل أبدع ما قيل فيه قول جميل شينة .

« وإني لأرعى من بشية ناهي لو أعصره لوفى انهرت بلاه
بلا ، وبألا أستطيع ، وبألى ، وبالأمل المرحوق قد حاب أمه
وبالطرفة المحلى ، وبالحول نفسي أواخره - لا يلقى - وأواه . »

(٢) الخلو : الخالي . يقول « كنت طائفاً حالياً من إيسار الهوى صرت اليوم أسيراً مرتبها . »

(٣) يقول : « كان برى حايلاً لا يلمه أحد وأصبح معلماً ، وما أجل قول مررود في شبه هذا المعنى :

« وقد كُتِفَ النُظَاءُ مَا نَبَأَى أَصْرَحًا بِدُكْرِكَ أَمْ كَيْبَا

سائل عن ثمنات مجزوى ولفظ الرمل يعلم من صيا

ولي أنا نادى « بإسليمي » فقالوا : ما عتبت سوى ليبي »

(٤) يقول : « لأنك لا لي من إيسار حرك فاصنع بي ما أنت طامع . »

حنين

هَلْ رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُحْيِيَنِي
إِذْ لَا كِتَابَ يُؤَافِيَنِي فَيُخَيِّبُنِي^(١)
قَدْ مِتُّ إِلَّا ذَمَاءٌ فِي يُمْسِكُهُ
أَنَّ الْفَوَادَ يَلْقِيَاهُمْ بِرُجْيَانِي^(٢)
مَا سَرَّحَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي وَأَطْلَقَهُ
إِلَّا أَعْتَبَا ذَأْمِي فِي الْقَلْبِ مَسْجُونِ^(٣)
صَبْرًا لَعَلَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَمْرَضَنِي ،
كَيْفَ أَصْطَلِبَارِي وَفِي كَأُتُونِ^(٤) فَارَقَنِي
شَخْصٌ يُدْكَرُنِي فَأَهْ وَغَرَّتُهُ
لَنْ عَطِشْتُ إِلَى ذَاكَ الرُّضَابِ لَكُمْ
وَأَنْ أَفَاضَ دُمُوعِي نَوْحُ بَاكِتَةٍ
وَأَنْ بَعُدْتُ وَأَضْنَيْتُنِي الْهَمُّومُ لَقَدْ
أَوْ حَلَّ عَقْدَ عَزَائِي نَأْيُهُ فَلَكُمْ
قَلْبِي وَهَاتُخُنِي فِي أَعْقَابِ تَشْرِينِ^(٥)
شَمْسُ النَّهَارِ وَأَنْفَاسُ الرِّيَّاحِينَ
قَدْ بَاتَ مِنْهُ يُسْقِنِي قَيْرُونِي
فَكَمْ أَرَاهُ يُغْنِيَنِي فَيُشْجِنِي^(٦)
عَهْدُهُ وَهُوَ يُدْنِيَنِي فَيُسْلِيَنِي
حَلَّتْ عَنْ خَصْرِهِ عَقْدَ الثَّمَانِينَ^(٧)

(١) هل يوابي رسول من قل من أحبه يجعل إلى تخييمهم بعد أن حرمت كتبهم التي كانت تعيد إلى الحياة .
(٢) لقد كنت أحسب في عداد الملوك لولا بنية قليلة من الروح بحثها في الرضاء والامل في لغاتهم .
قال ابن الرومي في رثاء امه :

« ولقد تمرى القلب سلوته أنى بأن أهلك مرتين . »

(٣) لم يمض دمي إلا ذكريات مؤلمة مسحونة في قلبي تمتدني حيناً بعد حين وتطيف نفسي فتطلق الدمع وتسرجه .
(٤) شهر من شهور الشتاء وهو ديسمبر ، قال أبو العلاء :

مضى كانون ما استعملت فيه جم للماء ، فاقدم يا سباط
فناه أفس الحشرات غشى يكوب هني بالصيف ارتباط

(٥) شهر من شهور السنة الرومية وهو يوافق ١٤ أكتوبر ، وما تقريران أحدهما في ١٤ أكتوبر والثاني في ١٤ نوفمبر ، ولعل المراد تفرق الثاني . (٦) في الأصل : مبروي .

(٧) عقد عزائي : العقد صدء الحلق ، والمزاء : الصبر ، والبأى : الحد وعقد الثمانين : أحد عقد الأصابع التي يجمع بها عدد الثمانين والاشارة إلى عقد الثمانين تكون ببط الإبهام والسبابة مما تلاصق بين بلا مرحة طاهرة بينهما ، وللحق : لن حل بأى الحبيب وبمده عقد عزائي وسلواني به ، فكثيراً ما حلت عن خصره نطائاً يشبه في الصيق عدد الثمانين ، وهذا الحصر القوي وضعه ابن زيدون يدي في الوم ، ويلطف في الحبال والحس إلى حد أن لا يستر له على عشييه ومثيل حق ولا في خصور الحلات الرشيقات



تَحْسُنْ إِشْرَاقَ سَاعَاتِ اللّٰهُ تُبَدِّتْ كَوَاكِبًا فِي أَبَالِي بَعْدِهِ الْجَوْنِ^(١)

من مات أوروبا وإريس في العصر الحاضر عصر المعنى والشفقة ، ودقة الحسور ، والافراط في تمليق
مقد الطاق .

عقد الأصابع

لما كانت كلمة « عقد الثمانين » الواردة في بيت « اريدون » هذا لا يبين فيها وجه التقيد والملاحظة التي صمد إليها ابن ريدون أحياناً ، إلا سدد بيان ما تدل عليه عدد الأصابع من الأعداد العربية للحساب ، وهو اصطلاح جديد استعمله العرب ، ووجه في الحديث ان الذي صمد إلى الله عليه وسلم عدد ثلاثة وخمسين في التقيد ، أي بعض اصغر والاصغر والوسطى على هيئة حصة تدل على العدد المذكور ، معنى مستطرد بتلخيص ما هو مدسوط في بعض كتب التامة والنجو . حقائق هذا الموضع يقول :

حصلوا الدلالة على الآدم من اصابع اليد التي اصغر والاصغر والوسطى ، وانشرت إلى التسمية الوسطى والسابعة .

فالعقد الدالّ على الواحد يكون الصاق الحصر مائل الكسب مع سائر الأصابع ، وعلى الألف بالصاد البصر معها كذلك ، وعلى الثلاثة هم الوسطى إليهما كذلك ، وعلى الأربعة بالصاد البصر والوسطى وحدها كذلك ، وعلى الخمسة بالصاد لوسطى وحدها كذلك ، وعلى الستة بالصاد البصر وحدها كذلك ، وعلى السبعة بالصاد أخصر وحدها ممدودة إلى أسفل الكسب على شكل يحاطب شكل الواحد . وعلى العشرة بوضع ضمير السابعة ووسطى مائل أمة إليهما بحيث تحصل شكل حافة ، ولكن مع نشور رأس الإبهام فقدر نصف الأمة ، وعلى العشرين ثقل المفصل الأول من السابعة على طرأ الإبهام بحيث تكون السابعة على شكل الدال ، وعلى الثلاثين هم رأس ضمير السابعة إلى طرأ رأس الإبهام على هيئة لافظ الإبرة ، وعلى الأربعين وضع مائل أمة الإبهام على طائر نعل السابعة مما يلي الكسب ، وعلى الخمسين بوضع الطرف الأربعين للإبهام على عجز العقدة السفلى للسابعة بحيث تكون قنة ، والحجاب الأعلى للإبهام معباً عليها ، وعلى السبعين وضع مائل أعلى أمة الإبهام على مائل أمة السابعة ، بحيث تكون السابعة على شكل قوس وتره الإبهام ، وعلى السبعين وضع حرف ضمير الإبهام على العقدة الوسطى لمائل السابعة على هيئة رامي الحماة فالحذف « وهو رمي صغار الحماة بعد أحدها بين طرأ السابعة والإبهام » ، وعلى الثمانين بصلبها مما لا يفتقن بالمرحمة بينهما كما أسلفناه في شرح الباب الذي نحن بصدده ، وعلى التسعين بصلب السابعة إلى أصلها ووضع الإبهام على طرأ العقدة الوسطى للسابعة كما تتحدى الحية .

وحمّلوا للدلالة على انشغال من أصابع اليد اليسرى الدابة والايهام طق على اليد اليمنى .

فأما في اليسرى كالعشرة في اليمين ، ولذا تثنى كالعقري ، وهكذا إلى التسعمائة ، والألف في اليسرى كل واحد في اليمين ، والألفان كالثنين ، وهكذا إلى تسعة آلاف ، والعشرة آلاف بصم أعلى السجادة والأهجم طأ بطي ، وتستعمل هذه أسباع اليمين معاً للدلالة على الأعداد المركبة من الأحاد والعشرات والثلث والآلاف بمض الهجاء المتقدمة .

(١) أى أن ليالى الوصال تبدو مصيئات لامعات في ليالى البعاد السود .

وَاللّٰهُ مَا قَارَعُونِي بِاخْتِيَارِهِمْ - وَإِنَّمَا الْدَهْرُ بِالْمَكْرُوهِ يَزْمِينِي
وَمَا تَبَدَّلْتُ حُبًّا غَيْرَ حُبِّهِمْ - إِذَا تَبَدَّلْتُ دِينَ الْكُفْرِ مِنْ دِينِي ^(١)
أَفْدَى الْحَيِّبَ الَّذِي لَوْ كَانَ مُقْتَدِرًا - لَكَانَ بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ يَفْدِينِي
يَا رَبِّ قَرِّبْ - عَلَى خَيْرٍ - تَلَا قَيْنَا - بِالطَّالِعِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمَيَّامِينَ .

في الغزل

أَيُّوحُسْنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسَى - وَيُغْلِبُ لِي التَّهَارُ وَأَنْتَ تَمْسِي
وَأَغْرِسُ فِي مَحَبَّتِكَ الْأَمَانِي - فَأَخْنِي الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِ غَرْمِي ^(٢)
لَقَدْ جَاوَزْتَ غَدْرًا عَنْ وَفَائِي - وَبَعْتَ مَوَدَّقِي ظُلُمًا يَبْخَسُ
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حُكْمِي - فَدَيْتُكَ - مِنْ مَكَارِهِهِ - بِنَفْسِي ^(٣)

في بعض مجالس الأناشيد

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ بِكُلِّ أَلْسِنَةٍ جَلَالَكَ
انْظُرْ إِلَى مُحْتَلَنَاتِنَا ^(٤) - فَذَرَانِ سَاحَتَهُ اخْتِلَالَكَ
نَهْرٌ وَرَوْضٌ نَحْنُ يَتَنَهَّمَا تَهْفِئَتُنَا ظِلَالُكَ ^(٥)
قَدْ فَاضَ فِي هَذَا نَدَا - لَكَ وَنَمَّتْ هَذَا خِلَالَكَ .

(١) إن إيماني بهم كإيماني بدي سواء سواء وليس في مقدور أحد أن يبدلني بمن أحب إلا إذا استطاع أن يقبلني من دمي إلى الكفر .

(٢) يقول : « هل من العدل أن أكثر من الآمال والأمانى فلا أحق من ذلك كله إلا الاحقاق :

(٣) ليت الزمان يقل حكمي ، ادل لعديتيك بدي ، وإن كسب لا تحاربي بدي إلا بالقدر .

(٤) المكان الذي حفا به .

(٥) وفي الأصل : « تؤولنا ظلالك . » والظلال : ما أظلك من سحب ونحوه ، وظلال البحر : أمواجه ،

واللصود هنا السيم والراحة ، ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة وكان الظل معدوم من أعظم أسباب الراحة حلوه كناية عن الراحة .

شكوى وألم !

« قال في مدح ابن جهور »

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَنْكِى النِّعَامُ عَلَى مِثْلِي وَيَطْلُبَ فَأَرَى الْبَرْقَ مُنْصَلِتِ النَّصْلِ^(١)
وَهَلَّا أَقَامَتْ أَنْجُمُ اللَّيْلِ مَا تَمَّا لَتَتَدَبَّ فِي الْآفَاقِ مَاصِنَاعَ مِنْ تَنَلِي^(٢)
وَلَوْ أَنْصَفْتِي - وَهَى أَشْكَالُ حِمِّي - لَأَلْقَتْ بِأَيْدِي الذَّلَّ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي
وَلَا فَنَزَعَتْ سَبْعُ الثَّرَيَا وَقَاضَهَا^(٣) بِعَطْلَمَهَا مَا فَرَّقَ الْدَهْرُ مِنْ شَمَلِي

* *

لَمَعَرُ اللَّيَالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ تَرْعُهَا لَقَدْ قَرَّطَسْتَ بِالنَّبْلِ فِي مَوْصِعِ النَّبْلِ^(٤)
تَحَلَّتْ بِأَدَابِي وَإِنْ مَا رِبِي لَسَانِحَةً فِي عَرَضِ أُمْنِيَّةٍ عَطْلِي
أَخَصُّ لِفَهْمِي بِالْقَلَى وَكَأَنَّمَا يَبِيتُ لِدَى الْفَهْمِ الزَّمَانُ عَلَى دَحَلِي^(٥)
وَأُجِنِّي عَلَى نَظْمِي لِكُلِّ قِلَادَةٍ مُقْصَلَةٍ السَّمَطَيْنِ بِالْمَنْطِقِ الْفَصْلِي
وَلَوْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ كَيْ أَرْضِي الْمَدَا شَرِيتُ بِمَقْصُصِ الْحِلْمِ حُطًّا مِنَ الْجَهْلِ^(٦)

(١) الذى و الأصل المقول « ألم يأن أن ينكى النعماء على مثلى » والذى أمتناه ها هو ما قلناه من الدجيرة لأن سام وهو أسب مما ذكر في الأصل لأنه يريد من الطبيعة أن تنكى بكائه ، وتؤثر من أهدائه .

(٢) مثلى : أى ما اعتلته واسترحته في حياتي من حاء وصب ومال .

(٣) قاضها : فيصفا أى أحماها .

(٤) رعبا : حبسا وتر القوس مصوغة معوى سهام للصاب ، وقرطس : أى أصاب القمطران ، وهو

خض من أديم يجند لتصال وتديد الرماية .

(٥) القلى - بالكسر - للبص ، والحمل للتأثر ، يريد أن غيره من أهل المهمل نالوا الخطوة والقرى ،

وهو لهم - خى القلى والبعد وكأنه قد حى على الزمان مات يطالبه بأثمه .

(٦) الحلم : العقل ، والحط : التصيب . يقول : لو أستطيع لإرضاء المدا وشفاء ما فى غوسهم من

الحقد لاستندات نهي . يسير من الجهل ، حطاً عظيماً من العقل .

* *

أَمْقُتُولَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالْهَامَا أَلَمْ تُرِكِ الْأَيَّامُ نَجْمًا هَوَى قَبْلِي ^(١)
أَقْلَى بُكَاهُ لَسْتُ أَوْلَى حُورَةٍ طَوْتُ بِالْأَمْسَى كَشَحَا عَلَى مَضْضِ الشُّكْلِ ^(٢)
وَفِي « أُمِّ هُوسَى » عِبْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ إِلَى الْيَمِّ فِي التَّابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأَسْلِي ^(٣)
لَعَلَّ الْمَلِيكَ الْمُجِيلَ الضَّنْعَ - قَادِرَا لَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ سَوْفَ يُجْمِلُ صُنْعَايَ ^(٤)
وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَبْنَا بِهِ - عِنْدَ جَوَارِ الدَّهْرِ - مِنْ حَكَمٍ عَدْلٍ ^(٥)

* *

هُمَامٌ غَرِيقٌ فِي الْكَرَامِ ، وَلَعَلَّا تَرَى الْفَرْعَ إِلَّا مُسْتَعْدًّا مِنْ الْأَصْلِ
نَهْوُضُ بِأَعْيَادِ الْمَرْوَةِ وَالْثَقَى - حُوبٌ لِأَذْنَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ
إِذَا اسْتَكْنُ الْغَلْبُ الْمِلْمَ فَإِنَّهُ وَآرَاءُهُ كَأَنَّهُ يُوَضِّعُ بِالشُّكْلِ

* *

وَذُو تَذَرٍّ لِلْعَزَمِ - نَحْنُ أَنَا بِهِ - كُفُونُ الرَّدَى فِي قَفَرَةِ الْأَعْيُنِ الشُّجْلِ ^(٦)

(١) أمقوتولة الجمال ، الحرة به الداء أي يسرى أفعالها تنور وتكسر ، ولولاه : الشديدة الحزن على مدلوله ، ناشبها في شدة حزنها على محبة الهاموي في عياه السعي بالمرأة التكلية التي لا تغتر أفعالها العاترة المفرحة من الكا لفقد الحبيب .

(٢) الكشح : الحاصرة ، وطوى كسحه على كذا استمر عليه ، والمصبي : ألم المصيبة ، والتكل - بالهم - مدان لولاه والحبيب : أي لا تكي استمرار طلب أول حرة لازمها وح مغبة التكل .

(٣) تدير بهذا إلى قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فأنتبه له ولم يولاه تحدي ولا تخزي لما رآوه إليك » أي يسرى به هذه القصة واصبرى .

(٤) لعل لذلك المصاد صبح الجبل - قادرا لعنته قدوه - سوف يصل على خلاصى مد يأس .

(٥) بلى هذا اللب بب وحد في الأصل فانتصا هكذا :

..... آل جهور لمستحكم الأساب مستحمد الجبل

(٦) ذو تذر - بالهم - أي - وعدة وقوة على مداومة أعدائه إذا وجه عزيمته لعمل أسكن الردى تحم تأيه كونه تحم تنور الأعيان الجبل أي الواسعة جمع نخلاء ، واستعمل القفرة بمعنى انكسار حقون العين وصفها ليقعد بنها وجن الأثمة سامية وموافقة .

يَرِفَ عَلَى - الثَّامِيلِ - لَأَلَاءَ بَشَرِهِ كَارِفٌ لَأَلَاءَ الْحُسَامِ عَلَى الصَّغِيلِ (١)
 مَحَاسِنُ مَا لِلْحُسْنِ فِي الْبَذْرِ عِلَّةٌ سِوَى أَنَّمَا بَاتَتْ مُخِلٌ فَيَسْتَمِيلِ (٢)
 تُنِصُّ ثَنَائِي مِثْلًا غَصَّ جَاهِدًا سِوَارُ الْفَتَاةِ الرَّادِ بِالْمَعْصَمِ الْخُدَلِ (٣)
 وَتَفَى عَنِ الْمَذْحِ بِاِكْنَفَاءِ بَسْرِهِهَا - غَفَى الْمُقَلَّةِ الْكَعْلَاءُ عَنْ زِينَةِ الْكُحْلِ

* *

« أَبَا الْحَزْمِ » إِيْنِي - فِي عِتَابِكَ - مَا إِنِّ
 مَحَامٌ شَكْوَى صَبَحْتِكَ هَوَادِلًا تُنَادِيكَ مِنْ أَفْنَانِ آدَانِ الْخُدَلِ (٤)
 جَوَادُ إِذَا اسْتَنَّ الْحَيَادُ إِلَى مَدَى تَمَطَّرَ فَاسْتَوَلَى عَلَى أَمَدِ الْخَصْلِ (٥)
 ثَوَى صَافِنَا فِي مَرَبَطِ الْهُونِ يَشْتَكِي بِتَضَالِهِ مَا آلَهُ مِنْ أَذَى الشَّكْلِ (٦)

(١) يرف - بالكسر - يرق وبتلأ ، أى يلوح لألاء غيره مع التأويل كما يبدو رقيق السبب ولعمارة حين قصته وتعلوه .

(٢) مغل مصارع أمل : يقال أملاه الموت وأمله أملاه عليه ليكنه ، ومنه قوله تعالى : « وقولوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه » وقوله تعالى : « طيبات وله المثل » واستعملته الكتاب طلب أن عليه من ، أى هذه محاسن البذور الخبيثة بالدر لايب فيها - سوى أنها مات تملى على الشاعر وهو يكتب ، ويستكنها تدليه .

(٣) تنص ثنائى : أى تحمله يصح كما يصح الثابت بالماء ولا يمكنه أن يستوى هذه المحاسن كلها أو يسبقها ، وكما يصح سوارا لثاة الراد أى التي تروى بيوت حاراتها بالمعصم الخدل - بالفتح المهددة - أى للتلى ولا يتحرك

(٤) الهوادل : جمع هادلة ، والهديل : صوت الخيام ، والهدل : جمع أهمل ، وهو صفة الأديان ، يقال : تهدل أخصان الشجرة أى تدل - يندل شكوى رصعا إليه بالحمام الهوادل تناديه بهديها من أعلى - سعرة الأوب وتد تدل أمماها ، وتهدت أفغانها .

(٥) استنت الحياذ : مصب على وجهها فى الساق ، والمدى : للغاية تخطرتناه إلى الآية مسرعا ، فاستولى على الحصل : طلب على الزمان - يصح الشاعر معه بالسق على غيره .

(٦) ثوى : أقام ، والصان : من الحياذ الذى قام على ثلاثة قوائم وقلب حائر الراحة ، والشكل - بفتح صكون - شد قوائم الدابة بالشكل - يصف حاله فى محبته وما ينشأ من الشكوى بحال الهوادل القيم على الهون يشكو بتضالها ، أى شكله ، قال ابن سبأ فى الحبرة : « وقوله ثوى صامنا » كقول المتنبي :

« إن تكن محكمات الشكل تسمى طهور جري على يمين تمهال . »



أَفِي الْعَذْلِ أَنْ وَافَقْتُ تَبْرَى رَسَائِلِي فَلَمْ تَتْرَكْنِ وَضَعًا لَهَا فِي يَدَيَّ عَذْلٍ
أَعِدُّكَ لِلْجُلَى وَأَمْلُ أَنْ أُرَى بِنِعْمَتِكَ مَوْسُومًا وَمَا أَنَا بِالْفُعْلِ
وَمَا ذَاكَ وَعْدُ النَّفْسِ لِي مِنْكَ بِالْمُنَى كَأَنِّي بِهِ قَدْ شِئْتُ بَارِقَةَ الْمَحَلِّ (١)



أَنْ زَعَمَ الْوَأَشُونَ مَا لَيْسَ مَزْعَمًا تُعَذِّرُ فِي نَفْرِي وَتُعَذِّرُ فِي خَذْلِي
وَأُصْدَى إِلَى إِسْعَافِكَ السَّائِفِ الْجَنَى وَأُضْحَى إِلَى إِنْصَافِكَ السَّابِغِ الظِّلِّ (٢)
وَلَوْ أَنِّي وَاقِعْتُ عَمْدًا خَطِيئَةً لَمَا كَانَ بِذُعَامِنِ سَجَايَاكَ أَنْ تُمْلِي (٣)
فَلَمْ أَسْتَنْزِ حَرْبَ « الْفَجَّارِ » وَلَمْ أُطِغْ « سَيْلَةً » إِذْقَالَ: إِنِّي مِنَ الرُّسُلِ (٤)

(١) في معنى هذه الأبيات يقول ابن الرومي معاني :

« إذا أب أَرَدَ الصَّيْحَةَ مَرَّةً فلا تَنْصَرُ مَا الصَّيْحَةُ بِالْمَلِّ
ولا تَعْلَقُ الْحَدَى بِسَوْءِ مَا هُ يَحْشَسُ مَا أَنْ خَطَطَ الشُّكْرَ بِالْعَدْلِ
أُرْمَى مَا نَكَى سَهْلًا وَأَنْ تَرَى وما عَطَلَ الْخَادَتِ هَذَا بِالْمَلِّ
أَبَ لَمَّا قَالُوا لِلْكَارِمِ أَنْ رَى مواعِدُ مِثْلَ الْوَارِقِ فِي الْمَلِّ . »

(٢) أصدى : مصارع صدى - بالكسر - أي أعطش ، وأضحى : مصارع كل من ضحا وضحي - بالفتح والكسر - أي أبرد للشمس ، ومنه قوله تعالى : « وَأَنْتَ لَا تَهْتَفِئُ بِهَا وَلَا تَحْجَى » واستعمله هنا في البرود إلى إسماعيل السابغ الظل ، لا في البرود إلى الشمس ، وسد هذا البيت وحده في الأصل بسن بيت على هذه الصورة :

وحاشاك رام الصدف إبلاغ سمعه مصم
.....

(٣) واقمت دائيت ، وعلى تهمل ولا تتجمل المعوية ، أي لو أني دائيت سمعاً لومع في الخطئة لم يكن

من سجاياك غير المعو والامهال .

(٤) يقول : إن معوق صيرة لا يسي أن تحسم إلى حد أن أكون كثير حرب المعار أو كقطع مسيلة في دعواه الرسالة ، والمعيار : بالكسر بمعنى المعاجرة كالتال وإفانقة ، وسبب حرب المعار لأن العرب جفروا فيها إذ ماتوا في الأشهر الحرم ، وكاب لعرب قبل بمبت التي صلى الله عليه وسلم أربع مجازات آخرها حرب المعار التي ذكرت في كتب السير ، وكاب بين فريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسن أيامها وسن عفرون سنة ولم يقاتل ولكنه كان يبل على أمهاته أي يرد عليهم نبل هدوهم إذا رجم ، وأما « مسيلة » فكان من حيرة أن وسد مع قومه

وَمِثْلِي قَدْ تَغْفُو بِهِ نَشْوَةَ الصَّبَا
وَأَنِّي لَتَتَّهَانِي ثِيَابِي عَنْ أَلْسِنِي
وَمِثْلُكَ قَدْ يَغْفُو، وَمَا لَكَ مِنْ مِثْلٍ
أَسَادَ بِهَا الْوَانِي وَيَعْقِلُنِي عَقْلِي^(١)

جواب

« كتب اليه الورور الكاتب أو مكرس القصيرة
في يوم أحديه دواء .

مولاي حسي إلى مطالعة الـ

حسي عفى الدواء مطلقه

وكيف دلك الحس الدكي وقد

ماشر تلك المدافقة الشحه

وددد لو أوى حصصت عا اـ

تمشت مـ وحرب مستعه

أعنتك اذ من فطاعته

أسوع مسع في مثله صعه

اصححة نصحب الزمان فتـ

اـ وحى حديدية نصعه

فأب روح العاذه أساء الـ

له وسدل الوفاء لا صاعه

عاه به ان ريددر .

قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الذِّى صَنَعَهُ عَارِضِ كَرْبٍ بِإِطْلَافِهِ رَفْعَهُ

تَبَارَكَ اللَّهُ إِنَّ عَادَةَ حُسْنِهِ - مَعَ الشُّكْرِ - غَيْرُهُ مُتَرَعِّةٌ

بِاسْبَدْيِ الْمُسْتَجِدِّ^(١) مِنْ مَغْنَى^(٢) بِمُطْلَقِ قَائِمِ الْحِسَابِ مَعَهُ

وَإِقَافِ الْعِزِّ - زَيْنِ نَاعِلَمَةٍ - وَالْوَشْيِ لِأَرَاغِ حَادِثِ صَنَعَةٍ^(٣)

بَثَّتْ فِيهِ الْبَدِيعُ مُتَتَقِيًا كَلَرَوْضٍ إِذْ بَثَّتْ فِي الرُّبَا - بِمُطْلَقَةٍ

أَزَاحَ كَرَبَ الدَّوَاءِ مَطْلَعُهُ لَمَّا بَدَأَ طَالِعُ الشَّرُورِ مَعَهُ ^(١)
 كَمْ دَعْوَةٍ - قَدْ حَوَّاهُ - صَالِحَةٍ ، مِنْ أَمَلِي أَنْ تَكُونَ مُسْتَمَعَةً ^(٢)
 جَلَّةٌ مَا نَفْسُكَ السَّرِيَّةُ مِنْ حَا لِي إِلَى عِلْمِ كُنْهِهِ طُلَعَةٍ
 أَنْ الدَّوَاءَ التَّدَّتْ عَوَاقِبُهُ مِنْ نَفْسٍ تَبَشَّعَتْ جُرْعَةً ^(٣)
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ - لَا شَرِيكَ لَهُ - إِنْ بَدَأَ الطَّوْلُ مُنْعِمًا شَفَعَةً

حبيب

وَرَامِشَةٍ ^(٤) يَشْفِي الْعَلِيلَ نَسِيمُهَا مُضْخَعَةٌ ^(٥) الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةُ الْفَشْرِ ^(٦)
 أَشَارَ بِهَا نَحْوِي بَنَانٌ مُنْعَمٌ لِأَعْيَدَ مَكْحُولِ الْمَذَامِعِ بِالسَّخْرِ ^(٧)
 سَرَتْ نَضْرَةً مِنْ عَهْدِهَا - فِي غُصُونِهَا وَعَلَّتْ بِمِسْكِ مِنْ شِمَائِلِهِ الزُّهْرِ
 إِذَا هُوَ أَهْدَى الْيَأْسِمِينَ بِكَمِّهِ أَخَذَتْ النُّجُومُ الزُّهْرَ مِنْ رَاحَةِ الْبَذْرِ
 لَهُ خَلْقٌ عَذْبٌ وَخَلْقٌ مُحَسَّنٌ ^(٨) وَظَرَفَ كَعْرَفِ الطَّيِّبِ أَوْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ ^(٩)
 يُعْتَلُّ نَفْسِي مِنْ حَدِيثِ تَلَدُهُ كَيْتَلِ الْمُنَى وَالْوَصْلِ فِي عُقْبِ الْمَجْرِ ^(١٠)

(١) لما بدا شرّك الليل ومعه طالع السرور أسانى سمرات الدواء .

(٢) كم دعوة حواها سرك ادعو الله أن تكون مستجابة .

(٣) كانت طائفة الدواء حميدة وإن حزمت هي من شره .

(٤) في الناموس الرمش : الطائفة من الرمحاد وعووه . وفي شفاء الليل ، رامشه : قال الصولي في ورقة آس لها رأسك . قال أبو نواس :

« لها روماش يتعجب لها طلل آذاها طليهاها . »

(٥) مطرقة . (٦) طيبة : الرائحة .

(٧) رب طائفة من الزهر مطرقة الشدى طيبة الأغاس قدما إلى من أهواه .

(٨) حلقة حسنة . (٩) يعنى أن سحر عبيد يغفل في النفس ما يملئه الطيب أو الخمر .

(١٠) العقب : ضمتين ، والتعقب بهم يسكون العاقبة مثل سر وعسر . قال تمالى : « هو خير نوابا

في مدح ابن جهور

« قال بمدح ابن جهور ويذكر حوارا لم يره ، وأما
ضيقه ، وحسب إغماحه في طاعة ، وإسعاده بأمره » .

« جَنَاحِي » فِي جَوَارِكُمْ أَذْلِيلُ وَحَذَى فِي رَأْيِكُمُ الْكَالِيلُ ^(١)
نَصِيبٌ مِنْ وَلَا يَتَيْكُمْ كَثِيرُ وَحَظٌّ مِنْ عَنَانِكُمْ قَلِيلُ ^(٢)
لِخْتِلَافِ مَنْ خَالِي مَهْمَا أَجَانُ الْفِكْرِ بَيْنَهُمَا مُجِبِلُ ^(٣)
أَنْحَا أَنْفُسُ الْأَمَالِ فِيكُمْ وَلِي - أُنْشَاءَهَا - أُولُ قَسِيلُ ^(٤)
وَأَعْجَبُ حَادِثٍ تَقَارَى لَدَيْكُمْ إِنِّي غَدَلُ النِّجَاحِ وَبِغَدَلِي ^(٥)
وَقَدَحِي فِي وَدَادِكُمْ مَعْلَى وَتَعَيَّ فِي أَعْيَادِكُمْ طَوِيلُ ^(٦)
وَكُنْتُ لِي نَسَاءَ رَاحَ يَدِي إِنِّيهِ الدُّعَاءُ بِذِكْرِكُمُ الْإِلَيْنُ ^(٧)

(١) و - هذا البيت في نسخة لدون على هذه الصيغة

..... في حواركة الغزل وودى في رأيكم الكليل

والفكرة من بعد ما كان عليها السابق .

(٢) قول ابن جهور لاختلاف مداحة لبر ، مسيحين ولأشبه وصركه . وحسب لكم كثير ، وحسب
من هاتك وتفقدك ليل .

(٣) يكر عليهم أن تكون آمال الناس حية بينهم وأنه بها كافي من الأحياء .

(٤) البيت الأول الصحيح الذي يجري في أسبق الشعر . ميرزا قانع أن تصيب ، والليل : العطش
أي وأعجب ما حدث لي أن أنزل إلى ميل ما ، من حاجتك به شاعري وانتاش آمالي ، وفي طأ شديد ورجال
يحيى وبين ما يرد علي وثق علي .

(٥) البيت من فداح المير المفسره ، والقدرج : فالسكر اسم للهم ، وكان فداح المير عدده معروفة
سلامات حاده ، بصورتها في خريطة على يدي مثل يحياها ويخرج باسم كل واحد من ليامرين ندما ، فان
كان فعلا أي لا يصيب له عزم صاحبه ، وإن كان من دوات الأصماء . أحد صيغه محسه ، والذي يخرج له
المدح المعنى بعد أكبر فائر بأور نصيب لأن له سعة أصماء ، وانوا يصامرون على حزور يلمسونها
والذي يخرج لهم من الأصماء ، يوزعوه على الفقراء .

(٦) وكمن ناء وودح راح يني إليه مجدكم المتأصل عطه .

تَنَافِسُهُ الرِّيَاضُ مُنَوَّرَاتٍ تَنْفَسَ عَنْ تَوَافِحِهَا الْأَصِيلُ^(١)

«أَبَا الْحَزَمِ» الزَّمَانُ - بِأَنْ تُنْقَى[‡] إِذَا عُدَّتْ فَوَاضِلُكُمْ - بِجَحِيلُ^(٢)

عَلَوْتَ النَّجْمَ إِذْ مَلَّ الْمَسَاحِي وَخُزْتُ الْخَصْلَ إِذْ كَلَّ الرَّسِيلُ^(٣)

رَأَيْتُ النَّاسَ - مَا أَصْبَحَتْ فِيهِمْ - بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ جَمِيلُ

وَمَاءُ الْعَيْشِ يَبْنُهُمْ فَضِيضُ وَظِلُّ الْأَمْنِ قُوَّتُهُمْ ظَلِيلُ^(٤)

وَلَوْ فَقَدُوكَ - لَا فَقَدُوا - حَوَاهُمْ مَرَادُ مِنْ زَمَانِهِمْ وَيَسِيلُ^(٥)

وَسَأَى ثَقُوسُهُمْ رَسْمٌ مُحِيلُ - مِنَ الدُّنْيَا - وَعَهْدٌ مُسْتَعِيلُ^(٦)

فَخَاصِرُ دَوْلَةٍ تَقْنَى لِلْآيَالِي وَلَمْ يُنَلِّمْ بِسَاحَتِهَا مُدِيلُ^(٧)

وَلَا زَالَتْ نِبَالُ الدَّهْرِ تُعْصِي عُدَاتَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّبِيلُ

أَأَيْتُسُ مِنْ مُسَاعَفَةِ الْآيَالِي وَأَنْتَ - إِلَى نِهَائِهَا - سَبِيلُ؟

(١) الواج . جمع ماخه وأراد بها أساس الرياس التي جعلها سحاب الأصيل مدحج منها شععات طيبة ، يقول إن ذلك الشاء الطيب تنافسه الرياس وهي صورات قد تنفس الأصيل عن بواقيها أي ما هو من طيب روائحها ، ويجوز أن يكون عن بواقيها جمع ماخه الملك . (٢) ثناء يذيه حمل له ثانيا ، أي

يا أبا الحرم الزمان بجعل ما بعدك ثانيا في العسل إذا عدت فواصلكم .

(٣) حرت الخيل : أي أحرزت العلة في الرهان أو أدركت الماء في السقي ، والرسييل للماصل ، أو للساق ، وقد جاء في الأصل «المساعي» موحدا في مكافأ «اللاهي» كما يرشد إليه المعنى .

(٤) العيس : الماء الدوب الكثير التدفق ، أو ماء السحاب الثمر للفرق ، وظل طليل : أي دائم

لا ينسحق السح . (٥) مراد - بالفتح - اسم مكان من رادت الأبل ترد ، أي احتلب دهاها

ومجئها في الرمي ، والوصل الوجه الذي لا يبرأ ، والمعنى : لو فقدوك - لا نذر الله - ولم يستطلوا نطل

دولك لادواهم من زمانهم مرعى وبيل فلم ينالوا لهم عيش ولم يسه لهم مال .

(٦) الرسم ماقي من آثار الغار بعد ارتحال ساكنها ، والمحيل : المقادم العهد الذي مرت عليه أحوال ،

والمستحيل : المنعبر ، أي لو فقدوك - لا - وحووا المائة ، ولدارعهم يومهم - إذا استمرروا هذلك ولم

يقوموا بصرك - إلى دياتحتات - منها إلى بلى ، وتستسأها إلى حرم ، وتبر عهدها من سعادة وهناء

إلى محنة وشقاء . (٧) المحاصرة أحد الرجل يد صاحبه إذا ماشاه ، ومنه قوله :

ثم حاصرتها إلى ألفة الخضر راء تمضي في مرمر مسون

معناه ماشيتها إلى ألفة المحصر . تمضي على مرمر مسون ، والمديل التقلب الذي تنتقل إليه الدولة ، يدور

للدوح بقاء الدولة له من غير تحول ولا انتقال

إلى المظفر

« كتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر محمد بن

عبد الله بن محمد بن مسلم صاحب طليوس . »

لَبِيضِ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّحْمِ بِعَقْلِي - مَذْنٍ عَنِّي - لَمْ^(١)
فَنِي نَاطِرِي - عَن رَشَادٍ - نَمَى وَفِي أَذُنِي - عَن مَلَامٍ - صَمَمَ^(٢)
قَضَيْتُ بِشِمَامِي عَلَى الْعَادِلِينَ شُمُوسُ مُكَدَّلَةٌ بِالظُّلَمِ^(٣)
فَأَسْقَمَتِ لَحَطَاتُ الْعَيُوثِ نِ إِلَّا لِتَغْرِيبِي بِالْمَقَمِ^(٤)
يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أَجَنَّ وَقَدْ تَزَجَّ الشَّوْقُ دُمْنِي بِدَمِ^(٥)
وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ يَجْمُنْ يَلَامُ وَلَا كَرُمُ الْعَهْدِ عِمَّا يُذَمُّ^(٦)
وَإِنِّي أَرَاكَ إِذَا مَا الْجَنُودُ^(٧) بِ رَاحَتٍ بَرًّا جَنُوبِ الْعَلَمِ^(٨)

(١) العبارة . هم الضاء هي حق والمخ طلى مثل حماة وثقى ، واللحم : تكسر اللام جمع له . الشعر المجاور شعرة الأذن . له مدح للام . الحون .

(٢) في هذا البيت والذي تلهفون الشاعر أنه عني عن الرشد وصحبس اللام وصار في حل . ول مد بلا وصده الحسان بين الأصاق سود اللحم .

(٣) سمس الشمس شموسا وشماسا مع طهره . العرب تقول روية مكلة ، يمي عمومة . اور ، قول الشاعر : شمس مكلة . أي حلة طلى الشعر الأسود . وهذا البيت تنبأه التكلفة لوصف حاله في البعير الساعين مكانه يقول وكما عييت عن الرشد وصننت من اللامه كملك قد نعى على هذا الحال أن أشعر على العادلين . (٤) الخلى : كفى العار ، وفي التلث القرن القديم « ول قشبي من الخلى » . (٥) اضل الشاعر أمير برحمته في عرمة وفي دمعه التي صرحت بالهم فأكرم لونه بالجنة وقنع في وجههم بالرهان الذي ليس وراءه رهان ، فقال : إن بكائي وحسبي ولو حق كل أو تلك لالوم ليس ولا بأس منه في سبيل الذكرى والمخاطبة بالهدد طيس كرم العهد مما يدم ، وفي القرآن الكريم : « وأومر بالعهد إن العهد كان مسئولاً »

(٦) أراج - استريح - دغ الحبوب هي اللقطة لرج الفحل - « راح » - من الزواج ، وهو ضد التفتو قول : إني لكثرة تذكرى الأسة ولكثرة حطاطي بهودهم أستريح إذا ربح الحبوب طافت إلى برائحة أنكتهم القصب المحو .

وَأَصْبُو لِرِزْقَانِ عَزِيفِ الصَّبَا وَأَهْدِي السَّلَامَ إِلَى «ذِي سَلَم»^(١)
 وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوُ «الْبُرُو» قِ «أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ أَبْتَسَم»^(٢)
 أَمَا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ حَمِيداً - لَقَدْ جَارَ لَمَّا حَكَمَ
 قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ انْقَضَى وَمَا اتَّصَلَ الْإِنْسُ حَتَّى أَنْصَرَمَ^(٣)
 لِيَالِي نَامَتْ عَيُونُ الْوُشَا عِنَّا، وَعَيْنُ الرَّؤْيَى لَمْ تَنْتَمِ^(٤)
 وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهُوَى فَأَجْنَتْ ثَمَارَ الْمُنَى مِنْ أُمَمِ^(٥)
 وَأَبَانَنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ رِقَاقُ الْخَوَاصِي صَوَافِي الْأَدَمِ^(٦)

(١) أصبو - أبيل - ومرطاب - مربة ، والعرف هو الشدى . يقول : أبى أيضا أبيل صوة وحدا إذا هت الصبا - ربح الصبا - لأنها مطرة شدى من يحبهم ويهوهم يهدى السلام إلى ذى سلم للوصع الذى حملت منه الصبا لك الأمدى المحبوب .

(٢) أجهشت : ارتفع صوتى ناكيا ، يقول : كما أن أسترخ الحبوب إذا طادت ريا ربح الدلم وأصبو إلى شدى الصبا كذلك أنكى من طرب يماودنى إذا انبسم البرق ولمع ، وللمنى فى هذه الأبيات أنه يترجى لكل دلم من جهات تحتته لأن فى ذلك نوحا من الفكرة . ولا تطل شامرا لم ذلك لانقسام العروق ولم ينش من ريا الصبا والمحبوب .

(٣) انصرم : هو انقطع ، وللمنى أن الرمان الذى معنى حميدا حاد من العدل حين حكم وهل أقل من وسم هذا الرمان ، أمة العدل ، وهو الذى ما كاد يقضى لنا طاعة والاستمتاع حتى اضنى وسبكا ، وما كادت تنصل أولات الأس حق صرمة عا وحال يسا وبسه .

(٤) الوشاة . فى الأصل هم الذين يشون بالمر والسعاية يذهبون الأسرار ، والارادهم ها المحبوب على الإطلاق والمراد حين الرضى حالة السعادة التى يسم بها المحبوب فى ساعات الوصال ، وكأنك بالشاعر فى هذا البيت شرع يعصل الصباة التى اسحت والاس الذى انصرم ، فقال : ليالى نامت عيون الوشاة إلى آخر هذا الوصف الذى يتخلص به إلى المديح فى أى مكر .

(٥) أحنث ثمار للمنى . أى أعطت ، والأم هو القرب ، تقول : رأجت من أمم ، أى من قرب ، يقول أيضا فى تفصيل الأس الذى انصرم : ومالت علينا غصون الهوى أى وليالى طلقنا هذه المصود طيبا منها ما شئنا .

(٦) مذهبات البرود : أى موهة البرود - جمع برد - بالذهب ، وقوله « رقاق الخواصى » كناية من رقة وحضرة العيش فى تلك الأيام ورفقه ، وكذلك قوله صوايف الأدم ، والأم هو الحلد . قال للتنى :
 « دأبنا قدم شيعت إلى الملا أدم الحلال لأحميك حننا . »

كَانَ أَبَا بَكْرٍ، الْأَسْلَمِيُّ أَجْرَى عَلَيْهِمَا فِرْنَدَ الْكَرَمِ (١)
وَوَشَّعَ زَهْرَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرٍ تِلْكَ الشَّيْءِ (٢)
هُوَ الْحَاجِبُ الْمُغْتَلِي لِلْمَلَأِ شَمَائِلُ كَرٍّ مُنِيفٍ أَشْمِ (٣)
مَلِكٌ إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُمْ (٤)
فَأَطْلُوهُمْ - بِالْأَنَادِي - يَدَا، وَأَنْبِئُهُمْ - فِي الْمَالِي - قَدَمَ (٥)
وَأَرْوَعَ لَا نَمَتْنِي رِفْدِهِ ^{بِقَدَمِهِ} يَنْجِبُ وَلَا جَارُهُ يَهْتَضِمُ (٦)

(١) كان أبا بكر الأسلمي أجرى حوده وديباجة كرمه على تلك الليل والألم التي طاعت عنها
هيون لوساة وطلد عصبون أهوى بها ، وهذا مما يجعل الشعراء كثيرا يخلصون من الألم والى اللدح
وهو ما يسبه علماء اللدح ، حسن الخالص .

(٢) وكان أبا بكر مما أحرر من شوائب بين كرها وهو اللدح - روح - ثم نفا وشهاه من
طيرة وحب .

(٣) شَمَائِلُ : جمع شَرَحَ أو مَرَّحَ - أعال الحجاب - كل - بيت - أي : كل ما لم يرفع . هو : بين
أبا بكر هذا لا يثبت في الملا - مدح - هو في سبيلها قد تيسر فراكش ميب ، وعلا هو في طاء .

(٤) حوى الخصل - أحرر القوي المعلوم الذي زاهدوا عليه في المال - أي : يسي أحرر نفسه من المال ،
وسأهمه : أي قارعه الملوك ، وأما منهم أي عطشه ، والمعنى أن هذا الملك ساهم الملوك في الحد
فأحرر دونه من السق ، وعره في مصار الملوك فرفعهم وعظمهم .

(٥) بالأنادي : صم ، وهذا - يريد - ، وهذا البيت توصيح أو تأكيد له - أو هو بيان العرات
التي بها يعل هذا الملك أقرار ملوك بن ثناء وسفهم .

(٦) الأروع : من يمدح نفسه وجماله - مله أو مثله - بلزق ، ولزق الأروع : أنه الرجل
الكرم الخي الأس المكي الخليل لدى بروك - سنة ، ومذكور رأيه ، والمعنى كمال كل من جاء
يطلب رعداً وعطاء وملا ، قال الأعشى

« تطوب الصماء بأوايه طواف الصناري بين لوثي »

وقال سلم بن الوليد .

« ترى الساة عكواً حول حجره يرحون أروع ربح الماع سلما . »

وقال أبو تمام :

« كم أسطب راحته من شرب سلاطة للمعيني من طله . »

والرعد : السقاء - وقوله لا مدنى - في الناموس اعتدت الابل ليس واستمع أحدثه بلانها هو التراب
مصنوعة له ، والرعد هو العطاء ولا حاره يهضم هم الحار وتهبهم مع طله يقول إن هذا الملك استمع له
حسن الخلق هو يصب الطار إليه بحسه وجماله - كما استمع له حسن الخلق ، لأنه لا يجب طاب رده
ولا يظلم جاره .

ذَلُولُ الدَّمَانَةِ صَعْبُ الْإِبَاءِ تَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا اعْتَزَمَ^(١)
 سَمَا الْمَجْرَةَ فِي أَقْفِهَا فَجَرَّ عَلَيْهَا ذُيُولَ الْهِمَمِ^(٢)
 وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدِّيمِ^(٣)
 نَهَيْكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْمَجَاجِ سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَذَرْتِمِ^(٤)

(١) الدمانه سهولة الخلق - وقوله تقيف العزم - تقف إذا صار - إذا حصبها طفا، وتقيف إذا عطمت
 به هذه السمات ، والعزم ، والزعزعة والعزم واحد ، يعنى أن المدحوخ مع ما تقدم من صفات رحوله وسمو
 درسته وطوله . ليس تمكبر ولا متمحرف ، وإنما هو سهل الخلق دمت الطبع ولكن في إياه ، كما
 أنه كثير الحدق والهدنة متقف العزم إذا ما اعتمت الأمور أو طلب القنائس والرباط .

(٢) المحرة : لأحدى كواكب السماء هذا للمدحوخ قد سما للمحرة أى علا إليها وراد عليها سائر الهمم
 اتق فصلها وقوله في الأبيات السابقة لامتد وعده يجمع ولا حازه يهضم وأنه إذا سبق الملوك عالمهم ، وأنه
 أطولهم يدا ، وأنتمهم دما ، وليس المحرة من الماسر في الناس ما يعادل ما أثرهم هذا المدحوخ .

(٣) ناصت مساعيه زهر النجوم : أى أن مساعيه اتمعت حتى ساوت النجوم الزاهية كالنجم والنثرة
 والأكليل ، وقوله وطف الديم ، وطف : جمع وطعم ، وحى السحابة للمستترجة من الطير ، والديم : جمع
 ديم ، وحى منظر يدوم في سكون بلا رعد ، يقول : إن عطاياه تبارى السحب المطرقة الغائمة بلا حلبة ولا
 صوصاء . فكأن هذا الب رهان لسانه ، وكأنه يقول : لم لا تنصل على المحرة من هذه صفات مساعيه
 وسحب ممراته وعطاياه .

(٤) الهيك : الشغل القوي للمناج في الشجاعة لأنه ينهك عدوه فيبلغ منه ما يريد ، حتى ليل المجاج :
 كل ما ستر منك بعد حين منك ، والمجاج : السار للثار واحذته عماءه ، وحج الليل - بكسر الهميم ويضم -
 الطائفة من الليل ، ويترتم : هو القمر إذا أبدى في ليله تمامه أربع عشرة ، يقول : حسبك من هذا المدحوخ
 أنه إذا من ليل الحرب سرى معه وحه مفرق أو سيف لامع يشه البدر في ليله التمام يكشف ظلام هذا
 المجاج ، وبين من حمة النصر والقور ، فهو بعد أن فرغ من إثبات كرم ممدوحه ، وحس حلفه بما
 يملو به على مكانة الحوم وزهو بقدره فوق هام الكواكب شرع يثبت له أنه فارس خيل ، وكاشف
 ما ، أنه لا ينطه مدكلا ثارت عاحة لطماء ، انطمت الحرب المدهاء .

فَشَامَ السُّيُوفَ بِهَامِ الْكُمَاةِ وَرَوَى الْقَنَا فِي نُحُورِ الْبَهَمِ^(١)
 جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْمُفَاةِ وَثِمْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ^(٢)
 يَبْجُ النَّزَالُ بِدِ وَالسُّوَا لِيَشَاهُ صُورًا وَبَحْرًا خَضَمِ^(٣)
 شَهْدَانَا، لَاؤَيِّ فَصَلِ الْخُطَابِ وَخُصَّ بِفَضْلِ الْهُنَى وَالْحِكَمِ^(٤)
 وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ^(٥)

(١) شام السيف : معناه أحمدها أو سلها هو من الاعداد ، ولكن حينها أن يكون معناه أحمدها في هام الكساء ، يقال شام الشيء في الشيء - أحده فيه أي حمل من رؤوس الكساء أعمادا للسيف - هام : جمع هامة ، وهي الرأس ، والكساء : جمع كسي ، وهو القارس المدحج في السلاح والقمح : جمع قناه ، وهي الرمح ، والهم : جمع همة هم الله وسكون الهاء الشجاعة الذي لا يهتدي من أين يؤتى - أو هو الحيش ، فهو يقول : لإدخال ليل المعارك وسرى من ذلك المدحج في تلك الحاجة - مدرتم - هناك رأيت كيف سمى السيف في رؤوس القوس المدحج في السلاح ، ورأيت كيف تلقى الرماح من دم محوري الشجاعة الذين لا تعرف ما يتيم في الحروب .

(٢) يقول : أن مدحجه جواد وإن في ذراره مطافا ومعناه المعانة من صلاب الرمد والمطاف وإن يده التي كأنها لكثرة ما تقل من شفاء الرقود أصبحت كالبحر الأسود المستلم الذي يقبله حجاج بيت الله الحرام .

(٣) الخضم : السيد المحول للمطاف قال في القاموس : هو حاس بالرحل ومن معاهيه البحر أيضا - النزال : بالكسر أن يهرل الرماح المعاران عن إلهما إلى حيلهما فيساروا ، ويقال : رال : كقطام ، أي ارل - الواحد والجمع والمؤنث ، والبيت من أساء الأسد ، والهمور - كالمهصر - والهمير - أمما للأسد أيضا ، وقوله « ومحررا هم » ، وكذلك قوله في يد سقى في حدة التقصيدة معها : « أطولهم بالأيدي يدا وأنهم في اللال قدم »

أجرى به المنصوب اللون في الوقت مجرى المروع والمجروح ، موقت عليه السكون ولم يتف عليه بالألف . وذكر النحاة أن اللمة الناشئة من لسان العرب قلب التوين ألما في المنصوب اللون عند الوقت نحو رأيت زيدا ، ومحررا حصا ، وريمة يجيزون إحصاءه في لوقت مجرى المروع والمجروح ، فإن الشاعر :

« أحسدا هم وحسن حديثها بعد ترك إلى بها هانئا دم »

« وابن ريدون » على نحو قوله ما كان يسمى له أن يطرأ إلى استعمال هذه اللمة القليلة في شعره . ومعنى البيت أن دعوة الحرب تهب من هذا المدحج لك همورا كما أن سؤل رمدته وعطائه يهب مع سيدا حولها لما يكلف مطافا لما يقال كالحر .

(٤) في هذا البيت الحاس بين صل الخطاب وفضل الهوى ، ومعنى البيت أن المدحج حكيم لا في حيا وبكم ودرب اللسان والناطق ولكن لا في طيش وحمية ، وهذا فلما يتاح إلالم هيأهم الله لصره الحق والذم من حوزة الدين ، وحدير بمن يؤتى صل الخطاب وفضل الهوى أن يشهد له رمة ويترف له بالظامة . والرياسة والفصل . (٥) تؤكد ما قلناه في البيت السابق ، فيقول : هل ترك للمدحج أو فات شيئا من المكرمات يمكن السيف والقلم لمرآته من غير أن يحرزها ؟

* *

وَمُسْتَعْمِدٍ بِكَرِيمِ الْقَعَا لِـ عَفْوٍ إِذَا مَا أَلَّيْمٌ أُسْتَدَمَ^(١)
شَمَائِلُ تُهَجَّرُ عَنْهَا الشَّمُولُ وَتُجْنَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ^(٢)
عَلَى الرُّوضِ مِنْهَا رُؤَا رُوقُ وَفِي الْمِسْكِ طِيبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ^(٣)

* *

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الصَّلَالِ وَلَا مَ شَعْبَ الْهُدَى فَالْتَأَمَ^(٤)
وَلَاذٍ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعَصِمًا بِذِمَّتِهِ أَبْلَجَ وَافِي الْقَدَمِ^(٥)
وَجَاهِدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجِهَامِ دِمْنَانٍ مِنْ دُونِهِ - بِالصَّمِ^(٦)

(١) مستعمد : أى مسوب إلى الحمد ، ويقال فعل الشيء هوأ أى من غير عمل ولا طلب ، واستنم : فعل ما يدم عليه ، واللى فى هذا البيت أنه من طليته الاستحمام - عموأ - لأنه كريم العمل الذى من شأنها أن تعود على صاحبها بالحمد ، وذلك فى الوقت الذى يصدر فيه أوم الأؤماء عموأ أهماأ . يقول إن ممدوحه فى الوقت الذى يدعو فيه أوم الأؤماء رغم أؤدهم وريثهم يظفر كرمه المطرى ومبولة الحية التى ترجمه أيسا على إحراق المحامد .

(٢) الشمول : من أسماه الحر - معنى : تهر ، واللى أن شمائل ممدوحه تمى عن الحر والماء الشى لأنها يدعى بها تطرب ويحدث عنها فسكر .

(٣) الرواء الحسن - الأريج : الرائحة الطيبة ، يقول : إن هذه الشمائل تلى فى رواء الحسن الذى يروق الباطر فى الروس ، وكذلك تلى فيما يلقه العاطس فى الأريج الطيب للشوم من المك .

(٤) علَّ عرب الصلال : أى تلم حده الذى يشبه حدَّ السيف فى اللصاء ، وقوله - ولادم شعب الهدى فالتأم ممناه أصاح شعب الهدى فاصاح ، واللى أن أناه وأب صدع الهدى وروق حزب الصلال وحصد شوكرته .

(٥) الأبلج : هوكل واسع ، ويقال : أبلج الصبح وصح يقول بانى الممدوح احتفى الدين منه واعتصم بواصح المكانة والى القم .

(٦) يقول : وإن أباهذا الممدوح أبلى البلاد الحسن فى الجهاد لله وفى مجاهدة من دان من دون الله بالصم ، يعنى أنه طاش لله وليا لأوليائه عدوآ لدودا لأعدائه

فَلَا سَائِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ وَلَا شَامِخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ^(١)
تَقَبَّلَ فِي الْمِرْ - مِنْ - حَمِيرٍ - مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأَمَمِ^(٢)
هُمْ نَعَشُوا الْمَلِكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ
نُجُومُ هَدَى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ - وَأَسْدٌ وَغَى وَالْمَوَالِي أَجَمٌ^(٣)

* *

« أَنَا بَكْرٍ » اسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ وَلَا زِلْتَ مِنْ رَبِّهَا فِي حَرَمٍ^(٤)
أَنَادِيكَ - عَنْ مِقَةٍ - عَهْدَهَا كَمَا وَشَتِ الرُّوضُ أَيْدِي الرَّهْمِ^(٥)
وَإِنْ يَعُدُّنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى فَذُنِّي أَخْسَ وَنَفْسِي ظَلَمٌ^(٦)

(١) رعم : زعم . يول . به لم يترك من أعدائه ، سائى الطرف لا أدله ، ولا أقم الألف إلا أرغمه ، ويقال رعم أمة يعنى أرغمه .

(٢) تقبل أناه أشبهه - مقال ومقاوله وأقوال جمع مقول كمر أو جمع تيل - ذلك من ملوك حير - أوهو مادون الملك الأعلى ، وسى . يلا لأنه يقول ملشاه بعيد ، وجيشه قصى الدت أنه في عزه ومجده ومناحته أشبه أ... وأحاده من ملوك وأبيال حير الذين سادوا وعادوا جمع الأمم

(٣) بروج السماء معروفه - الوعى : عاز الحرب أو الحرب - الموالى صدور : الرياح - والأ... صومستين والتحرك جمع أحدهم مركب الشجر الكثير اللتب ، والملى أن المقاوله الاقبا آاء هذا المدوح كانوا في المعالي يشبهون السحوم في روحها في السماء كما كانوا في الحروب يشبهون الأسد تطاهم رماح كأنها أمة الأسد .

(٤) يدعو له أن يدل في مأمن من أحداث الدهر ومخائنه ، وأن يظل في موضع لا تهتك الحادثات ولا تصل إليه ريها .

(٥) اللقة : الهمة ، والرعم : كعب جمع رعمه تكبر الزاء وسكون الهاء وهي المطر الصبيب المائم ويقال روضة مرهومة ، يقول الشاعر : أناديك نداء صادراً عن مقة ومحنة عهدها في الحدة والشاب كما نقشت أيدى السحاب المطر ، أديم الروض الناضر ، بألوان الربيع الزهر .

(٦) عدها من الأضر صرفه وشمله ، ويمدنى عك : يصرى ويشلى عك ، والشحط : البعد ، والنوى الاقتراب . يقول : إذا كان الاقتراب يشلى ويصرى عك فانه لم يرحم إلا حظى ولم يظلم إلا نفس ضرر هذا البعد واقع في وحدى وليس يقع منه نى . عليك

وَإِنِّي لِأَصْنِيكَ مَخْضَ الْهَوَىٰ وَأُخْفِي لِيُمْدِكَ بَرْحَ الْأَلَمِ ^(١)
وَعَزِيْزَكَ أَخْفَرَ عَهْدَ التَّمَامِ إِذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَمَ ^(٢)

وَمُسْتَشْفِعِي بَنِي بَشَرَتِهِ - عَلَى تَقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْأَتَمِ ^(٣)
وَقَدَمًا أَقْلَتِ الْمَسِيءَ الْفِئَارَ وَأَحْسَنْتَ بِالصَّفْحِ مِمَّا اجْتَرَمَ ^(٤)
وَعِنْدِي لِشُكْرِكَ - نَظْمُ الْمُقْوَدِ تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي التَّوَمُ ^(٥)
تُجِدُّ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ إِذَا لَبِسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ ^(٦)
فَمِنْ مَعْصَمٍ يَفْقَاحُ السُّعُودِ وَدُمُ نَاصِحًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ ^(٧)
وَلَا يَزَلُ الدَّهْرُ أَيْامُهُ لَكُمْ حَشَمٌ وَالْيَالِي خَدَمُ ^(٨)

(١) محس الهوى : حاله - والبرح : الشدة يدغم بهذا الهمزة معى ساقطه فنقول إلى لأصفيك وأصحنك الهوى حالاً لاشائته فيه وإني في بسبك لأسمر في معى بالألم للبرح والقوعة للرة ولكي أحس ذلك في حايا الصلوع وفي موح الأسرار من الغلوب .

(٢) أحمر به : نفس عهده وعمره - التمام : الحرمة ويجمع على أمدة ويقال - أذم له عليه أي أخذ له دمة أي حرمة أو احارة . يقول : إن عيرك يأأنا نكر هو الذي يحمر عهد التمام ويصبه ويمد به إذا حل حسن طلى وطيب قلبه له حرمة عدى أو أدمأى عليه فمة .

(٣) يقول : ما صبرت المستمع في لديك بالصحح إلا تم لمسطله وتيل له تقى بهحاك قد انصمت بالذى لا ترد شعاعه عد أنى نكر ولا يحجب له رجاء لده .

(٤) قدما أى مديما وأقلت فلانا من كذا يعنى أصبته منه واحترم أى أتى القنب أو الحرمة والصفح هو العفو يقول وإنما مرهك تقيل العائر من عثرته وتعو عن الباي في حريته .

(٥) التناسق هو التثام حان المقود ولآلها والآلى التوم أى للتشاك وتسمى الأؤلؤة التوامية وتوأم السموم والأؤلؤ ما تشاك منها بعد التناش في تشويق للمدوح لاختنا مدامه وهرمه القى يشبه المقود المنزوعة للتناقة موأم الآلى .

(٦) أحد الثوب صيره جديدا يعنى أن سلم هذه المقود للشفقة بمعد ويميد اراد الشباب من العمر بها جديدة في الوقت الذى يلبس فيه الرمن ثوب الهرم ، أو أن غر المدوح نفسه هو القى يظل بذك للمدائح جديدا .

(٧) يعاق : كسحاب التل والمقصود به ها المرصع يدهو للمدوح أن يبيض معصما بمرتمات السمود وإن يدوم مطلقا بالعم الطلية لواردة .

(٨) حشم الرجل وحشته الذين يسبون له من أهله وعبيده وجيرانه ، والحشم الواحد والجمع والحشم جمع حادم . يقول : لا زال النهر خادما لك

في نكبة بنى ذكوان

«والعد نكبة بنى ذكوان وابن حذام
في سنة ٤٤٠ هـ أربعين وأربع مائة.»

هَلِ النَّدَا - الَّذِي أَعْلَنْتُ مُسْتَمِعُ
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حَظِّ يُسَوِّفُ بِي
تَأْتِي الشُّكُونُ إِلَى تَمْلِيلِ دَهْرِي لِي
لَيْسَ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا ذَلِيلَ حِجَا
تَأْتِي الرِّزَايَا نِظَامًا مِنْ حَوَادِثِهَا
أَهْلُ النَّبَاةِ أُنْثَى لِدَهْرِهِمْ

أَمْ فِي الْمِثَالِ الَّتِي قَدَّمْتُ مُتَّعُ^(١)
كَالْيَأْسِ مِنْ نَيْلِهِ أَنْ يَحْذِبَ الطَّمَعُ^(٢)
نَفْسُ - إِذَا خُودِعَتْ - لَمْ تُرْضِهَا الْخُدْعُ^(٣)
فَإِنَّهَا ذُولُ أَيْامِهَا مَتَّعُ^(٤)
إِذِ الْفَوَائِدُ فِي أَثْنَائِهَا لُمُ^(٥)
بِقَصْرِهِمْ دُونَ قَابَاتِ الْمُنَى وَلَمُ^(٦)

(١) يقول : هل وصل إلى سمعكم ذلك النداء الذي أطلب فيه شكواي ، أم هل دما قدمت من مثالي
القصائد والرسائل غدا ومع ، وهو بهذا الاستعظام يكر أن تكون شكواه قد سمعت ، وأن تكون
قصائده قد سمعت .

(٢) الطمع : منه اليأس ، وللمنى : إني لأعجب من حظ امتدّ في في مله لمورب المدح ومطله ، حتى
لقد أصبح شديداً لليأس . به طمع يحديني إليه يريد أن الطمع به أخو اليأس منه .

(٣) يقول : إن دهرى يطلى بليل تلك الأمانى العبيدة ، ولكن متى لا تسكن إلى هذا التلبلل لأنها
لا تتخذ إذا حودعت .

(٤) الحما : العقل والعطش ، معناه أن الركون إلى الدنيا ليس به دليل على ذكاء ولطنة من يركن إليها
لأنها دالة معقولة ، وللمتعة بها مرور معقول .

(٥) يقول : إن الرزايا في هذه الدنيا تأتي على سق متتابع من الحوادث التي يحفل سوادها بصيغ من
لم الحوادث .

(٦) القصر : الحبس واللمع ، والولع : مصير ولع فلان بكذا إذا تج فيه وحرص عليه ، يعني أن الدهر
مولع بالملولة بين أنابه للعريف وبين بلوع أمانيه .



لَوْلَا بَنُو «جَهْوَرٍ» مَا أَشْرَقَتْ هَمِي
كَمِثْلِ بَيْضِ اللَّيْلِ دُونَهَا الدَّرْعُ^(١)
هُمْ الْمُلُوكُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَهُمْ
غَيْدُ السَّوَالِفِ فِي أَجْيَادِهَا تَلَعُ^(٢)
مِنْ الْوَرَى إِنْ يَفُوقُوهُمْ فَلَا تَعَجِبُ
لِذَلِكَ الشَّهْرُ مِنْ أَيَّامِهِ الْجُمُعُ^(٣)
قَوْمٌ مَتَى تَحْتَفِلُ فِي وَصْفِ سَوَدَدِهِمْ
لَا يَأْخُذُ الْوَصْفُ إِلَّا بَعْضَ مَا يَدْعُ^(٤)
بَجَهَمِ الدَّهْرِ فَأَنْصَأَتْ لَهُمْ غُرُرُ
مَاءِ الطَّلَاقَةِ فِي أَمْرَارِهَا دَفْعُ^(٥)
بَاهَتْ وَجُوهُهُمُ الْأَعْرَاضَ مِنْ كَرَمِ
فَكُلَّمَا رَاقَ تَرَأَى طَابَ مُسْتَمِعُ
مَرَوْ تَرَاخُمُ فِي وَصْفِ الْمَدِيحِ لَهُ
عَاصِمِ الشَّعْرِ حَتَّى يَنْتَهَا قُرْعُ^(٦)

(١) الدرع : اللبالي التي اسودت أو اثلثها وبيض سائرها ، واللبالي البيض هي التي يطلع منها القمر من أولها إلى آخرها ، أي لولا الجواهر ما أشرقت همي لإشراق كاشراق اللبالي البيض دونها في البياض الدرع أي اللبالي التي أطلت أو اثلثها .

(٢) عيد جمع أعيد : أي مائل ، والسوالم : جمع سائلة ، وهي صفحة الصق مما يلي الأدن ، والطلع : طول الصق واستداده ، يقول : سو حهور هم ملوك الأرض لا يدايمهم في النزلة أولئك الملوك الذي أملوا سواهم ، وهدوا أصنافهم حياء وكبرا .

(٣) أي هم من الوري وليس عجباً أن يفوقهم ، كما أن الجمع من أيام الدهر ولكنها تفوق سائرهم .

(٤) تحصل : نال يريد أنك معها تبالغ في وصف سوادهم فلا يمكنك أن تثبت من صفاتهم في السيادة والمجد إلا حياء صغيراً مما تدعه لكثرة ، وعجزك عن الإحاطة به .

(٥) تعجم : عجم وتكررت أيامه ، وأنصأت : اشتهرت ، والأمرار : جمع سر ، وجمع أيضا على أسارير ، وهي خطوط في العرة والجفن ، والذخ : جمع دفعة ، وهي العفصة من اللطخ ونحوه ، واللي حبس وجه الزمان واسودت جوانب البيض واشتهرت لهم في أثناء تعجمهم فرب يسبح في قصونها ماء الطلانة والبهيم مفرقا متسللا .

(٦) جمع قرعة ، وهي السهمة ، أي حتى يساهم ويقرع بين عيد الأشعار أيها أدق وأحسن وأجدر بسمى الجواهر



« أَبُو الْوَلِيدِ » قَدْ اسْتَوْفَى مَنَاقِبَهُمْ فَلِلْمَنَاقِبِ مِنْهَا فِيهِ مُجْتَمِعٌ ^(١)
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي سَنَّ الْكَرَامَ لَهُ زُهرُ الْمَسَاعِي فَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعُ
مِنْ عِزِّهِ أَوْ هَمَّتْهُ فِي تَعَاقِبِهَا أَنْ لِلْكَارِمِ إِصْصَاءُ بِهَا شِرْعٌ ^(٢)
مُهَذَّبٌ أَخْلَصَ لِنَهْ أَوْلِيَّتِهِ كَالسَّيْفِ بَالِغٌ فِي إِخْلَاصِهِ الصَّنْعُ ^(٣)

(١) يعنى أن (أبا الوليد) استوفى مآثر الملوك حتى احتشم فيه ما تروى في غيره منها وعصر التاريخ للإشارة إلى قولهم في القتل السائر «هو خير من تماريق العصا» يريد أن مآثره كالعصا حمت كثيرا من الناس ، وأن مآثر غيره من الملوك كتماريق العصا احتصت كل واحدة منها سائدة ومعدا ، وجاء في كتاب العصا من البيان والتبيين للحافظ ماسحة : « ومن حل القول في العصا » وما يجوز فيها من اللامع والمراني ، تصير شعر «هبة» الأهرابية في شأنها ، وذلك أنها كان لها من شديد اللرامة كثير التلص إلى الناس مع صب أمر ، ودقة عظم ، نوابه مرة دقي من الأهراب ، قطع التي أمه وأحدث «هبة» دية أمه ، غشت خلفا بعد قمر مدقم ، ثم واثب آخر قطع أذنه فأحدث الله واددت دية أذنه في الليل وحس الحال ، ثم واثب بعد ذلك آخر قطع شفته ، فلما رأت ما قد صار بعدها من الابل والناس واللماح والكسب شوارح أسبا ، حس رأيا فيه قد كثرته في أرجورة لها تقول فيها :

« أحلف بالمرور يوما والعصا إلك خير من تماريق العصا »

مثل ابن الاعرابي ، ما تماريق العصا قال : العصا تقطع ساحورا وتقطع عصا الساحور تصير أوتادا ، ويحرق الوتد تصير كل قطعة شطاطا ، فإن كان رأس الشطاط كالطسكة صار للحق مہارا ، وهو المود الذي يدخل في أمم الحق ، وإذا فرق للمهار جاءت منه التوادى ، والسواخير تكون للكلاب والأسراء من الناس - وقال إلى علي الله عليه وسلم ، « يؤتى الناس من هاهنا يقادون إلى حطوطهم بالسواخير » - وإذا كانت فتاة مكل شقة منها فوس يندق ، فإن فرق الشقة صارت سهاما ، فإن فرق السهام صارت خطاء ، وفي سهام صغار ، والواحدة خطوة وسروه ، فإن فرق الخطاء صارت ممالز ، فإن فرق المنزل شب به الشهاب أفداحه الصدوة للثقوفة على أنه لا يجد لها أصلح منها . وقال الشاعر :

« نوافد أطراف الفناء قد شككته كشكك ما تشعب الأمان النفا »

فاذا كانت العصا مهيجة سالمة فيها من اللامع الكرام ، وللرائق الأوساط والعصار ، مالا يحصى أحد ، فاذا فرق فيها مثل الذي ذكرنا وأكثر إلى آخر ما أورده الحافظ في هذا الباب .

(٢) جمع ذرة بكر أوله أى شرائع وتنازع يجرى فيها على سنة الملوك من آثامه . يريد أن آثامه من الملوك لتعاقبهم على سن المكارم فيمن يظلمهم من أبنتهم أو هموه لكثرة ما أوصوا بها أنها شرائع منزلة .

(٣) المانق في صحتها .

إِنَّ السُّيُوفَ إِذَا مَا طَابَ جَوْهَرُهَا فِي أَوَّلِ الطَّبَعِ لَمْ يَمْلُقْ بِهَا طَبَعُ^(١)
 جَذْلَانُ يَسْتَضْحِكُ الْأَيَّامَ عَنْ شِيمٍ كَالرَّوْضِ تَضَعُكَ مِنْهُ فِي الرُّبَا قِطْعُ
 كَالْبَارِدِ الْمَذْبِ لَذَّةٌ مِنْ مَوَارِدِهِ - لِشَارِبٍ غِيبَ تَزِيحِ الصَّدَى - جُرْعُ^(٢)

* *

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي تَأْمِيْلُهُ وَزَرِي إِنَّ ضَاقَ مُضْطَرَبٌ أَوْ هَالٌ مُطْلَعُ^(٣)
 أَصْبَحَ لِهَمْسِ عَتَابٍ تَحْتَهُ مَقَّةُ وَكَلَّفَ النَّفْسَ مِنْهَا فَوْقَ مَا تَسْعُ^(٤)
 مَا لِلْعَتَابِ - الَّذِي أَحْصَفَتْ عُقْدَتُهُ - قَدْ خَامَرَ الْقَلْبَ مِنْ تَضْيِيعِهِ جَزْعُ^(٥)
 لِي فِي الْمَوَالَةِ أَنْبَاءُ يَسْرُهُمْ أَنِّي لَهُمُ فِي الَّذِي يُجْزَى بِهِ تَبْعُ^(٦)
 أَلَسْتُ أَهْلَ اخْتِصَاصٍ مِنْكَ يُلَيْسُنِي جَمَالَ سِيَّاهُ ؟ أَمْ مَا فِي مُطْلَعِمْ ؟^(٧)

(١) الطبع : الصدأ ، يقول : إن السيوف في مبدأ طبيعتها إذا طاب جوهرها لم يعلق بها شئ الصدأ ،
 يعني أن المددوح طابت أوليته تخلص جوهره ولم يشبهه عيب .

(٢) فيه تشبيه المددوح بمرور الماء البارد المذهب له لشاربه منه جرعة أطفأت عنه مبدعه بعد طمأ
 معرج شديدا .

(٣) وري : ملحق ومتحصى ، واضطرب اسم مكان من الضرب وهو السير في الأرض ، وطلع :
 مكان الاطلاع من معرف حال ، أو مكان الضمور من أسبل إلى أعلى ، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه
 قال بعد موته ، « لو أن لي ما في الأرض جبالا لتدبته به من حول المظلم » وهو بالشديد مكان الاطلاع
 أراد به ما يعرف عليه من أسر الآخرة ويطلع عليه عيب الموت .

(٤) أقل رقيق حباب كالخمس في الأدن ، طوى على مقعة وعجة وكلف مسك من تحقيق أميني
 فوق طائها .

(٥) أحصيت : أحكمت ، والمقعدة : المراد بها هنا الرأي والتقدير ، واللمى : قد كان من القتل وحصانة
 الرأي أن أمدد إلى التوبة وهذا ثابت مما نسب إلى ، فما لتوقى مد صعب ولم تقبل مما جعل قلبي بمخالطة
 الخوف وعدم الصبر ، وبما زجه اليأس والحزن .

(٦) يقول : أنا أول الناس في الولاء لكم وغيري تبع ، وأنتم في الموالاة يسره أن أكون في
 الخواء تما وتاليا لهم ، وهم دائما يسعون لاستباط منزلي وإحاطة سمائي .

(٧) يقول : أنتكر اختصاصي منك بما يحلني متعليا بحال هذا الاختصاص ، فلا أقدم على من هم تبع
 لي في الولاء والاختصاص ؟ أم هل تنكر أن قل غيري أهل لرب الصنيعة وإسداء الخجل ؟

لَمْ أَوْتِ فِي الْحَالِ مِنْ سَمِي لَدَيْكَ وَتَى بَلْ بِالْجُدُودِ تَطِيرُ الْحَالُ أَوْ تَقَعُ ^(١)
لَا نَسْتَجِزْ وَضَعْ قَدْرِي بَعْدَ رَفْعِكَ فَالْقَهُ لَا يَرْفَعُ الْقَدْرَ الَّذِي تَضَعُ
تَقَدَّمْتَ لَكَ تُعْنَى رَادَّهَا أَمَلِي فِي جَانِبٍ هُوَ لِلْإِنْسَانِ مُتَجَبُّ ^(٢)
مَا زَالَ يُؤْنِقُ شُكْرِي فِي مَوَاقِعِهَا كَالْمُزْنِ تُؤْنِقُ فِي آثَارِهِ الثَّرْعُ ^(٣)
شُكْرُ يَرْوِقُ وَيَرْضَى طِيبُ طُمْنَةٍ فِي طَيْهِ نَفَحَاتٌ يَنْتَهَا خِلْعُ ^(٤)
طَنِّ الْعِدَا - إِذْ أَعْبَتْ - أَتَاهَا تَقَطَعَتْ ، هَيْهَاتَ لَيْسَ لِمَدِّ الْبَحْرِ مُنْقَطَعُ ^(٥)
لَا بَأْسَ بِالْأَمْرِ - إِنْ سَاءَتْ مَبَادِئُهُ نَفْسَ الشَّقِيقِ - إِذَا مَا سَرَتْ الرَّجْعُ

* *

إِنْ أَلَى كُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَفْضَا حِمِيمٍ - مِثْلَ الشَّجِيِّ فِي لَهَا هُمْ لَيْسَ يُنْتَرَعُ ^(٦)

(١) وتى : أى مرة وتوانى والسى ، والجودود : جمع حد النفع وهو الخط والعت والمعى : لم أوت ولم يذهب سمي عندك توت ولا تقصيرى للطلاة والسى ، ولكن الذى مدنى من دوك أميى عندك إما هو خطى الذى به يملو الحال ويرتفع ، كما يطير الطائر أو يقع .

(٢) رادها : أى تقضى أمل أرسله فى طلب النعمة ، وإرتياد النعمة ، صاوب حابا مرعا ، ومراداً لعمالك ومتعماً .

(٣) الثرع : جمع ترعة ، وهى الروسة على المكان المرتفع من الأرض ، يقول : ما زال روس شكرى موقفاً مصحاً من سماء لعمالك ، كالزنى أى السحاب يسعدك على أثر نزول المطر منه الرياض والرى قد أثرت مألوان الرهر ، وأيست مأنواع الثر .

(٤) طيب طمنته : أى مكسه الطيب الحلال ، والخلع : جمع حلة بالكسر ، وهى ما تخمله من الثياب وتطرعه على آخر ، أى شكر يروق السامع حبه . ويرضى الناكر ما يشره من طيات المكاس ، فى طيه مثل صفات الروس بينها وفى أثنائها تطلع عليها خلع ثمينة ، وحلل فاحرة .

(٥) طن العدا أن هذه العطايا والعائس مد أعنت وتأخرت أليما أنها اغطمت عنى ، هيهات أن ينقطع عطاء يشبه البحر الذى ليس لعمه انقطاع .

(٦) يقول فى هذا البيت واقى صده : -

أَنْ الدِّينَ كُنْتُ - مِنْ قُلِّ احْتِصَاحِ أَرْحَمِ وَطُهْورِ صَرِيحِ الْمَدَاوَةِ مِنْهُمْ كَالشَّجَا ، مَقْرَصاً فِي حُلُوقِهِمْ لَا يَكُنْ
اِتِّزَاعُهُ ، لَمْ أَحْطِ مِنْهُمْ وَهُمْ أَغْنَاءُ مَا قُوتُونَ ، إِلَّا بِمَا كُنْتُ أَحْطَى بِهِ مِنْهُمْ وَهُمْ شَيْعَةُ مَسْأَلُونَ ، يَرِيدُ أَنْ
صِيْبُهُ مِنْهُمْ فِي الْحَالِ لَمْ يَكُنْ سِوَى الْعَرِّ وَالْأَدَى وَالْوَيْعَةِ .

لَمْ أَخْظَ - إِذْ هُمْ عَدَا بَادٍ نِفَاقُهُمْ -
مَا غَافَظَهُمْ غَيْرُ مَا سَيَرْتُ مِنْ مِدْحِ
كَمْ غُرَّةٍ لِي تَلَقَّتْهَا قُلُوبُهُمْ
إِذَا تَأَمَّلْتُ حُسْبَى غِيبِ غَشَمِهِ
تِلْكَ الْعَرَائِينَ لَمْ يَصْلُحْ لَهَا فِتْمٌ
أَوْدَعْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمْ شَرَّ مُعْتَرِسٍ
لَقَدْ جَزَّيْتُمْ جَوَازِي الدَّهْرِ عَنْ مَنِيٍّ
لَا زَالَ جَدِّكَ بِالْأَعْدَاءِ يَصْرَعُهُمْ

إِلَّا كَمَا كُنْتُ أَحْظَى إِذْ هُمْ شَيْعٌ
فِي صَانِكَ الْمِسْكِ مِنْ أَنْفَاسِهَا فَتَعٌ^(١)
كَمَا تَلَقَّى شِهَابَ الْمُوقِدِ الشَّمْعُ^(٢)
لَمْ يَخْفَ مِنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ مُنْصَدِعٌ^(٣)
فَكَانَ أَهْوَنَ مَا نِيلَتْ بِهِ الْجَدْعُ^(٤)
لَنْ يَكْرُمَ الْفَرْسُ حَتَّى تَكْرُمَ الْبُقْعُ^(٥)
عَفَّتْ فَلَمْ يَفْنِهِمْ عَنْ تَمْطِيلِهَا وَرَعٌ^(٦)
إِنْ كَانَ بَيْنَ جُدُودِ النَّاسِ مُصْطَرَعٌ

(١) صَانِكَ : اسم فاعل من صاك به الملك يملك أى لصق به ، قال الأعدى :

« وَمَنْكَ مَحَبَّةً بِالشَّابِ صَانِكَ الْمِيرَ بِأَعْلَادِهَا . »

وسبأى لصاحب الديوان قوله « ص ١٣٩ » :

« نَاءٌ عَمِلَ كَأَنَّ نَاءَهُ مَسَكَ بِأَرْوَاقِ الْحَاطِلِ صَاكَا . »

والصنع : صفة الملك ، ومسك دوسع ذكر الرائحة طيب الأملس . قال الشاعر :

وَبَرُوحٍ سَاحٍ أَطْرَافَهَا عَطِيَا رِيحَ مَسْكَ ذِي نَعِ

وحاء بالأصل « صَانِكَ » بالياء ، و « كع » بالكاف ولا معنى لها .

(٢) كم مرة لى واحدة ميرة تطلع عليهم تتفادها قلوبهم ومع متأجبة مستمرة ، كما يلقى الشمع عند

الانارة حر الشهاب من موقعه ومشطه .

(٣) يقول حى واضح كلفى الصبح ، وحسبهم منشوش كاذب .

(٤) العرايين : جمع عريين ، وهو أعلى الألف عند ملق الحاحب ، أو هو ما صلب من عظم الأنف ،

قال ذو الرمة :

« نَبَى الْقَبَابِ عَلَى عَرِيٍّ أُرْسَى شَبَابُ مَلَرْنَاهَا بِالْمَسْكَ مَرْتُومٌ . »

والشم : ارتفاع قسبة الأنف وحسنها مع استواء أطلالها وإشراق الأربعة ، وإذا وصف الرجل بالشم

فإنما يمتن أن سيد شريف النفس ذو أمة وشذوح وحبه ، ويقال هم شم العرايين كناية عن ذلك ، قال

كعب بن زهير :

« هَمُّ الْعَرَائِي أَطْلَالُ لِيُوسَمِ مِنْ سَحِ دَاوُدَ وَالْمِجَاسِرَائِيلِ . »

والجميع : القطع البائى فى الألف والأدنى ونحوهما وهو مصدر جبع كمرج فهو أجبع .

(٥) يقول : لقد استنبت صانك فى بقعة خيفة من فوس هرت بنشط الحبة وكران الجليل .

(٦) يقول : إن العر جازاهم من من أسديتوهم إليهم ، صفوا على آثارها ولم يوروهوا فى تمطها

والانتقام من شكرهم .

تهنئة بقران

« وقال يدع المعتصم بالله المصور بفضل الله

أنا عمرو عبد الله وجهه بالباء على السيدة

بت الموفق مجاهد رجهما الله . »

أَخْطَبَ فَلْنُكَ يَفْقِدُ الْإِمْلَاكَ وَأَطْلَبُ فَسَعْدُكَ يَضْمَنُ الْإِذْرَاكَ^(١)
وَصِلِ النُّجُومَ بِحِطٍّ مَنْ لَوْ رَاتَهَا هَجَرَتْ إِلَيْهِ زُهْرُهَا الْأَفْلَاكَ^(٢)
وَأَسْتَهْدِ مِنْ أُنْحَى رَاتِعِهَا الْمَهَا فَالَصَّبُّ يَسْمَعُ فِي عِنَانِ هَوَاكَ^(٣)
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي تَذِيرُهُ أَضْحَى لِمَلَكَةِ الزَّمَانِ مِلَاكَ^(٤)
هَذِي الْيَالِي بِالْأَمَانِي مَمْحَةٌ فَتِي تَقُلْ: «هَاتِي» تَقُلْ لَكَ: «هَا كَا»
فَاعْقِلْ شَوَارِدَهَا إِزَاءَ عَقِيلَةٍ وَافَتْ مُبَشِّرَةً بِنَيْلِ مُنَاكَ
أَهْدِي الزَّمَانُ إِلَيْكَ مِنْهَا تَحْفَةً لَمْ تَعُدْ أَنْ قَرَّتْ بِهَا عَيْنَاكَ
فَمَنْ تَوَارَتْ - فِي ظَلَامٍ مَضِيغَةٍ - ثُمَّ اسْتَطَارَ لَهَا السَّنَا بِسَنَاكَ^(٥)

(١) الاملاك : عند الروح ، يقول : احط فملكك يورها الصهر والد ، واطل وسعدك يضمن إدراك ما تطلب .

(٢) وصل النجوم بحط ملك لو رام زهر النجوم هجرت إليه ألاكها ، يريد أبلورام مصاهرة من ارتفع لسبهم من اللوك إلى مستوى زهر السكواك في ألاكها ، لسانوا إليه من زهر مرالها ما يورمه ، ولسمو إليه مه ، ويخاره سا وصهرا .

(٣) استهد : أطل الهداء من هدى القروس يهيا إليه هداء رها إليه ، وفي الأصل (استهو) وهو من استهوا الشياطين ، ولا معنى له هنا ، أي اطل من أسع أحياء العرب وأشدها حاية وحبيطة أن يهدوا إليك من بناتهم التشبهات بالها أي بقر الوحش في اليباس وسواد البيوت من تريد وتهوى فان المصعب يسلس ويقاد في صاته مرادك وهو الهاد .

(٤) أي أضحي تديره قوام للملكة وطلما اتقى يمتد عليه في أمورها .

(٥) مضية : يقال هو يدار مضية كجيشة أي يدار ترك واطراح وإصاعة ، واستطار : انقصر ، والسنا : بالنصر السياء ، أي كانت قبل هذا الاملاك شمساً محتجة وراء حجب الالهال والترك ، فاستطار إليها شعاع من سنا وجهك ، فأدركت وأتارت .

قُرِنتَ بِبَدْرِ السَّمِّ كَافِلَةً لَهُ أَنْ سَوْفَ تُتْبِعُ فَرَقْدَيْنِ سِمْكَ (١)
 هِي وَالْفَقِيدَةُ كَالْأَدِيمِ أَخْبَرَتْهُ فَقَدَدْتَ إِذْ خَلَقَ الشَّرَّاءُ شِرَارًا كَا (٢)
 فَاصْفَحْ عَنِ الرِّزْقِ الْمَأْوَدِ ذِكْرُهُ وَأَسْتَأْنِفِ الثَّغْمَى فَنِكَ بَذَا كَا (٣)

✽

لَمْ يَبْقَ عُدْرٌ فِي تَقْسِمِ خَاطِرٍ إِلَّا الْمُبَابَةُ مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَ
 كَفَارُ أُنْمِكَ الْإِلَى حَلَّتْهُمْ أَطْوَاهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ ظُبًا كَا (٤)
 أَعْرِضْ عَنِ الْخَطَرَاتِ إِنَّكَ إِنْ نَشَأَ تَكُنِ النُّجُومُ أَسِنَّةً لِقَنَا كَا (٥)
 هُمِرَ النَّيْمُ بِطُفٍ دَهْرِكَ فَأَنْتَنَى وَجَرَى الْفِرْدُ بِصَفْحَتَيْ دُنْيَا كَا (٦)
 وَبَدَا زَمَانُكَ لَابِسًا دِيَابَجَةً تَجَلُّو لِمَيْنِ الْمُجْتَلِي سِمْكَ كَا
 دُنْيَا لَزَهْرَتِهَا شَعَاعٌ مُذْهَبٌ لَوْ كَانَ وَصَفًا كَانَ بَقْضٌ خُلَا كَا

(١) يقول : قرب هذه العيلة بعد التي ضامة له أن ستبع فرقدتين نحما يريد أنها ستنبأ أهال السكاك البعير من الذكور .

(٢) الأديم : الجلد ، وخلق : بلى ، والفراخ : أحديسور النمل التي على ظهرها ، يقول : هذه العيلة وروحك العيلة كالأديم قطعت منه بلى الفراخ التي على شراكا حديدا ، أي اخترت طل العيلة ، زوحا أخرى حديدا ، وقد ألب العرب أن يشهوا المرء بالحل ، وحرارهم ابن ريدون في ذلك ، وقد قال الحريري في مقامه من حوار طويل : « فان لمس ظهره ، قد انقمض وضوءه بعله » أي إن لمس امرأته .
 (٣) أي ملك السمي بالمدينة ، عوس من ذلك الرزء بالعيلة ، فاضرب مصعما عما يماودك من ذكريات تؤلم نفسك وتشتك على الحزن .

(٤) جمع طلة الغم ، وهي حد القيب ، يقول : إن الذين طوتهم بأعماك جمعوا بها ، فجعل لهم هذا من سيوفك في أعناقهم أطواقا يطوقونها .

(٥) أهرس عن كل حطة تحط بملك ، وتقع في ملك من حبة تدبير الملكة ، فملك : منصور على أعدائك ، ولو شئت لتناول نجوم السماء لجلطتها أسنة لرمحك .

(٦) حل لثيمها كملط المساء تهصره أي تيمه إليك يئس كما تهصر الصن وتيمه نحوك لطف عماره ، وجل الدنيا للمدح التي اخوت النعم فرندا يحرق في صفحتها ماؤه وتفرق دباحته ، فأعطاك صورة ساحرة فانة لما يحصل للمدح من دنيا يحبها الهم .

فَتَمَلَّ في مُرُشِي الكَرَامَةِ نَاعِمًا وَأَعْقِدْ بِمَرْتَبَةِ الشُّرُورِ جُبَاكَ (١)
وَأَطْلُ - إِلَى شَذْوِ الْقِيَانِ - إِصَاخَةً وَتَلَقَّ مُتَرَعَةً الكُؤُوسِ دِرَاكَ (٢)
تَحْتَهَا مِثْنِي مَتَانِي قَادَةٍ شَفَعْتَ بِحَثِّ غِنَاهَا الإِمْسَاكَ (٣)
مَا الْمَبْنَى إِلَّا فِي الصُّبُوحِ بِسُحْرَةٍ قَدْ جَاسَدَتْ أَنْوَارَهَا الْأَخْلَاكَ (٤)
لَكَ أَرْيَحِيَّةٌ مَاجِدٍ - إِنْ تَعَتَرَضَ فِي لَهْوِ رَاحِكَ - تَسْتَهْلِ لَهَاكَ (٥)
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ فِي خِلَالِ نِدَائِهِ ذَمٌّ يَمْنَعُ خِلَالِهِ فَخْلَاكَ (٦)
أُسْبُوعُ أَنْسِي تُحْدِثُ لِي وَحْشَةً عَلِمًا بِأَنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَاكَ (٧)
فَأَنَا الْمُذْذَبُ غَيْرَ أَنِّي مُشْمَرٌ نِقَّةً بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فَهَنَّاكَ
إِنِّي أَقُومُ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَ مَا مَلَأْتَ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَدَاكَ
بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ ، وَأَحْلَوْلَى جَنِّي نُصْنَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جِجَامُ نَدَاكَ
وَأَمِنْتُ عَادِيَةَ الْعِدَا الْأَفْتَالِ مُذْ أَغْصَمْتُ فِي أَعْلَى يَفَاجِ حِمَاكَ (٨)

(١) تَمَلَّ : تَمَع ، يَمَالُ مَالِكٌ اللَّهُ حَبِيبُكَ أَيْ مَتَكَ وَأَطَاشَكَ مَعَهُ طَوِيلًا ، وَالْجُبَا : جَمْعُ حَوَّةٍ وَهُوَ أُنْ يَجْمَعُ الْحَالِسَ طَهْرَهُ وَسَاقِيَهُ بَنُوبٍ أَوْ نَحْوِهِ .

(٢) تَحْتَهَا : أَيْ الكُؤُوسُ أَصْوَاتُ تَمَادُنِي مِنْ رَنَاتِ مَتَانِي عَوْدِي فِي يَدِ قَادَةٍ دَسَمَ إِلَى حَثِّ الْفَنَاءِ لِصَاكِ الصَّوْتِ بَعْدَ إِطْلَاقِهِ .

(٣) جَاسَدَتْ : حَاطَتْ بِبَاصِ أَنْوَارِهَا سَوَادَ طَلْعَتِهَا .

(٤) لَهَاكَ : لَهْوِ رَاحِكَ : أَيْ فِي إِيَّانِ لَهْوِكَ يَمْرُغُ أَرَاخُ : وَتَسْتَهْلِ تَعَطَّرَ وَالثَّانِي : جَمْعُ لَهْوَةٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ الْمَطْلَبُ الْجَوْلَةُ الْكَثِيرَةُ .

(٥) مَنْ كَانَ : مِنْ كَلَانٍ فِي أَثْنَاءِ الْمَادَمَةِ عَلَى الْفَرَاغِ يَطْلُقُ بِبَعْضِ حِلَالِهِ وَحِصَالِهِ مَا يَمْلَأُ وَيَمْلَأُ عَلَيْهِ ، غِلَاظُكَ ذِمٌّ وَحِفَاظُكَ عَيْبٌ .

(٦) أَسْبُوعُ : هُوَ الْأُسْبُوعُ الَّذِي يَأْسِي بِهِ بِهَرُوسِهِ ، وَلَا يَخْرُجُ إِلَى حَاضَتِهِ الْفَرَا : بِالْفَتْحِ كُلُّ مَا اسْتَعْدِيَتْ بِهِ ، يَقَالُ أَنَا فِي دِرَاكِلَانِ أَيْ فِي كَسَمِهِ ، وَالْجِلْمُ : جَمْعُ حَقَّةٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ مَعْطَمُ اللَّاءِ ، وَالسَّيْ : السَّيَاءُ أَيْ صِفَا صِلَاؤُكَ الصَّبِيحَةَ بِالنَّاءِ فِي الصَّعَاءِ هَلُمَّ يَكْتُمُ بَيْنَ .

(٧) الْأَفْتَالُ : الْأَقْرَابُ السَّائِرُونَ لَهُ فِي الشَّجَاعَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَأَغْصَمْتُ : مِثْلُ احْصَمْتُ أَيْ اسْتَمْسَكَتْ وَاسْتَمْتَتْ وَجَلَّتْ ، وَالْيَفَاجُ : لِلْكَثَرِ الرَّصْعِ .

جَهْدَ الْقِلِّ نَصِيحَةً نَمُحُوسَةً أَفْرَدَتْ مُهْدِيَهَا فَلَا إِشْرَاكَ^(١)
وَتَنَاءَ مُتَحَفِّلٍ كَانَ تَنَاءَهُ مِنْكَ بِأَرْذَابِ الْمَحَافِلِ صَاكَ
وَلْتَدْعُنِي وَعَدُّوكَ الشَّانِي ، فَلَمَّا يَرُمُ الْقِرَاعَ يَحْذِ سِلَاحِي شَاكَ^(٢)

لَا تَعْدَمَنَّ الْحِظَّ غَرَسًا مُطْلِعًا * تَمَرَّ الْفَوَائِدِ دَانِيَا لَجْنَاكَ
وَالنَّصْرَ جَارًا لَا يُحَاوِلُ ثِقَلَةً وَالصَّنْعَ رَهْنًا لَا يُرِيدُ فِكَكَ
وَإِذَا غَمَامُ السَّنْدِ أَصْبَحَ صَوْبُهُ دَرَكُ الْمَطَالِبِ فَلْيَبْصِلْ سُقْيَاكَ
قَالِدَهُ مُعْرِفٍ بِأَنَا لَمْ نَكُنْ لِنُسَرِّ مِنْهُ بِسَاءَةٍ - لَوْلَاكَ

عهد

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُتَقِلًا لَا تَحْشَ مِنِّْي نِسِيَانًا وَلَا بَدَلًا^(٣)
وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَذَرِ بَعْدَكَ مَا طَعُمُ الْحَيَاةِ وَلَا بِالْبُعْدِ عَنْكَ سَلَا
أَتَلَفْتَنِي كَلْفًا ، أَبْلَيْتَنِي أَسْفَا قَطَعْتَنِي شَفَا ، أَوْرَثْتَنِي عِلَا

* *

إِنْ كُنْتُ تُخِنْتُ وَأَضْمَرْتُ السُّؤَالَ فَلَا بَلَفْتُ يَا أَمَلِي مِنْ قُرْبِكَ الْأَمَلَا^(٤)
وَاللَّهِ لَا عَلِقْتُ نَفْسِي بِغَيْرِكُمْ وَلَا اتَّخَذْتُ سِوَاكُمْ مِنْكُمْ بَدَلًا

(١) أهدى إليك نهاية ما يستطيع إهداءه مقل مثلي ، نصيحة خالصة أوردت مهديها واحتصمت به بما لم تفكر معه فيه غيره .

(٢) الثاني : للمعنى ، والفراع الفارقة بالسيف ، وشاك : السلاح يشاك شوكا طهرت شوكته وحده ، أى أدمى لمارة ومجالة عدوك الثاني المعنى ما هو من يرم ذلك يحدى شاكى السلاح مستعدا لمقارعة .

(٣) يقول : إني أحمل منك كل شيء وليس ذلك بمحمول عن حرك ولا هو يداني إلى لسانك أو الانزال عن حرك إلى حب سواك .

(٤) يقول : هاتين اثنتي يائسى منك وجرى عطيك هو وذاك إذ كنت فكرت لحظ في السلوك منك .

مدح ورثاء^(١)

« قال بمدح المعتد ، ويرى المعتد بالله . »

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَمَنْ شِمْ الْأَبْرَارَ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ
سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ^(٢) فَلَا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الْوِزْرُ^(٣)
حِذَارَكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقَ فِتْنَةً يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ إِيْمَانِكَ - الْعُدْرُ
إِذَا أَسِفَ الثُّكُلُ اللَّيْبُ فَشَقَّةَ رَأَى أَفْذَحَ الثُّكُلَيْنِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ^(٤)
مُصَابُ الَّذِي يَأْمُرُ بِمَيِّتِ ثَوَابِهِ هُوَ الْبَرْخُ لِأَمَلِيَّتِ الَّذِي أَحْرَرَ الْقَبْرُ^(٥)

* *

حَيَاةُ الْوَرَى تَنْجِي إِلَى الْمَوْتِ نَجْعٌ^(٦) لَهُمْ فِيهِ إِضَاعٌ^(٧) كَمَا يَوْضِعُ السَّفَرُ^(٨)

(١) ح. في ص ٤٧٩ من مع الطيب ما منه :

« ولما مات والد المعتد واستقل ذلك ، من دولوراجين ابن ريدون يرى المعتد قصيدة طويلة أولها :

« هو الأحر ، فاصبر لذي أحدث الدهر من شيم الأحرار في مثلها الصبر . »

وقد ذكر صاحب مع الطيب أكثر أشات هذه القصيدة وإن اخافت في قليل من الألفاظ في نفس أبيات القصيدة من رواية ليدون .

وسرى انقارى نشأها كثيرا بين هذه القصيدة وبين القصيدة الرائية التي قالها ابن ريدون في رثاء الورى أبي الحرم .

(٢) حسة : احتساب الأحر ، وفي رواية مع الطيب : « أو صبر وحشة »

(٣) وفي رواية مع الطيب : « فلا تؤثر الوجه الذي معه الوزر »

(٤) وفي رواية مع الطيب : « أن يذهب الأجر »

(٥) وفي رواية مع الطيب : « يأمر بموت ثوابه » (٦) طريق .

(٧) الإصباح : السير السريع . قال أبو العلاء :

« لا وصح لرحل إلا بعد إصباح فكيف شاعرت إصباحي وإرماي . »

(٨) السفر : السارون .

فَيَا هَادِيَ الْمَنَاجِحِ جُحِرَتْ ، فَلَمَّا
إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ ^(١) كُلُّ مُعَمَّرٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ ضَيِّمٌ ذِمَارُهُ
بِحَيْثُ اسْتَقَلَّ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ
هُوَ الضَّيِّمُ لَوْ غَيَّرَ الْقَضَاءُ يَرُومُهُ
إِذَا عَرَّتْ جُرْدُ الْمَنَاجِيحِ ^(٢) فِي الْقَنَاءِ
هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ أَوْ الْبَحْرَ ^(٣)
فَإِنْ سَوَاءٌ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ
فَلَمْ يُغْنِ أَنْصَارُ عَدِيدُهُمْ دَثْرُ ^(٤)
وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْمَسْكُورُ الْمَجْرُ
نَنَاءُ الْمَرَامِ الصَّعْبُ وَالْمَسْلَكُ الْوَعْرُ
بَلْبَلٌ مَحْجَاجٌ لَيْسَ يَصْدَعُهُ فَجْرُ

* *

أَنْفَسَ نَفْسٍ فِي الْوَرَى - أَقْصَدَ الرَّدَى
أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ ، لَقَدْ عَدَا
فَهْلًا عَدَاهُ أَنْ عَلَيْكَ حَلِيَّةٌ .
وَأُخْطَرَ عَلَيَّ - لِلْهُدَى - أَفْقَدَ الْهُدَى
عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْقَدَرُ
وَذَكَرَكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَّامِهِ - عِطْرُ

* *

غُشِبَتْ فَلَمْ تَعْنَشِ الطَّرَادَ سَوَاجِحُ ، وَلَا جُرْدَتِ بَيْضُ ، وَلَا أَشْرَعَتْ مُنْمَرُ ^(٥)

(١) البحر بالمنع والضم : المكروه والأمر العظيم ، وقد روى للبرد صاحب الكامل أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه حين حضرته الوفاة . قال في آخر كلمة له : يا هادي الطريق حرت ، إنما هو والله العجر أو البحر ونوله « إنما هو والله البحر أو البحر » يقول : « إن انتظرت حتى يضيء لك البحر للطريق أضررت نفسك وإن حطت الطلاء وركت الشواء جعجا بك على المكروه » وضرب ذلك مثلاً لسمرات الدنيا وتغييرها أهلها (الكامل : ١٠ ص ٥ و ٦ و ٧)

وجاء في السان قوله : وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : إنما هو البحر أو البحر » قال : البحر - بالمنع والضم - الناحية والأمر العظيم . أي أن انتظرت حتى يضيء النهر أضررت الطريق ، وإن حطت الطلاء أضرت بك إلى المكروه . قال : وروى البحر بالحاء يريد سمرات الدنيا شبهها بالبحر لتغير أهلها فيها .

(٢) قصر : تضارى أو ضاية . (٣) دثر : كثيف .

(٤) المناجيج : حياض الخيل والأيل . (٥) يسر : سيوف ورماح .

وَلَا تَنْتَبِ الْمَحْذُورَ مِنْكَ جَلَالَةً وَلَا غُرُورَ مَبْتًى وَلَا قَاتِلَ غَمْرٍ ^(١)
لَنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هُمِيَّ أَنْسُهُ [✽] بِأَنَّكَ تَأْوِيهِ لَقَدْ أَوْحَى الظُّهْرُ
لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ التَّرَى لَقَدْ أَذْرَجَتْ أَنْثَاءُهَا النِّعَمُ الْخُضْرُ
عَلَيْكَ - مِنْ اللَّهِ - السَّلَامُ نَحِيَّةً يُسْمَكُ الْغُفْرَانَ رِيحَانُهَا النَّصْرُ
وَعَاهِدَ ذَلِكَ اللَّحْدَ عَهْدُ سَحَابٍ إِذَا اسْتَبْرَتْ فِي تَرْبِهِ - أَبْتَسَمَ الزَّهْرُ ^(٢)
فَقِيهِ عَلَاةٌ لَا يُسَاوِي يَفَاعُهُ ^(٣) وَقَدَرُ شَبَابٍ لَيْسَ يَعْدِلُهُ قَدَرُ
وَأَيُّضَ فِي طَى الْمَصْفَحِ كَانَهُ [✽] صَفِيحَةُ مَأْنُورٍ طَلَقَهُ الْأَثَرُ ^(٤)
كَأَنَّ لَمْ تَسِرْ مَعْرُ الْمَنَابِ تَظْلِلُهَا إِلَى مُهَجِ الْأَقْبَالِ ^(٥) رَأَاتُهُ الْحُمْرُ
وَلَمْ يَحْمِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حَتَّى الْهَدَى فَلَمْ يُرْضِهِ إِلَّا أَنْ أُرْتَجَعَ الْغُرُ
وَلَمْ يَنْتَجِعْهُ الْمُتَعَفُونَ ^(٦) ، فَاقْبَلْتِ عَطَابًا كَمَا وَالَى شَأْيَبَهُ ^(٧) الْقَطْرُ

(١) النائل الممر : العطاء الجزيل الكثير .

(٢) يدعو الله أن يطر حذته سبحانه تدف ماءها على الأرض فتزوى أرحامها تحضرها .

(٣) البعاع : المرتفع من الأرض .

(٤) الأثر : مرد السيف ، ودروقه ، وهو واحد ليس بجمع ، قال الشاعر :

« حلاها الصقلون فأخلصوها . حلاها ، كلها حتى بأثر . »

أي كلها يستفك برنمه . وحتى يحس من حتى .

وقالت إمرأية :

« فادا رقدت فأت منببه وإذا اتبعت صرزمك الأثر . »

وظلوا : سبب مأثور ، أي ومنت أثر . وأحد من الأثر كأن وشبه أثر به ، أو منته حديد أثبت

وشفرته حديد ذكر ، وقد رمعوا أنه السيف الذي يصلة الحن .

(٥) الأقبال - جمع قبل - وهو الشجاع .

(٦) ينتججه المتعون : يطلب مروه طالبو الاحسان والندى .

(٧) شأيب : صلع شؤبوب ، وهو الفصمة من الشعر .

وَلَمْ تَكْتَفِ آوَاهُ الْمِيَّةُ كَانَ نَجَى النَّيْبِ فِي رَأْيَا - جَهْرٌ^(١)
وَلَمْ يَنْشَذْ لِلْأُمُورِ^(٢) مُجَلِيَا إِلَيْهَا كَمَا جَلَى مِنَ الرَّقَبِ الصَّقْرُ

* *

كِلَا لَقَيْ سُلْطَانَهُ صَحَّ قَالُهُ فَبَاكَرَهُ عَضْدُ وَرَاوَحَهُ نَصْرٌ^(٣)
إِلَى أَنْ دَفَاهُ يَوْمُهُ فَأَجَابَهُ وَقَدْ قَدَّمَ الْمَعْرُوفَ وَأَسْتَجَدَّ الْخُشْرُ
فَأَمْسَى ثَبِيرٌ قَدْ تَصَدَّى لِحِلْمِهِ سَرِيرٌ قَلَمَ يَبْهَضُهُ^(٤) مِنْ هَضْبِهِ إِضْرُ

* *

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْنَى الْوَصُولُ عِيْدُهُ لَقَدْ رَابْنَا أَنْ يَتَلَوَّ الصَّلَاةَ الْمُهْجَرُ
تُكَادِيكَ - دَاعِيْنَا السَّلَامَ - كَهْمِدُنَا فَمَا يُسْمَعُ الْذَاهِي وَلَا يُرْفَعُ السِّرُ
أَحَبُّ عَلَيْنَا ذَادَ عَنْ ذَلِكَ الرِّضَى فَتُعْتَبَ أَمْ بِالْمُسْمَعِ الْمُعْتَلَى وَقُرُ^(٥)
أَمَا إِنَّهُ سُخْلٌ فَرَاغَكَ بَعْدَهُ سَيَنْصَاتُ إِلَّا أَنْ مَوْعِدُهُ الْحَشْرُ^(٦)
أَأَنْسَاكَ - لَمَّا يَبْنَا عَهْدٌ - وَلَوْ نَأَى سَحَابِيسُ الْإِيَالِي لَمْ يَرَمْ نَفْسِي الذِّكْرُ^(٧)
وَكَيْفَ بِنِسْيَانٍ وَقَدْ مَلَأَتْ يَدِي جِسَامُ أَيْدِي مِنْكَ أَيْتَرُهَا الْوَقْرُ

(١) لأن لم تكتفِ طعنته وألميته مستور النيب الذي يندى لها رهم حائه واضحا حليا .

(٢) تشد الأمور : شط إليها وتسرع ، وتشد الرجل تهيأ للقتال والجهاد .

(٣) يشد إلى ثلبه بالمضد والصور . (٤) يهزه : يهزه ، أى يقل عليه حله .

(٥) في رواية نزع الطب :

« أَحَبُّ عَلَيْنَا ذَاوَسُ ذَلِكَ الرِّضَى فَتُسَمَّعُ أَمْ الْحِ . . . »

(٦) يقول : إنك في شغل لن يتفنى إلا إذا جاء يوم المعر .

(٧) رام يرم : فاروق يهراق ، يقول : كيف أنساك ولم يطل هدى بك ولو طال أبد الدهر لم أنساك

ولم يهراق نفسي ذكراك



لَنْ كُنْتُ لَمْ أَشْكُرْكَ الْبَنَى إِلَهِي تَمَلَّيْتُهَا تَدْرِي لَا وَبَقَيْتِي ^(١) الْكُفْرُ
فَهَلْ عَلِمَ الشَّلَوُ الْمُقَدَّسُ أُمْنِي مُسَوِّغُ حَالِ ضَلَّ فِي كُنْهَهَا الْفِكْرُ ^(٢)
وَأَنْ مَتَانِي لَمْ يُضِغْهُ « مُحَمَّدٌ » خَلِيفَتُكَ الْمَذَلُّ الرَضَى وَأَبْنُكَ الْبَرُّ
هُوَ الظَّافِرُ الْأَعْلَى الْمُؤَيَّدُ بِاللَّي لَهُ فِي الذِّي وَلَاءُهُ مِنْ صُنْعِهِ سِرُّ
رَأَى فِي اخْتِصَامِي مَا رَأَيْتَ وَزَادَنِي مَرِيَّةَ زُلْفَى ^(٣) مِنْ تَنَاجِيهَا الْفَخْرُ
وَأَزْغَمَ فِي بَرِّي أَنْوَفَ عِصَابَةٍ لِقَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَحْظُهُمْ شَرُّ
إِذَا مَا أَسْتَوَى فِي الدَّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ وَقَامَ سِمَاطًا حَفْلُهُ فَلَئِ الصَّدْرُ ^(٤)

(١) لأهلكي (٢) الشلو : المصوحه أشلاء . يقول . هل علم الحسد البت الطاهر
أبي أحاول أن أستنجع ما لا سبيل إلى استغافه أي أنه يحاول أن يرغم نفسه على الرضى عما حدث
ولا يحد إلى ذلك سبيلا . (٣) مرقى .

(٤) استوى : جلس ، ولقيت : معرب دشت ومساها بالمارسية اليد - كما يزحد من شـ ماء العليل
وترك هذه اللقاة في السان ، وفي التماوس : « الدست الهشت ومن الثياب والورق وصدر البيت
ممرات . » واستعملها للولولون لحان منها المجلس كما في البيت الذي يحس صدره ، قال أبو العلاء الممرى :
« من آلة الدست ماعد الورير سسوى تحريك لميتته في حال إيماء

هو الورير ولا أدر يشهد به مثل العروس له بحر ملاها . »

وورد في القامة الحادية عشرة من مقامات الحريري حد قوله :

« نصر ودع اليوم وقل لي هل ترى اليوم

مق لا يقر اليوم إذا ما دسسته ثم . »

وهو ما يعنى الحيلة والمخادع ، وللمنى تحت حيلته ، ويقال فلان تم عليه الهشت في القمار أي لم يزل يوزر
في آخر القامة الثامنة عشرة حد قوله :

« فنادونا سعد أن وحدت عنه ، وراينا أنه ، كدس عاب صدره ، أو ليل أهل مدره . »

وهو ما يعنى المجلس وورد في أوله للقامة الثالثة والمضرب حد قوله :

« تركمت في إثر النظاره ، حق وأبيا باب الاماره ، وهناك صاحب للمونة مترسا في دسسته ،

ومروها بسسته . »

وَفِي نَفْسِهِ الْعَلِيَّاءِ لِي مُتَّبِعًا يُنَافِسُنِي فِيهِ السَّمَاءُ كَانِ وَالْأَرْضُ
يُطِيلُ الْمِدَا فِي التَّنَاجِي خُفْيَةً يَقُولُونَ: «لَا تَسْتَفْتِ، قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ»
مَضَى نَفْسُهُمْ - فِي عَقْدَةِ السَّحَابِ - صَلَّةً فَمَادَ عَلَيْهِمْ غَمَّةٌ ذَلِكَ السَّحَرُ
يَشِبُّ مَكَانِي عَنْ تَوَقُّي مَكَانِهِمْ كَمَا شَبَّ قَبْلَ الْيَوْمِ - عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو^(١)

وهو ما بمعنى المجلس أيضا وورد في آخر هذه للقائمة عند قوله :

« فلما حضرت الوالي وقد خلا جلوسه ، واجتمع إليه ، أخذ يصف لي ما زيد وفضل ، ويذم الحريرة ، ثم قال : شئت الله - أليس الذي أراه المست ؟ قلت : لا والذي أحك في هذا المست ، ما أنا بصاحب هذا المست ، بل أنت الذي تم عليه المست . « فادست الأول هو التوب ، والثاني المجلس ، والثالث هو التوب أيضا ، والرابع الحيلة .

والجوبة : ضم وكسر أوله ونحسم على جباي أن يجمع الخالص طهره وسائبه ثوب أو يديه ، ويقال حل ملاصق حوته ، وهذا الأمر مما تحل له الحبا ، والجوبة - بالفتح - الصدر ، والباط : الصب من الناس ، يقال قام القوم حوله ساهلين أي صعين ، ومعنى بين الساهلين أي بين الصبين ، يقول إنه يسبح لي الجلوس في الصدر إذا استوى في محله ومثل حوله صفاء من حله .

(١) أصل اللث : « شب عمرو من الطوق » وفي رواية أسس السلافة : « حل عمرو من الطوق » ، وفي رواية يجمع الأمثال للبدائي « كبر عمرو من الطوق » ومعنى البيت :
« لقد جل مكانى عن أن أحاذرهم » كما حل عمرو من الطوق .

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف : وعمرو هذا هو عمرو بن هندى بن صر ، ابن أخت جديعة الأبرش ، وهو الذي كان يقول - إذ أحس الكفاة بين يدي حله وهو صر - :

« هذا حناى ، وخياره يبه إذ كل حان يبه إلى يبه . »

وقد زعموا أن الجبن استموت حينا ، ثم ظهر لوحده مالك وعقيل ، قلوا : « فانتب لها . فأجابها جديعة فصر به سرورا شديدا وحكهما سألاه ما فعلته . »

وقد ضرت الأمثال ندماني حديعة ، فقال متمم التورى حين رأى أمه :

« وكنا كندماني حديعة حبة من النمر حتى قيل لي تصدقا

وعشا بخير - في الحياة - وقبلنا أصاب الملبأ رطع كبرى وجبا

فلما تفرقتا مكانى ومالكا - لظول افتراق - لم يبت ليلة .

وقال أبو حراش الغنفل :

« ألم تلمنى أن قد تهرق قبلنا - حيلة صماء مالك وعقيل . »

وقد أشار أبو البلاد للمرى إلى ندماني حديعة إشارة تافهة في رسالة الخمران (١٢ ص ١٣٧) مبرج إليها من شاء ، قلوا : وأصل هذا اللث أن أم عمرو فطعت وألبست ثياب للوك وطوقته بطوق في عنقه وأمرته بزيارة حله ، قلوا : فلما رأى حله لحته والطوق في عنقه ، قال : « شب عمرو من الطوق » فنهبت مثله . قلوا : « وكانت الزباء تملك حله فأدرك عمرو وقصير تأوه فقتلها . »



لَكَ الْخَيْرُ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غِيَابَةً طَلَمْتَ لَنَا فِيهَا كَمَا طَلَعَ الْبَدْرُ
فَقَرَّتْ عَيْنُونَ كَانَ أَسْنَحَهَا الْبُكَاءُ وَفَرَّتْ قُلُوبٌ كَانَ زَلَزَلَهَا الدُّعَاءُ
وَلَوْلَاكَ أَغْيَا رَأْبُنَا ذَلِكَ النَّأْيُ ^(١) وَعَزَّ قَلَمًا يَنْتَمِشُ ذَلِكَ الْمَرْئُ
وَلَمَّا قَدِمْتَ الْحَيْشَ بِالْأَمْسِ أَشْرَقَتْ إِلَيْكَ - مِنَ الْأَمَالِ - آفَاقُهَا الْمُبْرُ ^(٢)
فَقَضَيْتَ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ لِبَاَنَةً مُشِيمَهَا نُسُكَ وَفَارِطُهَا طَهْرُ ^(٣)
وَمِنْ قَبْلُ مَا قَدِمْتَ مَثَى تَوَافِلِ يُلَاقِي بِهَا مَنْ صَامَ مِنْ عِيدِهِ فِطْرُ
وَرُحْتَ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي غَضَّ طَرْفَهُ بُعِيدَ النَّسَائِي أَنْ غَدَا غَيْرُهُ الْقَصْرُ ^(٤)
فَدَأَمَا مَعًا فِي خَيْرِ دَهْرٍ ، صُرُوفُهُ حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ يَطُورَ هُمَا هَجْرُ ^(٥)
وَأَجَلُ - عَنِ النَّأْوَى - الْعَزَاءُ فَإِنْ تَوَسَّى فَإِنَّكَ لَا الْوَائِي، وَلَا الضَّرْعُ الْغَمْرُ ^(٦)

(١) النَّأْيُ : المساد ورأبه إصلاحه ، قال الشاعر :

« بَرَأْتُ الصَّدْعَ وَالنَّأْيَ رَمِيحًا مِنْ سَحَابِ آوَاتِهِ وَيَمِيرُ »

(٢) قَدِمْتُ : يقال قدم فلان فلا يلا يقدمه من باب صر إذا تقدمه ، قال تعالى : « يَتَقَدَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ الْبَارِ » وللمنى : ولما قدمت الحيش صبيحة يوم المطر أشرقت إليك شمس الأمال من آفاقها الغمر يريد أن الأمال ابتست له معرفة ، وقد اظهرت الألفاظ حزنا على فقد والده .

(٣) إِبَابَةُ : الحاجة يقال قصي فلان لباحته أى حاجته ، والعارط : الضم أى قصيت حاجة فى نفسك من صلاة الرمس التى شيعها وتلاها لك العيد وسبقها وتقدمها الطهور المستون والطيب ، وفى رواية فتح الطيب : « فشيحها لك وفارزها طهر »

(٤) أى بعد أن عنت من صلى المسجد رحلت إلى القصر الذى غص طرفة حياء - بعد أن سما يصره إليك - لأنت تبتدك به نصرا فيه . (٥) لا يطورهما : لا يجرهما والصير هاند على القصرين .

(٦) الْوَائِي : الضيف ، والضرع : الخاضع الدليل ، والمسر : الذى لم يحرب الأمور ، يقول : تدبر بالصبر وأجل هواء عن الراحل التأوى فى قبره ، فإفك لست - إذ ألم بك خطب - بالصيف ولا الفرج الجاهل الذى لم يحرب الأمور ولم يعتبر بصروف المعمر ، وفى الأصل « فإفك لا التانى » وقد أختار هنا رواية فتح الطيب ، قال الشاعر :

أمة وحلما وانتظارا بهم غدا لنا أنا بلوائى ولا الضرع النمر

وَمَا أَغْطَتْ السَّبْمُونَ قَبْلَ - أُولَى الْحِجَا مِنْ الْإِزْبِ مَا أَغْطَتْكَ عَشْرُوكَ وَالْعَشْرُ (١)

* *

أَلَسْتُ الَّذِي إِنْ صَاقَ ذَرْعٌ بِحَادِثٍ تَبْلَجُ مِنْهُ الْوَجْهَ وَأَتَسَّعَ الصَّدْرُ (٢)
فَلَا تَهَيَّزِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهُ فَنَكَ - لَنْ هَاكُنْتَ نَوَائِبَهَا - جَبْرُ
وَلَا زِلْتَ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقُرَّةٍ لَعَيْنَيْكَ مَشْدُودًا بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ
فَإِنَّكَ شَمْسٌ - فِي سَمَاءِ رِيَّاسَةٍ - تَطْلُعُ مِنْهُمْ حَوْلَهَا أَنْجُمُ زُهْرُ

* *

شَكَّكْنَا فَلَمْ تُثَبِّتْ (٣) أَلْيَامُ دَهْرِنَا بِهَا وَسَنَ أَمْ هَزَّ أَغْطَاقَهَا سُكْرُ؟
وَمَا إِنْ تَفَشَّتْهَا مُغَازَلَةُ الْكَرَى وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ - فِي مَفَاصِلِهَا (٤) - تَحْرُ
سِوَى نَشَوَاتٍ - مِنْ مَجَابِيَا مُمْلَكٍ - يَصْدَقُ فِي عِلْيَانِهَا الْخَبَرُ الْخَبَرُ

* *

أَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَأَنْتَ يَمِينُهُ وَإِنْ تَضْحَكِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ لَهَا ثَمَرُ
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْفَتْبِ عَنْكَ - أَجَبْتُهُ هُنَاكَ الْآيَادِي الشَّفْعُ وَالسُّودْدُ الْوَلْو (٥)
هُنَاكَ الثَّقَى وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّهَى وَبَذَلُ اللَّهِ وَالْبَأْسُ وَالنَّظْمُ وَالنُّثْرُ

(١) أولى الحجا : أرباب العقول ، والاروب : العقل والبعاء والبصر بالأمر ، يقال أرب ككرم أراباة هو أرب أى حافل وحاء فى فتح الطيب «الب» يدل «الارب» ، وعشروك : بالاضافة ، وعشرون إذا أصيف سقطت منه الون لأنه ملحق بجمع للذكر السالم ، يقال : « هذه عشروك وعشروى » بنسبة الياء كلسى ، أى أن ثلاثين حبة أهدتلك من الحجا والعقل مالم تعطه غيرك السجون .
(٢) ألت الذى إن صاق الناس ذروا بمحدث تهلل له وحك بصره ، واتسع له صغرك احتلالا وصبرا ، فنة منك بألك ستكشف البارة ، وتدفع السكرانة .
(٣) وفى مع الطيب : « ظم نعوك » (٤) وفى مع الطيب : « معاطفها » .
(٥) أى : هناك الايادى أى النعم للزدوجة للتكررة والجد الفذ .

مُحَامٍ - إِذَا لَاقَى الْمُنَاجِزَ وَدَّةٌ - وَإِقْبَالُهُ خَطْوُهُ ، وَإِذَا بَارَاهُ حُضْرُهُ (١)
عَاسِينَ ، مَا لِلرَّوْضِ - خَازِمَةُ النَّدَى - رُؤَاهُ إِذَا نُصِتَتْ حُلَاهَا وَلَا نَشْرُهُ (٢)
مَتَى انْتَشِيقَتْ لَمْ تُطَرِّ دَارِينَ مِسْكَمَا حَيَاءٌ ، وَلَمْ يَفْتَحْ بِعَنْبَرِهِ الشَّخْرُ (٣)
عَطَاهُ وَلَا مَنْ ، وَحُكْمُهُ وَلَا هَوَى وَحِلْمُهُ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزُّهُ وَلَا كِبَرُ
قَدْ اسْتَوْفَتْ النِّعْمَاءُ فِيكَ تَمَامَهَا عَلَيْنَا ، فَنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

إلى ابن ذكوان

« كتب إلى الوزير أبي العباس بن حاتم بن ذكوان »

لَسْتُ مِنْ بَابَةِ الْمُلُوكِ (١) أَبَا الْعَبَّاسِ ، دَحْهَمُ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِكَ
مَا جَزَاهُ الْوَزِيرُ مِنْكَ - إِذَا اخْتَصَّكَ - أَنْ تَسْتَعِرَّ فِي إِذْمَانِكَ
أُتْرَاهُ لَا يَسْتَرِيبُ لِإِمْسَا كَيْكَ سَرْدُ الْعِرَاقِ تَحْتَ لِسَانِكَ (٢)
مُدَّ نَهَاكَ - عَنِ الْمَدَامِ - أَتَهَيَّنَا مَعَ أَنَا نُمَدُّ مِنْ صِيَانِكَ .

(١) للماجز : من الماجة وهي المبارزة في القتال والمناظرة ، قال عبيد :

كَلِمَاتِي الْهَنْدُ هَذِهِ الْفَرَسُ الْمَاجِزُ

والمحضر : إحصاء الفرس وعدوه ، يقول هو ملك هلم إذا لاق عدوه للماجز في الحرب والقتال رده منهزما في حال كون إقباله بطيئا وإدباره سرعيا .

(٢) نصت : وضعت على النصة تكسر للهم وفي سرير العروس الذي تنس وتغلي عليه ليل الزفاف ، والنعير : الزاحمة الطيبة ، وفي الأصل « ولا نعير » والنعير أخطاء هنا رواية مع الطيب .

(٣) لم تطل : لم تدع ، وفارين : ثمر على الخليج الفارسي يجلب إليه الطيب من بلاد الهند ، والنعير في مع الطيب « لم تدر » والشعر : ساحل البحر - بين « عمان » و « عدن » - أو هو صنع على ساحل الخليج الفارسي وإلى هذا الصنيع ينسب السمر الشجري ، وهناك عدة مثل بهذا الاسم كما يوجد من « بحم البهال » ، والمعنى : متى فاح عبر تلك الحاس لم تنق دارين على مسكها ولم يحضر الشعر بعينه .

(٤) من بابة الملوك : من الشروط والوجوه التي تصلح لهم ، ويقال : « هذا هي من بابك » أي يصلح لك . يقول : « لست من بيتهم » .

(٥) العراق : بالكسر الجبل المحروز على م السقاء والفرق ونحوها تشبه بحرزه الأسنان في السرد ، والاستواء : وجاء في الأصل « سعد العراق » يقول : أترى الوزير لا يقع في الرية لوضعك مسرودة العراق تحت لسانك ، يريد أنه يحسب البحر من قم ريق مرقق أي على فة عراق .

إلى المعتمد

« كتب ابن زيدون إلى المعتمد يشوقه إلى تعاطي

الحيا في قصوره البديعة التي منها الماركة والثريا (١). »

فُزْ بِالنَّجَاحِ وَأُخْرِزِ الْإِقْبَالَ وَخُزِ الْمُنَى وَتَنْجِزِ الْأَمَالَ
وَلِيَهْنِكَ التَّائِيدُ وَالظَّفَرُ الَّذَا صَدَقَاكَ فِي السَّيِّئَةِ الْعَلِيَّةِ - فَلَا
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَجِدِ الْعُقُولُ النَّاشِدَاتُ كَمَا لَا

* *

أَمَا « الثَّرَيَا » (٢) فَالْثَّرَيَا نَعْبَتَ وَإِفَادَةً وَإِفَادَةً وَجَمَالَ
قَدْ شَاقَهَا الْإِغْبَابُ حَتَّى أَتَمَّا لَوْ تَسْتَطِيعُ سَرَتْ إِلَيْكَ حَيَالَا
رَفَهُ (٣) وَرُودَ كَمَا لَتَنْغَمَ رَاحَةً وَأَطْلُ مَزَارَكَمَا لَتَنْغَمَ بَالَا

* *

وَتَمَثَّلِ الْقَصْرَ « الْمُبَارَكَ » وَجَنَّةً قَدْ وَسَّطَتْ فِيهَا « الثَّرَيَا » خَالَا
وَأَدِرْ هُنَاكَ مِنَ الْمُدَامِ أَتَمَّا أَرْجَا زَكَا وَأَشْفَهَا جَرِيَالَا (٤)
قَصْرٌ يَقْرَأُ الْعَيْنُ مِنْهُ مَصْنَعٌ بِهِجُ الْجَوَانِبِ، لَوْ مَشَى لَأَخْتَلَا
لَا زِلْتُ تَقْرَأُ الشَّرُّورُ وَحَدَاثًا فِيهِ، وَتَلْتَحِفُ النَّيْمِ ظِلَالَا .

(١) وردت هذه القصيدة في الديوان ولم يكتب لها عنوان ، وقد غلطنا هذه الكلمة من مع الطيب

(٢) يعني قصره للشي « الثريا » .

(٣) أي أجل ورودك إليها رخصا أي كل يوم ، يقال وردت الابل رخصا إذا كانت ترد للاء كلاً

شاعت الورد . (٤) الجريال: الخمر ، أم حمرتها وسيقان تصويرها من « ١٥٥ »

مدح ورثاء وتهنئة ^(١)

« وقال أيضا بمدحه ويرثي الوزير الكاتب الأعلى

أبا الحزم أباه رجهما لله . »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ صَبَّهَا الْقَبْرُ وَأَنَّ الْحَيَا ^(٢) إِنْ كَانَ أَقْلَعَ صَوْبُهُ -
فَقَدْ فَاضَ لِلْأَمَالِ فِي إِثْرِهِ النَّجْرُ وَذَنْبُ زَمَانٍ جَاءَ يَقْبَعُهُ الْمُنْذَرُ
إِسَاءَةُ دَهْرٍ أَحْسَنَ الْفِعْلَ بَعْدَهَا ، فَلَا يَتَهَنَّ الْكَاشِحُونَ فَمَا دَجَا
وَإِنْ يَكُ وَلَى « جَهْوَرُ » ، « فَمُحَمَّدُ » خَلِيفَتُهُ الْعَدْلُ الرَّضَى وَأَبْنُهُ الْبَرُّ

* *

لَعَمْرِي لَنِعَمَ الْعِلْقُ ^(٣) أَتْلَفَهُ الرَّدَى هَزَزْنَا بِهِ الصَّنَاصِمَ ^(٤) فَالْعَزَمُ حَدَهُ
وَحَلِيتُهُ الْعَلِيَا وَإِفْرِنْدُهُ الْبِشْرُ فَتَى يَجْمَعُ الْمَجْدَ الْمَفْرَقَ هَمَّهُ
وَيُنْظَمُ - فِي أَخْلَاقِهِ - السُّودُودُ النَّثْرُ أَهَابَتْ إِلَيْهِ بِالْقُلُوبِ حُبَّهُ
وَحَي السَّخَرُ لِلْأَهْوَاءِ ، بَلْ دُونَهَا السَّخَرُ مَرَّتْ - حَيْثُ لَا تَسْرَى مِنَ الْأَنْفُسِ الْمَنَى -
وَدَبَّتْ دَيْبَا لِنَسٍ يُحْسِنُهُ الْخَمْرُ لَسْنَا لَدَيْهِ الْأَمْنُ تَنْدَى ظِلَالُهُ
وَزَهْرَةٌ عَبَّاسٍ مِثْلُ مَا أَيْبَعَ الزُّهْرُ وَقَادَتْ لَنَا عَادَاتُ دُنْيَا كَانَتْهَا

* *

مَلِيكَ لَهُ مِنَّا النَّصِيحَةُ وَالْهَوَى وَمِنْهُ الْأَيْدِي الْبَيْضُ وَالنَّعْمُ الْخَضَرُ

(١) - ارجع إلى ص ١٤٠ و ص ١٧٤ من هذا الديوان .

(٢) - للطر . « (٣) - العيس . (٤) - الجسام . »

نُسِرُ وَفَاءَ - حِينَ نُنَلِّقُ طَاعَةً - فَمَا خَانَهُ سِرٌّ وَلَا رَابَهُ بَهْرُ
فَقُلْ لِلْحَيَارَى: « قَدْ بَدَأَ قَلَمُ الْهُدَى » وَالطَّامِعِ الْمَغْرُورِ: « قَدْ نَفَضَ الْأَمْرُ »^(١)

* *

« أَبَا الْحَزَمِ » قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى - قُلُوبُ مُنَاهَا الصَّبْرُ، لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ
دَجَّ الدَّهْرِ يَفْجَعُ بِالذَّخَائِرِ أَهْلَهُ - فَمَا لِلنَّفْسِ - مُذْ طَوَّكَ الرَّدَى - قَدْرُ
تَهْوُنِ الرِّزَايَا بَعْدُ - وَهِيَ جَلِيلَةٌ - وَيُمْزِفُ مُذْفَارَقَتَنَا - الْحَادِثُ الشُّكْرُ
فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ السَّعَابَةِ لَمْ يَزَلْ - لَهَا أَمْرٌ يُغْنِي بِهِنَّ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ
مَسَاعِيكَ حَلَى لِلْيَايِ مُرْصَعٌ - وَذِكْرُكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَّامِهَا - حِطْرُ
فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمُنِيَّةَ غَايَةٌ - إِلَيْهَا الشَّاهِي طَالًا أَوْ قَصْرَ الْمُنْرُ

* *

عَزَاءَ - قَدْ تَكَ النَّفْسُ عَنْهُ - فَإِنْ تَوَسَّى - قَلَمُكَ لَا الْوَانِي وَلَا الضَّرْعُ الثَّمَرُ
وَمَا الرُّزْهُ فِي أَنْ يُودَعَ الثَّرْبُ هَالِكٌ - بَلِ الرُّزْهُ كُلُّ الرُّزْهِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ
أَمَامَكَ - مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ - طَلِيعَةٌ - وَحَوْلَكَ - مِنْ آيَاتِهِ - عَسْكَرُ مَجْرُ
وَمَا بِكَ مِنْ قَفَرٍ إِلَى نَصْرِ بَاصِرٍ - كَفَتَكَ مِنَ اللَّهِ الْكَلَاءَةُ^(٢) وَالنَّصْرُ

* *

لَكَ الْخَيْرُ، إِنِّي وَاثِقٌ بِكَ شَاكِرٌ - يَلْتَمِسُ أَيْدِيكَ أَلَّتِي كُفِّرْهَا الْكُفْرُ
تَحْتَى الْعِدَا - لَمَّا أَعْتَلَقْتَكَ - جَانِبِي - وَقَالَ الْمُنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْفِهِ عَمْرُو^(٣)

(١) قريب من هذا قول ابن حاتم الأندلسي :

تقول بنو العباس : « هل تحت مصر ؟ » هل لبني العباس : « قد نفى الأمر »

(٢) الرماية والحفظ (٣) لوجع إلى تصغير هذا التل في (ص ١٤٥) من هذا الكتاب

يَلِينُ كَلَامُ كَانَ يَحْشُنُ مِنْهُمْ وَيَقْتَرُ نَحْوِي ذَلِكَ النَّظَرُ الشَّرُّ

* * *

فَمَدَّقْ ظُنُونًا لِي وَفِي ، فَإِنِّي لَأَهْلُ الْبَدِ الْبَيْضَاءِ مِنْكَ وَلَا فخرُ
وَمَنْ يَكُ - لِلدُّنْيَا وَلِلْوَفْرِ - سَعْيُهُ فَتَقَرِّبِكَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَكَ الْوَفْرُ (١)

هدية عنب

« وأهدى إلى الورير العقبه صاحب الأحكام أبي بكر
محمد بن محمد بن إبراهيم جدّه لأتمه عنا عدارى
وكتب معه . »

أَتَاكَ حُيَّيَا عَنِّي أَعْتَذَرَا عَدَارِي دُونَهُ رِيْقُ الْعَدَارِي (٢)
تَحَالُ الشَّهْدَ مِنْهُ مَسْتَمَدًّا وَنَفَعَ الْمِسْكَ مِنْهُ مُسْتَعَارَا
يُرْوَقُ الْعَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاءٍ غَدَا ثَوْبُ الْهَوَاءِ لَهُ شِعَارَا
وَلَوْلَا أَنَّنِي قَدْ نِلْتُ مِنْهُ وَلَمْ أَسْكُرْ خَلَلْتُ بِهِ عُقَارَا
بَعَثْتُ بِهِ وَلَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، لَسَكَانَ مِنْ بَرِّي أَقْصَارَا
فَأَنْسِمِ بِالْقَبُولِ قَرُبٌ نَعْنِي أَعَدْتُ بِهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارَا

(١) يقول : إن من كانت حاجته من الدنيا أن يتجمل عليه وأن ينال الشيء فإنه يطمع بها جميعا حين تدينه منك وتقبل عليه .

(٢) المنارى : صنف من العنب يشبه بأصابع المنارى لطوله ، يقول : أُنَاكُ يَحْمِلُ تَحْيَى . متفرأ إليك « عنب عدارى » « ملو دونه في الخلاوة ريق المنارى » .

رثاء ابن ذكوان

« قال برقي القاضي أبا بكر بن ذكوان . »

أَحْبَبَ لِحَالِ السَّرْوِ كَيْفَ تُحَالُ وَلِدَوْلَةِ الْعُلَيَاءِ كَيْفَ تُذَالُ ^(١)
لَا تَفْسَحَنَّ لِلنَّفْسِ فِي شَأْوِ الْمُنَى إِنَّ أَغْتِرَارَكَ - بِالْمُنَى - لَضَلَالُ
مَا أُمْنَعَ الْأَمَالَ لَوْلَا أَنَّهَا تَمْتَنُّ - دُونَ بُلُوغِهَا - الْأَجَالَ ^(٢)
مَنْ سُرَّ - لِمَا حَاشَى - قَلَّ مَتَاعُهُ فَالْمَبِشُ نَوْمٌ وَالسَّرُورُ خَيَالُ ^(٣)

* *

فِي كُلِّ يَوْمٍ تُنْتَحَى بِرَبِّيَّةٍ لِلْأَرْضِ مِنْ بُرَحَاتِهَا - زَلْزَالُ ^(٤)
إِنْ يَنْكَدِرُ - بِالْأَمْسِ - نَجْمٌ فَاقِبُ فَالْيَوْمَ أَقْلَعَ عَارِضٌ هَطَالُ ^(٥)
إِنَّ النَّبِيَّ « جَهْوَرٌ » وَ « مُحَمَّدٌ » أَبْكَى النِّعَامَ ، فَدَمَعُهُ مُثْنَالُ ^(٦)
شَكْلَانِ - إِنْ حُمَّ الْحِمَامُ - تَجَادَبَا لِأَعْرَوْ أَنْ تَتَجَادَبَ الْأَشْكَالُ ^(٧)

(١) السرو : العرف والسيادة ، يقول : أحب لهذا المجد كيف حال من عهدته ونحوه ، وأحب لهذا العلياء كيف دالت وتبدلت . (٢) يقول : إن أحسن شيء تتمتع به النفس الآمال ، لولا أن الأجل ، تمنع دون بلوغ الآمال .

(٣) من سره المبعش في هذه الحياة الدنيا فليعلم أن متاعها قليل ، وأن الناس فيها ينام لا انتباه لهم ولا يقظة إلا بعد الموت إذن سرورها خيال ، وغرورها باطل .

(٤) تنتحى : تصعد ، يقال انتحاه إذا قصد ناحية ، والبرحاء : الشدة .

(٥) ينكدر : يتقسط ويقل ، قال تعالى « وإذا النجوم انكدرت » أي تاترت ، والعارض : السحاب ، يقول : إن موت أبي مكرم القاضي جاء عقب موت اثنين من آل جهور سيذكركما في البيت التالي لهذا البيت .

(٦) النبي : كقبي الثاني ، من في البيت ينهيه إذا أخبر بموته ، ومثقال : من ثقل الجمع وغيره استفرجه .

(٧) حم : قدر ، والحمام : الموت ، يقول : « جهور » و « محمد » شكلان متجاسران حم للموت على أحدهما فاحمب إليه شكله ، وكذلك الأشكال تتجاذبه .

* *

وَلَيْ « أَبُو بَكْرٍ » قَرَأَ لَهُ الْوَرَى هَوَلٌ تَقَاعَصُرُ - دُونَهُ - الْأَهْوَالُ
قَرْمُ هَوَى فِي التَّرَبِّ - تُحْنَى 'فَوْقَهُ' - قَدْ مَا حَاذَرَ التَّرْسَى الْمُنْهَالُ ^(١)
قَدْ قُلْتُ - إِذْ قِيلَ السَّرِيرُ يُقِيلُهُ - هَلْ لِلْسَّرِيرِ بِقَدْرِهِ أَسْتِقْلَالُ؟
الآنَ بَيْنَ لِلْعُقُولِ زَوَالُهُ أَنْ أَجِيَالُ قُصَارُهُنَّ زَوَالُ
مَا أَفْتَحَ الْأَدْنِيَا خِلَافَ مُودَعٍ غَنِيَتْ بِهِ فِي حُسْنِهَا تَحْشَالُ ^(٢)

* *

يَا قَبْرُهُ الْمَطِيرَ التَّرْسَى لَا يَمْعَدُنْ خُلُوٌ مِنَ الْفَتَيَانِ فِيكَ خِلَالُ ^(٣)
مَا أَنْتَ إِلَّا الْجَفْنُ أَصْبَحَ طِيَهُ نَصَلَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ صِقَالُ ^(٤)
فَهْنَاكَ تَفَاحُ الشَّمَالِ مِثْلَ مَا طَرَقَتْ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ شِمَالُ ^(٥)

(١) قَمَحٌ : تَهَالُ مَوَه ، وَالْفَرَى : الْغَرَابُ الَّذِي .

(٢) حِلَافَ مُودَعٍ : أَيْ صَدَه ، يُقَالُ حَاءٌ دَلَالٌ حِلَافَ دَلَالٍ أَيْ صَدَه ، قَالَ بَعَالِي « وَإِذْ لَا يَلْتَمُونَ خِلَافَكَ إِلَّا لَنِيْلًا » أَيْ خَلَطَكَ كَمَا فِي الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ ، وَالْمَعْنَى : مَا أَمْنَحَ الدُّنْيَا سَدَ هَذَا الرَّاحِلِ الْمُوْدَعِ الَّذِي كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ تَحْتَالُ كَالْمُرُوسِ لِلتَّخْفِيفِ بِحَالِهَا مِنَ الرِّبَةِ ثُمَّ أَصْبَحَتْ صَدَهَ بَجِيعَةٍ دَمِيَّةٍ .

(٣) الْحُلُوُ الْحَلَالُ : مِنَ الْفَتَيَانِ هُوَ الْقَمَحُ الَّذِي لَا رِيَّةَ فِيهِ الْوُثُوقُ هُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
« أَلَا ذَهَبَ الْحُلُوُ الْحَلَالُ الْحَلَالُ وَمِنْ تَوَلَّاهُ حَكْمَ وَعَمَلِهِ وَتَأَلَّ » .

وَقَالَ الْآخَرُ :

« رَأَيْتُ دِمَاطًا جَنَنَ نَحْمَ شَبَابِهِ وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَرْدِهِ عَفْ
إِذَا مَكَانَ أَوْلَادِ الرَّحْلِ حَرَارَةً فَأَتَى الْحَلَالُ الْحُلُوَّ وَالنَّارُودَ الصَّعْبَ » .

وَالْمَعْنَى : يَا قَبْرَهُ الشَّدِيدِ الْمَطِيرِ ثَرَاهُ لَا يَمْعَدُنْ بِكَ مِنَ الْفَتَيَانِ ذَلِكَ الْقَمَحُ الْحُلُوُ الْحَلَالُ أَيْ الَّذِي لَا تَمُوتُ وَلَا رِيَّةَ فِي رَجُولِهِ وَفَتُولِهِ .

(٤) مَا أَمَتْ أَيُّهَا الْقَبْرُ إِلَّا حَمْنٌ طَوَى فِيهِ فَقِي كَتَمَ السَّيْفَ مَقْبَلُ الشَّبَابِ .

(٥) هُنَاكَ أَيْ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ وَوَرَى فِي شِمَالِهِ وَطَبَاعُهُ تَتَفَحُّ بِأَنْوَاعِ الْمَطَرِ مِثْلَ مَا هَبَتْ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ

دَانٍ مِنَ الْخَلْقِ الْمُرِّيِّ ، فَارِحٌ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْهِ مَقَالٌ ^(١)
شِيمٌ يُنَافِسُ حُسْنَهَا إِحْسَانَهَا كَالرَّاحِ نَافَسَ طَعْمَهَا الْجِرْيَالُ ^(٢)

* *

يَا مَنْ شَأَى الْأَمْثَالِ ، مِنْهُ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ بِهِ فِي السُّودِ الْأَمْثَالُ ^(٣)
تَقَصَّتْ حَيَاتُكَ حِينَ فَضْلُكَ كَامِلٌ هَلَّا اسْتُضِيفَ إِلَى الْكَمَالِ - كَمَا ^(٤)
وُدُّعَتْ عَنْ نُحْمٍ تَهْمَرَتْ قَصِيرُهُ بِمَكَارِمِ أَعْمَارُهُنَّ طَوَالَ
مَنْ لِلنَّدَى إِذَا تَنَازَعَ أَهْلُهُ فَاسْتَجَبَلَتْ خُلَمَاءُهُ الْجُهَالُ ^(٥)
لَوْ كُنْتُ شَهِدَهُمْ لَقُلْتُ بِرَأْوِهِمْ لِأَعْرَفٍ فِيهِ - مَعَ الْفَتَاءِ - جَلَالُ ^(٦)

(١) دال : قريب من كل خلق حميد يريه ، فارح : سبب من كل دل فيه عليه لوجه واحدة وجيب ، ولعله كلفظ قول الشاعر :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَسِ الْهَوَى طَادَتْ الْهَوَى إِلَى نَسِ مَا يَبْسُهُ هَلِكُ مَقَالِ »

(٢) جريال الجر : حرمتها الشديدة ، قال الأعشى :

« وَسَيْفَةٌ عَمَّا تَتَقَى نَالِي كَدَمِ الْقَدِيمِ سَلَّتْهَا حَرِيَالُهَا »

ومعى سلتها جريالها - أي لونها وحرمتها - أن لونها طهر على وجهه حين شربها ولكنها حين خرحت منه عند البول حرج بماء ، وطلق الجريال والحريالة على الحر منها ، قال ذو الرمة :

« سَكَأَى أَحَدُ حَرِيَالَةِ دَالِيَةِ كَيْتٍ تَمَثَّلَتْ فِي الْعَطَامِ بِشُمُولِهَا »

وقالوا السلاف - وهو أول ما يجري من ماء الصبي من غير عصر ولونه أصفر - إنه أحود من الجريال ، قال المتنبي :

« وَلَقَدْ خُذْتُ مِنَ الْكَلَامِ سَلَاةً وَسَمِعْتُ مِنْ نَادِمَتَيْنِ حَرِيَالَهُ »

ومعنى البيت الذي نحن بصددده : ناس إحصان شيبك وخلاك حشنها كما ناس لون الرايح طعمها ، حين حمت إلى قبة الطعم حسن اللون .

(٣) وفي الأصل : « يَأْسُ شَاءَ »

(٤) طاحتك البية في الوقت الذي كل فيه فضلك ، فهلا سىء في ممرح حتى تستضيف كمالا إلى كمالك .

(٥) الندى : المجلس ، واستجبلت لستهم إلى الجهل ، والملاء : أصحاب الأحلام أي العقول .

(٦) لو كنت حاضر مجلسهم لاحتهم فلم يعاروك ويخلدوك إذ ذلنا لأمر فيه مع فتاء أثن وفار وهيبة .

* *

مَنْ لِلْعُلُومِ؟ فَقَدْ هَوَى الْعِلْمَ الَّذِي وَصَمَتْ بِهِ أَنْوَاعُهَا الْأَعْفَالُ (١)
مَنْ لِلْقَضَاءِ يَمِزُّ (٢) - فِي أَثْنَائِهِ - إِضْطَاحُ مُظْلِمَةٍ لَهَا إِشْكَالُ؟
مَنْ لِلْيَتِيمِ تَتَابَعَتْ أَرْزَاؤُهُ؟ هَلَكَ الْأَبُ الْحَافِي وَصَنَعَ الْمَالُ؟
أَعَزَّ بِأَنْ يَنْصَاكَ نَعَى شِمَاتِهِ لِلأَوْلِيَاءِ الْمَعَشَرُ الْأَقْتَالُ (٣)
بُجِست رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِقُطْبِهَا لَيْتَ الْحَسُودَ فِدَاكَ فَهَوَى نِفَالُ (٤)

* *

رُزْنَاكَ كَمْ تَمَازَنَ كَأَنَّكَ عَاقِلُ مَا كَانَ مِنْكَ لِوَاجِبِ إِغْفَالُ
أَيْنَ الْحَقَاوَةُ رَوْضُهَا غَضُّ الْجَنَى أَيْنَ الطَّلَاقَةُ بِشْرُهَا سَلْسَالُ
أَيَّامٌ مَنْ يَمْرُضُ عَلَيْكَ وَدَادُهُ يَكُنِ الْقَبُولُ بِشِيرُهُ الْإِقْبَالُ
مَهْمَا تُبْكُ لَا تُرْبِكَ وَإِنْ تَرُزُ رِفْهَا قَسَا لِرِيزَارَةِ إِمْلَالُ (٥)
هَيْهَاتَ لَا عَهْدُ - كَعَهْدِكَ - مَا نِدُ إِذْ أَنْتَ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ جَمَالُ

(١) العلوم المفروكة لصعوبة الحوص فيها لإلهي أمثاله من الباحثين .

(٢) يمل ويمتنع فلا يوجد لاشكها حل .

(٣) أهز : أعظم على صبي منهاك من هجاة أي يمز على ويشق على غنى أن ينصاك الأقتال أي الأعداء من شيماته لأوليائك وأصفيائك .

(٤) قطب الرضى : الحديدة القائمة في وسط الرضى السفلى ، وهو الذى يدور عليه طبق الرضى العليا ، جبل للإسلام رضى هو قطبها الذى تدور عليه ، يسمي أن عليه نظام الاسلام ، ومدار الأحكام ، والشمال ما يوضع نحو الرضى من حله ونحوه ليقى ما يسقط ضد الطعن من التراب ، وهذا لا يكون إلا فى رضى اليد ، حال زهر . « شعركم حرك الرضى بظلالها » ، وللمنى ليلج الاسلام قطب العلماء ورؤسهم ، وليت الحسود كان مداهك مركة الموت عرك الرضى فوق ظلالها أى ليت رضى الموت دارت على حاسدك وشاظك .

(٥) نبيك : الأعيان أن تروره يوما ونقبه أى تقطع عنه يوما أو أباما ، ورها : هو من ورود الأبل ورها وهو أن ترد للباء كما شامت الوردود ، وللمنى : مهما اغطما من زيوتك لم ترتب فى ودنا ، وإن زوتك ورها ولى كل وقت لم تسام ولم تمل الزيادة .

فَازْهَبْ ذَهَابَ الْبَرْءِ أَعْقِبْهُ الضَّنَى
لَكَ صَالِحُ الْأَفْعَالِ إِذْ شِيعَتَهَا

حَيًّا حَيًّا مَثْوَاكَ، وَأَمْتَدَّتْ عَلَى
وَإِذَا النَّسِيمُ أَعْتَلَّ فَأَعْتَامَتْ بِهِ
وَلَيْتَ أَذَلِكَ - بَعْدَ طُولِ صِيَانَةٍ -

سَبَّحُوطُ مَنْ خَلَفْتَهُ مُسْتَبْصِرٌ
كَفَلَ الْوَزِيرُ «أَبُو الْوَلِيدِ» بِجَبْرِهَمْ
مَلِكٌ سَخِيئَةُ الْوَفَاءِ قَالَهُ
حَتْمٌ عَلَيْهِ لَمَّا (١) لِعَثْرَةِ حَالِهِمْ

إِيَّاهَا: بَنِي ذَكْوَانَ - إِنْ غَلَبَ الْأَمَى -
إِنْ كَانَ غَابَ الْبَدْرُ عَنْ سَاهُورِهِ
فَلَكُمْ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَالٌ
مِنْكُمْ وَفَارَقَ غَابَهُ الرَّبُّبَالُ (٢)

(١) اذهب على رغم منا ذهاب العاقبة جاء طعنا للرضاء والأمن وإلى سده الأجل .

(٢) الحيا : للطير ، والمثوى ، القبر ، وضاعى تراك : أى تراك الصامى أى البارز للشمس .

(٣) اعتامت : احتارت ، ومنه قول طرفة :

« أرى الموت يمتاع الكرام ويسطو طيلة مال الفاضل للتشدد . »

واللى : اعتامت أى اختارت المدونات والأصال ساحات التبر وآثرتها بمرور النسيم البليل .
(٤) أذاك : أهلك ، أى لئن انتهك القدر بعد طول صيانة ، فكل مصون لم يتعد إليه يد القدر

سيئال ويهان يوما من الأيام .

(٥) دعاء العائر أن يقيه الله من عثرته ، وإذا قيل « لا لئلا العائر » فعناه لا آفة الله من عثرته .

قال ابن جرير :

« فان عثرت بعدما - إن وأت - عسى من هاتا - قولوا : « لا لئلا »

وإن تكن منها موصولة بالتحف ، سلطت الأسمى على الأسمى . »

وقال الأخطل :

« فلا مدي الله عيسا - من ضلالتهم - ولا لما لبني ذكوان إذ عثروا . »

(٦) الساهور : دائرة القفر ، والرببال : الأسد .

في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله
أبا عمرو عاد بن محمد بن عاد . »

أَعْرَفَكَ رَاحَ فِي عُرْفِ الرِّيحِ ؟ فَهَزَّ مِنَ الْهَوَى عِطْفَ أُرْتِيَا حِي^(١)
وَذَكَرُكَ مَا تَعَرَّضَ أَمَّ عَذَابُ ؟ غَصِصْتُ عَلَيْهِ بِالْعَذْبِ الْقَرَّاحِ^(٢)
وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشَوَاتِ شَوْقِي - هَفَّتْ بِالْعَقْلِ - أَوْ نَشَوَاتِ رَاحِ^(٣)
لَعَمْرُ هَوَاكِ مَا وَرَيْتَ زِنَادُ لَوْصِلَ مِنْكَ طَالَ لَهَا أَقْتِدَا حِي^(٤)
وَكَمْ أَسَفْتِ - مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ - بِسُقْمِ جُفُونِكَ الْمَرْضَى الصَّحَا حِ

* * *

مَتَى أَخِيفُ الْفَرَامَ يَصِفُهُ جِسْمِي بِالسِّنَةِ الضَّنَى الْخُرْسِ الْفِصَا حِ^(٥)
فَلَوْ أَنَّ الثِّيَابَ فُحِصْنَ عَنِّي خَفِيتُ خَفَاءَ خَضْرُوكِ فِي الْوِشَا حِ

(١) العرف : الفتح الرائحة الطيبة ، والعرف : النغم واحد أعراف الرياح وهي أوائها وأطالها ،
والعطف : الجلب ومائله إذا عطفت على شيء حثوا وإشماما ، ونحركه إذا هزته أريمية ، وللي :
أمرطه ومليكه سري إلى أوائل الرياح التي هت مائجة من ناحيتك ، شتى نحوك بمائعة الهوى والارتياح .
(٢) غصصت : كهرقت الماء وزنا ومعنى ، أو وقف في حلقه فلم يسعه ، والقراح : الماء الذي لم يعالطه
غيره ، يقول : وهل ما تعرض ذكرك أم عذاب شرقت لأحله طلاء العذب الذي لم يمتبه شاة لم أسعه ، وفي
الأصل « وذكر ما تعرض أم عداد »

(٣) نشوات : واحدها نشوة ، والنشوة تكون من الريح ومن السكر وهي من السكر أوائله ومقدماته ،
وهفت بالعقل : ذهبت به ، يقال : همت الريح بالشيء فهو أي ذهبت به ، وللي : هل أنا من أهل هواك ،
وبسبب ذكرك ، في نشوات من ربح الشوق أو نشوات من سكر الراح أطارت عقل وأذهبت لي .

(٤) أنعم بهواك إن طول اقتداحي لزناد الوصل لم يورثا رأ .

(٥) في الوقت الذي أخلى فيه حراي عن العادلين بهم على تحول جسي بالسنة للرض الخرساء للقصحة .

لَقَيْنَا مِنَ الْوَاشِينَ حَتَّى وَصَبْنَا الرُّثْلَ أَفْقَاسَ الرِّيحِ (١)
وَرُبَّ ظَلَامٍ لَيْلٍ جَنَ فَوْقِ قُبُوتٍ عَنِ الصَّبَاحِ إِلَى الصَّبَاحِ (٢)
فَهَلْ عَدَّتِ الْعَفَافَ هُنَاكَ نَفْسِي - فَدَيْتُكَ - أَوْجَعْتُ إِلَى الْجَنَاحِ (٣)

* *

وَكَيْفَ أُلْجُ لَا يَنْبِي عِنَانِي رَشَادُ الْعَزَمِ عَنْ غَيِّ الْجِمَاحِ (٤)
وَمِنْ مِرِّ ابْنِ «عَبَادٍ» دَلِيلُ يَدِ بَانَ الْفَسَادُ مِنَ الْمَصْلَاحِ
هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي بَرَّتْ فَتَرَّتْ خِلَالُ مِنْهُ طَاهِرَةُ النَّوَاحِي
هُمْ خَطٌّ - بِالْهَمَمِ السَّوَاوِي - مِنَ الْغُلِيَاءِ فِي الْخَطِّطِ الْفِسَاحِ (٥)
أَغْرُ إِذَا تَجَمَّهَمَ وَجْهَ دَهْرٍ تَبَلَّجَ فِيهِ كَالْقَمَرِ الْإِيَّاحِ (٦)

(١) لقد تلمسنا من الواشين جيلهم في الوقوف على مكتوم أسرارنا ، حتى أصبحنا نسمع بأن تكون
أحاسيس الرياح بريداً يحملها رسائل الحب والفرام ، وقد أبدع ابن الرومي حيث يقول :
« أحسنى كم لي نحوكم من تحية أحلها هلت كل حوب
فلا تتركوا رد السلام إذا حرت شمال على نافي المهل غريب . »
(٢) كثيراً ما أرخى الليل علينا سدوله ، فبنت في طلائمه عن الصباح إلى أن أسفر الصباح ولرب من
هذا قول أبي تمام :

« رحن والليل قد أغام روايا فأكفن الصباح به عموداً . »

(٣) لم تتدنى في تلك الآية التي سمعت فيها بالحبيب حدود العفاف ، ولم تم إلى ارتكاب ما يخالف
طبيعة الحب البريء مما فيه إثم علينا وحاح ، وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :
« كم قد خلوت بها وثالثا التقي يحسى على المطفان برد اللورد . »

(٤) في هذا البيت واتى بعده تخلص من التذنب إلى اللذخ حيث يقول : كيف أُلج في الهوى ، وآتمادي
في الهوى ، ولا يبي حال جاني امتزاي الرشد ، في حل أن لي من سر « ابن عباد » وقوة معه دليل
عرفت به الرشد من الهوى ، والمصالح من الفساد .

(٥) خط : اختط الأرض وهو أن يسلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها ليبيها ، والخطط :
جمع خطلة يكرر أولها ، وهي الأرض التي يختطها لنفسه ليبيها .

(٦) الإيَّاح : يكرر وفتح أوله الأيَّاح الثلاثي

صَمِيعُ النَّصْرِ لِاسْتِعْدَاءِ جَارٍ
 صَرَائِبُ جَهَنَّمَ - فِي الْقَتَبِ - تُثَلَّى
 إِذَا أَرَجَ الشَّاهُ الرُّوْعُ مِنْهَا
 هُوَ الْمُبْقَى مُلُوكَ الْأَرْضِ تَذَى
 رَأَاهُ اللَّهُ أَجْوَدَ بِالْعَطَايَا
 وَأَفْرَسَ لِلْمَنَابِرِ وَالْمَذَاكِي
 وَأَشْتَمَهُمْ حَتَّى عَرَضَ مَضُونٍ
 فَرَضَ لَهُ الْوَرَى حَتَّى تَأْدَتْ
 « لِعُتْصِدِ » بِهِ أَرْضَاهُ سَفِينَا
 فَنَ قَاسَ الْمُلُوكَ إِلَيْهِ جَهْلًا
 أَصَمُّ الْجُودِ عَنْ تَقْنِيدِ لَاحٍ^(١)
 بِأَخْلَاقٍ لَدَى الْقَتَبِ مِلَاحٍ^(٢)
 فَكَمَ لِلْمِسْكِ عَنْهُ مِنْ أَفْتِضَاحٍ
 قُلُوبُهُمْ كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ
 وَأَطْمَنَ بِالْمَكَايِدِ وَالرَّمَاكِ
 وَأَبْنَى فِي الْبُرُودِ وَفِي السَّلَاحِ^(٣)
 وَأَوَسَّعَهُمْ ذُرًّا مَالٍ مُبَاحٍ
 إِلَيْهِ إِتَاوُهُ الْحَيُّ الْقَافِحُ^(٤)
 فَأَقْبَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ الْفَلَاحِ^(٥)
 كَمَنْ قَاسَ النُّجُومَ إِلَى بَرَّاحٍ^(٦)

(١) الاستعداد : الاستعانة وطلب العصرة ، والتمديد : الموم وتعميد الرأي ، ولاح : اسم فاعل من لجاه يجاه إذا لاه وعده .

(٢) صرائب : سحايا وطائع جمع ضريبة ، وجة : طاية من جهه إذا استظه بوجه كربه ، والقي : الرجوع إلى ما يرضى العاقل . وفي اللث « لك أختي ولا أعود » أى لك منى أن أعتبك أى أرسبك ولا أعود إلى ما يسطعك .

(٣) أفرس : أفضل تمصيل من المراساة بالفتح والعروسة والعروسية وهى الخندق يركوب الخيل ، وفى اللث : أفرس من ملاعب الأسنة ، وأفرس من طاهر ، وأفرس من بسطام ، والمذاكي : الخيل التى أتى عليها بعد تمام السن أى - بلوغها النجابة فى الشاب - سنة أو سنتان ، وللمى أنه أحقق للملوك باعتلاء المناير وركوب الخيل وأبهاهم لسانا وليوساى السلم والحرب .

(٤) الإتاوة : الحراج وكل ما أخذ مكره أو فرس من أموال الجباية ، والمضى القفاح : فى اللسان قوم لفتح وحى لفتح لم يديوا للملوك ولم يملكوا ولم يصيبهم فى الجاعلية ساء أشد ابن الأعرابي :

« لسر أيك والأبناء تسمى لثم الحى فى الحسلى وياح

أبوا دين للسلوك فهم لفتح إذا عيخوا إلى حرب أشاحوا .»

(٥) أقبل وجهه : من قولهم أقبلت القى أى جعلته على قبالة وجهه وللمى أن سكان المواضر والبوادي دانوا بالطاعة « لعتصد » بالله أرضت مولاه مساعيه فأقبل الله وجهه وجه الفلاح أى جعل وجهه يستقبل جهة الفلاح : (٦) إلى أرض طاهرة

وَمُعْتَقِدُ الرِّبَاسَةِ فِي سِوَاهُ كَمُعْتَقِدِ النُّبُوَّةِ فِي سَجَّاحٍ (١)

(١) هي «سجّاح» بنت الحرث بن سويد بن ضحان التميمية ، وكانت تسكن البصرة و أخوالها من بني ثعلبة ، فادعت النبوّة وخرحترت غزو المدينة في عهد «أبي بكر» رضي الله عنه ، وحررت بينها وبين مسلمي قوما - من بني نعيم - حروب انتهت صرحا مما اعتزمت من الذهاب إلى المدينة لنزوها ، فأظلمت إلى الجحامة وتقاتل مع مسيلة ، ثم رجعت إلى موطنها من بلاد الحررة وبقيت في أخوالها - من بني ثعلبة - إلى أن ظلمهم «سماوية» طام المحاسة : وحادت معهم فاسفلوا وأسلت وحنن إسلامهم .

حروب الردة وقصة سجّاح ومسيلة

وقد كتب المؤرخ «دوري» كلمة جيدة عن «سجّاح» ر «مسيلة» وعن حروب الردة في كتابه القيم : «تاريخ الاسلام» وقد نقرأ بعض مصوله في كتاب «مختارات كامل كيلاني» ، ونفس نخترى منه بما يلي : كان الوقت عصيا ، وكان الظروف مائة في المخرج ، فقد كان موت النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كانت تترقبه العرب منذ زمن طويل موارغ الصبر مؤدأ بالثورة و كل مكان ، ولقد كنت ترى الثائرين - في حينها ذهبت - راضين تلم الثورة والفرقة ، وقد رحلت كعقهم أيما رحمان حتى لقد طردوا ولاهم من بلادهم ، فلم يجد هؤلاء أمامهم ملجأ إلا المدينة ، فتقاطروا عليها من كل فج يحشون بها من أذاهم . وكان لا يمر يوم حتى يفد على المدينة منى الولاة والصال الطرودين ، وأعدت القاتل الماودة للمدينة عذبا لحصارها .

مكيف يتألمهم «أبو بكر» وليس لديه جيش محاربهم به صد أن أرسل جيشه إلى سوريا ليقتها تنقيدا لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - رعم صبيحة المسلمين الذين رأوا خطورة الحال ، قد ألحوا عليه أن يبدل عن تعيد فكرة المتع حيث ، فقال لهم : «لن أخالف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولو أصبحت المدينة عصيا نهأ للثائرين والمتردين ولا بد لي من تحقيق مشيئته !»

ومن ثم ترى الخطر العظيم دايما على أمه - على الحقيقة - خطر أقل مما تدل عليه ظواهره ، فان قوة الحزم الحقيقية لا تنفاس مما لديه من عدة ورجال بل مما عنده من قوة منوية ، وبما يصبو إلى تحقيقه من غاية سامية يتطلع إليها ويعوس عمار الحرب من أهلها بأذلا في سبيلها المس والميس .

فما هي الماية التي يسي إليها الثائرون ؟ وأي حار يدعهم إلى إضرام هذه الحرب ؟
أهو إيمان وثيق متوشح في أحقاد طوبهم كإيمانهم الذي كانوا عليه قبل الحق ؟ لو كان ذلك لما كان ثمة شك في انتصارهم الحاسم !

ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، فأنهم لا يحاربون الآن لينصروا دينهم القديم ويؤيدوه ، بل هم يشودون على دينهم الجديد لأنهم لا يستطيعون احتماله .

وليس هذا بالسبب القوي الذي يلهب حاستهم ويحفرهم إلى الاتيان بمجالات الأعمال ، ولا هو بالسبب الذي يخلق البطولة والأبطال ، فقد كان رؤساء القبائل للثردة أنفسهم شاعرين كل الشعور بصعق قوتهم للثورة ، ملجأ مضهم إلى فكرة سحيقة حسوا أنها تعيد إليهم تلك الحقوة ، فادعوا النبوّة ! وخيل إليهم أن عمدا - صلى الله عليه وسلم - لم ينصح إلا بهذه الفكرة فأرادوا تخليده .

ولكنهم نسوا أمرا واحدا - هو سر نجاحه في بث دعوته - ذلك أنه كان مؤثما بما يدعو إليه إيمان المسلمين الجازم . وهذا هو الذي يوزمهم ويبره لايم نجاح .

أُبْحَرَ الْجُودُ - فِي يَوْمِ الْمَطَايَا - وَلَيْتَ النَّاسُ فِي يَوْمِ الْكَفَاحِ

وكانت تلك الثمرة الهائلة تلك الحرب الشمواء - على ما أريق فيها من دماء غزيرة إذا تورفت بما أتاه السلولون في غزواتهم التي من بها الاسلام - ظاهرة سحيقة مصحكة ، يتخلل فيها الالسال - غير فصد - كيف قلبوا تمثيل هذه الرواية الجدية - التي مثلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - مهرة وعينا ؟ ألا ترى إلى مسيلة لدى مثل دور النبي صلى الله عليه وسلم في النيامة ؟ ألا ترى إلى ذلك الدحال السوق النمس ، ذك المشعوذ السح الذي لا يصلح لمير التدجيل وإدخال يصة في زجاجة ضيقة الموهة ؟ ألا ترى إليه ينشئ - قرأما سحيقا يظن به عمداً - صلى الله عليه وسلم - ثم يرخص لأتباعه في شرب الخمر أنى شاءوا ، ولا يكاد يشعر بدعوتة حتى يصادفه سوء الحظ فتعاصره « سجاح » وتنازعه السوءة ؟

أما «سجاح» هذه فتدكاب مسيحية نشأت في «بلاد النهرين» وجاءت تبث الدعوة لنفسها - على رأس جيش عظيم قادا يصح مسيلة ؟ ليس أملاه إلا أن يلجأ إلى طريق السالة - وقد فعل - فأرسل إليها هدايا فاخرة ودعاهها إلى زادتته ، وطال بينهما الحوار .

ولما عادت «سجاح» إلى قومها سألوها عن رأيها في «مسيلة» فقال لهم - :

« لقد رأيته نيا حقا فتروحت منه ! »

سألها التيبويون - : « هل أهدى إلينا شيئا من مهر الرواح ؟ » فالت : « لا » فقاوا لها - :

« طار علينا أن نزوج بنتا بلا مهر ! ولن تعيل ذلك بحال ما ! »

فأرسلت إليه بذلك - وكان «مسيلة» حثما حثصنا - فلما جاءه الرسول لم يأذن له حتى عرف العرض الذي جاء من أخيه فاضآن إليه وهل له :

« عد إلى قومه فأخبرهم أن «مسيلة بن حبيب» رسول الله قد رفع عن التيبين - من السلوات المحس - صلاة الصبح والمشاء »

ولقد فرح التيبويون بذلك وغالوا بدعوه حتى بعد أن طادوا إلى الاسلام من جديد .

ومن ثم ترى أن هؤلاء الثائرين ليس لهم عنيمة جديدة يدافعون عنها ، فلاغرو إذا قهرهم رجل كأبي بكر وثيق الإيد قوي الإرادة صلب العزيمة لا يعرف هزيمة في لزعام أتومهم ولا راحة ! ولو شاء أبو بكر أن يبادم - لتارل لهم من قبيل من مطالبه مكسب بذلك مساعدة كثير من القبائل - أو ممن جادهم على الأقل - فقد وعدوه بالمواطنة على إمامة الصلاة للفروضة عليهم على شريطة أن يصيبهم من إثمها الزكاة ، ونسحه أعيان المسلمين أن يغبل ذلك منهم مرض رأيهم بإباء شديد ، وقال لهم :

« إن الاسلام فاتون واحد لايجراً ، وليس لأحد أن يأخذ بعصه ويرفض بعض الآخر . »

ونذكان هذا الاصرار الحارم وذات الحق الشديد - على أهل الردة - سبباً فيمنحه قوة أكثر مما تصور .

ولم يكذ ينتهي من إخصاع القبائل المجاورة له حتى بدأ يهاجم «طلحة» الذي كان بطلام قبل وقد جاءه - من حين عن دخول للمركة فظل يرفب الحرب - وهو بعيد عن الليدان - مدترا في عبادة

لَقَدْ سَفَرْتَ بِمِلَّتِكَ الْيَالِي لَنَا عَنْ وَجْهِ حَادِثَةٍ وَقَاحٍ^(١)

كأنما يؤمل أن ينزل وحى من السماء أو تحدث معصرة خارقة ، وقد لبث زمناً طويلاً ثم وقت المعجزة - إذ بدأت تهرم قبيلته أشنع أنهرام - وحينئذ صاح في جنده « احتفوا حفوى إن استطعتم . » ثم امتطى جواده وأطلق له السنان وأمن في دراره .

وكانت تلك المعركة التي اصطلاها المسلمون معركة مروعة ماثلة ، وفي الحق أن الدعاء التي أريقت في هذه الحرب كانت أكثر مما أريق في تلك الحروب الفاتحة التي شبت - بجانب من المسلمين والفرس ، ثم بين المسلمين والامبراطورية الرومانية ، وقد اقترب العرب من الطغائع في هذه الحرب « حرب الردة » شتياً لم يعرفها الاسلام قط . مكابوا إذا انهزم العدو تقبوه ونكلوا به . لأن الردة حراؤها القتل ، لا هوادة في ذلك ولا رحمة ، وقد بست أبو بكر إلى خالد يأمره بقوله - :
« عليك بآبادة الكفر بالحديد والمار ، ولا تأخذك رحمة بهم قط »

ولقد انهزم أصحاب « مسيلة » - وكان عددهم زهاء عشرة آلاف مقاتل - ومروهم المسلمون شراً مرمقاً ، وغرقت بلاد العرب كلها في الدماء .

ولكن الاسلام قد خرج من تلك الماركة - الناجية في كل مكان - مؤيداً منصوراً ، ودان به العرب بعد ذلك . - طوعاً أو كرها - فقد اتهمهم حذلاهم بوجوب الاعتراف بالدين الاسلامي ، إن لم يكن اعتراف السفيفي المؤمن باعتراف الحائث الذي يعرف قوة هذا الدين المعنوية التي لا تحدى منها أية مقاومة .

بعد النصر

ولم يكدهم انتصار أبي بكر حتى وحه هؤلاء البدو الناصيين إلى السماء ، إلى مهاجمة فارس والامبراطورية الرومانية ، وهذا العمل - بعد من ينظر إلى ظواهر الأمور وحدها - سحرة وتهور ، ولكنه - على الحقيقة - درانة وتغل .

ولمّا سار أبو بكر في هذا على خطة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يتبعها ، وحى أن يشعل العرب عن التفكير في خصومهم ولا يدع لهم وقتاً كافياً لذلك ، وقد رأى أن خير ما يربطهم بالاسلام لا يكون إلا عن طريق الفتح والانتصارات الحربية وما يجره ذلك من النتائج .

النتائج

وهكذا انتهت حروب الردة ولم تقم المرتدين بسدما فائقة ، وقد كان عقاب الردة اقلل ، ومن هنا تظاهر الناس بالاسلام ووثقوا عند هذا الحد .

ومن - إذا استقينا صفوة المسلمين ونوابهم المؤلفة من المهاجرين والأنصار وبعض من يمتثل إليهم بسبب - لم نجد بعد ذلك من يعرف القرآن رسالته إلا عدداً غاية في القلة . أما العرب الذين استوطنوا أفريقيا فقد ظفروا - حتى صد مضى قرن من الهجرة - لا يسمعون من الاسلام أكثر من أنه دين أتى بحريم الخمر . أما أولئك الذين استوطنوا مصر فاتهم ما تحدثوا عن الاسلام أو شملوا به أنفسهم قط . وكانوا لا يدكرون إلا أيام الوثنية وعهودها اللطيفة بالشاء والحنين .

(١) وقاح : صلبة الوجه لاجلها فيها ، يقال رجل وقح الوجه ووقاح الوجه صلب لاجلها فيه ، والأقي وقاح بنهر ماء

الَسْتُ مُصِحَّهَا مِنْ كُلِّ ذَلِكْ ؟ وَبُئْدَى حُسْنِ أَوْجْهِهَا الصَّبَاحُ
وَلَوْ كَشَفْتَ عَنِ الصَّفَحَاتِ شَامَتِ بُرُوقُ الْمَوْتِ مِنْ يَبِضِ الصَّفَاحِ^(١)

* *

وَقَالَ اللَّهُ مَا تَخْفَى وَوَالَى عَلَيْكَ بِصُنْعِهِ الْمُغْدَى الْمَرَّاحُ^(٢)
فَلَوْ أَنَّ السَّمَادَةَ سَوَّغَتْنَا تَحَارَتَهَا الْمِلَّةُ بِالرَّيَّاحِ
تَجَافَيْنَا عَيْدَكَ عَنْ نُفُوسِ - عَلَيْكَ مِنَ الضَّنَى - حَرَى شِحَاحِ^(٣)
نَهْنَأُ فِيكَ بِالْبُرْءِ الْمَوْقِ وَتُبْجُحُ مِنْكَ بِالْأَلَمِ الْمَزَاحِ

* *

فَدَيْتَكَ كَمْ لِعَيْنِي مِنْ شُمُوءِ - لَدَيْكَ - وَكَمْ لِنَفْسِي مِنْ طَمَاحِ
أَلَا هَلْ جَاءَ مَنْ قَارَفْتُ أَنَّى بِسَاحَاتِ الْمُنَى رَفْلُ الْمَرَّاحِ^(٤)
وَأَنَّى - مِنْ ظِلَالِكَ - فِي زَمَانِ نَدَى الْأَصَالِ زَفَرَاتِ الضَّوْاحِ
تُحْيِيَنِي بِرِيحْمَانِ التَّخَنُّيِ وَتُصْبِحُنِي مُتَمَتِّعَةُ السَّمَاحِ^(٥)
فَهَا أَنَا قَدْ تَمَلْتُ مِنَ الْأَيَادِي إِذِ اتَّصَلَ اغْتِبَاقِي فِي أَصْطِلَاحِي

(١) لو كفت هذه البالي ، وأبنت عن مسمعة الفم والعداء لامت سيوف بأسى للدموح
طلع يبروق موت وحلاك تلك البالي التي فأحلتنا عرصه ، سد أن أمها من كل داء وحلح عليها
من الرواء والحسن أبهى رداء .

(٢) وقال الله ما تخفى من طروس المرض وحصك من كل عذور وعوف ، وتهدك بحبل صنه الممدى
للراح أي التي يحل بسدو عليك في أوله التهار ، وروح في آخره ، فلا يملك سنبه ، ولا يحلف
عك إحسانه .

(٣) المص : السقم ، وحرى : عطشى ، وشطح : جمع شجيرة من الشح وهو البعل .

(٤) الرمل : جر الدبل وركنه بالرجل ، يقول : ألا هل أنى من فارقت من تبال « قرطبة » أنى
أجر ذيل مرج وأرسل في ثياب النعمة ، غصادة المند

(٥) النحر : الحفاوة ، وال

فَإِنْ أَعْجَزَ فَإِنَّ النُّصْحَ تَقَفَ وَإِنْ أَشْكُرَ فَإِنَّ الشُّكْرَ صَاحَ
لِأَكْسَبَتْ قَدْرِي مِنْ مَنَاءِ وَمَا لَقِيتَ سَفِي مِنْ نَجَاحِ

* *

لَقَدْ أَنْفَذْتَ - فِي الْأَمَالِ - حُكْمِي وَاجْرَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى اقْتِرَاجِي
وَهَلْ أَخْشَى وَفُوقًا - دُونَ حَظِّ - إِذَا مَاتَ رَيْشُكَ مِنْ جَنَاحِي
فَمَا أَسْتَسْقِيتُ مِنْ غَيْمِ جَهَامِ وَلَا أَسْتَرْوِيْتُ مِنْ زَنْدِ شِحَاحِ
وَوَاصِلِي جَبِيلِكَ - فِي مَتَابِي - وَطَالَعَنِي نَدَاكَ مَعَ انْتِرَاجِي
وَلَمْ أَتَفَكَّ - إِذْ عَدَّتِ الْوَوَادِي - إِلَيْكَ رَهْنِ شَوْقِي وَالتِّيَاحِ
فَعَسَى أَنْتَ - مِنْ مُنْدٍ لِنُعْنَى - وَحَسْبُكَ بِي بِشُكْرِ وَأَمْتِدَاحِ

هدية تفاح

« وأهدى إله تعالها وأراد أن يكتب معه قطعة ،
فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها . »

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِدَةً وَقَدَّتْ خَيْرَ وَافِدَةٍ
وَجَدْتَ سَوْقَ ذَوْبَهَا - عِنْدَ تَقْوَاكَ - كَاسِدَةٍ
فَاسْتَحَالَتْ إِلَى الْجُمُودِ وَجَاءَتْ مُكَايِدَةٍ

والقطعة التي بعثت هي هذه

جَاءَتْكَ وَافِدَةُ الشُّمُولِ فِي الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ
لَمْ تَحْظَ ذَائِبَةً لَدَيْكَ وَلَمْ تَنْلِ حَقَّ الْقُبُولِ

فَتَجَامَدَتْ مُخْتَالَةً وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا الْحَوِيلَ^(١)
لَوْ لَا أَقْبَلَابُ الْإِمْنِ سُدَّتْ دُونَ بُعَيْتِهَا السَّبِيلَ^(٢)
لَهَجَرَتْهَا مَافِرَاءُ فِي يَبْضَاءَ هَاجِرُهَا قَلِيلَ
الْكَأْسُ مِنْ رَأْدِ الضَّحَى وَالرَّاحُ مِنْ طَفْلِ الْأَصِيلِ
آثَرَتْ عَائِدَةَ الثَّقَى وَرَغِبَتْ فِي الْأَجْرِ الْجَزِيلِ
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي مَا فِي الْمُلُوكِ لَهُ عَدِيلُ^(٣)
يَا مَاءَ مَزْنٍ ، يَا شِمَا بَ دُجْنَةٍ^(٤) ، يَا لَيْتَ غِيلِ
يَا مَنْ عَجِينَا أَنْ يَحْمُو دَ يَمْلِهِ الزَّمَنُ الْبَخِيلِ
بُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٌ فِي ظِلِّ إِقْبَالِ ظَلِيلِ
رَقَّتْ كَمَا سَالَ الْعِذَا رُ يَحَابِبِ الْخَدِّ الْأَسِيلِ
وَتَأَوَّدَتْ كَالْفُضْنِ قَا بَلْ عِطْفُهُ نَفْسُ الْقَبُولِ^(٥)
يُضِي مَقْبَلُهَا الشَّعْيُ وَلَحْظُهَا السَّاجِي الْعَلِيلِ
فَقَمَلَهَا^(٦) فِي الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ وَالْعُمُرِ الطَّوِيلِ

(١) الحويل : الحيلة ، يقال : احتال احتيالا وحولا وحيلة وحويلا ومحالة ، قال دؤاد يمان زوجة :

« حاولت - حين صرمتي - والمرء مسحر لا المحالة
والنمر يلبد بالمسح والعر أروع من ثماله
والرء يحسب ماله بالشح ، يورثه الكلاله . »

وفي اللؤلؤ للمهور : « للمرء يحسز لا المحالة » أو « لا محالة » في رواية أخرى ، أي لا يصحيق بحارج الأمور
إلا على الماهر الذي لا يعرف وحوه الحيل . ويقال : احتال وتحيل وتحول ، قال أبو الملاء :
« لا يحسبك خطيب - فام في ملا مخطبة ذات معانها وطولها
فما الطلث - وإن راع - سوى حيل من ذي مقال على ناس تحولها . »

(٢) يقول : لو لا اغتلاب عينها من ذائفة إلى حامدة لست دون ما تديه من إهداء تمها إليك السبيل
لأنك لا تبيح لها أن تزور بملكك وهي دائبة . (٣) يقال يوم دحنة ، والمحنة : الطلعة والقيم المطبق
الريان للظلم لا مظهر به . يقول : إنك نور تبدد البياض والطلقات .

(٤) القول : ربح المصا ، فلما وفك ما تها هابل المدور . (٥) انهم بها .

شكر على زيارة

« قال يشكر المعتمد على الله أبا القاسم محمد
ابن المعتز بالله عباد بن محمد بن عباد ، وقد
شرفه بالعبادة في بعض عله . »

لَسْتُ بِالْجَاهِدِ آلاءَ الْعِلَلِ كَمْ لَهَا مِنْ أَلَمٍ يُدْنِي الْأَمَلِ
أَجْتَلِي - مِنْ أَجْلِهَا - بِذَرِّ الْمَلَأِ مُشْرِقًا فِي مَنَزِلِي حِينَ كَمَلِ
حُلَّةُ الْبَسِّ عَيْنِي فَغَرَهَا فَأَعْتَدْتُ تَرْفُلُ فِي أَبْنَى الْحُلَلِ
رَفَّ بِشَرِّ الْأَفْقِ فِي عَيْنِي لَهَا لَا لِأَنَّ الشَّيْءَ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ^(١)
مَا أَتَالِي مِنْ زَمَانٍ بَعْدَهَا إِذَا صَحَّ النَّفْسَ - إِنْ جَسَنِي أَعْلِ^(٢)

أَيُّهَا الْمَوْلَى لَقَدْ حُمِلْتُ مَا لَمْ يَدْعُ فِي وَسْعِ عَبْدٍ مُحْتَمَلِ^ب
وَصَحَّ الطُّوقُ الَّذِي حَلَّيْنِي قَرَأَتْهُ نَفُوسٌ لَا مَقْلَ^(٣)
أَنَا لَوْ طُوِّقْتُ مِنْهُ بَدَلًا أَنْجَمَ الْجَوَازِءَ لَمْ أَرْضَ الْبَدَلِ
كَمْ مَرَادِي - مِنْ نَعْمَائِكُمْ - وَارِفَ الظِّلِّ وَكَمْ وَرِدَ عَمَلِ^(٤)
لَا تَزَلْ دَوْلَتُكُمْ مَبْسُوطَةً بَسْطَةً فِي طَيْبِهَا قَبْضُ الدُّوَلِ
وَرَأَى الْمُتَضَيِّدُ الْمَنْصُورُ مَا أَنْبَأَتْهُ فِيكَ لَيْتَ أَوْ لَعَلِ
فَسَتَلْقَاهُ اللَّيَالِي طَلَاتَةً بِتَفَارِقِ أَمَانِيهِ جَمَلِ^(٥)

(١) الحمل : برج في السماء من البروج الربيعية ، يقول إن الأفعى أشرق بنوره وازدادت يبهاته لايهاه
للشمس التي حلت في برج الحمل .

(٢) يقول : لا أألى بعد أن صحت منى بزيارته وتفرغه منزلي إن أرض البحر حسنى .

(٣) يقول : إن إحسانك الذي طوِّقْتُ به حتى قد وصح لنفوس لا يعيون . وفي الأصل : تهادته من
مأى في العوى . يعأى مأيا بالغ وتعالى الخلد إذا مددته وقد سبق له هذا المعنى في قوله :

« يا هلالا تقرأدا » نفوس لا يعيون . » اطر صفحة ٣٩ .

(٤) الظل : العرب الثاني . ويقال ظل بعد نهل أى ضرب ثل بعد ضرب أول أى إنه يورد حيائى كرمه
مرة بعد أخرى . (٥) أى سينبأ البحر جلة أمانيه للفرقة فلا يدع منها شيئا إلا حلقه له .

تهنئة

« وقال يهيه أيده الله بقدم وإبلال » .

أَفْتَدَمَ كَمَا قَدِمَ الرَّيْسُ الْبَاكِرُ وَأَطْلُعَ كَمَا طَلَعَ الْمَبَاحُ الزَّاهِرُ
قَتَمًا لَقَدْ وَفَى الْمُنَى وَتَقَى الْأَسَى مَنْ أَفْتَدَمَ الْبُشْرَى بِأَنْكَ صَادِرُ
لَيْسَرٌ مُكْتَنِبٌ وَيُغْنِي سَاهِرُ وَيَرَّاحُ مُرْتَقِبٌ وَيُوفِي نَاذِرُ
قَقْلٌ وَإِبْلَالٌ - عَقِيبٌ مُطِيفَةٌ - غَشِيَتْ كَمَا غَشَى السَّبِيلَ الْعَابِرُ^(١)
إِنْ أَعْنَتَ الْجَنَمَ الْمَكْرَمَ وَعَكَمَا فَلَرُبَّمَا وَعِكَ الْهَزَبُ الْخَادِرُ^(٢)
مَا كَانَ إِلَّا كَانْجِلَاءَ غِيَابَةٍ لَيْسَ الْفِرْدَنْدِ بِهَا الْحُسَامُ الْبَاثِرُ^(٣)
فَلْتَعُدَّ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ وَذَاتُهَا شُكْرُ يُجَاذِبُهُ الْخَطِيبُ الشَّاعِرُ
إِنْ كَانَ أَسْعَدَ مِنْ وَصُولِكَ طَالِعُ فَكَذَلِكَ أَيْمَنَ مِنْ قَفُولِكَ^(٤) طَائِرُ
أَضْحَى الزَّمَانُ نَهَارُهُ كَافُورَةٌ وَاللَّيْلُ سِكَ مِنْ خِلَالِكَ - عَاطِرُ
قَدْ كَانَ هَجَرِي الشَّعْرَ قَبْلُ - صَرِيعة^(٥) حَذَرِي لِذَلِكَ النَّدِيدِ فِيهَا عَازِرُ
حَتَّى إِذَا آتَسْتُ أَوْبَكَ بَارِئًا صَفَتِ الْقَرِيحَةُ وَأَسْتَنَارَ الْخَاطِرُ^(٦)
عَى قَلْبَتِ إِلَى الْبَلَاغَةِ عِيَهُ لَوْلَا ثِقَاكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ سَاحِرُ^(٧)
لَقَعْتُ ذَهْنِي ، فَأَجْنِ غَضَّ عِمَارِهِ فَالْعَلُّ يُحْرِزُ مُجَنَّنَاهُ الْآبِرُ^(٨)

(١) يقول : قدم من المرص عقيب علة أطال بك وعشيتك عشيك طار سابل .
(٢) الويك : الحى أو ألمها والوعوك انشوم ، والخابر : العابر الكلال ، والأسد الخادر : القيم و خذوه أي الذى لم يحزنه . (٣) يقول : لم يكن المرص إلا مرة عاد بعدها الحسام إلى حلاله وروقه .
(٤) رحوك . (٥) الصرعة : للزعة ، يقال : « هو رجل فوصرعة وصرائم » أي ذو هزعة ،
يقول : إنى محرت قبل قدومك الشعر هجرًا صارما فاطمًا ، وعذرى و ذلك واضح وهو ما كنت أحذره
من ذلك القدر الذى يصرس له شعري ، أما الآن فقد صمت القرية لأوبك بارئًا . (٦) يقول كنت اعترمت
هجرًا بشر حتى إذ آس حاطرى إياك من سرك صمت قريحتي وشهد مكرى ففتحت أمامى طرق الشعر .
(٧) يقول لك ألفت العي بالبيان فناد بليما ولولا أنك تقي لانهتك بالسحر في ذلك . وفى الأصل :
« عي ورددت إلى اللافة عيه . »

(٨) يقال لفع الحفنة وأفعها وأفع الحفل النافة أحبلها ، وأفعت الرمح الشجر والسحاب أحبلتها ،
والواقع من الراس : لقي تحمل القذى ثم تبعه و السحاب فاذ اجتمع في السحاب صار مطرًا ، يقول لك :
لعت ذهني - كما يفتح الزارع التلعة - فأنى بأحسن التمر وأهداه ، فأنت أبقى باجتهاء الغرل لك فارسه ومعهده .

كَمْ قَدْ شَكَرْتَكَ غِيبَ ذِكْرِكَ - فَأَنْتَ شَى مُتَذَكِّرٌ مِثِّى وَغَرَدَ شَاكِرٌ ^(١)

بِأَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِى عَلَيَاؤُهُ ^{***} مِثْلُهُ - تَنَاقَلُهُ اللَّيَالِى - سَاوَرُ

يَا مَنْ يَبْرِقُ الْبَشِيرُ مِنْهُ تَهْلُلُ مَا عِشِيمَ إِلَّا أَنْهَلَ جُودُ هَامِرُ

أَنْتَ ابْنُ مَنْ عَجَدَ الْمُلُوكَ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْمَجْدِ عَيْنٌ فَهَوَ مِنْهَا نَاطِلُ

مَلِكُ أَغْرُ أَرْذَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَأَعَزَّ دِينَ اللَّهِ مِنْهُ نَاصِرُ

أَبْنَاكَ فِي ثَبِيجِ الْمَجْرَةِ قُبَّةَ فَهَنَّاكَ أَنْكَ لِلنَّجُومِ مُخَاصِرُ ^(٢)

وَتَلَقَّ مِنْ سَمْتِكَ - صِدْقَ تَقَاوُلِ فَهَمَّا « الْمُوَيْدُ » بِالْإِلَهِ « الظَّافِرُ » ^(٣)

ابتداء قصيد

« وهال ابتداء قصيد اعتقد إغاضه إليه وقد طالت

غيبته في بعض أسفاره ولم يكلمه . »

سَاهَدَى النَّفْسَ فِي نَفَسِ الشَّمَالِ فَقَدْ لَفَحَ التَّشَوُّقُ عَنْ خِيَالِ

إِلَى الشَّيْءِ الْمَرَامِ - إِنْ أَثِيرَتْ حَصِيظَتُهُ - إِلَى اللَّذَنِ الْخِلَالِ ^(٤)

إِلَى الْوَصَاحِ آتَاكَ الْمَسَاعِى ، إِلَى التَّفَاحِ أَخْبَارَ الْمَعَالِ

إِلَى مَلِكٍ هُوَ الْمَعْنَى الْجَلِى بِهِ الْإِشْكَالُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ

إِلَى مَنْ لَا مِثْلَ لَهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي السَّرْجِ أَوْ قَوَّقَ الْإِنَالِ

هَدِيَّةٌ مِنْ - لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ سَنَى مَنَاهُ - هَدَى إِلَيْكَ مَرَى الْخِيَالِ

فَكَمْ بَوَّأْتَنِ سَاعَاتِ نَعْمَى عَذَابِ الْوَرْدِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ

(١) يقول ما شكرتك حث ذكرك إلا ملكت من لدوة المرح وغردت بالثناء عليك . وفى الأصل :

« وعربد شاكر . » (٢) ثبج المجرة وسطها أو أملا مكان فيها ، وتخاصر : أى تمشى إلى جنبها ،

يقول : « لعدى لك أبوك قبة فخذوة المجرة فهبتنا لك هذا الخيام الريح الذى تخاصر فيه الجيوم على عيبتها . »

(٣) يقول : « فى تقاؤلى بك مسيقى الله صدق لديك وهما المؤيد والنصور فيؤيدك وينصرك على أعدائك . »

(٤) إلى ذى المزية القوة إن حاجه شير والخلال للرعية السعة إذا لاينه سالم ، ونرب من هذا

قول ابن دريد : « سهل إذا لوئحت لفتا مطفى - لوى - إذا خوشلت - مرهوب الشناء . »

إلى أبي القاسم

« كتب إلى أبي القاسم بن رفق »

عَذْرِي^(١) - إِنْ عَذَلْتُ فِي خَلْعِ عَذْرِي^(٢) - غُصْنُ أَتَمَرْتِ ذُرَاهُ يَبْدُرِ^(٣)
هَزْ مِنْهُ الْمَسْبَا قَقْوَمَ شَطَرًا - وَتَجَافَى - عَنِ الْوِشَاحِ - بِشَطْرِ
رَشَا أَقْصَدَ^(٤) الْجَوَانِحِ قَصْدًا - عَنْ جُفُونِ كُحْلَنْ - عَمْدًا - بِسَحْرِ
كُيِّ الْحُسْنِ فَهَوَّ يَفْتَنُ فِيهِ - سَاحِبًا ذَيْلَ بُزْدِهِ الْمُسْبَكِرِ^(٥)
تَحْتَ ظِلِّ - مِنَ الْفَرَاةِ - فِينَا - نَ وَوَرَقِ^(٦) مِنَ الشَّيْبَةِ نُصْرٍ
أَبْرَزَ الْجِدِّ فِي غَلَايِلَ بِيضٍ - وَجَلَّ الْخَدَّ فِي عَجَاسِدِ حُمْرِ^(٧)
وَتَشَنَّتْ بِعَطْفِهِ - إِذْ تَهَادَى - خَطَرَةٌ تَمْزِجُ الدَّلَالَ بِكِبَرِ
زَارَنِي - بَعْدَ هَجْعَةٍ - وَالثَّرَيَا - رَاحَةً تَقْدِرُ^(٨) الظَّلَامَ بِشِيرِ
وَالدُّجَا - مِنْ نُجُومِهِ - فِي عَقُودِ - يَتَلَاثُنُ مِنْ مِمَّاكِ وَلَسْرِ
تَحْسَبُ الْأَفَقَ يَنْتَهَا لَا زَوْدًا - تُثِرَتْ - فَوْقَهُ - دَنَانِيرُ تَبْرِ
فَرَشَقْتُ الرُّضَابَ أَعَذَّبَ رَشْفٍ - وَهَضَرْتُ الْقَضِيبَ الْطَفَّ هَضْرٍ

(١) عذري - جمع عذرة بالكسر - أي مبادري . (٢) هنري : ضم أوله وثانيه جمع هنار وهو

الحياء ، وخلق العذار أي ترك الحياء .

(٣) يقول إني إذا حملت عذارى في الهوى فإن مبادري واضحة قد ملئ قوامه الياء التي يشبه النصف

ووجهه الفخى كالمر . (٤) يقال أقصد فلانا : طمعه ط يخطئه .

(٥) للمسبكر : السمرسل ، والمسبكر كل شيء امتد وطال .

(٦) الورق الخاتم التي يضرب لونها إلى حمرة ، قال جرير السود :

« وكان فؤادي قد صماء ثم جالني حاتم ورق بالمدينة حنط . »

(٧) المجاسيد - جمع مجسد - وهو القسيس الذي يلبس البدن ، قال ابن الأعرابي : « ولا تخرجن إلى

للمساجد بالمجاسد »

(٨) تجيس .

وَنَعِمْنَا بِلَفٍّ جَنَمٍ بِجَنَمٍ - لِلتَّصَافِي - وَقَرَنَ نَفَرٍ بِنَفَرٍ
يَا لَهَا لَيْسَ لَهَا تَجَلَّى دُجَاهَا - مِنْ مَنَا وَجَنَّتْ - عَنْ ضَوْءِ جَفْرِ
قَصَرَ الْوَصْلُ فَمَرَهَا، وَبَوْدَى أَنْ يَطُولَ الْقَصِيرُ مِنْهَا بِمُتَرَى

* *

مَنْ عَذِيرِي مِنْ رَبِّ دَهْرٍ خُثُونٍ - كُلَّ يَوْمٍ - أَرَاغُ مِنْهُ بِغَدْرِ
كُلَّمَا قُلْتُ: «حَاكَ فِيهِ مَلَايِي» نَهَسْتَنِي مِنْهُ عَقَارِبُ نَسْرِي (١)
وَوَرَّتَنِي حُطُوبُهُ فِي صَفِيٍّ فَاضِلٍ نَابِيٍّ - مِنْ الدَّهْرِ - وَتَرَى (٢)
بَانَ عَنِّي - وَكَانَ رَوْضَةً عَيْنِي - فَقَدْ أَلْيَوْمَ وَهُوَ رَوْضَةٌ فِكْرِي (٣)
فَكِهِ يُنْهَجُ الْخَلِيلَ بِوَسْنِهِ تَرُدُّ الْعَيْنُ مِنْهُ يَتَّبِعُ بَشِيرٍ
لَوْ ذَعِي - إِنْ يَنْلُهُ الْخُبْرُ يَوْمًا - أَخْجَلَ الْوَرْدَ عَنْ خَلَائِقِ زُهْرِ
وَإِذَا غَاظَلَتْهُ مُقْلَةٌ طَرَفٍ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ يَذُوبُ - فَيَجْرِي (٤)

* *

تَا «أَبَا الْقَاسِمِ» الَّذِي كَانَ رِدْثِي وَظَهْرِي - عَلَى الزَّمَانِ - وَذَخْرِي

(١) حَاكَ : دَسَحَ أَوْ أَثَرَفَ ، وَنَهَسَتْ : عَصَتْ ، يَقُولُ : «كَمَا لَكَ إِذَا زَمَانِي تَدَارَعَوِي وَأَثَرَفَ فِيهِ تَهَابِي طَهْرِي خَطِي فِي طَيٍّ وَعَصَتْ عَقَارِبُ لَوْمِ تَبَّ إِلَى نَسْرِي فِي الْفَلَاحِ مِنْ عَقَارِبِ دَمْرِي» وَقَدْ دَرَأَ أَبُو الْعَلَاءِ إِذَا يَقُولُ فِي الرِّمَنِ :

« وَفَيْطَ بَنُوهُ مَهً ، وَفَيْطَ مِنْهُمْ صَدَبٌ سَاكِنِيهِ وَهَدْبُهُ

وَمَا يَنْجِي الْوَعِيدَ فَيُوهِدُهُ وَلَا يَرْمِي التَّابَ بِحَبْوِهِ

أَسَاءَ - بِحَبْوِهِ - أَدْبَا عَلَيْهِمْ فُهْلٌ مِنْ حَبْلَةٍ فَيُؤَدِّبُهُ . »

(٢) وَتَرَى : فَذَ . (٣) كُنْتُ أَرَاهُ أَمَلِي فَتَنَّمُ هُ عَيْنَايَ وَالْيَوْمَ لَا أَرَاهُ - سَدَّ نَابِيٍّ - فَأَصْبَحَ

يَنْعَمُ خَاطِرِي بِذِكْرِهِ .

(٤) يَقُولُ إِنَّهُ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ يَسِيلُ . وَتَقَرَّبَ مِنْ هَذَا لِلْمَيِّ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ :

« أَهْجِي خَشْتَالَهُ لَوْضَا - عَهْ غَلَاظَتِهِ - حَسَاهُ الْحَاسِي .

يَا أَحَقَّ الْوَرَى يَمْتَحُوضِ إِخْلَا صِي وَأَوْلَاهُمْ بِنَايَةِ شُكْرِ
طَرَقَ الدَّهْرُ سَاحَتِي - مِنْ تَنَائِيكَ - يَجْهَمُ مِنَ الْحَوَادِثِ نُكْرِ

* *

لَيْتَ شِعْرِي وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ بِمُجْدٍ عَلَى الْفَتَى: «لَيْتَ شِعْرِي»^(١)
هَلْ لِيَالِي زَمَانًا مِنْ رُجُوعٍ؟ أَمْ لِمَاضِي زَمَانًا مِنْ مَكْرٍ؟

* *

أَيْنَ أَيْامُنَا وَأَيْنَ لَيَالٍ	كَرِيَاضٍ لَيْسَنَ أَفْوَافَ زَهْرٍ
وَزَمَانٌ كَأَنَّمَا دَبَّ فِيهِ	وَسَنٌ أَوْ هَفَا بِهِ فَرَطُ سُكْرِ
حِينَ نَعْدُو إِلَى جَدَاوِلِ زُرْقٍ	يَتَقَلَّبْنَ فِي حَدَائِقِ خُضْرِ
فِي هِضَابٍ - مَجْلُوءَةِ الْحُسْنِ - مُخْرِ	وَبَوَادٍ - مَصْقُولَةِ النَّبْتِ - عُفْرِ
تَتَعَاطَى الشُّمُولِ - مُذْهَبَةِ السَّرِّ	بَالٍ - وَالْجَوِّ فِي مَطَارِفِ ^(٢) غُبْرِ
فِي فُتُورٍ ^(٣) تَوَشَّحُوا بِالْمَعَالِي	وَرَرَدُوا بِكُلِّ مُجْدٍ وَفَخْرِ
وُضِعَ تَنْجَلِي الْغِيَاهِبِ مِنْهُمْ	عَنْ وُجُوهٍ - مِثْلِ الْمَصَايِحِ - غُرٍّ
كُلُّ خَرَقٍ يَكَادُ يَنْهَلُ طَرَفًا	زَانَ مَرَايَ بِهِ بِأَكْرَمِ خُبْرِ ^(٤)

(١) يقول «ليت شعري»، وإن كنت أعلم أنها غير مجدية، قال ابن الرومي:
«يا ليت شعري وليت غير مجدية إلا استراحة قلب وهو اسوان.»

وقال الشاعر:

«ليت وهل يمنع شيتا «ليت» ليت شبابا بيع فاشترى.»

(٢) مطارف - جمع مطرف بضم الميم وكسرهما - مع فتح الراء في كليهما - : رداء مبرع من خر

ذو أعلام . (٣) فتور - جمع فتق وهو يجمع على ميان وهو وقت بتشديد الواو والياء .

(٤) الحرق : من التباين الظريف في سباحة ونجدة ، وينهل : يريد يكاد يسيل رقة وظرفا ، وقد جاء
بعد هذا البيت قوله :

..... عسى حالي يلعج لك مرها طيب نعر .

وقد أبتناه كما ورد ناصباً بالأصل .

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ كُثُوبٌ أَوْ رِيَاضٌ قَدْ جَادَهَا صَوْبُ قَطْرِ
يَتَلَقَّى الْقَبُولَ مِنِّي قَبُولٌ كُلَّمَا رَاحَ فَتَحَهَا أَرْتَاحَ صَدْرِي
فَهُوَ يَسْرِي مُحْمَلًا - مِنْ سَجَايَا لَكِ - نَسِيمًا يُرْمَى بِأَفْوَحِ عِطْرِ

* * *

يَا خَلِيلِي وَوَاحِدِي وَالْمَلَى مِنْ قِدَاحِي ^(١) وَالْمُسْتَبْدِ يَبْرِي
لَا يَضَعُ وَدِّيَ الصَّرِيحُ الَّذِي أَرَى صَاكَ مِنْهُ أَسْتَوَاوِ مِرِّي وَجَهْرِي
وَتَوَالِي أَدِمَّةٍ نَفَلْتَنَا نَفْلَمُ عَقْدَ الْجَمَانِ فِي نَحْرِ بَكْرِي
لَا يَكُنْ قَصْرُكَ الْجَفَاءَ ، فَإِنَّ الْوُدَّ - إِنْ سَاعَدَتْ حَيَاتِي - قَصْرِي ^(٢)
وَأَعِدْ - بِالْجَوَابِ - دَوْلَةَ أَنَسِي قَدْ تَقَضَّتْ إِلَّا عُلاَةً ذِكْرِي ^(٣)
وَأَكْسُ مِنْ الْقِرْمَاطِ دِيْبَاجَ لَفْظِي يَبْهَرُ الْفِكَرَ مِنْ تَقْلِيمٍ وَثَرِي
غُرُرٌ مِنْ بَدَائِعِ لَا يَشْكُ الدَّهْرُ فِي أَتْنَاهَا فَلَا تُدْ دُرٌّ
تَتَوَالَى عَلَى النُّفُوسِ دِرَاكَا عَنْ فَتَى مُوَسِّرٍ - مِنَ الطَّبْعِ - مُثَرِّ
شَدَّ فِي حَلَبَةِ الْبَلَغَةِ حَتَّى بَانَ فِيهَا عَنْ شَاوٍ سَهْلٍ وَتَهْمُرُو
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْجَلْ جَوَابِي كَانَ هَذَا الْكِتَابُ يَتَضَعُ عَقْرِي ^(٤)
فَابْقِ - فِي ذِمَّةِ السَّلَامَةِ - مَا أُنْجَا بَ عَنِ الْأَفْقِ عَارِضٌ مُتَمَرِّ
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا غَنَّتِ الْوُزُ قِي وَمَالَتْ بِهَا ذَوَائِبُ سِذْرِ ^(٥)

(١) أي القدر الملقى . (٢) يقول : لا يكن صارك الجفاء فان صاراى الوداد أى لا تكن غائبك تطيعى فان غابى وصفك .

(٣) يقول : أعد عهد الأُس الذى مضى ولم يترك لنا إلا ذكريات ضلل بها .

(٤) إذا لم تعجل بإرسال الرد على كتابى كان هذا آخر كتاب أبنت به إليك .

(٥) الصدر : شجر البقي يقول : « تحمى إليك كلما غنت الحفام ومالت بها أعضان النجر » .

مدح ابن جهور ورثاء أمه

« كثر ابن زيدون في هذه القصيدة أكثر
الآيات الساقطة التي ذكرناها في ص « ١٤٠ »
من هذا الديوان . »

هُوَ الذَّهْرُ فَأَصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ	فَنَ شَيْمِ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِكَ الصَّبْرُ
سَتَصْبِرُ صَبْرَ النَّاسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ	فَلَا تَرْضَ بِالصَّبْرِ الَّذِي مَعَهُ وَزُرُ
حِذَارُكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقُ فِتْنَةً	يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ أَخْلَاقِكَ - الْعُذْرُ
إِذَا أَسِيفَ الشُّكْلَ اللَّيْبُ فَشَقَّةٌ	رَأَى أَبْرَحَ الثُّكَلَيْنِ أَنْ يَجْبِطَ الْأَجْرُ
مُصَابُ الَّذِي يَأْمُرُ بِمَيِّتٍ ثَوَابِهِ	هُوَ الْبَرْحُ لَا الْمَيِّتُ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ

* *

حَيَاةُ الْوَرَى تَهْجُ إِلَى الْمَوْتِ مَهْجٌ	لَهُمْ فِيهِ إِضَاعٌ كَمَا يُوَضِّعُ السَّفَرُ
فَبَاهَادَى الْمِنَاجِ جُحِرَتْ فَلَمَّا	هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصَّرَاطُ أَوْ الْبَجْرُ
لَنَا - فِي سِوَانَا - عِزَّةٌ غَيْرُ أَنَا	نُفَرٌ بِأَطْلَاجِ الْأَمَانِي فَتَفَرُّ
إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ كُلُّ مُعْتَمِرٍ	فَإِنْ سَوَاءٌ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ

* *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ رِيحٌ ذِمَارُهُ	فَلَمْ يُنِ أَنْصَارُ عَدِيدُهُ وَلَا وَفَرُ
بَحَيْثُ اسْتَقَالَ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ	وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ الْمَسْكُرُ الْمَجْرُ
هُوَ الضَّمِيمُ لَوْ غَيْرَ الْقَضَاءِ يَرْوُمُهُ	شَاءَ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسْلَكُ الْوَعْرُ

إِذَا عَثَرْتَ جُرْدُ السَّوَاحِ فِي الْقَنَا بِلِيلِ حَاجِرٍ لَيْسَ يَصْدَعُهُ قَجْرُ
لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي عَلَيْنَا بِدَعْوَةٍ عَوَانٍ أَمْضُنَا لَهَا لَوْعَةً بِكُرُ

* *

أَنْفَسُ نَفْسٍ فِي الْوَرَى أَفْصَدَ الرَّدَى؟ وَأَخْطَرُ عَلَيَّ - لِإِلْهَدَى - أَهْلَكَ الدَّهْرُ؟
هَيْنًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدِّدُ بِشَاوِيَةٍ حَلَّتْهُ فَاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ
بِطَاهِرَةِ الْأَنْوَابِ ، قَاتِيَةِ الضُّحَى مَسْبُوحَةِ الْآثَاءِ ، عِزَابِهَا الْخِذْرُ
كَأَنَّ أَثْنَيْتَ فَالْنَفْسُ أَنْأَى نَفِيسَةٍ إِذِ الْجَنِّمُ لَا يَسْمُو لِتَذْكِيرِهِ ذِكْرُ
حَضَانٍ - إِنْ الْقَوَى اسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا - فَمِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسْتَوْضَعُ الْجَهْرُ
يُطَاطَأُ سِتْرُ الصَّوْنِ دُونَ حِجَابِهَا فَيَرْفَعُ - عَنْ مَتْنَى نَوَافِلِهَا - السِّرُّ

* *

لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى لَقَدْ أَذْرَجَتْ - أَثْنَاءَهَا - النِّعَمُ الْخُفْرُ
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ تَتَرَى تَحِيَّةَ يُنْسِمُهَا الْغُفْرَانُ رِيحَانُهَا النَّفْرُ
وَعَاهِدَ تِلْكَ الْأَرْضَ عَهْدُ غَمَامَةٍ إِذَا اسْتَعْبَرَتْ فِي ثُرْبِهَا أَبْتَسَمَ الزَّهْرُ

* *

فَدَيْتَاكَ ، إِنْ الرُّزْءَ كَانَ غَمَامَةً طَلَمَتْ لَنَا فِيهَا كَمَا يَطْلُعُ الْبَدْرُ
أَلَسْتُ الَّذِي - إِنْ ضَاقَ ذَرْعُ بِحَادِثٍ - تَبْلَجَ مِنْهُ الْوَجْهَ وَالنَّسَحَ الصَّدْرُ
تَمَرَّ بِحَوَاءِ - إِلَيَّ الْخَلْقُ نَسْلُهَا - فَمِنْ دُونِهَا فِي الْمَصْرِ يَنْبَعُ الْمَصْرُ
نَسَاهُ النَّبِيُّ الْمُنْطَلِقُ أَهْلَانَا تَوَيْنَ فَمَنْعَاهُنَّ - مُذْ حُتِبَ - قَفْرُ
وَجَارَتْهَا الْحُسْنَى ، فَأَمَّ شَفِيقَةً يَحْتَقِي بِهَا ابْنُ كُلِّ أَفْعَالٍ بِرُّ

تَمَنَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا
كَانَ الرَّدَى نَذْرًا عَلَيْهَا مَوْكَدًا
تَوَلَّتْ فَأَبَقَتْ - مِنْ حُجَابِ دُعَاهَا -
تِيمٌ بِهِ النُّعْمَى ، وَتَتَسَّقُ الْمُنَى ،
فَلَا تَهْضِ الْأُنْيَا جَنَاحَكَ بَمَدَّهَا
وَلَا زِلْتَ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقُرْوِ

* *

بَنِي « جَهْوَرٍ » أَنْتُمْ تَمَاهُ رِيَاسَةٍ
تَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَنَكُمُ يَمِينُهُ
لَكُمْ كُلُّ رَفْرَاقِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ
سَحَابٌ نُمْنَى أُرْقَتْ وَتَدَفَّقَتْ
إِذَا مَا ذُكِرْتُمْ ، وَأَسْتَشِفَّتْ خِلَالَكُمْ
طَرِيقَتُكُمْ مَثَلَى ، وَهَدْيُكُمْ رِضَى
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكُمْ - أَجَبْتُهُ
عَطَاءً وَلَا مَنًى ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى
قَدْ اسْتَوْفَتْ النُّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَاهَا

لِمَا فِيكُمْ - فِي أَفْقَاهَا - أَنْجُمُ زُهْرٍ
وَإِنْ تَضَحَكَ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا تَمَرٌ
حُسَامٌ عَلَيْهِ - مِنْ طَلَاقِهِ - أَثَرُ
فَصِيْبُهَا الْجَدْوَى ، وَبَارِقُهَا الْبُشْرُ
تَصَوَّعَتِ الْأَخْبَارُ ، وَأَسْتَجَدَّ الْخَبْرُ
وَنَانِلُكُمْ خَمْرٌ ، وَمَذْهَبُكُمْ قَصْرُ
هُنَاكَ الْأَيْدِي الشُّغْعُ وَالسُّودْدُ الْوِثْرُ
وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ
عَلَيْنَا ، فِنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

في مدح ابن جهور

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور . »

أَجَلٌ ، إِنْ لَيْلَى حَيْثُ أَخْيَاوَهَا الْأَسَدُ مَهَاً حَمَتْهَا - فِي مَرَاتِمِهَا - أُسْدُ (١)
يَمَانِيَّةٌ تَذْنُو وَيَنْأَى مَزَارُهَا فَيَسِيَانِ مِنْهَا فِي الْهَوَى الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ (٢)
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ « مَارِدُ » وَعَزَّ - فَلَمْ تَغْفَرْ بِهِ - « الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ » (٣)
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ أَعْيَادِهَا وَخَيْلٌ تَحْمِلُ نَحْوَ قَائِمَاتِهَا جُرْدُ
لَحَى لِقَاحٍ تَأْتِفُ الضِّمَمِ مِنْهُمْ جَحَاجِحَةٌ شَيْبُ وَصِيَابَةٌ مُرْدُ (٤)
أَبٌ ذُو أَعْتِزَامٍ ، أَوْ أَخٌ ذُو تَسْرِعٍ فَشَيْخَانُ مَاضِي الْمَهْمِ ، أَوْ فَاتِكُ جَلْدُ
فَاشِيمٍ مِنْ ذِي الْهَبَةِ الصَّارِمِ الشَّبَا وَلَا حُطٌّ عَنْ ذِي الْمَيْعَةِ السَّابِحِ اللَّبْدُ

وَفِي السَّكِلَةِ الْحَمَزَاءُ وَسَطٌ قِيَابِهِمْ فَتَاءُ كَيْثِلِ الْبَذْرِ قَابِلُهُ السَّعْدُ

(١) الأسد : لفظة الأرد ، والأسد : الأسود ، يقول : سم إن ليلى من قبيلة الأرد وهي طيبة تحبها الأسود وتذود عنها .

(٢) يقول إن قربها ومساها بين لال وصلها - على القرب ، والعد - بعيد للال ، وما أجل قول للمرى :

« فبادارها بالهيف ، إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال . »

(٣) الأبلق الفرد : حصن السمور بن هاديأ ماه أبوه . فلوا بل بهاء سليمان - عليه السلام - بأرض تها ، ونصهته الرباء فصرت عنه وعن مارد ، فقالوا : « ترمد مارد ، وهو الأبلق . » وفي هذا المعنى يقول السمور - من لايته الزائفة للمهورة :

« لا جل يحتله من نجيره مبيح ، يرد الطرف وهو كليل »

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره - يز - على من رماه - ويطول .

(٤) الحى القحاح : هم الذين لا يديون للهلك ولا يؤدون لهم الاتاة ، والجحاجة : جمع - جحج ، وهو السيد السمع أو هو الكريم وهو وصف حسن بالرجال ، قال الشاعر : « ليس قطارة غلب جحاجة . » ويجمع أحياناً على جاحح ، قال ابن الريمى :

« ماذا يسدر بالفضول من صرازية جاحح . »

صباية القوم وصوابهم : ليلهم .

عَقِيلَةٌ مِرْبٍ لَا الْأَرَاكَ مَرَادُهُ وَلَا قَمْنٌ مِنْهُ الْبَرِيرُ وَلَا لِلْمَرْدُ (١)
تَهَادَى فَيُضْنِيهَا الْوِشَاحُ غَرِيرَةٌ تَأَوُّهُ هُنَا نَاسٌ فِي جِيدِهَا الْعِقْدُ
إِذَا اسْتُخْفِظَتْ مِرَّ الْمَرَى جُنَحَ لَيْلِهَا تَنَامِي التَّمَوَاتِ : الْأَلْوَةُ ، وَالْدُّ (٢)
لَهَا عِدَّةٌ بِالْوَصْلِ ، يُوعِدُ فِيهَا مَصَالِيْتُ، يُنْسَى - فِي وَعِيدِهِمْ - الْوَعْدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعُودَ حَيَا لَهَا فَيُسَمِّفُ مِنْهَا نَائِلٌ فِي الْكَرَى عَمْدُ (٣)
كَفَى لَوَعَةٍ أَنْ الْوِصَالَ نَسِيبَتُهُ يُطِيلُ عَنَاءَ الْمُتَقَضِّي وَالْهَوَى نَقْدُ (٤)
مَسْبُغَتُهَا عَنَّا الشَّمَالُ تَحِيَّةٌ تَوَافِحُ أَنْفَاسِ الْجَنُوبِ لَهَا رَدُّ (٥)
فَا نُسِي الْإِلْفُ الَّذِي كَانَ يَتَنَتَا - لِعُطُولِ تَنَائِبِنَا - وَلَا ضُبْعُ الْعَهْدِ

* *

لَنْ قِيلَ : « فِي الْجِدِّ النَّجَاحُ لِعَطَالِبِ » لَقَلَّ عَنَاءُ الْجِدِّ مَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ (٦)

(١) للرد: المصن من ثمر الأراك أو صيحه . (٢) ناس : الغنى . يوس نوساً ونوساً تحرك وتذبذب واضطرب متديلاً ، وسى دوزناس - وهو من ملوك - الجن بذلك لغواً ، بن كانتا دوسان على طهره .
(٣) الألوة : عود هندي يتحر به ، وقال أعراق حب مر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ينفن :
« ألاحتم رسول الله في سبط من الألوة أحوى ملناً دها . »

والند : ضرب من الطيب .
(٤) عمد : قليل ، يقول وهم يستكثرون علينا أن يروونا خيالها فيسمما بلوصال في فترات الكرى للقطعة الثقلة . (٥) يقول : كما ألهأ أربلا نحن عليها بالوصال لإلوموداً مؤحله يطينا اقتضاؤها وأداؤها في ، واعيدها مع أما صفيها الهوى طاحلا غير متحليين ولا مؤحليين .
(٦) العبال : ريح الشمال ، والجوب : ريح الجنوب ، وى الأصل نواع ، والنواع : السبب الكثيرة للطر ، ويحال تلج التدى التيسى ثم رقه وحببت الريح أى جاءت بقوة ، والنواع - جمع نالقة وهى النسيم .
(٧) يقول ابن دريد في هذا المعنى :

« لا ينزع الحد بلا جد ولا يحرك الحول إذا الحد بلا . »

ويقول الناصر : « حتى يحد ولا يضرك نوك »

وقد أكثر الشعراء من الكلام في الحدود ، ومن أبدع ما قرأته في ذلك قول ابن الرومي :

« إن لسط حكيماء إذا ما من كتاباً أله إساناً . »

يَنَالُ الْأَمَانِي بِالْخَطِيرَةِ وَإِدْعُ كَمَا أَنَّهُ يُكْدِي الدِّي شَأْنَهُ الْكَدُ^(١)

* *

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أَحْسَنَ الْفِعْلَ مَرَّةً فَمَنْ خَطَا ، لَكِنْ إِسَاءَةٌ تَهْ صَمْدُ
حِذَارِكَ أَنْ تَفْتَرَّ مِنْهُ بِجَانِبِ فَنِي كُلِّ وَاِدٍ مِنْ نَوَائِيهِ « صَمْدُ »^(٢)
وَلَوْلَا السَّرَاةُ الصَّيْدُ مِنْ آلِ « جَهْوَرِ » لَأَعُوَزَ مَنْ يُعْدِي عَلَيْهِ مَتَى يَمْدُو
مُلُوكُ لَيْسَنَا الدَّهْرَ فِي جَنَابِهِمْ رَقِيقَ الْحَوَائِي مِثْلَ مَا قُوفَ الْبُرْدُ
بِحَيْثُ مَقِيلُ الْأَمْنِ صَافٍ ظِلَالُهُ وَفِي مَنَهْلِ الْعَيْشِ الْعُدُوبَةُ وَالْبُرْدُ
هُمْ النَّفَرُ الْبَيْضُ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ تَرُوقُ فَتَسْتَشْفِي بِهَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
كَرَامٌ يَمْدُ الرَّاعِيُونَ أَكْفَهُمْ إِلَى أَخْرِ مِنْهُمْ لَهَا بِاللَّهِ^(٣) مَدُ

وقول المتن :

« هو المحدث تفضل البين أحبا وحق يصير اليوم ليوم سيئا . »

وقول المعري :

« والحد يدرك أقواما يرفعهم وقد ينال الى أن يبعد الجعرا »

وروت ذات أوطى قبائلها ولم تاتين على علاها التجرا . »

وقد ذكرنا طرما من أقوال الشعراء في هذا المعنى في رسالة الفراء « ح ٢ ص ٩٨ » فليرجع إليهما من شاء .
(١) الخطيرة : عى بها هذا الأوال المخطورة يقال : احتظر الرجل وخطر الخطيرة حبس فيها أمواله
من تصديق ، وينال لرحل للذليل الخير « لانه لكسد الخطيرة » وسيت أمواله خطيرة لأنه خطرهما ومنها
صنعه ، والوداع : الذى ينال حطه من العيش من غير كلفة ولا مشقة ، يقول : « كثيرا ما ينال الوداع الذى
هو فى خمس ودعة من العيش أمانيه بأمواله المخطورة عسده كما أنه كثيرا ما يمحى دو السى والكسد فلا
يحصل من ثبته وكده على طائل » ولعل أبرع ما قرأناه فى هذا المعنى قول ابن الرومى :

« إذا كان يجرى كوكب سمت حالة هلاها وإلا اعتاس ذلك مطلا . »

وقول الآخر :

« سبحانه ربي يعطى ذا ويعرم ذا هذا يصيد ، وهذا يأكل السمكة . »

(٢) يقال « بكل واد سمدا » أو « بكل واد بنو سمدا » يريدون بذلك أن فى كل حبة كفاها من المر
والأذى . قالوا وأصل للثل أن الأضيظ بن قريش بن هوف بن كعب بن - حد بن زيد مائة - وأو من أله وقومه
أمورا كرها ففارتهم متعلا فى القبائل فرأى من غيرهم مثل ملأى منهم فقال : « فى كل أبرير سمدا بن زيد . »
(٣) الأعطيات والمهلات .

فَلَا يُنْعِ مِنْهُمْ هَالِكٌ فَهُوَ خَالِدٌ بِأَنَارِهِ ، إِنَّ النَّارَ هُوَ الْخَالِدُ
« أَقِلُّوا عَلَيْنَا لِيَسْكُنَ أَهْلُ الْيَمِينِ » مِنْ اللَّوْمِ ، أَوْسَدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا (١)
أُولَئِكَ إِنْ نَعَمْنَا سَرَى فِي صَلَاحِنَا سَجَّاحٌ عَلَيْنَا كَحُلِّ أَجْفَانِهِمْ سُهُدٌ

أَلَيْسَ « أَبُو الْحَزَمِ » الَّذِي غِيبَ سَعْيِهِ تَبَصَّرَ غَاوِينَا فَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ
أَغْرَى تَهْمَدَنَا بِهِ الْخَفَضُ (٢) بَعْدَ مَا أَنْصَرَّ عَلَيْنَا مَضْجَعٌ وَبَيَّا هَهُنَا (٣)
لَشَرٍّ حَتَّى أَنْجَابَ عَارِضُ فِتْنَةٍ تَأَلَّقَ مِنْهَا الْبَرْقُ وَأَصْطَحَبَ الرَّعْدُ
فَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ الْحَرْبُ عَادَةً وَوَافَقَ مَنْ لَاشَكَ فِي أَنَّهُ ضِدُّ (٤)
هُوَ الْأَمْرُ الْمَحْمُودُ إِنْ عَادَ ذِكْرُهُ تَطَلَّعَتِ الْعَلَنَاءُ وَأَسْتَشْرَفَ الْمَجْدُ
تَوَلَّى فَلَوْلَا أَنْ تَلَاَهُ « مُحَمَّدٌ » لَاوْطَأَ خَدَّ الْحُرِّ أَنْخَصَهُ الْعَبْدُ (٥)

مَلِيكَ يَسْتَوْسُ الْمُلْكَ مِنْهُ مُقْلَدٌ رَوَى عَنْ أَبِيهِ فِيهِ مَا سَنَّهُ الْجَدُّ
سَجِيئَتُهُ الْحُسْنَى ، وَشِيئَتُهُ الرِّضَى ، وَسِيرَتُهُ الْمُثَلَّى ، وَمَذْهَبُهُ الْقَصْدُ

(١) ورد هذا البيت في الأصل :

« عليهم ، لَا أَبَا لَايَكُم مِنْ اللَّوْمِ ، أَوْسَدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا . »

وليس هذا البيت لابن زيدون بل هو اقتباس ، وأصل البيت كما أبتناه ، وهو من القصيدة للشهيرة التي يقول فيها الشاعر :

« ولقد لي أمان ساعد عليهم ومافلت إلا بقى طلت سعد . »

(٢) الحس : الفحة . (٣) يقول إنه بدلا من خوف أمان ومن سهاد رقاد .

(٤) يقول : وقد سألته أشد الأعداء ولو ما بالحرب ووافقه من لاشك في صوته وقده بعد ما وأوا

من شدة بأسه وقوته .

(٥) يقول : لولا أن عمدا قد حلف أبا الحزم لساعت العاتية ولما دلت دولة العبيد على دولة الأحرار

مأذولهم أدللا وداسو حدودهم بأرجل

مُحَامٌ إِذَا زَانَ النَّدَى بِحَبْوَةٍ تَرْجِعَ فِي أَثْنَاهَا الْحَسْبُ الْقُدُّ
 زَعِيمٌ لِإِبْنَاءِ السَّيَادَةِ بَارِعٌ عَلَيْهِمْ بِهِ ثُنْنِي الْخَنَاصِرُ إِنْ عُدُّوا
 بَعِيدُ مَتَالِ الْحَالِ ، دَانِي جَنَى النَّدَى إِذَا ذُكِرَتْ أَخْلَاقُهُ خَجَلِ الْوَرْدُ
 تَهَلَّلَ فَأَتَهَلَّتْ سَمَاءُ يَمِينِهِ عَطَا يَا تَرَى الْآمَالِ مِنْ صَوْنِهَا جَعْدُ (١)
 مُرٌّ لَنْ حَادَاهُ إِذْ أُولِيََاوُهُ يَلْذُ لَهُمْ كَأَلْمَاءِ شَيْبَ بِهِ الشَّهْدُ
 إِذَا أُعْتَرِفَ الْجَانِي عَفَا عَفْوٌ قَادِرٌ عَلَا قَدْرُهُ عَنْ أَنْ يَلِجَ بِهِ حَقْدُ (٢)
 وَمُتَّعِدٌ لَوْ زَا حَمَّ الطَّوْدَ حِلْمُهُ لِحَاجَزِهِ رُكْنٌ مِنَ الطَّوْدِ مُنْهَدٌ
 لَهُ عَزْمَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي سَكِينَةٍ كَمَا لَانَ مَتْنُ السَّيْفِ وَأَخْشَوْشَنَ الْحَدُ (٣)
 يُوَكَّلُ بِالنَّدَى بِخَيْرِ خَاطِرٍ فِكْرَةٌ إِنْ أَقْدَحَتْ فِي خَاطِرٍ أَثَقَبَ الرَّنْدُ (٤)
 ذِرَاعٌ - لِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ - وَاسِعٌ وَبَاعٌ - إِلَى مَا يُحْرَزُ الْفَخْرُ - مُتَّعِدٌ
 إِذَا أَسْهَبَ الْمُشْنُونُ فِيهِ شَأْنُهُمْ (٥) مَرَاتِبُ عَلِيَا كُلِّ عَنْ عَفْوِهَا الْجَهْدُ
 هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْفُوعُ بِالنَّسِكِ مَلِكُهُ قِيَا فَضْلَ مَا يَحْفَى وَتَاسَرَوْ مَا يَبْذُو (٦)
 إِلَى اللَّهِ أَوَّابٌ ، وَلِلَّهِ خَائِفٌ وَبِاللَّهِ مُعْتَدٌ ، وَفِي اللَّهِ مُشْتَدُّ

(١) حمد : ندى .

(٢) قريب من هذا قول عنزة :

« لَا يَحِلُّ الْخَدُّ مِنْ تَلَوِّهِ الرِّثْ وَلَا يَنَالُ الْعَلَامُ مِنْ طَعْمِ اللَّصْبِ . »

(٣) في هذا المعنى يقول الشاعر :

« وَكَالْبَيْفِ - إِذَا لَبَنَتْهُ - لَا نَحْدَهُ وَحْدَهُ - إِنْ خَلَشَتْهُ - حَشَانُ . »

(٤) أذهب الرند : أوردى . (٥) شأْنُهُمْ : فائتهم وتصبروا فيها من العاية .

(٦) يقول هو الملك الذي يجمع إلى سطوة الملك لك الورعين فما أضل ما يبره في نفسه وما أبطل وأهرف ما يبله ، يعني أن سره وإعلانه غاية في النيل والنيل

* *

لَقَدْ أَوْسَعَ الْإِسْلَامُ بِالْأَمْسِ حِسْبَةً تَحْتَ غَرَضِ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ فَلَمْ تَعُدْ
أَمَّا حَتَّى الْخَمْرِ الْخَبِيثَةِ ، حَائِطًا حَتَّى الدِّينِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ لَهُ حَدٌّ
فَطَوَّقَ بِأَسْتِصَالِهَا الْمِصْرَ مِنْهُ يَكَادُ يُودَى شُكْرُهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
هِيَ الرَّجْسُ إِنْ يُذْهِبُهُ عَنْهُ فَحُسْنٌ شَهِيرُ الْأَيْدِي مَا لَا لَائِيَّ جَعْدُ
مَظْلُومَةٌ آتَامَ ، وَأُمُّ كِبَائِرِ يَقْصُرُ عَنْ أَذْنَى مَعَايِهَا الْعَدُ
رَأَى تَقْصَ مَا يَجْنِيهِ مِنْهَا زِيَادَةً إِذِ الْبَوْضُ الْمَرْضِيُّ إِلَّا يَرْخُ يَعْدُو

* *

عَنِّي ، فَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَالُهُ عَزِيزٌ ، فَصُنْعُ اللَّهِ مِنْ حَوَائِدِ جُنْدُ
لَنِعَمَ حَدِيثِ الْبِرِّ تُودِعُهُ الْعَبَا تَبْتُ ثَنَاءَ حَيْثُ لَا تُوضَعُ الْأَبْرُدُ (١)
تَقْلَمُكَ فِي مَنَعِ الرَّبَابِ وَطَالَعَتِ لَهُ صُورَةٌ لَمْ يَنْعَمَ - عَنْ حُسْنِهَا - الْخُلْدُ
مَسَاجِ أَجَدَّتْ زِينَةَ الْأَرْضِ ، فَالْحُسْنُ لَا لِي ثَرٌ ، وَالتَّرَى عَنْبَرٌ وَرْدُ
لَدَى زَهْرَاتِ الرُّوضِ - عَنْهَا - بَشَارَةٌ وَفِي نَفَحَاتِ الْمِسْكِ - مِنْ طِيْبِهَا - وَفْدُ

* *

فَدَيْتُكَ ، إِنِّي قَائِلٌ فَمَرَضُ بِأَوْطَارِ نَفْسٍ مِنْكَ لَمْ تَقْضِهَا بَعْدُ
مُنَى كَالشَّجَا دُونَ اللَّهَاءِ (٢) تَمَرَّضَتْ فَلَمْ يَكُ الْمَصْدُورِ - مِنْ نَفْسِهَا - بُدُ

(١) يقول : أُمُّ حَدِيثِ الْبِرِّ أُرِدَّتْهُ رَجْعُ الصَّالِحِينَ وَبُنْتُ خَبْرِهِ وَ الْمِهَاتِ الْبَائِيَةِ حَيْثُ لَا تَوْضَعُ الْبَرْدُ
أَيَّ حَيْثُ لَا تَمْدُورُ خَيْلُ الْبَرِيدِ لِيَهَا وَلَا تَمْلَأُ الْأَحْبَارُ لِيَعْمَا ، وَفِي الْأَسْلِ : « تَوْضَعُ »

(٢) اللِّهَاءُ : اللِّحْمَةُ الْمَعْرُوفَةُ عَلَى الْحَقِّ ، أَوْ مَا يَمِينُ مَقْطَعُ أَصْلِ الْإِنْسَانِ إِلَى مَقْطَعِ الْغَلَبِ مِنْ أَعْلَى النِّعَمِ ،
وَجَمْعُهَا لِهَوَاتٌ وَلِهَاتٌ وَلِهَى . قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

« وَالنَّاسُ كَالْبَيْتِ ، فَهُوَ رَاقِيٌ غَضِيٌّ ضَرِبَ عُرْوَتَهُ مِنَ الْجِسْرِ »

وَمِنْهُ مَا تَقَعَّمُ الْبَيْتَ ، فَانْصَرَفَتْ جَانِبَ الْبَلَاغِ عَنِ الْبَلَاغِ .

أَمِنِّي فَعَلُّ خَامِلُ الذِّكْرِ ضَائِعٌ ضِيَاغَ الحُسَامِ العَضْبِ أُصْدَأُهُ العِنْدُ
أَبَى ذَاكَ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ ذَلَّ صَعْبُهُ فَسُنِّي مِنْهُ - بِالَّذِي نَشْتَهِي - العَقْدُ (١)

* *

أَنَا السَّيْفُ لَا يَتَّبِعُو مَعَ الْهَرِّ غَرَبُهُ إِذَا مَانَبَا السَّيْفُ الَّذِي تَطْبَعُ الْهِنْدُ
بَدَأَتْ بِنُعْنَى غَضَّةٍ إِنْ تَوَالِمَا فَحُسْنُ الْأَلَى (٢) فِي أَنْ يُوَالِيَهَا سَرْدُ
لَمَزْمِكَ مَا لِلدَّالِ أَسْنَى فَلَا تَمَّا يَرَى الْمَالُ أَسْنَى حَفْظُهُ الطَّبِيعُ الْوَعْدُ (٣)
وَلَكِنْ لِحَالِي - إِنْ لَبِسْتُ جَمَاهَا - كَسَوْتُكَ تَوْبَ النُّصْحِ أَعْلَامُهُ الْحَمْدُ

* *

أَتَتَكَ الْقَوَافِي شَاهِدَاتٍ بِمَا صَفَا مِنْ النَّيْبِ فَأَقْبَلَهَا فَا غَرَكَ الشَّهْدُ
لِيَحْظَى وَلِي - سِرُّهُ وَفَقْنُ جَهْرِهِ - فَنَظَاهِرُهُ شُكْرُهُ ، وَبَاطِنُهُ وَدُ
يُمَيِّزُهُ - يَمْنُ سِوَاهُ - وَقَاوُهُ وَإِخْلَاصُهُ ، إِذْ كُلُّ قَانِيَةٍ هِنْدُ (٤)

(١) سقى منه العقد ، أى تيسر الصب وسهل . قال الشاعر :

« وأطمعنا ليس بالظن أنه إذا الله سقى عقد أمر ييسرا . »

(٢) الألى : النعمة جميعها آلاء .

(٣) الطبع : يقال رجل طبع طبع (بكسر ثانيهما) متدنس المرض ذو خلق دنيء لا يستحي من

سوءه ، والوعد : الخفيف الأحق الضيف العقل والبدن الحقى الخسيس التفل .

(٤) كل قانية هند : مثل يضرب هند تماوى القومى فساد الباطن

رثاء أم المعتضد

« قال برئى السيدة الكبرى والدته . »

أَلَا هَلْ دَرَى الدَّاعِي الثُّوبُ - إِذْ دَعَا
بِنَعْيِكَ - أَنْ الدِّينَ مِنْ بَعْضِ مَائِي ؟
وَأَنَّ الثُّنَى قَدْ آذَنْتُنَا بِفُرْقَةٍ
وَأَنَّ الْهُدَى قَدْ بَانَ مِنْكَ فَوْدَعَا ؟
لِرُزْنِكَ تَنْهَلُ الدُّمُوعُ ، فَفَلَهُ
- إِذَا حَلَّ - وَدَّ الْقَلْبُ لَوْ كَانَ مَذْمَعَا
لَقَدْ أَجْمَشَ الْإِخْلَاصُ بِالْأَمْسِ بَاكِيًا
عَلَيْكَ ، كَمَا حَنَّ الْيَقِينُ فَرَجَعَا

* *

وَدُنْيَا وَجَدْنَا الْعَيْشَ فِي غَمَلَاتِهَا
طَرِيقًا - إِلَى وَرْدِ الْمَنِيَّةِ - مَهِيًا ^(١)
نُعَلُّ فِيهَا بِأَلْمَى فَتَعْرُئَا
بَوَارِقُ لَيْسَ الْآلُ مِنْهَا بِأَخْدَعَا ^(٢)

* *

أَصَيْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ هَضْبَ مَتَالِيعِ
أَصِيبَ بِهِ لَأَنْهَدَّ أَوْ لَتَضْمَعَمَا
مَنَارٌ - مِنَ الْإِيمَانِ - لَمْ يَعْدُ أَنْ هَوَى ،
وَحَبِلٌ - مِنَ النُّقْوَى - وَهَى فَتَقَطَمَا
وَتَحْمَسُ هُدَى أَمْسَى لَهَا التَّرْبُ مَعْرِبَا
وَكَانَ لَهَا الْمِحْرَابُ فِي الْخِذْرِ مَطْلَعَا ^(٣)

* *

لَنْ أَتْبَعَتْ مِنَّا غَمَامَةً رَحْمَةً
لَقَدْ ظَلَلَتْ ذَاكَ السَّرِيرَ الْمُرْفَعَا

(١) للمبني : الطريق الواسع الواضح اليه .

(٢) الآل : السراب ، يقول إن الأمانى تمرنا وتخدعنا كما يخدع السراب . وقوله درّ مبيار إذ يقول :

« شد علمى غرورا منه تاجر الآمال في أن يربحا . »

وقوله : « ربما يجر بالظن الكدوب . » ، وفي هذا المعنى يقول ابن بناء السمدى :

« وأقسم ما الدنيا بدار إفاة ولا هي إلا مثل بطن المازل

يسير إلى الآجال حول وجهها وتطوى بها الأيام على المراحل . »

(٣) يقول : منها شمس أشرقت في خدوها ثم غربت في قبرها

مَرِيرٌ بِأَمْلَاكِ وَزُهْرٍ مَلَاكِ
لَيْتِكَ الْآيَاتِي وَالْيَتَايَ قَبِيْدَةً
أَصْلَهُمْ فَقَدَانَهَا ، فَكَأَنَّمَا
مُسَبَّحَةُ الْآثَاءِ ، قَاتِيَةُ الضُّحَى
تَبَيَّنَتْ مَعَ الْإِخْبَاتِ ^(١) مُسْمَرَةَ الْحَشَا
إِذَا مَا هِيَ اسْتَوَفَتْ مِنَ الْبِرِّ فَايَةً
كَأَنَّ قَضَاءَ الْوَالِجِيَّاتِ مُخْرَجٌ
أَصْرَفَ الرِّدَى الْوَأَنَّ لِلْسَيْفِ مَضْرِبًا
فَلَوْ كُنْتُ - إِذْ سَارَتِ - رَامٌ مُجَاهِرٌ
إِذَا لَقِنَاهُ الْجِيْشُ مِنْ كُلِّ أَلْسِي ^(٢)
« وَمُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ » يَحْمِي ذِمَارَهُ
وَلَكِنْ عَزَزْتَ الْمَلِكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَى -

- إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ - رَاحَ مُشِيْعًا
هِيَ الْمَزْنُ أَحْيَا صَوْبُهُ ثُمَّ أَقْشَعَا
أَصْلَتْ سَوَامُ الْوَحْشِ فِي الْجَذْبِ مَرْتَعَا
ثَوْتُ فَتَوَى مَفْنَى الثَّأْوُهُ بَلَقَمَا
تَقِيَّةً مَنْ يَحْمِي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعَا
تَأْتَتْ لِأُخْرَى لَا تَرَى تِلْكَ مَقْنَعَا
تَقَبَّلُهُ إِلَّا بِأَنْ تَتَطَوَّعَا ^(٣)

لَمَّا رُغِنَا ، أَوْ أَنَّ فِي الْقَوَسِ مَنَزَعَا
ذِمَارَ الْهُدَى كَانَ الْمُحَوِّطُ الْمُنْعَا
يُشَايِعُ قَلْبًا فِي الْحِفَاطِ مُشِيْعَا
فَلَا يَرْبُ يُلْفَى - فِي حِمَا - مُرَوَّعَا
فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِلْحَادِثِ الْحَثْمُ مَذْقَعَا ^(٤)

(١) الاحات : القوى والحسوع والقنوت ، يقول : هي القبة الباقية من البناء الصالحات ذهبت من خيبة الله مصيبة داعية مسرة الحشا غوماً من لقاء الله ، ودرقا من حول يوم المرح والياب .

(٢) يقول : أنها لحصها على التطوع وضم الواصل إلى الفرائض كأنها تمتد أن في أداء الفرائض وحدها غير مشغوعة بالملوع حراً وإنما لا يميل صادتها متعة وعملها مثاقاً عليه إلا بأن تتطوع ، وهي لفتك بيت ليها قائمة متحدة .

(٣) الأليس : الشجاع الذي لا يبالى الحرب ولا يروعه القتال والجمع ليس ، قال الشاعر :

« نَحَالُ نَسِيْمَ مَرْضَى حَيَاءٍ وَنَقَاهُمْ غَدَاةَ الرُّوحِ لِبَاءً »

(٤) هزوت : وطئت وزلت ، على غير هدى وعلم وبلا تمييز ، وهو من قول الله عز وجل : « وَلَوْ لَا رَحَالٌ مُؤْمِنُونَ لَبَاءَ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ يُلَاحِظْنَ أَنْ يَأْكُلْنَ مِنْ ثَمَرِهِمْ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْهُمْ مَرَّةً يَنْصَرِفَ عَنْهُنَّ » ، وقال عمر رضي الله عنه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَرَّةِ الْجِيْشِ » تبرأ رضي الله عنه من وطأة جيش المسلمين من مرداه به بلا تمييز بين مسلم ومجاهد وكافر وإصابتهم لإيهم في حرمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه من قبل العرب . يقول : لو كان صرف الدهر شخصاً يواحه بمجاهرة لمحر من غرضه ولئله للمتعبد الشجاع وحشته للبائل ولكن صرف الدهر يأتي على مرة فلا يستطيع أحد أن يواحه ويدفع غائلته ، والله ذو الغائل :

يَمِيطُ الْمَتَاكَ الْجُرْدَةَ أَلَا تَرَى لَهَا
وَتَأْسَفُ يَبِضُ الْهِنْدِ أَنْ لَيْسَ تُنْقَضَى ،
تَجَالَا ، فَتَمْنُو فِي الْمَرَابِطِ خُشْمَا
وَتُسْرُ الْقَنَا أَلَا تُهْزُ وَتُشْرَمَا

* *

لَنْ سَاءَ لَكَ أَذْهَرُ الْمَسِيءِ فَلَمْ يَكُنْ
شَهِيدًا : لَقَدْ طَرَزْتَ بُرْدَ جَمَالِهِ
بِأَوَّلِ عَهْدٍ وَاجِبِ الْخِفْظِ ضَيْعَا
وَقَلْدَتُهُ عِقْدَ الْبَهَاءِ مُرْمَعَا
وَمَا فَعَّرُهُ إِلَّا بِأَنْ كَانَ مُصْنِعِيَا
أَتَى الْعَثْرَةَ الْعَظُمَى ، فَهَلْ أَنْتَ قَائِلٌ
وَهَاهُوَ مُنْقَادٌ لِحُكْمِكَ ، فَأَحْتَكِمْ
لَعَمْرُائِي وَدَعْتَ أَمْسٍ - مُفَارِقَا -
تَمَنَّتْ وَفَاءً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا
فَوَّقَيْتَهَا مَا لَمْ يَدْعُ لِنَصِيرَتِهَا
خَفَضْتَ جَنَاحَ الذَّلِّ فِي الْبِرِّ رَنَمَةً
تَرْوُحُ أَمِيرًا فِي الْبِلَادِ مُحْكَمَا
عَزَاهُ فَذَلِكَ النَّفْسُ ، عَزَمَ مُسْلِمٌ
حَدَّثَ لَهَا الْأَمَالَ : مَرَأَى ، وَاسْمَعَا
إِلَى غَايَةِ مِنْ بَسْدِهِ مُتَطَلَمَا
لَهَا ، وَعَزِيزٌ أَنْ تَذِلَّ وَتُخَضَّمَا^(١)
وَتَعْدُو شَقِيعًا فِي الذُّنُوبِ مُشْفَعَا^(٢)
لِمَرْفَعِ أَمْرِ لَمْ يَزَلْ مُتَوَقَّعَا

« اليوم يبي لوديد بيته يارب وجه حسن رأيه »

ومصم - ذى برقة - لوجه لو كان لادمر على أبيته

أو كان قرني واحدا كعبته .

(١) أشى : من تولم أشس على الملاك وأشى على اللوت إذا أصرى عليه ، والكأبة : الحزن ، ولما : كلمة تدل على العار وحى في الامتات دعاه له ، ولما قيل : لا لما لمار ، فمما لا أقال الله عزته ، يقول : لقد أساء إليك الدهر في هذا الخلد فهل أنت صاحب حبه ومقبله من عزته .

(٢) للفرع : كالفرعة والفرمة للسكان الذى ينحدر منه الناس والى الدواب إلى الماء لوروده .

(٣) يشج إلى قوله تعالى في بر الوالدين :

« ولخص لهما جناح الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صنميا »

مَتَى ظَنَنْتِ الْأَيَّامُ أَنَّكَ جَزِعٌ أَوْ اُسْتَشْعَرْتَ فِي قَلِّ صَبْرِكَ مَطْمَئِنًا
فَمَا أُرْبَدَ وَجْهُ الْخَطْبِ إِلَّا لَقِيَّتَهُ بِصَفْحَةٍ طَلَّقِي الْوَجْهَ أَبْلَجَ أَرْوَمَا
وَمَا كُنْتَ أَهْلًا أَنْ يُصِيبَكَ حَدِثٌ فَتُصْبِحَ عَنْهُ مُقْصَدَ الْقَلْبِ مُوجِعًا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ وَلَا أَهْتَرَ أَعْطَافًا ، وَلَا لَانَ أَخْذًا
فَأَنْتَ الَّذِي لَمْ يَنْقِمِ غِبٌّ قُدْرَةَ وَلَمْ يُؤْثِرِ الْمَعْرُوفَ إِلَّا لِيَشْفَعَا
مَتَى تُسَدِّ نُعْمَى - قِيلَ أَنْعَمَ مِثْلُهَا - يُقَلُّ جَلَلٌ حَتَّى إِذَا قِيلَ أَبَدًا ﴿١﴾
وَإِنْ يَسِلِ الْمَافُونَ جَدْوَاكَ يُعْطِيهِمْ جَوَادُ إِذَا لَمْ يَسْأَلُوهُ تَبَرَّعًا
وَيُغْرِى بِتَوَكُّدِ الْإِسَاءَةِ مُذْنِبٌ فَيُلْفِكَ بِالْإِحْسَانِ أَغْرَى وَأَوَامًا ﴿٢﴾
خَلَائِقُ مُمَهَّأَةُ الْفِرْنِدِ كَانَتْهَا حَدَائِقُ رَوْضِ الْحَرَنِ جِيدَ قَابِنَا
تُنَافِحُهَا مِنْهَا أَحَادِيثُ سُودِدٍ تَحَالُ قَتِيَتِ الْمِسْكِ عَنْهَا تَضَوَّعَا
تَقْلُقُ فِي الْآفَاقِ أَسْرَى مِنَ الصَّبَا وَأَشْهَرَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ وَأَسْرَعَا
فَلَوْ صَرَفَتْ صَرْفَ الْمَنُونِ جَلَالَةً لَكُنْتَ مُحِيًّا مِنْ تَوَدُّ مُمْتَعَا
فَلَا زِلْتَ بِمَنْوَعِ الْحِمَى مُسْتَعْفَ الْمُنَى إِذَا كَانَ شَانِيكَ الْمَصَابِ الْمُفْجَعَا ﴿٣﴾
وَدُمْتَ مُلَقًى أَنْجُمِ السَّمَدِ بِأَقْيَا لِدَيْنٍ وَدُنْيَا أَنْتَ فَخْرُهُمَا مَعَا

(١) يقول كلما أسديت جيلامال الناس : كم لهذا الجبل من أشباه ونشائر فهو - على نظره - ناهه عندهم
لكثرة ما ألوه من صائلك ، ولو أبدعت لم يسمعوا إظهارهم إبدالك لطول ما ألفوا من روائك وممالك .
(٢) يقول : ان السبي يطعمه تفوك من زلته فهو إذا أوقع جوكيد إساءته وجده أشد ولو ما حوكد
إحسانك وتفوك عنه . (٣) يقول : لا راحة الزمن ير من حاك وبسطك بأمايك على وجه يصيب
مدوك ويحجمه فيها يجب

قل للبغاة

« وقال ذو الوزارين رحمه الله »

الذهرُ - إن أُملى - فصيحُ أنجمٍ يُعطى اعتباري ما جهلتُ فأعلمُ ^(١)
 إن الذي قدَر الحوادثَ قدَرها ساوى لديه الشهدَ منها الملقمُ ^(٢)
 ولقد نظرتُ فلا أغترابُ يقتضى كدَر المالِ ولا توقٍ يعصمُ
 كمَ قاعدٍ يحظى فتعجبُ حاله من جاهدٍ يصلُ الذؤوبَ فيحرمُ
 وأرى المساعي كالسيوفِ تبادرتُ شأوَ المضاءِ فتننِ ومُصمُ
 ولكم نَسأى بالرفيعِ نصابه خطرُه فَنَاصِبُهُ الوضيعُ الألأمُ ^(٣)
 وأشدُّ فاحِجَةً الدواهي مُحسِنٌ يَسْمَى لِغِلْفِهِ الجَريمةَ مُجرِمُ ^(٤)
 تلقى الحسودَ أصمَّ عن جرسِ الوفا ولقد يصيحُ - إلى الرقاة - الأرقمُ ^(٥)

* *

قُلْ للبغاةِ المُنبِضينَ قِسِيَهُنَّ سَرَوْنَ مِنْ تُصْمِيهِ تِلْكَ الْأَسْمُ
 أَسْرَرْتُمْ فَرَأَى نَجِيَّ عِيُوبِكُمْ شِعَانُ مَذْلُولٍ عَلَيْهَا مُلْهُمُ

(١) يقول إن الدهر إن أُملى لمسا الحوادث الصريح الأنجم يكسب اعتباري وقباصي الحوادث والمراد بها بعض علم ما جهلت . (٢) إن الذي قدَر الحوادث بمقياس صحيح استوى لديه حلو الحياة ومرها . (٣) وكثيرا ما يقضى القدر أربع منصفه خطرته وشرفه بخاصة العداة وسبح لثيم حسدا منه وسيا . (٤) وأشد ما يدهش الإنسان من الدواهي محسب يسمي محرم ليلصق به إساءة وحرمة . (٥) يصيح مضارع أصاح له استمع ، والرقاة جمع راق من الرقية وهي ما ينفث فيه من العوذ ، والأرقم ذكر الحيات وهو أحسنها وأظلمها لئلا ، أو هو ما به يبيض وسواد ، يقول : إن الحسود أصم عن سماع صوت الوطء في حين أن الأرقم وهو أخبث الحيات وأشدّها عداوة للباس يصيح باسمه لراق القى يلو وينث في السوء ، وفي الأصل « ولقد يصيح إلى الرقاة الأرقم »

وَعَبَّائِهِمُ لِلْفِسْقِ ظُفْرَ سِمَايَةٍ لَمْ يَعْدُكُمْ أَنْ رُدَّ وَهُوَ مُثْقَلٌ
وَبَدَّبْتُمْ التَّقْوَى وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ فَقَدْ بَغِيضَكُمْ التَّقِيُّ الْأَكْرَمُ
مَا كَانَ حِلْمٌ « مُحَمَّدٍ » لِحِيلِهِ عَنْ عَهْدِهِ دَقِيلُ الضَّمِيرِ ^(١) مُدْمَمٌ
مَلِكٌ تَطَلَّعَ لِلنَّوَائِزِ غُرَّةً زَهْرَاءُ يُنْدِيهَا الزَّمَانُ الْأَذْهَمُ
يَفْتَشِي النَّوَائِزَ مِنْ جَبِيرِ رُؤَايِهِ خَلَقَ - يُرَى مِلَّ الصَّدُورِ - مُطَهَّمٌ ^(٢)
وَسَنَا جَبِينِ يَسْتَطِيرُ شُمَاعُهُ يُعْنَى - عَنِ الْقَمَرَيْنِ - مَنْ يَتَوَسَّمُ ^(٣)
صَبَتْ تَوَدُّ الشَّمْسُ لَوْ صِيغَتْ لَهُ تَاجًا تُرْصَعُ جَانِبَيْهِ الْأَجْمُ ^(٤)
فَضَحَتْ مَحَاسِنُهُ الرِّيَاضَ بَكِي الْحَيَا - وَهَنَا عَلَيْهَا - فَأَعْتَدَتْ تَبَسُّمُ
بِالْقَدْرِ يَبْعُدُ وَالتَّوَاضُّعَ يَدْنِ وَالشَّرُّ يَشْمُسُ وَالنَّدَى يَتَغَيَّمُ ^(٥)
جَذْلَانُ - فِي يَوْمِ الْوَغَى - مُتَطَلَّقٌ وَجَهَا إِلَيْهَا وَالرَّدَى مُتَجَهِّمٌ ^(٦)
بَأْسٌ - كَمَا صَالَ الْهَزَبُ - إِزَاءَهُ جُودٌ كَمَا جَاشَ الْخِصْمُ الْخِصْرُ ^(٧)

(١) سميده حقد مكتم . (٢) الرواء : الحس ، وحلق مطهم : تلم يارع الجلال .

(٣) يستطير : ينفجر ، من القمرين : الشمس والقمر ، والذي أجاز التنية مع اختلاف لفظ للمرد التعليل كما هو معروف في كتب النحو ، ويخوس : يطير إلى وسامة ذلك الحيث للمعى وحسه .

(٤) الصلت : صفة الجيب ومعناه الواضح البارز المستوى ، أى تود الشمس لو أنها صيبت تاماً مرصاً بلائى الجيوم ، ووصفت فوق حين للمدوح : (٥) في الأصل :

« بالمر يد يد والتواضع يدنى والبهصر شمس والندى يجمع »

والذى أنبتناه ها هو ما يسطيه للمعى .

(٦) يقول : أنه يرى يوم الحرب جذلان مرحا طلق الوجهه بلشاً إلى الحرب والردى متجههم طابس

الوجه كربة المطر ، وفي الأصل : « والروا متجههم »

(٧) البحر النظم المطم العظيم .

فَنَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي
سُدَّتِ الْجَمِيعَ فَلَبَسَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ
لَا غَرْوًا أُمِّ الْمَجْدِ - فِي بَكْرٍ الْحِجَا
فَأَحْسِبْ دَوَاعِيَ كُلِّ شَرٍّ دُونَهُ
كَمْ سَقَطَ زَيْدٌ قَدْ نَمَّا حَتَّى غَدَا
وَكَذَلِكَ السَّبِيلُ الْجَحَافُ فَلِنَمَّا
وَالْمَلِكُ يُخْرِجُ أَهْلَهُ عَنْ حَدِّهِمْ
وَأَذْكُرُ صَنِيعَ أَيْكَ أَوَّلَ أَمْرِهِ
لَمْ يُقِ مِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّعَ شَرَّهُ
فَعَلَامَ تَنْكُلُ عَنْ صَنِيعِ مِثْلِهِ
وَجَنَابُكَ الَّتِي لَمْ يَنْتَنِي
وَالْحَالُ أَوْسَعُ وَالْعَوَالِي جَمَّةٌ
لَا تَبْرُكُنِ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبُهَةٍ
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةَ فِيمَا مَضَى
كُلُّ الْمُلُوكِ لَهُ الْعَلَاءُ تُسَلِّمُ
أَنْ صِرْتَ قَدْ هُمُ الَّذِي لَا يُنَامُ^(١)
مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيْكَ صِنُوءٌ - أَعْقَمُ^(٢)
فَالدَّاءُ يَسْرِي إِنْ عَدَا لَا يُحْسَمُ
بُرْكَانَ نَارٍ كُلُّ شَيْءٍ تَحْطِمُ
أُولَاءَ حُلٍّ ثُمَّ وَبَلٌ يَشْجُمُ^(٣)
وَأَفْهَمُ فَلِإِنَّكَ بِالْبَوَاطِينِ أَفْهَمُ
فِي كُلِّ مِثْلِهِمْ فَلِإِنَّكَ تَنْلَمُ
فَصَفَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَدَّ الْمَطْلَعُ
وَلَأَنْتَ أَمْضَى فِي الْخُطُوبِ وَأَشْهَمُ
وَحُسَامُكَ الْمَضْبُ الَّذِي لَا يَكْهَمُ
وَالْمَجْدُ أَشْمَعُ وَالصَّرِيعَةُ أَصْرَمُ^(٤)
وَأَحْزَمُ ، فِثْلُكَ فِي الْمَظَاهِمِ أَحْزَمُ
يَنْتَا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُنْلَمُ

(١) الذي لا يكون له قوم وعليه من الملوك .

(٢) لا غرو فان أم المجد عقيم في بكرها الوسوم والجبا والقتل قد يشتت من أن تصيب إليه صنوا .

(٣) الجحاف : كمراب الذي يدعب بكل شيء .

(٤) الصرعة : الصرعة وأصرم أى ألح ، وفي الأصل : « والصرعة ضيف » .

«لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَى عَلَى جَوَائِبِهِ الدَّمُ» (١)

فَرَّقَ مَوْتَ، فَرَّزَتْ زَارَةَ زَاجِرِ رَاعَ الْكُتَيْبَ بِهَا السَّبْتَى الضَّيِّمَ (٢)
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُ سَفِيهِمُ أَمْ قَدْ حَمَاهُ النَّبْعُ ذَاكَ الْمَكْمُ؟
لِي مِنْكَ فَلْيَذُبِ الْمَسُودُ تَلْظِيًا لَطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلِّ الْأَكْرَمُ
وَشَقُوفُ حَظٍّ لَيْسَ يَفْتَأُ يُحْتَلَى غَضَّ الشَّبَابِ وَكُلُّ حَظٍّ يَتَرَمُ
لَمْ تُلَفْ صَاعِيْقِي (٣) لَدَيْكَ مُضَاعَاةٌ كَلَّا وَلَا حَتَّى أَصْطَنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَعَتْ حِفْظًا وَصِدْقَ رِعَايَةٍ ذِمَّةٌ مُوْتَقَّةٌ الْعُرَا لَا تُفْصَمُ
فَلْيَخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرُ مُنْجِدٍ مَنَى تَنَاقُلُهُ الْحَافِلُ مِنْهُمْ
عَطِرٌ - هُوَ الْبَسْمُ السَّطُوحُ - يَطِيبُ قَسَمَ الْقَوْلِ أَرِيحُهُ الْمُتَنَسِّمُ
وَإِذَا غُصُونُ الْمَكْرُمَاتِ تَهَدَّلَتْ كَانَ النَّشَاءُ هَدِيْلَهَا الْمُتَرَتِّمُ
الْفَخْرُ تَفَرُّ - عَنْ حِفَاظِكَ - بَلِيمٌ وَالْمَجْدُ بُرْزٌ - مِنْ وَفَائِكَ - مُعْلَمُ
فَأَسْلَمَ مَدَى الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا وَلَسَوْعَ النَّعْمَى فَإِنَّكَ مِنْهُمْ

(١) هذا البيت لا على وقد اقتضاه ابن زيدون في هذه القصيدة .

(٢) السبتي والضيم من أسماء الأسد .

(٣) صاحبة الرمل خاصة : الذين يمشون مجلساً

ذكرى قرطبة

سَقَى اللهُ أَطْلَالَ الْأَجْبَةِ بِالْحَمَى
وَعَاكَ عَلَيْهَا ثَوْبَ وَشِي مُنَمَّمَا
وَأَطْلَعَ فِيهَا لِلْأَزَاهِيرِ أَنْجُمَا
فَكَمْ رَفَلَتْ فِيهَا الْخَرَائِدُ كَالدُّمَى^(١) إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غُلَامٌ

* *

أَهِيْمُ بِجَبَّارٍ يَعْزُّ وَأَخْضَعُ^(٢)
شَدَا الْمِنْكَ - مِنْ أَرْذَائِهِ - يَتَضَوُّعُ
إِذَا جِئْتُ - أَشْكُوهُ الْجَوَى - لَيْسَ يَسْمَعُ
فَأَنَا - فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ - أَطْمَعُ وَلَا أَنْ يَزُورَ الْمُقْلَتَيْنِ مَنَامُ

* *

قَفْصِيبٌ - مِنَ الرِّيحَانِ - أُنْمَرَ بِالْبَذْرِ
لَوَاحِظٌ عَيْنَيْهِ مُلَيْنٌ مِنَ السَّخْرِ
وَدِيْبَاخٌ خَدِيدٌ حَكَى رَوْنَقَ الْخَمْرِ
وَالْقَافِظَةُ - فِي النُّطْقِ - كَاللُّوْلُو الثَّرِي وَرِيقَتُهُ - فِي الْإِرْتِشَافِ - مُدَامُ

(١) دمل : حر ذئب وتعد ، قال الشاعر : « برطلى سرق الحرير وقرته » الخرائد - جمع حريدة -
وهي المرأة الحلية ، وهي أيضاً الألوكة التي لم تنجب ، قالوا : وكل عذراء حريدة ، والدمى - جمع دميسة -
وهي الصورة للقفصة للربة فيها حمة كالدمى ، وقيل : هي من الرحم ، وقيل : هي من الحاج ، وهي تضرب
مثلا في الحس ، يقال « أحسن من النمية »

(٢) قال المصنف :

« لو حيث يستمع السراد وهما لنبينا من مرة وخموى . »

سَقَى جَنَابَاتِ الْقَصْرِ صَوْبُ النَّمَامِ
وَفَنَى عَلَى الْأَغْصَانِ وَرَقُ الْحَمَامِ
« بِقُرْمُطَةٍ » الْفَرَاهِ دَارِ الْأَكَارِمِ
بِلَادُهَا سَقَى الشَّبَابُ تَمَامِي ^(١) وَأَنْجَبَنِي قَوْمٌ - هُنَاكَ - كِرَامُ

فَكَمَّ لِي فِيهَا مِنْ مَسَاءٍ وَإِصْبَاحِ
بِكُلِّ غَزَالٍ مُشْرِقِ الْوَجْهِ وَصَاحِ
يُقَدِّمُ ^(٢) أَفْوَاهَ الْكُؤُوسِ بِنَفَاحِ
إِذَا طَلَعْتَنِي رَاحِمُ أَنْجُمِ الرَّاحِ فَإِنَّا - لِإِعْظَامِ الْمُدَامِ - قِيَامُ

وَيَوْمَ لَتَى « النَّبْتِي » فِي شَاطِئِ النَّهْرِ
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي فِتْيَةِ زُهْرٍ ^(٣)
وَلَيْسَ لَنَا قَرْنٌ سِوَى يَانِعِ الزُّهْرِ
يَدُورُ بِهَا عَذَبُ اللَّمَّا أَهْيَفُ الْخَصْرِ
بِفِيهِ مِنَ الْغَمْرِ الشَّدِيدِ - نِظَامُ ^(٤)

(١) النَّمَامُ - جمع نَمِيَّة - وهي هودجة تعلق على الأطفال عمادة المني ، ومنه قول النابغة : « من على نَمِيَّةٍ مَلَأَتْهُمُ اللَّهُ لَهُ » وقول الشاعر :

« وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَشْبَهَتْ أَطْفَارَهَا أَلْبَيْتَ كُلِّ نَمِيَّةٍ لَا نَفْعَ . »

(٢) مَدَمٌ مِمَّ الْآيَةِ وَأَمَدُهَا جَلُّ عَلَيْهَا الْقَدَامُ أَيْ الْمَطَاءُ .

(٣) زَهْرٌ : مَشْرِقُ الْوُجُوهِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنْ هَذَا - فِي بَابِ الْحُرِيَّاتِ - قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

« وَدَارُ تَدَامِي مَطْلُومًا وَأَدْخُلُوا بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ حَتَّى وَدَارَسَ »

« سَاحِبٌ مِنْ حَرِّ الرِّفَاقِ عَلَى التَّرَى وَأَصْصَاتٌ وَبَحَانٌ حَتَّى وَيَاسَ »

جَمَعَتْ بِهَا صَحْبِي فَجَدَّوَتْ بِهِمْ وَابَى عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسِ

وَلَمْ أَدْرِ مِنْهُمْ هَبِيرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ - بِعَرَقِ سَابِطٍ - الْفَيْلُ وَالْبَهَائِسِ

أَلَمَّا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَجُلِ خَلَسَ

تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَصَدِيَّةٍ حَتَّى بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ تَارَسَ

فَرَادَتْهَا كَسْبَرِي وَفِي حَنَابِهَا مَهَا تَدْوِيهَا مَالِئِي الْفَوَارِسِ

فَلَخَضَرُ مَا رَوَّرَتْ عَلَيْهِ جِيُوبَهَا وَلِلنَّسَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْفُلَانِسِ » .

(٤) الشَّدِيدُ - مِنَ الشَّدْبِ - وَهُوَ رَفَةٌ أَوْ هُوَ ضَوْفَةٌ فِي الْأَسْنَانِ ، وَلَيْلٌ تَطْلُ يَبِشُ بِهَا .

وَيَوْمَ « بِجُوفِي الرِّصَافَةُ » مُبْهِجٌ
مَرَرْنَا بِرَوْضِ الْأَقْصَوَانِ الْمَذْجِ
وَقَابَلْنَا فِيهِ نَسِيمُ الْبَنْفَسِجِ
وَلَاخَ لَنَا وَرَدٌ^(١) كَعَدِ مُضَرِّجِ نَرَاهُ أَمَامَ النُّورِ وَهُوَ إِمَامُ

وَأَكْرَمُ بَأْيَامِ « الْعُقَابِ » السَّوَالِفِ^(٢)
وَلَهْوِ أَتْرَنَاهُ بَيْنَكَ الْمَعَاطِفِ
بِسُودِ أَثْبَتِ الشَّعْرِ يَبِضُ السَّوَالِفِ
إِذَا رَفَلُوا فِي وَشْيِ تِلْكَ الْمَطَارِفِ^(٣) فَلَيْسَ - عَلَى خَلْعِ الْعِذَارِ - مَلَامُ

وَكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ « الْعَقِيقِ » وَجْهِهِ
قَعَدْنَا عَلَى حُمْرِ النَّبَاتِ وَصُفْرِهِ
وَنَظَنِّي يُسْقِنَا سُلَاقَةَ حُمْرِهِ
حَتَّى جَسَدِي فِي السَّقَمِ - رِقَّةَ خَصْرِهِ - لَوَاحِظُهُ - عِنْدَ الرُّثُومِ - سِهَامُ

فَقُلْ لِرِثْمَانٍ قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهُ^(٤)
وَرَثْتُ - عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي - رُسُومُهُ
وَكَمْ رَقٍّ فِيهِ - بِالْعَتَمَى - نَسِيمُهُ
وَلَا حَتَّ لِسَارِي اللَّيْلِ فِيهِ جُومُهُ : « عَلَيْكَ مِنَ الصَّبِّ الْمَشُوقِ سَلَامٌ »

(١) في الأصل : « مجد »

(٢) السوالب - جمع سالة - وهي صيغة السق ، وقبل : ناحية مقدمها من لذن ملحق القرمط إلى الترتوة .
وقد تقدم في ص (٥٤) وما يليها شرح أمكنة ومساعد بقرطة منها (جوف الرصافة) و (العقاب) فارجد
إليها إن شئت . (٣) للطارف - جمع مطرف - وهو رداء من خر مريم ذو أعلام .

سلوى المضطر

لَنْ قَصَرَ النَّاسُ مِنْكَ الْأَمَلُ وَحَالَ تَجَنُّبِكَ دُونَ الْحِيلِ
وَنَاجَاكَ - بِالْإِفْكَ - فِي الْحَسُودِ فَأَعْطَيْتِهِ - جَهْرَةً - مَا سَأَلَ
وَرَأَاكَ سِحْرُ الْعِدَا الْمُفْتَرَى وَغَرَّكَ زُورُهُمْ الْمُفْتَعَلِ
وَأَقْبَلْتَهُمْ فِي وَجْهِ الْقَبُولِ وَقَابَلَهُمْ بِشَرِّكَ الْمُقْتَبَلِ
فَلَنْ دِيَامَ الْهَوَى لَمْ أَزَلْ أَبْقَيْهِ ^(١) حِفْظًا كَمَا لَمْ أَزَلْ

* *

فَدَيْتِكَ - إِنْ تَعَجَّلِي - بِالْجَفَا فَقَدَّيْتُ الرِّيثَ بِنُفْسِ الْعَجَلِ ^(٢)
عَلَامَ أَطْبَعْتَ ^(٣) دَوَاعِي الْقَلَى ؟ وَفِيمَ ثَنَّتْكَ نَوَاحِي الْعَدَلِ ؟
أَلَمْ أَلْزِمِ الصَّبْرَ كَيْمَا أَخِفَ ؟ أَلَمْ أَكْثِرِ الْمَجْرَى لَا أَمَلِ
أَلَمْ أَرْضَ مِنْكَ بِغَيْرِ الرِّضَى وَأَبْنَدِي الشُّرُورَ بِمَا لَمْ أَتْلُ ؟
أَلَمْ أَغْتَفِرْ مُوَيْقَاتِ الذُّنُوفِ بِرِ عَمْدًا أَتَيْتَ بِهَا أَمْ زَلَلِ ؟

(١) في الأصل : « أَبْقَيْهِ »

(٢) في هذا قصيدتين للثلث المهور : « رب محبة تهب ريثا » ، قالوا : وأصل اللثل فيها حكاية للفصل الصبي
أله مالك بن عوف بن أمي عمرو بن عوف بن علم شام غيا فأراد أن يرحل بأسرته حاضرة بنت عوف بن
أمي عمرو ، فقال له مالك : أين تظن يا أمي ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة ، قال : لا تعمل فانه وربما
خبت وليس فيها قطر ، وأما أغلف عليك ، قال : لكفي لست أحلف فضي ، وعرض له ميسى فأجابه
أسرته وجلسا بين لسانه ولم يكف لها سقرا ، فقال مالك بن سنان : ما صنعت أحق ، قال : فضي عنها الزمان
فقال مالك : رب محبة تهب ريثا ، ولروفة يدهي لينا ، ورب غيث لم يكن غيثا .

(٣) أطبعك : أعجبك ورائحك . قال ابن دريد :

« ولا أطبي ضئي - مذ فارغتهم - هي . يروق العين من هذا الورد »

وَمَا سَاءَ ظَنِّي فِي أَنْ يُسِيءَ فِي الْفِعْلِ حُسْنُكَ حَتَّى فَعَلَ
عَلَى حِينٍ أَصْبَحْتَ حَسْبَ الضَّمِيرِ وَلَمْ تَبْغِ مِنْكَ الْأَمَانِي بَدَلْ
وَمَا نَكَ مِنْنِي وَفِيَّ أُبَيُّ لِيَلْقَى الْعَلَاقَةَ أَنْ يُتَذَلَّ

* *

سَعَيْتَ لِتَكْذِيرِ عَهْدٍ صَفَاً ، وَحَاوَلْتَ تَقْصَعِ وَدَادٍ كَمَلْ
فَمَا عُوِفَيْتَ مِقَّتِي ^(١) مِنْ أَدَى وَلَا أُعْفِيْتَ تِقَّتِي مِنْ حَبَلْ
وَمَهْمَا هَزَزْتُ إِلَيْكَ الْعِتَا بَ ظَاهَرَتْ بَيْنَ ضُرُوبِ الْعِلَالِ
كَأَنَّكَ نَازَلْتَ أَهْلَ الْكَلَامِ وَأَوْتَيْتَ قَهْمًا يَعْلَمُ الْجَدَلْ
وَلَوْ شِئْتَ رَاجَعْتَ حُرَّ الْفَعَالِ وَعُدْتَ لِنِلَاقِ السَّجَايَا الْأَوَّلِ
فَلَمْ يَكْ حَطَّى مِنْكَ الْأَخْسَ وَلَا عُدَّ سَهْنِي فِيكَ الْأَقْلَ

* *

عَلَيْكَ السَّلَامُ سَلَامَ الْوَدَاعِ وَدَاعِ هَوَى مَاتَ قَبْلَ الْأَجَلِ
وَمَا بِاخْتِيَارٍ تَسَلَّيْتُ عَنْكَ ، وَلَكِنِّي مُكْرَهُ لَا بَطْلَ ^(٢)
وَلَمْ يَذَرِ قَلْبِي كَيْفَ التَّزْوِجِ إِلَى أَنْ رَأَى سِيرَةً فَاثْمَنَ
وَلَيْتَ الَّذِي قَادَ عَفْوَاً إِلَيْكَ أَبِي الْهَوَى فِي عَيْنِ الْغَزَلِ
يُحِيلُ عُدُوبَةَ ذَاكَ الْمَلَأَ وَيَشْنِي مِنَ السُّقْمِ تِلْكَ الْمَقْلَ

(١) مَقَّتِي : حِينِي .

(٢) يقول : إني مرغم على السلو وليس لي فيه اختيار وفي اللؤلؤ « مكروه أخوك لا بطل » يضرب لمن يحمل على ما ليس من شأنه ، ولا هو داخل في حدود استطاعته .

في مدح المعتضد

« وقال أيضا بمدح المعتضد بالله المنصور بفضل

الله أبا عمرو عاد بن محمد بن عاد . »

لِلْحُبِّ - فِي تِلْكَ الْقِيَابِ - مَرَادُ^(١) لَوْ سَاعَفَ الْكَلِيفَ الْمَشُوقَ مُرَادُ
لِيَنْزُ هَوَاكَ فَقَدْ أَجَدَّ حِمَايَةَ لِفَتَاةٍ مَجْدٍ فِتْيَةُ أَنْجَادُ^(٢)
كَمْ ذَا التَّجَلُّدُ لَنْ سَاعَفَكَ الْهَوَى بِالْوَصْلِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ نِجَادُ^(٣)
أَعْيِلَةَ السَّرْبِ ! الْمُبَاحُ لِيُزِدَهَا صَفْوُ الْهَوَى إِذْ حُلِيَ الْوَرَادُ^(٤)
مَا لِلْمَصَايِدِ لَمْ تَنْكُ بِحِمْلَةٍ ؟ إِنَّ الْغُلَبَاءَ لَتُنْذِرُنِي^(٥) فَتَصَادُ
إِنْ يَمُدُّهُنَّ سِمَرَاتٍ جِزَعِكِ سَامِرُ^(٦) فِي كُلِّ مَطْلَعٍ لَهُمْ إِرْعَادُ^(٧)

(١) مكان ارتياد . (٢) لينذر : لينحذر إلى الوراء ، والاعاد : جمع نعيد وهو الشجاع ذو
النجدة والباس . (٣) يقول : ما هذا التعلد والصبر ؟ إنه لن يسلك الهوى بالوصل ما لم تكن
شجاعا طويلا لنجاح بحيث يراك الأعداء ، وتستطيع زيارة هذه الحبيبة في حي قومها رغم رثيم ووعيد .
(٤) الطفلة : الكريمة من النساء المهددة ، وحلي الوراد : منعوا من ورود الهوى صفوا ، أي يا طفلة
بين سرب من النساء مباح لها ورد الهوى صاميا ممنوع غيرها من ورده ، وجواب النداء في البيت سده .
(٥) المصائد : بلا همز جمع مصيده كمينته ومعايش ، وتندري : تمنع من ادري الصائد الصيد إذا حمله
واحتال له ليصيده ، هل الشاعر :

« وماذا يدري الشعراء مني وقد جلوزت حد الأرميين . »

وقال أبو نواس في وصف كأس :

« فراريتها « كسرى » وفي جنبها مها تدور يا - فاقسى - الهوارس . »

(٦) سميرات : جمع سيرة (بفتح ضم) ضرب من الشعر . قال امرؤ القيس :

« كائن غداة الوبى - يوم ترحلوا - لنى سميرات الحى ناظف حنظل . »

وجزعك : أراد به جزع الوادى أى مقطعه الذى يقطعه عرسا إذا أراد زيارتها ، والباسر : مجلس السر
يقول : إن يمدنى ويمسنى من سميرات جرع واديك ساهر من قودك لهم فى كل ثنية ومطلع إرصاد وإراق
وؤجر وتخوف ، وجواب الأمر فى البيت سده .

فَبِمَا تَرَفَّرَقَ لِلنَّسِيمِ يَنْتَهَا غَلَّلَ شَقَّ حَرِّ النَّفِيلِ بُرَادُ^(١)
 أَنَا حِينَ أُطْرِقُ لَيْسَ يَفْتَأُ طَارِقِ شَوْقُ كَمَا طَرَقَ السَّلِيمِ عِدَادُ^(٢)
 يَنْتَهَى جَفَاؤُكَ عَنِ يَارِقِي الْكَرَى كَيْلًا يَزُورُ خِيَالِكَ الْمُتَادُ
 لَا تَقْطَعِي صِلَةَ الْخِيَالِ تَجَنُّبًا إِذْ فِيهِ مِنْ عَوَزِ الْوِصَالِ سِدَادُ^(٣)
 مَا ضَرَّ أَنَّكَ بِالسَّلَامِ صَنِيعَةً أَيَّامَ طَيْفِكَ بِالْيَنَاقِ جَوَادُ
 هَلَّا حَمَلْتَ الشَّقَمَ عَنْ جِسْمٍ لَهُ فِي كِلَةٍ زُرْتُ عَلَيْكَ فُؤَادُ
 أَوْعَدْتِ مِنْ سَقَمِ الْهُوسَى، إِنَّ الْهُوسَى بِمَا يُطِيلُ صَنَى الْفَتَى فَيْحَادُ
 إِيهَا ! فَلَوْلَا أَنْ أُرْوَعَكَ بِالسُّرَى لَدَنَا وَسَادُ أَوْ لَطَالَ سِوَادُ^(٤)

(١) ترفرق : تحرك وحده وذهب كما يرى في ترفرق السراب واللواء ومرند السيف ، والصمير في « ينها »
 مائد على السمات ، والطل : الماء الذي يطل بين الشجر ، والليل : العطش ، والبراد : البرد ، يقول :
 إن يعنى قومك من الوصول إليك فسيل الوادي الذي يطل ماؤه بين سرات الحى ما يشقى لليل ويبرد
 طلق ، يريد أن الوصول إلى هذا المكان أو حرارة الشوق عنده ، وقد ورد هذا البيت والذي قبله في
 الأصل على هذه الصورة :

« إن يهدن ثمرات حركك ساسر في كل مطلع لهم إرهاد

فبما ترفرق للنسيم ينها غلل في جر الليل براد . »

(٢) السليم : اللذوع ، وعداد السليم : امتياح الوحع عنده ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم بلغ حاج
 به الألم ، أو عادده أن تعد له سبعة أيام فلان صمت وجوا له البره ، يقول : أنا حين أطرق برأسى منكرا
 يطرقى من ألم الشوق ما يطرق القديح حاج به الألم للمعاد .

(٣) سداد : بالكسر هو كل شيء سددت به حلالا ، ومنه سداد الفارورة وهو صمامها الذي يسد به
 رأسها ، ويقال : سداد من هوز وسداد من عيش وهو مائل به الحاح .

(٤) الوساد : الحدة والوساد : السرار مصدر ساودها وساود أي سارعا مسارة وسارارا فأدنى
 سواده من سوادها ، وقيل لأبنة الحس : « لم زيت وأنت سبعة قومك » ؟ هالك : « قرب الوساد »
 وطول السواد . وأرادت بطول السواد كثرة المسارة عند النوم لأن المسارة يلزمها قرب السواد من السواد
 أي تدنو شخصها من شخصه ، وهو مثل يضرب للأسرى يلقى صاحبه بها يكره .

لَفَشَيْتُ سَجْفَكَ فِي مَلَأَةٍ شَرَّةٍ فَضِلْ سِوَى أَنْ الْعِطَافَ نِجَادُ^(١)
لَا مِيلَ فِي سُكْرِ اللَّمَّا قَبِيَّتَ لِي - جَمَّا حَوَى ذَاكَ السَّوَارُ - وَسَادُ
فَعِدِّي الْمُنَى، فَوَعِيدُ قَرَمِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَتَوْقَ عَنْ أَنْ يُقْتَضَى الْمِيعَادُ

* *

أَصْبُو إِلَى وَرْدِ الْخُدُودِ إِذَا عَدَتْ جُرْدُ - تُبَلِّغُنِي جَنَاهُ - وَرَادُ
وَأَرَا حُ لِّلْمِطْرِ السَّطُوعِ أَرِيحُهُ إِنْ شَيْبَ بِالْجَسَدِ الْعَطِيرِ جَسَادُ^(٢)
عَزَمُ إِذَا قَصَدَ الْحِمَى لَمْ يَذْنِبْ أَنْ الْقَنَا - مِنْ دُونِهَا - أَفْصَادُ^(٣)
مَنْ كَانَ يَجْهَلُ مَا الْبَلِيدُ، فَإِنَّهُ مَنْ تَطْلِيهِ - عَنِ الْحُطُوطِ - بِلَادُ^(٤)
وَقَى الشَّهَامَةَ مَنْ - إِذَا أَمَلَ سَمَا - نَفَذَتْ بِهِ شُورَى أَوْ اسْتَبَادُ^(٥)

* *

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْأَجْبَةَ إِذَا بَتَ ذِكْرَاهُمْ أَنْ يَطْمُنَّ سِهَادُ
لَا يَأْسَ ، رَبِّ دُنُو دَارِ جَامِعٍ لِلشَّمْلِ قَدْ أَدَّى إِلَيْهِ بَعَادُ^(٦)

(١) السجف : السر ، قالوا : أو هو السران للفرعان بينهما فرجة ، أو هو كل باب سر بسترين مفروشين ، فكل شئ سجد وسجاد ، ويقال : اسجد السر أي أرضه ، وللملادة : الرقعة ، والنثرة النوع السلس لللبس أو الواسعة ، والفعل - كالصفة - : الثياب التي تتخذ للوم ، وثوب يصل أي واحد أو هو أن يخالف بين طريقه فيصلهما على طاقه ويوشح به ، والنجاد : حائل السيف وضعها على طاقه فكانت بدل العطف ، يقول : لفشت سجدك ، ودخلت عليك سرك في درع واسعة كالألدة ، فصل أي خالفت بين طرفيها فجعلتهما على طاق حتى توشحت بها ، أو وصل أي واحدة ليس على غيرها سوى ما وضعته على طاق كالعطف من نجاد السيف أي حائله .

(٢) الجسد : الثوب للصبوغ بالزعفران أو الصفرة ، والجساد : الزعفران ، قالوا : « والجسد والجساد : الزعفران » ، ويقال : أجسد ثوب طلاء لجسداً فهو مجسد . يقول : إني أرتاح وأطمع بمشارك الساطع لما امتزج طيب الزعفران بثوبك الأحمر المصبوغ بالزعفران أو الأصفر للصبوغ بالصفرة .

(٣) أفضاد : يقال تصدت الرماح تكسرت ورمح أفضاد منكسر ، ورمح أفضاد منكسر يوصف به الواحد والجمع ، يقول : إذا اعتزمت زيارتها ، وضعت حماها لم يصرفني عن هزبي أن الرماح تكسر دون الوصول إليها ، وفي الأصل : « القى . » (٤) اطباء : ازدعاه ، وشأه وإجبه .

(٥) وفي الأصل : « نفذت به شورى أو استبداد »

(٦) وفي الأصل : « لأياس »

إِنَّ أَغْتَرِبَ فَوَاقِعَ الْكَرَمِ - الَّذِي فِي الْغَرْبِ شَمْتُ بُرُوقَهُ - أُرْتَادُ
 أَوْ أَنَا - عَنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي - فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِكُهُمْ « عِبَادُ » (١)
 الْمَجْدُ عُدْرٌ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ نَأَى - يَرَى الْمَصَانِعَ مِنْهُ كَيْفَ تُشَادُ (٢)
 يَا هَلْ أَتَى مِنْ ظَنِّ بِي - فَقَطَّنُونَهُ - شَيْءٌ تَرْجَحُ يَنْتَهَا الْأَصْدَادُ -
 أَنِّي رَأَيْتُ « الْمُتَذَرِّينَ » كِلَيْهِمَا - فِي كَوْنٍ مُلْكٍ لَمْ يُحِلَّهُ فَسَادُ
 وَبَصُرْتُ بِالْبُزْدَيْنِ إِرْثٍ « مُحَرَّقٍ » (٣) - لَمْ تَخْلُقَا - إِذْ تَخْلُقُ الْأَبْرَادُ

(١) وفي الأصل :

« أَوْ أَنَا هُوَ صَيْدُ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِكُهُمْ عِبَادُ . »

(٢) وفي الأصل : « الْمَجْدُ عُدْرٌ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ نَأَى »

(٣) محرق

هو - كما في شرح العميون - « عمرو بن المدي بن ماء السماء » وهو « عمرو بن هند » وكان يعرف
 بأمة هند بنت الحارث بن حبر آكل المرار السكدي ، وكان يقال لعمره ، مفرط المجارة لشدة بأسه ،
 وسعى عمرو لفصحة استوفى أبو الفرج شرحها في كتاب الألفاظ ، قال : كان قد قائد حياطي . على
 ألا يلازموا ، ولا يفاخروا ، ولا يبروا ، ثم أنه عرا اليمامة ورجع متبطلاً ومرطياً ، قال له زرار بن عدس
 القيسي ، وكان من خواصه أبيات القيس أصب من هذا الحى شيئاً ، فقال ويحك إن لهم صدقاً . قال وإن كان
 لهم ، فلم يزل به حتى أصاب بسوء وأدوا ، فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي :

« أراك ابن هند لم تفك أمانة وما المرء إلا عهد ومواثقه

ما كنت حمدي بالأمانع مرمى وما حبي بطعائش درادته

لئن لم تعبر بمس ما قد صله لا تنحب لعظم فؤادك طارقه . »

سعى طارق بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند ، قال له زرار بن عدس أبيات القيس أوجهك ؟ قال
 عمرو لرمية بن شمار الطائي أجهوني ابن عمك وجوهدي . قال لا والله ما معاك ، ولكنه قال :

« والله لو كان ابن حنفة حاركم ما إن كماكم سيمة وهوانا . »

وأراد رمية أن يسلم سيمته ، قال والله لأفعله ، بلغ ذلك طارقاً ، قال لمفسداً :

« أيوهدي والزل يبي وييه تيه رويداً ما امامة من هند

غدت بهمد كنت أت أخذتنا طيه وهر الغيبة القدر بالهد

وقد يترك المدي وطامه إذا هو أسي حاس دم القصد . »

بلغ عمرو بن هند قوله من أطيعاً فأسرأ سرى من يدي بن أكرم رط حاتم ، فودع حاتم عليه وسأله في
 الأسرى فأطلقهم له ، وكان للفرير ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابناً له صغيراً يقال له مالك عند زرار

ابن حنبل ، وأن مالكاً خرج وما يصيد فأحرق ، ولم يجد شيئاً ، فرجع فرأى لرحل من بني عبد الله بن دارم يقال له سويد ، وكان هد سويد ابنة زرارعة ، فولدت له سبعة غلمان ، فأمر مالك بن النضر بتأفة سبعة منها ففترها ، ثم اشتوى وسويد تأم ، فلما انبأ شد على مالك بمصا ضربه فأمنه ، فبات وخرج سويد مارباً حتى لحق بمكة ، وكانت على قنصل غزاة بن زرارعة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي للملك ، فقال ثعلبة بن عمرو الداني :

« من مبلغ عمرواً بأن الله لم يخلق صباره
وهو أدل الأليم لا بقي لها إلا المجارة
أن ابن عمرو أمته بالسبع أسفل من أواره
نسى الریح خلال كفسحه وقد سلوا أزاره
فاقتل زرارعة لا أرى في القوم أو فسر زرارعه . »

فلما بلغ هذا الشر عمرو بن هند بكى وفاحت صباه ، وبلغ الخبر زرارعة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ أسراة وهي حيلي ، فقال أذكر في طلبك أم أبي ؟ قالت لا أعلم في ذلك بغير يظنها ، فقال قوم زرارعة لرزارة والله ما قتلت أما الملك فأنه ما صدته الخبر ، فأتاه فتصل إليه ، فقال على سويد ، فقال إنه لحق بمكة ، قال صلي عليه ، فأتاه ببنية السبعة وأمرهم بت زرارعة غلمانهم فوق يمس ، فأمر يقتلهم ، فناولوا أحدهم ضربوا عنقه وقلعوا زرارعة الآخرين ، فقال زرارعة : يا سفي ، فندعت مثلاً وقتلوا وآلى عمرو بن هند ألية ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل ، فخرج يردم وصت على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوحد القوم قد أبدروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأحجية البحرين فحبسهم وعلقه ابن هند ففصرت فبته وأسرهم بأحدود ثم أضرم فيه ناراً ، فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيه فاحرقوا فأقبلوا ركب من البراحم وهم يطن من بني حنظلة لا يدري بغيره مما كان يصنع بهيمة فأخذ وألقى في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقتل له لو تحلت ماسرة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً ، فعدا امرأة من بني حنظلة ، فقال لها من أنت ؟ قالت الحمراء بك صبرة ، فقال إني لأطعم أعمية ؟ قالت : ما أما بأعجوبة ولا ولدني العمم :

« إني لمت ضربة بن جابر ساداً مصداً كابران كابر . »

فقال عمرو : أما والله لولا حماقي أن تله تملك لصرتك عن النار ، قالت : « أما والذي أسأله أن يمشي وسادك وبغضس همدك ، ما تلت إلا لساء أهالياً ندي ، وأسألهما دى . » قال أقدموها في النار فالتفت وقالت : ألا ترى يكون مكان محوز ، فلما أسألهما عليها قالت : هيهات صار العتيان جداً وسي من ذلك اليوم محزناً ، ومن ملوك جنة أيضاً المحرق لكه غير صاحب البردين - فأما أسر البردين لحكي أن الومود اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه يلو الومود وقال ليقم أعز العرب فبقة فليأخذها ، فقام طاسر بن أجيبر فأخذها فأتى بالواحد وارتنى بالآخر ، فقال له أنت أعز العرب فبقة ؟ قال العزكاه في مدد والمدد في مدد ، ثم في زرار ، ثم في صفر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في جهلة فمن أنكروا هذا فلينا فرني فسكت الناس ، فقال حسنه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في نفسك وأمل بيتك ؟ قال أما أبو عفرة ، وأخو عفرة ، وهم عفرة ، وحال عفرة ، وما أنا في نفسي وشاهد الر شامدي ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها فله عفرة من الابل فلم يتم إليه أحداً ، وخرج بالبردين ففصرت العرب بهز للثل وبيرديه

وَعَرَفْتُ مِنْ ذِي الطُّوقِ عَمْرٍو^(١) نَارَهُ جَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ^(٢) حِينَ يُكَادُ

(١) عمرو « ذو الطوق »

اعظم من ١٤٠٠ من هذا الديوان .

(٢) جذيمة الوضاح أو الأبرص

هو جذيمة بن مالك بن طمر التنوخي ، وقبل الأردى أول من قاد العرب وذلك على فتاعة ، وكانت ماله الحيرة والابار وولايته من قبل اردشير بن بابك ، وكان أبرص فعند من هذا الاسم ، فليل الأبرص والوضاح ، وزعم بعضهم أنه كان يأبى من اسم الأبرص ، ولذلك كنى عنه بالأبرص ، وفي الدرب من ينصر بذلك . قال الرازي يمدح أبرص :

« أرمس يماس اليدين أكلف والبرص أدري بالاهل وأعرف . »

وهو أول من صب له الشمع وأدلى من اللوك ، وكان ذا رأى ومهنة وفيه مفرط ، ويقال له نديم الفردين كان إذا شرب قدماً صب لها قدسي ولا يعدم غيرهما ، وكان سبب ذلك بما رحموا أنه كان تكهن واتخذ صبيون يقال لها الميرمان يستقي بهما ويتصر على أعدائه ، وكانت اياد قد خرج قوم منهم من الحمار والمفرحوا فيما بين العمرة والكوفة وتمككوا على ما على الحيرة وكفروا بين أناف ، فخرج جذيمة طارياً ، وكان في اياد رجل يدل له عدى بن عمر ، وكان له طرف وحال ، وإليه تمت اللوك من آل نصر ، فنزل جذيمة داحتهم ، دشت اياد قوماً منهم إلى صبي جذيمة فسقوا سديتهم الجمر وسرقوها فأصبحوا بهما في اياد فمشت اياد إلى جذيمة تقول : إن صبيك قد أصعبا عندنا زهداً فيك ودرجبة بنا ، فان هادتنا على أن لا نرونا رددها إليك ، فقال جذيمة وتطوى أيضاً عدى بن نصر يكون فندى فسقوا والمصرف عنهم ، وضم عديا إلى نصه وولاه هرايه وأمر مجله ، وكان لجذيمة أخت تسمى رقائق وهي بكر ، فأحت عديا وأحبها ، فأسأته أن يعطيها من جذيمة إذا سكر فعلى ذلك وروحه بها وأشهد عليه من حضر ، فلما أصبح دخل عليه ليأبى العرس ، وكان قد دخل بها تلك الليلة ، فقال جذيمة ما حصد الآثار يا عدى ؟ فقال آثار هرس رقائق ، فقال من زوجكها ويحك ؟ قال لك ، فأكتب على الأرض مكرراً وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر ، وأرسل جذيمة إلى أخته يقول :

« خبرني رقائق لا تكذبي أبصر زيت أم بهبي »

أم بسد مات أهل لسد أم بدون مات أهل لسون .

فالت بل أت زوجتي امرأة غريباً ولم تشاوري في نفسي ، فكف عنها وآلى أن لا ينادم إلا الفردين وحملت رقائق غلاماً وسمته عمرا ، فلما ترعرع ألتته ونطرتة ودخلت به على خاله ، فلما رآه أحبه وحله مع ولده وخرج جذيمة متدياً بأهله في سسة خبية ، فأقام في دوسة ذات زهر ونهر ، فخرج ولده وعمرو معهم يجهون الكساء ، فكانوا إذا أصابوا كاه حيدة أكلوها ، وإذا أصلبها عمرو خبأها وانصرفوا إلى جذيمة يصادون وعمرو يقول : هذا حناي وخياره فيه ، إذ كل جاني يده إلى فيه ، فضمه جذيمة إلى صدره وسرّ بقوله وحلاه بطوق من ذهب ، فكان أول هربي ليس الطوق ، ثم إن الجني استطارته فطلبه جذيمة في الآفاق زماناً فلم يقدر عليه ، ثم أقبل رحلان من فتاعة يقال لها مالك وقبيل ابها فارح من الفلمبرجاني جذيمة وأهديا له طرفا ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فقح عريان قد تلبس شعره فعرنهما فله فبهما ونفسلا

وَأَتَى بِي النُّعْمَانُ ^(١) - يَوْمَ نَعِيمِهِ - نَجْمٌ تَلَقَّى سَعْدُهُ الْمِيلَادُ
قَدْ أَفْتَتْ أَشْهَاتُهُمْ فِي وَاحِدٍ إِلَّا يَكُنْهُمْ أُمَّةٌ فَيَسْكَدُ ^(٢)

رأسه وأصلها أمره وألباه ثياباً ، وقال ما كما تهدي جذية أمس من ابن أخته ، وخرجا به إلى جذية
مصر به ورأى الطوق ، فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مشلا ، وقال لك وعقيل حكمتكما فلا
مادمك ما جئنا وبقيت فكنهما من ذلك وما نديما جذية اللعان يضرب بها للتل وإياها عن متم بن
نوبة بقوله و رثاه أخيه :

« وكنا كندما جذية حبة من الحر حتى قيل لي جصدا . »

وقيل إنما عن المرتدين ، ويحك أن جذية سكر مرة أخرى فقتلها ، فلما أصبح ندم ، وبني عليها التريين
ونادم المرتدين وقيل إن صاحب المديين للدوا الأكبر ، ثم إن جذية أرسل يغتلب الزباء ملكة الحضرم الحاضر
بر الفرس والروم ، وكلاهما وترعده فأحاجه واستدفعته إليها فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالمضي فظالمهم نصير
ابن سعد ، وكان ليأ ، وقال : « إن النساء يهدين إلى الأرواح عصابة وسار حق إذا كان بمكان يدهي بقية
استشارهم فأشاروا عليه لما يلهون من رأيه فيها ، فقال نصير اصرف ودمك في وجهك فأبى ، وطن
جذية حتى إذا طاب الكنائ قد استقبلته . قال نصير ما الرأي ؟ قال تركت الرأي بقية ، ثم ركب نصير
درسا لجذية تسمى العصا صفا وأخذ جذية ، فلما أدخل على الزباء أمرت برواحته فظمت والرواحش
عروق اليد واستنزعته حتى مات في خبر طويل مغمور ، وكانت مدة ملكه سبع سنين ، وله أشعار حسنة
معمورة فلها :

« أفضى جذية في يبرين منزله قد حلز ما جئت من قلبه ناد

مستعمل الخير لا تضي زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد . »

(١) النعمان

قالوا إن النعمان كان له نديمان صغيب طيبا فقتلها ، فلما أصبح ندم على ذلك أشد الندم ، فبني على
قبريها ضريحين ، وحمل لعمه يومين في كل عام يجلس بينهما بجوار القبرين أحدهما يوم ليم ، والآخر
يوم نؤس . فأول من يطلع عليه في يوم السبت يطفيه مائة من الابل ، وأول من يطلع عليه في يوم نؤسه
يقتله ويطلق يدهم ضريحى نديبه .

وقد ذكروا مثل ذلك عن المنذر بن ماء السماء ، وقالوا إنه لقي « عبيد بن الأبرس » في يوم نؤسه فظف .
فقال له جلته التي صارت مثلا فيا يمد وهي قوله : « حال الجريض دون القريض » .

(٢) يقول : قد اجتمع هؤلاء الأعلام الذين أزدات بهم السير في شمس واحد هو المدوح ، فإذا لم
يكن أمة مجمعة فيه صفاتهم ومزاياهم فهو يكاد أن يكون .

ولدياً قال العائل :

« ليس على الله بمشكر مان يجمع العالم في واحد . »

فَكَأَنِّي طَالَمْتُهُمْ بِوِفَادَةٍ لَمْ يَسْتَطِعْهَا «عُرْوَةُ» الْوَفَادُ^(١)

(١) عروة الوفاة

نخلص هنا طرفا من أخباره من كتاب الأغانى فنقول :
هو عروة بن الورد بن زيد ، وقيل : ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن ليم بن حود بن
غالب بن قتيبة بن عيسى بن عيسى بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ،
شاعر من شعراء الحاملية ، وفارس من فرسانها ، وحواد من أحوادها للقدمين ، وكان يجمع الصالحات
ويكرم بأمرهم إذا أحفقوا في غزواتهم ولم يصيبوا مائشاً ، ولذلك سمي عروة الصالحات
وربوا عن جده للملك بن مروان أنه قال : ما يبرئ أن أحدا من العرب ولدني بمن لم يلدني إلا عروة
ابن الورد لقوله :

«إني امرؤ طاق إنائي شركة وأنت امرؤ طاق إنائك واحد
أترأى مني أن سميت وأن ترى بحسبي من الحق والخلق جاهد
أمرق حسبي في حجوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد.»

ويقال أيضا : إن عبد الملك قال : من رعم أن حاشا أسبح الناس فقد ظلم عروة بن الورد . قالوا : وكان
إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارم الرئيس والكبير والصغير ، وكان عروة يجمع هؤلاء
وأشباههم ثم يعمر لهم الأسراب ، ويحد لهم حظائر يكفها عليهم ويؤويهم إليها ، ومن قوى منهم بأن يرى
من مره أو ثلث إليه قوته خرج به معه فأغار ، وحمل لأهل الصعب من أصحابه الذين صلبوا ، وعن
ابن الأحرار قال : أحدث ناس من بني عيسى في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد
وؤوس ، فأثوا عروة بن الورد جلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا وقلوا : يا أبا الصالحات ، أفئتنا ،
فرق لهم وخرج ليؤويهم ويصيب مطاشا فنهت امرأته عن ذلك لحولها عليه من الهلاك ، فصاها وخرج فاريا ،
فر بمالك بن حمار المرادي فنحله حرورا فأكل منها هو وأصحابه ، وأشار عليه مالك أن يرجع فصاها ،
ومضى حتى انتهى إلى بلاد اليمن فأغار عليهم فأصاب حجة فاد بها على منه وأصحابه
وقال في ذلك :

«أرى أم حسان المداة تلومي تحومي الأعداء والتمس أحوف
تقول سليبي لو أقت لسرنا ولم تدري أتي للقيام أطرف
لعل الذي حوجتنا من أمامنا يصاحبه في أهله المجلط .»

وقال في ذلك أيضا :

«أليس ورائي أن أدب على الصا يثبت أعدائي ويسأني أهلي
وحية قمر البيت كل عشية لايف في الولدان أهدج كالزأل
أقبوا بي أمي صدور ركابكم فكل مايا النفس خير من الفول
فانكبوا لن تلجوا كل حق ولا أدري حتى تروا منبت الأمل
لعل أوتيداي في اللاد وجيلتي وشدي حيازيم الطية بالرحل
سيدفسي يوما إلى رب هبة يداع ضها بالفتوق وبالبدل .»

فِي قَصْرِ مَلِكِ كَالْسَدِيرِ^(١) أَوِ اللَّيْلِ نَاطَلَتْ بِهٖ شُرُفَاتُهَا سِنْدَادُ^(٢)

(١) السدير

« السدير » قصر — وهو ممر — قالوا « وأصله بالفارسية » « سه دل » أى قبة فيها ثلاث قباب متداخلة « فمرجه العرب ، فقالوا : « سدير » قالوا : « وهو موضع معروف بالمجرة » وقالوا : « هو قصر قريب من « الحورق » كان اتصال الأكبر اتخذ له بس ملك الحم .
وسبأني ذكره في شعر الأسود بن يفر عند الكلام على « سنداد » في شرح هذه القصيدة .
وقد ذكره « عبد المسيح بن عمرو » عند غلبة « خالد بن الوليد » والمسلمين على « المجرة » في خلاصة أبي بكر فقال :

« أعدد المنذر ين أرى سواما تروح بالهورق والسدير
تحملاه موارس شكل حى محافة أفلح طالى الزئير
صرنا بدمك « أبى غيس » كئل الشاء فى اليوم للطير
تسبنا التباثل من « سعد » كأنما بسى أعماء الجور »

وقال المهيل في قصيدته للمعمورة :

« نادا سكرت ، فانى رب الحورق والسدير
وإذا صحت ، فانى رب الشوبة والبحير . »

(٢) سنداد

« سنداد » قصر بالذنب وهو القصور هنا ، وسنداد — في رواية أبى الحسين الأدي : نهر ، وقد استدلل على ذلك بقول أبى ذؤاد الأيادى :

« أقرر الذير فالأحارح من قو حى ، مروق ، فراعح ، لحفبه
تتلاح الملا إلى جرف سنداد د ، قلو ، إلى لعا ف طيه
موحشات من الأئيس — بها الوح ش خناطيل موطن أو بيه . »

قالوا : وسئل عنه « أبو عمرو » أهو بفتح الهمزة أو كسرهما ، فقال : « بفتح الهمزة » وعن صاحب التكملة : بفتح الهمزة وسماى بالكسر .

وفي رواية « السكونى » : « سنداد منازل لا ياد ترتبها لما فارت الريف ، بعد اصاب وخرج وناظرة ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وراء نهران الكوفة .

قال حمزة في تاريخه : « وكان قد تمك في القديم من الفرس على مواضع متفرقة من أرض العرب سنة عمر مرزبان ، وقد ذكرهم صاحب معجم البلدان « ج ٥ ص ١٥٠ » إلى أن قال : « ثم تمك سنداد على جبل سميت ، وطال مكته في الريف حتى بن فيه أبنية : وهو صاحب القصر ذى العرفات من « سنداد » انتهى يقول فيه « الأسود بن يفر » « والقصر ذى العرفات من سنداد »

تَوَهُمُ الشَّهْبَاءُ فِيهِ كَتِيبَةٌ فِيْهَاءُ ، الِيْخْمُوْمُ فِيْهِ جَوَادُ
يَحْتَالُ مِنْ سَيْرِ الْأَشَاهِبِ وَسَطُهُ يِيْضُ كَرِهَفَةِ السِّيُوفِ جِمَادُ^(١)

* *

فِي «آلِ عِبَادٍ» حَطَطْتُ فَأَعْصَمْتُ عِمِّي بِحَيْثُ أَنْفَتِ الْأَطْوَادُ
أَهْلُ الْمَنَازِرَةِ الَّذِينَ هُمُ الرُّبَا فَوْقَ الْمُلُوكِ إِذِ الْمُلُوكُ وَهَادُ^(٢)
قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَعْدُ حَقِيلَةً مَاءُ السَّمَاءِ ، فَهَمُّ لَهَا أَوْلَادُ
يَنْتِ تَوَدُّ الشَّهْبُ فِي أَفْلَاكِهَا لَوْ أَنَّهَا - لِيَنَاتِهِ - أَوْتَادُ

قال ابن السكيت :

وكانت «إماد» تنزل سنداد - وهو نهر بمجاين «الحيرة» إلى «الآبة» وكان عليه قصر تخرج العرب إليه ، وهو القصر الذي ذكره الأسدي بضم .
قالوا : ومرت «عمر بن عبد العزيز» قصر لآل حنيفة فقتل «مناحم» مولاه بقوله «الأسود ابن بغير التثنية :

«ومن المحدث - لا أبائك - أسي ضربت على الأرض بالأسداد
لا أهندي فيها لمصب ناعمة بين العراق وبين أرض مراد
ماذا أول - بعد آل عمرق - تركوا منازلهم وسدد لإمداد
أهل الخورق والدير وارق والفقر - ذي القعدة - من سداد
حلوا بأقرة بسيل عليهم ماء الفرات يحمي من أطواد
أرض تحيرها - لطيف مقيلا - كتب بن مائة وابن أم دؤاد
جرت الرياح على عراس ديارهم بصكاً كانوا على ميناد
ولقد ضوا فيها بأفصل عيشة في ظل ملك ثابت الأرداد
فادا السيم وكل ما يلقي به يوماً يصير إلى بلى وعاد .»

قال له عمر : ألا قرأت : «كم تركوا من حبات وحيول وزروع ومقام كريم ، ومدة كانوا فيها فاكهين كذالك وأورثاها قوماً آخرين»

(١) يقول يحنال القصر من سمر المداول وسطه مقعدة كيبس السيوف للرغبة ، وفي الأصل :
«يحنال من سر الأشاهب وسطه» ييْضُ كَرِهَفَةِ السِّيُوفِ جِمَادُ .

(٢) قريب من هذا المعنى قول ابن دويد :
«مهم الفروع للبيات الذي وللتلث فصالح شباب وأضي .»

مَمْدُودَةٌ يَلْمَى ^(١) النَّدَى أَطْنَابَهُ مَرْفُوعَةٌ - بِالْبَيْضِ - مِنْهُ عِمَادُ
مُتَقَادِمٌ إِلَّا تَكُنْ شَمْسُ الضُّحَا لِدَّةٌ لَهُ ، فَتَجُومُهَا أَرَادُ ^(٢)
نَيْطَتْ «بِبَادٍ» لَا لِي تَجْدِهِمْ قَتَلَالَاتٍ - فِي ثَوْبِهَا ^(٣) - الْأَفْرَادُ
مَلِكٌ إِذَا أَقْنَنْتَ صِفَاتُ جَلَالِهِ فَتَقَاعَرَتْ عَنْ بَعْضِهَا الْأَعْدَادُ
نَسِيتُ زَيْدَ ^(٤) تَهْمَرُهَا بَلْ أَعْرَضَتْ
.....

(١) الهمي : المطايا :

(٢) أَرَادَ - جمع رَادَ - يقال رَادَ الضحى : أى ارتفاعه ورَادَ الأرض : خلاؤها ، قال الطغرائي :

« مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع والشس رادا لصحي كالشس والطفل. »

(٣) القوم : جمع تومة وهي الأولوة ، وسيت تومة لأنها تومة لطيرتها في القد أو في الأذن ، والامراد : جمع فرد وهو ما لا نظير له في القد يقال : فرد ومريد ، ويقال : تادم ألمه أى ولد منه ، وهو تشبه وتومه.

(٤) عمرو بن معديكرب الزبيدي

ويضرب المثل بأقدمه وشجاعته .

انضمام عمر في ساحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس .

هو - كما في سرح العيون - عمرو بن معديكرب بن عبد الله الريسدي ، وكنيته « أبو ثور » الفارس المشهور صاحب المارات والوفائع المذكورة في الجاهلية والاسلام ، وقد على رسول - صلى الله عليه وسلم - في السنة العاشرة من الهجرة .

قال عمرو :

قدمت للديرة ، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعلم ان « ثوبك » فأردت أن أدو إليه ، ففنى من حوله .

قال : « دهره » فدنت منه ، هلت :

« أسمع صياحا أيب المن »

قال : « يا عمرو أسلم تسلم ويؤمك الله من الفرع الأكبر » فأسلت

وحاش « عمرو » إلى أيام عثمان ، وأبلى في وفائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية ، وهو الذي ضرب خطم القليل بالسيف فاهزم وانهرمت الأعاجم ، وكان سبب النجى ومثل وقعة اليرموك وغيرها ، قال الخنصعي ما رأيت أحرف من رجل يوم اليرموك خرج له طلع فقله ، ثم آخر فقله ثم انهزموا فقتلهم وبقيته ، ثم انصرف إلى خيابه له أسود فزله فطعا بالفلان ودعا من حوله ، قلت من هذا ؟ قالوا عمرو بن معديكرب ، وحدث بن أبي حاتم . قال مررنا يوم القادسية بيسرو بن معديكرب وهو يحض الناس بين الصبي ويقول : أيها الناس كونوا أشد متلشا إن هذا الرجل من الأحام إذا لقي مرزا فأتاه هو يس ، فبينما هو كذلك يمررنا إذ خرج رجل من الأحام فوق بين الصبي فرماه بفشابة ، لها أخطأت سبة قوبى كان متكبها فالتفت ، ثم حمل عليه فاحتقه ، ثم أخذ بمنطقته فأخذه فوضعه بين يديه وجاء حتى إذا دنا منا كسر عقه ،

ثم أمر الصمامة على حلقه فذبحه وزرع سواربه ومنذئذ وألفاه وقال : « هكذا فاصنعوا بهم » فقلنا : « ومن يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع ؟ » وحكى أبو عبيدة قال : لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبي وقاص المجلس ثم قسم القبية فأصاب العارس ستة آلاف وبقى مال دثر ، فكتب إلى عمرو بما فعل فكتب إليه أن رد على السليبي المجلس وأعط من لحق بك من لم يجهد لوقعة فصل ذلك ، ثم كتب إليه أن أعط ما بقي حلة القرآن ، فأنا عمرو بن معديكرب ، فقال ما معك من حط القرآن ؟ قال : « لا أسألت » ثم شطت بالرو عن حط القرآن ، وقيل أنا عمرو بن ربيعة ، فقال له ما معك من حط القرآن ؟ قال معي اسم الله الرحمن الرحيم ، صمكت القوم ، فقال سعد مالك في هذا الدل من شيء ولا من صيب ؟ فقال عمرو منشداً :

« إذا قلنا ولا يكن لنا أحد مالت قريش ألا تلك المقادير

نعطي السوية من طعن له فهد ولا سوية إذ تعطى المناجير . »

وقال عمرو أبيتاء فكتب سعد إلى عمرو بما قال ، فكتب إليه : « أعطهما على بلأهم ، فأعطهما أربعة آلاف درهم ، وحكى المدائني قال : كان عمرو بن معديكرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة ففرض الخيل ، ففر عمرو على مرس له ، فقال هذا حين ، فقل عمرو فتق . قال فأمر به صاعش ، ثم دعا قرس ، فقل فيه ماء فدعا بخيل فتاق ففترت لجاء فرس عمرو ، ففى يديه وشرب وهكذا يصنع الهدي ، فقال له ألا ترى ؟ فقال عمرو أحل الهدي يعرف الهدي ، فبلغ عمرو ، فكتب إليه قد بلغ ما قلت لأمر بك ، وبلغ أن لك سيفاً تسميه الصمامة وعدى سيف مصمم بقله ففى وضعته على دأرك لا أنقل حتى أبلغ به شراسيعك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول صد ، وردى أن عمرو رضى الله عنه سأله يوماً ، فقل ما تقول في الحرب ؟ قال مررة اللدائق إذا كشفت عن ساق ، ففى صبر عرف ، ومن صعب ناف . قال فما تقول في الزرع ؟ قال حليقك وربما حالك . قال فالحل ؟ قال منأيا تحملى ونصب . قل فالترس ؟ قال عليه تدور الدوائر . قال فالحسب ؟ قال عندك ؟ فلكك أمك . قال عمرو بل أمك ، فقال الحمى أصرعتى ، فأدلت له عمرو في الكلام ، فقال :

« أتودعنى كالك دورعين بأعم هيشة أو ذو نواس

فلا تعمر تملكك كل ذلك يعبر لذلك صد العباس . »

فقال عمرو صدقت فاقض منى قال يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها لك لحقتك بالسيف أحمدك أم ترك ، قال وما هي ؟ قال سمعتك تقرأ أم من يأت ربه مجرمًا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ، والله لو علمت انى إذا دخلتها مات لمات ، وحكى أن هيشة بن حصص لما قدم الكوفة أطمأأيداً ، ثم قال : والله مالى بأبي ثور عهد ، ثم ركب فرساً وسأل عن علة بى زيد فأرشد إليها وسأل عن عمرو موقف باباه ، ثم قال : يا أبا ثور اخرج إليا فخرج مؤثراً كأنما كسر وجره ، فقال له نعم صباحاً أبا مالك ؟ فقل أوليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم ، فقال دعنا مما لانعرف انزل فان عندى كيشاً سيينا فنقل سعد إلى الكيش فذبحه ثم ألقاه في قدر ويطبخه ، وحلس يتحدث إلى أن أدرك فترد في جفنة عظيمة وألقى العنبر عليها وقصدا فأكلامها ثم قال : أى الشراب أحب إليك الابن أم ما كنا نتادم عليه في الجاهلية ، فقال أو ليس حرما الله تعالى في

الاسلام ، فقال : أنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فاني قد سمعت ما بين دقي للصبح موافقه ما وجدت لها تحريماً إلا انه قال : هل أنت منهم . قلت : « لا » ثم جاء ببنيد وجلسا يعربان ويحدثان ويدكران أيام الجاهلية حتى أسبيا ، فلما أراد عينة الاصراف . قال عمرو بن اصراف أبو مالك هير جاء إليها لوصية فأمره بناتة أرحية وحله عليها ثم أتى بمردود به أربعة آلاف درهم موضعه بين يديه ، قال أما لئلا موافقه لا آخذه ولا ألمه ، فاصرف وهو يقول :

« حريت أنا نور حزاء مكرامة فتمم الفتي أنت المردود للضعيف . »

وقيل انه لم يكن في عمرو خلة ودبة إلا الكذب ، حكى أبو عمرو بن البلاد ، قال : وقف عمرو يوماً بالمريد يتحدث - على عاتقه - فقال : « غزوت في الجاهلية على بني مالك غزوا مستدعين بخالد بن الصقبة طمعت عليه بالصمصاسة أحدث رأسه » وكان خالد بن الصقبة حاضراً ، فقال من الجماعة : « مهلاً أنا نور فتيةك يسمح لك ذلك » وأشار إليه ، فقال اسكت إنما أنت محدث فاصبر أو قم ، ثم التفت إلى خالد وقال : « إنما نرهب هذه للعدية بهذه الأحبار » ورضى في حديثه فلم يقطعه ، قال له رجل : « انك لشجاع في الحرب والسكند » فقال : « إني كذبت » وحكى أبو عمرو بن البلاد قال : جاء رجل إلى عمرو وهو واقف بالمريد على مرس له وقد أسن فقال لاظن ما بقي من قوة أي نور فأدخل يده بين سانه وحسب الفرس فلفظ عمرو قلبك نعم وحله وحرك الفرس فجعل الرجل يبدو مع الفرس لا يقدر أن يتفرج يده حتى إذا بلغ منه صاح به فقال : « يا ابن أمي مالك ؟ » قال : « يدي تحت سارك » غلبي به وقال : « إن في علك بقية يد » ومن كلامه حكى أنه أتى بجاشع بن مسعود فقال : أسألك حلال مثل وسلاح مثل فأمر له بفارس حواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فرمى حطلة فقالوا : « يا أبا نور كيب رأيت صاحبك ؟ » قال : « لله بنو مجاشع ما أشد في المروب لغاهما ، وأحرل في الفرات خطاهما ، وأحسن في للكرمات بادهما ، والله لقد فاقتهما لما أحبتهما وسألتها فما أبغثتها ، وهابيتها فما أبغثتها » ومن جيد شعره :

« ولما رأيت الحبل زوراً كائنها حاول ماء أرسلت فاسبطرت
لجاشت لى النفس أول مرة مردت على مكروها فاستقرت
طلعت كائى فرماح دريشة أقاتل عن أحساب جرم ومرت
ولو أن قومي أظفنى ومأهم نطق ولكى الزماح أحررت . »

قوله أقاتل عن أحساب حرم من المعاء المنس ، وذلك أنه ذكر أن قوما مروا وليس هو منهم غير أنه فاقل غضباً لهم وعصية ، وقوله ولو أن قومي أظفنى ، يعنى لو فاقلوا واطعنوا فتقت بحدسهم ، ولكنهم مروا ، فأستكونى من اللدح ، والأصل في الاحرار أن التفصيل إذا أرادوا نظامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرمام وفق القصيدة التي أولها : « أس ربحانة الداعي السبع » يقول :

« وقد عجبت أمانة أن وأنى نزع لى شيب طليح
أشاب الرأس أيام طوال وهم ما بجلته الضلوع
ورحبت كتيبة لواء أخرى كأن زعاهها رأس صليح

ولساد الأسنة نحو نحوى وهر للفرسية والورع
 فان تنف الثوائ آل نعم تحد حكاهم فيها روع
 إذا لم تستطع شيئاً مدحه وحاوزه إلى ما تستطيع
 وصله فالنوع فكل شيء سالك أو سوت له نزوع »
 وقوله أيضاً :

« يا أيها المتأنا - جهلنا ما ولدت عبدا
 ليس الجمل بمجتر - فاعلم - والرديت بردا
 إن الجمل معادى ومات أدثن عما
 أعدت للعدائ سا عة وعداء عدى
 نهذا وفا شطب يقد اليس والأبدان قد
 كل امرئ يحمرى إلى يوم الهياح عما استعدا
 لما رأيت ساءنا يعصم - بالمرء - شدا
 وملت عاصنها القى تحى ، وعاد الأمر حنا
 نارت كشمهم ، ولم أر من نزال الكش - منا
 هم يدرون دى واسدو لإلتقيت بأن أشدا
 كم من أح لى صالح وأنه يدي لحدا
 دعب الفتن أحهم وبليت - مثل اليم - مردا . »

قلت : « لو لم يكن له إلا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على شرك كبير » وأما الصمصامة دعى سبعة
 للفقير . قال عبد الملك بن حمير أمدت بقبس إلى سليمان حنة أسياف ، وهى : ذو الفقار ، وذو النون ،
 وحفوف ، ورسوب ، والصمصامة . وأما ذو الفقار : فكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذه
 من منبته بن الحاج يوم بدر ، ومعدوب ورسوب : للحرث بن حلة الساسى ، وذو النون والصمصامة :
 لمرو بن معد يكرب ، وحكى أن عمر بن الخطاب قال لمرو : أبت لى الصمصامة ، فبث به إليه فلم يره كما
 بله ، فقال له فى ذلك ؟ فقال لى منى إليك الصمصامة ولم أبت لك باليد القى تعرب به ، وحكى أبو حنيفة
 أن الصمصامة انتقلت إلى سعيد بن العاص ، وذلك أن خالد بن الوليد لما غزا بني ريد ، وكان خالد بن
 سعيد من حلة أمرائه أوقع بهم وأسر رجالة أعت عمرو بن معد يكرب فداها خالد وأباه عمرو الصمصامة ،
 ثم فقد يوم الدار فى مقتل عثمان ووجد ، ولم يزل إلى أن سعد المهدي النصر ، فلما كان واسط أرسل
 إلى بني العاص يطلب الصمصامة ، فقالوا إنه فى السيل عيساً ، فقال حمون سيفاً طاماً فى السيل أفنى من
 سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفاً واحده ، فلما صار إلى الهادي أخضره وأمر الشراء بوسفه ، فقال
 بعضهم من آيات :

« حاز صمصامة الريدى عمرو من جميع الألام موسى الأمين
 ما يبالى من انتصاه لضرب أمهال سقطت به أم بين . »

ثم وصل إلى التوكل مدفنه فى غلامه « يا نضرا » التركي فلفه به ، ومن بعد « يا نضرا » قطع خبره .

عَنْ وَصِيفٍ «كَب» ^(١) بِالسَّاحِ إِيَادُ
فَضَحَ الدُّهَاءَ فَلَوْ تَقَدَّمَ هَهُؤُا لَعَنَّا «الْمُعِيرَةُ» أَوْ أَقَرَّ «زِيَادُ» ^(٢)

(١) كَب بن مامة

هو كعب بن مامة الأيادي ، وكان أحد أحواد العرب يضرب به المثل في الوفاء ، أثر على نفسه وكان مسامراً مع رفيقه فقل طلبها الماء فصاعده ، والتصاعق أن يوصح في الماء مقلّة أي حجر صدير يصر بالماء فلا يثاقبوا في التسمية ، لجل رفيقه يضرب نصيبه ، فإذا جاء دور كعب . دل له رفيقه وقد جهده العطش : « أسق أحاك » فيؤثره على نفسه حتى جهد كعب من العطش وأشرف على الهلاك ، ورحمت له أعلام الماء ، وقيل له رد كعب ولا ورود به فبات عطشاً ، وفي ذلك يقول أبو دوداد الأيادي :

« أرى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب لك ورادها وردا . »
اروح إلى الكامل للبهرد « ص ١٣٦ »

(٢) زياد بن أبيه والمعيرة بن شعبة

كانا من أئدة العرب وساستهم ودهاتهم وأخبارهما مستبضة في كتب التاريخ ، ولكنا نختزى القول اجتزاء فيما يلي :

قالوا :
وسمى « زياد بن أبيه » أو « زياد بن سمية » لأن أمه كانت جارية جارية لعنات بن كعدة الطي ، فزوحها بعد له روى يقال له : « عبيد » مولدت « سمية » زيادا على فراشه ، فهو ولد « عبيد » فرما .
قالوا : وكان « أبو سميان » قد سار في الجاهلية إلى « الطائف » فنزل على يافع حر يقال له :
« أبو سريم » - وقد أسلم دجا بعد - فقال له « أبو سميان » : « قد اشتبهت النساء » فقال أبو سريم : « هل لك في سمية ؟ »
فقال أبو سميان :

« هاتبا على طول ثديها وذعر بطنها »

فأجابها ، فوقع عليها ، يقال إنها خلقت منه زياد ، ثم وضعت في السنة التي هاجر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونشأ « زياد » ضيحا .

وحضر « زياد » يوما بمعصر جماعة من الصحابة في خلافة « عمر » فقال « عمرو بن العاص » لو كان أبو هذا اللام من قريش ، لساقي العرب بهاء .

فقال أبو سميان لابي بن أبي طالب :

« إني لأهرف من وضحه في رحم أمه »

فقال علي :

« فإي يمتك من استلحاه »

قال :

« أخاف الأصلع (يعني عمر) أن يقطع إمامي بالهرة »

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ رَجَمَ ظَنُونِهِ إِنَّ النُّيُوبَ وَرَاءَهَا إِمْدَادُ
مَلِكٍ - إِذَا مَا اخْتَالَ - غُرَّةٌ فَيَلْقَى قَدْ أُمِطَّتْ عِقْبَانُهُ الْأَسَادُ (١)
أَسَدٌ، فَرَّادُهَا الْفَوَارِسُ فِي الْوَعْيِ، لَكِنْ بَرَأَتِهَا - هُنَاكَ - صِعَادُ (٢)

فلما كانت غيبة شهادة اليهود على للميرة مارنا وحلهم لمدن ثبوت الزنا عليه - ومنهم أبو بكره أبو زياد
لأمه - وانتاح (رياد) حين كان يؤدي للقيادة عن التصريح ، وكان أحد الأربعة الذين شهدوا
عليه - اتحد للميرة لذلك لرياد يدا .

ثم لما ولي «علي بن أبي طالب» الخلافة ، استعمل «زيادا» على فارس ، فقام بولايتها أحسن
قيام ، ولما سلم «الحسن» الأمر إلى «معاوية» امتنع «زياد» بفارس ، ولم يجعل في طاعة
«معاوية» ، وانتم «معاوية» لأمر ، وحاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم وبني عبد المطلب ، وكان معاوية
قد ولي «زيد بن حنيفة» الكوفة ، فقدم «الميرة» على «معاوية» سنة ٤٢ هـ فثبته
إليه «معاوية» «انتاح» «رياد» فارس ، فقال «الميرة» :
«أنا ولي للميرة إليه ؟»

فأدله ، وكثرت «معاوية» لرياد أمارة ، فتوجه «الميرة» إليه - لما سبها من المودة - وعارال
«حق» أحصره إلى «معاوية» وبنيته .

وفي سنة ٤٤ هـ استلقى «معاوية» «زيادا» فأحضر الناس ، وحضر من يشهد لرياد بالنسب ،
وكان من حضر لذلك «أبو حرم» نافع الحر الذي أسلفا ذكره - وهو الذي أحضر «سمية» أم
«رياد» إلى «أبي سفيان» فالتفت - فشهد بسب «رياد» من «أبي سفيان» .

فلما : «استلمه» معاوية » وقد أعظم الناس ذلك وأكثروه لاسيما بنو أمية لأن ريادا ابن عبد الرومي
قد ألحق به بنو أمية بن عبد شمس ، وقد قتل «عبد الرحمن الحكم» أبو «سروان» في ذلك :

«ألا أظن» «معاوية بن صخر» : «لقد ضاقت بما تأتي اليه»

أنتصب أدب قال : «أوكعب» وترضى أدب قال : «أبو كزاي» ؟

وأشهد أن رجلك - من رياد - كرحم النيل من ولد الأثان .

ثم ولي «معاوية» «ريادا» البصرة ، وأصاب إليه «حراسان» و «سحستان» ثم جمع له
الهند والعربى وعبان

(١) فقال - جمع غناب - وهو من سباع الطير التي تصيد . قال للنتى :

«شكوى المريح إلى المقبال والرمح»

وقال العتري :

«صان مد أرضها لما رمى ساحتها بطييل والمرسان

موارس - مثل الصقور - وضرب محذولة ، ككوارس البقان .»

(٢) صناد - جمع صعدة - وهي القفاز التي تبت مستقيمة لا تحتاج إلى التحفيف ، والصعدة - من

النساء - المستقيمة القائمة - على اللثنية - قال «كعب بن جيل» يصف امرأة شبه قدما بالقفاة :

«لأنا قامت إلى حاراتها لاحت الساق بظلال زجل

صعدة فاخته في حائر أيتها الريح قيلها قل .»

خِلْتَ اللّوَاءَ نَمَامَةً فِي ظِلِّهَا قَرَّ ، بِغُرَّتِهِ السَّنَا الْوَقَادُ

شَيْحَانُ مُنَمِّسُ السَّنَانِ مِنَ الْعِدَا - فِي النَّقْعِ - حَيْثُ تَغْلَغُلُ الْأَحْقَادُ
تَشْكُو إِلَيْهِ الشَّمْسُ نَقْعَ كَتِيبَةٍ مَا زَالَ مِنْهُ لَعِينُهَا إِزْمَادُ ^(١)
جَبَشُ - إِذَا مَا الْأَفْقُ سَافَرَ طَيْرُهُ مَعَهُ - فَنِي ذِمَمِ الصَّوَارِمِ زَادُ ^(٢)
مُسْتَطَرِفٌ لِلْمَجْدِ لَمْ يَكُ حَسْبُهُ تَجَدُّ - يَدُورُ مَعَ الزَّمَانِ - تِلَادُ ^(٣)
مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى رِفَاقَةِ رَاحَةِ حَتَّى يُخْلَدَ مِثْلُهُ إِخْلَادُ
أَرْجُ النَّدَى ، مَتَى تَقَرُّ بِجَوَارِهِ يَطِيبُ الْحَدِيثَ وَيَعْبِقُ «الْإِنْشَادُ» ^(٤)
لَوْ أَنَّ خَاطِرَهُ الْجَمِيعَ مَفْرَقُ فِي الْخَلْقِ أَوْشَكَ أَنْ يُجَسَّ جَمَادُ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي زَهَرُ النُّجُومِ - لَوْجِيهِ - حُسَادُ
تَبَدُّو عَلَيْكَ - مِنَ الْوَسَامَةِ - حُلَّةٌ يَهْفُو إِلَيْهَا - بِالنَّفُوسِ - وَدَادُ
لَمْ يَشْفِ مِنْكَ الْعَيْنُ أَوَّلُ نَظَرَةٍ لَوْلَا الْمَهَابَةُ رَاجَعَتِ تَرْدَادُ

(١) النقع : العبار ، والكتيبة : الجيش ، يقول : «تتكو إليه الشمس سفلوع النار ، والنعج النار لأنه أورد فيها ما أمسها ولم تبصر .»

(٢) يقول : إن هذا الجيش إذا سارته في الأفق غبال الحمر وحوارج الطير ، في ذمة الصوارم من السيوف أن تضمن لها الزاد من تلي الأعداء .

(٣) مستطرف : أي متحدث لنفسه مجازاً طريفاً أي حديثاً مكسواً غير موروث ، والحسب : محركة وقد يسكن كما هنا ما يهدد الإنسان من مآخره ، والتلاد : التقديم للوروث عن الآباء .

(٤) الندى : المجلس ، يقول : هو أرج الندى أي عطر ما يبعث عن مجلسه من طيب القول وطاهر اللسان ، إذا فوّت بقره ودنوت من مجلسه ، يطيب الحديث ، ويبقى في أرواح المجلس غير الانشاد ، وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

« أرج الندى ، متى تفر بجواره يطيب الحديث ويبقى . . . »

والشككة يطيبها السابق

مَا كَانَ مِنْ خَلَلٍ فَأَنْتَ سِدَادُهُ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَوْدٍ فَأَنْتَ سِدَادُ^(١)
 الدِّينِ وَجْهُهُ أَنْتَ فِيهِ غُرَّةٌ وَالْمَلِكُ جَفْنُهُ أَنْتَ فِيهِ سَوَادُ
 لِلَّهِ مِنْكَ يَدٌ عَلَّتْ ، تُؤَلِّي بِهَا صَفْدًا فَيُحَمَّدُ ، أَوْ يَفْكُ صِفَادُ^(٢)
 لَوْ أَنَّ أَقْوَامَ الْمُلُوكِ تَوَافَقَتْ فِيهَا لَوَافِقَ حَظَلَهَا الْإِسْنَادُ
 نَفَعَ الْعُدَاةَ الْيَأْسُ^(٣) مِنْكَ ، لِأَنَّهُ بَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْأَكْبَادُ
 بِنَصَاعٍ مَنْ جَارَكَ مَقْبُوضَ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا عَضَّتْ بِهِ الْأَقْيَادُ^(٤)

قَدْ قُلْتُ لِلتَّالِي ثَنَاءَكَ سُورَةٌ مَا لِلْوَرَى فِي نَصَهَا إِنْخَادُ :
 « أَعِيدِ الْحَدِيثَ عَنِ السِّيَادَةِ ، إِنَّهُ لَيْسَ الْحَدِيثُ يُمَلَّ حِينَ يُعَادُ . »
 كَرَّمْ كَمَاكَ الْمُرِنَ رَاقٍ خِلَالَهُ أَدَبُ كَرَوْضِ الْحَزَنِ بَاتَ يُحَادُ^(٥)
 وَمَحَاسِنُ زَهَرَ الزَّمَانُ زَهْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَيْأَسُهُ أَعْيَادُ^(٦)

(١) يقول : ما كان من خلل في الرمان فأت سداه الذي يد به ، أو كان من أود به واهو بال
 فأت سداه ، أي لك سداه وصلاحه وقومه .
 (٢) الدعاء المعطاء ، والدفع : ما يوثق به للثقة من تيد ونحوه ، يقول : لله لك يد تولى الجبل وتب
 المعطاء ، لارال نحمدها ونشكرها لك إلى أن يفك ما قيدنا به من أصفاد العلم ، وقد حاس بين الصفد بمعنى
 المعطاء ، والدفع بمعنى التيد ، وحمل الاحسان صفادا وقيدا . يستعير في كلام الشعراء ، قال الشاعر :
 « ومن وحد الاحسان قيد تقيدا » ، وقال ابن الرومي :
 « ما على الأحرار من وق إذا قدوا شكرهم مولى أيادي
 إنما المعنى صفادا فليت شكرا طليت صفادا . »
 وقال ابن جبر :
 « ضلتم بالليل فانقلوا ربحاء أصعاده المعقد . »

أي قيودها السلاء ، وفي الأصل : « تولى بها صفد . »
 (٣) في الأصل : « اليأس »
 (٤) يقول : ينصاع ويربح من مجارته في الحد كل من جراه ، ويقف حيث ابتدأ مقبوض الخطا كأنما
 عست سيقانه للبيود فتحت من الضى .
 (٥) للرن : السحاب ومعاد يعطر بالمجود (يخرج فكون) وهو للمع الزبر .
 (٦) يقول : ويضاف إلى هذا الكرم الذي وصفه في البيت السابق محاسن أثناء الزمان زهر نهموها ،
 فكأنما كل يوم من أيها عيد



يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي - فِي ظِلِّهِ - رِيشَ الزَّمَانِ فَذَلِكَ مِنْهُ قِيَادُ
يَا خَيْرَ « مُتَضَيِّدٍ » بِمَنْ أُنْقِذَتْ - فِي كُلِّ مُضِلَّةٍ - لَهُ أَعْضَادُ
لَمَّا وَرَدْتُ - يَوْمَ حَضْرَتِكَ - الْمُنَى فَاسْتَقْبَلْتَنِي الشَّمْسُ تَبْسُطُ رَاحَةً
فَلَمَّا فُخِرْتُ - بِمَا بَلَغْتُ - لَقَلَّ لِي مِنْهَا أَمْتَدَحْتُ سِوَاكَ - قَبْلُ - فَلَمَّا
يَغْنَى الْمَيَادِينَ الْفَوَارِسُ - حِقْبَةً - فَلَأْسَحَبَنَ ذَيْلَ الْمُنَى فِي سَاحَةِ
وَلَيْسَتْ فِدَنُ السَّنَاءِ مَعَ الْفَنَى وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ شَيْءٍ مِنْ أَنْ يُرَى
هِنَاهُ قَدْ ضَمِنَ الصَّبَاحُ لِمَنْ سَرَى لَا تَعْدَمَنَّ - مِنَ الْخَطُوطِ - ذَخِيرَةٌ
رِيشَ الزَّمَانِ فَذَلِكَ مِنْهُ قِيَادُ
يَا خَيْرَ « مُتَضَيِّدٍ » بِمَنْ أُنْقِذَتْ
لَمَّا وَرَدْتُ - يَوْمَ حَضْرَتِكَ - الْمُنَى
فَاسْتَقْبَلْتَنِي الشَّمْسُ تَبْسُطُ رَاحَةً
فَلَمَّا فُخِرْتُ - بِمَا بَلَغْتُ - لَقَلَّ لِي
مِنْهَا أَمْتَدَحْتُ سِوَاكَ - قَبْلُ -
فَلَمَّا يَغْنَى الْمَيَادِينَ الْفَوَارِسُ -
حِقْبَةً - فَلَأْسَحَبَنَ ذَيْلَ الْمُنَى
فِي سَاحَةِ وَلَيْسَتْ فِدَنُ السَّنَاءِ
مَعَ الْفَنَى وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ شَيْءٍ
مِنْ أَنْ يُرَى هِنَاهُ قَدْ ضَمِنَ
الصَّبَاحُ لِمَنْ سَرَى لَا تَعْدَمَنَّ
- مِنَ الْخَطُوطِ - ذَخِيرَةٌ

(١) مهت : جواب لما أي سالت ، وجادها : جمع جم (بالفتح) وجة (بالضم) وهو الماء الكثير والأعداد : جمع عد (بالكسر) ، وهو الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها كماء السيون ، يقول : حين وردت في حضرتك ورد لني ، هت حمامها ، وسال مياهها الأعداد ، يريد أنه رأى فيس لني يلبس من راحته ، وفي الأصل :

« لما وردت بورد حضرتك لنا مهت لني حمامها الأعداد . »

(٢) هو مطاردة الرسان بعضهم يضاهي للران على الحرب .

(٣) فلا سحون من التي ذيلها في ساحة جواد إن لم أوف بها ما طلع إليه غنى من الأمان فأما سآزاد عليها ، يقول : إن أسره دأب بين أن يي له بما تسو إليه غنى من الأمان ، أو يزيد عليها فوق ما يريد ويغنى .

(٤) يشير إلى اللؤلؤ المهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى . » وسيظهر بك فرحه في

(٢١٧) من هذا الديوان .

في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المصور فضل الله
أما عمرو عاد بن محمد بن عاد ، ويذكر
بعض مواقف له مع خاصته من أضيائه ،
والمأونين له من أعدائه . »

لَيْتَنِ الْهُدَى إِنْجَاحُ سَعْيِكَ فِي الْعِدَا	وَأَنْ رَاحَ شُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكَ وَأَعْتَدَى ^(١)
وَنَهَجَكَ سَبِيلَ الرُّشْدِ فِي قَمْعِ مَنْ غَوَى	وَعَدْلَكَ فِي اسْتِصْالِ مَنْ جَارَ وَأَعْتَدَى ^(٢)
وَأَنْ بَلَتْ مَنْ وَالَاكَ فِي نَشْوَةِ الْغِنَى	وَأَصْبَحَ مَنْ عَادَكَ فِي غَمْرَةِ الرَّدَى ^(٣)
وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٍ الْعَهْدِ طَلْقَةٍ	كَمَا أَبْتَسَمَ الثَّوَارُ عَنْ أَدْمَعِ النَّدَى ^(٤)
وَدَوَّلَةَ سَعْدٍ لَا أَتْنَاهُ لِحَدِّهِ	إِذَا قِيلَ فِيهِ قَدْ تَنَاهَى تَوَلَّاهُ
دَعَوْتَ ، فَقَالَ النَّصْرُ : لَيْتَكَ مَاتِلًا	وَلَمْ تَكُ كَالِدَاعِي يُجَاوِبُهُ الصَّدَى

(١) السعي : التصرف في كل عمل من خير أو شر ، أي أن سبيل الهدى وسبيل المؤمنين حديران بكل شبهة وشرى حيث أضح الله سبيلك في مناصرة أعدائك ولم يزل يجهلك بمحبل صنه ولطيف إسنانه في الرواح والندو ، والصبح والعشى .

(٢) ولين الهدى أيها سلوكك مباحج الرشد ، وإحراؤك سنة العدل في قبح الماوين المصدين ، واستكمال شامة الماوين المصدين ، واقتلاعهم من أصولهم ، وإذهيب للناسك من مفاسدهم وفسورهم .

(٣) والى : اللوالة ضد اللوالة ، وقد طابى في البيت بين «بليت» و «أصبح» و «والى» و «عادى» و «نشوة الغنى» و «غمرة الردى»

(٤) الثوار : بهم أوله وتشديد ثابته النور ، واحده نواره وقد نور الشعر واللبات أي أزهى ، وفي البيت تعفيه الثوار بالنصر الاسم عن أولو العدل

وَأَتَمَدَّتْ عُمِّي الصَّبْرِ فِي دَرَكِ النُّي كَمَا بَلَغَ السَّارَى الصَّبَاحَ فَأَتَمَدَّا ^(١)

« أَقْبَادُ » يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ بِذِمَّةِ ^{بِذِمَّةِ} وَأَرْعَاهُمْ عَهْدًا وَأَطْوَلَهُمْ يَدًا
تَبَايَنْتَ فِي حَالَيْكَ : غُرَّتْ تَوَاصُفًا لِنَسْتَوِي الْعَلِيَا ، وَأُنَجِّدْتَ سُودًا ^(٢)

(١) الدرك : محركا الحلق والوصول إلى الشيء ، يقال أدركته إدراكا ودركا ومنه الدرك بالسكون . قال
حيدر بن محمد الأسد :

« لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَكَانِ حَنْكٍ سَلَامًا ذُو أَمِّ وَعَكٍ
وَسَطْشَةِ وَصُولَةٍ وَطَكٍ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قَتَاعَ الشَّكِّ
يُظْهِرُ مِنْ حَلَقٍ وَدَرَكٍ مِمَّا أَحَقَّ مَزْلَ تَرَكٍ
الذَّنْبُ يَهْوِي وَالْمَرَامُ يَكِي »

والساري : اسم فاعل من السرى وهو سير الليل وأصل الليل «عند الصباح يحمد القوم السرى» وأول من
قال ذلك كما في مجمع الأمثال عن «الفصل» الصبي هو «حاتم بن الوليد» لما كت إليه أبو بكر رضى الله عنهما
وهو «الجماعة» أن سر إلى «العراق» فأراد سلوك المعارة ، فقال له «رايح» الطائي : قد سلكتها في
الحاملية ، هي حسن للامل الواردة ، ولا أملك تهدر عليها إلا أن تحمل من الماء . فاستقرى مائة شارب
صطفيها ، ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كتبها وكعم أمواها ، ثم سلك المعارة حتى إذا مضى يومان وخلف
الطش على الناس والحيل وحصى أن يذهب ما في بطون الامل ، نحر الامل ، واستخرج ما في بطونها من الماء
وسقى الناس والحيل ومضى لما كان في الليلة الزامة ، قال «رايح» : انظروا هل ترون سديرا نظاما ؟ قال
رأيتوما ولا فهو الهلاك . فظفر الناس وأروا السدر فأخسروه فكبر وكبر الناس ثم حملوا على الماء ،
قال حاتم :

« اللَّهُ دَرِ رَايَحٍ أَنِّي امْتَدَى مَوْزٍ مِنْ قَرَارٍ إِلَى سَوَى
حَسَا إِذَا سَارَ بِهِ الْحَيْشُ كَيْ مَسَارِهَا مِنْ قَلْبِ لَيْسَ يَرَى
عَدَّ الصَّبَاحَ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرَى وَتَحْلِي عَنْهُمْ غِيَابَتِ الْكَرَى »

يضرب الرجل يحتل المشقة رجاء الراحة .

(٢) غرت : من غار غورا فهو غائر إذا أتى البور وهو ما انحدر منه ، ويقاله النجد : يقال : غار
وأحمد وأغار وأحمد ، قال جرير .

« يَا أُمَّ حَزْرَةَ مَا رَأَيْتُكَ فِي الْمُنَجِّدِينَ وَلَا يَهْوِي لَدَاكَ »

وقال الأعشى :

« نَبِي يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرَهُ أُمَّارَ لَمَرَى فِي الْبِلَادِ وَأَحْمَدَا »

وأكثر المخوهرى أغار ، وقال الأسي : أغار وأحمد في بيت الأعشى بمعنى أسرع وادهم ، على أن النصف
الثاني من البيت روى مغزوما هكذا : « غار لمرى في البلاد وأحمدا » ، يقول : من حالك من التواضع
والسمو إلى مراتب السيادة دون شافع ، قد انجذبت إلى غور التواضع فكانت حائلة ذلك أن يهويك حظك
من العليا ، وبلغت أسمى مراتب السودد والرفعة

وَلَمَّا اعْتَصَدْتَ اللَّهَ كُنْتَ مُوهَلًا لَدَيْهِ لِأَنْ تُحْمَى وَتُكْفَى وَتُعْصَدَا
وَجَدْنَاكَ إِنْ أَلْقَيْتَ سَعِيًا تَنْجَهُ وَغَيْرَكَ شَاوِحِينَ أَنْصَجَ رَمْدًا (١)
وَكَمْ سَاعِدَ الْأَعْدَاءِ أَوَّلَ مُطْمَعٍ رَأَوْكَ بِعُقْبَاهُ أَحَقَّ وَأَسْعَدَا
فَلَا ظَافِرٌ إِلَّا - إِلَى سَعْدِكَ - أُعْزَى وَلَا سَائِسٌ إِلَّا بِتَذْيِيرِكَ أُقْتَدَى

* *

ضَلَالًا يَفْتُونِ مَمُوتَ بِحَالِهِ إِلَى أَنْ بَدَتْ - بَيْنَ الْفَرَائِدِ - فَرَقْدَا
رَأَى حَطْلَهَا أَوَّلَى بِهِ ، فَأَحْلَمَهَا حَضِيضًا بِكُفْرَانِ الْعَمِيَّةِ أَوْ هَذَا (٢)
وَمَا زَادَ - لَمَّا لَجَّ فِي الْبُغْيِ - أَنَّهُ سَنَى لِلَّذِي أَصْلَحَتْ مِنْهَا فَأَفْسَدَا
فَزَلَ وَقَدْ أَمْطَيْتُهُ نَيْجَ الشَّهَاءِ وَصَلَ وَقَدْ لَقِيْتُهُ قَبَسَ الْهَدَى (٣)
طَوِيلُ عِثَارِ الْجُرْمِ قُلْتَ لَهُ: «لَمَّا» (٤) يَحْمِلُ تَلْقَى جَهْلَهُ فَتَعَمَّدَا (٥)

(١) أَلْقَيْتَ مِنْ أَلْقَحِ الْعَمَلِ الْبَاقَةَ ، وَلَقِيتَ هِيَ ، قَالَ الْحَرُثُ بْنُ صَادٍ :

« قَرِيبًا مَرِيطُ الْبَاقَةِ مَيِّ لَقِيتَ حَرْبَ وَائِلٍ مِنْ جِيَالٍ . »

والسبي : التصرف في الأبدان ، ونسجه : من قولهم نسج ملائكة إذا دلى صاحبها وهي ما حوس حق تصنع ، وفي اللؤلؤ : « هل تدفع الباقية إلا لما لم تقم له » ، وكتب عليه صاحب مجمع الأمثال ما سمعته : يقال تنجت الناقة على ما لم يمس داهيه ، وأعتصمها إذا أنسها على ذلك ، والناجح السوق كالناقة للآسان ، ولقعت تلتفع لهما ولقعا والناقة لا تلع ولقوح ، ومعنى اللؤلؤ : هل يكون الولد إلا لما يكون له الماء ؟ يضرب في التذويبه ، ويروي « لما لقعت له » أي فقاحها أي لقبول رجها ماء الفحل ، يشير إلى صدق الشبه ، و « ما » مع « تقعت » المصدر ، وعيرك شاو : أصل اللؤلؤ « شوى أخوك حتى إذا أصبح رمد » والرميد القماء الشواء في الرمد ، يضرب - كما في مجمع الأمثال للبيداني - لمن يعدد اصطباعه بالسن ، ويرد في صلاحه بما يورث سوء الظن ، ويروي عن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه : أنه مرّ بدار رجل عرف بالصلاح فصاح من دأبه صوت سبي لللامي فقال : شوى أخوك حتى إذا أصبح رمد .

(٢) الخسيس : الفرار من الأرض للنخس عن سجع الجبل ، وأوهد : أصل تفصيل من الوحدة وهي الهوة ، يقول : رأى ذلك للحنون انحطاط حاله أولى به فأنزله للندوح من مستوى المراقدة إلى أحط قرار من الأرض بسبب كفران النعمة وكفران الجليل .

(٣) نيج السها : أملاه ، والسها : نجم صغير في بات سبي الكبير يمتحنون به إحصاءهم لظفائه ، وفي اللؤلؤ « أدركا إليها وترى القمر »

(٤) دعوت له بأن يحميه الله من سقطته . (٥) غطى على وجهه وبستره .

تَجَنَّى فَأَهْدَيْتَ النَّصِيحَةَ مَخْضَةً ، وَلَجَّ فَوَالَيْتَ الْعِقَابَ مُرَدِّدًا ^(١)
وَلَمْ تَنَالَهُ بَقِيًّا عَلَيْهِ تَنْظُرًا
فَمَا آتَرَ الْأَوَّلَى ، وَلَا قَلَّدَ الْحِجْبَى ،
كَأَنَّكَ أَهْدَيْتَ السَّوَابِجَ ضَنْرًا
وَأَجْرَزْتَهُ ذَيْلَ الْحَبِيرِ ^(٢) تَأَلَّفَا
سَلَّ الْخَائِنُ الْمُعْتَرِّ : كَيْفَ اخْتِابَاهُ
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَزْبَرًا مُصَمَّمًا ،
دَهَاهُ - إِذَا مَا جَنَّتْهُ اللَّيْلُ - أَنَّهُ
لِيَخْلُقَ - فِيمَا جَرَّ - حَقْدًا مُجْدَدًا ^(٣)
- مَعَ الدَّهْرِ - عَارَا بِالْعِرَارِ مُخْلَدًا ^(٤)
قَلَمَ يَمُدُّ أَنْ أَمْسَى ظَلِيمًا مُشْرَدًا ^(٥)
أَقَامَ عَلَيْهِ - آخِرَ الدَّهْرِ - مَرْمَدًا ^(٦)

- (١) يقول هذا يتجنى عليك الدوب ويحلقها حلقا ، وكان حراؤه منك أن تعضه الصبح حالصا بريئا ، طالع في عروبه وعيمانه صبت عليه هذالك التوال لتزجره - على أسأته وتؤدبه .
(٢) كأنما أهديته الجياد الصبر ليعارلك بها ويعهد منه في توخي أعدائك وتلاف ما تكره .
(٣) كأن هذا الخائن ظل أنك أهديته الجياد الصبر السوايح ليجهدا ركضا فيما تكره من ماصرة أعدائك .
(٤) أهدرت ديل الحبير : حمله يجر ديل العمة .
وكانه ظل أنك تألفه بما تحلح عليه من حبر أجرته ذيله ليعلق لك مشاكل ويجدد أخطاها بسبب ماكره من حرائر وحرائم . (٤) وفي الأصل : « للعقد مجددا »
(٥) الخائن : الأحمق ، وللمعر المغير للمعرص المعروف من غير أن يسأل ، والاختخاب الادخار ، يقال : اختبب الشيء : ادخره ، واختبب حبرا أو قرا واختببه : احتله وجعله حلقه ، واختبب الائم : جمعه ، والمراد - جمع مرة وفي الحلة النعيلة .
(٦) المصمم : للماضي في الأمر مضمنا ، والظلم : الذكر من العلم ، قال تأبط شرا :
« أنا الذي تكبح النيلان في بلد ما طل فيه سحاكي ولا جادا
في حيث لا يمت القادي عماجه ولا الظلم به يمي تهادا
وقد فووت بمقول عوارسها - بكر تاردي سكاسا وعقادا
ثم اتفضى صرما عني ، وأعقبه صر للشهب ، ظل في صالح ادا .
أي مكح النيلان في بلد لم يظفر بالطل وهو الرادذ «الطر الحبيب» ولم يظفر فيه الظلم - «مرخ النعام» -
بالهيد - وهو الحظال - لياكله ، وقد لها بنتاة من الأكلر معقولة المارصين تارعه كئوس الخر وعنايد
الغيب ، ثم اتفضى ذلك العصر الصالح وأعقبه صر للشهب .
(٧) يقول : وقد أصبح يترقب جزأ أن يكون حينه مرتبطا بيومه وصار يترقب للمر خوطا من أن يكون له سرمدنا إنا تفتنه

يُحَاذِرُ أَنْ يُنَلِّقَ قَتِيلًا مُعْرِفًا - إِذَا الصَّبْعُ وَاقٍ - أَوْ أُسِيرًا مُقِيدًا

* *

لَيْسَ الْوَفَاءُ اسْتَنْ فِي «ابْنِ عَصِيدٍ» عَشِيَّةً لَمْ يُصْدِرْهُ مِنْ حَيْثُ أُوْرِدَا
قَرِينٌ لَهُ أَغْوَاهُ حَتَّى - إِذَا هَوَى - تَبَرَّأَ يَعْتَدُ الْبَرَاءَةَ أَرْشَدًا (١)
فَأَصْبَحَ يَتَكَبَّرُ الْمَسَابُ بِكُلِّهِ ، بُكَاءَ «لَيْدٍ» حِينَ فَارَقَ «أَرْبَدًا»
فِدَاهُ لِإِسْمَاعِيلَ كُلِّ مُرَشَّحٍ إِذَا جُشِمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ تَبَلَّدَا (٢)

* *

أَفَادَ مِنَ الْأَمْلاَكِ حِدَتَانِ فَشَلِمَ مَوَالِي، لَمْ يَشْكُ الصَّدَى مِنْهُمْ الصَّدَا (٣)
أَفَادَ الصَّبَاحَ الطَّلُقَ لَيْلًا عَلَيْهِمْ فَجَاءَ وَأَنْتَى نَاطِلَ الشَّمْسِ أَرْمَدَا
فَحَلَّ هِلَالًا - فِي ظَلَامٍ عَجَاجَةٍ - تَلَاخِظُهُ الْأَقَارُ - فِي الْأَفْقِ - حُسْدَا
يُرَاجِمُ مِنْ «صِنْجَاةٍ» وَ «زَنَاتَةٍ» - يَمِثِلُ نُجُومِ الْقَذْفِ - مِثْنَى وَمَوْحَدًا (٤)

(١) يقول : أن قربه دين له السلال حتى إذا تردى في سوء عمله تدأ قربه من عمله ورأى في التخلي عنه وسيلة إلى نجاته .

(٢) الرشح : اللؤلؤ .

(٣) يقول : إن توالى الأحداث والحدوب التي أترها جيشه بالملك قد أداته موالى طابة و البسالة لا يتكو العطلان منهم عطشاً لشدة ما أوتيته من صبر وحل .

(٤) راحم عنه : فاضل ، وراحم في الكلام والحرب بالغ بأشد مساحة ، ونجوم القصف ، أو شهب القصف هي الرجوم ، قال الشاعر :

« كسهاب القذف يوم يمسكم به فارس في كفه الحرب نار . »

يقول : إنه ساحل نصرته أهل زفاته وصنْجَاة ويهدف بهم الأعداء كما يهدف بالذهب ويرحم : يا شائبه ، وقد اشتهرت صنْجَاة بذك للذخيرة الكبرى التي حدث في القرن الخامس من الهجرة سنة ٤٥٩ هـ . وقد تارت صنْجَاة على اليهود وقتلوا منهم مئة عظيمة ويمسهم الوزير يوسف بن نمرلة اليهودى ، وكان سبب هذه للذخيرة أن ذلك الوزير - وكان قد استوزره بأهيس صاحب غرناطة - قد وفى بأى لإسحق النقيبه زاهد البية فأصابه السلطان من بلاده .

قلوا : « وكان ذلك الوزير قد تعرض لنفسه بسبب الآراء الدينية الإسلامية ، وكان عظيم الخطر واسع

هُمُ الْأَوْلِيَاءُ الْمَسْحُوكُ صَفَاءُ هُمْ إِذَا أُمْتَاَزَ مُصْنِي الْوُدِّ مِمَّنْ تَوَدَّدَا

النفود - موجد أبو إسحق من ذلك حازا إلى إنشاء قصيدته البليغة التي دمه إلى قلوبها غبطة من عدوه - ذلك الوزير الخليل - فلاها تحريصا وأصمها حببا وراحمين، أطلع في التأثير بها على العامة وحلهم على إنقاذ رغباته - وما زال ينعن في ضروب الاحتاث والتبجح حتى اشتعل الجمهور حماسة وحبهم على ذلك الوزير فتنه - في نصر السلطان منه - وليس من شك في أن أبا إسحق بدل كل مواهبه في الضرب على العمة الدينية وإطهار الجمع الشديد على ما احتاج الدين من التهاون به وعرف كيف يوالى فيها أطراف الأدلة واتساقها وتندق للمعانى وعمراتها مع دقة عجة في التصبر عن أعراضه وحواله بكلام عظم ، يتطير حماسة ويتأجج ناراً ، وشعر صارخ

« خارج من قلب فائه ، ثلما يزر بركال . »

وبهذا استطاع أن يوهم سامعيا أن ذل أولئك اليهود - أحصاه - مرص لا ماس من أذاته وواجب حتم لا يصح السكوت منه وأنهم - إن كانوا غفلوا عن القيام به فيما مضى - فهم حليقون أن يجداركوه في الحال ، حتى لا تصب عليهم لمة الله ، أو يحجب بهم نصيبه ، فيصب بهم الأرض ، أو ينزل عليهم الساء ، وكذلك لم يترك غافلا وسعية من الوسائل التي تستمر أحسن الدوافع الدينية الكاملة إلا استحدثها ، ولا صفة من صفات متمصب للعقيدة الدينية إلا ضرب على وتيراتها . كل ذلك بأسلوب سهل ورشيق كاد يصل - لسهولته - إلى حد الركاكة في بعض الأبيات مع أنه من أجل الشعر وأبدعه ، وإن شئت قل وأدوعه ، وإليك هذه القصيدة المريدة في ملها :

« ألق لصنابة أحسين بدور الزمان وأسد المرين
مقالة ذى مقة مشفق بعد الصيحة رلى ودين
لقد دلتك سيدكم ذلة تفر بها أهبي الثامين
تخبر كانه ككافرا ولو شاء كان من المؤمنين
مر اليهود به واحدا وتاهوا وكانوا في الأردنين
ومنها :

« فكلم مسلم راعب راعب لأردل فرد من المشركين
وما كان ذلك من سميم ولكن منا يقوم للمين
ههنا اتسدى بهم بالألى من القادة الحيرة المتقين
في هذا البيت شيء كثير من الركاكة في قوله « بالألى من القادة الحيرة المتقين » ولكنا سنفرها لما في
ليه من صحة تلك الصورة الشعرية للتدعية الدمية .

وأترهم حيث يستأهلون ورددتم أسفل الساطين
لم يستمعوا بأصواتنا ولم يستطاعوا على الصالحين
ومنها يخاطب السلطان باديس :

« أباديس ! أنت امرؤ حلقق نصيب بطك عس القيين
فكيف خنى عك ما يمشون وفي الأرض تفرجها القرون
وكيف تحب فراخ الزنا وقد بنضوك إلى الصالحين

لَهُمْ كُلُّ مَيْمُونٍ نَقِيَّةٍ بَازِلٍ ^(١) كَفِيلٍ بِأَنْ يَسْتَمِزِمَ الْجَمْعَ مُفْرَدًا
يَسْرُكُ فِي الْمَيْجَا إِذَا جَرَّ لَامَةً وَيُزْنِيكَ فِي النَّادِي إِذَا أَعْتَمَ وَأُرْتَدَّى ^(٢)

* *

كَرِهْتَ - لِسَيْفِ الْمَلِكِ - أُلْفَةً غَمْدِهِ وَقَلَّ غَنَاءُ السَّيْفِ مَا كَانَ مَقْمَدًا
وَلَمْ تَرَ لِلشَّبْلِ الْإِفَاءَةَ فِي الشَّرَى فَجَدَّ أَفْتِرَاسًا حِينَ أَفْخَرَ لِلْعِدَا
مُهَامٌ - إِذَا حَارَبْتَ - فَأَرْفَعِ لَوَاءَهُ، قَا زَالَ مَنْصُورَ أَلْوَاءِ مُؤَيَّدًا
وَيَأْتِيكَ مِنْ بَيْنِ الْمِهَادِ تَعَوُّضًا بِصَهْوَةِ طَيَّارٍ - إِلَى الرُّوجِ - أَجْرَدًا
وَقَدْ تَمَّا شَكَا حَبْلِ التَّامِرِ يَافِعًا لِيَحْمِلَ رَفْرَاقَ الْفَرِنْدِ مَهْنَدًا
وَلَمْ تَرَ سَيْفًا - بِأَبْنِكَ ^(٣) - الْحَدَّ قَبْلَهُ - تَنَاقُلَ سَيْفًا - دُونَهُ - فَتَقْلَدًا

وكيف يتم لك للرفق إذا كنت تسي وهم يهدمون
وكيف استنتت إلى فاسق وفارته وعوبش الغري ؟
ومها :

« وإني حلفت بفرامة مكنت أراهم بها طابيح
وقد نسوها وأحماها فمنهم مكل مكل لدي ؟
ومها :

« وهم أما كم على سرّكم وكيف يكون أمبا خزون ؟
ويأكل صبرهم دورها فيقضي ويدنون إذ يأكلون
وقد نهضوك إلى ديكهم فما يعمون وما يكرون ؟
ومها :

« ورحم قد همم داره وأخرى إليها نغير العيون
وصارت حوائجها صفة ونحى - على باه - فاعنون
ويضحك منا ومن دينا فانا إلى ربنا راجعون »
(١) البارل : الرجل الكدل ، والبارل أيضا الساعة في طمها التاسع ، قال الشاعر :
« عدوت للزلل إلى من غابني فما بال وبال أبي لبون »

(٢) أي تعجب بتجاعته إذا ليس لامة الجرب كما تعجب بتجاعته التثقب ردها وليس عملته في السلم .
(٣) بآلك الحمد : فاطمة مرهفة .

* * *

لَبْنُ أَنْجَزَتْ مِنْهُ الشَّمَائِلُ آخِرًا لَقَدْ قَدَّمَتْ مِنْهُ الْمَخَالِلُ ^(١) مَوْعِدًا
قَرَزَتْ بِهِ عَيْنًا، فَكَمَّ سَادَ عِزَّةَ وَكَمَّ سَاسَ سُلْطَانَا، وَكَمَّ زَانَ مَشْهَدًا
وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِهِ ^(٢) - الرِّضَى، وَبُلَغْتُمَا - بِمَا تُرِيدَانِهِ - الْمَدَى

دولة عباد

كَمْ لِرِيحِ الْغَرْبِ مِنْ عَرِيفِ نَدَى كَالشَّرَابِ الْمَذْبُوحِ فِي نَفْسِ الصَّدَى ^(٣)
حَيْثُ «عَبَادُ» فَتَى الْمَجْدِ الَّذِي نَصَّتِ الدُّنْيَا بِهِ نَصَّ الْهَدَى
مَلِكُ رَاحَتِهِ بَحْرُ النَّدَى مِثْلَمَا غُرَّتُهُ بِدُرِّ النَّدَى
أَضْبَحَتْ دَوْلَتُهُ فِي عَصْرِنَا كَفَرْنِدَ حَادَ فِي سَيْفِ صَدَى ^(٤)

إلى حبيب

يَا ظَبِيَّةَ لَطُفَتْ مِنِّي مَنَازِلَهَا فَالْقَلْبُ مِنْهُنَّ وَالْأَحْدَاقُ وَالْكَبِدُ
حُبِّي لَكَ النَّاسُ طُرَا يَشْهَدُونَ بِهِ وَأَنْتِ شَاهِدَةٌ إِنْ يَنْتَهُمُ حَسَدُ
لَمْ يَعْزُبِ الْوَصْلُ فِيمَا يَنْتَنَا أَبَدًا لَوْ كُنْتُ وَاجِدَةً مِثْلَ الَّذِي أُجِدُ

(١) المَخَالِلُ من السَّحَابِ : المَدْرَةُ الْمَطْرُ . قَالَ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَصْبَةَ :

« إِنْ أَحْلَبَ الْبَيْتَ لَمْ تَحْلَفْ عَلَيْهِ »

وهي هنا بمعنى الدلائل التي تتوسم بها الشيء والصفات : الصِّفَاتُ ، قَالَ أَبُو نُوَيْمٍ بَرْنِي طَلْعِينَ :

« لَمْ يَكُنْ عَلَى تِلْكَ الْمَخَالِلِ مِنْهَا لَوْ أَهْلَكَ حَقٌّ تَسْكُونُ شَهَادًا »

لَمَّا سَكُونَهُمَا حَسَا ، وَصَبَاها عَزَمًا ، وَتِلْكَ الْأَرِيحَةُ نَائِلًا .

(٢) تَرْيَانُهُ : تَطْلِبَاتُهُ ، يَقُولُ : أَرَاغَ الْغَيِّ أَى أَرَادَهُ وَطْلَهُ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَصْلِ :

« وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تَرْيَانُهُ - الرِّضَى »

(٣) الصَّدَى : الظِّلَاكُ .

(٤) أَحَادِثُ دَوْلَتِهِ إِلَى زَمَانِهَا رَوَّحَهُ وَبَهَاءَهُ نَصَارُكَ السَّيْفِ طَاوِدَهُ الصَّبْلُ وَالرُّوْقُ بِمَدِّ أَنْ مَلَأَهُ الصَّدَا .

في مدح أبي المظفر

« وقال بمدح أبي المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد

ابن مسلم صاحب بطليوس . »

هِيَ الشَّمْسُ مَغْرِبُهَا فِي الْكَلَلِ وَمَطْلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الْحُلَلِ (١)
وَعُصْنُ تَرَشَّفَ مَاءِ الشَّبَابِ تَرَاهُ الْهَوَىٰ وَجَنَاهُ الْأَمَلِ (٢)
تَهَادَى لَطِيفَةً طَى الْوِشَاحِ وَتَرْتُو ضَمِيفَةً كَرَّ الْمُقَلِ (٣)
وَتَبْرُزُ خَلْفَ حِجَابِ الْعَفَافِ وَتَسْفِرُ تَحْتَ قَنَابِ الْخَجَلِ (٤)
بَدَتْ فِي لَدَاتٍ - كَزُهْرِ النُّجُومِ - حِسَانِ النَّحْلِ مِلَاحِ الْعَطَلِ
مَشَيْنَ يُهَادِينِ رَوْضَ الرُّبَا يَبَانِعِ رَوْضِ الصَّبَا الْمُقْتَبَلِ
فَرْنَ قُضْبٍ تَتَنَّى بِرَبِيعِ وَمِنْ قُضْبٍ تَتَنَّى بِدَلْ
وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِمِنْكَ وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِطَلْ
تَعَاهَدَ صَوْبُ الْعَهَادِ الْحَمِي وَلَا زَالَ تَرَبُّعُهَا فِي مَلَكِ (٥)

(١) الكلل : جمع كلة ، وهي ستر رقيق سريع يذوق به من اليموس ونحوه ، والحبوب : جمع حبيب ، وهو من القيس طوله ، والحلل : جمع حلة فالمعنى وهي إزار ووراده (برد أو غشيرة) ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة ، وللمعنى أن هذه الحساء شمس تمررت في الكلل كما تتيب الشمس في ممرها ، وتفرق من حبوب الحلال كما تطلع الشمس من ممرها .

(٢) وهي عصن غرس في أرض الهوى وارتوى بماء الشباب لأماء السحاب فأجنانا ثمرة الأول .

(٣) تهادى : بمعنى مشى في مهل وتناقل ، وترتو : تطر بمؤخر عينها ، يسي أنها تهادى بين أثرها يكاد يعدم ما انطوى عليه الوشاح من الحصر ، وتكر سيف لخطها من حقون فائزة مرهضة .

(٤) تمر : مضارع سمرت المرأة سمورا كشفت الثياب عن وجهها ، يحول : إذا برزت لرجل برزت وراء حجاب يصونها من هفتها وإذا بنت لهم ساعرة ستر وجهها ثياب من الحياء والحلل .

(٥) العهد : المطر ، وصوبه تزوله ، والربيع : الوضع الذي يزلون فيه أيام الربيع ، ولا زال مرهبةا في ملل : أي ولا زال المطر يصوب في مرهبةا حتى يميل لكثرة نزوله ، وفي الأصل :

« ولا مل مرهبةا في ملل » وجاء في ابن الأثير : في حديث الاستسقاء قال الله السحاب وملتنا كنفا في رواية مسلم ، قيل هي من اللل أي كثرت مطرها حتى ملتنا . انظر ج ٤ ص ١٠٩ من النهاية لابن الأثير .

مَرَادُ - مِنَ الْحُبِّ - غَضُّ الْجَنَى ، لَدَيْهِ - مِنَ الْوَصْلِ - وَرَدُّ هَلَكِ
لِكَاكِ مَا أَفْلَكَ يَهْدِي الشُّرُورَ حَبِيبُ سَرَى ، وَرَقِيبُ غَفَلِ
زَمَانُ كَانَ الْفَتَى الْمَسْلَمَى تَكْنَفُهُ عَدْلُهُ فَأَعْتَدَلِ
تَدَارَكَ^(١) مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُعِيدَ بِهِ عِزَّةَ الدِّينِ أَيَّامَ ذَلِ
وَيُوضِحَ رَسْمَ الثَّقَى - إِذْ عَفَا - وَيُطْلِعَ نَجْمَ الْهُدَى إِذْ أَقْلَ

حَمْدُنَا « الْمَظْفَرُ » لَمَّا رَأَى *
مَلِيكَ تَجَلَّى لَهُ غُرَّةُ تَأَمَّلَهَا فِرَّةُ مُهْتَبِلِ
أَشْفَى الْوَرَى - فِي الثَّهَى - رُثْبَةً ، وَأَشْهَرُهُمْ - فِي الْمَكَاكِ - مَثَلُ^(٢)
وَأَحْرَى الْأَنَامِ بِأَمْرِ وَتَهَيَّ وَأَذْرَى الْمُلُوكِ بِمَقْدِ وَحَلْ
يَمَارِ لَهُ التَّاجُ مِنْ يَنْبِهِمْ بِمَا أُورِثَ التَّبَعُونَ الْأَوَّلِ
مَسْنَامٌ - مِنَ الْمَجْدِ - حَالِي الثَّرَا يَظَلُّ الْعِدَامَةُ تَحْتَ الْأَظْلِ^(٣)
تَقِيلَ - فِي الْمَقْدِ - ظِلُّ اللَّوَاهِ وَسِيمَ الثَّهْوِضِ بِهِ فَاسْتَقِلَّ^(٤)
وَنِيَطَتْ حَمَالُهُ الْوَأَفِيَاتُ - مَكَانَ تَعَامِيهِ - فَاحْتَمَلَ
وَمَا بَلَّتِ الْبُرْدُ تِلْكَ الْأُمُو عَ إِلَّا وَفَى الْبُرْدُ لَيْتُ أَهْلُ^(٥)

(١) في الأصل : « بَلَرَك »

(٢) وقف على « مثل » بالكون مع أنه منصوب لوقوعه تحييزاً ، وريضة يجرول للنصوب في الوقف
يجرى للرفوع والمجرور فيقولون عليه بالكون ، وقد اضطرته القافية - في غير ما موضح - أن يترك
الاستعمال العامي من لغة العرب ويلجأ إلى هذه اللمة الغريبة .

(٣) باطن منم البعير .

(٤) هليل : استظل ، وسيم : كلف ، بالغ إلى حد الأفرار لجل للسوح وهو في العهد يهود الجيوش
ورقيل ظل اللواه وكلف التهوض بهذا المعنى ، فيستل بعمل اللواه وحده .

(٥) البيت الأول : الألف الشديد المحسوس .

عَهْدَنَا لِلكَارِمِ فِيهِ مَكَانٌ تُبَشِّرُنَا فِيهِ مِنْهَا الْجَمْعُ
تُرَى بَعْدَ بِشْرِ يُرِيكَ الْعَمَامُ تَهْلَلُ بَارِقُهُ فَاسْتَمَكُ
يُصَدِّقُ مَا حَدَّثْنَا «عَسَى» بِهِ عَنْهُ، أَوْ أَنْبَأْنَا «لَعَلَّ»
فَمَا وَعَدَ الظَّنُّ إِلَّا وَفَى وَلَا قَالَتِ النَّفْسُ إِلَّا فَعَلْ
فَلَقَى مُنَاوَرَةً مَا أَتَى وَأَعْطَى مُوَسَّلَهُ مَا سَأَلَ
كَمْ اسْتَوَفَتِ الشُّكْرَ تَمَازُؤُهُ فَأَقْبَلَ يُنْعِمُ مِنْ ذِي قَبْلِ (١)
فَمَامٌ يُظِلُّ ، وَتَمَسُّ نُذِيرُ ، وَتَحْزَنُ يَفِيضُ ، وَسَيْفٌ يُسَلُّ
قَسِيمُ الْحَيَاةِ ، تَحْوِكَ السَّمَاحُ ، لَطِيفُ الْحَوَارِ ، أَدِيبُ الْجَدَلِ
تَوْفَى الْبَلَاغَةَ أَفْلَامُهُ إِذَا مَا الضَّمِيرُ عَلَيْهَا أَمَلُ (٢)
يَبَاكَ يَبِينُ - لِلْسَامِعِينَ - أَنْ مِنَ السَّخَرِ مَا يُسْتَعْلَى (٣)
أَلَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى الْعَيْبِ فِيهِ فَكَمْ عَيْنٌ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كَمَلِ (٤)

- (١) يقال : لقيته من ذى قل (عدين وكسر وفتح) أى بما يظلم .
(٢) يقال أمل عليه الكتاب أى أملاه ليكتبه ، وفي الكتاب المزمر : (فليكتب وليطل الذي عليه الحق) وفيه أيضا : (وطالوا أساطير الأوابى اكتنبا فهي تحمل عليه)
(٣) السحر الذي يستعمل هو سحر البيان ، وفيه الإشارة إلى المثل العمود : إن من البيان لسحرا ، والله الهادي - صلى الله عليه وسلم - . وفيه وقد عليه ، عمرو بن الأهم ، والرقان بن بدر ، وقيس ابن عاصم ، فقال عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأهم من الرقان . قال عمرو : « مطاع في أدبه ، شديد لما رآه ، مانع لما وراء ظهره » . قال الرقان : « يا رسول الله ! إنه ليظلم مني أكثر من هذا ، ولكنه صديق » . فقال عمرو : « أما والله ! إنه لمن اللزوة » ، « بلى العطن » ، « حق الوالد » ، « لئيم الحال » ، والله ! رسول الله ما كذبت في الأولى ، وأند صدقت في الأخرى ، ولكني رجل وصيت طفل أحسن ما علمت ، سقطت فقلت أقبح ما وجدت » . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا » ، إنما سمي البيان سحرا لتأثيره في سامعه ، وسرعة قبول القلب له .
(٤) عين : أميب بالهمزة ، من حال المحمود بينه فهو طائن والمحمود من أصابه بالعين ، يقول : هل من سبيل إلى وجود هيب واحد فيه يقيه شر أعين الحاسدين ، فكثيرا ما أصيب بالعين الكامل الذي لا هيب به ولا هيب . وهذا قريب من قول القائل :
' ما كان أحوج ذا الكمال إلى هيب يؤقيه من الهيب . '

* *

لَنْ لَبَسَ الْمَلِكَ رَحْبَ الْمَلَأِ ، فَاخْتَالَ مِنْهُ بِذَيْلِ رَقْلٍ
فَإِنْ تَزَوَّدَهُ لِلْعَمَالِ وَإِنْ تَأَهَّبَهُ لِلْأَجَلِ
فَأَخْبِرُ سَوَاسِ هَذِي الْأُمُورِ وَتَأْسِكُ أَرْبَابِ هَذِي الدُّوَلِ

* *

وَلَيْتَ الثُّغُورَ قَلَمَ تَمَعْدُ أَنْ رَأَيْتَ الثَّأْيَ (١) وَسَدَدْتَ الْخَلْنَ
سِرَاكَ - إِذَا قُلِدَ الْأَمْرَ - جَارَ ، وَغَيْرُكَ - إِنْ مَلَكَ الْقِيَمَ - غَلَّ (٢)
مَنْ لَا يَزَالُ يَلْبَسُ حَلَهُ أَمَانَانِ : مِنْ عَدَمٍ ، أَوْ وَجَلٍ (٣)
فَأَنْجِمُ دَهْرِهِمْ سَعْدَةً وَتَمْسُ زَمَانِهِمْ فِي الْحَمَلِ (٤)

* *

« أَبَا بَكْرٍ » اِئْتَمِعْ أَحَادِيثَ لَوْ ثُبْتُ بِسَمْعِ عَلِيلِ أَبَلٍ (٥)
مَأْشُكْرُ أَنْكَ أَعْلَيْتَنِي بِأَحْطَى مَكَانٍ وَأَذْنَى مَحَلٍّ
وَأَتَى إِنْ زُرْتُ لَمْ تَحْتَجِبْ وَإِنْ طَالَ بِي نَجْلِسُ لَمْ تَمَلْ

(١) الثَّأْيُ : الصاد ، ورأبته أصلحته .

(٢) الْيَوْمَ : ما حصل للسلب من أموال الكفار فنوا بلا قتال ، وتسميه غير تسمي السائم ، وغل : خلا ، وحمله معهم بالفلول (أي الخيانة) في اليَوْمِ واليوم ، وهو من قول الله عز وجل : « وما كان لبي أن يغل » .

(٣) عَدَمٌ أَوْ وَجَلٌ : أي قرأ وخوف .

(٤) سَعْدَةٌ : صفة للأشجع ، يقال : يوم سعد و ليلة سعد ، وفي الأصل : « وأنجم دهرهم أسعد » وأسعد وصف المدكر ، ولا يصح وصف الأنجم به ، وفي السجاء كراكب يقال لكل منها : « سعد » وسعد النجوم مفعلة وهي : « سعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعد ، وسعد الأحياء ، وسعد نافرته ، وسعد الملك ، وسعد البهائم ، وسعد الحمام ، وسعد البازع ، وسعد مطر » .

(٥) صبح من مرصه

تَبَسَّمتُ ثُمَّ تَثَبَّتَ الْوَسَادُ فَحَسْبِي مِنْ خَطَرٍ مَا أَجَلُ^(١)
فَلَوْ صَافَحَ الثَّبَرُ خَدِّي لَهَانَ وَلَوْ كَاثَرَ الْقَطَرُ شُكْرِي لَقَلُّ^(٢)
بِأُمْتَالِهَا يُسْتَرْقُ الْكَرِيمُ إِذَا مَطْمَعٌ بِسِوَاهُ أَخْلُ^(٣)

* *

فَلَا تَمْدَمَنَّ الْمَسَاعِي الَّتِي لِأَمِّ الْمُنَاوِيكَ فِيهَا الْهَبَلُ^(١)
فَأَنْتَ الْجَرِيءُ - إِذَا الشَّيْلُ هَابَ وَأَنْتَ الدَّلِيلُ، إِذَا النَّجْمُ ضَلَّ^(٢)
وَمَا أَبْنُكَ إِلَّا جِلَاءَ النُّبُونِ إِذَا نَاطِرٌ - بِسِوَاهُ - أَكْتَخَلَ^(٣)
رَيْبُ السَّيَادَةِ - فِي حِجْرِهَا - تُدِرُّ لَهُ ثَدْيَيْهَا إِذْ حَفَلُ^(٤)
تَمَكَّنَ يَنْتُلُوكَ - فِي الصَّالِحَاتِ - فَلَمَّا تَفَتَّهْ ، وَلَمَّا يَنْلُ

(١) تثبتت الوساد : الوساد للثَّاء ، وتثبته أي رددت صوته على نفس ، وذلك لثبته ، أو ثبته جعل له ثابيا وصوته عليه ليحصل الارتفاق ، والاتكاء عليه عند الجلوس ، وهذه الحماوة إما أن تكون جعلت فعل مباشر من ذلك تواسعا منه ومسالفة في إكرام ذي الوراثة (ابن زيدون) ، وإما أن تكون جعلت من الخدم والاتباع ناه على أمر ذلك ، يقول في هذا البيت والبيتين قبله : سأشكر لك أنك أعطيت مكاني ، وأدريت علي ، وإني إن روتك لم تحصب وإن طال بي الجلوس في مجلسك لم تسأم ولم تقل ، وإني إن جئت راثرا تجست وتثبت الوساد احتفاء بي ، طبعي هذا من خطر طبعي وشرف ما أجه وما أعطته .

(٢) يقال : هلته أمه تكلمته ، ولأمة الهبل أي التكلل . قال الشاعر :

« والناس من يلق حبرا ، قاتلون له ما يمتحنى ، ولأم الهمل الهمل . »

وقال البصري :

« ولا كم البهي ، ثم الساب نحوكم بالمرية فيها التكلل والهبل . »

وقال المرعي :

« دع أمتا - لاشغاه الله من هبل - يكي على رءه القول ما يلا . »

(٣) خل : امتلا ، خل العين في الفرع يخل خلا وخفولا ، وتمحل واحطل : اجتمع وهذا ضرع خيل أي مملوء لبناً

ذكرى قرطبة وایام الصبا

تَلَشَّقْ - مِنْ عَرَفِ الْمَصْبَا^(١) - مَا تَلَشَّقَا

وَمَا وَدَّ ذِكْرَ الْمَصْبَا فَتَشَوَّقَا

وَمَا زَالَ لَمَعُ الْبَرْقِ - لَمَّا تَأَلَّفَا -

يُهَيِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ حَتَّى تَدَفَّقَا ، وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ الْمَشُوقُ الْمَصْبَا^(٢)

* *

خَلِيلِيَّ - إِنْ أَجْزَعْ - فَقَدْ وَضَعَ الْمَذْرُ

وَأِنْ أَسْتَطِيعَ صَبْرًا فَمِنْ شَيْئَتِي الصَّبْرُ

وَأِنْ يَكُ رُؤَا مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ

فِي يَوْمِنَا حَرًّا ، وَفِي غَدِهِ أَمْرٌ^(٣) وَلَا تَحَبُّ ، إِنْ الْكَرِيمُ مُرَرًّا

(١) الصبا : ریح المبای أى ریح الدیال . والعرف : العلیب .

(٢) یهیب : مضارع أماب بصاحبه دما ، أى یدمع الدمع لیتدفق ، وللمصبا : دو الصبوة ، والصبوة حمة الفتوة یقال صبا صبوا وصا وصاب . وصی إليها - كرضی - حن ، وأصبته المرأة ومصبته : شاقته ودعته إلى الصبا لحن إليها .

(٣) فی التل : « اليوم حر وغدا أمر » وقد قاله امرؤ القیس حين یلنه قتل أبیه ، ومساء : اليوم دلمو وتتم تارکین إلى المدأناه ما علینا من الواجبات والفروض . ویروی ، وهو أیضا لاسمى القیس : « اليوم نطف » وغدا عاف » والصحاف جمع صف ، وهو إلهاء یعرب به ، والنفاف : للناقة من قف الهامة شعها عن الدمار .

* *

رَمَيْتِ اللَّيَالِي عَنْ قَبِيءِ النَّوَائِبِ
فَمَا أَخْطَأْتِنِي مُرْسَلَاتُ الْمَصَائِبِ
أَقْفَى نَهَارِي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ
وَأَوْرِي إِلَى لَيْلٍ بَطْلِي الْكَوَاكِبِ ١

* *

أَفْرُطِبَّةَ الْفَرَاءِ أَهْلَ فَيْكِ مَطْمَعُ ؟
وَهَلْ كَبِدُ حَرَّى لَيْتِنِكَ تَنْفَعُ ؟
وَهَلْ لِلْيَالِيكِ الْحَمِيدَةِ مَرْجِعُ ؟
إِذِ الْحُسْنُ مَرَأَى فَيْكِ - وَاللَّهُ مُسْمِعُ وَإِذْ كُنْتُ الدُّنْيَا لَدَيْكِ - مُوْطَأُ ٢

(١) إشارة إلى البيت المهورى قصيدة الهذلي :

« كَيْسَى لَمْ يَأْسِئْ نَاصِبٌ وَلَيْلٌ أَقَابَهُ طَلْعُ الْكَوَاكِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ يَمْتَنِعُ وَلَيْسَ الْهَى يَرْمِي النُّجُومَ بِأَكْبِ
وَصَدْرُ أَرْحِ الْبَيْلِ حَارِبٌ مَهْمٌ تَصَاصَعِبُهُ الْخَرْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ »

جبل صدره مألفاً للهدوم وحمل الهدوم كاللال العارية بالتهار حتى إذا أتى الليل أراحته الراحة في أماكنها
والناطقة أول من جبل الهدوم تعرب بالتهار وتزايد بالليل ، وتمعن الشعراء في ذلك ، فقال جهمون ليلي :

« يَهْمُ إِلَى الْبَيْلِ أَهْثَالُ جَهْمٍ كَمَا ضَمَّ أَوْدَارُ الْفَيْصِ الْبَنَاتِ »

وقال ابن العينة :

« نَهَارِي نَهَارِ الْبَاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِيَ الْبَيْلِ حَرْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاحِ
أَقْفَى نَهَارِي مَالِ الْهَدَيْتِ وَبِالْي وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِالْبَيْلِ حَاسِحٌ »

ولهذا السبب يرمي الشعراء بتول الليل فقال :

« كَوَاكِبُ لَيْلَةٍ طَالَتْ وَهَمَّتْ صَفَا الصَّبْحُ رَاحِمَةً لِحُورِي »

وقال امرؤ القيس :

« فَيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ بِكُلِّ مَارٍ الْفَتْلَ شَعْتَ يَنْدَبِلُ »

ولقد أكثر الشعراء من أمثال هذه المعاني فليجئني بهذه الأبيات .

(٢) موطأ: ميسر مغل .

الْبَسَ حَيًّا أَنْ تَشْطَّ النَّوَى بِكَ
فَأَخِيَا كَأَنْ لَمْ أُنْسَ نَفْعَ جَنَابِكَ
وَلَمْ يَلْتَمِمْ شَيْءِي خِلَالَ شِمَابِكَ
وَلَمْ يَكْ خَلْقِي بَذْوُهُ مِنْ ثَرَابِكَ وَلَمْ يَكْتَفِنِي مِنْ تَوَاحِيكِ مَلْئًا

تَهَارُكِ وَصَاحُ ، وَلَيْلِكَ خَفِيَاتُ
وَتَرْبِكَ مَصْبُوحُ ، وَغُضُنِكَ نَشْوَانُ
وَأَرْضُكَ تَكْسِي ، حِينَ جَوْكِ عُرْبَانُ
وَرَبَّكَ رَوْحُ - لِلنَّفُوسِ - وَرِيحَانُ وَحَسْبُ الْأَمَانِي ظِلُّكَ الْمُتَقِيَا (١)

أَأُنْسَى زَمَانًا « بِالْمُقَابِ » مُرْفَلًا
وَعَيْشًا بِأَكْنَافِ « الرُّصَافَةِ » دَغْفَلًا (٢)
وَمَقْنَى - إِزَاءَ « الْجُمْفَرِيَّةِ » - أَفْجَلًا
لَنِعْمَ مَرَادُ النَّفْسِ رَوْضًا وَجَدَوْلًا وَنِعْمَ مَحَلُّ الْمُنْبُوَّةِ الْمُبَوَّأُ

وَيَارُبِّ مَلْهَى « بِالْمَقْبِي » وَبَجَلِسِ
لَدَى ثُرْعَةٍ ، تَزُتُو بِأَحْدَاقِ تَرْجِسِ
بِطَاحُ هَوَاهُ مُطْمِعِ الْحَالِ مُؤَيِّسِ
مَغْنَمٍ وَلَكِنْ مِنْ سَنَا الرَّاحِ - مُشْمِسِ إِذَا مَا بَدَتْ - فِي كَأْسِيهَا - تَلَلًا

(١) ضياع : أى بروز طاهر لا يسهو غلام ، وذلك لكثرة ما يضاء فى قرطبة من المصباح والبرج
بالليل ، وعريان : هو يريد أن أرضها مكشوفة بالنبات وجوها هو صالى الأديم ، الخفيا : الذى يستظل به
ويستريح فيه الليل . (٢) الدغل : النهش الواسع الغصب .

وَقَدْ صَبَّحْنَا مِنْ «عَيْنِ شَهْدَةٍ» - مَشْهُدٍ
 بَدَأْنَا وَهَدَانَا فِيهِ، وَالْمَوْدُ أَحْمَدُ
 يَرْفُ عَرُوسَ اللَّهْرِ أَحْوَرُ أَغْيَدُ
 لَهُ مَبْنِيْمٌ عَدْبٌ، وَخَدُّ مُورَدُ، وَكَفٌّ - بِحَنَاءِ الْمُدَامِ - تُقْنَأُ ^(١)

* *

وَكَانَ عَدَوْنَا - مُضْعِدِينَ - عَلَى الْجَنْبِ ^(٢)
 إِلَى الْجَوْسِقِ ^(٣) النَّصْرِيِّ يَنْ الرُّبَا الْمُفْرِ
 وَرُخْنَا إِلَى الْوَعْسَاءِ ^(٤) مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ
 بِحَيْثُ هُبُوبُ الرِّيحِ عَاطِرَةِ النَّشْرِ - عَلَا قُضْبُ الثَّوَارِ، فَهِيَ تُكْفَأُ

* *

وَأَحْسِنَ : بِأَيَّامٍ - خَلَوْنَ - صَوَائِحِ
 بِمَضِيَّتَةِ الدُّوَلَابِ، أَوْ قَصْرِ نَاصِحِ
 تَهَزُّ الصَّبَا - أَتْنَاءَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ -

صَفِيحَةَ سَلْسَالِ الْمَوَارِدِ سَاطِحِ تَرَى الشَّمْسُ تَجَلُّوْنَصَلَهَا حِينَ يَصْدَأُ ^(٥)

-
- (١) تَقْنَأُ : تصبغ باللون الأحمر القاني ، وذلك حين تمسك بالسكاس فينكس عليها من لون الراح ما يشبه الحصاب الحناء . (٢) وكَم حَرِينَا صَاعِدِينَ عَلَى الْجَنْبِ .
 (٣) الْجَوْسِقُ : القصر ، والزا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض والسر جمع غفراء - وهي أرض بيضاء لم توطأ .
 (٤) الْوَعْسَاءُ : راية من رمل لينة تنبت أحرار البقول .
 (٥) يَجَلُّوْنَ : يذبلون ، لأن ربح المباتيز خلال تلك الأباطح صفيحة جدول سلسال للموارد ساطح في الأباطح ، والعصم تجلو فتل هذا الجدول الشبيه بصفيحة السيف حين يصدأ من الظل .

* *

وَيَا حَبْدًا « الزَّهْرَاءُ » بِهَيْجَةٍ مَنظَرِ
وَرِقَّةٍ أَفْقَاسٍ ، وَصَحَّةٍ جَوْهَرِ
وَنَاهِيكَ مِنْ مَبْدَأِ جَمَالٍ وَتَحْفَرِ
وَجَنَّةٍ عَذْبٍ تَطْلِيكَ وَكَوْثَرِ عِمْرَانِ يَرِيدُ الْعُمُرَ طَبِيبًا - وَيَنْسَأُ^(١)

* *

مَعَاهِدُ - أَبْكِيهَا - لِمَهْدٍ تَصَرَّمَا^(٢)
أَغْضَى - مِنْ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ - وَأَنْعَمَا
لَبَسْنَا الصَّبَا فِيهَا خَيْرًا مُنْتَمَا^(٣)
وَقَدْ نَكَلْنَا إِلَى اللَّذَاتِ جَبِشًا عَرَمَرَمًا لَهُ الْأَمْنُ رَدَّهُ^(٤) وَالْعَدَاوَةُ أَمْرًا بَأْ

* *

كَسَاهَا الرِّبْعُ الطَّلَقُ وَشَى الْحَمَائِلُ^(٥)
وَرَلَحَتْ لَهَا مَرْضَى الرِّبَاحِ الْبَلَائِلُ
وَعَادَى بَنُوهَا النِّيشَ خُلُوَ الشَّمَائِلُ
وَلَا زَالَ مِتًا بِالضُّحَا وَالْأَصَائِلُ سَلَامٌ - عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ - يُقْرَأُ

(١) تطلبك : تعجبك وتزدملك ، ينسأ : يؤخر ، أى يطيل العمر ، وقد مرَّ التعريف بالزهراء وغيرها من آثار « قرطبة » فى الحاشية ص (٥٤ - ٥٦) فارجع إليها إن شئت

(٢) تَصَرَّم : انتهى وفات :

(٣) الحميم : الناعم الجديد ، وضرب من برود الريح والشم : للتعوش للشمس

(٤) رده : ظهور أوسون .

(٥) الحمال - جمع حيلة - وهى الوضع الكثير للصبر

أَخَوَانَنَا | لِوَارِدِينَ مَصَادِرُ
وَلَا أَوَّلُ إِلَّا سَبْتُلُوهُ آخِرُ
وَأَنِّي - لِإِفْتَابٍ ^(١) الزَّمانِ - لِنَاظِرُ
فَقَدْ يَسْتَقِيلُ الْجَدُّ - وَالْجَدُّ قَائِرُ - وَنُحْمَدُ عُقْمِي الْأَمْرِ مَا زَالَ يُشْنَأُ ^(٢)

* *

ظَنَنْتُ ، فَكَانَ الْحَرْمُ يُخْفِي قِطْعَنُ ^(٣)
وَأَصْبَحْتُ أَسْأَلُ بِالْأَمْسِ ^(٤) حِينَ أَحْزَنُ
وَقَرَّ - عَلَى النَّاسِ - الْقَوَادُّ الْمُوَطَّنُ
وَإِنْ بِلَادًا - هُنْتُ فِيهَا - لَأَهْوَنُ وَمَنْ رَامَ مِثْلِي بِالْذَّنْبِ أَذْنَأُ

* *

وَلَا يُفْطِطُ الْأَعْدَاءُ كَوْنِي فِي السَّجْنِ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَحْصَنُ بِالْذَّجْنِ ^(٥)
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ الْعُصْبَ فِي جَفْنِ ^(٦)
أَوِ اللَّيْلِ فِي غَابٍ ، أَوِ الْعَقْرِ فِي وَكْنِ ^(٧) أَوِ الْمَلَقِ يُخْفِي فِي الصُّوَارِ - وَيُخْبَأُ ^(٨)

(١) الافتاب : إرضاء العاتب .

(٢) يستقيل : ينهض ، والجد : الخط ، وبشأ : يمس .

(٣) أى رحلت مكان رجلى هذا أى بقيت حماه ففرحت من مكال الحفوة والحر إذا نبت به أوث

حاجر إلى غيرها . (٤) الأمس : جمع أسوة ، رعى الناس والتجمل ، قال ابن دريد :

« قال عثر بعدها - إذ وألت نفسى من عاتق - قولا : لالما . »

وإن تكن مدنا موصولة بالمصاحطة الأسى على الأسى .

أى سلمات الصبر والتحمل على الحزن .

(٥) الحسن : البيم . (٦) حنى : محمد (٧) الوكن : من الطائر ، لو كفة مثله .

(٨) الصُّوَار : وعاء لللبك .

* *

يَضِيقُ - بِأَنْوَاعِ الصَّبَابَةِ - مَذْهَبِي
إِلَى كُلِّ رَحْبِ الصَّدْرِ مِنْكُمْ - مُهَذَّب
مَقْضُضٍ لَأَلَاءِ الْأَسَاوِيرِ مُذْهَبٌ ^(١)
يَنَافِسُ مِنْهُ الْبَذَرُ - غُرَّةَ كَوَاكِبٍ دَرَى أَنَّهَا أَبْنَى سَنَاءٍ وَأَضْوَأُ

* *

أُسِفْتُ، فَمَا أَرْتَاحُ - وَالرَّاحُ تُثْمِلُ -
وَلَا أُسِفُّ الْأَوْتَارَ - وَهِيَ تَرْسَلُ -
وَلَا أَرْعَوِي عَنْ زَفْرَةٍ - حِينَ أُعْذَلُ -
وَلَا لِي - مَذْفُوزٌ تَشْكُمُ - مُتَعَلِّلٌ سَوَى خَبَرٍ مِنْكُمْ - عَلَى النَّأْيِ - يَطْرَأُ

* *

حَمْدُكُمْ - مِنْ الْأَيَّامِ - لِيِنْ خِلَالِهَا
وَمَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا بِحُسْنٍ دَلَالِهَا
مُؤْمِنَةً مِنْ عَثِبِهَا وَمَلَالِهَا
وَلَا زَالَ مِنْكُمْ لَابِسٌ مِنْ ظِلَالِهَا يُسَوِّخُ أَبْكَارَ الْمَنَى وَيُهِنُّ

(١) أساوير الوجه : محاسن ، والأساوير - جمع أسرار والأمراد جمع سراد وهي خطوط الكف .

إلى ابن عبدوس^(١)

« وكتب إلى الوزير الكاتب أبي عليّ

ابن عبدوس معاتبا . »

(١) كان بين ابن زيدون وابن عبدوس صداقة أصيلة - بعد صداقة أكيدة - وكان من أكبر أسباب تلك الصداقة تآزعهما على «ولادة بنت المستكفي» وقد كانت هذه الصداقة حافزا لابن زيدون على إنشاء هذه القصيدة ، كما كانت حافزا له على إنشاء رسالته المهرية المشهورة التي ستمر بك في هذا الكتاب . وقد كتب ابن نباتة في مقدمة الرسالة كلمة تمهيدية على بها أسباب هذه الصداقة كما كتب صاحب نفع الطبيب وغيره ونحن نجتزئ بما يلي :

كانت قرطبة امرأة طريفة من بنات حناء العرب الأمويين اللذين إلى عبد الرحمن بن الحكم المروفي بالفاصل - من بني عبد الملك بن مروان تسمى : «ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن» اجفل حجابها - بعد نكحة أبيها وقتله وتسلط ملوك الطوائف - في خبر طويل - ثم صادف مجلس للشعراء والكتاب والمفاخرم وتماخروم وبحثها الكبراء منهم ، وكانت ذات خلق جميل وأدب غنى ونوادير جميلة ، ولطم حيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راسبة عنه تقول :

«ترسى - إذا ضحك الغلام - رياتي فاني رأيت القيل أكرم للسر

وإن مك ما لو كان بالدم لم يدره وبالليل لم يظلمه وبالجم لم يسر . »

وقولها فيه وهي عليه صبي :

«إن ابن زيدون - على فعله - يلوح بي شتما ولادك لي

بالعطي شورا إذا خنته كما ما حث لأخفى على . »

لكن غلاما له يسمى عليا . وكان سب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير «أبي طاهر بن عبدوس» وكان يلقب بالفار ، قال فيه وفيها :

« غيرتموا بأن قد صار يغلطنا فبين نعمت - وما في ذلك من نار

أكل شعبي ، أمهنا من أطايه مساء ومضا صفعا عنه لغار . »

ومن شعرها ما كتبت به على كها وقيل : على تاحها :

« أنا والله أصلح للعالم وأشقى مشيتي وأتبع نيا

وأمكن طاشقي من ثم تدرى وأصلى بقلبي من يشتهيها . »

ومما ينسب إليها وهو صندى كثير على شعر امرأة :

« لحاطكم تبحرما في المعنى ولظنا يبحركم في المجدود

جرح بجرح ، فأحملوا ذا بهذا لما الذي أوجب جرح الصدود . »

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها ، ولليل إليها ، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ، ثم إن الوزير «أبا طاهر بن عبدوس» أيضا هام بها وكتب بصبرتها ، وكان تصدم الطرف والأدب ، وكانت «ولادة» كثيرة الحب به ، ولها منه نوادر طريفة ، ومن نوادرها الطريقة أنها مرت يوما بدار «ابن عبدوس» وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه - وأمه بركة تولد من صراخين وأفئاد - فوقعت عليه وقالت يا أبا طاهر :

« أنت لتصيب وهذه صر فتدنا فكلنا كما بجر . »

أَثَرْتُ هَزْزَ الشَّرَى - إِذْ رَبَضَ - وَتَبَّهْتُ إِذْ هَذَا فَأَغْمَضَ (١)
وَمَارَلْتُ تَبْسُطُ (٢) - مُسْتَرِيلاً - إِلَيْهِ يَدَ الْبُنَى لَمَّا أَتَقَبَضَ

* *

حَذَارِ حَذَارٍ فَلَمَّ الْكَرِيمُ - إِذَا سِيمَ خَسَفَا - أَبَى فَأَمْتَمَضَ
فَلَمَّ سُكُونُ الشُّجَاعِ النَّهْوُ س (٣) لَيْسَ عِمَامَةٍ أَنْ يَمَضُ
وَإِنْ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَرَلُ وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرَضُ
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ مَسَاجٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا الْخَفَضُ (٤)
وَهَلْ وَارِدُ الْفَتْرِ مِنْ عِدَّةٍ يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفِ الْبَرَضُ (٥)

ظلم يحرمواها، فاست وحفظت هذه التادرة، واشتغل بها اللسان، وهذا البيت لأبي نواس تمتل به وقلته هذا
القل الحسن من - المدح إلى المعاد - وكان كثيرا ما يخطبها ويبنى القصد بها ، وفي ذلك يقول ابن زيدون:
« وغرك من عهد ولادة سراب تراهي و برق ومن
في الماء يأبى على فابس ويجمع زبدته من معنى . »

وكان أول أسرها معه والباحث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة : أن «ابن عبدوس» لما سمع بها أرسل
إليها امرأة من جهته لتسليمها إليه وتذكر لها عاصته ومناقبه وترغبها في الظفر بمواضعه ، فبلغ ابن زيدون
ذلك ، فكتب هذه الرسالة الدمية جوابا له من لسانها تضمن هذه الغرائب من سب أبي طاهر والتهكم له
والهزاء له وحملها حوايا له على لسان ولادة ، وأرسلها إليه مقبورا رجس الرأفة جللت منه كل مبلغ، واشتهر
ذكرها في الآفاق، وأسك «ابن عبدوس» عن التمرض ولادة إلى أذاهظ «ابن زيدون» إلى «أشيلية» وتوفي بها
تسببه الله برحمة ، وضرب لنا ولهم بته وكرمه. هذا معنى ما ذكره ابن حيان وابن بشار وغيرهما من المؤرخين .
(١) أثرت : هبت ، والغزير : من أسهاء الأسد ، والفرى : موضع تكثر فيه الأسود ، وريش :
آوى إلى عرينه ، وهذا : ثم .

(٢) يقول : ومارلت تبسط يد البطش والبنى على ذلك الأسد الرايض في عجنه على حيي أمت يده
للعبسة منك .

(٣) النهوس : الضخوس ، والشجاع الذكر من الحيات ، قال القائل :

« أتبع له - وكان أظا حبال - شجاع في الحماطة مستكن . »

(٤) الخفض : الجبل الضيف .

(٥) القد : أراد به هنا معنى الماء الذي له مادة لا تقطع ، يقال ماء حد أى كثير دائم لا يقطع ،

البرض : القليل . قال ابن دريد :

« أرمق القيش على برقي ظان ومشارقنا ومتصبل للفتى . »

يقال ماء برض (بالسكون) أى قليل ومو خلاف الفرم ، والمستشف : الذى يأبى على آخر ما في الآراء عند العرب .

إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا - أَرَمَدًا - فَحَظُّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُنْفَسَ^(١)

* *

أَرَى كُلَّ مُجَرٍّ « أَبَا عَامِرٍ » يُسْرُ إِذَا فِي خَلَاءٍ رَكَضٍ
أَعِذُّكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي^(٢) إِذَا وَتَرَى بِالْمَنَايَا أَنْقَبَضِ
فَلَمَّا أَلَيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي وَأَتْرَكْتُ مَنْ رَامَ قَسْمِي حَرَضِ^(٣)
وَكَمْ حَرَكَ الْعُجْبُ مِنْ حَانٍ فَعَاذَرْتُهُ ، مَا بِهِ مِنْ حَبَضِ^(٤)

* *

« أَبَا عَامِرٍ » أَيْنَ ذَلِكَ الْوَفَاءِ إِذَا الدَّهْرُ وَسَّكَانُ ، وَالْبَيْشُ غَضِ^(٥)
وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ مُصَادَقَتِي الْوَاجِبِ الْمُفَرَضِ ؟
تَشُوبُ وَأَعْضُ^(٦) مُسْتَبَقِيَا وَهَيْهَاتَ مَنْ شَابَ يَمُنْ نَحَضِ !

* *

أَبْنِ لِي ، أَلَمْ أَضْطَلِعْ نَاهِيًا^(٧) بِأَعْيَاهِ بَرِّكَ ، فَيَمُنْ نَهَضِ ؟
أَلَمْ تَتَشَّ مِنْ أَدَى نَفْحَةٍ حَسِيفَتِ بِهَا الْمِسْكُ طَيِّبًا يُفَضِّ ؟

(١) قال المتن :

« قد فكر البين ضوء الشمس من رمد ويكر أقم طعم الماء من سقم . »

(٢) للفرج : السهم الذي يرى به أبعد ما يقدر عليه لتقدر به الدولة قال الأحمدي :

هو كالفرج الريش من الشو حط عالت به يمينه العالي

(٣) حرص : ساقط لا يقوى على النهوض .

(٤) الحس : التحرك والصوت ، والقرة وقية الحياة ، يقول : كم دفع الدروز من قرب حينه إلى ما

وَأَيَّ فَرَكْتَهُ مَيَّنَا لَأَحْرَاكَ هـ .

(٥) أي تخرج الصاي بالكسر وأصبتك الهوى خالماً من كل شائبة

(٦) وفي رواية : « ما ديا »

أَلَمْ تَكُ مِنْ شَيْعَتِي قَادِيَا إِلَى ثَرْجٍ صَاخَكُنْهَا قُرْصُنْ^(١) ؟
وَلَوْلَا اخْتِصَاصُكَ لَمْ أَتُفِتْ لِحَالِكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ
وَلَا قَادِي - مِنْ وَقَاهُ - مُرُورٌ وَلَا نَالِي - لِفَاقِهِ - مَقْصُضٌ
يَعِزُّ اعْتِصَارُ الْفَتَى وَارِدَا إِذَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ أَهْدَى الْجَرَضِ^(٢)

* *

هَمَدْتُ لِشِعْرِي وَلَمْ تَتَلَبَّ^(٣) تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضِ
أُصَاقَتْ أَسَايِبُ هَذَا الْقَرِيضِ ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَشْمُهُ فَأَنْقَرَضُ ؟

* *

لَتَمَرِّي لَفُوقَتْ مَهْمَ النُّضَالِ وَأَرْسَلْتُهُ لَوْ أَصَبْتَ الْفَرَضِ^(٤)
وَشَمَرْتَ لِلْخَوْضِ فِي جُلَّةٍ - هِيَ الْبَحْرُ - سَاحِلُهَا لَمْ يَخْضَنْ
وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ « وَلَادَةٍ »^(٥) سَرَابٌ تَرَاوَى وَبَرَقَ وَمَضَّ
تَظُنُّ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظُّنُّ نُ فِيهَا تَقُولُ عَلَى مَنْ فَرَضَ :
« هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ »^(٦) وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ تَخَضَّ

(١) العرس - جمع فرسة ، والفرسة من النهر تلة يستو منها ومن البحر عطف السفن .
(٢) وفي الأصل : « ولكن يصر اعتصار الفتى واردا » ، والجرم معناه المصم بالريق ، يقال
حرض برقه : ابطه بالجهد . والاعتصار : أن يمس الانسان بالطعام فيمتصه بالماء ، وهو أن يصره قليلا
قليلا ، قال عدي بن زيد :

« لو بنير للماء حلقى شرق كنت كالنصال بالماء اعتصاري.. »

(٣) ولم نال جهدا . (٤) الفرض : الهدف .

(٥) وفي الأصل : « وغرك من عهد صالة » ولكنه في بقية الروايات : « ولادة »

(٦) وفي رواية : « هي للماء يصر على قابض » .

وَبَشَّهَا بَعْدِي أَسْتَحِيدَتْ بِسِرِّي إِلَيْكَ لِمَعْنَى غَمَضُ

* *

« أَبَا حَامِرٍ » عَثَرَةً فَأَسْتَقِيلَ لِنُبْرَمٍ مِنْ وَدُنَا مَا أَسْتَقْنُ

وَلَا تَمْتَعِمُ صَلَّةً بِالْحَبَّاجِ (١) وَسَيِّمُ قُرْبَ أَحْتَجَّاجِ دُحْنُ

وَالْأَسْتَحْنُكَ جُيُوشُ الْعِتَابِ مُنَاجِرَةً فِي قَضِيضٍ وَقَضُ

* *

وَأُنْذِرُ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ بِطِبِّ الْجُنُونِ إِذَا مَا عَرَضُنْ

كَفِيلُ يَطُّ خِرَاجٍ قَسَا (٢) جَرِي عَلَى شَقِّ عِرْقٍ بَعْنُ

يُكَادِرُ بِالْكِيَّ قَبْلَ الضَّمَادِ وَيُسْمِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحَفَضُنْ

وَأَعْلِنُهُ أَنِّي أَسْتَجِدْتُ الْمَوْضُنْ وَأَشِيرُهُ أَنِّي أَسْتَحْبْتُ الْبَدِيلَ

فَلَا مَشْرِبِي - لِقَلَاةٍ - أَمْرُ وَلَا مَضْجَبِي - لِنَوَاهٍ - أَقْضُ

وَإِنْ يَدُ الْإِنِّ مَشْكُورَةٌ لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَعْمٍ رَحَضُنْ (٣)

وَحَسْبِي أَنِّي أَطَبْتُ الْجَنَى لِإِبَانِهِ ، وَأَبْجَحْتُ النَّفْضُنْ (٤)

وَيَهْنِكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي غَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَلِكَ الرَّبَضُنْ (٥)

(١) الحجاج : الحاجة والحمل .

(٢) وى الأمل : « خراج حرى . »

(٣) رحض : غسل .

(٤) النفض : ماسط من الورق والتمر وحب السنب حين يوجد بعضه في بعض .

(٥) الرض : الأمعاء أو ما في البطن سوى القلب ، ومأوى السم ، وفوقه الذى يكفك من الهم .

مدح ابن جهور وشكر باديس^(١)

« وقال من قصيدة طويلة يمدح بها الوزير

الأجل محمد بن جهور . »

سَلِ الْمَعَشَرَ الْأَعْدَاءَ إِن رُمِيتْ صَرَفَهُمْ - عَنِ الْقَصْدِ إِن أُعْيَاكَ مِنْهُ مَرَامُ
أَتَوْكَ كَأَسَادِ الشَّرِّ فَرَدَدْتَهُمْ كَمَا أَجْفَلْتَ وَسَطَ الْفَلَاحِ نَمَامُ
مَضَوْا يَسْأَلُونَ النَّاسَ مِمَّا وَرَاءَهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ - بِالْبُكَيَاتِ - عِصَامُ^(٢)

(١) سبق الكلام من « باديس » ومن « صنهاجة » في ص (٢٢٠ و ٢٢١) من هذا الديوان ، طرجم إليها من شاء .

(٢) يقول للنيل : « ما ورايك يا عصام ؟ » وجاء في مجمع الأمثال من للفعل المعنى أن أوله من قال ذلك الحرب بن عمرو ملك كندة ، وذلك لما بلغه جمال ابنة عوف بن علم الشيباني وكلها وغرة عظمها ، دعا امرأة من كندة يقال لها « عصام » ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : أذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ، فصمت حتى انتهت إلى أمها ، وهي « أمامة » بنت الحرب ، فأعلمتها ما فعلت له ، فأرسلت « أمامة » إلى ابنتها وقالت : أي بنية ! هذه حالك أنت لتنظري إليك فلا تستري منها شيئا إن أردت العطر ، من وجه أو خلق ، وناظريها إن استندت إليك فندخلت إليها ، فظفرت إلى مالم تر قط مثله ، فخرجت من عندها وهي تقول : « ترك الحداق ، من كشف القناع . » فأرسلتها مثله ، ثم انطلقت إلى الحرب طلباً رآها مقبلة ، قال لها : « ما ورايك يا عصام . » قالت : « صرح الخس من الربد . » رأيت حبة كالمرأة للصقولة ، يزينا شمس حالك كاذبات الخيل ، إن أرسلته خلفه السلاسل ، وإن مشطته قلت ضائيد حلالها الوابل ، ولحاحي كأنها حطا بفلم ، أو سوداً بحم ، فوسا على مثل عين طيبة هبيرة ، بينهما أمت كحد السيف الصنيع ، حفت به وحتان ، كالأرواحان ، في يافس كابلان ، شق فيه فم كلخاتم لذيذ اللبتم ، فيه تمايا غر ذات أسر ، خلف فيه لسان ، ذو ضاحكة وبيان ، بقل والف ، وجواب حاضر ، تلتقي فيه شمتان حراوان ، في ربة يضاء كالقصة ، ركبت في صدر كصدر تبتال دمية ، وعبدان مدحجان ، يتصل بهما ذراعان ، ليس فيهما عظم عيس ، ولا عرق عيس ، ركبت فيهما كفان دقيق قصيبا ، لين مصيبا ، تعدد إن شئت منها الأمثال ، ثأ في ذلك الصدر ثديان كالزمانين يخرقان عليها تياها ، تحت ذلك بطن طوى طوى القياطي للذجة ، كسر عكنا كالقراطيس للدرجة ، تحيط بكفك العن سرة كاللحم الجبل . خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ، ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لا يبر ، لها كفل يمسحها إذا نهضت ، وينهضها إذا قصدت ، كأنه دعس الرمل ، لبده سقوط العدل ، يحله غلفان لافوان ، تحتها سلطان خد سلطان ،

وَمَا صَاقَ عَنْهُمْ جَانِبُ الْمَذْرِ إِيَّاهُمْ كَيْفَ الْقَطَا لَوْ مُزَكُّونَ لَتَأْمُوا ١١

يحمل ذلك قنصان ، كخذو اللسان ، جبارك الله مع صغرها ، كيف تطبقان حل ما فوقهما ؟ . فأرسل لذلك إلى أبيها لخطبتها فروحها إياه وبنت صدقها فجاءها إليه ، فلما أرادوا أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها : أي بنة ! إن الوصية لو تركت لفصل أدب لترك ذلك منك ، ولكنها تذكرة لتمام ، وصورة لتمام ، ولو أن امرأة استمعت من الزوج لى أبيها ، وشدة حاجتها إليها ، لكنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء لرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أي بنة ! لك إن فارقت الحو القى منه خرجت ، وخلفت الشى الذى به درجت ، إلى وكر لم تعربه ، وقرين لم تأتبه ، فأصبح بملكك عليك وقيا ومليكا ، فكونى له أمة يكن لك صدا وشيكا ، إلى آخر ما جاء فى هذا الخبر ، قال فى مجمع الأمثال بعد سبابة هذا الخبر : وروى أبو عبيد ، ما وراءك على التذكير ، وقال : يقال إن التكميم به الساسة الديباني قاله لمصام بن ميمر حاجب النعمان وكان الصانع مريضا ، وقد أرحب بموته ، سأله النابتة عن حال النعمان ، فقال : « ما وراءك يا مصام » . ومما ما حلفت من أسر الليل ، أو ما أمامك من حاله ، ووراء من الأصداد . (١) يشير إلى النمل للشهور : « لو ترك القطا ليلالام » يصر على حل على مكروه من غير إرادته .

وقد تمثل به الحسين بن على (رضى الله عنه) فى القبة الأخيرة التى تلامها مصرعه ، قال على ابنه :
إلى طالس فى تلك المشية - التى تمل أن فى صديقتها - ومعنى « زينب » عندى تموضى ، إذ اعتزل
أبى بأصحابه - فى خاء له - وعنده « حوى » مولى « أبى ذر » - وهو يبالغ سبيله ويصلحه -
وأبى يحول :

« يادهر : أب لك من خليل
كم لك - بالآخراف والأصيل -
من صاحب ، أو طالب تليل
والنهر لا يفتح بالسديل
وإنما الأسر إلى الخليل
وكل حى ساقط السيل . »

قال على بن الحسين :

فأطعنا أى مرتين أو ثلاثاً - حتى نهنتها - صرفت ما أراد ، فخطبى عبرى ، مرددت دعى ولزمت السكوت ،
وطعت أن البلاد قد نزل ، فأما حتى فاتها سمعت ما سمعت - وفى امرأة ، وفى النساء الزلة والخرع -
للم تمك نفسها أن وبنت تمر ثوبا - وإنها لحاسرة - حتى انتهت إليه ، فماتت :
« واتكلاه ! ليت اليوم أعدمى الحياة ! اليوم ماتت « فاطمة » أمى و « على » أبى و « حسن »
أخى . يا خليفة الماضى ، ومعلم الباقى . » مظهر الحسين ، فقال :

« يا أخيه ! لا يذهبن حلك الشيطان ! »

فالت : « بأن أنت وأبى ، يا أبا عبد الله استنظمت ، تنسى فذاك ! » فردت نصته ، وترقررت
جناته ، وقال تر :

« لو ترك القطا ليلالام ! »

* *

فِدَاؤُهُ « لِبَاكِيسَ » النَّفُوسُ ، وَجَادُهُ مِنْ الشُّكْرِ - فِي أَفْرِ الْوَفَاءِ - غَمَامُ
فَمَا لِحِقْتِ تِلْكَ الْمُهَوَّدَ مَلَامَةً وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَلِكَ الْحِفَاطِ - ذِمَامُ ^(١)
وَمِثْلَكَ وَالِي مِثْلَهُ فَتَصَافِيَا كَمَا صَافَتِ - الْمَاءُ الْقَرَّاحَ - مُدَامُ
رَسِيْلِكَ - فِي شَأْوِ الْمَالِي - كِلَا كَمَا بَعِيدُ الْمَدَى صَمْبُ الْمُهْمُومِ هُمَامُ

* *

لَعَنَرِي لَقَدْ أَحْظَيْتُهُ بِوَفَادِهِ لِأَسْنَى كَرِيمٍ أُنْجَبْتُهُ كِرَامُ
فَمَا أَنْفَكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ يَسِرْ فَلِجِسْمٍ لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مُقَامُ ^(٢)
حُسَامُكَ سَهْمًا تَحْتَخِرْطُهُ لِحَالِهَا فَقَلَّ غَنَاءُ السَّيْفِ حِينَ يُشَامُ

اسم من أحب

« وقال في معشوقة يؤخذ اسمها بالتوالي من أرض
وسماء وماء ، فيتكون من مجموعها « أسماء » . »

إِنَّ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ عَلَيْنَا أَدِمَّةً لَا تُدْزَمُ
هِيَ بَمَنْزِلِ أُنْمٍ مِنْ أَحِبٍّ وَلَاؤُا وَتَكَرَّرَ بِمَنْزِلِهَا بِسْمَتُهُمْ

قلت :

« يا ولينا ! أتعجب منك اختصاراً ؟ فذلك أرحم قلبي ، وأشد على نفسي ! » ولطفت وجهها ،
وأهوت إلى جيبها وشفتها ، وخرت منشياً عليها .

فهام إليها الحسين صَبَّ على وجهها الماء ، وعمرها بكلام طويل يرجع إليه القاري - إذا شاء في كتابنا

« معارج الأعيان » من ص « ٢٥ إلى ٥٦ »

(١) عهد . (٢) وفي الأصل في

« فَا أَنْفَكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ » إِنْ يَسِرْ . فَلِجِسْمٍ - لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ - مُقَامُ . »

وقال

« كن أبو الصلاف بن حبي إذ ورد إشيلية
رسولا قد سأله أن يريه من شعره ، فقله
حتى كتب إليه شعرا يسقطه فيه ، فجاءه
عليه في عروضة وقافيته . »

أَفَذَنْتَنِي مِنْ تَفَالَيْسِ الدَّرِيرِ مَا أَبْرَزْتُهُ غَرَائِرُ الْفِكْرِ (١)
مِنْ لَفْظَةٍ قَارَنْتَ تَطْيِيرَتَهَا قِرَانٌ سَقَمَ الْجُفُونِ لِلْحَوْرِ (٢)
أُبْدَعَهَا خَاطِرٌ ، بَدَأْتُهُ - فِي النِّظْمِ - حَازَتْ جَلَالَةَ الْخَطَرِ
الْعِطْرُ مِنْهَا سَرَى لَهُ نَفْسٌ ، مِنْ نَفْسِ الرَّوْضِ رَقٌّ فِي السَّحَرِ (٣)

* *

بَارَاقِمَ الْوُثْيِ - زَانَهُ ذَهَبٌ - رَفَرَقَ إِذْ رَفَّ مِنْهُ فِي الطَّرْرِ (٤)

(١) يقول : أدتني من هائل تلك الشبهة بالمر انشقت عنه الأسدا ف ما أبرته غرائر فكر من
مكتون روائع الحكم ، وبذائع الحكم .

(٢) سقم الجفون : فتورها ، والمحور : في العين شدة سواد اللثة في شدة باطنها في شدة بياض لون
الجلد ، وقيل المحور أن سود العين كلها كما في أعين الطباء والفر ، وهذا ليس بموجود في الآدميين ،
يقول : أكتبني من طائس درك كل لفظة واهت قريبها ، وقارنت تطيرتها ، قران سقم الجفون ،
لمحور البين .

(٣) يقول : العطر من هذه الكلم القديمة التي أبدعها خاطرك سرى له نفس يمكن في الأربع والرفة
من الروس المطر ، سرى به النسيم وقت السحر ، وفي الأصل : « أطرطهما سرى له نفس . » ،
وما أبتناه هنا وما يرشد إليه السياق .

(٤) الوثي : الفش ، ورفق : تحرك ولج وصار له بهيم وتلاؤ ، ورف : يقال : رف الوث
والقنب والبرق يرف . (الكسر) ويمافرق وتلاؤ ، ورمت الأسنل كذلك ، وفي الحديث أن
« النامة » الحيدى أنتد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صلوه أن يكلموا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلم إذا ما أورد الأمر أسدرا . »

هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا يفض الله فاك . فبعت أسناته ترف حتى مات ، يقول :
يا كاتبا يرم في الكتاب ما يمكن لبرد الوثي للذهب الطور والمواهي ، والتي لونه وقراني وبهيم ، وفي
الأصل « ورفاق » وقد وضعنا بدلها « زرق » ليسقيم للمع والوزن .

وَنَاطِلِمَ الْعَقْدِ - نَظْمٌ مُقْتَدِرٌ - يَفْصِلُ بَيْنَ الْمُيُونِ بِالْفَرِّ (١)
لِي بِالنِّصَالِ الَّذِي نَشِطَتْ لَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ مُعْجَمُ الْأَثَرِ (٢)
هَلْ أَنْصِلَ السَّهْمَ فِي الْجَفِيرِ وَقَدْ تَمَطَّلَتْ فَوْقَهُ مِنَ الْوَثْرِ ؟ (٣)

* *

مَا الشَّمْرُ إِلَّا لِمَنْ قَرَبَتْهُ غَرِيضَةُ النُّورِ غَضَّةُ الشَّمْرِ (٤)
تَبْسِمٌ عَنْ كُلِّ زَاهِرٍ أَرْجَ مِثْلَ الْكِيَامِ أَبْقَسَمَنْ عَنْ زَهَرٍ
إِنَّ الشَّفِيعَ الْمُهَامَ سَوَّغَهُ اللَّهُ اتِّصَالَ التَّائِيْدِ بِالظَّفْرِ
الْفَاضِلُ الْخُبْرُ فِي الْمُلُوكِ إِذَا أَقْصَرَ خُبْرٌ عَنْ قَايَةِ الْخَبْرِ (٥)
نَجَلُ الَّذِي نَصَحَهُ وَطَاعَتُهُ كَالْحَجِّ تَتَلَوُّ بَرَّةُ الْعُمَرِ (٦)

(١) الميون : الخيار المختب من جبات العقد ، والفرد البيض ، يقول : وبأناطم الشعر لطم قدير يفصل بين أجزائه ، ويؤلف بين مواقع كله ، كما يؤلف أناطم العقد بين خرزه وجباته ، ويفصل بين الخيار للتصنيف منها بمرر اللاتي .

(٢) النصال : للرماية بالسهم وأراد به ما للساجة والساجة في مجال القول ، ومعجم الأثر : مبهم مشكل قد انحسرت معالقه وآثاره ، يقول : يمتد إلى بعده الكلم الثمينة ، والنظم الرائع تريد بذلك أن تعهد عهد النصال الذي نشطت له أنت الآن بعد أن طالت بي عهده ، وأسلم على أمره ، واستصحب أثره .

(٣) أصل . مصارع أصل السهم جل له نصلا ، والجفير : جبة السهام ، والفوق : موضع الوتر من السهم ، يقول : هل أجل للسهم الذي في الجفير نصلا ، وقد تمطلت فوقه أي مشق رأسه فلم تعد صالحة لأن يوضع الوتر في موضعه منها ، يريد أن آلة النصال بطلت عنده وتمطلت أسبابها لطول العهد .

(٤) غريضة النور : الفريضة ، والغنى : كلاما أهين الطرى التأخر من الزهر والنبات وغيرها .

(٥) الخبر : (بضم وكسر أوله وسكون ثانيه) العلم بالشيء عن عيان وخبرة ، والخبر : النبأ الذي يأتيك من طريق السماع ، يقول : هو الملك الذي يحصل ويزيد الخبر والعلم بصفاته وأحواله عن الخبر الذي يملكه هو في حين أن غيره من الملوك يحصر الخبر والعلم بأحوالهم عن الخبر الذي يأتيك عنهم .

(٦) برة العمر : أي العمر المبرورة المقبولة جمع حمرة ، وهي في الأصل الزيارة ، وتنطق فرما بالظواف بالبيت والسي بين الصفا والبروة ، والفرق بينها وبين الحج أن المرأة تطوع وأنه يجوز للإنسان أن يحضر في السنة كلها بخلاف الحج فإنه لا يجوز الإحرام به وأداء مناسكه إلا في أشهر الحج للملومة وهي شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذي الحجة ، يعني أن نصحه وطاعته من أعمال البر التي تقابل بين الله بالثواب ، وهي لكونها من الطاعة والبر بمثابة الحج التي تتلوها العمر المبرورة .

شَاهِدْ عَهْدِي لَكَ الصَّحِيحُ بِإِخْلَاصٍ نَأَى صَفْوُهُ عَنِ الْكَدَرِ

* *

مَشَيْتُ فِي عَذَلِي الْبَرَارَ لِمَنْ لَمْ يَرْضَ فِي الْعَذْرِ مِشْيَةَ الْحَرِّ (١)
وَقُلْتُ: مَطْلُ الْغَيِّ وَرَدُّ مِنَ الظُّلَمِ، يُلْقَى مَلَاوِمَ الصَّدْرِ (٢)
وَلِي مَذَابِرُ لَوْ تَطَلَّعُ فِي لَيْلِ مِرَارٍ أَغْنَتْ عَنْ الْقَمَرِ
مِنْهَا أَتَقَانِي لِأَنْ أَكُونَ أَنَا الْجَالِبَ مَا قُلْتُهُ إِلَى هَجَرِ (٣)
لَكِنْ سَيَاتِيكَ مَا يُجَوِّزُهُ مَرْوُكَ ذَابَ السَّمِيعِ الْبَسْرِ
فَاكْتَفَ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ عَنِّي (٤) لَأَحْظَ فِيهِ لِكِرَّةِ النَّظَرِ

(١) البرار: من الأرض الفضاء الواسع الذي أسى به حر يستقره من شحر أو غيره، والحجر: ما يستقر
الناهي ويوارى بعيد من شحر أو حرف أو حل من حال الرمل أو غير ذلك، بقول: عدلتك ولك
لوما صريحاً لا مواربة فيه، فكنت به كن معنى البرار لا يواريه حر، ولا يستقره سائر من مرتفع أو شجر،
وهو عدل أطله لم لم يرض قول صدر أسقر وراءه عرى من مجاراته، وأحق في الخامسة صمن عن مباراته
وفي اللؤلؤ: «معنى إليه البرار» و «معنى إليه الملا والبراح» أي متى إلى طامراً غير مستقر، وجاء
في صد هذا للؤلؤ مثل آخر وهو: «معنى إليه الحجر، ودب له الفراء».

(٢) اللؤلؤ: الذي يقال مظل الحبل وغيره عطالة - لا، وفي الحديث: «مطل إلى ظلم»، واللؤلؤ:
جمع اللامة، والصدر: الاصراف والرجوع عن الشيء.

(٣) في اللؤلؤ: «كسبج الثمر إلى حمر» و «ناقل الثمر إلى هجر» وهو مثل قديم متداول:
يصرّب في الخطأ لأن ناقل الشيء إلى مدته يخطئ ويقال أيضاً كسبج الثمر إلى خير. قال اللطيف الجعدي:
«وإن أسراً أهدى إليك قصيدة كسبج تمرا إلى أرض خيرا».

وقد ورد هذا للؤلؤ في كتاب لسيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه بثبّه جواباً إلى معاوية رضي الله عنه
وهو من محاسن كتبه، وذلك حيث يقول عليه السلام في صدر هذا الكتاب: -

«أما بعد» فقد أتاني كتابك تذكر فيه أسطفاً الله عمداً صلى الله عليه وآله لعينه، وتأييده إياه بمن
أبده من أصحابه، فلقد خبا لنا البحر منك مجاً إذ طلقت تخبرنا ببلاد الله عندنا ونسنته علينا في ليلنا،
سكنت في ذلك: «كناقل الثمر إلى هجر، أو داعي مسدده إلى النضال» إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب
للنبي، فارجع إليه في نوح البلائة إذ شئت.

(٤) أي تعترض لك من غير عمل ولا قصد، يقول: سيأتيك ظني هذا أتى مجزء سرك وإضاؤك
مما فيه أعضاء السهل، فاكتف منه بنظرة عجل، فانه لاحظ فيه لحاودة الخطر كرهة بعد كرهة.

بين ابن زيدون والمعتمد

وكتب إليه المعتمد على الله المؤيد
بصر الله وهو جالس في فصيل من القصر
تحت غرفة لزومه :

أيها المنقط عني مجلسا
وله في القلب أطل مجلس
بؤاى لك حب يقتضى
أن ترى تحمل فوق الأروى
جواره ابن زيدون .

أَسْقِطُ الطَّلَّ فَوْقَ الزَّرْجِسِ	أَمْ نَسِيمُ الرُّوضِ تَحْتَ الْحِنْدِسِ
أَمْ نِظَامٌ لِلْأَلِ نَسِيقِ	جَامِعِ كُلِّ خَطِيرٍ مُنْفِسِ ^(١)
أَمْ قَرِيبٌ بَإِثْنِ عَشَرَ مَلِكِ	مَالِكِ بِالْبُورِ رِقِّ الْأَنْفُسِ
دَلَّهْتَ فِكْرِي مِنْ إِبْدَاعِهِ	حَايِزَةً فِي مَنْطِقِي لِي مُخْرَسِ
بِتُّ مِنْهُ يَتَنَ سَهْلٍ مُطْمَعِ	خَادِجٍ يَتَلَى بِحَزَنِ مُؤَيَسِ

* *

يَا بُنْدَى يُعْنَى «أَبِي الْقَاسِمِ» غَمٌ	يَا سَمَاءَ شَمْسِ الْحَيَا أَشْمِسِ
يَا بَيْعَ الْخُلُقِ الْعَذْبِ أَبْنَمِ	يَا مُبِيعَ الْإِنْفِ الصَّعْبِ أَعْبِسِ
يَا جَمَالَ الْمَوْكِبِ الْغَادِي - إِذَا	سَارَ فِيهِ - يَا بَهَاءَ الْمَجْلِسِ
أَنْتَ لَمْ يُفْنِكَ أَنْ أَلْبَسْنِي	نِعْمَةً تُذَكِّرُ عَهْدَ السُّنْدُسِ
فَتَلَطَّفْتَ لِأَنْ حَلَيْتَنِي	مَوْلِيَا طَوْلِي تُحَلِّي مَلْبَسِي

(١) يقول : لم يزل منقطع في نظام جمع أغص الأعلق وأجلها خطرا

ذَلِكَ تَنْوِيهِ تَنَانِي فَخَرُهُ سَائِيَ اللَّحْظِ أَشْمَ الْمَغْطِسِ
شَرَفَتْ يَكْرَ الْمَالِي خِطْبَةُ مِنْكَ، فَاثْنَمَ بِسُرُورِ الْمُعْرِسِ
تَمْنَحُ التَّائِيدَ يُجَلِّي لَكَ عَنْ ظَفَرِ حُلُوٍ وَعِزِّ أَفْعَسِ
وَأَرْتَشِفَ مَعْسُولَ نَصْرِ أَشْنَبِ تَجْتَنِيهِ مِنْ عَجَاجِ أَلْعَسِ
وَأَرْتَقِ بِالسَّعْدِ فِي دَسْتِ الْمُنَى تُضَيِّحُ الصَّنْعَ دِهَاقِ الْأَكْوَسِ
فَاعْتِرَاضُ الدَّهْرِ - بِمَا شِئْتَهُ - مُرْتَقَى فِي صَدْرِهِ لَمْ يَهْجِسْ

وقال

« وقد أصره بدخول حمام القصر وبعث
إليه سحور وطيب . »

رِضَاكَ لَنَا - قَبْلَ الطَّهْوَرِ - مُطَهَّرُ وَقُرْبُكَ مِن دُونِ الْبُخُورِ - مُعَطَّرُ
فَلَوْ عَزَّ سَهَامٌ لَأَذْفَانَا ذَرَى يَفِيضُ بِهِ مَاءُ النَّدَى الْمُتَفَجَّرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ طِيبٌ لَأَغْنَتْ حَفَاوَةُ^(١) تُمَسِّكُ مِنْهَا حَالِنَا وَتُعْتَبِرُ^(٢)
فَلَا قَارِقَ الدُّنْيَا مَسَانَا مُقَدَّسُ بِمِشِكَ فِيهَا أَوْ تَنَالَا مُجَمَّرُ^(٣)
وَدُمْتَ مُلْقَى - كُلِّ يَوْمٍ - صَبِيحَةً يُغَادِيكَ فِيهَا - بِالْفُتُوحِ - مَبْشَرُ

وقال

« مجاوباً له عن شعر خاطبه به . »

أُمُؤْلَايَ بُلَغْتَ أَقْصَى الْأَمَلِ وَسُوِّغْتَ دَأْبَ نِسَاءِ الْأَجَلِ^(١)

(١) لو لم نجد الطيب لأفنتنا منه حفاوته التي تطردنا بالملك والعتير .
(٢) النساء : الرمة ، والفتاء : اللبح ، والمجرى : السبق ، يقال : حروبه : بخره ، وجر النار : مياها .
(٣) نساء : الحمل : طولاً

وَصُفِّرَتْ سَافِلَاتُ فِي دَوَالِهِ تَقْصُرُ عَنْهَا طَوَالَ الدُّوَلِ
فَأَنْتَ الَّذِي غُرُّ أَعْمَالِهِ تَحَلَّى بِهَا الدَّهْرُ بَعْدَ الْعَطَلِ
يُشْرَفُ تَمْلُوكَكَ الْمُسْتَرْقَ تَقْطُمُ مِنَ الْكَلِمِ الْمُشْتَقِلِ (١)
وَرَاحٌ تُعِيدُ إِلَى مَنْ أَسْنَنَ طَيْبَ زَمَانِ الصَّبَا الْمُقْتَبِلِ (٢)
فَأَخْجَلَنِي الْبَرُّ مِنْ قَرَطِهِ وَإِنَّ الْجَوَابَ لَيُبْدِي الْخَجَلَ
وَقَدْ يَقْبَلُ الدَّهْرُ مَوَالِيَ الْأَنَا مِرْجُهُ السَّيِّدِ إِذَا مَا أَقْلَنَ
سَعِدْتَ كَمَا سَعِدَ الْمُشْتَرَى وَنِلْتَ غَلَا لَمْ يَنْلَهَا زُحَلُ (٣)

جواب

« وقال مجاوره أيضا . »

هَلْ يَشْكُرُنَّ «أَبُو الْوَلِيدِ» (١) إِذَا نَالَكَ الْأَمَلُ الْبَعِيدُ
أَوْ أَنْ تُسَوِّغَ نِعْمَةً لِلدَّهْرِ أَسْهَرَتْ الْحُسُودَ
إِن لَمْ يَدِنْ بِنَصِيحَةٍ تَرْضِيكَ فَهُوَ مِنَ الْيَهُودِ
لَا زِلْتَ رَافِعَ رَايَةٍ تُضْحِي، السُّعُودُ لَهَا جُنُودُ

وقال يستهديه خمرًا

يَابَانِيَا كُلُّ تَجْدٍ وَهَادِمًا كُلُّ وَجْدٍ
جَنَمُ الشُّرُورِ سَوَى مِنْ صَوْنِغِ نَعْمَاكَ عِنْدِي
فَهَبْ لَهُ رُوحَ رَاحٍ يَنْطِقُ بِأَحْفَلِ سَحْدٍ

(١) المتخل : المتخير . (٢) وقد جاء بعد هذا البيت قوله :

« أَنْتَ مَعَ إِسْرَاءِ مَا يَجْنَدِي وَأَخْرَبَ بِكَ كُورَةَ تَنْظِلُ . »

(٣) المشتري وزحل كوكبان معروفان . قال أبو العلاء :

« زحل أعرف للكواكب دَارًا مِنْ قَنَاءِ الرَّدَى عَلَى مِعَادِ . »

(٤) من نفسه .

وقال مجابوياً المعتمد

أَفَاضَ مَمَاحُكَ بَحْرَ النَّدى وَأَقْبَسَ هَدْيُكَ نَوْرَ الْهُدى
وَرَدَّ الشَّكَبَ اعْتِلَاقَكَ بَعْدَ مُفَارَقَتِي ظِلَّهُ الْأَبْرَدَا ^(١)
وَمَا زَالَ رَأْيُكَ فِي الْجَمِيلِ يُفْتَحُ لِي الْأَمَلِ الْمُوصَدَا ^(٢)
وَحَسْبِي مِنْ خَالِدِ الْفَخْرِ أَنْ رَضِيتَ قَبُولِي مُسْتَعْبِدَا ^(٣)
وَيَا فَرَطَ مَا بِي ^(٤) إِذَا مَا طَلَمْتُ فَقُمْتُ أَقْبَلُ تِلْكَ الْيَدَا
وَرَدَّدْتُ لَحْظِي فِي غُرَّةِ إِذَا اجْتَلَيْتَ شَفَتِ الْأَزْمَدَا
وَطَاعَةُ أَمْرِكَ قَرَضَ أَرَا مِنْ كُلِّ مُفْتَرَضٍ أَوْ كَدَا
هِيَ الشَّرْعُ أَصْبَحَ دِينَ الصُّمَيْرِ فَلَوْ قَدْ عَصَاكَ لَقَدْ الْخَدَا
وَحَاشَايَ مِنْ أَنْ أَضِلَّ الصِّرَاطَ فَيَعْدُونِي السَّكْفَرُ مَهَابِدَا ^(٥)
وَأُخْلِفَ مَوْعِدَ مَنْ لَا أَرَى لِنَهْرِي إِلَّا بِمَوْعِدَا ^(٦)

(١) يقول : رد على شاكى بعد أن فارقتك ظله الأبدى والعمال بدولك .

(٢) وما زال جميل رأيك في يفتح لي من الآمال كل ما به معلق .

(٣) وكفاني فخراً حالداً أنك رَضِيتَ قبولي من استعبدتهم فاحصاك ، ومددت عليهم ظلاً

صنعتك الوارف . (٤) في الأصل : « يا فرط ماوى . »

(٥) يقول : حشاي أن أضل الصراط وأرض أول فرض عليّ من مائدتك التي هي الصرع ، ومعتمد

الصبر ، ييمدني الكفر عما بدا لي من جهة الإيمان .

(٦) في الأصل : « وأخلف بالوعد » وهو لا يحمدي ناله ، فأبدله بالوعد ليصح اللفظ ، والريب

في أنه يتصل هنا من حلب الموعد أن « للتمد » كان قد عرض له سفر لجاء فكتب إلى « ابن زيدون » :

« أليس بك تقدي بـكـلّ » هي تراه

فليحل شحمك عنها ما بالريب جاء . «

صاف « ابن زيدون » عن الجواب أشمال توات عليه ، ثم استبطاه « للتمد » معاً إليه بالصبيحة

التالية ساداً :

وعدت وأخلفت للوعدا وخالفت بلنهي للبتا

أَتَانِي عِتَابٌ مَتَى أَدْكِرُ فِي نَشَوَاتِ الْكَرَى أُنْهَدَا^(١)
وَأِنْ كَانَ أَغْقَبَهُ مَا أَقْتَضِي شِفَاءَ السَّقَامِ وَتَقَعِ الصَّدَى^(٢)
ثَنَاهُ مَتَى فِي مَنَاهِ الْمَحَلِّ زُهْرُ الْكَوَاكِبِ لِي حُسْدَا^(٣)
قَرِيضٌ مَتَى أَنْبِرُ لِلْقَرْضِ مِنْهُ أَذَاهُ أَجِدُ شَأْوُهُ أَبْعَدَا
لَوِ الشَّمْسُ مِنْ نَظْمِهِ حُلِيَّتٌ أَوْ الْبَدْرُ قَامَ لَهُ مُنْشِدَا
لِضَاعَفَ مِنْ شَرَفِ التَّيْرِ ذِينَ حَقًّا بِهِ قَارَنَ الْأَسْمَدَا

وأطمعتني ثم أيتسنى ويمنى لود أن أحدا
وأضمت بالمطل حل الرجاء مرث وأمهده عسدا
وعاد سبأه ارتد إلى طلاعا وأصبح مصباحه أرمدا
وكان صالك قل الخال فإذا هذا الآن وما بدا
وقد كان طي بها رأيت به أنه النوى بل اليد
وكم قد توكتها رومة تحرب في الأهل الأسدا
يؤثر عليك أراءها ويخطر طمك فيها ندا
توكتها رونا فاطرى إذا سر يوم تهادى عدا
على ذلك أهديك من ماحد تشتت الطرف به الهدى
لجأ أورد به روضة وحيأ أحي به مسجدا
لك العلم مهما أورد بحره لأروى به أحد للموردا
وبيك تحمت للأثرا ت طرا قصرت بها مردا
شمال تنثر شل الهدو م ترك ذل رأى شل العدا
فتمنى الله بالخط مك ولا زلتل مؤسارمدا
ودمت ودمت على حالها كلما يصب الفرد الفرقدا
طولاك كات ربوع السرو رمى تحارب فيها الصدى

(١) أتانى من قبل للمدح عتاب نسب لى ذكره الأرق والسهدكلما ومعنى نشوات للكبرى وعشيتى
أوائل للنوم .

(٢) يقول : أسهدنى وأرتق اذكار هذا العتاب ، وإن كان أغقبه ما اقتضى شفاء السقام ، وإطفاه
وحر الصدور .

(٣) ثناه ومدح رفعت به على ، فأثنت زهر النجوم تحدى عليه .

فَدَيْتَكَ مَوْلَى: إِذَا مَا عَثَرْتُ أَقَالَ ، وَهَمَّا أَرْغُ أَرْشَدَا
وَكُنْتُ^(١) إِلَى كَرَمِ الصَّفْعِ مِينُهُ قَامَنِي ذَاكَ أَنْ يَحْفِدَا
وَأَنْتُ سُوقَ أَحْتَالِ أَبِي لِيُسْتَبْضِعَ الْعُذْرَانِ يَكْسَدَا^(٢)
شَفِيعِي إِلَيْهِ هَوَى مُخْلِصِي كَمَا أَخْلَصَ السَّابِكُ الْمَسْجِدَا
وَمِنْ وَصَلِي هِجْرَةٍ لَا أَعُدُّ لِحَالِي سِوَى يَوْمِهَا مَوْلَدَا^(٣)
وَنَعْنِي تَفْيَاضَهَا أَيْكَةً فَشُكْرِي سَحَابٍ بِهَا غَرَدَا
تَبَارَكَ مَنْ جَمَعَ الْخَيْرَ فِيكَ وَأَشْمَرَكَ الْخُلُقَ الْأَمْجَدَا
مَضَاهُ الْجَنَانِ وَظَرَفُ اللَّسَانِ وَجُودُ الْبَنَاتِ يَسْكُبُ الْجَدَا
رَأَى شَيْئَتِكَ لِمَا تَسْتَحِقُّ وَفَقِي فَأُظْفَرَ إِذْ أَيْدَا
لَيْسَتِكَ أَنْكَ أَزْكَى الْمُلُوكِ بَيْنَهُ وَأَشْرَفُهُمْ سُودَدَا
سِوَى نَاجِلٍ لَكَ سَامِي الْهُمُومِ مَرَدَانِ الْفَوَاضِلِ نَائِي الْمَدَى^(٤)
هُمَامٌ أَعْرُ رَوَيْتَ الْفَعَارَ حَدِيثًا إِلَى سَرُورِهِ مُسْنَدَا^(٥)

- (١) وَالْأَمْل « وَكُنْتُ » وَقَدْ وَصَفْنَا بِهَا « وَكُنْتُ » الَّتِي هِيَ كَمُورَتِهَا وَالْخَطْلُ لِيَسْتَعِيمَ الْمَعْنَى .
(٢) السَّبْطُ : اسْمُ فَاعِلٍ مَنِ اسْتَبْطَعَ الْغَنَى . حَلَّةٌ بِصَاعَةٍ ، وَالصَّاعَةُ طَائِفَةٌ مِنَ اللَّالِ تَرْسُلُ إِلَى الْأَسْوَاقِ
الْهَجَارَةِ ، يَقُولُ : إِنْ أَحْتَالَ وَغَامَاهُ مِنَ الْهَمَامَاتِ بِتَابَةِ سُوقٍ تَأْتِي لِمَنِ اسْتَبْطَعَ إِلَيْهَا الْأَصْفَارُ أَنْ
تَكْسُدَ بِضَاعَتَهُ ، وَهُوَ مَا حُوِذَ مِنَ الثَّلَثِ : « كَسْبُضِعَ التَّمَرُ إِلَى هَجَرَ . »
(٣) الْوَصْلُ : جَمْعُ وَصَلَةٍ بِمَعْنَى الْأَصْلَاحِ وَالْإِسْبَاطِ وَالْقِرَاطِ ، يَقُولُ : وَمِنْ أَسْبَابِ التَّمَالِي بِهِ وَفِرَائِي
إِلَيْهِ هِجْرَةٍ فَارَقْتُ فِيهَا مَوْطِي ، وَتَمَلَّكْتُ عَلَى أَرْضِهِ بِدَوْلَتِهِ ، وَاعْتَظَلْتُ بِعَمَلِهِ وَذِمَّتِهِ ، تَكُنُّ الْهَجْرَةُ الَّتِي لَا أَحَدَ
أَنْ حُلَّ اسْتَعْرَتْ وَوَلَدَتْ ، إِلَّا يَوْمَ أَنْ حَصَلَتْ وَتَمَتْ .
(٤) النَّاجِلُ : الْكَرِيمُ الْحَلُّ ، يَقُولُ : لَيْسَ فِي الْمُلُوكِ أَزْكَى مِنْكَ سِوَى وَالدُّنَى الَّتِي نَجَّكَ وَآتَمَّكَ .
(٥) يَقُولُ : إِنْ أَبَاكَ هَمَامٌ أَفْرَ مَعْرِقِ الْوَجْهِ ، رَوَيْتَ عَنْهُ الْفَعَارَ حَدِيثًا مُسْنَدًا إِلَى سَرُورِهِ وَبَعْدَهُ وَبِهِ .

سَلَكْتَ إِلَى الْمَجْدِ مِنْهَاجَهُ فَقَدْ طَافَ الْأَطْرَفَ الْأَنْتَدَا (١)
 هُوَ اللَّيْتُ قَدْ مِنْكَ النَّجَادَ لِيَوْمِ الْوَعَى شِبْلَهُ الْأَنْجَدَا (٢)
 يُعِيدُكَ صَارِمَ عَزَمٍ وَدَائِي قَرْصِيهِ جُرْدَ أَوْ أُغِيدَا (٣)
 وَمَا اسْتَنْبَهَمَ الْقُفْلُ فِي الْحَادِثَا تِ إِلَّا رَاكَ لَهُ مِقْلَدَا (٤)
 فَأَمَّا مَنَّاكَ مَنَكِبَ طَرَفِ النُّجُومِ وَأَوْطَا إِيْحَمَّكَ الْفَرْقَدَا
 فَلَا زِلْمًا يَرْفَعُ الْأُولِيَا ، مُنْكَكَمَا وَيَحْمُطُ الْعِدَا
 وَنَفْسِي لِنَفْسَيْكُمَا الْبَرِّيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُتَوَقَّى الْفِدَا
 فَنَ قَالَ : أَنْ لَسْنَا أَوْحَدَيْنِ فِي الصَّالِحَاتِ فَا وَحَدَا (٥)

وقال

لَعَمْرِي لَنْ قُلْتَ إِلَيْكَ رَسَائِلِي لَأَنْتَ الَّذِي نَفْسِي عَلَيْهِ تَذُوبُ
 فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي بَدَّلْتُ خَيْرَكُمْ وَلَا أَنَّ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ يَتُوبُ

وقال

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصَادِفُ خَلْوَةٍ لَدَيْكَ ، فَأَشْكُو بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدُ؟
 رَحَى اللَّهِ يَوْمًا فِيهِ أَشْكُو صَبَابَتِي وَأَجْفَانُ عَيْنِي - بِالْأُتْمُوحِ - شَوَاهِدُ

(١) الأطراف : الحديث ، والأطد : القديم .

(٢) الحاد : حائل السيف ، والأنجد : الفجاء ذو الجدة والبأس ، يقول : هو أي والله لك ليت
 قد شبه الأنجد الشجاع السيف ليوم الوعى والحرب .

(٣) صارك صادم ورم وحزم في الحرب والياسة ، قَرْصِيهِ في الحايي : جرد السيف ، أو أحمد .

(٤) اسلمهم : استسلم ، والقفل : ما يعلق به الباب ، والله : للفتح ، يقول : لاستغنى المحدثات
 إلا وآك متاعاً لأطفالها المنقلة ، وفي الأصل : « النسل » موضعنا مكانها « القفل » ليناسب
 الاستبهاام والله .

(٥) يقول : أن من ينكر أنكما في البر والصلوات أو حدين قد بلغ في الجسد والامكاره جلع من ينكر
 التوحيد ولا يقول بوحداية إله

تهنئة

« وقال رحمه الله بهيه أيده الله بالقدوم من سفر . »

أَيُّهَا الظَّافِرُ أَبَشِرْ بِإِظْفَرِ وَأَجْتَلِ التَّائِيْدَ فِي أَبْهَى الصُّوَرِ
وَتَقِيًّا ظِلَّ سَعْدٍ تَجْتَنِي فِيهِ مِنْ غَرَمِ الْمُنَى أَحْلَى الثَّمَرِ
وَرِدِ الصَّبْحِ فَكَمْ مُسْتَوْجِبِ غَرَضٍ^(١) مِنْكَ إِلَى أَنْسِ الصَّدْرِ
كَأَنَّ مِنْ قُرْبِكَ فِي عَيْنِي نَدِ عَطِيرِ الْأَصَالِ وَصَاحِ الْبُكَرِ
كُلَّمَا شَاءَ تَأْتَى أَنْ يَرَى خُلُقَ الْبِرِّجِيسِ^(٢) فِي خَلْقِ الثَّمَرِ

(١) عرض : وصف من العرس (حركة) وهو شدة التزاح نحو الشيء ، والتثوق إليه يقال : غرس إلى لقائه فهو غرس اشتاق ، ومنه قول الشاعر :

من يك لم يرس فاني وما نقي ببحر إلى أهل الحمى هرمان

نحس فتدي ما بها من صباة وأحس الذي لولا الأملى لقصا

وفي الأصل : « هرس » .

(٢) البرجيس

البرجيس : المشتري وهو أحد الدارارى الحجة : المشتري ، وزحل ، والمريخ ، وعطارد ، والزهرة ، وهذه الكواكب الحجة هي الجنس الكس المذكورة في قوله تعالى : « فلا أقسم بالجنس الجوار الكس » . قالوا : وإنما وصلت بماد كرى الآية لأنها من الكواكب السيارة التي تحرى مع الشمس والقمر ، وحسوها رجوعها مرة بعد احتجابها في ضوء الشمس ، ولذلك تسمى الرواحع ، وكوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس من كس الطل والوحش إذا دخل كتانه ، وفي النهاية لأن الأثير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الكواكب الجنس فقال هي البرجيس وزحل وعطارد وبهرام والزهرة ، البرجيس : المشتري ، وبهرام : للمريخ » . والبرجيس : لفظة فارسية تدل على « المشتري » وهو كوكب معروف تطلق عليه القرنجة اسم « جوبيتر » « Jupiter » وهو - في أساطير قدماء الرومان واليونان - إله الآلهة ، للمعبدين على كل الكائنات الطوية والسلفية ، قالوا : « وإنما سمي للمشتري - من المراء ، وهو الموشح لضياء لونه وصفاته » . قال الشاعر :

« يا ربّ ليل بت أرمي نجمه - بحق الصباح - بزفرة وهو

والمشتري - في الأفق - يخفق لأمسا كلف الحبيب يهيم بالتفيل .

فَقَوَى دُونَكَ مَتَوَى فَلَيَّ بِشَتَكِي مِنْ لَيْلِهِ مَطْلَ السَّعَرِ
 قُلْ لِسَائِنَا: «يَحْزُ أَكْوَسُهُ» وَلِشَادِينَا: «يَصِلُ قَطْعَ الْوَتْرِ»
 حَسْبُنَا سُكْرُ جَنَّتِهِ ذِكْرُ دُونَةِ الشُّكْرِ الَّذِي يَخْنِي السُّكْرَ^(١)
 لَمْ يُعَادِرْ لِي سِقَايَ جَلَدًا مَعَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ ثَبَتَ الْمِرْزَ^(٢)
 أَيُّهَا الْمَاهِي الْبَرَّازَ الْمُنْبَرِي لِرُمَانِي إِنْ مَتَى نَحْوِي الْخَمَرِ^(٣)
 وَالَّذِي إِنْ سَبِمَ مَا فَوْقَ الرِّضَى وَجَدَ الْأَلْوَى الْبَعِيدَ الْمُسْتَمَرَّ^(٤)
 وَإِذَا أُعْتَبَ فِي مَعْتَبَةٍ لَأَنَّ مِنْهُ جَانِبُ السَّمْعِ الْبَسَرِ
 قَطَمِي الْمُهْدَى إِلَى أَبْرَجٍ مِنْ قَطَمِ السَّعَرِ بَيَانًا أَوْ كَثَرِ

(١) السكر : الى، غير المطبوخ من ماء التمر المشد ، والشراب المتخذ من التمر نوحا : ما يسيل من التمر حب يكون رطبا فاذا اشدد سمي سكرا ، وما يصفح أى يشق من التمر ثم يقع في الماء ليستخرج الماء خلوته ثم يترك حتى يشتد وتندب خلوته ويسمى مصيغا وكلامها مسكر . وقد ورد ذكر السكر في قوله تعالى : « ومن ثمرات العجبل ولأصناف تتغذون منه سكرا ورزقا حسا . » ، ومعنى هذا البيت والذي قبله : قل لسائينا : نوح كزوسك ها فقد أعطانا السكر الذى نحمده الذكر ، من السكر الذى يحنيه السكر ، وتل لشاديننا : صل قطع الوتر والثناء ، وهما خلاف السمع من ذكره الكفاية والثناء .
 (٢) ثبت : ثابت ، ولرز : جمع مره (بالسكر) ومعنى الفزة والشدة أى لم ينادر لى السقام لهذا وصبرا مع أى لم أرل دامة قويا ، وورد هذا البيت في الأصل هكذا :

لم ينادر لى شفا من حله مع أى لم أرل ثبت الفرد
 وما أثبتناه من الاصلاح هو ما يرشد اليه السياق .

(٣) البرار : المنسج من الأرض الذى ليس به ما يستقره من شجر أو غيره ، والحر : ما يستقر للماهى أو الصيد من شجر أو جرف أو جبل رمل أو غير ذلك ، يقول : يا من يدام عنى إذا رأى زمانى معنى إلى متفكرا يريد حتى وأغذى على فمه . (٤) الألوى : الشديد المخصوصة الجبل السليط ، والمستمر : من استمر استحككم مصدر ميسى أى بهيد شأوا المخصوصة ، وفي التل : « لتجدن فلانا ألوى بهيد للستر . » وقد جاء هذا التل في قول الراجز :

« إذا تهازرت وما بى من خرو ثم كسرت الطرف من غير عود
 وجدنى ألوى بهيد للستر أحل ما حلت من خير وشر . »

أى وجدنى خصما سليط السان بهيد شأوا المخصوصة .

لِي فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ عَنْ جَالِبِ التَّنْرِ إِلَى أَرْضِ هَجَرَ
غَيْرَ أَنْ الْمَذَرَ رَسْمٌ وَاصِحٌ تُنْفَتِ الشُّكُوى إِذَا الشَّوْقُ صَدَرَ^(١)
ثُمَّ قَدْ وَفَّقَ عَبْدٌ عَظُمْتَ نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ فَشَكَرَ
لَا عَدَا حَظُّكَ إِبْقَالَ تَرَى قَاصِيًا أَثْنَاءَهُ كُلَّ وَطَرَ
وَأَصْطَبِخْ كَأَسِ الرَّضَى مِنْ تِلْكَ سِرَتْ فِي إِزْنَانِهِ أَزْكَى السَّيَرِ
حِينَ صَمَمْتَ إِلَى أَعْدَائِهِ فَأَتَحْتَهُمْ مِنْكَ صَمَاءُ الْغَيْرِ
فَاصْ غَمْرٌ لِلنَّدَى مِنْ قَوَائِمِ كَانَ يُرْوَى شُرْبُهُمْ مِنْهُ الْغَمْرُ^(٢)
سَبَقَ النَّاسَ فَعَلَى مِنْكَ مَنْ إِنْ رَأَى آثَارَهُ الزُّهْرَ أَتَقَرَّ^(٣)
زِنْتَا الْأَيَّامِ إِذْ مُلْكُكُمْ سَالَ فِي أَوْجُهَا سَيْلَ الْفَرَزِ
فَاقْبِئَا فِي دَوْلَةٍ قَادِرَةٍ بَمَضٍ خُرَاسٍ تَوَاحِيهَا الْقَدَرُ
مُسْتَذِلِّي مَنْ طَعْنِي مُسْتَأْصِلِي شَافِقَةَ الْبَاغِي مُقْبِلِي مَنْ عَزَزَ
عَلَيَّ مَنْ ضَلَّ مُزْنِي مَنْ شَكَ خَلَّةَ الْإِعْمَالِ بِذَرِي مَنْ نَظَرَ
تَضْحَكُ الْأَرْزَمُ عَنْ عَلَيَا كَمَا ضَحِكَ الرَّوْضَةُ عَنْ تَنْغِرِ الزُّهْرِ

(١) صدر : أصاب الصدر ، يقال : صدر فلان فلانا يصدوه صدوا (من باب نصر) أصاب صدره .

(٢) الغمر : قرح صغير يصاب به القوم في السفر إذا قل الماء ولم يكن معهم منه إلا البير ، والتعاضد أن يلقوا به حفاة ثم يمسح فيه من الماء ثم ما يضر الحفاة ، ثم يغطي الاناء كل رجل منهم بحسب دوره وجاء في شعر أفعى بأعله : -

« يَكْبِيهِ حَرَّةٌ فَلَا يَنْ أَلْمَ بِهَا مِنْ التَّنَوُّهِ وَيُرْوَى مِنْهُ الْغَمْرُ »

(٣) اتقَرَّ - من اتقَرَّ الاثَرُ اتقَدَّ وتَجَبَّه ، وللمن : « سبق أبوك لحظك مصلياً وتالياً بعده أنت يامن

بعض آثار أبيه الزهر

ذكرى ولادة

« كان يكلف بولادة بنت المهدي هذه ويهيم ،
ويستضيء بوزن خيلها في الليل البهيم ، وكانت من
الأدب والظرف ، وتقيم المسح والظرف ، بحيث تختلس
القلوب والألباب ، وتعيد الشيب إلى الأخلاق الشباب ،
فلما حل بذلك القرب ، وانحل عقد صبره بيد الكرب ،
كر إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها ، وينسلى بروية
مأبها ، فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ، ونثر
سوسه وورده ، وأثرع جدا وطأ ، وأطلق بلا بلها ، فارتاح
ارتياح جيل بوادي القرى ، وراح بين روض يافع
ودرج طيبة السرى ، فتشوق إلى لقاء ولادة وحن ،
وحاف تلك الوائب والحن ، فكتب إليها يصف فرط
قلقه ، وصيق أمله إليها وطلقه ، ويعاتبها على إغفال
نعمته ، ويصف حسن محصره بها ومشهده (١) : »

إِنِّي ذَكَرْتُكَ « بِإِزْهَرَاءِ » مُشْتَاكَ
وَالنَّسِيمِ أَعْتِلَالٌ - فِي أَصَائِلِهِ -
وَالرَّوْضِ - عَنْ مَائِدَةِ الْفَيْضِ - مُبْتَنِّمٌ ،
يَوْمٌ ، كَأَيَّامِ لَدَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ،
نَلْهُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْيَمِينَ مِنْ زَهْرٍ -
وَالْأَفْقُ طَلَقٌ ، وَتَرَأَى الْأَرْضَ قَدْ رَاقَا^(٢)
كَأَنَّهُ رَقَّ لِي ، فَأَعْتَلَّ إِشْفَاكَ
كَمَا شَقَقْتَ - عَنِ اللَّبَاتِ - أَطْوَاكَ^(٣)
بِتَنَا لَهَا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَاكَ
- بِجَالِ النَّدَى فِيهِ - حَتَّى مَالَ أَغْنَاكَ

(١) قلائد السليمان . (٢) وفي بعض الروايات : « ووجه الأرض قد راقا » .

(٣) اللبات : جمع لبة ، وهي موضع الخلعة من الصدر ، والأطواق : جمع طوق ، وأراد بها ما يهبط
بالنسب من الثوب ، ولا شك أن الهيئة الخاصة من أسباب الماء الفضي في الروض تشبه الهيئة الخاصة من
الاشفاق طوق الثوب عند ترائب البحر والمصفر ، وجاء في بعض الروايات : « كما حلت عن اللبات أطواقا » .

كَأَنَّ أُعَيْنَهُ - إِذْ مَاتَتْ أَرْقَى - بَكَتْ لِمَا بِي ، فَجَالَ الدَّمْعُ رَفْرَاقًا
وَرَدُّ تَأَلَّقَ - فِي صَاحِي مَتَابِعِهِ - فَأَزْدَادِمِنَهُ الضُّحَى فِي الْعَيْنِ - إِشْرَاقًا
مَرْنِي بِتَأْفِئِهِ تَيْلُوفَرُ عَيْقُ كُلُّ يَبِيجُ لَنَا ذِكْرِي تُشَوِّقُنَا
لَا سَكَنَ اللَّهُ قَلْبًا ، عَنْ ذِكْرِكُمْ فَلَمْ يَحِلَّ - يَمْنَحُ الشَّوْقِ - خَفَاقًا
لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمُ الصَّبْحِ - حِينَ سَرَى - وَافَاكُمُ بِنَفْسِي أَضْنَاءُ مَا لَاقَى
لَوْ كَانَ وَفَى الْمَنَى - فِي جَمْعِنَا بِكُمْ - لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقًا



يَا عَلِيَّ الْأَخْطَرَ الْأَشَقَى الْحَبِيبَ إِلَى نَفْسِي ، إِذَا مَا أَتَيْتِ الْأَخْبَابُ أَغْلَاقًا
كَانَ التَّجَارِي بِمَحْضِ الْوَدِّ - مُذْرَمِينَ - مَيْدَانِ أَنْسٍ ، جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقًا
فَالآنَ - أُنْحَدَ مَا كُنَّا لِمَهْدِكُمْ - سَلَوْنُمُ ، وَبَقِينَا نَحْنُ عُشَاقًا !

إلى ولادة

يَا نَارِيحًا - وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ - أَنْسَتِكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ دُنْيَاهُ
أَهْلَتِكَ عَنْهُ فُكَاهَاتُ تَلَذُّ بِهَا فَلَيْسَ يَجْرِي - بِبَالٍ مِنْكَ ذِكْرَاهُ
عَلَّ الْإِلْيَاقِي بُنْيَنِي إِلَى أَمَلٍ ، الدَّهْرُ يَعْلَمُ - وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ

إلى أبي حفص بن برد

قُلْ لَا بِيْ حَفْصٍ - وَلَمْ تَكْذِبْ - يَا قَمَرُ الدِّيَّانِ وَالْمَوْكِبِ
مَا لِأَبِيْ مَفْوَانٍ - مَا لَوْفَانِ - أَبْرَقَ فِي الْأَلْفَةِ عَنْ خُلْبِ؟
وَلَمْ يَسْذُ إِلَّا كَمَا يَتَّقِي مُسْتَرْقِ السَّمْعِ مِنَ الْكُزْكَبِ؟

عَفْهُ بِإِلَهِ عَلَى فِنَالِهِ ، وَأَشْتَمَ - وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِ - فَأَضْرِبْ
وَعَاطِلِهِ صَهْبَاءَ مَشْمُولَةٍ يَرَى لَهَا الشَّرِيقَ فِي الْمَغْرِبِ
وَلْيَشْرَبِ الْأَكْثَرَ مِنْ كَأْسِهِ وَأَعْمِدْ - إِلَى فَضْلَتِهِ - فَأَشْرَبِ
عُقُوبَةً ، أَحْسِنَ بِهَا سُنَّةَ - فِي مِثْلِهِ - مِنْ حَسَنِ مُذْنِبِ
وَبَاكِرِ الطَّيِّبِ ، وَرُوحَالَهُ ، فَأَنْجِمَا فِي رَمَنِ طَيِّبِ

ليل انس

« وَبَاتَ لَيْلَةً بِأَحَدَى حَنَاتِ أَشْجِيلِيَّةٍ هَالٍ : »

وَلَيْلٍ أَدْمَنَّا فِيهِ شُرْبَ مُدَامَةٍ إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصَّبْحِ - فِي اللَّيْلِ - تَأْخِيرُ
وَبَاجَتْ نُجُومُ الصَّبْحِ - تَضْرِبُ فِي الدُّجَا - قَرَلَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ مَقْهُورُ
فَعَزَّ نَا مِنْ اللَّذَاتِ أَطْيَبَ طَيْبِهَا ، وَلَمْ يَنْزَنَا هَمٌّ وَلَا عَاقَ تَكْدِيرُ
خَلَا أَنَّهُ - لَوْ طَالَ - دَامَتْ مَسَرَّقِي ، وَلَكِنْ لِيَالِي الْوَصْلِ فَيَهِنُ تَقْصِيرُ

دواء

« وقد أهدى دواء »

قَدْ بَشَنَاهُ بِتَفْعِ الْأَعْضَاءِ حِينَ يَحْلُو - يُلَطِّفُهُ - السَّخْنَاءُ^(١)
جَاءَ يُزْهِى عِشْتَشَفٍ رَقِيقٍ يَخْدَعُ الْعَيْنَ رَقَّةً وَصَفَاءُ^(٢)
تَقْدُّ الْعَيْنُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ نُورٍ مَلَأَتْهُ أَيْدِي الشَّمْسِ ضِيَاءُ
أَكْسَبَتْهُ الْأَبَّامُ بَرْدَ هَوَاءٍ فَهُوَ جِسْمٌ قَدْ صَبَغَ نَارًا وَمَاءُ
مَنْظَرٌ يَنْهَجُ الْقُلُوبَ ، وَطَعْمٌ تَشْكُرُ النَّفْسُ عَهْدَهُ أُسْتِمْرَاءُ
لَذَّةُ الْوَصْلِ نَالَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ - كَلِفٌ طَالَمَا تَشَكَّى الْجَمَاءُ^(٣)
يَقْضَعُ الشَّهْدَ طَعْمُهُ - كُلَّمَا قِيسَ - إِلَيْهِ وَبُحْجِلُ الصَّهْبَاءِ
فَضَلَ السَّابِقَ الْمَقْدَمَ - فِي النُّضْجِ - فَأَزْرَى بِطَنِهِ إِزْرَاءُ
هَبْرَ أُنَى بَعَثَ هَذَا غِذَاءُ - يَسْتَهْبِيهِ الْفَنَى - وَذَاكَ دَوَاءُ
مُلْطِفٌ يُبْرِدُ الزَّاجَ إِذَا جَا شَ الْتِهَابَا ، وَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءُ

(١) يشاء : أى الدواء للمهود بينه وبين مخاطه ، وهو مملوم أن الخب وعلم الكيمياء وتركيب الأدوية والصيدة والمخراجه تسمى في الأندلس وخاصة في القرون الوسطى وعد علماء الأندلس كاس رشيد ، وأبى القاسم لرهراوى ، وابن دهر ، وأضرابهم من علماء اللغز بدماء : كان سينا والراوى ، وعلى ابن الصباص أحد علماء أوروبا ملوهم الطيبة وغيرها ، وقد مر بك كثير من قصائد ابن زيدون التى تتعرض لذكر الطب والجراح ، وأنت إذا تأملت فيما يمر بك من هذا النوع وأشبههه فترأى به آيات الحضارة ، وتسمع يا توار الدنيا . والجماء : من قولهم : إن لأحد فى شئ سماء - بالذ - وسحوة أى حراوة شديدة من وجع أو حمى .

(٢) يقول : إن هذا الدواء قد جاءك يزهى فى رفته وسبيلوته بوماء رقيق تستشف العين ملق داخله ، ويصدح الناظر فلا يكاد يراه لذة رفته وصاله .

(٣) يقول : إن مصاعبه يستمره ويعد فيه لذة كعادة الكلب للشوق ، فلو وصل الجيب بعد يأس وطول جهل .

وَمِنْ لَوَائِلِ الصَّوْمِ، يَسْرَى بَرْدُهُ فِي الْحَشَا - فَيُرْوَى الْعَطَاءُ
(فَتَقَبَّلَهُ) شَافِعًا لِأَيَادِيكَ الَّتِي بَعْضُهَا يَفُوتُ النَّشَاءُ ^(١)

حسبي رضاك

إِلَيْكَ - مِنَ الْأَنَامِ - غَدَا أَرْتِيحِي ، وَأَنْتِ - عَلَى الزَّمَانِ - مَدَى أَقْبِرَاحِي
وَمَا أَغْتَرَضْتَ مُهْمُومُ النَّفْسِ إِلَّا - وَمِنْ ذِكْرِكَ - رَنَحَانِي وَدَاحِي
فَدَيْتُكَ : إِنْ صَبْرِي عَنْكَ صَبْرِي - لَدَى عَطَشِي - عَلَى الْمَاءِ التَّرَاحِ ^(٢)
وَلِي أَمَلٌ - لِي الْوَاشُونَ كَفُوا - لَا طَلَعَ غَرْمُهُ نَمَرَ النُّجَاحِ
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِي عَدُوٌّ - رِضَاكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْنَى سِلَاحِ
وَلَمَّا أَنْ جَلْتِكَ لِي - أَخْتِلَاسًا - أَكْفُ الدَّهْرِ لِلْحَيْنِ الْمُتَاحِ ^(٣)
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ تِقَابِ ، وَغَضَنَ الْبَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحِ
فَلَوْ أَسْطِيعُ طَرْتُ إِلَيْكَ - شَوْقًا - وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُومُ الْجَنَاحِ ؟
عَلَى حَالِي وَصَالٍ وَأَجْتِنَابِ ، وَفِي يَوْمِي دُنُوٌّ وَأَنْتِرَاحِ
وَحَسْبِي أَنْ تَعَالِمَكَ الْأَمَانِي - بِأَفْقِكَ - فِي مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحِ

(١) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :

» شَافِعًا لِأَيَادِيكَ الَّتِي بَعْضُهَا يَفُوتُ النَّشَاءُ . «

والنكبة لا يابها السباق .

(٢) يقول : إن صبري عليك كصبري على الماء التراح أي عطشي وشدة ظمئي .

(٣) يقول في هذا البيت واقى بهمه : ولما أن جلتك وأبرعت يد الدهر جلسة لحيى وعلاكي الداء

لنبح وقد رلى ، طلعت شماعة كما تطلع الشمس من غاب ، وحطرت مائة كما يرمل غصن البان في وشاح

وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلَامَ إِلَيَّ - غِيًّا - وَلَوْ فِي بَعْضِ أَتْقَاسِ الرِّيحِ (١)
فُوَادِي - مِنْ أَمَى بِكَ - غَيْرُ خَالٍ وَقَلْبِي - عَنْ هَوَى لَكَ - غَيْرُ صَاحٍ

عودي إلى الوصال

بَاعَدْتَ - بِالْإِعْرَاضِ - غَيْرَ مُبَاعِدٍ وَزَهَدْتَ فِيمَنْ لَبَسَ فِيكَ بِرَاهِدٍ (٢)
وَسَقَيْتَنِي - مِنْ مَاءِ هَجْرِكَ - مَالَهُ أَصْبَحْتُ أَشْرَقُ بِالْزُلَالِ الْبَارِدِ
هَلَّا جَمَلْتُ - فَدَتِكَ تَقَمِّي - قَايَةَ اللَّغْتِ ، أَبْلَغُهَا بِجَهْدِ الْجَاهِدِ (٣)
لَا تُفْسِدُنْ - مَا قَدْ تَأَكَّدَ يَنْتَنَا مِنْ صَالِحٍ - خَطَرَاتُ ظَنٍّ فَاسِدٍ
حَاشَاكَ مِنْ تَضْيِيعِ أَلْفِ وَبَسِيلَةٍ - شَجَى الْعَدُوِّ لَهَا - بِذَنْبٍ وَاحِدٍ (٤)
إِنْ أَجْنِهَ خَطَأً ، فَقَدْ عَاقَبْتَنِي ظُلْمًا ، بِأَبْلَغٍ مِنْ عِقَابِ الْعَامِدِ (٥)



فُوَادِي لِمَا أَصْفَيْتَنِي مِنَ الْهَوَى بَدَأَ ، فَلَسْتُ لِمَا كَرِهْتَ - بِمَائِدٍ
وَبُضْعِي قِنَاعَ السُّخْطِ عَنْ وَجْهِ الرِّضَا كَيْمَا أُخِرَ إِلَيْهِ أَوَّلَ سَاجِدٍ (٦)

(١) وحسي أن تحيي السلام لما أي يوما بعد يوم ولو مع أطقس الرياح التي تهب من ناحيتك ، وفي الأصل « وأن تهدي » وقد وسعنا بدلها « تهدي » التي هي كموريتها حتى لا تكون نافية في موضعها ، وقد وجد هذا البيت بعد تأليه ، ولما آثرنا تقديمه عليه بحكم المصنف على قوله :

« وحسي أن تطالعك الأماني . »

(٢) باعدت في غير مساعد وديك بمراسك هي ، وزهدت في محب ليس بك براهد .

(٣) يقول كان ينبغي أن تمجلى بي وبجنتك نهاية للفت وطاية أبلغ فيها رساك بجهد المجاهد وشق النفس .

(٤) يقول : حاشاك أن تضيع ألف وسيلة توصلت بها إلى رساك يراها عدوي كالفسح معقودا في

حلقه بذنب واحد .

(٥) إن أجنه الخطأ قد طلعت بأن طابعتي عليه بأشد من عذوبة من أتى بقلب عمدا .

(٦) أو بلي من وجه الرضا ما يسره من قناع السخط كما أكون أول ساجد على لمة رساك هي .

أبو القاسم

« وأمره العتقد أن يعارض قطعا من أشعار كان
يستحسن ألقاها فعارضها رحمه الله بقطع وهي : »

يُقَصِّرُ قُرْبَكَ لَيْلِي^(١) الطَّوِيلَا وَيَشْنِي وَصَالِكَ قَلْبِي الْعَالِيَا
وَإِنْ عَصَفَتْ مِنْكَ رِيحُ الصَّدُودِ فَقَدْتُ نَسِيمَ الْحَيَاةِ الْبَلِيَا
كَمَا أَنَّنِي^(٢) إِنْ أَطْلَتُ الْعِنَارَ وَلَمْ يُبْدِ عُدْرِي وَجْهًا جَمِيَلَا
وَبَدْتُ « أبا القاسم الظافر المؤيد بالله » مَوَلَى مُقْبِلَا
إِذَا مَا نَدَاهُ حَمِي وَالْحَيَا شَاهُ ، وَعُدَّ الْجَوَادُ الْبَحِيَلَا
وَأَقْلَامُهُ وَفَقُّ أَسْيَافِهِ يَظَلُّ الصَّرِيرُ يُبَارِي الصَّلِيلَا

وقال

أَنْتَ الْمُسْتَبُّ لِلْوُلُوعِ وَمُشِيرُ كَامِنَةِ الْقُمُوعِ
يَتَمَنِّيَانِ لَوْ أَعْفَا سَهْمَا طَلَعْتَ مِنَ الطَّلُوعِ
وَالظَّافِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ وَاحِدٌ عَدْلُ الْجُمُوعِ
الْبَدْرُ فِي سَحْبِ الْبُرِّ وَدِ الْبَيْتُ فِي لَيْدِ الدَّرُوعِ
عَنْتِ الْأُصُولُ لِأَصْلِهِ وَتَقَاعَصَتْ عَنْهُ الْفُرُوعُ

(١) في الأصل : « الليل »

(٢) في الأصل : « إني »

آلام المحب

مَتَى أُبْثِّكَ ^(١) مَا بِي ؟ يَا رَاحَتِي وَعَذَابِي
مَتَى يَنْتَوِبُ لِسَانِي فِي شَرْحِهِ عَنْ كِتَابِي ؟
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِيكَ لِمَا بِي
فَلَا يَطِيبُ ^(٢) مَنَامِي وَلَا يَسُوعُ شَرَابِي



يَا فِتْنَةَ التَّمَرِّزِي ^(٣) وَحُجَّةَ الْمُتَصَانِي :
الشَّمْسُ أَنْتِ ، تَوَارَتْ - عَنْ نَاطِرِي - بِالْحِجَابِ



مَا الْبَذْرُ - شَفَّ سَنَاهُ - عَلَى رَقِيقِ السَّحَابِ -
إِلَّا كَوَجْهِكَ ، لَمَّا أَضَاءَ تَحْتَ النُّقَابِ -

كيف السلو ؟

كَمْ ذَا أُرِيدُ وَلَا أَرَادُ ؟ يَا سَوْءَ مَالِقِي الْفُؤَادُ !
أُصْنِفِي الْوِدَادَ مَدَلًّا ، لَمْ يَصْنَفْ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ
يَقْضِي عَلَى دَلَالِهِ - فِي كُلِّ حِينٍ - أَوْ يَكَادُ
كَيْفَ السُّلُوفُ عَنِ النَّبِيِّ مَثْوَاهُ - مِنْ قَلْبِي - السَّوَادُ ؟

(١) وفي بعض الروايات : « متى أتيتك . »

(٢) وفي بعض الروايات : « لم يذهب مني »

(٣) وفي الأصل : « يا فتنة للدمع »

مَلَكِ الْقُلُوبَ بِحُسْنِهِ ، فَلَهَا - إِذَا أَمَرَ - أَتَقِيَادُ

يَا هَاجِرِي كَمْ أَسْتَفِيدُ الصَّبْرَ عَنْكَ ، فَلَا أَفَادُ
 أَلَا^١ رَبَّنَا لِمَنْ يَبْتَ وَيَسْتُ وَحُشُوْ مُقَلَّتِهِ الشَّهَادُ ؟
 إِنْ أَجْنِ ذَنْبًا فِي الْهَوَى - خَطَاً - فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ
 كَانَ الرِّضَى - وَأَعِيْذُهُ - أَنْ يُعْقِبَ الْكَوْنَ الْفَسَادُ

قسم

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أَصْنَى الْوِدَادَ لَهُ
 إِنْ أَلَذُّ غُرُورِ الْوَعْدِ ، يَصْفَحُ لِي
 تَجَلُّوْ الْمُنَى شَخْصَةً لِي - وَهُوَ مُخْتَجِبُ
 يَا بَدْرَ تَيْمٍ بَدَا فِي أَفْقٍ تَمْلِكُهُ ،
 أَفْدَى بَدَائِعِ شَكْلِ مِنْكَ مُضْمَرَةٌ
 خَفَاً ، وَلَا مَ بِهِ الْوَاسِي فَلَمْ أَطْعِ
 عَنْهُ ، وَيُقْنِعُنِي التَّغْلِيلُ بِالْخُلْدِ
 عَنِّي - فَمَا شِئْتُ مِنْ تَرَايَ وَمُسْتَمَعِ
 فَرَاقٍ مُطْلِعًا مِنْ خَيْرِ مُطْلَعِ
 لِقَتْلِ نَفْسِي - عَمْدًا - أَشْنَعُ الْبِدْعِ

تَاللَّهِ - أَكْرَمَ مَا أَمَضَى الْيَمِينَ بِهِ
 مَا لَدَى لِي قُرْبُ أَنْسٍ أَنْتِ نَارِحَةٌ
 مَنْ دَانَ فِي حُبِّهِ بِالصَّدَقِ وَالْوَرَعِ -
 عَنْهُ ، وَلَا سَاغَ عَيْشُ لَسْتُ فِيهِ مَعِي

خداع الأمانى

وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالضَّمِيرِ إِلَى
 وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَّا
 مَبْنَتْ نَفْسِي - مِنْ صَفَائِكَ صَلَاةً
 وَلَقَدْ تَرَرُّ الْمَرْءِ بَارِقَةُ الْمُنَى

في الغزل

«وله يغزل ويحاتب من يستعطفه وينزل.»

يا مُسْتَحْفَا بِمَا شِيقِهِ وَمُسْتَحْفَا لِنَاصِيهِ
وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوَ فِيهِ
الْحَمْدُ لَهُ إِذْ أَرَانِي تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدْعِيهِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُزِمَ النَّسْلُ وَيَغَابَ الشُّوقُ مَا يَلْبِيهِ

إلى هاجر

أَوْسَلَبُ مِنْ وَصَالِكَ مَا كَسِبْتُ ؟ وَأَعَزَلُ - عَنْ رِضَاكَ - وَقَدْ وَلَيْتُ ؟
وَكَيْفَ - وَفِي سَبِيلِ هَوَاكَ طَوْعًا - لَقِيتُ مِنَ الْمَكَارِهِ مَا لَقِيتُ !
أَسِرُّ عَلَيْكَ عَتَبًا لَيْسَ يَبْقَى ، وَأَضْبِرُّ فِيكَ غِظًا لَا يَبِيدُ
وَمَا رَدَى عَلَى الْوَاشِينَ ، إِلَّا : «رَضِيتُ بِمَجُورِ مَا لِكُنِّي رَضِيتُ.»

دعاء حجب

أَنْتَ أَضْيَعُ عَهْدِكَ ؟ أَمْ كَيْفَ أَخْلَفْتُ وَعَهْدَكَ
وَقَدْ رَأَيْتَكَ الْأَمَانِي رِضَى ، قَلَمَ تَتَعَدُّكَ

يَا لَيْتَ مَالِكَ عِنْدِي ! - مِنَ الْهَوَى - لِي عِنْدَكَ ^(١)

(٢) وفي بعض الروايات :

«يا ليت شعري ، وعندي ما ليس - في الحب - عندك
ح. طالع لك بهدي ؟ كلول ليل بهدي ؟ ٠٠»

فَطَالَ لَيْلُكَ بَعْدِي كَطُولُ لَيْلِي بَعْدَكَ
سَلَّيَ حَيَاتِي أَهْبَهَا ، فَلَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّكَ
أَلْهَرُّ عَبْدِي ، لَمَّا أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ عَبْدَكَ

أنت حسبي

يَا مَنْ غَدَوْتُ بِهِ - فِي النَّاسِ - مُشْتَهَرًا قَلْبِي عَلَيْكَ يُقَامِي الْهَمُّ وَالْفِكْرُ
إِنْ غِبْتَ لَمْ أَلْقَ إِنْسَانًا يُؤْنِسُنِي ^(١) وَإِنْ حَضَرْتَ ، فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرَ

ما الذي أنكروه ؟

قَالَ لِي : « أَعْتَلَّ مِنْ هَوَيْتِ » حَسُودٌ قُلْتُ : « أَنْتَ الْمَلِيلُ وَيَمْحَكَ لَاهُو ،
مَا الَّذِي أَنْكَرُوهُ مِنْ بَرَاتٍ ^(٢) صَاعَقَتْ حُسْنَهُ وَزَادَتْ حُلَاهُ
جِسْمُهُ - فِي الصَّفَاءِ وَالرَّقَّةِ - الْمَا ، فَلَا غَرَوْ أَنْ حُبَابُ عِلَاهُ

شوق بعد سلوان

عَاوَدْتُ ذِكْرِي الْهُوسَى مِنْ بَعْدِ نِسْيَانٍ وَأَسْتَحَدْتُ الْقَلْبُ شَوْقًا بَعْدَ سُلُوفَانٍ
مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ ، يَبْدُو بِهَا صَمٌّ مِنَ اللَّجِينِ ، عَلَيْهِ تَاجُ عَقِيَانٍ
غَرِيرَةٌ - لَمْ تُفَارِقْهَا تَمَامُهَا - نَسِيَّ الْمُقُولِ بِسَاجِي الطَّرْفِ وَسُنَانٍ
لَا سَتَجِدُنَ - فِي عِشْقِي لَهَا - زَمَنًا يُنَمِّي سَوَالِفَ أَيَّامِي وَأَزْمَانِي
حَتَّى تَكُونُ لِي أَحَبُّ خَاتَمَةٍ ، نَسَخْتُ - فِي حُبِّهَا - كُفْرًا بِإِيمَانٍ

(١) في الأصل « يوسى » بإبدال الهيرة ولوا وهو إبدال مقبوس كما يعلم من علم الصرف ، وهو مضارع
أسى (بالضم) أى أزال وحقق كآسى ، وجاء في كلامهم :
« إِذَا جَاءَ الْبَيْلَ اسْتَأْنَسَ كُلُّ وَحْشٍ ، وَاسْتَوْحَشَ كُلُّ إِنْسٍ » .

(٢) البَرَات : واحدها بَرَةٌ كسجدة وسجدة ، ومن حراج صفار تظهر على الوجه ، تنظف جلده ،
وأغلب ما يكون ذلك في أوان الشباب ، ولقد يعرف عند العامة في بلادنا (بعب الشباب) ، وقد عله في
البيت التالي لميلا حسنا ، حيث يلهيه بلباب يطلع على وجه الماء العذبة بعبرة وجه الحبيب في الرقة والصفاء .

أسر الهوى

يَا سَوَالِ نَفْسِي - إِنْ أَحْكَمَ - وَأَخْتَارِي إِنْ أَخِيرَ
كَمْ لَأَمَنِي فِيكَ الْحُسُو دُ، وَفَنَدَ الْوَأَسِي فَأَكْثَرَ
قَالُوا : « تَغَيَّرَ بِالسُّلُوِّ وَبِالْمَلَامَةِ قَدْ تَغَيَّرَ »
وَتَوَهَّمُوكَ جَنَيْتَ ذَنْبًا بِالتَّجَنَّى لَيْسَ يُغْفَرُ
وَبِرَّهْمِهِمْ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي الرِّضَى بِالَّذِينَ يُعَذَّرُ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهَوَى رِقٌّ، وَأَنَّ الْحُسْنَ أَهْمُ (١)

معدرة

إِنْ تَكُنْ نَالَتِكَ بِالضَّرْبِ يَدِي - وَأَصَابَتْكَ بِمَا لَمْ أُرِدِ
فَلَقَدْ كُنْتُ - لَعَمْرِي - قَادِيَا لَكَ بِالْمَالِ وَبِأَنْصِ الْوَلَدِ
فَتَقِي مِثْلِي بِمَهْدٍ ثَابِتٍ وَصَمِيرٍ خَالِصٍ الْمُتَقَدِّ
وَلَيْتَ سَأَلَكَ يَوْمٌ فَأَعْلَمِي أَنْ سَيَتَلَوْهُ سُرُورٌ يَفْدِ

وصف الكأس

أَنَا ظَرْفٌ لِلْهَوَى كُلِّ ظَرِيفٍ أَنَا مُسْتَوْدَعٌ لِعِلَاقِي شَرِيفٍ
أَنَا كَالصَّدْرِ فِي الْإِحَاطَةِ بِالرَّاحِ إِذَا الرِّاحُ كَالضَّمِيرِ اللَّطِيفِ
سَكَنَ عَنِ الطَّيِّبَاتِ فَمَنْ فُتُونُ أَلْقَتْ فِي أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ
أَيُّ حُسْنٍ يَبْنِي بِحُسْنِي عَمُّو لَا يَكْفِي وَصِيفَةٍ أَوْ وَصِيفِ

(١) من قولهم « المس امرء » أي ذو مشقة وبلاء يريدون أن من تمتق المس والجمال تحمل في سبيله للشفقة وصبر على الأذى ، وإنما يقال ذلك لأن يمتعه الهوى ، ويطلبه المس على أمره فيبقى في سبيله للوقت الأحرر .

غاية المحيين

لَنْ كُنْتُ فِي السَّنِّ - تَرْبُ الْهَلَالِ ، لَقَدْ فُقْتُ - فِي الْحُسْنِ - بَذْرُ الْكَمَالِ
أَمَّا وَالَّذِي نَكَّدَ الْحَظَّ فِي دُتُوِّ الْمَكَانِ يُعَدُّ الْمَنَالِ
لَقَدْ بَلَغْتَنِي دَوَاعِي هَوَاكَ إِلَى قَايَةِ مَا جَرَتْ لِي بِئَالِ
فَقُلْ لِلْهَوَى : « يَحْزِرُ مِلَّ الْعِنَانِ » فَيَدَانُ قَلْبِي رَجِيبُ الْمَجَالِ

صفح المذنب

يَا قَمْرًا مَظْلَمُهُ الْمَغْرِبُ قَدْ صَاقَ بِي - فِي حُبِّكَ - الْمَذْهَبُ
أَهْتَبُ - مِنْ ظُلْمِكَ لِي - جَاهِدًا ، وَيَغْلِبُ الشَّوْقُ فَأَسْتَعِيبُ
أَلْزَمْتَنِي الذَّنْبَ الَّذِي جِئْتُهُ ، صَدَقْتَ ، فَأَصْفَحْ أَيُّهَا الْمَذْنِبُ

لا يأس

أَيُّهَا الْبَذْرُ الَّذِي يَمْلَأُ عَيْنِي مَنْ تَأْمَلُ
حُمِلَ الْقَلْبُ تَبَارِجَ التَّجَنَّى فَتَحَّ مَلُ
لَيْسَ لِي صَبْرٌ جَمِيلٌ ، غَيْرَ أَنِّي أَجْمَلُ
ثُمَّ لَا يَأْسَ ، فَكَمْ قَدْ نِيلَ أَمْرٌ لَمْ يُؤْمَلْ

عتب

أَوْجَنِي - بِلَا جُرْمٍ - وَأَفْعِي بِالْأَذْنِبِ ، سَوَى أَنِّي تَحْفُضُ الْهَوَى صَادِقُ الْحُبِّ
أَغَادِيكَ بِالشُّكْوَى ، فَأَضْحِي عَلَى الْقَلِي وَأَرْجُوكَ لِلْعُتْبَى ، فَأُظْفِرُ بِالْعُتْبِ
فَدَيْتُكَ ، مَا لِلدَّاءِ - عَذَابُ عَلَى الصَّدَى - وَإِنْ مُمْتَنِي خُسْفًا ، تَحَلَّكَ مِنْ قَلْبِي
وَلَوْلَاكَ ، مَا صَافَتْ حَشَايَ - صَبَابَةً - جَعَلْتُ قِرَاهَا الدَّمْعَ سَكْبَاعًا عَلَى سَكَبِ

تجنّي الحبيب

يُبقِ بِي - يَا مُعَذِّبِي - فَلَا تُنِ
وَأِنْ أَصْبَحْتَ قَدْ أَرْضَيْتِ قَوْلَا
وَهَلْ قَلْبٌ كَقَلْبِكَ فِي ضُلُوعِي ،
تَمَنَّتْ - أَنْ تَنَالَ رِصَاكَ - نَفْسِي ،
وَلَمْ أَجْنِ^(١) الدُّنُوبَ فَتَحْقِدِيهَا ،
سَاحِفُظُ فَيْكِ مَا صَيَّغْتِ مِنِّي
بِسُخْطِي ، لَمْ يَكُنْ ذَا فَيْكِ ظَنِّي
فَاسْأَلُو عَنْكَ حِينَ سَلَوْتِ عَنِّي
فَكَانَ مَنِيَّةً ذَاكَ التَّمَنِّي
وَلَكِنْ عَادَةً مِنِكَ التَّجَنِّي .

لا يأس في الحب

أَنْتِ مَعْنَى الضَّغْنِ وَسِرِّ الدُّمُوعِ ، وَسَبِيلُ الْهَوَى ، وَقَصْدُ الْوَلُوعِ
أَنْتِ وَالشَّمْسُ ضَرَّتَانِ ، وَلَكِنْ لَكَ - عِنْدَ الْغُرُوبِ - فَضْلُ الطُّلُوعِ
لَيْسَ بِالْمُوَيْسَى تَكَلُّفُكَ الْقَتْلَ - دَلَالًا - مِنَ الرَّحْمَى الْمَطْبُوعِ
إِنَّمَا أَنْتِ - وَالْحَسُودُ مَعْنَى - كَوَكَبٌ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرُّجُوعِ

بقية المسواك

أَهْدِي إِلَى بَقِيَّةِ الْمِسْوَاكِ لَا تُظْهِرِي بُخْلًا يَبُودِ أَرَاكِ
فَلَمَلَّ نَفْسِي ، أَنْ يُنْفَسَ سَاعَةً عَنْهَا بِتَقْبِيلِ الْمُقْبِلِ فَالِكِ
يَا كَوَكَبَ - بَارِسِي سَنَاءُ سَنَاءُ - تَزْهِي الْقُصُورُ بِهِ عَلَى الْأَفْلَاكِ
قَرَّتْ وَفَارَتْ - بِالْخَطِيرِ مِنَ الْمَنَى - عَيْنُ ثَقُلْبُ لِحْظَهَا فَتَرَكَ

غرور المني

إِنْ سَاءَ فِعْلُكَ بِي ، فَأَذْنِي أَنَا ؟ حَسْبُ اللَّيْمِ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَا
لَمْ أَسْأَلْ حَتَّى كَانَ عُدْرُكِ - فِي الَّذِي أَبْدَيْتَهُ - أَخْفَى ، وَعُدْرِي أَيْنَا
وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ - بِالضَّمِيرِ - إِلَى الْهَوَى ، وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَا
مَنْبَتُ نَفْسِي - مِنْ وَفَائِكَ - صَلَّةً ، وَلَقَدْ تَعَرُّ الْمَرْءَ بَارِقَةُ الْمُنَى

صليني

أَفَالَيْتَ عَنِّي ، وَخَاصِرَةً مَعِي ، أَنَادِيكَ - لَمَّا عَمِلَ صَبْرِي - فَأَنْتَمِي
أَفِي الْمَتَى أَنْ أَشَقَّ بِحُبِّكَ ، أَوْ أَرَى حَرِيْقًا بِأَنْفَاقِي ، غَرِيْقًا بِأَذْمِي
أَلَا عَطْفَةٌ تَحِيَّا بِهَا نَفْسُ فَاشِقٍ ؟ جَعَلْتُ الرَّدَى مِنْهُ يَمْرَأً وَمَسْمَعٍ
صَلِيْنِي - بَعْضُ الْوَصْلِ - حَتَّى تَبَيَّنِي حَقِيقَةً حَالِي ، ثُمَّ مَا شِئْتُ فَأَصْنِي

شكوى ضائعة

سَاحِبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ ^(١) يَا مَنْ يُصِحُّ - عِمْقَلْتَيْهِ - وَيُسْقِمُ
أَصْبَحْتَ تُسَخِّطُنِي فَأَمْنَعُكَ الرِّضَى - عَصَا - وَتَقْلِمُنِي فَلَا أَتَقَلِّمُ
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ ، فَالْحُسْنُ يَنْتَهَمَا مَغْيًى وَمُظْلِمُ
قَدْ كَانَ فِي شَكْوَى الصَّبَا بِعِرَاحَةٍ ، لَوْ أَنِّي أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

وفاء المحب

لَمَّا اتَّصَلْتَ اتِّصَالَ الْحُبِّ ^(٢) بِالْكَبْدِ ثُمَّ ائْتَرَجْتَ ائْتَرَجَ الرُّوحَ بِالْجَسَدِ

(١) وهذا قريب من قول الناقب : «

شابهت أعدائي فصررت أجهم » إذ كان حطى منك حطى منهم .»

(٢) وفي الأصل : « الحب »

سَاءَ الْوُشَاةُ مَكَانِي مِنْكَ ، وَأَتَقَدَّتْ - فِي صَدْرِي كُلِّ عَذْوٍ - جَمْرَةُ الْحَسَدِ
فَلْيَسْخَطِ النَّاسُ لَا أَهْدِي الرِّضَى لَهُمْ ، وَلَا يَصْرِغُ لَكَ عَهْدٌ آخِرَ الْأَبَدِ
لَوْ اسْتَطَعْتُ - إِذَا مَا كُنْتُ فَايَةً - غَضَضْتُ طَرْفِي ، فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ

غدر الحبيب

يَا لَيْلُ طُلُ ، لَا أَشْتَعِي - إِلَّا بِوَصْلِ - قِصْرِكَ
لَوْ بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي ، مَا يَثُ أَرْضِي قَمَرِكَ
يَا لَيْلُ خَبِرْ : أَنِّي أَلْتَدُّ عَنْهُ خَبْرَكَ
يَا اللَّهُ قُلْ لِي : هَلْ وَفَا ؟ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ غَدَرَكَ »

حذر العاشق

لَنْ فَاتَنِي مِنْكَ حَظَ النَّظَرِ لَا كَتِفَيْنِ بِسَمَاعِ الْخَبَرِ
وَإِنْ عَرَّضْتَ غَفْلَةً لِلرَّقِيبِ ، فَحَسْبِي تَسْلِيمَةٌ مُخْتَصَرُ
أَحْذَرُ أَنْ تَتَطَلَّى الْوُشَاةُ ، وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهَوَى بِالْحَذَرِ
وَأَصْبِرْ مُسْتَقِيمًا : أَنَّهُ سَيَحْطَى - بِئِيلِ الْمُنَى - مَنْ صَبَرَ

قناعة المحب

سَأَقْنَعُ مِنْكَ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَأَرْضَى بِتَسْلِيمِكَ الْمُخْتَصَرُ
وَلَا أَتَحْطَى الْيَمَانَ الْمُنَى ، وَلَا أَمُدِّي اخْتِلَاسَ النَّظَرِ
أَصُونُكَ - مِنْ لَحْظَاتِ الظُّنُونِ - وَأَعْلِيكَ مِنْ خَطَرَاتِ الْفِكْرِ
وَأَحْذَرُ - مِنْ لَحْظَاتِ الرَّقِيبِ - وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهَوَى بِالْحَذَرِ

كيف السلو ؟

هَلْ لِدَاعِيكَ مُجِيبٌ ؟ أَمْ لِشَاكِكَ طَيبٌ ؟
 يَا قَرِيبًا - حِينَ يَنْأَى - حَاضِرًا - حِينَ يَنْقُصُ -
 كَيْفَ يَسْأَلُكَ مُجِبٌ زَانَهُ مِنْكَ حَبيبٌ ؟
 إِنَّمَا أَنْتَ نَسِيمٌ تَتَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ
 قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ظَنٍّ ، هُوَ - لَا شَكَّ - مُصِيبٌ
 أَنْ سِرَّ الْحُسْنِ يَمَّا أَضْمَرْتَ تِلْكَ الْجُيُوبُ

أنت المنى

أَرْخَصْتَنِي - مِنْ بَدَلِ مَا أَعْلَيْتَنِي - وَحَطَطْتَنِي ، وَلَعَلَّمَا أَعْلَيْتَنِي
 بَادَرْتَنِي بِالْعَزْلِ عَنِ خُطَطِ الرِّضَى ، وَلَقَدْ مَحَضْتُ النَّمِصَ إِذْ وَلَّيْتَنِي
 هَلَاءَ - وَقَدْ أَعْلَقْتَنِي شَرَكِ الْهَوَى - عَلَّيْتَنِي بِالْوَصْلِ ، أَوْ سَلَّيْتَنِي
 الصَّبْرُ شُهُدٌ - عِنْدَ مَا جَرَّعْتَنِي - وَالنَّارُ بَرْدٌ ، عِنْدَ مَا أَصْلَبْتَنِي
 كُنْتَ الْمَنَى ، فَأَذَقْتَنِي غَمَصَ الْأَذَى ، يَا لَيْتَنِي مَا قُفْتُ فِيكَ : بَلَيْتَنِي

بقاء على العهد

جَازَيْتَنِي - عَنْ تَمَادِي الْوَصْلِ - هِجْرَانًا وَعَنْ تَمَادِي الْأَمَى وَالشَّوْقِ سُلوَانًا
 بِإِلَهِ هَلْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى خَطَأً أَمْ جِسْمُهُ قَامِدًا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ؟
 عَهْدِي كَعَهْدِكَ ، مَا الدُّنْيَا تُغَيِّرُهُ وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْكَ الْعَهْدُ أَلْوَانًا
 مَا صَبَّحَ وَدَّيَ إِلَّا أَعْتَلَّ وَدُكَّ لِي ، وَلَا أَعْلَمْتُكَ إِلَّا زِدْتَ عَمِيَانًا
 يَا أَلَيْنَ النَّاسَ أَعْطَانَا ، وَأَقْتَنَهُمْ لَحْظًا ، وَأَعْطَرَهُ أَنْفَاسًا وَأَرْذَانًا
 حَسَنْتَ خَلْقًا ، فَأَحْسَنَ لَأَنْتُمْ خُلُقًا ، مَا خَيْرُ ذِي الْحُسْنِ إِنْ لَمْ يُؤَلِّ إِحْسَانًا ؟

أين وفاؤك؟

أَتَمَمْتَ بِي فِيكَ الْعِدَا وَبَلَّغْتَ مِنْ ظُلْمِي الْمَدَى
لَوْ كَانَتْ يَمْلِكُ فِدْيَةَ مِنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ أَتَقْدَى
كُنْتُ الْحَيَاةَ لِمَا شِئِ مَذْخُلْتَ أَيْقَنَ بِالرَّدَى
لَمْ يَسْلُ عَنْكَ ، وَلَوْ سَلَا لَعَدَرْتُهُ ، فَبِكَ أَتَقْدَى
صَيَّغْتَ عَهْدَ نَجْبَةٍ كَالْوَرْدِ سَامَرُهُ النَّدَى
أَيْنَ ادْعَاؤُكَ لِلْوَفَا ، وَمَا عَدَا بِمَا بَدَا ^(١)

صرير الحب

لَوْ كَانَتْ قَوْلُكَ «مُتٌ» مَا كَانَ رَدْدِي «لَا» يَا جَارَّ الْحُكْمِ ، أَفَدِيهِ بَيْنَ عَدَلَا
أَبْدَيْتَ لِي - مِنْ أَفَانِيَنِ الْقَلْبِ - عِبْرًا ، أُرْسَلْنِي - فِي أَحَادِيثِ الْهَوَى - مَثَلَا
لَمْ تُبْقِ جَارِحَةً بِالْهَجْرِ مِنْ جَسَدِي إِلَّا خَلَمْتَ عَلَيْنَا - بِالضَّنَى - حُلَلَا
فَلَيْسَ كَمَفْكَ أَتَى بَعْضُ مَنْ مَلَكَتْ ، وَلَيْكَفِ طَرَفُكَ أَتَى بَعْضُ مَنْ قَتَلَا
وَلْتَقْصِ مَا شِئْتَ مِنْ هَجْرٍ وَمِنْ صِلَةٍ - لَا أَقْصِي مَا عِشْتُ سُلُوَانًا وَلَا مَلَكَلَا
مَتَى لِعَهْدِكَ وَالْأَيَّامُ تُقْبِلُنِي وَجْهَ الشَّرُورِ بِهِ جَذَلَانٌ مُقْبِلَا
إِذَا الزَّمَانُ بَلِغٌ فِي مُسَاعَدَتِي يُهْدِي إِلَيَّ - تَفَارِيقُ أَلْسِنَى - مُجَلَا
إِنْ كَانَتْ لِي أَمَلٌ إِلَّا رِصَاكَ ، فَلَا بُلَّغْتُ - يَا أَمَلِي - مِنْ دَهْرِي الْأَمَلَا

(١) في الأصل : « وما عدا بما بدا . » وأصل المثل كما في معجم الأمثال للبيداني : « ما بدا مما بدا . »
أي ما منك مما ظهر لك أولاً ، والله على من أبى طالب الرعيين العوام رضى الله عنهما يوم الجبل يريدان القدي
صرك كما كتبت عليه من البيت ، وهذا متصل بقوله : « مرهق بالهجاز ، وأسكرتني بالعراق ، فما عدا
مما بدا . »

وفاء المحب

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي الْبَدْرَ الَّذِي كَمَلَا فِي مَطْلَعِ الْحُسْنِ وَالْفُضْنِ الَّذِي أَعْتَدَلَا
أَنْ الزَّمَانَ الَّذِي أَهْدَى مَوَدَّتَهُ إِلَى مُرْتَهِنٍ شُكْرِي بِمَا فَعَلَا
أَمَّا الْحَيِيبُ الَّذِي أَبْدَى الْجَفَاءَ لَنَا، فَمَا رَأَيْنَا فَلَاهُ حَادِثًا جَلَلَا
وَلَمْ تَرِدْ أَنْ ظَفِرْنَا مِنْهُ أَهْنِينَا بِالْمُشْتَرَى، فَتَجَبَّنَا لَهُ زُحَلَا
أَنْتَ الْحَيِيبُ الَّذِي مَارِلْتُ الْحِفَةَ ظِلَّ الْهَوَى، وَأُسْقِيهِ الرِّضَا عَمَلَا
هَذِي الْحَقِيقَةُ، لَا قَوْلِي مُخَافَةً : لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُتٌ» مَا كَانَ رَدِّي «لَا»

أنت حسبي

لَمْ يَكُنْ هَجْرِي حَيِّبِي عَنْ قَلِي لَا وَلَا ذَاكَ التَّجَنُّي مَكَلَا
مَرَّةً شُكْرِي - إِذْ عَاقَى - وَلَمْ يَدْرِ مَا غَايَةَ صَبْرِي فَأَبْتَلِي
أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي يَرْضَى بِهِ لِي مَنْ لَوْ قَالَ «مُتٌ» مَا قُلْتُ: «لَا»
مِثْلُ فِي كُلِّ حُسْنٍ مِثْلُ مَا صَارَ ذُلِّي - فِي هَوَاهُ - مِثْلَا
يَا قَتَبْتَ الْمِسْكَ يَا شَمْسَ الضُّعَا يَا قَضِيبَ الْبَاكِ يَا رِيمَ الْفَلَا
إِنْ يَكُنْ لِي أَمَلٌ غَيْرَ الرِّضَا مِنْكَ، لَا بُلُغْتُ ذَاكَ الْآفَلَا

إلى هاجر

أَتَهَجَّرُنِي وَتَقْصِبُنِي كِتَابِي ؟ وَمَا فِي الْحَقِّ غَضَبِي وَأَجْنَتَايِ
أَيَحْمِلُ أَنْ أَيْحَكَ غَضْوَ دِي ؟ وَأَنْتَ تَسْؤِمُنِي سُوءَ الْعَذَابِ
فَدَيْتُكَ، كَمْ تَقْضِ الطَّرْفَ دُونِي وَكَمْ أَذْعُوكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
وَكَمْ لِي مِنْ مُوَادِكَ - بِمَدْقَرِبِ - مَكَانَ الشَّيْبِ فِي نَفْسِ الْكِتَابِ

أَعِذْ - فِي عَبْدِكَ الْمَظْلُومِ - رَأْبَا تَنَالُ بِهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ (١)
وَإِنْ تَبَخَّلَ عَلَيْكَ قَرُوبٌ دَهْرٍ وَهَبْتَ لَهُ، مَا لَكَ بِلاَ حِسَابِ

لا سبيل إلى السلو

أَذْكَرَ تَنِي سَالِفَ الْعَبَسِ الَّذِي طَابَا يَا لَيْتَ قَالِبَ ذَلِكَ الْعَهْدِ قَدْ آبَا
إِذْ نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ لِلْوَصْلِ - نَعْمَا مِنَ الشَّرُورِ نَهَامٌ فَوْقَهَا صَابَا
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ شَوْقِي يُطَاوِلُنِي فَكُلَّمَا قِيلَ فِيهِ: «قَدْ قَضَى»، قَابَا
كَمْ نَظَرِيَةَ لَكَ فِي عَيْنِي عِلْمَتْ بِهَا - يَوْمَ الزُّبَارَةِ - أَنَّ الْقَلْبَ قَدْ ذَابَا
قَلْبٌ يُطِيلُ مَقَامَاتِي لِطَاعَتِكُمْ، فَإِنْ أَكَلَفَهُ عَيْتُكُمْ سَلَوَةً يَابَا
مَا تَوَجَّيْتُ بِتَضُوحٍ - مِنْ حَبِّتِكُمْ - لَأَعَذَّبَ اللَّهُ إِلَّا حَاشِقًا تَابَا

انت الحياة

أَمَّا رِصَاكِ فَعَلِقْتُ مَالَهُ فَمَنْ لَوْ كَانَ سَاعَتِي فِي وَصْلِهِ الزَّمَنُ
تَجِيكِي فِرَافِكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاطِرُهَا قَدْ لَجَّ فِي هَجْرِيهَا عَنْ هَجْرِكَ الْوَسَنُ
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ قَدْ سَالَ مَذْقَابَ عَنِّي وَجْهِكَ الْحَسَنُ
أَنْتَ الْحَيَاءُ فَإِنْ يُقْدَرْ فِرَافَكَ لِي فَلْيُخْفِرِ الْقَبْرُ أَوْ فَلْيُخْفِرِ الْكَفَنُ
وَأَفْهٍ مَا سَاوَنِي أَنِّي جُفِيتُ مِنْ بَلْ سَاوَنِي أَنْ سِرِّي - بِالضَّنَى - عَلَنُ
لَوْ كَانَ أَمْرِي - فِي كَثَمِ الْهَوَى - يَدِي مَا كَانَ يَعْلَمُ - مَا فِي قَلْبِي - الْبَدَنُ

ذكرى معاهد قرطبة

عَلَى النَّسَبِ الشَّهِيدِي مَنِي تَحِيَّةٍ زَكَّتْ، وَطَلَى وَادِي الْعَقِيقِ سَلَامٌ
وَلَا زَالَ نُورِي الرِّسَالَةِ صَاحِكُ بِأَرْجَائِهَا يَبْكِي عَلَيْهِ غَمَامُ

(١) - قريباً من هذا قول البحري: «أعِذْ - أَمْعِدْ - فِي نَظَرَةٍ مُسْتَعِيبٍ نَوْحِي الْأَجْرَ لَوْ كَرِهَ الْإِنَّمَا»

مَعَاهِدُهُ لَمْ يَلَمْ تَزَلْ فِي ظِلَالِهَا
 زَمَانُ رِيَاضِ الْعَبَشِ خُضْرُ نَوَاصِرُ
 فَلَنْ بَانَ مِنِّي عَهْدُهَا ، قَبْلَوَةِ
 تَذَكَّرْتُ أَيْامِي بِهَا ، فَتَبَادَرْتُ
 وَتُحِبَّةَ قَوْمِ كَالْمَصَابِيحِ ، كُلُّهُمْ
 إِذَا طَافَ بِالرَّاحِ الْمَدِيرُ عَلَيْهِمْ
 وَأَحْوَزَ مَسَاجِي الطَّرِيفِ حَشْوُ جُفُونِهِ
 تَحَالَ قَضِيبُ الْبَاكِ - فِي طَيِّ بُرْدِهِ -
 يُدِيرُ - عَلَى رَغَمِ الْعِدَا - مِنْ وَدَادِهِ
 فَنَ أَجَلِهِ أَذْعُو لِقَرْمَلَةِ الْمُنَى
 مَحَلُّ غَيْبِنَا بِالْغَصَابِي خِلَالَهُ
 فَحَالِحَتْ تِلْكَ اللَّيَالِي مَلَامَةً ،

تُذَارُ عَلَيْنَا - لِلْمُجُونِ - مُدَامُ
 تَرَفٌ ، وَأَمْوَاهُ السُّرُورِ جِهَامُ
 يَشُبُّ لَهَا - بَيْنَ الصُّلُوحِ - ضِرَامُ
 دُمُوعُ ، كَمَا خَانَ الْفَرِيدَ نِظَامُ
 - إِذَا هَزَّ لِلْخُطْبِ الْمِلْمُ - حُسَامُ
 أَلْفَ بِهِ يَغْنُ الْوُجُوهُ ، كِرَامُ
 سَقَامُ بَرَى الْأَجْسَامَ مِنْهُ سِقَامُ
 إِذَا أَهْتَرَّ مِنْهُ مَعْطِفُ وَقَوَامُ
 سَلَاقًا ، كَأَنَّ الْمِسْكَ مِنْهُ خِتَامُ
 بِسُقْيَا ضَعِيفِ الطَّلِّ وَهُوَ رِهَامُ
 فَلَنْسَعِدْنَا ، وَالْحَادِثَاتُ نِيَامُ
 وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَلِكَ الْحَيِيبِ - ذِمَامُ

غدر الحبيب

أَجِدُّ ، وَمِنْ أَهْوَاهُ - فِي الْحُبِّ - قَابِتُ
 حَبِيبُ نَأَى عَنِّي - مَعَ الْقُرْبِ وَالْأُمَى -
 جَعَلَنِي بِالطَّافِ الْعِدَا ، وَأَزَالَهُ
 تَغَيَّرْتُ عَنْ عَهْدِي ، وَمَا زِلْتُ وَائِقًا
 وَمَا كُنْتُ إِذْ مَلَكَتْكَ الْقَلْبَ قَالِمًا
 فَذَيْتُكَ ، إِنْ الشَّوْقُ لِي - مَذْهَجَ تَنِي -

وَأَوْفَى لَهُ بِالْعَهْدِ ، إِذْ هُوَ نَاكِتُ
 مُقِيمٌ لَهُ - فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ - مَا كِتُ
 - عَنِ الْوَصْلِ - رَأَى فِي الْقَطِيعَةِ حَادِثُ
 بِعَهْدِكَ ، لَكِنْ غَيَّرَتْكَ الْحَوَادِثُ
 بَأَنِّي - عَنْ حَقِّي - بِكُنْى بَاهِثُ
 مُيِّتُ فَهَلْ لِي - مِنْ وَصَالِكَ - بَاهِثُ ؟

سَتَبْلَى اللَّيَالِي - وَالْوِدَادُ بِحَالِهِ - جَدِيدٌ ، وَتَفْنَى وَهُوَ لِلْأَرْضِ وَارِثٌ
وَلَوْ أَنَّيْ أَفْسَمْتُ : أَنَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَى مَقْتُولٌ ، كَمَا قِيلَ : « حَاثٌ . »

اصنع ما شئت

بِأَنَاسِيَا لِي - عَلَى عِرْقَانِهِ - تَلْفِي ذِكْرَكَ مِنِّي بِالْأَنفَاسِ مَوْصُولٌ
وَقَاطِعًا صِلَتِي - مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ - تَأَلَّهِ : إِنَّكَ - عَنْ رُوحِي - لَأَسْئَلُوكَ
مَلَسْتِ قَاصِمَتُهُ ، كُلُّ مِنْكَ عُثْمَلٌ ، وَالذَّنْبُ مُفْتَقَرٌ ، وَالْعُذْرُ مَقْبُولٌ
لَوْ كُنْتُ حَظِي ، لَمْ أَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا ، أَوْ نِلْتُ مِنْكَ الرِّضَا ، لَمْ يَبْقَ مَأْمُولٌ

أمنية

بِأَقَاطِعِ حَبْلٍ وَدَى وَوَاصِلًا حَبْلٍ صَدَى
وَسَالِكًا ، لَيْسَ يَذَرِي بِطُولٍ بَنَى وَوَجَدِي
لَوْ كَانَتْ هِنْدُكَ مِنِّي مِثْلُ الَّذِي مِنْكَ عِنْدِي
لَبِتْ - بَعْدِي - مِثْلِي ، وَبِتْ - مِثْلَكَ - بَعْدِي

نفسى فداؤك

لَوْ تَرَكْنَا بِأَنْ نَعُودَكَ عُدْنَا وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا وَزِدْنَا
غَيْرَ أَنْ أَلْهَوَى اسْتَطَارَ حَدِيدًا ، فَأَتَتْحَتْنَا الْعِيُونَ لَمَّا حُسِدْنَا
فَلَوْ أَنَّ النَّفْسَ تَقْبَلُ مِنَّا ، لَسَمَحْنَا بِهَا - فِدَاءً - وَجَدْنَا

دين الحب

يَا غَزَا لَا جُمِعَتْ فِيهِ - مِنْ الْحُسْنِ - فُتُونُ
أَنْتَ فِي الْقُرْبِ وَفِي الْبُغْدِ - مِنْ النَّفْسِ - مَكِينُ
فَهْرَاكَ - اللَّهُزْ - أَلْهَوِ ، وَبِحَيْثُكَ ، أَدِينُ

مُنِيَّةَ الصَّبِّ : أَعْثَنِي ، قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْمَنُونُ
وَأَحْفَظِ الْمَهْدَ ، كَلَانِي لَسْتُ - وَأَلَهُ - أَخُونُ
وَارْزَمَنْ مَبَا شَجِيًّا قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ
لَيْلُهُ هَمٌّ وَغَمٌّ ، وَسَقَامٌ ، وَأَيْنُ
شَفَةُ الْحُبِّ ، قَامَنِي - سَقَمًا - لَا يَسْتَبِينُ
صَارَ - لِلْأَشْوَاقِ - نَهْبًا ، قَبَّيْتُ عَنْهُ الْعِيُونُ

وفاء

يَبْنِي وَيَنْتَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضِعْ سِرٌّ إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ - لَمْ يَذْجِ
يَا بَالِيَا حَظُّهُ مِنِّي ، وَلَوْ بُذِلَتْ لِي الْحَيَاءُ - بِحَفْطِي مِنْهُ - لَمْ أَبْسَحْ
يَكْفِيكَ أَنْتَ - إِنْ نَحَلْتُ قَلْبِي مَا لَمْ تَسْتَطِعْ قُلُوبُ النَّاسِ - يَسْتَطِيعُ
تِهَ أَخْتَمِلُ ، وَاسْتَطِلَّ أَصْبِرْ ، وَعِزَّ أَهْنُ ، وَلَوْ أَقْبَلُ ، وَقُلْ أَتَمَعُ ، وَمُرَّ أُطِيعُ

في سبيل الهوى

قَدْ نَالَني مِنْكَ مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى بَا مَن تَنَاهَيْتُ - فِي الْطَافَةِ قَجَفَا
عَلَّسَنِي بِالْمُنَى - حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ بِالنَّفْسِ - لَمْ أُعْطَ مِنْ أَسْبَابِهَا طَرْفَا
غُبِرَتْ عَنْ خُلُقِي - قَدْ لَانَ لِي زَمَنُكَ لَيْنَ النَّسِيمِ ، فَلَمَّا لَدَّ لِي عَصَا
لَا يَجْبُطُنْ صَمَلٌ - أَرْصَاكَ صَالِحُهُ فِي سَبِيلِكَ أَنْفَقْتُ الْهَوَى مَرَفَا

صلة المحب

سِرِّي وَجَهْرِي أَنِّي هَامٌ ، قَامَ بِكَ الْمَذْرُ ، فَلَا لَأَمُّ
لَا يَنْهَمِ الْوَاهِي الَّذِي غَرَّنِي هَا أَنَا - فِي ظِلِّ الرِّضَى - نَأَمُّ
عُدْتُ إِلَى الْوَهْمِ - بِكَمَا أَشْتَكِي - كَالْمَجْرُ بَالِكِ ، وَالرَّضَى بِلِيمُ

حَسْبِيَ، أَنَا الْمَظْلُومُ - فَيَا جَرِي، وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ : «أَنَا الظَّالِمُ»
يَا سَائِلًا مِمَّا يَنْقُصِي لَهُ - تَجَنَّبَا - وَهَوَّ بِكَ عَالَمُ
مَعْنَى الْهَوَى أَنْتَ وَشَخْصُ الْمَنَى، دَعْنِي مِمَّا يَزْعُمُ الزَّاعِمُ

مقيم على العهد

عَذِيرِي مِنْ خَلِيلٍ يَسْتَطِيلُ يَمِيلُ - مَعَ الزَّمَانِ - كَمَا يَمِيلُ
وَيَرْضَى أَنْ تَضِيعَ سُدَى^(١) خَقْوِي، وَبَاعِي فِي الْهَوَى بَاغٌ طَوِيلُ
أَتَمَسَّا أَشْرَقَتْ مِنْ عَبْدٍ شَمْسِي أَمَّا لَكَ - فِي سَوَى قَلْبِي - أَقُولُ ؟
أَمَّا يَمْحَى عِتَابُكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ أَمَّا يُرْجَى - إِلَى وَصْلِ - وَصُولُ ؟
وَلَوْ أَجِدُ السَّبِيلَ لَطَرْتُ وَجَدًا وَلَكِنْ مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ
كِتَابِي - عَنْ وَدَادِكَ - لَا يَرُولُ، وَعَهْدِي - مِثْلَ عَهْدِكَ - لَا يَحُولُ

آلام المحب

يَا مُعْطِي مِنْ وَصَالٍ كُنْتُ وَارِدُهُ هَلْ مِنْكَ لِي غَلَّةٌ إِنْ صَحْتُ : «وَأَعْطَيْتَنِي»
كَسَوْتَنِي - مِنْ ثِيَابِ السَّقَمِ أَسْبَغَهَا - ظُلُمًا - وَصَيَّرْتَ مِنْ لُحْفِ الضَّرْبِ قُرْبِي
إِنْ بَصُرْتُ الْهَوَى، عَنْ مُقَلَّةٍ كُحِلَتْ بِالسَّحَرِ مِنْكَ، وَخَدَّ بِالْجَمَالِ وَثِي
لَمَّا بَدَأَ الصَّدْعُ مُسَوِّدًا بِأَهْمَرِهِ أَرَى الْقَسَائِمَ - بَيْنَ الرُّومِ وَالْحَبَشِ
أَوْفَى إِلَى الْخَدِّ، ثُمَّ أَنْصَاعَ مُتَّعِطِفًا كَالْمَقْرَبَانِ أَتْنَى مِنْ خَوْفِ مُخْتَرَشِ
لَوْ شِئْتَ زُرْتُ وَسِلِكَ النُّجْمِ مُنْتَظِمًا وَالْأَفُقُ يَحْتَالُ فِي تَوْبٍ مِنَ النَّبَشِ -
صَبًّا - إِذَا التَّدَّتِ الْأَجْفَانُ طَلْعَ كَرْمِي جَفَا الْمَنَامَ، وَصَاحَ اللَّيْلُ : «يَا قُرْبِي»
هَذَا وَإِنْ تَلَفْتَ نَفْسِي، فَلَا تَجِبْ، قَدْ كَانَ مَوْتِي - مِنْ تِلْكَ الْجَفُونِ - خُشْيَ

إلى المعتمد

أَيُّهَا الظَّافِرُ لَا زِلْتَ مَكْدَى الدُّنْيَا مُظْفَرٌ

(١) الأحاسي والألقاب والمعميات

اللقن كثير من النظمين والكتاب في طرق الالتاؤ والصبة ليجتنبوا بها الدكاء ، والصورة على ملك الطالاس والمعميات ، ويزجوا بها أوقات فراغهم الطوية ، وهو عمل شاق مضى لا يقدم عليه إلا من مرغ به من مقلات الحياة وجدها . وأكثر أواحه ناه لا خطر له ، وسنم بطائفة كبيرة منها . وثمة أنواع من التسمية تقوم عند اللوك والأشراء إلى ذلك العهد مقام الشجرة ، وتطير الحمام الزاحل وما إلى ذلك من وسائل الخابرة السرية ، ومن يدري ؟ فرعا كان ملدارين (ابن زيدون) و (للمتمد) من هذا النوع لم يكن يقصد به قتل الوقت والتسلية أو امتحان الدكاء بحسب ، وإنما كان يقصد به فوق ذلك للرائ على بعض ضروب الخابرة السرية التي كانت تفس إليها حاجة الدولة ، ويستصلها أسرارها للسياسيون للتصية على غيرهم من خصومهم . وربما كان للقلية وحدا وتزجية أوقات الفراغ الطوية أيضا .

والطريقة التي تبعها للمتمد وابن زيدون هي إحدى هذه الطرق العديدة ، ولم ستر عليها - فيما قرأناه من كتب الألقاب على كثرتها - ولم نعر إليها المعام العربية ، ولكننا استعجننا من الأشعار التي دارت بينها ، ومن قول « للمرى » صاحب « فح الطيب » الذي عزز ما ذهبنا إليه . وخلاصة هذه الطريقة أن يطير أحد القواسم إلى الآخر بيتا شائعا في نصيدة أو بيتين ويرمز لكل حرف من حروفها باسم طائر بيته .

قال للمرى :

« وكتب ابن زيدون إلى للمتمد :

« وأفك نظم لي في طيه معنى معنى اللفظ مستور

سرامه يصعب ما لم يح - السر - قري وشحورود .

قال : « ثم ذكر أبياتاً ، فيها أسماء طيور ، هي بها من بيت طيره فيها ، والبيت الطير هو :

« أنت - إن تمز - ظافر طيطع من بنامر . »

فسلك « للمتمد » وجاره :

« جاءتني الطير التي سرما نظم به قلمي سرور » . ٨١ .

وستر بك هذه النصيدة في « ص ٢٩٩ » من هذا الديوان .

ويؤيد هذا الاستنتاج قول المعتمد :

« أرسل طيور العمر نحوى قد بث نؤادي عرك النعم . »

وقول ابن زيدون للمتمد :

« وأفك طير سرب لقيه سر مكم . »

ولا تكاد تخلو نصيدة - من هذا النوع - من ذكر الطيور كما يرى القارى في النماذج التالية ، وسكتبت النصيدة التي نحن بصدد ما في المرح وتبها بجدول نرد فيه على الترتيب أسماء الطيور التي ذكرها فيها ، وهرن كل طائر بحرف حباته ليتبين القارى استعراج البيت الطير بنفسه ، وعامى الأبيات :

١ « فأسأل الشاهين ، والصقور ، والسماء تغير

أَنْتَ أَسْتَنْى أَبْنَى لِأَسْمَى وَالِدِي فِي الْمَهْرِ فَأَنْفَرِ
إِنْ تُرِدْ شَرْحَ مُعْنَى هُوَ فِي نَفْطِي مُمْضَرِ

ثم رآل النسر ، والف سياد ، والنسر النسر
ثم بعد ذلك عد لاذ سر ، والزال النسر
ثم عد لنسر والزا ل ، فكل قد تكرر
والجبارى ، والسمان والشرقاق الجبر
ثم سائل بعدما أبا زى - إن حل صرصر
معه الطائوس والذ ك إذا بالصبح صر
نلوه القري هما ردد السبح فقرر
ثم نادى الحق والرا ل ، لعل السر يظهر
ونيب مالى القلب حين من خاف سيظهر
ثم عد لنسر والزا ل، هما والأسر أكثر
وادرج العنق حق الزج ر ، إن الطير يزجر
وليل الزال سمانى وشرقاق تأخر .

فليس فيها إلا أسماء طيور بعضها ترسم إلى حروف سميها ، ونحس بينها لقارئ أن يكون نحوفا - لمن
يسيه حل أمثال هذه للسميات ، والبيت للمنى الذى يستخرج من هذه الأبيات هو :

« صدق لنا قال السه تظهر على الكلمة . »

وأنت إذا نعت ما فيها من أسماء الطيور تحد أن كل طائر في مقابلة حرف من حروف هاء البيت ونحس
فتح حروف البيت وأمل كل حرف طائره الذى يدل عليه في الجدول الآتى ليدق لقارئ طريقة الحل ،
وهذا هو الجدول :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	ا	نسر	ع	هيق
د	صقورين	ل	رآل	ل	رآل
ق	عنقاء	س	جبارى	ى	قبيجين
ل	رآل	م	سمانى	ا	نسر
ن	فياد	ه	شرقاق	ل	رآل
ا	نسر	ت	بلزى	ك	عققي
ف	ديك	ظ	طاوس	ل	رآل
ا	نسر	ف	ديك	م	سمانى
د ل	رآل	ر	قري	ه	شرقاق

فَأَسْأَلُ - الشَّاهِينَ ، وَالصَّغِيرِينَ ، وَالْمَنْقَاءَ - تُخْبِرُ ثُمَّ رَأَى الْقَفَرَ ، وَالْفَيَّادَ ، وَالنَّسْرَ الْمَعْمَرُ

وللى القارىء معنى هذه الكلمات :

الشاهين : ضرب من الصقور أكبر أى رمادى اللون .

المنقاء : طائر حرالى لا وجود له إلا فى شعر الشعراء .

رأى : ولد النعام ، وسير بك فى « ص ٢٨٤ »

الفياذ : ذكر اللوم .

سر : النسر طائر عظيم من حوارج الطير يسمى بذلك لأنه ينسر اللحم ويقتله ويختمه والكثير الریش منه يسمى المداغ .

ديك - الديك : ذكر السجاج .

رأى : ولد النعام .

جبارى - الجبارى : طائر فى حجم الديك الهندى كثيرة الریش ، ومنها يسماء وكندواء .

سباني : طائر معروف فوق المصمور ، ويجمع على سبانيات .

قالوا : وهو يئوس فى البحر بأحد حواشيه ويقيم الآخر كالفلح السفينة ، فتدفعه الريح إلى ساحل البحر .

وكتيلاً ما يوجد بلاد السواحل ، وله صوت حسن ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء ، فإذا أقبل الريح صاح .

شتراقى : طائر صغير بقدر الحمام أخضر مشع الحضرة ، حسن المظهر ، فى حنايه سواد وعده الملاحظ نوما

من القرمز . يألف الزوايا ورووس الجبال . وله منقوش ومصيف ، قال الملاحظ وهو كثير الاستغاثه ، إذا

سرت به طائر ضربه بحنايه وهاج كأنه هو للصروب .

مازى - البارى : من الصقور الأزرق الأحوى ، والأرقط الصغير الحناجيب النليط .

طالوس : طائر فى نحو قدر الاوزة ، حسن اللون ، والذكر منه غاية فى الحسن له فى رأسه ذؤابة لائمه

كالشربوش ، وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر ، وليس للأني مثل ذلك وفى طبعه الزهو

نفسه والاعجاب بريشه ، وفى المريف يلقى ريشه كما يلقى للشجر ورقه ، فإذا بدأ حالوع أذراق الأشجار

طلع ريشه .

قرى سير بك فى « ص ٣٠٤ »

هيق : ذكر النعام ، قال أبو اللؤلؤ على لسان حقى فى رسالة الغفران :

« وأركب الهيق - فى الظلماء - منقعا أو لا ، فذهب وياد يات مرورا . »

فجيج : منقوش وهو الكروان وسير بك فى « ص ٣٠٤ »

هقيق - المنقوش طائر كالغراب منقوش بطويل المخار يحمل حبلا ، وهو يشجن ولونه أبيض بيضاء وسواد .

شتراقى - الشتراقى : طائر منقوش بخضرة وحمرة ويألف ويكره بأرض الحرم .

ثُمَّ - بَعْدَ الدِّيَكِ - هُذِّ لِلنَّسْرِ وَالرَّأْلِ الْمُنْفَرِ

أصل اشتقاق النفر

وأصل اشتقاق النفر - كما يروى النورى - من أفر الفربوع ولر ، إذا حفر لنفسه مستجماً ثم أخذ عنه ويسرة ليوارى بذلك ومعنى على طاله .
ولر أسباء ، فنها : الماية ، والمويس ، والزمن ، والمجابة ، وآيات الماني ، ولللاح ، وللمروس ، والتأويل ، والكامة ، والتبريس ، والاشارة ، والتوجيه ، والنسي ، وللنل ، ومعنى الجميع واحد ، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته .

فالك إذا اعتبرته من حيث إن واصمه كأنه يمايك - أى يظهر إعياه وهو التنب - سيته : « معاها » وإذا اعتبرته - من حيث صعوبة فهمه واعتباس استراحه - سيته : « هويماً . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه قد عمل على وجوه وأواب - سيته : « لرا . » وفك له : « لماراً . »
وإذا اعتبرته - من حيث إن واضمه لم يصح عنه - قلت : « رمر » وقرب منه الاشارة .
وإذا اعتبرته - من حيث إن عيرك حاك - أى استخرج مقدار ففك - سيته : « لحاة . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه استخرج كثرة معانيه - سيته : « آيات الماني . »
وإذا اعتبرته - من حيث إن قائله قد يوحى شيئاً ويريد غيره - سيته : « لحا » وسيت ملك : « لللاح »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه ستر عنه ورمس - فهو « للمروس » ، والزمن القبر .
وإذا اعتبرته - من حيث أن مصاه يؤول إليك - سيته : « مؤولا . » وسيت ملك : « تأويلاً . »
وإذا اعتبرته - من حيث إن صاحبه لم يصرح بقصره - سيته « تمرباً » ، و « كناية . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه ذو وجوه - سيته : « للوجه » وسيت ملك : « التوجيه . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه معطى عليك - سيته : « معمى . »
طرق التعمية

ومن شروط التعمية - ما ذكره الفقهستندى - وهو أن يصرطح الانسان على إبدال حرف معين بحرف اخر معين - حيث وقع في القلم المعروف بالنسي - وهو أن حلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ، فحلوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واوا وبالعكس ، والهاء را ، وبالعكس ، والنون ياء وبالعكس ، والفاء ياء وبالعكس .
فيكتب « محمد » « كطكر » ، و « على » « سهو » ، و « مسعود » « كسار »
وعلى ذلك .

وقد لطم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف ثمر ما يبدل به ، وهو :
« كم لو حط صلاته درسع في بز خش عني ثم تدق . »
ومنهم من يمسح حروف الكلمة ، فيكتب « محمد » « دمم » ، و « على » « يلغ » . ومنهم من يبدل الحرف الأول من الكلمة بثانية مطلقاً في سائر الكلام ، فيكتب : « محمد آخر على » : جدم خامويل .
إلى غير ذلك من التميزات

ثُمَّ عُدْ - لِلْفَنَنِ وَالرَّاءِ ل - فَكُلُّ قَدْ تَكَرَّرَ

و منهم من يبدل الحروف بأعدادها في الجمل فيكتب « محمد » « ٤٠ و ٨ و ٤٠ و ٤٠ » وتعمل التسمية صفة عاسبة .

ومنهم من يكتب - عوض عدد الحروف - حروفا ، وهو أبلغ في التسمية ، فيكتب « محمد » « لي ، بو ، لي ، اج » لأن اللام والياء بأربعين ، وحى عدد مالفيم الأولى ، والياء والواو بثمانية ، وحى عدد مالفيم واللام والياء أيضا بأربعين ، وحى عددهما للفيم الثانية ، والألف والجيم بأربعة ، وحى عددهما للذال ، فكانه قال : « م ح د . »

ولإن شاء أن يميز هذه الحروف مما يتضمن غير هذه الأعداد .

ومنهم من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره . ومنهم من يضع الحروف على منازل القمر الخماسية والمصريين ، على ترتيبها على حروف « أ ب ج د » :

فيجعل الألف للشرطي ، والياء للبطي ، والجيم للثريا ، وهكذا إلى آخرها : فيكون بطن الحوت لحي من « ضلع » .

وربما اصطلاح على الترتيب على أسماء البلدان أو القواكه أو الأشجار ، أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من حروب التماثيل التي لا يأخذها حصر .

وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختصها فلها قطعة على ترتيب حروف اللحم ، والطريق في ذلك أن يثبت حروف اللحم ، ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يماثل الآخر ، فكلما جاءه في المقطع ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط . ثم يفعل بين كل كلمتين ، إما بخط أو بنقط ، أو بياض ، أو دائرة ، أو غير ذلك .

وأكثر المتقدمين يعملون الحرف المشدد بحرين ، والمتأخرون يعملونه حرفا واحدا .

وقد ذكر الفيلسوف في ذلك - فضلا طويلا في الجزء التاسع من صبح الأعشى ، فيرجع إليه القارئ « من ص ٢٢٩ إلى ٢٤٩ » إذا شاء .

أمثلة من التسمية

ومن الأمثلة التي ذكرها النويري قول الحكيم أمير الدولة - للحروب بأبن التثيد - ملرا في البران :

« ما واحد مختلف الأسماء يبدل في الأرض وفي السماء »

يحكم بالقسط بلا رياء أحمى يرى الرشد كل رأى

أخرس - لا من علة وداء - يننى من التصريح بالأيما

يجب - إن ناداه فوامتراء - بالرمع والحلف عن النداء

يصبح إن طلق في الهواء . »

وهو يقول : « مختلف الأسماء » يسمى : « ميزان » الشمس ، والاصطرلاب ، وسائر آلات الرصد « وهو معنى قوله : « يحكم في السماء » . وميزان الكلام : « النحر » وميزان الشعر : « العروش » وميزان اللسان : « المنطق » وهذه الميزان والقدراع والمكيال .

وقول آخر في الميزان :

« ما هولون : فيما نزل من السماء ، وخلق في الهواء ، له عين غيباء ، وكف شلاء ، ليس له - إلا عدل - »

وَالْحُبَّارَى وَالسَّمَانَى وَالشُّعْرَاقِ الْمُحَبَّرِ

ثواب ، ولا عليه - إن جار - عقاب - خلق من ثلاثة أحاسن ، تصفحه الأغاس - جسده طار من غير لباس ، أغرس السان ، و أفذه خرسان ، مكرر الذكر في القرآن ، ينطوى - إذا نام - كالصنل ، وفله السنبل مثل ، وله في الآخرة أكبر عمل .

وقول ابن الرومي في تبة السراج :

« ماحية في رأسها دودة تسبح في بحر قليل للذي ؟

إن غبت كل النسي حضراً وإن بدت لاه طريق الهدى ! »

وقول السري الرفاء في شبكة العمياء :

« وكثيرة الأحداق ، إلا أنها عمياء ، ما لم تنعس في ماء

وإذا هي انصبت أفادت ربها ما لا ينال بأبصر البصراء . »

وقول آخر في النور :

« وحلل يحلني وما له شخص يرى !

إذا حصلت فوه وهو ليد المتطلى

سريت لا أدري أرى أرض سريت ؟ أمها ؟ »

وقول المعري في ركاى الفرح :

« خليلان يطاى حواف مجلس حصاداه قدام له دوراه

مق يصح الرحلى ملش عليهما يرل منه - في وشك - عما وحقاء . »

قوله : « خليلان » لشابههما ، وأغسل : « السرج » ، وحصاداه : « قروبسه » و « رادته » والمعا مقصور : « وجع الرجل » وممود ، من مشى الرجل حائياً بهير نعل .

وقوله في الملح :

« ويصماء - من سر الللاح - ملكتها طما قفت إدى حوت بها صهي

فأتوا بها مستمتين ، ولم ترل نختم - بعد الطعام - على الفرس . »

قوله : سرأى : « حاصة » والملاح : جمع ملح ، والارب : الحاجة . وقول آخر في الحرب .

« ما ذات شوك لها حاح يحطط لباس عن قريب

وهي عقيم ، ترى بينيا من جى سرد ، وبن شيب

ياكسل بمن النبي يمسأ طلوع شمس إلى عروب

تصحيحها الداء - تير شك - قد يحسم الداء بالطيب

والداء منكوسة مكان يصلح للطائر الجيب

ببرها من يحكون طبا بالقر والخنو والبر . »

ههنا لفر ممى في الحرب ، وشوكها : « السلاح » ، وجناها : « جايها » ، وقدم لأنها لا يتد ،

وبنوها : « رحالها . » وأكلم : « قلم . » ، وتصحيحها : « الجرب » وعكه : « برج »

وقول آخر في التمدى :

« وما أخوان معقبان جدا كما اشبه القزاة بالتراب

ثُمَّ سَأَلْنَا بَعْدَهَا الْبَنَاتِ زَيْ إِنْ حَلَّ فَصَرَّصَرْ

يصلحهما على سر القبال - وما احتسما ، ولا اقترفا - إهاب
لذاك وذاء ، دموع حاملات ، ولكن كل دمهما هراب
يصونهما عن الأصار - دين - ويضرب - دون نيلهما - حجاب .
وهما ثديا للراء ، ويضمهما إهاب ، وهو : « الجلد »
ولقول آخر في الفح :

« وما ميت كمت ودنته مقام إلى حي صحيح فأوقته . »

ولقول آخر في الصدى :

« وساكن يسكن في الفلاة ليس من الرشح ولا الثبات
ولا من الجلي ، ولا الحيات ، ولا الحيام الشر والأبيات
ولا بدى جسم ولا حياة كلا ، ولا يدرك بالصفات
على له صوت من الأصوات يسمع في الأحيال والأوقات . »

وقد ذكر البوري أمثلة كثيرة من هذه الأنواع وأشباهاها ، ثم قال :

مسائل العويس

وما يصل هذا الباب مسائل العويس .

فمن ذلك قولهم :

« امرأتان التفتا برجلين ، قالتا لهما : «مرحبا بابنينا وزوجينا ، وابنى زوجينا . »

وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأمر الآخر ، فهما اسمها وزوجها وابن زوجها »

وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما مع الآخر وابن أخيه . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأمر الآخر ، فزوّج كل واحد منهما ولدا ، فكل من الولدين مع

الآخر وابن أخيه .

وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأمر الآخر ، فزوّج كل واحد منهما ولدا ، فكل من ولديهما خال

الآخر وابن أخته .

وقولهم :

« رجل وامرأتان ، هو خال إحداهما وحى خاتمه ، وهم الأخرى وحى عنه . »

وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخي لأمه ، وأخته لأبيها تزوجت بأب أمه ، فولدتا بنتين ، فبنت أخته

خالته ، وهو خالها ، وبنت جدته عنه وهو معها .

وهذا أصل الأبيات للعلامة في ذلك :

« ولي خال وأنا خالها ، ولي عم وأنا معها . »

•••

مَعَهُ الطَّائِفُ وَالَّذِي إِذَا بِالصَّبِيحِ بَشَرٌ

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأخت الآخر ، فمدى كل منهما ولدا ، فكل من ولديهما ابن خال الآخر وابن عمته .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأم أب الآخر ، فكل من أولادها هم أب الآخر .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما أم الآخر . »

وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبئة ابن الآخر ، فكل من أولادها هم أم الآخر .

وقوله :

« رجلان ، كل واحد منهما خال أم الآخر . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبئة بنت الآخر فكل من أولادها خال أم الآخر .

وقوله :

« رجلان أحدهما عم الآخر ، والآخر حله » وذلك أن رجلاين تزوج أحدهما امرأة ، وتزوج الآخر ابنة

انها ، فولد لكل منهما ولد فان الأب عم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب هو أخوها وخلفاؤها .

وقوله :

« رجلان ، أحدهما هم الآخر وخله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته »

وذلك : أن رجلا له أخ لأب ، وأخت لأم ، «زوج أخته لأبيه ، وأخته لأمه ، فأولدها ولدا ، هما كذلك .

وقد طلب الغصاني من الخوارزمي - أثناء مناظرته للممودة - أن يكتب كتابا حاليا من المروف المواقف ،

وأخر أوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها هم الخ » صمى الخوارزمي ذلك شعبة . وصدق في تسميته

كل الصدق .

وما أحسن هذا الوصف بأشكال هذه الألهب الكلامية .

أعزاز الخوارزمي

ومن أعلام الخوارزمي الذي أقر الخوارزمي في مقاماته قوله في القامة الفرضية - وهي مقامته الخامسة عشرة :

« أيها العالم الفقيه الفاضل ق دكاه ، فإله من شبيه

أضاني نصية ، حاد عنها كل فاض ، وحار كل فقيه :

رجل طعن عن أخ مسلم حرّ تقى من أمه وأبيه

وله زوجة لها - أيها المبسر أخ خاليس بلا تمويه

لحوت مرضها ، وحلّز أخوها ما تقى بالارث دون أخيه

فأشفا بالجراب عما سألتا هو نفس ، لا خلف يوجد به . »

ثم حل هذا اللغز بقوله :

« قل لمن يلدو للسائل : إني كاشف سرّها الذي تخفيه

إني ذا الميت الذي تم القبر ع أنا حمسه عن ابن أبيه

تِلْوَةُ الْقَمَرِيِّ مَهْمَا رَدَّدَ السَّجْعَ فَقَرَّرَ

رجل زوج ابنة - عن وصاه - بحياة له ، ولا فرو فيه
ثم مات ابنة ، وقد عقلت منه ، فجاءت بابت يسر دونه
مهر ابن ابنة - بهر صراه - وأخو حرمه ، بلا تمويه
وان ابن الصريح أدنى إلى الجسد ، وأولى بارت من أخيه
فلما - حين مات - أوجب لزوجه ، بمن القرائ تستوفيه
وحوى ابن ابنة الذي هو في الأصل أخوها - من أمها بانيه
وتغلى الأغ الشفيق ، من الارث ، وقلنا : بكيفك أن بكيه
حالك من الدنيا التي يحزننا كل فاض يقص ، وكل ضيق .
المقامة الشتوية

وقوله في المقامة الشتوية .

«عنى أحبيب أدوبا - بلا كذب - من البيان - فكاننى : أبا العجب
رأيت يا قوم ، أقواما عداؤهم بول المجور ، وما أعى ابنة العجب .
« بول المجور » لبن البقرة ، واحوز أبعاً من أسباء الحمر .
« ومستب من الأهراب قوتهم أن يشتروا حرقه نى من العجب .
« الحرقه » القذبة من الحراد .

« وعادى - متى ما ساء - صمهم ، أوفصروا فيه - ألذنب للعطب .
« القنادر » الطاخ في القدر والقدير المطوح فيها .
« وسكائب ، وما خطت أناملهم حراما ولا قرؤا ما خط في الكتب .
« السكايبون » الحارادون يقال كتب السقاء والبرادة إذا حرزهما وكتب البلمة أو النافقة إذا جمع شفرهما
وحطهما . قال الشاعر :

« لا تأمن ولربما حلوت به على قلوبك واكتبها بأسار .
« وتامى عقابا في مسيرهم على تكبيرهم في البيض واللب .
« العقاب » الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب .
« ومتدين ذوى نسل بدت لهم قبلة فاعلوا منها إلى الحرب .
« الديلة » الجيلة ومنه نسل المجر إذا مات وأروح يسمى من .
« وعصبة لم تر الهت المتبقى وقد حب جتا بلا شك على الركب .
معنى « حب جتا » أى غلبت الملحمة مجاديين جادين على الركب وجئ جمع جت .
« وسوء بعد ما أدلين من حب صبحن كاطمة من غير ما لعب .
« كاطمة » في هذا الموضع من كلم التيقظ .
« ومديح سرورا من أرض كاطمة فأصحو حين لاح الصبح في حب .
« في حب » أى أصحو يحلون الحب .

« وبدأ لم يلبس قط فاقية شاهده وله نذر من العجب .
« اللبل » مهنا المدو . قال تعالى : « ومن كل حب ينلون » « والعجب » مؤنث العجب

نَمُ نَادِ الْحَقِّ وَالرَّاءِ لَ، لَعَلَّ السَّرَّ يَظْهَرُ

- « وشابنا مير عطف للشيب بدا في البدو وهو حق السن لم يشب . »
 « الثالث » هنا مزاج العين و « للشيب » العين المروج ويقال به مشيب ومثوب .
 « ومرصصاً بجاث لم يغه فله رآجه وشجار بين الشب . »
 « الفسار » الحصة ما لم تكن مطلقاً ، فان ظلت فهو المودج ، والشب هنا الجبل ، ومنه قوله تعالى
 - طيبند يهب إلى السماء -
 « وزاروا ذرة حتى إذا حسنت صارت غبراء يهاها أخوال الطرب . »
 « الغبراء » السكر المتخذ من الذرة يسمى أيضاً للكركة ، وفي الحديث : لا يم والغبراء فانها بحر العالم .
 « وراكاً وهو مطول على مرس قد غل أيضاً وما يملك من غيب . »
 « المنلول » هنا العطشان ، وغل أى عطش .
 « وداد يد طلق يفتاد راحلة - مستجلاً وهو مأسور أو كروب . »
 « للأسور » الذى يجد الأسر وهو احساس البول .
 « وجالسا ماشياً تهوى مطيته به ، وما فى الذى أوردت من رب . »
 « الجالس » الآلى نعداً وللماشى الذى كثرت ماشيته ، وعليه مر بعضهم قوله تعالى - أن امشوا كآته
 دعاء لهم بكثرة الماشية والثناء والبركة .
 « وحائكا أحدم الكفين ذا حرس فان مجتمهم مكرم فى الخلق من محمد . »
 « الحائك » هما الذى إذا مضى حرك مكبيه وطلج بين ركبتيه .
 « ودأ شطاط - كسفر الزمق فاته - صادفته بى يشكر من الحدب . »
 « الحدب » ما ارتفع من الأرض .
 « وساعياً فى مرسات الأنام يرى إمرأهم مأثماً كالظلم والكذب . »
 « إمرأهم » إثمهم بالدين ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : لا يترك فى الاسلام مروح أى مظل من الدين
 أو يهضى عنه دينه .
 « ومسرماً بمنحاة الرجال له وماله فى حديث الخلق من أرب . »
 « الخلق » هما الكذب ، ومنه قوله تعالى - إن هذا إلا حق الأولين .
 « وذا فمام وقت المهد دمه ولادمام له فى مدب القرب . »
 « النعام » الثانى جمع ذمة ، وحى البئر القليلة الماء وحى بالمذهب المذموم أى ماله آثار قليلة الماء فى البدو .
 « وذا قوى ما استقيات قط ليعته ولينه متقين فسر عتجب . »
 « العين » نخيل الدق ، ومنه قوله تعالى - ما تقدم من لينة -
 « وساءداً فوق ظل خير مكثرت بما أى ، بل يراه أصل القرب . »
 « للفعل » الحصر المأمور من خلال التحل .
 « وطادراً مؤلماً من ظان بمنزله مع التلطف والمندور صعب . »
 « للمأذر » الثامى « والمندور » المحزون .
 « ووطء ما بها ماء لجنرف ، وللاء يجرى عليها جرى منسرب . »

وَتَمَيِّفَ مَا لَدَى الْقَبْرِ حَيِّينَ مِنْ خَافٍ سَيَظْهَرُ

- « البلدة » الفرحة بين المحابين وتسمى أحياناً البلدة .
 « وقرية - دون الحوص - شجنت يدلم عيهم من خلة السلب . »
 « القرية » بيت النمل « والعيلم » النمل الكثير « وخلة السلب » لحاء الشجر .
 « وكوكباً جولرى عند رؤيته الاسان حتى يرى في أسع الحب . »
 « الكوكب » النكتة البيضاء التي تحدث في العين « والاسان » ههنا إنسان الذين .
 « وروقة قوت ماله خطر - ومن صاحبها بالمال لم تلب . »
 « الروقة » مدام الأنثى .
 « وصحة من صار حالم ، حريت - سدللكس - بغيراطمن الدم . »
 « النصار » هاهنا شعرايع ، ومنه قول يس التاميين : « لأبأس أن يمرر في قرح النصار » هي به هذا .
 « ومستحيشاً عشت - عاش ليدع ما أطله من أحاديثه فلم ييب . »
 « الحشعاش » الجماعة عليهم دروع وأسلحة .
 « وطالما مرّ في كف وفي شه نور ، ولكه نور بلا ذنب . »
 « القنور » القطعة من الاقط (وهو نوع من الجبن)
 « وكم رأى ناطرى بلا على حمل وقد تورك فوق الرجل والتمتب . »
 « القليل » الرجل القائل الرأى .
 « وكم لقيت - مرض اليد - مشتكى وما اشتكى قط في حدّ ولا لب . »
 « المشتكى » اللحد شكوة وهي القرية الصغيرة .
 « وكنت أصرت كراراً زاحية - الأو - ينطرس عيبن كالثعب . »
 « الكرار » كبش يحمل عليه الراعي أداته .
 « وكم رأيت مقلق عيبن - ماؤها يجرى من الرسو والعينان في حلب . »
 « العرب » يجرى الدمع « والعينان » اللفتان .
 « وكفاه يوماً برمح لا ولم يثب . »
 « وصادعاً بالها من غير أن عافت »
 « الدنيا » ارتفاع الأنف وتحدب وسطه « وصدع به » أى كشفه .
 « وكم تركت بأرض - لا تخيل بها - وسد يوم رأيت البسر في القل . »
 « البسر » جمع بيرة وهو لاء الحديث العهد بالمطر « والقلب » جمع قلب .
 « وكم رأيت - بأقطار الغلا - طبعا يطير في الجو مصباً إلى صب . »
 « الطبقة » المنطقة من الجراد .
 « وكم مشاخ - في الدنيا - رأيتم مخدعين ، ومن ينمو من العطب ؟ »
 « المخدع » الذى أظلم شيه .
 « وكم بدلى وحش - يشتكى سبنا - بمنطق ذائق أمضى من العطب . »
 « الوحش » الرجل الجائع .
 « وكم دعاني مستعج - وما أخله ولا أخفت - لأدب . »

نَمُّ عُدِّ لِلنَّسْرِ وَالرَّاءِ لِتُحَاكِ فِي الْأَنْزِ أَكْثَرُ

« المستحي » الحالس على نخوة وهو الكلال للرفع .

« وكم أخت فلوحي - تحت جبنك - تطلّ ماشئت من عجم ومن عرب . »

« الحنبدة » الهمة « والمرب » جمع هروب وهي التحية إلى زوجها من قوله تعالى - هرباً أثراً -

« وكم طرت إلى من سرّ ساعته ودمه مستهل المطر كالسحب . »

« سرّ » أى قطع سره ويسمى ما يبق بعد القطع السرّة .

« وكم رأيت قبصاً ضرّاً صاحبه حتى انقضى واهى الأصماء والنصب . »

« القميص » العاية للكثير من القموص وهو الوثوب والقمز .

« وكم إزار لو أن الدهر أظلمه لحبّ لدحت السبر مصطرب . »

« الإزار » المرأة ، ومنه قول الشاعر :

• مدى لك من أختي قلة إردى •

ثم يقول في حاتم قصيدته :

« هذا وكم من أفايق مصحة عدى ، ومن ملح قلعي ومن نخب

فان نظمتم الحن للقول بان لكم صدق ودلكم طلى على رطبي

وإن شدمتم ، فالسار - به على من لا يميز بين النع والقرب . »

القائمة النحرارية

وقوله - في القائمة النحرارية - في مروحة الخيش ، وهي ثياب حشة من الكتان تستعمل في المراق تكون

شبه هراع السفينة ، تعلق في سفح البيت ، ويصل لها حل منها - نجر - وتدل بالماء ، وترش بماء

الورد ، إذا أراد الرجل النوم ، حدث جلها ، فيب منها نيم بارد طيب يذهب أدنى الحر ، ويستطاب

مها النوم ، وقد أنز فيها الحريرى بقوله :

« وجاريه في سيرها - مشمطه ولكن - على إثر السير - فتولها

لها سائق - من حنسا - يستجبا على أنه - في الاحتاث - رسيها

تري - في أوان القبط - تطف بالدي ، وتدو - إذا زل المصيفد - فتولها . »

وقوله ملزما في جابل النمل ، وهو الحبل الذي يصعد به النمل ، ويجعد من الماء أى لب النمل .

« ومتنب إلى أم تنشأ أسله منها

بما فيها ، وقد كانت منه - برهة - ضما

به يتوصل الحاني ، ولا يلحق ، ولا ينهي . »

وقوله - ملزما في النمل - :

« ومأموم ، به عرف الامام كما باحت صحبته الكرام

له - إذ يرتوى - طيشان صاد ويسكن حب يبروه الأوام

ويدرى - حين يلتقي - دموها يرقى ، كما يروق الابتسام . »

وقوله ملزما في اللرود الذي يكتمل به :

« وما ناكح أخني جبراً وخيلة ، وليس عليه - في الفكاح - سويل ؟

بمن يشحنى يش - في الخالصة ، وإلد مالر بدل لم تحبسه يبل

وَأَذْجُرِ الْمَقْمَقَ - حَقِّ الرُّجْرِ - إِنَّ الطَّيْرَ تُرْجَرُ

وقوله - ملزأ في الدولاب :-

«وجاف، وهو موصول وموصول ليس بالحاف
فريق بلور، فاجب له، من راسب طاف
يسج دموع مهموم وبهم همم متلاف
وتخفى منه حذو ولكن قلبه صاف.»

إلى آخر هذه الألفاظ التي تراها في هذه القائمة .

القائمة الملطية

وانظر قوله - في مقامه اللطية :

«يأس - إذا - أشكل المسمى جنبه أنكاره الطليقة

إن مال يوما لك الحافى : «خذ تلك» ماثل حقيقه .

وهو يعنى بذلك كلمة : «هاتيك» وما لتنبه ويعنى حد ، وبيك أى تلك .

وقوله : ماذا مثال قولهم : «حار وحش رينا .»

يعنى كلمة «فرازين» والفرأ حار الوحش .

وقوله : ما مثل قولك لدى حلاك : «أفنى قطع»

يعنى كلمة «مستم» من : الأسر من ملا يعون ، هم مصارع وتم ، من التوم وهو الادلال .

وقوله : ما مثل قولك لدى أخفى يحافى : «فقط ملكى»

ومثله : «صبور» من الأسر من الصون ، والنور : الهلكى

وقوله : ماذا يحائل قول : «استنش ريح مدامه»

ومثله : «رحراح» روح استنشق الرائحة ، والراح : الجمر .

وقوله : «سار بالليل مدة» أى فى، مثله ؟

ومثله : «سراحين» سرى سار ليلا ، وحين : مدة .

وقوله : لك البيان ، عين ، ماثل : «أحب مروقه»

ومثله : «مفلاق» من : الأسر من وسق : أى أحب ، والفلاق : الجبان .

وقوله : ما مثل قولك «أعط اب - رينا يلوح به مروقه»

ومثله : «أسكوب» أس : الأسر من الأوس ، وهو الاعضاء ، والسكر : الأبرق سيرة مروقه

وقوله : ما مثل قولك للبا حى ذى الدكاء : «التور ملكى»

ومثله «اللاى» ولللاى : تور الوحش .

وقوله : ماذا مثال : «صير حقة» بينه تباها يتم به .

ومثله «مكاشفة» والمكاش : الصغير .

وقوله : ماذا يحائل قول : حوج أمد بزاد ؟

يعنى «طوامير» ، طوى : جوع ومير : من ماره الطعام ، وهو مثل قوله : أمد بزاد .

وقوله : ما مثل قول الحافى نه : «طهر أصابعه عين ؟»

يعنى : «مطاهين» جمع مطهون ، ومطأ مثل طهر ، وهي - من طاه أى أصابه بالطين .

وَلَيْلِ الرَّالِ سُمَائِي وَشِقْرَاقِ تَأَخَّرَ

- وقوله : ما مثل قولك لدى حاجت : صاف جائره ؟
ومثله « الفاصلة » وهي المائدة بين الشابين صد الواسعة وكله إلى مثل صاف وتكتب بالياء إذا
اخرت ، وصة : حارة أو عطية .
وقوله : ألا اكشف لي ما مثل : « تاول ألب ديار »
ومثله : « حادية » تأتي الهادي ، والصق أيضا ، ومسى ما : حد وتاول ، وديه هي ما ينطى لأهل
التبيل ، وهي من الذهب ألب ديار .
وقوله : ما مثل : « أهمل حلية » هي بيت - وعمل .
ومثله : « المشاية » وهي اسم لمن يمشي الرجل من الأصابع ، وحاشية السرج ما ينطى به ومسى التي
أعطى وشية : حلية
وقوله : ما مثل قولك - لدى أخفى يحاكك : « اكعب اكعب » .
ومثله : « مهمه » وهو الصغراء ، ومسى مه : اكعب وتكررها لتأكيد .
وقوله : هي - هارلت دا بيان - ما مثل قولي : « الشقيق أملت »
ومثله : « أخطار » - جمع خطر ، وهو ما يؤدي إلى الهلاك ، وإذا فسدت كان : « أخ » من عطية
الشقيق ، وطار : أملت .
وقوله : ما مثل قولك السعا هي دي الحبي : « ما اختار فسه »
ومثله « أبارقه » جمع أبرق ، وإذا فسدت كانت أي ما اختار ، ورفق : اسم من أسماء الفضة .
وقوله : أوصح لنا ما مثل قولي لك للسحى : « دس حامه »
ومثله : « طابة » وهي ما يطفو دلي الماء ، وطأ : أمر من وطئ ، والفتة : الجماعة .
وقوله أنت للهي ، قل لنا ما مثل قولي : « خلى اسكت » .
ومثله : « حاصة » أي حال صه ، ومساها حال اسكت .
وقوله في مقامه الطيبة في حوار طويل هي ضيعي .
- ما تقول ليس توشأ ثم لمس طهر له ؟
- اتقص صورة به .
هي من لمس زوجته .
- طان توشأ ثم أنكاه البرد ؟
- يحدد الصورة من بعد ؟
هي بالبرد : النوم
- أيمسح للتوشأ أيه ؟
- قد نبت إليه ، ولم يوجب عليه .
هي : الأدبي .
- أيمسح الوضوء مما يقضه اشتملا .
- وعمل أنظف من العريال

لَكَ ذِهْنٌ - بِالَّذِي فِي الشَّعْرِ مِنْ خَبْءٍ - سَبَشْرُ

- يعني : جمع ثعب ، وهو سيل الوادي .
 - أيسقيح ماء الضرر ؟
 - نعم ، ويحتمل ماء البصير .
 يعني بالضرر : حرف الوادي ، وبالْبصير : السكب .
 - أيجل التطوف في الزبيع ؟
 - يكره ذلك لحدث الشلج .
 يعني بالتطوف : التموط ، وبالزبيع : النهر الصغير .
 - أيجب السبل على من أمي ؟
 - لا ، ولو لمي .
 يعني : من نزل « مي »
 - هل يجب على الحب صل مروه ؟
 - أجل ، وغسل اترته .
 يعني بالفروة حلقة الرأس ، وبالأبرة عظم للرقيق .
 وممكننا إلى أن استوى مائة مسألة من هذا النوع .

المقامة النحوية

وقوله في المقامة الرابعة والمفهرين :

لما كات في - إن شقم - حرف عيوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب ، وأي اسم يتردد بين مرد حلزم وجمع ملازم ، وأية هاء - إذا انتهت أماطت انتقل ، وأطلقت للقتل ، وأين تملك السنين تنزل للعامل من غير أن تحامل ، وما منصوب أبداً على الظرف ، لا يخلص سوى حرف ، وأي مصاف أدخل من مري الاضامة مبروة ، واختلف حكمه بين مساء وغدوة ، وما الحامل الذي يصل آخره مأوله ، ويصل مكوسه مثل عمله ، وأي عامل فائبه أرحب منه وكراً ، وأندغم مكرراً ، وأكثره - تعالى - ذكراً ؟ وفي أي موطن تلبس الذكران ، رافع النسوان ؟ وتبرز ربلت المجال ، بدائم الرجال ؟ وأين يجب حفظ اللرائب ، على المفروب والضاوب ؟ وما اسم لا يعرف إلا باستضافة كلمتين ، أو الاختصار منه على حرفين ، وفي وضه التزام ، وفي الثاني إقرار ؟ وما وصف - إذا أردت بالون - نفس صاحبه في السيون ، وقوم بالحدون ، وخرج من الزبوف وتعرض للهون .

وقد صره بقوله :

« أما الكلمة التي هي حرف عيوب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب » فهي لم - إن .

(وأما الكلمة التي هي حرف عيوب أو اسم لما فيه حرف حلوب) فهي سم لأن اردت بها تصديق الأخبار أو السدة عند السؤال فهي حرف ولا عنيت بها الايل فهي اسم ولانتم تذكر وتؤثت ، وتطلق على الايل وعلى كل ماشية فيها ايل ، وفي الايل الحرف وهي لفظة الضامرة سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السين ، وقيل أنها الفسخة تشبيهاً لها بحرف الجمل (وأما الاسم للتردد بين فرد حلزم وجمع ملازم) فهو سراويل . قال بعضهم هو واحد وجهه سراويلات ، على صفا القول فهو فرد ولكن من ضه الحصر بأنه حلزم ، وقال آخرون بل هو جمع واحد سر وائل مثل شلال وهمايل ، وسرايل وسرايل ، فهو على

فَتَأْمَلْ مَا أَتْبَرَى فِكْرِي لَهُ ، ثُمَّ تَدَبَّرْ

هذا القول جمع ، ومعنى قوله ملازم أى لا يصرف وإعمال يصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثاقب ألف ويسمى حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة أو سطحا ساكن لتثنيه وتعمده دون غيره من المجرى بأن لا يغير له فى الأسماء الألفاء ، وقد كفى فى هذه الأحكام عمالا يصرف باللام كما كفى فى التى قبلها مما يصرف باللام (وأما الهاء التى إذا التفتت أمامت التثنية وأطلقت للتثنية) معنى الهاء اللاحقة بالجمع لتقدم ذكره كقوفك صياغة وصياغة فيصرف هذا الجمع عند الساق الهاء به لأنها قد أضافت إلى أمثال الألف نحو رفاعية وكراعية لطف بهذا السبب وصرف هذه اللفظ ، وقد كفى هذه الأحكام مما لا ينصرف بالتثنية كما كفى فى التى قبلها مما لا ينصرف باللام (وأما السبب الذى تملر العامل من غير أن تتحمل) معنى الذى تدخل على الفعل للتثنية وتصل به وبين أن الذى كانت قبل دحوها من أدوات السبب يرتفع حينئذ الفعل وتنقل أن من كونها الخاصة للفعل إلى أن تصير الجامعة من التثنية ، وذلك كقوله تعالى - علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون (وأما للمصوب على الطرف الذى لا يخصه سوى حرف) هو عند إد لا يجره غير من خاصة وتقول العامة ذهبت إلى عنده لى (وأما الصاب الذى أحل من هوى الإضافات بمرودة واختلف حكمه بين ماضى ومعدى) فهو لى ولدى من الأسماء الملازمة للإضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها إلا معدية ، فإن العرب صحتها لثبوت لكثر استعمالها لإياها فى الكلام ، ثم نوبتها إليها ليلين بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع المجرورات التى لا تنصرف ، وعند سبب التحويل أن لى معنى عند والتصحيح أن بينها فرقا لطيفا وهو أن عند يشتدل مساحا على ماضى وملكت ومكنت مما دنا منك وبه عنك ولدى يختص منها بما حضرك وقرب منك (وأما العامل الذى يتصل آخره بأوله ويسمى مكوسه مثل عمل) فهو يا ومكوسها أى وكلاهما من حروف البناء وصلها ما فى الاسم اللادى بيان وإن كانت يا أحول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى الغرب فخط كاهنزة (وأما العامل الذى نال به أرجب منه وكرا ، وأعلم مكرأ ، وأكثره تعالى ذكرأ) فهو باه القسم وهذه الباء من أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور صل القسم فى قوله : أقسم بالله ، ولحوقها إليها على المصدر كقوفك لك لأصلن ، وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنها من حروف القسم ، ثم تخاور ما يتيها لأن الواو تقيد الجمع والياء تصيد الالفاظ ، وكلاهما متفق للفتيان متقاربان ، ثم سارت الواو للسنة من الباء أدورى فى الكلام وأغلق الألفاء ، ولهذا ألقى بأنها أكثر لله تعالى ذكرأ . ثم إن الواو أكثر موطا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تتصل غير الجر والواز تدخل على الاسم والفعل والحرف ونحو تارة بالقسم وتارة بضمائر وتتنظم أياها مع نواصب الفعل وأدوات التعريف ، ولهذا وصفها بجرى الوكر وعظم للسك (وأما اللوطى الذى يلبس به الذكر أن رافع القنوان وتبريه ربات الحجال نسائم الرجال) فهو مراتب العدد للمناف ، وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع الذكر للبا ، ومع اللؤث بمخلفها كقوله تعالى - سخرها عليهم سبع ليل وثمانية أيام - والهاء فى غير هذا للوطن من خصائص اللؤث كقوفك قائم وثاقبة ، وحالم وظلة ، وقد رأيت كيف انعكس فى هذا اللوطى حكم للذكر واللؤث حتى اعطب كل منهما فى ضد قلبه ورزى بزة صاحبه (وأما اللوض الذى يجب فيه حفظ الراتب على الضروب والضاير) هو حيث يشبه الإنفاق بالفضول لتنفذ ظهور علامة الأعراب فيها أو فى إحداها ، وذلك إذا كانا متصيرين على موسى وهى أو من أسماء الإشارة نحو ذلك ، وهذا فيجب حينئذ لازمة لغيره لغيره

وَأَعْتَقِدْ أَنِّي فِي «نَمٍّ» كَمَنْ خَطَّ فَسَطْرًا

كل منهما في وجهه ليعرف الفاعل منها بقصدته وللعمول بتأخره (وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كائين أو بالاتصاف منه على حرفين) فهو منها وفيها قولان أحدهما أنها حركة من مه التي هي بمعنى أكف ومن ما ، والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما عرفت عليها ما أخرى كما تزداد ما على أن ، فصار لفظها ما ما ، فقتل عليهم توالي كلين بلفظ واحد فأبغوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهما ، ومهما من أحداث العرط والحزاء ، وفق لفظت بها لم يتم الكلام ولا قتل للمنى إلا بإيراد كلين بعدما كفوا فكهما حصل أصل وتكون حيثما ملزما قتل ، وإن اقتصر منها على حرفين ومهما التي بمعنى أكف فهم للمنى وكنت ملزما من حاطبة أن يكف (وأما الوصف الذي أردف بالثبوت نفس صاحبه في الميود وقوم بالثبوت وخرج من الربودن وتعرض للوون) فهو سيف إذا لحقته الود استعمال إلى ضيق وهو الذي يقع السيف وينزل في البدن منزلة الريف .

ومن ألا عيب الحريري قوله في مقامه أخرى - مما يقرأ طردا وحكسا في مقامه المرية :

« لم أحل ، كبر رجاء أمر دك ، من يرت إذا بر ينم ، سكت كل من تم لك تكس » وقوله :

« أس أرمل - إذا عاها وارح إذا لره أما

أسد أما نعمة أين أحاه دلسا

أسل حناب حاتم مشاب إن حلسا

أسر إذا هـ مرا وارم به ، إذا رسا

اسكن تقو ، فسى يصف وقت نكسا . »

المقامة القهقرية

وقوله في مقامه القهقرية :

« أتمرغون رساة أرضها سبأها ، صسحها مساوها ، نسجت على منوالين ، وتحت في لوبس ، ووصلت إلى حبتين ، وضت ذات وجهين .

إن بزعت من مفرقتها ، فناميك بروقتها ، وإن طلعت من مدبرها ، فيا لصحبها »

وهذه الرسالة التي تقرأ من أولها كما تقرأ من آخرها هي :

« الإنسان صنينة الأحسان ، ورب الجمل صل الندب ، وشعبة الحر ذخيرة الحمد ، وكس الفكر استثمار السعادة ، وعنوان الكرم تبشير البهر ، واستعمال المداراة يوجب المصافة ، وعقد الحصة يقتضى النصح وصدق الحديث حلية المسال ، وصاحبة للنطق سحر الألباب ، وفرك الهوى آفة النفوس ، ومثل الخلائق شين الخلائق ، وسوء الطمع يباين الورع ، والزام الحرامه زلم السلامه ، وتطلب الطالب هر اللباب ، وتنبع الثمرات ينحس اللوات ، وخلوص النية حلاصة العلية ، وتهتة النوال ثمن السؤال ، وتكلف السكف يسهل الخلف ، وتيقن الموتة يحسى المؤونة ، وضل الصدر ، سمة الصدر ، وزينة الرعاة تمت السعادة ، وجزاء اللداعث للناجح ، ومهر الواساتل ، تشفع للسائل ، ومجبة العواية استغراق العاية ، وتجاوز الحمد ، بكل الحمد ، وتصدى الأدب ، يحبط القرب ، وتتألى الخفوق ، يلفى القفوق ، وتغافى الرب ، يرمع الرب ، وارتفاع الأخطار ، لارتفاع الأخطار ، وتوهم الأنداد بمواتاة الأنداد ، وهرف الأمل ، في هصر الأمل ، وإطالة الفكرة ، تشفع المسكة ، ورأس الرياسة ، تهذيب السياسة ، ومع الحاجة ، تبنى الحاجة ، وعهد الأوجال تتفاضل الرجال ، وتتفاضل المهم تتفاوت القيم ، وتزيد السفير ، بين التذير ، ويغفل الأحوال ، بين الأحوال ، ويعوجب العبر ثمرة النصر ، واستصفاه الاحاد ، بحسب الاجتهاد ، ووجوب للاطلاع ، كفاءة المحافظة ،

وَيَقْنُ أَنْ مَا يَنْفَكُ أَرْمُ سَوْفَ يَقْدَرُ

وصفاء للوالى ، بعمد الموالى ، وتحلى للرواة بحفظ الأمانات ، واختار الاخوان بجهيف الأجران ،
 ووقع الأعداء بكف الأوداء ، وامتحان العقلاء بمقارنة المهاد ، وتصر المواب يؤمن للمطاب ، واتقاء
 الشفنة بغير السمعة ، وقبح الجفاء ينال الوفاء ، وحرر الأحرار ضد الأسرار .
 وقوله من خطبة لأخط فيها ولا إمام - فى مقامته السرقندية :-

« الحمد لله المدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء للدعوى لحسم اللاؤاء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم ،
 وأهل السباح والكرم ، ومهلك عاد وإرم ، أدرك كل سر عله ، ووسع كل مصر عله ، وهم كل عالم طوله ،
 وهد كل مارد حوله ، أحدهم حمد موحد مسلم ، وأدعوه دعاء مؤهل مسلم ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد
 الأحد ، العادل الصمد ، لا ولد له ولا والد ، ولا رد معه ولا مساعد ، أرسل محمداً للسلام بهذا الخ »
 وفى مقامته المراسية - رسالة ، « حروف إحدى كتبها يبدأ القط وحروف الأخرى - كما يقول - لم
 يجمع قط » وحى :

« الكرم - تمت الله جيش سمودك - برين ، والظؤم - غس الله جن حودك - بشين . والأروع
 يشب ، والموور يعب ، والمجادل يصف ، والمائل يخيف ، والسبع يهذى ، والمحك يهذى ، والعطاء
 ينهى ، والمطال ينهى ، والعطاء ينى ، والمصح ينى ، والمجر يجرى ، والاطلاق يجرى ، وأطراح دى الحرمة
 هى ، ومجرمة بى الآمال هى ، وما ضى إلا سبى ، ولا دين إلا سبى ، ولا غرن إلا شقى ، ولا قبض راحة
 تلقى ، وما فى وعدك بى ، وآراؤك تشقى ، وهلاك بى ، وحلك ينهى ، وآلاؤك تنهى ، وأعدائك
 تنهى ، وحسامك يبنى الخ الخ . »

وله رسالة شنية كتبها - على لسان بعض الأسراء - إلى بعض أصدقائه كتاباً :
 باسم الصبح القدوس أستفتح ، وبأسماؤه أستفتح ، سيرة سيدنا الأسفهلار ، السيد العيس ، سيد
 الرؤساء ، سيف السلاطين ، حرسن قبه ، واستنارت شسه ، وانلق أنه ، وسق حرسه .
 إلى أن يقول :

« وسيف السلاطين مستأثر بأس السباع وحسو الكؤس
 سلاى ، وليس لاس السلاى يناسب حسن سيات العيس
 وسن تناسى خلاصته وأسوا الجباب تناسى الخليس
 وسر حودى طمس الرسوم ، وطس الرسوم كرمس القوس
 وساق الحسام بكأس السلاف ، وأسهى يموس دوس . »

إلى آخر القصيدة .

ورسالة شنية ، وحى القى كتبها لأحد أصدقائه يمدحه فيها ، وفيها يقول :

« بأرشاد للننى ألقى ، شقى بالشبح شمس الأشراء ، رش ماشه ، ومشا ريشه ، وأشرق ههاه ،
 واشتوشت شمابه ، بماكل شفق للننى بالنشوى ، وللرمنى بالرشوى ، والشادن بمرخ الشباب ،
 والمطشان إلى شيم القراء ، وشكرى لتشمه ومنقته ، وشواهد شفقه ، بماكل شكر الشاهد للشند ،
 وللمترهد للرشد ، والمستشر للبعد ، والمستبش للبعش للمشر ، وشماوى إنشاد شمرة ، وإشهاد
 الكشع والمكاف بغيره »

ومكنا إلى أن قال :

« فأشماره معجورة ، ومغامره وعفرته مفكورة ، وعشاره
 . شأى الشراء طلمعاهن شمرة . فثابه وعجى الحفا ، ومغامره
 . وعوه ترقش للرئس رقبه ، فأشياه يشكوه ، ومغامره »

إلى المعتمد على الله

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أبده الله . »

يَأْتِيهَا الظَّافِرُ نِلْتَ الْمُنَى وَلَا يَتَلَنَا فِيكَ عَذُورُ
إِنْ الْخِلَالَ الزُّهْرَ قَدْ صَمَمَا قُوبُ عَلَيْكَ - الدَّهْرُ - عَزُورُ
لَا زَالَ لِمَجْدِ الَّذِي شِدَّتُهُ رَنَجٌ - بِتَعْمِيرِكَ - مَمُورُ
حَتَّى يُوفَى فِيكَ مَا يَتَنَى مُتَضَرِّدٌ بِأَقْبِهِ مَنُورُ

* *

وَأَفَاكَ نَظْمٌ - لِي فِي طَبِيعَةٍ - مَعْنَى مُعْنَى اللَّفْظِ مَسْئُورُ
مَرَامُهُ يَصْنَعُ ، مَا لَمْ يَبْجُحْ - بِالسَّرِّ - قُمْرِي^(١) وَعُصْفُورُ
وَبُلْبُلٌ ، ثُمَّ يَكْرَهُ اللَّذَا تَقَدَّمَا ، فَالْأَفْظُ مَكْرُورُ
ثُمَّ تَرَى الْبُلْبُلَ قَدْ حَنَّهُ نَسْرٌ ، بِهِ الشَّفْنِينُ^(٢) مَنُورُ
ثُمَّ الْغُرَابُ الْجَوْنُ ، يَتَلَوُّ قُمْرِي وَدَرَجٌ وَزَرْزُورُ

وشاق الشباب لهم والشيب وشيه ، فنشوره بهرى الشوق ، ونافره
بهاك مشوة - كشوة - وهريه مستهر ، ومافره .

إلى آخر القصيدة .

(١) القمري : طائر حسن الصوت - ويجمع على قمارى - ويقال لذكر منه : الورشان .

قال ابن سيده : « القمري طير صغير » وعده - فى الحكم - من الحمام .

وله زهير أن القمارى - إذا مات دكورها - لم ترواج لاتها .

والورشان - الذى هو ذكر القمري - يوصف بالحنو على أولاده ، حتى أنه ربما خلى شفه إذا وآما فى
يد القامس ، وقد مر بك فى « ص ١٠٧ » قول ابن زيدون :

« إن ننى البلبل احتاج غناء الورشان »

(٢) الشفنين - كما فى حياة الحيوان وابن الجيتر - نوع من الحمام ، قالوا : « وهو الذى نسيه القامة

بالعلم » وجهه شفاف .

ثُمَّ يَلِي الدَّرَاجُ^(١) مِنْ بَعْدُ غَزْزٍ نَيْقٍ^(٢) - وَمُكَّاهُ^(٣) وَمُرْشُورُ^(٤)
وَبَاشِقٍ، ثُمَّ إِذَا حَلَقَ الشَّاهِينُ - وَالْمُصْفُورُ مَذْعُورُ -
ثُمَّ مِلَّ الْمَكَّاهُ يَصْدُقُكَ، وَالْمُصْفُورُ، وَالْقُمْرِيُّ مَزْجُورُ
وَإِنْ جَرَى الدَّرَاجُ فِي إِثْرِهِ الرِّزْزُورُ - فَالْمَطْوِيُّ مَنَشُورُ
وَتُحْمٌ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَوْضُوعَهَا حَرْفٌ، لِفَصْلِ اللَّفْظِ مَقْدُورُ
وَفِي الَّذِي تَمَسَّتْ نُصْنَعُ، لِمَنْ جَدَّ - مِنَ الْأَعْدَاءِ - مَشْكُورُ^(٥)

- (١) الدراج - هم الدال - طائر طاهر صاحبه أكبر ، واطلبها أسود - وحجم الطائر إلا أنه أظلم .
والحافظ يشبه من جنس الحمام ، لأنه يجمع بينه تحت صاحبه كما يعمل الحمام .
قالوا : وهو كثير التاج ينفر ، بقدم الربيع ، وهو يصلح بهبوب الفيلان وصماء الهواء ، ويسوقه
بهبوب الجنوب ، حتى لا يقدر على الطيران .
(٢) الفريق أو المرفوق : طائر مائي ، وقيل هو الكركي أو طائر يشبهه .
قالوا :
وهو دون الحمام - في القدر - ولونه الحمر مع كورة ، وفي صوته ترجيع وتحرير .
ومن شأنها أنها تحس أصواتها - إذا اخطط - ومن طمحه أنه إذا قد أناه لم يزل - بها يرمون -
أهز إلى أن يموت ، وكذلك الأفي إذا وقعت ذكرها .
قالوا :

وهو شديد الاحتراس ، وبه أفة للبيوت .

- (٣) المكاه : طائر . (٤) المرشور : طائر يسمى : « البرفش » وحجمه فراشير .

(٥) واليت الطير في هذه القصيدة هو :

« أت - إن لم - طائر فليطع من ينار . »

ولنضع في الجدول التالي أمام كل حرف طائفة على الترتيب الذي ذكره في القصيدة هكذا :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
أ	قرى	ع	سر	ف	دراج	ن	عصفور
ن	عصفور	ز	شقيق	ل	خرنيق	ي	مكاه
ت	بلبل	ط	عراب	ي	مكاه	ن	عصفور
ا	قرى	ا	قرى	ط	مرشور	ا	قرى
ن	عصفور	ف	دراج	ع	باشق	ف	دراج
هـ	مل	ر	زرزور	م	شاهين	ر	زرزور

جواب^(١)

« جابره ذو الوزارتين رحمه الله . »

حَفَلَى - مِنْ نِعْمَاكَ - مَوْفُورٌ وَذَنْبُ دَهْرِي بِكَ مَقْفُورٌ
وَجَانِبِي - إِنْ زَمَنِي رَامَهُ - حَجَرٌ^(٢) لَدَى ظِلِّكَ مَعْجُورٌ



يَا ابْنَ النَّدَى سِرْبُ الْهَدَى آمِنٌ مِنْذُ أَنْبَرَى يَحْمِيهِ مَوْفُورٌ

وليعلم القارئ أن الشاعر في قوله : « ثم إذا خلق الشاعر . » ساقط ليس له حرف معناه كغيره من
طبور القصيدة ، وقد أشار إليه قوله :

« و ثم فاعلم أن موضوعها حرف لفعل اللفظ مقدور . »
وقد سلكه المعتمد ، وجابره بالقصيدة التالية :

« يا حير من يلحظه ناظري ، شهادة ما شابها زور
ومن إذا ما ليل حطب دجا لاح به - من رأيه - نور
رأيتك - إما شئت - مارم عصب على الأعداء مغمور
جاءني الطير التي سرّما ظم به ظلي مسرور
شمر هو الحر فلا تنكروا أني به - ما عشت - مسحور
الأمط والفرطاس - إن شها - قبل ما منك وكأبور
وإنه لما أحدى خاطري مسائل جابوب عصفور
هو لي جيش الطير من فكرتي صغر نولي وهو مغمور
ملاح لي بيت فؤادي له دأنا على ودك مقصور
هذهك من شكري يا سيدي بما بدا لي منك موفور
فصرت في ظمي فاعصر في صاماك في التصغير مغمور
مأنت إن تنظم وتثر قته أموز مظلوم ومثبور
لا يمدكم روض من الحظ في ال إكرام والترقيع مغمور . »

(١) ست ابن ريدون بهذه القصيدة للمعتمد ردا على قصيدته التي ذكرناها في هذه الصفحة .

(٢) الحير الكف أو الحرام ، يقال : ع هذا حير عليك أي حرام و « نشأت في حجر فلان »
أي في كنفه ومنضته وحفظه وسقته .

أَجَبْتُ أَمْرِي بِاللَّيْلِ لَمْ يَزَلْ يُصْنِي إِلَيْهِ مِنْهُ تَأْمُورُ
الْبَيْسَ مِنْكَ الْمَلِكُ أَسْنَى الْخَلَى بِظَافِرٍ يَتْنِيهِ مَتْمُورُ

* *

يَا مُرَوِّى الْمَأْمُورِ، يَا بَنَ لَهْ عَجْدَه - مَعَ الْأَيَّامِ - مَا تُمْرُ
عَبْدَكَ - إِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهِ - فَهَوَّ بِمَا تُؤْلِيهِ مَشْكُورُ
إِنْ تَعَفَّ عَنْ تَقْصِيرِهِ مُنِمًا فَالَسَّرُو^(١) أَنْ يُقْبَلَ مَبْسُورُ
إِنْ حَلَّالَ السَّخْرِ - إِنْ صُنَّتْ - فِي مُحِيفِ الْأَنْفُسِ مَسْطُورُ
نَظَّمْ زَهَانٍ مِنْهُ إِذْ جَاءَ فِي عِلْقُ عَظِيمِ الْقَدْرِ مَذْخُورُ
هَوَى إِلَيْهِ طَرَبًا خَاطِرِي كَمَا تَلَقَّى الْوَصْلَ مَهْجُورُ
لَا غَرَوْ أَنْ أَفْتَنَ إِذْ لَاحَظْتَ فِكْرِي مِنْهُ أَعْيُنُ حُورُ
تَشِيفُ عَنْ مَعْنَاهُ الْفَاطَةُ كَمَا وَشَى بِالرَّاحِ بَلُورُ
جَهَلْتُ - إِذْ عَارَضَتْهُ - غَيْرَ أَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَنْفُثُ مَصْدُورُ

* *

يَا آلَ «عَبَادِ» مُوَالَاتِكُمْ، زَالِكِ - مِنَ الْأَعْمَالِ - مَبْرُورُ
إِنَّ الَّذِي يَرْجُو مُوَادَاتِكُمْ - مِنَ الْمُنَاوِينَ - لَمَعْرُورُ
مَكَانَهُمْ مِنْكُمْ كَمَا انْحَطَّ عَنْ مَنَزِلَةِ الْمَرْجُوعِ - مَجْرُورُ
يَذْنُو إِلَيْكُمْ مَا نَأَى عَنْكُمْ إِنَّ الْعُلَى مِنْ أُنْسِهِ نُورُ
لَا زِلْمٌ تَشَاوَرْتُمْ مَا انْجَلَى عَنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ - دَيْجُورُ
وَلَا يَزَلْ يَجْرَى - بِإِرَائِكُمْ أَعْمَارُهُمْ - فِيهِ مَقْدُورُ

إلى المعتمد

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أيده الله »

يَا مُرْصِنَا كُلَّ غَدَمٍ وَمُرُوبَا كُلِّ لَهْزَمٍ
وَيَا سَمِيَّ الْمَصَلَّى عَلَى أَسْمِهِ وَالْمُسَلَّمِ
وَيَا ابْنَ أَعْظَمَ مَنْ هَا بَهُ الْمُلُوكُ وَأَكْرَمُ
وَأَفَاكُ - لِلطَّيْرِ - سِرْبُ لَدَيْهِ سِرُّ مُكْتَمٍ
إِنْ تَسْأَلِ الطَّيْرَ عَنْهَا مُسْتَعْلِمًا مِنْهُ تَعْلَمُ
وَالْفَسْرُ وَالرَّهْوُ^(١) يُنْبِئُكَ وَالظَّلِيمُ^(٢) الْمُسَلَّمُ

(١) الرهو : الكركي ، وهو - كما جاء في صبح الأعشى - طائر أعرج طويل الساقين في قدر الأوزة ، ويجمع على كراكي ، وفي طبعه خور يحمله على السحارس ، حتى إنه إذا - اجتمع جماعة من الكراكي - يحرسها بالوبة بينها ، ومن شأن الذي يحرس منها ، أن يهتف بصوت حي ، كما به يندب بأنه حارس . فإذا قصى بوته قام واحد من كان قائما يحرس مكانه حتى يقضى كل منها بوجهه من الحراسة ، ولا تطير متفرقة بل صما واحدا يقدها واحد منها - كالرئيس لها - وهي تنبهه ، يكون ذلك حيناً ، ثم يخلعه آخر منها مقدما حتى يصير الذي كان مقدما وحرًا ، وفي طبعها التناصر والتحامد ، ومن حاصتها أن أشاعها لا تهدد السفاد بل يسمدها - وهي قائمة - ويكون سفاده مريما كالصفور .

وقال الفروسي - في عجائب المخلوقات :

والكركي لا يبعى على الأرض إلا بأحدى رجليه ، ويطلق الأخرى ، أو يصعها وصعاً خفيفاً بحانة أن تحصب به الأرض .

قال - في « للمبايد والطارد » :

وهو من أمد الطير صوتاً يسمع على أذيال .

فلما : وكانت الكراكي تأتي إلى مصر من بلاد الترك ، وفي طلبها وصيدها كانت تتنالي ملوك مصر تنالها لا يدرك حده ، وتنفق في ذلك الأموال الجمة .

(٢) الظليم - ذكر النعام - وقد جاء في صبح الأعشى في معرض الكلام عن النعام - قوله :

« هو طائر معروف ، مركب من صوري جل وطائر ، وقلبك تسميه الترك « دواش » بمعنى « طير

جل » وتسميه الفرس « اشتر مرك » ومنه « جل طائر » وبمى ذكر النعام : الظليم . فلما : ومساكنها الرمل ، وتضع بيضها سطرأ سهيلاً ، بحيث لو مد عليها خط لم تخرج واحدة منها عن الأخرى ، ثم تغطي كل بيضة منها تسمىها من الحزن ، لأنها لا تستطيع ضم جميع البيض تحمها .

ثُمَّ الْمَدِيلُ ^(١) تَلِيهِ حَمَامَةٌ تَدْرَبُ
إِلَى عُقَّائِينَ تَدْعُوهُمَا الظَّلِيمَ فَيَقْبَهُنَّ
ثُمَّ الْعُقَابُ ^(٢) مَعَ الصَّقْرِ، فَهَوَّ بِالْشَّرْحِ أَنْعَمَ
وَالرَّالُ ^(٣) وَالرَّهْوُ وَالْقَبْسُجُ ^(٤) فَالْثَلَاثَةُ حَوْمٌ
ثُمَّ الْعُقَابُ فَسَلَهُ وَالصَّقْرُ لَا يَتَلَمَّعُ

وإذا خرجت الطعم ، فوجدت يمين نعامه أخرى حصدت وسبت يصها مربما حضت هذه يمين هذه .
ولذلك توصف - في الطير - بالحق .

ويقال : إنها تقسم يمينها أثنان ، فيه ما تحسنه ، وفيه ما تحب غداها ، ومنه ما تحسنه وتحب في الهواء
حتى يتولد فيه الدود تصدى به أراخها إذا خرجت . طوا :

« وليس لنعام حاسة سمح ، ولكنه قوى الهم ، يستنى نشه من سماعه . حتى يقال : أنه يعم راحته
القاس من يد . وفي أساطير العرب :

أن النعام ذهبت تطلب قرين تظفوا أذينا .

ومن خصائصها أنها تطلع الطعم الصلب والحمر فتديه معدتها .

(١) المدبل ذكر الحمام ، قال أبو العلاء في دالته للمهورة :

« يا بنات المدبل : أسعدن أوهدي قليل البكاء بالاسعاد . »

(٢) العقاب : طائر من الحوارج تسمى العرب بالكاس ، قيل للعقاب سيد الطيور والنسر هريها «

وتقول العرب : « أصر من عقاب » قال ابن دريد في مصوره الزامة :

« فاستزل الرياء - فسرا - وهي من عقاب لوح الجو أعلى منسى . »

وقد جاء في صبح الأعشى : أن العقاب مؤنة لا تذكر ، وتجمع على عقبان وأعقب .

وحاء في « المصايد والمطارد » قوله :

« وهي من أعظم الحوارج ، وليس بعد النسر في الطير - أعظم منها وأصل لونها السواد . »

فنها سوداء دحرجية ، وحدادية - وهي التي لا يابس فيها - ومنها القماء - وهي التي يحاطل سوادها

يباض - ، ومنها القفراء وهي التي في رأسها قط يابس - قال « أبو عبيدة » و « يوس » :

« ويقال لذكر العقاب « الرن » ويقال إن ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجرم لانسوى شيئا ،

تلمب بها الصبيان » والعقاب من أسرع الطير طيرا . (ارجع إلى صبح الأعشى - ٢ ص ٥٣)

(٣) الرال : ولد الحمام ، قال أبو العلاء :

« قد كنت قلت - في كلام لي قديم - إنني قد هجرت الشعر هجر الرال تركته . »

(٤) القبيح : والكروان ، حمرب « كج » بالفارسية وهو طائر في قدر النجاة طويل الرحاين

حسن الصوت لا ينام الليل .

إِلَى حُبَارَى ^(١) وَبَارِ وَحَالِكِ اللَّوْنِ أَغْصَمَ ^(٢)
ثُمَّ السَّمَاءُ ^(٣) مَعَ الرَّاءِ لِيَكُنْ يَبُوحَ الْمَجْنَمِ ^(٤)
إِلَى عُقَابٍ وَرَهْوٍ يُفْصِحُ بِمَا شِئْتَ أَسْخَمَ
وَمَا الظَّلِيمُ بِآلٍ فَلَوْ زَجَرْتَ لَتَرْجَمَ
ثُمَّ الْمُقَابُ سَيُوحِي لِلصَّغْرِ لَا تَتَكَلَّمْ
وَعَقَقْتُ وَهَدَيْتُ وَالْقَبْجُ فِي ذَلِكَ مُلْتَمِ
وَتُحْمُ فَصَلُّ كَمَا قَدْ صَدَّتْ فِيهَا تَقَدَّمَ
يَا مُلَيْسَ الدَّهْرِ وَشَيْءًا مِنَ الْجَمَالِ مُتَنَمِّ
إِسْلَمَ سَنَى الْأَمَانِي مُؤَزَّرَ النَّصْرِ مُطْمَنِّ ^(٥)

-
- (١) الحبارى : طائر - يقع على الذكر والأنثى - قالوا : « ويصرب به للتل - و البلاطة والبنى يقال : هو أبه من الحبارى » قبل ذلك لأنها إذا غيرت عصفها ذكته وحملت بيض غيرها .
(٢) الأغصم : الظهي . قال ابن دريد :
« لو ناحت الأغصم لانخط لها - طوع القباد وعماريج الدرى .
وجهه صم ، قال الشاعر :
« وادبني حتى - إذا ما هنتى يقول يحمل الصم سهل الأباطح
تأديت عى حوى - لالى حيلة - وطادرت ما طادرت بين الجوامع »
(٣) السهام : ضرب من الطير ، واحدة سامة .
(٤) المجسم : الذى لا يلمس ، قال للمرى :
« جيم هذا الزمان قولا وكلنا يرتمى بانه . »
(٥) « ولجئت الطير - فى هذا الصغر - هو :
« أموات مدرك ، واحلم ، واظفر بمؤك - وألم . »
وقد نسكه المحدث

بيت مطير

« وكتب اليه المتمد أبده الله

ياسيدي يا ممدن السلم

يا آله للحرب والسلم

وجه طيور الشعر نحوى قد

بث فؤادى شرك القهم

ممت اليه بيت مطير وجلو به رحمه الله .

يا ابن البذور الزهر من نحم	الحقني برك بالنجم
بالعلم زين البزدي بالرقم	يا لابس المجدي الذي زانه
شاقهت تلك الكف بالشم	قد ليمت كنى الدراى مذ
يمضى مضاء القدر الحشم	قلد منك الملك غضب الطبأ
وحده من نافذ العزم	فريدته الرزاق من بشره



مؤلف اللؤلؤ في النظم	قد جاءني النظم الذي خلته
في غفل عالي رائق الوشم	حلميني منه بفخري يرى
بصيدها في شرك القهم	مستدعيا طير المعنى ليكن
بستخرج الإفصاح من قجم ^(١)	فها كها تهدي إلى خاطير

(١) البيت بطبع في هذه القصيدة هو :

والبيت المطير

إِظْفَرُ كَمَا أَنْتَ ظَافِرٌ بِكُلِّ غَاوٍ مُتَافِرٍ

وطير له أیده الله یتین وهما

«شعر من محض وده»

لك في علم طيره

فهي مهما زجرتها

لم تخبر بغيره . «

ف فكهما وجاوبه رحمه الله

أَيُّهَا الْمَاجِدُ الَّذِي خَيْرُهُ وَفَقُّ خَيْرُهُ

وَالَّذِي سَيَرُّ مُشْتَرِي أَفْقًا دُونَ مَسِيرِهِ

مَلِكُ صَحٍّ - مِنْ أَدِيمِ الْمَدَى - قَدْ سِيرِهِ

فَهُوَ - الدَّهْرُ - نَفْعُهُ حَاضِرٌ، دُونَ ضَيْرِهِ

* * *

يَا لَلْبَلِي سَمِئْتُ مِنْ سَهَرِي فِي قُبَيْرِهِ ؟

عَزَّ - فِي وَهْدٍ - مَرًّا مُمْ عَنَا فِي سُحَيْرِهِ

«شِعْرٌ مِنْ غَضُّ وَدِّهِ لَكَ فِي عِلْمِ مَسِيرِهِ

فَقَى - مَهْمَا زَجَرْتَهَا - لَمْ يُخْبِرْ بِبُيْرِهِ . «

جواب على بيت مطير

« قال يمدح المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن
المعتض بالله وعباد بن محمد بن عباد ، أدام الله
تأييده ، في حياة أبيه - وكان قد عمى له بيتا :
« الحاجب الأعلى المعتضد قرّة عين المعتمد »
ههنا - أيده الله وجاوبه بأربعة أبيات ، وهي :

ياسيدي ، الأعلى ومن
أعدهته أقوى العدد

حلت طيورك في ، وقد

قرّبت منها ما بعد

كاشفتنا عن سرّها

فوشى إلّا بها العرد

يتا بدلّ على اعتقا

دك يا جيل المعتد

الحاجب الأعلى المعتضد

قرّة عين المعتضد

لجاوبه ذو الوزارتين بقصيدة ، وهي : «

لَوْ أَنَّ مَنْ جَارَ قَصْدٍ لَمْ يَخْزِ - عَنْ وَصْلِي - بِصَدِّ

سَيِّئٍ هَدِي - أَرْخَصَتْ عَيْنَاهُ فِي قَتْلِي التَّمَدِّ

مَالِكُ سُلْطَانِ الْهَوَى أَمْنَهُ مِنَ الْقَوْدِ «١»

مُخْلَدٌ خَلَدَ - بَرَّ حَ الشَّوْقِ - فِي كُلِّ خَلَدٍ

وَعَرُّ الرِّضَى ، لِحُبِّهِ نَهَجٌ - إِلَى قَلْبٍ - جَدَدٌ

فَلَسِ إِذَا مَا قِيلَ : « أَبْلَى حُلَّةَ الْهَجْرِ ، أَجَدُّ
أَوْ قُلْتُ : « قَدْ هَبَّ نَسِيمُ الْوَصْلِ لِي مِنْهُ ، رَكَدَ
مَا كُنْتُ آبَى صَدَّهُ لَوْ أَنَّ سُلُوءِي صَدَّ

فِتْنَةٌ وَجَدٍ ، هِيَ كَالْفِتْنَةِ فِي الْمِجْلِ الْجَسَدِ
فَمِزُّ مَبِينٍ ، طَرَفُهُ يَتَصِفُّ بِالْخَصَمِ الْأَلَدِ
عَصَفَ « أَبِي الْقَاسِمِ » بِالْقَتْلِ إِذَا الْقَتْلُ مَرَدَ
الْحَاجِبُ الْأَعْلَى الَّذِي لَوْ مَا جَدَّ الشَّمْسُ مَجَدَّ
نَحْضُ الثَّقَى ، عَثَّ الْهَوَى فَمَرُّ النَّدَى ، صَدَقُ الْجَلَدِ
رَكِيزُ طَوْدِ الْحِلْمِ إِنْ حُبَاهُ فِي النَّادِي عَقَدَ
مُوقِفُ الْأَنْهَاءِ مَا دَ فِي أَسَالِيبِ الرَّشَدِ
لَوْ قَصَّ كُنْهَ جُودِهِ لِلْبَحْرِ وَاقٍ ، فَاسْتَدَّ
مُؤَمِّلٌ - مَعَ الرِّضَا - يُهَابُ فِي حِينِ الْبُعْدِ
إِنْ قُلِدَ الْأَمْرُ كَفَى وَإِنْ تَوَلَّى الثَّغْرَ سَدَّ
مَلَأَ مَمْلَحَ قَاضٍ فِي بَحْرِ ذِكَاةٍ فَاتَّقَدَّ
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، يَا مَوْلَى يَبَارِيهِ أَعْتَضَدُ (١)
وَمَنْ - بِفَضْلِ أَهْلِهِ - حَا زَ النَّصْرَ فِي جِدِّ وَجَدَّ

أَصْبَحَ أَطْلَى وَالِدٍ فَأَوْقَهُ أُنْسَى وَلَدَ
حَدَّثَنَا عَنْ سُرُورِهِ (١) نَاهِيكَ مِنْ قُرْبٍ سَنَدَ

* *

مَلَكٌ - إِذَا نَحْنُ أَصَمَدٌ نَا مِنْهُ أَوْفَى مُعْتَمَدٌ -
تَهَلَّلْتُ كَمَنْسُ جَبِينِ وَأَسْتَهَلَّتْ مُزْنُ يَدِ
مُحَصَّنُ الدَّهْرِ الَّذِي أَصْلَحَ مِنْهُ مَا قَسَدَ
وَمَاضِي الدِّينِ الَّذِي قَدْ كَانَ - قَبْلُ - يُضْطَهَدُ
وَنَاصِرُ الْعِلْمِ الَّذِي نَفَقَهُ لَمَّا كَسَدَ
مَنْ لَمْ يَمِزْ إِلَّا وَفَى، وَلَا وَفَى إِلَّا وَعَدَ
شَاوَرَنِي - فِي أَمْرِهِ - شَيْخَانُ لَوْ شَاءَ اسْتَبَدَّ
يَخْشَى الْعَدُوَّ مِنْهُ عَزَّ مَ قَسُورِ شَاكِي اللَّبَدِ
مَنْحُ لَهُ - مَهْمَا عَنَّا - فَظٌّ عَلَيْهِ إِنْ عَنَدَ
كَالسَيْفِ - فِي عَالِيهِ - إِنْ رَاقَ فِرْنْدُ رَاحِ حَدِّ
يَا مُهْدِي السَّمَطِ الَّذِي قُلْدَتْهُ فَنَخَرِ الْأَبَدِ
أَحْسَنُ مِنْ رَقْمِ عِذَا رِ سَائِلِي فِي وَشِي خَدِّ
أَوْ مَبْنِيهِمْ حُلُوِّ اللَّمَّا يَفْتَرُّ عَنْ عَذْبِ بَرْدِ

إلى المعتمد

قَدْ قُلْتُ - لَمَّا هَزَنِي مِنْهُ الْبَدِيعُ الْفُتَقْدُ -
« نَسِيمُ أَيْلُولٍ سَرَى أَمْ وَرْدُ نَيْسَانَ وَرْدُ »
خَاطِرِي السَّهْمُ وَشَى بِسِرِّ طَائِرِي لَا الصَّرْدُ
وَفِطْنَةُ تَأَلَّفَتْ - مِنْ الْمُعَى - مَا شَرْدُ
شَنِئْتُ أَغْرِهَا فِي شِبْلِ مَلِكٍ مِنْ أَسَدُ

يَا آلَ « عَبَّادٍ » مَنَا لَوْ لَيْسَ يَعْدُوهُ السَّدُّ
مَنْ لِي بِشُكْرِ نِعْمَةٍ ، الْحُرُّ عَنْهَا مُتَبِّدُ
سُوِّغَتْ مِنْهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ فِي الْعَبَشِ الرَّغْدُ
حَبْتُ اسْتَضْيَفَ مَنَهْلُ مَصْفَا إِلَى ظِلِّ بَرْدُ
كَأَنَّمَا لِي جَنَّةُ حُفَّتْ بِمَكْرُوهِ الْحَسَدُ
يَحْمِلُهَا مِثْقَى وَافِي الشُّكْرِ صَافِي الْمُتَقَدُّ
كَمْ قَامَ بِالشُّكْرِ إِلَى أَنْ أَثَقَلَتْهُ قَعْدُ
قَصَرَ ، لَكِنْ لَمْ يَقْصُرْ مُبْلِغُ الْمَذَرِ اجْتَهَدُ
وَقَيْتُ بَطْنِ الْعَيْنِ فِيكُمْ بِالْمَعَى لَا بِالرَّمَدُ

صرعى الحب ^(١)

أَخَذْتُ ثُلُثَ الْهَوَى غَضَبًا ، وَلِي ثُلُثُ ، وَالْمُحِبِّينَ - فَيَا يَنْتَهُم - ثُلُثُ
تَالَهُ ، لَوْ حَلَفَ الشُّشَاقُ : أَنَّهُمْ مَوْتِي مِنَ الْوَجْدِ - يَوْمَ الْيَتِيمِ - مَا حَشَوْا

(١) من شعر ابن زيدون الذي قال في معية صباه ، وقد أورده للرازي صاحب كتابه المعبود في تاريخ أخبار المغرب ، ولم يرد في ديوان ابن زيدون

قَوْمٌ - إِذَا هَجَرُوا مِنْ بَعْدِ تَاوِيلُوا - مَاتُوا ، فَإِنْ عَادَ مَنْ يَهْوُوهُ بُشُوا
رَى الْمُجِبِّينَ صَرَخَى - فِي عِرَاصِهِمْ - كَفَيْتِ الْكَهْفِ ، مَا يَذُرُونَ مَالِبُوا

ذكرى قرطبة

« وما لله يشوق ابنة المهدي ومعهده قرطبة ، وضمنها

يت أبي الطيب - في أول قصيدته الكافورية :

« بم التعلل ؟ لا أهل ، ولا وطن ،

ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن ؟ »

قصيدة أولها (١) :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - وَجَفَأَ أَجْفَانَهُ الْوَسَنُ
يُحْنِي لَوَاجِهُ - وَالشَّوْقُ يَفْضَحُهُ - فَقَدْ نَسَاوَى - لَدَيْهِ - السُّرُّ وَالْعَلَنُ
بَاوِيلَتَاهُ ، أَيْتَى - فِي جَوَانِحِهِ - فَوَادُهُ ، وَهُوَ بِالْأَطْلَالِ مُرْتَهَنُ
وَأَرْقَ الْعَيْنَ - وَالظُّلُمَاءَ مَا كَيْفَهُ - وَرَقَاهُ قَدْ شَقَّهَا - إِذْ شَفَنِي - حَزَنُ
فَبِتْ أَشْكُو وَتَشْكُو فَوْقَ أَيْكَتِهَا - وَبَاتَ يَهْفُو أَرْيَاحًا يَتَنَّا النُّعْصَنُ

* *

بَا هَلْ أَجَالِسُ أَفْوَاتِمَا أُحِبُّهُمُ - كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ ظَلَمْنَا
أَوْ نَحْفَظُونَ عُهُودًا لَا أَضِيْعُهَا - إِنَّ الْكَرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - نَحْتَمَنُ
وَمِنْهَا :

إِنْ كَانَ عَادَكُمُ عَيْدٌ ، قَرُبَ فَتَى - بِالشَّوْقِ قَدْ عَادَهُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ سَحَرَنُ
وَأَفْرَدَتْهُ اللَّيَالِي - مِنْ أَحْبَبِهِ - فَبَاتَ يَنْشِدُهَا - مِمَّا جَنَى الزَّمَنُ - :
« بِمِ التَّمَلُّ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنٌ ؟ وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنٌ ؟ »

(١) ذكرها ككتاب الحب في تلويح أخبار المغرب ، ولم ترد في ديوان ابن زيدون .

رَسَائِلُ ابْنِ بُدْوَانَ إِخْبَارُهُ

وَشِعْرُ الْمَلِكَيْنِ

وَإِخْبَارُهُمَا

الرسالة الهزلية (١)

أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا الْمَصَابُ بِمَقْلِهِ ، الْمُرْطُ بِمَجْهَلِهِ ، الْيَتِيمُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ
غَلَطُهُ ، الْمَائِرُ فِي ذَيْلِ اغْتِرَابِهِ ، الْأَعْمَى عَنْ شَمْسِ نَهَارِهِ ، السَّاقِطُ - سُقُوطَ
الذُّبَابِ - عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَابِتُ - تَهَابَتِ الْفَرَاشِ (٢) - فِي الشَّهَابِ ، فَإِنَّ الْمُجَبَّ
أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةُ الْمَرءِ نَفْسَهُ أَصَوْبُ ، وَإِلَّاكَ رَأْسَتُنِي مُسْتَهْدِيكَ - مِنْ صِلَاتِي -
مَا صَغِيرَتْ مِنْهُ أَيْدِي أُمْنَالِكَ ، مَتَّصِدِيَا - مِنْ خُلَّتِي - لِمَا قَرِعتْ دُونَهُ أُتُوفُ (٣)
أَشْكَالِكَ ، مُرْسِلَا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلَا عَشِيقَتِكَ قَوَادَةً ، كَاذِبَا فَنَسِكَ
أَنْكَ سَتَرِلُ عَنْهَا إِلَيَّ ، وَتَخْلُفُ - بَعْدَهَا - عَلَيَّ :

« وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٤) »

* *

وَلَا شَكَّ أَنَّهَا قَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَعْنِ بِكَ ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَقَرَّ عَلَيْكَ ، فَلِإِنِّهَا
أَعْذَرَتْ فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَائِمَةٌ أَنَّ الْمَرْوَةَ لَفْظُ
أَنْتَ مَعْنَاهُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ أُنْمُ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيْوَلَاهُ (٥) ، قَاطِمَةٌ أَنْكَ أَنْفَرَدْتَ

(١) انظر ص ٢٣٧

(٢) الفرائش معهود بأنه يطرح فيه في النار فيحترق ، قال الشاعر :

« هل أتم إلا الفرائش رأى الشهاب وقد توفد »

فدنا ، فأحرق نفسه ولو احتدى برد الأعداء .

(٣) قرع الألب أي العجز والذلة ، والبرص تحول الكند : « هو الفحل لا يبرح أبدا » وقد قال

ابن زيدون في إحدى قصائده في « ص ٦٧ » : « وأف الفحل لا يبرح . »

(٤) الليت للمتي ، وهو من قصيدته للمهورة :

« إلام طماعية العاذل ولا رأى في الحب لخالق »

يراد من القلب سياجكم وتأوى الطامع على النائل .

والقصيدة معهود طريح إليها القارى في ديوانه إن شاء .

(٥) أصله وحليته .

بِالْجَمَالِ ، وَأُسْتَأْثَرَتْ بِالسَّكَمَالِ ، وَأُسْتَعْلِيَتْ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَأُسْتَوَلِيَتْ
عَلَى مَحَاسِنِ الْفُلَالِ ، حَتَّى خَيَّلَتْ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَاسَنَكَ فَفَضَضَتْ
مِنْهُ ، وَأَنَّ أَمْرَأَةَ الْعَزِيزِ ^(١) رَأَتْكَ فَسَلَّتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ قَارُونَ ^(٢) أَصَابَ بَعْضَ
مَا كَثُرَتْ ، وَالنَّطِفَ ^(٣) عَثَرَ عَلَى فَضْلِ مَا رَكَزَتْ ، وَكِسْرَى ^(٤) حَمَلَ قَاشِيَتَكَ ،
وَقَيْصَرَ ^(٥) رَغَى مَاشِيَتَكَ ، وَالْإِسْكَندَرَ قَتَلَ دَارَا ^(٦) فِي طَاعَتِكَ ، وَأَرْدَشِيرَ ^(٧) جَاهَدَ
مُلُوكَ الطُّوَائِفِ بِخُرُوجِهِمْ عَنْ جَمَاعَتِكَ ، وَالضُّحَّاكَ ^(٨) أَسْتَدْعَى مُسَالَمَتَكَ ، وَجَدِيعةَ

(١) امرأة العزيز مشهورة بمحبها يوسف المديني وتسميها معروفة .

(٢) قارون : يضرب به التل في الثراء والى ، وقد جاء في الكتاب الكريم : « وآتيناه من الكنوز

ما لم نعلمه لثوابه بالصعبة أولى الثروة . »

(٣) قالوا : إنما عى الطيف بن حجر بن حنظلة البربومي ، وقد كان أميا بالبادية مع بني تميم ، وقد نهب
أهولا كان أرسلها كسرى إلى عامله وذهباً ومكاً ولألى ، فصر به التل بما أصاب من ثروة طائفة ،
قال بمس ولده :

« أبا الطيف للدارى الشمس ، لنى هريقى فى السباحة والمعالى . »

(٤) كسرى : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الفرس .

(٥) قيصر : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الروم .

(٦) يسمى الاسكندر الأكبر المقدوني وتاريخه مشهور ، و « دارا » هو ملك الفرس الذى انتصر

عليه الاسكندر وقتله . (٧) اسم ملك من ملوك الفرس .

(٨) الضحاك يرمون أنه قتل « جشيد » - سيد الشجاع ، وملك الأقاليم السبعة وأول من حمل السلاح
واستخرج الأبريم ، والفز ، وأزم أهل البلاد الأعمال الشاقة فى قطع الصحور ، واستخراج المادن .
قالوا : وطال عمر « جشيد » وتجهز ، وادعى الربوية ، فخرج عليه الضحاك ، ودمه خلق كثير من أعداء
« جشيد » فظفر به الضحاك ، فهرب « جشيد » بين يديه فطهر به الضحاك وأمر بنشره بمشار ،
وقال له : « إن كنت لى فادع عن نفسك »

ثم ملك الضحاك - فيما يرمون - وبنى وتجهز وجر ودل بدين البراهمة ، وكان - فيما يقولون - أول
من غنى له ، وهرب الديناير والبراهم ، وليس التاج ، ووضع المشور ، إلى آخر ما زعموه له .

الأبرش^(١) تمنى مُنَادَمَتَكَ ، وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فَيْكَ^(٢) ، وَبَلْقَيْسَ^(٣)
فَايَرَتِ الزَّبَاءَ عَلَيْكَ ، وَأَنْ مَالِكَ بْنِ نُورَةَ^(٤) إِنَّمَا أَرْدَفَ لَكَ ، وَعُرْوَةَ بْنَ جَعْفَرٍ^(٥) إِنَّمَا
رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَكَلِيبَ^(٦) بْنَ رَيْبَةَ^(٧) إِنَّمَا حَلَى الْمَرْحَى بِعِزَّتِكَ ، وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ

(١) جذبة الأبرش ، قد سقت الإشارة إليه في «ص ٢٠٢» طريح إليها من شاء .

(٢) شعيرين : هي زوجة كسرى أبروز ، وبوران هي ابنته ، وقد أشار المصنف إلى شعيرين إشارة طريفة
في رسالة المغان فقال :

ولو قالت شعيرين للملك لكسرى: « حلى الله مداءك » لحالته في ذلك - وناعته ، وإن راقته وواضحة ،
على أنه أخذها من حال دبية ، لجمالها في السنة السنية ، وهنه - في ذلك - الأحياء ، وحرث لهم - في
ذلك - قصص وأنباء ، وقيل له - دجا ذكر - :

« كيف قطب من الملك لهذه اللومس ؟ »

صبر لهم للتل القدرح ، حل في الآء ، الشر والدم ، وقال للحاضر :

« تحب منك لشر ما به ؟ » فقال : « إنها لا قطب وهي بالأعراس قطب . »

فأراق ذلك القبي ، وصله وهدب رءاه ، وحل فيه - من صد - مداها . وعرضه على الداني ، فكلهم
بهش أن يشر ، فقال : « هذا مثل شعيرين » .

(٣) بلقيس هي ملك بلاد سبأ ، والزباء هي التي قتلها عمرو بن عسدي وقتل أباها جذبة بن الأبرش ،
وقد مر ذكره .

(٤) مالك بن نورة : من مشهورى فرسان العرب وشجعانهم في الحاملية ، وقد أدرك الاسلام . قالوا
وارتد وبش أبو بكر خالد بن الوليد لقتال أهل الردة ، فكان إذا صبح قوماً فتح الأداة فإن سمعهم كف
عنهم ، وإن لم يسمعهم قاتلهم إلى أن مرّ بالطاح . به مالك وأصحابه ، فقبل إنهم لم يستمروا أديماً فقاتلهم ،
وأبى بمالك بن نورة أسيراً فأمر حاد بقتله . قالوا : واحتج قوم لحاله في قتله ، وطعن عليه آخرون في
كلام طويل مشهور ، وقد وثاه أخوه متم رءاه الزائغ ، وقد سمعه عمر فقال له : زودت لو ربيت أخى
زيداً بمثل ما ربيت به أخاك ، فقال له متم : والله لو طعت أن أخى صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرته ولم
أحزن عليه ، ومن آيات متم التي سارت في وثائه سير الأمثال قوله :

« وقالوا أتبي كل قبر رأته لغير نوى بين اللوى ، فأكادك

قتلتهم : « إن الأسى يمت الأسى دعوى مهنا سكه قبر مالك »

(٥) هريرة بن جعفر - كان ينتسب إلى جعفر هو وأهل بيته ، وكان يعرف بهروة الرجل لرحلته إلى
الملك ، وكان هو السبب في حرب الفجار للمهورة .

(٦) كليب بن ربيعة - هو رئيس الحيين من بكر وقطب ، وقد بلغ من جبروته ونفيه أنه كان يحصى
مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وكذا وكذا في جوارى دلاتهاج ولا يورد أحد مع أبه ولا توجد
نار مع ناره ، ولا يحصى في مجلسه ، ولا يتكلم إلا بإذنه كما يذكر على ذلك قول أخيه مهمل في وثائه :

« ما تبث أن النار - منك - إردفت - واسقب - منك - يا كليب المجلس »

بَأَقْتِكَ، وَمُطْلِقًا^(١) إِنَّمَا طَلَبَ ثَأْرَهُ بِهَيْئَتِكَ، وَالسَّمْوُولُ^(٢) إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ،
وَالْأَخْنَفُ^(٣) إِنَّمَا أَحْتَمَى فِي بُرْدَتِكَ، وَحَاتِمًا^(٤) إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ، وَلَكِنِ الْأَصْيَافُ

وَتَكَلَّمُوا فِي - أَمْرِكِ عَظِيمَةٍ - لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا.

وَلَدَ قَتْلَهُ جِاسَ بْنِ مَرْثَةَ زَوْجَ أُخْتِ كَلْبٍ، وَكَانَ ذَلِكَ سَهْأً فِي حَرْبِ الْبَسُوسِ.

(١) يَهْلُلُ بْنُ رَيْمَةَ - هُوَ أَخُو كَلْبٍ وَالْأَخْنَفُ بِثَأْرِهِ فِي حَرْبٍ طَوِيلَةٍ تَنْتَبِهَا شَهْرَتُهَا عَنْ دِكْرِهَا.

(٢) السَّمْوُولُ - هُوَ السَّمْوُولُ بْنُ طَلْحَةَ، وَهُوَ مِنْ يَهُودَى يَثُوبَ، وَيَضْرِبُ بِهِ اللَّثْلَ - فِي الْوَفَاءِ - مَسْجُودَتَهُ
لِلشَّهْرَةِ مَعَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْقَدِيِّ أَوْدَعَ عِنْدَهُ وَدِيعةً وَمَضَى، وَحَاطَلَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ أَنْ يَأْخُذَهَا مِنَ السَّمْوُولِ
فَأَبَى، ثُمَّ ظَهَرَ الْحَارِثُ بِأَبْنِهِ، فَهَلَلَ السَّمْوُولُ: إِنْ لَمْ تَطْعِ وَدِيعةً أَمْرِئِ الْقَيْسِ قَتَلْتُ ابْنَكَ فَأَبَى.
هَظَلَ الْحَارِثُ ابْنَ السَّمْوُولِ وَاصْرَفَ، وَالسَّمْوُولُ هُوَ صَاحِبُ الْأَلَمِيَّةِ الشَّهْرَةِ الَّتِي يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا:

«إِذَا لَرَّرَ لَمْ يَدَسْ مِنَ الْقَوْمِ - عَرَضَهُ دَكِلَ رَدَاءَ يَرْتَدِيهِ جَيْلٌ

وَلَا يَدَّ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ - عَلَى الْمَسْ - ضَيْبُهَا، فَلَيْسَ - إِلَى حَسَنِ الثَّاءِ - سَبِيلٌ.»

(٣) الْأَخْنَفُ - هُوَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَيَضْرِبُ بِهِ اللَّثْلَ فِي الْحُلُمِ.

(٤) حَاتِمٌ - هُوَ حَاتِمُ الطَّائِي وَهُوَ أَهْمَرُ مِنْ ضَرْبٍ بِهِ اللَّثْلُ فِي الْحُودِ.

قَالُوا: - «وَأَحْوَادُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَةٌ:

«حَاتِمُ الطَّائِي، هَرَمُ بْنُ سَنَاءَ، كَعْبُ بْنُ مَالَةَ»

قَالُوا: «وَحَاتِمُ أَهْمَرٍ دَكْرًا».

وَقَدْ أَدْرَكَ مَوْلِدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَاتَ قَلْبُ مَتْنِهِ، وَمِنْ مَحْذُورِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

«أَحَادِلُ إِنْ لِلْمَلِكِ غَشِيرٌ مَحَلٌّ وَلَيْثٌ أَلَسَى طَارِيَةً ضَرُودٌ

وَكَمْ مِنْ حَوَادٍ يَحْصِدُ الْيَوْمَ حُودَهُ وَسَاوَى قَدْ ذَكَرْتَهُ الْهَفَرُ فِي غَدِ

وَكَمْ لِي آتَاءَ، فَمَا كَفَّ حُودَهُمْ مَلَامَ، وَمِنْ أَيْدِيهِمْ خَشَقْتُ يَدِي.»

وقوله:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَحْلُوكَا مَنَاهُ وَهَمَّهُ مِنْ الْعَيْشِ - أَلْ يَبْقَى لِبُوسَا وَمَطْعَمَا

وَقَهْ صَحْلُوكَ يَسَارُ هَمَّهُ وَيَمُضِي - عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالْمُحُولَةِ دَمَا

إِذَا مَلَأَ أَيُّ يَوْمًا مَكَارِمَ أَعْرَضَتْ تَيْسِمَ كِبْرَاهِمَ، ثُمَّ صَدَّ ١٠٠.»

وقوله:

«أَمَاوِي إِنْ لِلْمَلِكِ غَدٌ وَدَائِحٌ وَبَقِيَ مِنَ الْمَلِكِ الْأَحَادِيثُ وَالْأَدْرَكَ

أَمَاوِي مَا بَقِيَ التَّرَاثُ مِنَ الْعَفَى إِذَا حَضَرَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهِ الصَّدْرُ

أَمَاوِي إِنْ يَصْبَحُ صَدَائِي بِغَفْرَةٍ - مِنَ الْأَرْضِ - لَأَمَاءَ لَدَى وَلَا حَرَّ

تَرَى أَنْ مَا أَطْلَعْتَ لَمْ يَكْ ضَرَرِي وَأَنْ يَدِي - عِمَاتُكَ - بِهَ صَفَرِ

وَقَدْ عَلِمَ الْأَنْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَوَاءَ لِلْمَلِكِ كَلَّ لَهُ وَرَ

وَأَنْ لَا آتَوْ - بِمَالِي - سَلِيمَةٍ فَأَوَّلُهُ زَادَ وَآخِرُهُ ذَخِرَ

غَنِينَا زَمَانًا بِالنَّصْحِكَ وَالْفَنَى وَكَلَّا سَقَاتَهُ - بِكَأَمْسِيهِمَا - النَّمَرُ

فَمَا زَادَنَا بَنِيًا - عَلَى ذِي غَرَابَةٍ - غَنَاءًا، وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ.»

يَشْرِكْ ، وَزَيْدٌ^(١) بَنُ مَهْلِيلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَعْدَيْكَ ، وَالسَّيِّدُكَ^(٢) بَنُ السَّلَكَةِ إِنَّمَا
عَدَا عَلَى رَجُلَيْكَ ، وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ^(٣) إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ يَدَيْكَ ، وَقَيْسٌ^(٤) بَنُ زُهَيْرٍ
إِنَّمَا اسْتَمَانَ بِدَهَائِكَ ، وَإِيَّاسُ بْنُ مُخَاوِيَةَ^(٥) إِنَّمَا اسْتَضَاءَ بِمِصْبَاحِ ذَكَائِكَ ،

(١) زيد بن مهليل - أدرك الاسلام ، وكان فارساً مشهوراً ، ببسبب الصيت ، وشامراً ناهياً ، وكان
يسمى زيد الخيل لكثرة ما صعد من الخيل ، فلما أسلم سماه النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد الخير .
(٢) السليك بن السلكة حامل نديم ، وهو أحد بني مالك العرب وأحد لصوصهم العدائين الذين كانوا
لا يلقون ، قال ابن الرومي في وصفهم - رصاص :

« يعنى الهويثا ، فأما حين يطلنا فلا نملك يدايه ولا السلكة . »

(٣) عامر بن مالك - المشهور بلعبة الأسلحة ، وأمه أم الهيثم المشهورة التي انتحرت بها ليد عبد العمال
في قوله :

« نحن بنو أم الهيثم الأرملة . »

(٤) قيس بن زهير - هو صاحب الخروب المشهورة بين عيس وديان سبب الفرسين (داحس والعباء)
وكان يصرب به النمل في الدهاء ، يقال : « أدمى من قيس . »

(٥) إياس بن مخاوية - هو صاحب المراسنة والأحربة السديرة الزائفة ، وكان قاضي الصرة ، ويصرب
به النمل في الدهاء . قال أبو تمام :

« أقدم عمرو في ساحة حاتم في حلم أصب في دكاء إياس . »

قالوا : وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز أرسل رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع
بين إياس والقاسم بن أبي ربيعة ويولي القضاء أحدهما ، فجمع بينهما ، فكان كل منهما يمتنع من الولاية ،
فقال إياس للقاسم : « سل الحسن البصري حتى وعى القاسم ، وسل بن سيرين . » فلم يقل القاسم أنه إن
سأل عهما أشارا به ، فقال للقاسم : « لا تسأل عنه ، فوالله الذي لا اله إلا هو إن إياساً لأصل مني
وأعلم بالقضاء ، فإن كنت ممن يصدق ، فيبني لك أن تصدق قولي ، وإن كنت كاذباً فما يعمل لك أن
أن تولي القضاء وأنا كاذب » ، فقال إياس للقاسم : « إنك حدثت رجلاً فأنقته على شفير جهنم فاحدى
نفسه من النار يسمي كاذبة يستنظر الله منها وينحو من النار » فقال للقاسم : « أما إذ فطنت لها فاني
أريدك » فاستنصاه ، فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب . قالوا : « ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن
البصري فبكي إياس وقال له : « بنى أن القضاء ثلاثة : رجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد
فأخطأ فهو في النار ، ورجل احتد فأصاب فهو في الجنة » فقال الحسن « إن مما تعنى الله تعالى في النبي
داود ما يرد قول دواي . » ثم قرأ قوله تعالى « فطمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً »
لحمد سليمان ولم يذم داود ، وأخباره كثيرة مشهورة في كتب الأدب ، فلاحا جنة بنا إلى الأفاضة .

وَسَعْبَانَ^(١) إِنَّمَا تَكَلَّمُ بِلسَانِكَ ، وَغَمَزُوا^(٢) بَنِي الْأَهْتَمِ ، إِنَّمَا سَحَرَ بَيْنَاكَ ، وَأَنَّ
الصَّالِحَ - يَنْبَغِي بَكَرٍ وَتَمْلِيبَ - ثُمَّ بِرِسَالَتِكَ^(٣) ، وَالْحِمَا لَاتِ - يَنْبَغِي عَقْسٍ وَذِيَّانَ -
أُسْنِدَتْ إِلَى كِفَالَتِكَ ، وَأَنَّ اخْتِيَالَ هَرَمٍ - لِعَلْقَمَةٍ وَعَاوِيرٍ حَتَّى رَضِيَا - كَانَ ذَاكَ عَنْ

(١) سحبان وأثل - يضرب به التل في الفصاحة والبيان والقدرة على المطابقة ، أدرك الاسلام ومات سنة أربع وحبس . قال الأصمى « وكان إذا حطب يسبل عرفاً ، ولا يبيد كفة ، ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ » قالوا : « وقعد على معاوية وقد من حراسان مهم - سعيد بن عثمان - مطلب سحبان فلم يوجد في منزله فالتصّب - من ناحيته - اقتصاباً وأدخل عليه فقال : « تكلم » فقال : « انظروا لي صا تهم من أودي » قالوا : « وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين . » قال : « ما كان يصنع بها موسى وهو يحاط به وعصاه في يده . » صحك معاوية وقال : « ماتوا عصا لجاءوا بها إليه مركها برحله ولم يرضها . » وقال : « ماتوا عصاى » فأتوا بها فأحدها ، ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تتججج ، ولا سئل ، ولا توقف ، ولا ابتدأ في مسمى يخرج منه وقد بقي عليه منه شيء . فدارك تلك حلة حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان : ألا تقطع على كلامي ، فقال معاوية « الصلاة » قال : « هي أمرك ، ونحن في صلاة وتحيد ، ووه - ووعيد » ، قال معاوية : « أنت أحبط العرب . » قال سحبان : « واللهم والمسلم والاس »

(٢) عمرو بن الأهم - من سادات بني تميم وخشائهم في الجاهلية والاسلام ، وكان - لحاله - يدهونه : « للسكر » قالوا : « ووه على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو والرفقان بن بدر فأسلما وأكرهما النبي - صلى الله عليه وسلم - » « سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الأهم عن الرفقان بن بدر بمحورده فقال عمرو : « مطاع في أدنيه ، شديد العارضة في قومته ، مانع لما وراء ظهره » .

قال الرفقان : « يا رسول الله إنه ليبلغ مني أكثر مما قال ، ولكنه حديثي » . قال عمرو : « أما والله لئن علمت ما قد علمت ، إنه لزمان المروءة ، أحق الأب ، لقيم الحال ، ميق المعلى ، حديث النبي . » رأى نعيم النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اختلف قوله ، فقال : « يا رسول الله لانسب ، لما رضيت قلت أحسن ما علمت ، ولما غضبت قلت أقيح ما علمت ، موافقه ما كذبت في الأول ، ولقد صدقت في الثانية . » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا . » وتوفي سنة ٥٧ هـ - ومن ما توارى حكه نوله :

« أشجع الناس من رده جله بحله . » وقوله « أب للعمر لو كان شيء يشتري ما كان شيء . » من العفل ، فالعجب لمن يشتري الحق بماله فيدخله في رأسه يعني في حبه ويصلح في ذيله . « وكان ممن حرّم الخمر - على نفسه - في الجاهلية . »

(٣) بكر ومطلب ابنا وائل - هم الذين أنصموا حرب البسوس ، وقد دامت سبعين طوية قتل فيها عطاء الخيلين وأخبارها مشهورة .

إِشَارَتِكَ، وَجَوَابَهُ لِمُتَرٍّ - وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيْمَانِهِمَا كَانَ يَنْفِرُ - وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ^(١)، وَأَنَّ
الْحِجَاجَ^(٢) تَقْلَدُ وَلَايَةَ الْعِرَاقِ بِحَدِّكَ، وَقَتِيئَةً^(٣) قَتَعَ مَآوِزَ النِّهْرِ بِسَعْدِكَ، وَالْمُهَلَّبَ^(٤)
أَوْ هَنْ شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِيدِكَ، وَفَرَّقَ ذَاتَ يَنْبِهِمْ بِكِيدِكَ، وَأَنَّ هُرْمُسَ^(٥)
أَعْطَى بَلِيْنُوسَ^(٦) مَا أَخَذَ مِنْكَ، وَأَفْلَاطُونَ^(٧) أَوْزَدَعَلَى إِرِسْطَطَالِيسَ^(٨) مَا تَقَلَّ عَنْكَ،
وَيَطْلِيْمُوسَ^(٩) سَوَى الْإِصْطِرْلَآبِ بِتَذْيِيرِكَ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ،

(١) يشير بذلك إلى عمر بن الخطاب حين قال لهرم بن قطبة بعد أن أسلم: «أيها كان الأفضل عندك
بني ماضراً وطغية» قال: «لو قلت الآن ميهاكة لحدثت الحرب بين الحيين» - فأجبت بذلك القول
عمر وسر من سياسته وسد غظه وقال له: «بحق حكمتك العرب»

(٢) الحجاج - هو الحجاج بن يوسف الثقفي ولد سنة ٤١ هـ ولحقاً بالعام، وولي الكوفة، واشتهر
بصك الدماء، وهو الذي حاصر مكة ومها عبد الله بن الزبير وصرها بالمجيق (أطلس ص ١٦ من كتاب
مصارع الأعيان) وحروبه مع شيعة، وعبد الرحمن بن الأشعث مشهورة، وقد ذكرناها في مصارع
الأعيان من (ص ٥٧ إلى ص ١١٥) طبع مع إليها من شاء، وكان يجب سرعة الجواب، وله نوادر كثيرة
في ذلك، قالوا: إنه قال ذات يوم لأحد بن يوسف «فكرت في أمرك فوجدت دلك وذاك حلالاً» قال:
«أيها الأمير أخذت ما في القمية أن هذا الرأي بعد الفكر» صحك وهذا عنه، وقالوا إنه أتى بجوم
من أصحاب بن الأشعث فأمر بضرب أعانهم، فقام رجل فقال: «أيها الأمير إن لي صدك يدا» فقال
«وما هي؟» قال «شكك رجل بمصره ابن الأشعث مرددت شك» قال: «من يصدك؟» فأشار:
«هدا» وأشار بيده إلى رجل منهم، قال: «صدق أيها الأمير» قال «ما منك أن تفعل كما فعل؟» قال
«نضى لك»، قال الحجاج «أطلقوا هذا ليده عندما» وهذا صدقه في مثل هذا الوقت «قال مالك
ابن دينار: «والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على اللبر ويدكر حسن صمحه إلى العراق وسوء صمحه له
حتى يجيل إلى أنه مظلوم» وقال الحسن البصري «لقد وفدت كلمة سمعتها من الحجاج» إلى أسرا دعت
ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسره.

(٣) قتيبة - هو قتيبة بن مسلم القاهلي ثقات في الرواية وولي الأمارة، وكان شجاعاً طاماً.
(٤) للمهلب - هو المهلب بن أبي صفرة وهو الذي يمرى إليه الفصل في القضاء على الخوارج (انظر
ص ٩٧: ٩٧ من كتاب مصارع الأعيان)

(٥) هرمس - هو الذي يزعم نفر من الصابئة أنه نبي مرسل وأنه إلهي عليه السلام ويسندون إليه
مراثيم في تطعيم الكواكب السبعة والقمر والشمس والبروج الاثني عشر والتضارب إليها بالديباج وغيرها.

(٦) بليْنُوس - هو الذي تزعم الصابئة أن رسالة هرمس انتهت من يده إليه.

(٧) أفلاطون وإرستطاليس - طعان من أعلام ملاحقة اليونان وقادة الفكر المتأخرين.

(٨) أفلاطون وإرستطاليس - هو صاحب كتاب المصطفى، والجنرال، والابن بطرلأب وغير ذلك، وهو أول من

عرض لذلك وألهمه.

بِهَ الدُّنْيَانِ ، وَأَنَّ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتِرَاعُكَ ، وَتَأْلِيفُ الْأَوْتَارِ وَالْأَنْفَارِ تَوَلِيدُكَ
وَأَبْدَاعُكَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى ^(١) بَارِي أَفْلَاحِكَ ، وَسَهْلُ ^(٢) بْنُ هَارُونَ مَدُونُ
كَلَامِكَ ، وَغَمْرُ بْنُ بَجْرٍ ^(٣) مُسْتَمْلِكُكَ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٤) مُسْتَفْتِيكَ ، وَأَنْتَ الَّذِي
أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ ، وَحَدَّ الْمَاهِيَةَ ، وَبَيَّنَّ الْكِيفِيَّةَ وَالْكَفِيَّةَ ^(٥) ،

وَأنت مشير برأسك إلى أسفل ، ومؤلفاته كثيرة منها (أسلم العقل الاسمي) وكتاب (الخواص الفكرية)
وكتاب (الفلسفة الأولى) وغيرها .

(١) عبد الحميد بن يحيى - هو عبد الحميد بن سعيد الكاتب للجمهور ، وكان يقال « بدأت الكتابة صد
الحميد ، وحتت بن الحميد » وكان في أول نشأته معلماً صبياناً بالكوفة ، لما اتصل بـروان الحمدي قيل أن
يصل إلى الخلافة معه واغطف إليه طاهراً الأمر بالخلافة سعد مروان وأبحاه إلا عبد الحميد ، فقال مروان
« لم لم أجد » قال « ولم أجد على أن كذب مما طهرت عما يسمى بالخلافة » فقال « إذن فطهر ما »
قال « الآن طاب السعد » وسعد وظل كاتب مروان طول حياته .

(٢) سهل بن هارون - من أهل بياضور - دخل إلى الوزارة مع أبيها وكان شهماً ، واشتهر
بالحل . قال المحاضر : في رجل سهل بن هارون فقال : « هل لي ما لا ضرر به عليك » قال : « وما
هو يا أحمق ؟ » قال : « درهم » قال : « لمد هونت الدرهم وهو طائع الله في أرضه لا يهدى » وهو
عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والثلثة عشر الألب ، والألب عشر دية المسلم ، ألا ترى إلى أين
انتهى الدرهم الذي وهته ، وهل يثبت الأموال إلا درهم على درهم » قال : « ما عرف الرجل ولولا
احرامه لم يثبت » وحكي دخل الخراساني قال : « أقا يوماً عبد سهل بن هارون وأظلم الحديث حتى أضر
به الحمار فدعا بمدائه فألقى صحيفة فيها مرقع تحتك ديك مرم فأحسد كسرة وتنفذ ما في الصحيفة فلم يجد
رأس الديك وفي مطرما ثم قال للامام : « أين الرأس ؟ » قال : « ميت » قال : « ولم ؟ » قال :
« لم أظنك تأكله » قال . « ولم طاب ذلك » هو الله إلى لأمت من يرى رجلاً ، فكيف رأسه ، والرأس
وئيس يتفاد به ، ومنه الخواص الجنة ، ومنه صبح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقة الذي
يتحرك به ، وعينه التي يضرب صمغاً للثقل ، ودماغه يحيط لوح الكنية ، ولم أر قط أحسن من رأسه
فإن كان بلغ من حذك أن لا تأكله مدنا من يأكله ، أما علمت أنه خير من طرف الحماح والساق ،
اضطر أن رديه فقال : « والله ما أدري » قال : « لكى أدري أنك وميتة في طوك » .

(٣) غمر بن بجر - هو الكاتب للجمهور ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالمحاضر وهو من ينظر به البيان
المرى حتى قال : « مما حصل الله به أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على غيرها من الأمم : عمر بن الخطاب
في سياسته ، والحسن العصري في علمه ، والمحاضر في بيانته » - نشأ متفاداً وتعلم على الزمام وانمرد
بحسن البيان والفصاحة ، وأحبابه مشهورة في كتب الأدب فلا داعي للإضافة فيها -

(٤) مالك بن أنس - هو صاحب اللدب للجمهور .

(٥) الماهية - ماهية الشيء ، ما يحصل في الذهن من صورة كمية مطابقة له بعد حذف للشخصات عنه إن
كان حزيماً . قالوا : وهي أحد حدود العلم عند الحكماء قال العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام . علم (ما) وعلم

وَنَظَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ^(١)، وَمَيَّزَ الصَّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ، وَفَكَ الْمَعْنَى^(٢)، وَفَصَلَ
بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى، وَصَرَفَ وَقَسَمَ، وَعَدَّلَ وَقَوَّمَ، وَصَنَّفَ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ،
وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ، وَتَنَقَّبَ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ،
وَتَنَقَّى وَجَمَعَ، وَأَظْهَرَ وَأَضْمَرَ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ، وَأَرْسَلَ وَأَسْتَدَّ،
وَبَحَثَ وَنَظَرَ، وَتَصَفَّحَ الْأَذْيَانَ، وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْ مَانِي وَغِيلَانَ^(٣)، وَأَشَارَ
بِذَنْجِ الْجَمْدِ^(٤)، وَقَتَلَ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ، وَأَنْتَكَ لَوْ شِئْتَ خَرَفْتَ الْعَادَاتِ، وَخَالَفْتَ
الْمَعْهُودَاتِ، فَأَحْلَتِ الْبَحَارَ عَذْبَةً، وَأَعَدَّتِ السَّلَامَ رَطْبَةً^(٥)، وَتَقَلَّتْ غَدَاً قَصَارَ

(كيف) (وعلم) (كم) . فاعلم الذي يطلب منه ما عيات الأشياء هو العلم الالهي ، والذي يطلب منه كيفيات
الأشياء هو الطبيعي ، والذي يطلب منه كمات الأشياء هو الرياضي .

(١) الجوهر والمرس : الجوهر - فيما يقولون - هو الجسم ، كالإنسان والمرس والمحرم ونحو ذلك .
والمرس المحال وارصب التماثل عليه كالألوان من لباس ، وشواد وجرة ، والمركبات المختلفة من قيام وقعود
وامضطجاع ، وجميع ما عدا الجوهر فاسم المرص واقع عليه .

(٢) ذلك للمعنى - وهو المرص - أرواح إلى « من ٢٨٤ »
وكان الخاطيء يقول « ليس للمعنى شيء فقد كان كيسان مستعمل أي عيدة يدعى خلاف ما يقال ، ويكتب
خلاف ما يسمع ، ويقرأ خلاف ما يكتب ، وكان أعلم الناس باستخراج المعنى - قالوا : « وكان لنظام على
قدرته على أصناف العلوم - لا يقدر على استخراج أحف ما يكون من المعنى .

(٣) ماني وغيلان - ماني هو الذي نسب إليه المانوية وهو نوبختي - نسبة إلى الأتريش - لم يرعه أن صانع العالم
اثنان ، أحدهما فاعل الخير وهو النور ، والآخر فاعل الشر وهو الظلمة ، وهما قديمان لم يرالا ولن يزالا
حسابين سيبين صيرين وهما عظماء في النفس والصورة ، متصادقان في العمل والديار ، فجوهر النور فاعل
حسن يبر ونفسه قديمة عاصدة . منها الخير والسرور والملاح وليس منها من الشر قبي . وحומר الظلمة
على ضد ذلك جميعه ، وقد أشار المتنبي إلى هذا المذهب بقوله :

« وكم لنظام قليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب . »

وكان ماني زاهياً بمرجان . قالوا : « وكان مؤمناً بالمسيح مظهراً من أساقفة البصرة » ثم وثق به حاسدوه
فأحدث ديناً ودعا إليه وبعثه كثير من الجيوش .

وغيلان هو ابن يوسف القندري النسطوري . قالوا كان أبوه مولى لعمان بن عثمان ، وكان غيلان أول من تكلم
في القدر ، وخلق القرآن في الإسلام في رأى بعض المؤرخين .

(٤) الجمد - هو مولى بني الحسكم وكان يعلم مروان بن محمد الحمدي ويقطن دمشق وينسب إليه بعض
للؤرخين أنه أول من تكلم بخلق القرآن .

(٥) السلام : المجازة الصلبة .

أَمْسَا، وَزِدْتَ فِي التَّمَاكِيرِ فَكَانَتْ خَمْسًا^(١) ، وَأَنَّكَ الْمَقُولُ فِيهِ :

« كُلُّ الصَّيْدِ^(٢) فِي جَوْفِ الْفَرَا . » وَ

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(٣) . »

وَالْمَعْنَى بِقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

« قَلَوُ صَوْرَتِ نَفْسِكَ لَمْ تَرِدْهَا - عَلَى مَا فِيكَ - مِنْ كَرَمِ الطَّبَاجِ . »

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

« ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْيَاتِهَا . »

فَكَدَمْتَ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ^(٤) ، وَاسْتَسَمَمْتَ ذَا وَرَمٍ^(٥) ، وَفَتَحْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ^(٦) ،

وَلَمْ تَجِدْ لِرَبِّحٍ مَهْرًا ، وَلَا لِشَفْرَةٍ عَهْرًا ، بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ،

(١) العناصر : هي رأى الله دعاء أرسى : النار ، والهواء ، واللاء ، والثراب .

(٢) كل الصيد في جوف الفراء - مثل يصرب في وصف الشيء المراد على غيره قالوا : « وأصله أن قوماً حرقوا لاصيد صائد أحدهم طياً وآخر أرباً وآخر مرا ، وهو الحمار الوحشي ، فقال لأصحابه : كل الصيد في جوف الفراء - يعني أن جميع صيدهم يسير في حب ما صدته ، وروى بعضهم أن الفراء اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود ، وأما قول الشاعر :

« وواد كحوف المير قمر قطعت »

فليس من هذا وإنما أراد الوادي المعروف بحوف حمار ، وحمار اسم وحل قديم كان في واد حبيب عظيم مشيرته ، فأرسل الله عليه ناراً فأحرقت ، وأحرقت الوادي غللاً وسكته الحن فقبل : أحلى من حوف حمار ، وحب يوماً أبو سميان بن حرب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أذن له فقال : « يا رسول الله ما كنت تأخذني حتى تأخذ لحسارة الجاهلين » فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا أبا سميان كل الصيد في جوف الفراء » . (٣) هذا البيت من قصيدة لأبي نواس في منح الفضل بن يحيى .

(٤) كدمت في غير مكدم - حصصت في غير موضع للمص ، وهذا المثل يصرب لمن يطلب ما يجهز عنه

(٥) في هذا إشارة إلى قول الشاعر :

« ملو ناراً فتحت بها أضامات ولكن أنت تنفع في رماد »

فقد أسمت - لو ناديت حيا - ولكن لا حياة لمن تنادي . »

(٦) يشير إلى قول المتنبي للياف الدولة معروفاً بأبي مراس : . .

« أصبنا بطرات منك سادقة أن تحسب الشحم ليس له ورم . »

وَتَمَيَّنْتَ الرَّجُوعَ بِمُحْتَمَى حُتَيْنٍ^(١) ، لِأَنِّي قُلْتُ :

« لَقَدْ هَانَ^(٢) مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ النَّعَالُ . » وَأَنْشَدْتُ :

« عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ^(٣) »

وَتَحَرَّزْتُ^(٤) وَبَسَرْتُ^(٥) ، وَعَبَسْتُ فَكَفَرْتُ ، وَأَبْذَأْتُ وَأَعْدْتُ ، وَأَبْرَقْتُ

وَأَزَعَدْتُ^(٦) وَهَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ،

وَاللِّصْيَافَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَدَالٍ^(٧) التَّمُسْتَقَى ، وَالنَّمْلُ^(٨)

(١) حتى حين - مثل يصبر إلى يرجع بالحيلة - وكان حيناً ربما يقولون إسكافاً من أهل الحيرة ساومه أحرأى محلياً ولم يند منه شيئاً صاطه ذلك طرح عليه وعلق أحد الخفين على شجرة في طريقه وتقدم قليلاً وطرح الآخر وكس ، فجاء الأحرأى رأى أحد الخفين فوق الشجرة ، فقال « ما أشبه هذا بخف حين لو كان معه أحر لتكلف أحده » ثم تقدم قليلاً فرأى الخف الآخر مطروحاً فزول وعمل سيره فأحده ورجع ليأخذ الأول طرح حين من اللبس وأحد سيره وذهب ورجع الأحرأى إلى أخيه بجى حين .

(٢) لقد هان من نالت عليه النعال - شطريت هو :

« أرب يول التصلال برأسه - لقد هان من نالت عليه النعال . »

قاله رجل من بني سليم كان يمد صنماً ، رأى ذات يوم ثملاً يول على الصنم فكسره وأنشد هذا البيت وذهب إلى النسي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم .

(٣) البيت لأن تمام من قصيدة رثاء ، منها قوله :

وقلت : « أسي » قالوا « أحذو قرابة » ؟ فقلت لهم : « إن الشكول أطارب »

صديق في رأيي وعمرى ومدعى وإن ما عشتا في الأصول المناسب

فجئت لصري منه - وهو ميت - وكنت اسراء أبكى دماً وهو فاك

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب .

(٤) عحزت - الحيز صوت الألف عند الضبط .

(٥) والبسر - الاستعمال بالعري . قل أرائه . وهو في قوله تعالى : « عسى وعرى » مماه أظهر

السبوس قبل أرائه . (٦) الأبراق والأرصاد - كناية عن الحديد وأصلها من البرق والزرعد . قال الشاعر :

« قل للسيا : أوعدى وإبرقى فاما وصلا إلى للزول . »

(٧) أي لمست بهذه المرأة التي أرسلتها وسولاً من قتلها لولا حرمة الصيافة - على سيف الدولة بالمستق ،

وهو لقب يطلق على كل قائد من قواد جيش الروم ، وقد هزمه سيب الدولة وأشار للنبي إلى ذلك بقوله :

« وكنت إذا كاتبته قبل حده ككتبت إليه في قذال المستق ١ . »

(٨) مثل قصيدة العرب وقد ضمنته أحد القراء قوله :

« إن طالت العرب عدنا لها وكأنه التل لها حاضرة »

حَاضِرَةٌ إِنْ عَادَتْ الْمُقَرَّبُ ، وَالْمَقُوبَةُ مُمَكِّنَةٌ إِنْ أَصَرَ الْمُذِيبُ ، وَهَبَهَا لَمْ
تُلَاحِظْكَ بَعِيْنُ كَلِيْلَةٍ عَنْ عُيُوبِكَ ، مِلْؤُهَا حَبِيْبًا ^(١) ، حَسَنٌ فِيهَا ^(٢) مَنْ تَوَدُّ
وَكَانَتْ إِيْمًا حَلَّتْكَ بِحُلَاكَ ، وَوَسَمَتْكَ بِسِيَاكَ ، وَلَمْ تُعِرْكَ شَهَادَةً ، وَلَا
تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقَتْ سِنْ يَكْرِهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَنْكَ ، وَوَضَعَتْ
الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ ^(٣) بِمَا نَسَبْتَهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتْ بِهِ
عَلَيْكَ ، فَالْمَعِيْدِيُّ ^(٤) تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ :

هَجِيْنُ الْقَذَالِ ^(٥) ، أَرْعَنُ ^(٦) السَّبَالِ ، طَوِيْلُ الْمُتَّقِ وَالْعِلَاوَةِ ^(٧) ، مُفْرِطُ الْحُمَقِ
وَالنَّبَاوَةِ ، جَانِي الطَّنِيعِ ، سَيِّئُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ ، بَقِيضُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيْفُ الذَّهَابِ
وَالْجِيْنَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُتَنِّ الْإِنْفَاسِ ، كَثِيْرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُوْرُ الْمَنَالِبِ :

(١) إشارة إلى قول اصفهون :

« أهلك إحلالا ، وما لك قدرة على ، ولكن ملء غير حبيبا . »

(٢) في هذا إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

ولقد فاك لجلارات لها ونمرت - ذات يوم - تورد
أحكما يحشى تبصرى - حمر ك الله - أم لم يقتصد؟
صاحصكن وقد قلن لها : « حسن في كل عين من تود . »

(٣) الهناء : الفطران ، والقف : الحرب ، وهذا المثل يصعب أن يصح الأمور في مواضعها ، وهو صعب

يبت لمرید بن الصمة في الحساء وهو :

« متقدلا تموم محاسنه يصعب الهناء مواضع القف . »

(٤) مثل يصعب أن يكون محبرة حبرا من منظره . فله التعلل لشقة بن صبرة ، وكان يجيبه مايسع

عنه ، فلما رآه استرعى منظره ، فقال التعلل : لأن تسع بالمعدي خير من أن تراه .

فقال له : « أبيت أني إن الرجل ليسوا بحرور ، وإنما يبيت الرء بأصره قلبه ولسانه . »

(٥) القذال - جماع مؤخر الرأس ، وهجين القفال : أي خيس الأصل . قالوا : « لأن الذي يعرف

لؤم لسه إذا وطأ رأسه حياء ودلا ، فكان الأؤم يدين من قتاله » وقيل « بل لسكرة انهزامه

في الحروب . »

(٦) أرعن : يأنق ، والسال : جمع سلة وهي شجرة الشفة العليا ونجست الرهوة بها لأنها علامة الرجل .

(٧) العلاوة - الرأس ملدام على العنق ، وفي الدراسة أن طوله للعنق والرأس من دلائل الخلة .

كَلَامَكَ تَمْتَمَةً ، وَحَدِيثُكَ غَمَمَةً ، وَيَا نَيْكَ فَهَمَةً ، وَصَحِيحُكَ فَهْمَةً ^(١) ،
وَمَشِيكَ هَزْوَلةً ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةً ، وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ تَحْرِقَةٌ ^(٢) :
« مَسَاوِي لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَايِي - لَمَا أُنْهِرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ ^(٣) »

حَتَّى إِنْ بَاقِلًا ^(٤) مَوْصُوفٌ بِالْبَلَغَةِ إِذَا قُرُنَ بِكَ ، وَهَبْتَقَةً ^(٥) مُسْتَوْجِبٌ لِأَنَّهُمُ
الْعَقْلُ إِذَا أُصِيفَ إِلَيْكَ ، وَطُوبَى ^(٦) ، أَثُورُ عَنْهُ يُمْنُ الطَّائِرِ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ ،
فَوُجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْأَغْيَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْحَيَبَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَمَكَةٌ
سَقَرٌ ، كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْ مَكَ لِكَرْبِي كَيْفَاءَ ، وَضَمَّتْكَ لِشَرَفِي وَفَاءَ ، وَأَنْتَى
جَهَلْتَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى الْأَفْهَامِ ،
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ

(١) قال الحافظ - التمهيد : التردد في التاء ، وأما ما : التردد في المعاد ، والتمقة : التواء السلا عند
إزادة الكلام ، والحسة تعمر الكلام ، والقف : إدخال حرف في حرف ، والزنة تمنع الكلام ، فإذا
حاء منه نفي الصل ، وقيل العجمة فيه ، والثنية أن يبدل من حرف إلى حرف ، والسة أن يقرب الحرف
صوت الحثوث والحمة أشد منها ، والكة أن يمتزج الكلام حرف أعجمي ، والطمطة أن يكون
الكلام شبيهاً بالمعنى .

وأما العجمة فهي أن يسمع الصوت ولا يبين تظهير الحروف - : المتهمة : التي في النطق ، والمتهمة :
الصمت الشديد يمتدحون به على لغة العقل .

(٢) الهزولة : هي اللثي والدنو ، والمساءة : الفقر ، والهرقة : نوع من الخرق ، الذي هو ضد الرق ،
ومنه يقال : الهراق وهو شيء يلبس به كأنه يخرج لأطوار الشيء بخلافه .
(٣) البيت لأبي تمام . (٤) باقل : مصرب للتل في المعنى .

(٥) حبة : مصرب للتل في الحل وضعت العقل - قالوا : ووضح خدأ في حقه علامة لصدته لئلا يضيع
قالوا : وراقه أخوه إلى أن نام ، فأخذ القدر من صفه وجعله في حق نفسه ، طما انتبه خنقة ورأى أخاه ،
قال « أنت أنا ، وأنا ياترى ، من هو أنا » وهو جامل .

(٦) اللثي المناس للجمهور ، وكان يسكن المدينة ، وهو أول من نسي بها على الدف بالعرية ، ويضرب به
للث في الشؤون ، لأنه ولد يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وفلام يوم مات أبو بكر ، وفتح يوم
قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وكانت أمه تسمى بالقمية بين نساء الأنصار ، وتوافر شؤمه كثيرة
معمورة في كتب الأدم

لَا يَتَمَارَبَانِ ، وَقُلْتُ : « الْحَيِّثُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ » وَتَمَثَّلَتْ ^(١) :

« أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا مُهَيَّلًا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَمِيحَانِ ؟ »

وَذَكَرْتُ أَنِّي عَلِقْتُ بِالْأَيْكَاعِ ^(٢) يَمْنَنُ زَادَ ، وَطَائِرٌ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ، وَغَرَضٌ لَا يُصِيدُهُ إِلَّا مَنْ أَجَادَ . مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِيَةِ ، وَتَرَشَّعْتَ لِلتَّرْفِيَةِ ! وَلَوْلَا أَنَّ جُرْحَ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ ^(٣) ، لَلَقِيتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مَا لَاقَى يَسَارٌ ^(٤) ، فَسَاهَمَ إِلَّا بِبَعْضِ مَا بِهِ تَهَمَّتْ ، وَلَا تَعَرَّضَ إِلَّا لِأَيَّسَرِ مَا لَهُ تَعَرَّضْتَ ، أَيْنَ ادْعَاؤُكَ رَوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَمَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ ؟ أَمَا تَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« بِنُودَارِمِ أَكْفَاؤُهُمْ آلٌ مِسْمِعٍ وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ ؟ »

(١) أَيْتٌ لِعَمْرٍو بْنِ أَبِي رَمْعَةَ ، وَعَمَرَكَ اللَّهُ بِأَلْفِ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَطِيلَ عَمْرُكَ (بِالْفَتْحِ) أَيَّ حَيَاتِكَ ، وَبِهِدِهِ قَوْلُهُ :

« هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَظَلَّتْ وَسَهْلٌ إِذَا اسْتَظَلَّ بِمَاتِي . »

(٢) الْعَلَقُ : الْفَيْسُ ، وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةِ الْحَرِثِ بْنِ قَطَالٍ الْيَمِينِيِّ كَانَتْ لَهُ فَرَسٌ اسْمُهَا - سَكَاب - فَأَرَادَ نَسَبَ مُلُوكِ الْعَرَبِ أَحْفَاجًا مِنْهُ يَهْرَبُ بِهَا وَقَالَ :

« أَيْتُ الْعَرَبِ إِنْ سَكَابَ عِلْقِي هَيْسَ لَا تَمَارُ وَلَا تَمَاعُ

مُسْفَدَةٌ مَكْرَمَةٌ طِينًا تَمَاعُ لَهَا الْبِيَالُ ، وَلَا تَمَاعُ

مَلَا تَطْمُ أَيْتُ الْعَرَبِ فِيهَا وَمِنْهَا كَمَا نَفَى يَسْتَفْطَعُ . »

(٣) الْعَجْمَاءُ : الْبَيْعَةُ ، وَالْحَارُ : الْفَهْرُ ، وَاللَّمَى : أَنْ الْبَيْعَةَ إِذَا جَرَحَتْ لِأَدِيَةِ لَهَا وَلَا لِنَاصِ ، وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ ، لَنْ يَسْتَهْلِكَ بِهِ .

(٤) يَسَارٌ : اسْمُ عَبْدٍ دَمِيٍّ أَسْوَدَ كَالِ الْإِنْسَاءِ يَرِيحُهُ فَيُضْحِكُنْ مِنْهُ لِقَبْحِهِ وَيُحِبُّهُنَ لِقَبْحِهِ مَحَبَّتًا بِهِ حَتَّى نَطَرَتْ إِلَيْهِ بَنَتْ مَوْلَاهُ فَصَحَكَتْ طَلَنَ أَنَّهَا رَضِيَتْ لَهُ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ لَهُ أَسْوَدُ : « لَقَدْ وَافَقَهُ مَقْنَى مَوْلَانِي ، فَلَا زُرُونَهَا أَلَيْتُ » فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ « يَا يَسَارُ ، أَضْرِبْ لِنِ السَّحَارِ ، وَكُلْ لَحْمَ الْخَوَارِ وَلِيَاكَ وَبَنَاتِ الْأَحْرَارِ » فَقَالَ لَهُ « وَافَقَ مَا رَأَيْتُ حَرَّةً لِأَقْنَعِي » فَلَمَّا أَمْسَى قَالَ لِصَاحِبِهِ « احْفَظْ عَلَى الْإِبِلِ حَتَّى أَصْرَفَ ، وَأَعْرُدْ إِلَيْكَ » فَتَاهُ ظَمُّ يَنْتَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى بَنَاتِ مَوْلَاهُ يَرَاوِدُهُنَ نَفْسًا ، فَهَلَّتْ لَهُ « مَكَانُكَ فَالْمَحْرُورُ طَيِّبٌ ، أَحْسَنُ لِمَا » فَقَالَ لَهَا « هَاهُنَا » فَأَتَتْهُ بِطَيِّبٍ وَمَوْسَى قَاطِمَةً ، فَأَشْمَتَهُ الطَّيِّبُ ، ثُمَّ أَتَتْهُ بِالْمَوْسَى عَلَى مَنَةِ قَطْعَتِهِ ، فَخَرَجَ هَارِبًا حَتَّى أَتَى صَاحِبَهُ وَدَمَهُ يَسِيلُ ، فَضَرَبَ بِهِ الْفُلَّ .

وَهَلَّا حَشِيتَ وَلَمْ تَقْتَرِ ؟ وَمَا أَشْكُ أَنْكَ تَكُونُ وَادِدَ الْبَرَّاجِمِ ^(١) ، أَوْ
تَرْجِعُ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَسِّسِ ^(٢) ، أَوْ أَفْعَلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بِالْجُهَنِيِّ ،
إِذْ جَاءَهُ خَاطِبًا فَذَهَنَ أَسْتَهْ بَرِيَّتٍ وَأَذَنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّمْلِ ، وَتَتَى كَثُرَ تَلَاقِنَا
وَاتَّصَلَ تَرَائِينَا ، فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَا دَعَا ابْنَةَ الْحَسَنِ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السَّوَادِ ^(٣) ،
وَتُرِبِ الْوَسَادِ ؟ وَهَلْ فَقَدْتُ الْأَرَامَ ^(٤) ؟ فَأُنْكِحَ فِي جَنْبِ ^(٥) ؟ أَوْ عَضَلَنِي
تَهَامُ بْنُ مَرْءَةٍ قَافُولَ : « زَوْجٌ مِنْ عُودٍ ، خَيْرٌ مِنْ قَعُودٍ ؟ »

وَلَعَمْرِي لَوْ بَلَغْتُ هَذَا الْمَبْلَغَ لَأَرْتَفَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْخَطَةِ ، وَلَأَرْضَيْتُ بِهِ هَذِهِ الْخَطَةَ ،
كَالنَّارِ ، وَلَا الْعَارِ ، وَالْمَنِيَّةِ ، وَلَا الدَّيْنَةَ ، وَالْحُرَّةَ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِذَيْنِهَا ^(٦) :

(١) واد البراجم : هو رجل من بني تميم - والبراجم حمة من أولاد حنظلة - والعرب تعبر للثل بواحد
البراجم لأن عمرو بن هند أقرق أحمسة وتسعين رجلاً من بني تميم لأنار له عندهم ، وكان قد آل أن يحرق
منهم مائة ، فيها هو ينس بنية المائة إذ مرّ رجل اسمه مزار فاشتم رائحة القنار فطن أن الملك أحمد طاماً
صعد إليه فقبل له « من أنت » فقال : « أنا واد البراجم » فألقي في النار .

(٢) شاعر جاهلي وفد هو وابن أخته طرفة بن السد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة فتادماه وبينما طرفة
يعبر يوماً معه وفي يده جمل من ذهب فيه شراب أهرقت أخت عمرو ، وراها طرفة فقال : « ألا بأبي الطي
الذي تبرق شفتاه ، ولولا الملك القاعد ألثني فاه » فسمعها عمرو بأسرها في غيبه وهم يفتنه ، ولكنه خاف
من هجاء المتلس ، فكتب لها كتابين إلى عامل البحرين ، وقال : « إني كتبت لكما بمسلة فأقبصاها
من عامل البحرين » فخرجا عن عنده بالكتاب ، وصرّ للمتلس بمال من أهل الحيرة ، فطلب إليه أن يقرأ
كتابه فإذا فيه « إذا أتاك المتلس فاقطع يديه ورجليه واسله » فأقبل على طرفة فقال « والله لقد كتب لك
بمثل هذا ، فادفع كتابك إلى الملام بقرؤه » فقال : « كلاما كان ليحترى على نومي بمثل هذا » فألقي
للمتلس صفيته في نهر الحيرة وذهب طرفة هتلاً .

(٣) ابنة الحسن امرأة جاهليقرت سبد لهاء طما فروعها وعبودها بفتلتها ولاموها عليها قالت لهم متخوة :
« لقد حطى على ذلك قرب الوساد ، وطول السواد » وفي معنى بطول السواد : طول السراء ، وفي الحديث :
« السواد من البحر » يقول : سواده أي ساورته ، أطر (٤) من ١٩٨ « (٤) حتى من تطلب .
(٥) حتى من العين ، وهو من شعر مهمل التظلي حين حرب وطالت عليه حرب اليسوس فزل في طريقه
على حتى من العين فطلبوا إليه ابنته فسألوا للمهر وهو جلود من آدم وغصبه على الزواج فقال :

« أمزج على تطلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جهم

أكنها قدما الأرام من جـ ب وكان الحياه من آدم

لوبا بأبائيه حله خاطبها خرج مألّف خاطب بدم .

(٦) هذه أختة لـ فضا الملاك عـ فضا الاحدوة

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنَكْحٌ وَفَتَيَانِ هَزَانِ الطُّوَالِ التَّرَاتِقَةِ^(١)

مَا كُنْتُ لَا تَخْطِي الْمِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمْتَطِي التُّورَ بَعْدَ الْجَوَادِ ، فَلَمَّا
يَلْتَمُّ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً ، وَيَرْغَى الْهَشِيمَ ، مَنْ عَدِمَ الْجَمِيمَ ، وَيَرْكَبُ الصَّغْبَ
مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ ، وَلَمَّا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبَوْتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ
مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْمَصْرِ ، وَرِيحَانِ الْمِصْرِ ، الَّذِينَ هُمْ الْكَوَاكِبُ غُلُوْهُمُ ،
وَالرِّيَاضُ طَيْبُ شَيْمٍ :

«مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي^(٢)»
حَنْ قَدْحُ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ، وَأَنْتَى تَقَعُ مِنْهُمْ ، وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَאוْ
تَحْمِرُو فِيهِمْ ، وَكَالْوَشِيظَةِ^(٣) فِي الْعَظْمِ يَنْتَهُمُ ، وَإِنْ كُنْتُ إِذَا بَلَفْتُ قَعْرُ
تَابُوتِكَ ، وَتَجَافَيْتَ عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ ، وَعَظُرْتَ أَرْضَانِكَ ، وَجَرَزْتَ هَيْمَانِكَ ،
وَاخْتَلَمْتَ فِي مِشْيَتِكَ ، وَخَذَفْتَ فُضُولَ لِحْيَتِكَ ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ،
وَمَطَطْتَ حَاجِبَكَ ، وَرَقَّقْتَ خَطَّ عِذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَفْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، وَجَاءَ
إِلَّا كَسْتَانِ فِيهِمْ ، وَعَلِمَا فِي الْأَعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَلَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتَ
اسْتِكَ الْخَفَرَةِ^(٤) ، وَأَلْهَلَوْكَ كَسَاكَ مُحَرَّقَ الْبُرْدَيْنِ^(٥) ، وَحَلَّتْكَ مَارِيَّةُ^(٦) بِالْقُرْطَيْنِ
وَقَلَّدَكَ عَمْرُو الصَّنْصَانَةَ^(٧) ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّمَامَةِ^(٨) ، مَا شَكَّكَتُ فَيْكَ ،

(١) اسم قبيلة - والعراقة الشباب ، واليت للأعشى .

(٢) اليت للمهندس أحمد بن بكر بن كلاب .

(٣) قطعة العظم تكون زيادة في العظم الصميم - يقال ملان وشيطة في قومه أي حشروهم .

(٤) مثل يضرب لمن يطلب أسرا فيخطئه ولا يثله . (٥) الطرس « ٢٠٠ »

(٦) ابنة ظالم زوج الحارث الأكبر النساب - وقد أهدت قوطيا إلى الكعبة .

(٧) الطرس « ٢٠٧ - ٢١٠ »

(٨) فرس الحارث بن عباد النخعي من سادات بني وائل

وَلَا سَتَرْتُ أَبَاكَ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ، وَهَبَكَ سَامِعَتُهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ
وَالْحَسَبِ، وَجَارَتُهُمْ فِي قَائِدِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ، أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى يَتِّ
قَمِيدَتُهُ لِكَاعٍ ^(١)؛ إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبُ خَالِي الذَّرَاعِ، وَأَيْنَ مَنْ أَفْقَرُ بِهِ يَمُنُّ
لَا غَلَبَ إِلَّا عَلَى الْأَقْلِ الْأَخْسَ مِنْهُ، وَكَمْ يَنْ مَنِ يَعْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ،
وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ، وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَيَّ، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَى، وَيَنْ آخَرَ
قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ، وَزَحَحَتْ بِيرُهُ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ،
وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشَفُ وَسُوءُ الْكَيْلَةِ ^(٢)، وَيَقْتَرِنُ عَلَيَّ بِكَ إِلَّا
الْعُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي يَتِّ سَلُولِيَةٍ ^(٣) :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَغْنَاكَ الرَّجَالِ ^(٤)
مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ، وَتَرْبَعَ بِذَاكَ عَلَى ظَلَمِكَ، وَلَا تَكُنْ
بِرَاقِشٍ ^(٥) الدَّالَّةَ عَلَى أَهْلِهَا، وَعَتَرَ السُّوءُ الْمُسْتَنْتِيرَةَ لِحَفْهَا، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ
بِكَ الْمَشَاءُ عَلَى سِرْحَانٍ ^(٦)، وَبِكَ لَا بِظَنِّي أَعْفَرَ ^(٧)، أَعْذَرْتَ إِنْ أَغْنَيْتَ شَيْئًا،
وَأَصْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ^(٨) .

(١) القبيدة : الروحة ، والكعاج : الخيمة ، واليت للحبيطة يقول :

« أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قبيدته لكعاج . »

(٢) مثل يصرب في الحطب الشيخين يجتمان . قالوا أنه لمرو بن مديكر ، والحشف أودأ التمر ،
والكيلة مصدر يدل على الميتة .

(٣) وهي امرأة من سُلُو ، وهو مثل فله طمرين الطويل عند ما تودع النبي - صلى الله عليه وسلم -
مدحا عليه وقال : اللهم اكفني طمرا بما شئت ، ظهر في رقبته غدة مات بها وجعل يقول : « غدة كغدة
البحر ، وموت في بيت سلوية . » (٤) البيت لأبي العنابية . (٥) يشير إلى النمل (حنت
على أهلها برائش) (٦) الدف . (٧) مثل يضرب للشماة بالرحل - أي نزل بك للكره ولا
نزل بطي ، والأظهر القى لونه لون التراب . (٨) يشير إلى قول المرعي :

« لقد أسمعتم لو ناديت حيا ولكن لحيات لمن نادى

ونار لو مدح بها أضأمت ولكن أنت تتبع فرماد »

ولله اقتبسها في قصيدته من شعر عمرو بن -

إِنَّ الْمَصَا قُرِعَتْ لِنَدَى الْحِلْمِ وَالشَّىءُ تَحْفَرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي^(١)
وَأِنْ بَادَرْتَ بِالْإِدَامَةِ ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِاللَّامَةِ ، كُنْتَ قَدْ اشْتَرَيْتَ
الْعَاقِبَةَ لَكَ بِالْعَاقِبَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ قُلْتَ جَمْعَةً وَلَا طِلْحَ ، وَرُبَّ صَلَفٍ نَحَتْ^(٢)
الرَّاعِدَةَ ، وَأَنْشَدَتْ :

« لَا يُؤَايِسُنْكَ مِنْ مُخَذَّرَةٍ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا^(٣) . »

فَعُدْتُ لِمَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتُ مَا اسْتُعْفَيْتَ مِنْهُ ، بَشْتُ مَنْ يُرْجِيكَ إِلَى
الْخَضِرَاءِ^(٤) دَفْعًا ، وَبَسْتَحْنِكَ نَحْوَهَا وَكَرَاهًا وَصَفْعًا ، فَلَدَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبْتُ
أَكَارُوهَا^(٥) بَكَ ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ ، فَبَنَ قَرَعَةٍ مُنَوَّجَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ ،
وَمِنْ فُجَلَةٍ مُنْتَنَةٍ يُرْمَى بِهَا تَحْتَ خُصَاكَ ، ذَلِكَ مَا قَدَمْتَ يَدَاكَ ، لِتَدُوقَ وَبَالَ
أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :

فَبَنَ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٦)

(١) وهما مثلال يصران في التحدير، وقد بطهما الحارث بن رطله اليشكري ، وقد قتل من سادات قومه أحاه فقال:

« أَتَلَبَّ سَادَتَا الْإِرْقِ إِلَّا لِنَوْمِ قُوَّةِ الْعَطْمِ
وَوَطْنَا وَمَلْنَا عَلَى حَنْفِ وَطْنِ الْقَبْدِ نَامَ الْمَرْمِ
وَرَمَتْ أَمَا لَا حُلُومَ لَنَا إِنْ الْمَصَا تَرَعَتْ لِنَدَى الْحِلْمِ
لَا تَأْمِنُ قَوْمًا طَلَفْتِهِمْ وَبَدَأْتِهِمْ بِالْشَّرِّ وَالْعَدَمِ
إِنْ يَأْبُرُوا نَحْلًا لَسِيرِهِمْ وَالشَّىءُ تَحْفَرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي
الْآنَ لِمَا أَيْمَسَ مَسِيرِي وَعَضَعْتِ مَنْ يَأْتِي عَلَى حِدَمِ
تَرَحُّوا الْأَعَادَى أَنْ أَصَالُهَا حَلَا تَوْحَمَ صَاحِبِ الْكَلَمِ
قَوْمِي هُم قَتَلُوا أَيْمِي أُنْجَى فَإِذَا رَمَيْتَ بِصَبِي سَهْمِي
فَلَقَى غُلُوتَ الْأَعْمَلِ حَلَا وَلَقَى أَمِيتَ الْأَوْحَنَ عَطِي . »

(٢) الحسبة: صوت الرعي، والطلس: الذئب، والمص: فة الحمار والبركة: وسحاب صلف: أي قليل الماء كثير
الزهد، وهما مثلال يصران لمن يتوعد من غير أن يصل . (٣) هذا البيت ليشان بن برد - وسده قوله :
« عَصِرَ النِّسَاءُ إِلَى مِيسَرَةٍ وَالصَّبِيرُ يَرْكَبُ بِمِيسَرَةٍ . »

(٤) اللحية: للرذوة من البهائم، والوكر: ضرب الطير مع الدخ أو الصرب بمجتمع اليد على الدخ
(٥) الأكارون: الزارعون. (٦) البيت الثاني - من تصديق قدم كافور الاخشيدي وصحاه ، ومنها قوله :

« وَتَقَدَّرْتُ أَحَبَّ قَبْلِ الْحَمْدِ يَأْنِ الرُّؤُوسِ عَلَى النَّهْيِ
مَلَا قَطَرَتْ إِلَى هَقْلِهِ وَجَعَتْ النَّهْيُ كَمَا فِي النَّهْيِ
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَسْمَانِهِمْ تَامَا بِرُوحِ رِيَّاحِ فَلَا . »

الرسالة الجدية لابن زيدون^(١)

« كتبها لابن جهور »

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَّادِي لَهُ ، وَأَعْتَادِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتَادِي بِهِ ،
وَأُمْتِدَادِي مِنْهُ ، وَمَنْ أَقْبَاهُ اللَّهُ مَاضِيَ حَدِّ الْعَزْمِ ، وَارِي زَنْدِ^(٢) الْأَمَلِ ، فَأَبَتْ
عَهْدَ النِّعْمَةِ ، إِنْ سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِبَاسَ نَعْمَاتِكَ ، وَعَطَلْتَنِي مِنْ حُلَى
إِبْنَانِكَ ، وَأَعْلَمَاتَنِي إِلَى بَرُودِ^(٣) إِسْنَانِكَ ، وَفَقَضْتَ بِي كَفَّ حَيَاتِكَ ،
وَعَضَضْتَ^(٤) عَنِّي طَرْفَ^(٥) حَيَاتِكَ ، بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأُمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ،
وَسَمِعَ الْأَصَمُّ ثَنَاءِي عَلَيْكَ^(٦) ، وَأَحْسَنَ الْجَمَادُ بِاسْتِحْكَامِي إِلَيْكَ - فَلَا غَرَوَ
قَدْ يَنْصُ بِإِلْمَاءِ شَارِبِهِ . وَيَقْتُلُ الدَّوَاهُ الْمُسْتَشْفِي بِهِ ، وَيُؤَوِّي الْحَذِرُ مِنْ
مَأْمَنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَنِّي فِي أُمْنِيَّتِهِ^(٧) ، وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ
الْحَرِيصِ^(٨) :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرَّ عَلَى الْفَتَى وَتَهَوَّنُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحَسَادِ
وَإِنِّي لَا تَجَلَّدُ ، وَأَرَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لَرَيْبٍ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمُّعُ^(٩) ، فَأَقُولُ :

(١) ارجع إلى « ص ٤٩ » (٢) الرند : الرناد ، ووري الرد هو اقتداحه وخروج النار منه .

(٣) برود : بارد . (٤) فضضت : حففت .

(٥) طرف : عين . (٦) يشير إلى قول المتنبي :

« أَنَا أَقْبَى نَظَرِ الْأُمَى إِلَى أَدَى وَأَسَمْتُ كَلَامِي مِنْ بِهِ صَم »

(٧) قها يؤلمه وجسده .

(٨) الحين : الهلاك ، والجهد : الطاعة ، وهذا مثل من أمثال العرب « جهور » قال عدى بن زيد :

« تَدِيدُكَ لِلْبَطَى مِنْ حَطِّهِ - وَالْحَيْنُ قَدِيسِقُ جَهْدِ الْحَرِيصِ »

(٩) يشير إلى قول أبي ذؤيب الهذلي :

« وَتَجَلَّدِي قَشَابَتِينَ أَرْبَعَهُمُ أُنَى لَرَيْبِ النَّمْرِ - لَا أَتَضَمُّعُ »

وقد تَجَلَّدَ به مطوية ليل ولأه .

هَلْ أَنَا إِلَّا يَدُ أَدَمَاهَا سِوَارُهَا ^(١)، وَجَبِينُ عَضٍ بِهِ إِكْلِيلُهُ ^(٢)، وَمَشْرِقِي ^(٣)
 أَلَمَقَةُ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ، وَمَهْمَرِي ^(٤) عَرَصَهُ عَلَى النَّارِ مُتَّقِفُهُ، وَعَبْدُهُ ذَهَبَ
 بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

« قَقَسَا لِبَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ ^(٥) ،
 هَذَا النَّمْبُ نَحْمُودُ عَوَاقِبُهُ، وَهَذِهِ النَّبَوَةُ ^(٦) غَمَرَةُ ^(٧) ثُمَّ تَنْجَلِي ، وَهَذِهِ
 النَّسَكَةُ سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ ^(٨)، وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ
 أَبْطَأَ سَيِّبُهُ ^(٩)، أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ ضَنِينٍ - غَنَاؤُهُ ^(١٠)، فَأَبْطَأُ الدَّلَاءَ فَيَضَا
 أَمْلُؤَهَا ^(١١)، وَانْقَلَبُ السَّحَابُ مَشِيًا أَحْفَلُهَا ^(١٢)، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ ^(١٣)
 جَذْبًا ، وَاللَّهُ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَدِيلًا ^(١٤)، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ

(١) السوار : نوع من الخيل يلبس في الساعد ، وقرب من هذا قول المتنبي :

« دوكب - وما أثرت بهم - يد لم يدمها إلا السوار

له - من قدامه - ألم وسم ، وفيها - من حلاله - انتحار . »

(٢) الأكليل : الناح . (٣) الشرق : السب .

(٤) المهمرى : أرمج .

(٥) البيت لأى تميم ، وقرب من هذا المتن قول الممرى :

« صرنا إليك - فأدبا على رشد - ولا تقل هو ذل - ع - ير عظم

يرب شقى رأس جر مصعة ، وقس على شقى رأس السب والتملم . »

(٦) السوة : الحفوة . (٧) الغمرة : الشدة . قال الشاعر :

« وما عى إلا غمرة ثم تنجلي سريما ولا موة تصرم . »

(٨) مثل عربى : يشير إلى أن الصبر يجتبه الأمير بعد قليل .

(٩) سيبه : حوده أو عطاؤه . (١٠) غناؤه : حيره أو فقه .

(١١) مثل عربى ، يقولون : « لعل أبطأ الدلاء أملؤها » وقد اشتق به الحريرى فى إحدى

مقاماته ، وممنه إن أبطأ الدلاء فى المصود من الدلاء المتكة بالماء .

(١٢) أحفلها : أكثرها ماء .

(١٣) الحيل : البيت أو الطريق .

(١٤) أنفيل : شدة العطش .

كِتَابٌ ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَى أَهْتِيَالِهِ ^(١) ، وَلَا حَتْبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ ^(٢) :
« فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ - الَّذِي سَاءَ - وَاحِدًا ، فَأَفْعَالُهُ - اللَّاتِي مَرَزَنَ - أَوْف . »

* *

وَأَعُوذُ فَأَقُولُ :

« مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْهُ عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمُكَ ،
وَالتَّطَاوُلُ ^(٣) الَّذِي لَمْ يَسْتَعْرِفْهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ ،
وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا ، فَأَيْنَ الْعَدْلُ ؟ أَوْ مُسِيئًا ، فَأَيْنَ الْفَضْلُ ؟
إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَمَعْلُكَ أَوْسَعُ ^(٤)
حَنَانِيكَ ^(٥) قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ^(٦) ، وَتَالَنِي مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى ، وَمَا أَزَانِي
إِلَّا أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ ^(٧) فَأَبَيْتُ وَأُسْتَكْبَرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحٌ ^(٨) :
« أَرْكَبْ مَعَنَا » فَقُلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » وَأُمِرْتُ

(١) اهتياه : اعتداه .

(٢) أهفاله : تهاويه وتهاوله .

(٣) التَّطَاوُلُ : التكبر ، والتطاول : التمسك ، والتعامل : التكيف بما لا يطاق ، والاحتمال : هو

القدرة على الحمل .

(٤) البيت الأول لله تبارك وتعالى ، والثاني مأخوذ من قول الشاعر :

« مَبْنِي طُلُومًا لِنَسَبِهِ بِمَسَاءَةٍ قَصَاصًا بِأَيْنِ الْأَحْدِيَا عَزَّ بِالْعَمَلِ » .

(٥) حنانيك : رحمتك وهو مثل كلمة حنان .

(٦) الزبي : جمع ربة وهي الحفرة في مكان مرهق لا يطوله الماء تحفر لعيد الأسد ، فاذا وصل إليها

السيل كان سيلًا عظيمًا لا عهد للأس به ، وهو مثل يضرب لاهي . يرى على طأبه .

(٧) يشير إلى استكثار الملبس عن السجود لآدم حين أمره الله بذلك مصداقًا وحجت عليه اللعنة ، ففضل

نصه عليه لأنه من ناز آدم من طين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : « مسعدوا إلا

لملبس أبي واستكبر وكان من الكافرين » .

(٨) يشير إلى قصة نوح حين فاض الطوفان ، وركب السفينة هو ومن معه وخالفه أبوه وصاه فهلك ،

وقد أشار الكتاب الكريم إلى ذلك في قول نوح : « يا أيُّ أركب معنا ولا تكن من الكافرين » وقوله

أبوه : « سأوى إلى جبل يعصمني من الماء » .

يَبْنَاهُ الصَّرْحَ ^(١) لَعَلِّي أُطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ، وَعَكَفْتُ عَلَى الْعِجْلِ ^(٢) ، وَأَعْتَدْتُ فِي السَّبْتِ ^(٣) ، وَتَطَايْتُ ^(٤) فَمَقَرْتُ ^(٥) ، وَشَرِبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أُبْثِلِي بِهِ جِيُوشُ « طَالُوت » ^(٦) ، وَقَذْتُ الْقِيلَ لِابْرَهَةَ ^(٧) ، وَطَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ ^(٨) ، وَتَأَوَّلْتُ فِي يَمَعَةِ الْعَقَبَةِ ^(٩) ، وَنَفَرْتُ إِلَى الْعِيرِ يَبْذُرُ ، وَأُنْخَذْتُ ثُلُثَ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ ^(١٠) ، وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْمَضَرِّ فِي

- (١) الصرح : الفصر - يشير إلى قصة فرعون وهي مذكورة في الكتاب الكريم حين قال : « يَا أَيُّهَا لِلَّهِ مَا طَعْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عِبْرِي فَأَوْفِدْ لِي يَا حَامَانَ عَلَى الْعَيْنِ مَاجِلَ لِي صِرْحًا » .
(٢) يشير إلى عجل بني إسرائيل الذي عبده .
(٣) يشير إلى قصة بني إسرائيل حين ذابوا من الصيد في يوم السبت ظالموا ما نهوا عنه ، لحق بهم العذاب
(٤) تطاييت : أي قتت على أطراف أصابع رجلي ورفضت يدي وضربت .
(٥) عقرت : تكلت يقال عقر العير بالسيف أي ضربت ثوائمه به وهو يشير بذلك إلى ناقة صالح ودب من عقرها ، وإلى الآية الكريمة : « قَالَ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسَقِيهَا صِدْمٌ مِنْهُمْ لِيُحْمِلَ مِنْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ مِثْلَ حَاقِيقِهِمْ »
(٦) يشير إلى الاسب الذي اقترعه حبش « طالوت » عليه السلام ، وإلى الآية : « إِنَّ اللَّهَ مَتْلُوكٌ بِكُمْ نَهْرٌ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ بَعْدَ يَدِهِ » - ولكن أكثرهم حاله وعرب منه فوعدوا في الاسب ، قال أبو العلاء : .

« سَقِيًا لِنَسَةِ وَالِدِيَا مَعْرِقَةٍ حَتَّى يَمُودَ احْتِاجَ الْبَحْرِ تَشْتَبِيَا وَسَمْعَا لَا أُرِيدُ بِالْخُرْمِ مِنْ نَهْرٍ كَأَنَّمَا أَنَا مِنْ أَصْحَابِ طَالُوتَا »

- (٧) يشير إلى قصة أرملة حامل اللبن من قبل الحافى حين دهم لهم الكسفة ومعه العيلة لنفسه عليها إذ يرى كسفة في صماء اللبن ليحج إليها الناس بذل الكسفة فلم يسوا بها ولموطر حلل صماء وأحرقها بمن نهار اللبن ، وعصب الحافى من ذلك ، وأمر أرملة حامل اللبن بهدمها وانقصه مذكورة في الكتاب الكريم « ثُمَّ تَرَى إِلَى دَبْكٍ كَيْفَ صُلِّ بِأَصْحَابِ الْعِيلِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ دُكِّمُوهُمْ فِي تَعْمِيلِ * وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَاهِلُكُمْ كَصُفٍّ مَا كُورِلَ » وقد أشار للمرى إلى هذه القصة في لزمياته بقوله :

« حَدِيثٌ جَاءَ عَنْ قَائِدٍ لِي - فِي الذَّمِّ - وَهَابِيلَا
وَطَبِيرٌ حَكَمْتُ يَوْمًا عَلَى الْجَيْشِ أَبَابِيلَا
مَنْ تَزَلَّ عَنْ دِيَا تَزِيدَ الْقُلَّ تَحْيِيلَا »

- (٨) يشير إلى الصحيفة التي كتبها قريش وعطفوها في الكسفة بفرزدق فيها مقاطعة النبي - صلى الله عليه وسلم - وشاربة الإسلام بعد أن رأوا إسلام عمر وحزرة الذي اعتنق بها الدين .

(٩) تمس يمة العقبة : مخالفة الأجاج والشذوذ من شجة الصواب .

- (١٠) يشير إلى واقعة « أُحُد » حين اغتفل بن سُلَول هو ومن معه من المناطين ورجعوا بطلت الجيش .

بني قُرَيْظَةَ ^(١) ، وَجِئْتُ بِالْإِمَّاكِ ^(٢) عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ ، وَأُنْقِذْتِ مِنْ
إِمَارَةِ أُسَامَةَ ^(٣) ، وَزَعَمْتُ أَنَّ يَمِينَةَ أَبِي بَكْرٍ ^(٤) كَانَتْ فَلَئَةً ، وَدَوَيْتُ
رُغْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ ^(٥) ، وَمَزَقْتُ الْأَدِيمَ ^(٦) الَّذِي بَارَكْتَ يَدَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
وَحَشَيْتُ بِالْأَثْمَعِ ^(٧) الَّذِي عُنُوَانُ السُّجُودِ بِهِ ، وَبَذَلْتُ لِقَطَامٍ ^(٨) .
« ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرْبَ عَلِيٍّ بِالْحُسَامِ الْمُسَمِّ »

- (١) بنو قريظة : طائفة من اليهود وقد أسر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بعد موذته من غزوة الحديبية أن يصلوا المعصر بن قريظة يسى بذلك أن يسردوا في الدواب إليهم .
(٢) تشير إلى حريمه - مطيح وحسان في حادثة الاطك ، وهي اتهام عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حين كانت عائدة من عروة بن الصمطاني وزلت من الحودج لعداء حاضنها وسار أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غير أن يتفقوا عائشة ، وكانت قد تخلفت عن الركب ، ومرت بها صفوان وكان متعلقا عن الركب فأركبها على جمل ، ولما وصلا أشاع أموان السوء ضبا ماأشاعوه ، ثم برأها الفركان ، وأظهر طهارتها ، وأجلم أهل الاطك والبهتان .
(٣) يشير إلى تولية النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن حارثة قيادة الجيش الذي ذهب إلى الشام وإلى قتلى بعض المهاجرين ، وأمنهم من إمارته ، ونصب الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليهم وتقريره لإمامهم ، وصودوه للدم وهو حاصب رأسه لرضه .
(٤) يشير إلى رأى الشيعة في أن علي بن أبي طالب كان أحدر الخلافة من أي كرم وعمر ، وأن أبا بكر قد أخطأها لسه اختلاسا .
(٥) يشير إلى ملك أبي شجرة السلمي في بعض حروب الردة بجيش خالد بن الوليد .
(٦) يعبر إلى أديم «حمر» أي جلده الذي مزقه أبو لؤلؤة الخواري حين قتله ، ويشير إلى قول الشاعر في رثائه :
« حمرى الله خيرا من إمام ، وماركت يد الله في ذاك الأديم للمرق » .
(٧) يسى بالأشمط : هيثم بن دعان ، وهو يشير إلى قول حسان بن ثابت في رثائه :
« فموا بأشمط ، منوال السجود » قطع الليل تسيباً وقرأنا .
(٨) قطام : اسم امرأة أقرت عبد الرحمن بن ملجم بقتل علي وعرضته هراً لها ، فأجابه إلى ماطلبت ، وعلى هذا البيت قوله :

« ملهم ألقى من علي - وإن علا - ولا حلك إلا دون ذلك ابن ملهم »
وقد أشار البحري إلى ذلك أبداع إشارة حين قال :
« ولا حجب للأسد إن طمرت بها »
طرية وحفي شقة حرة الردى ،
ودوت علي من حسام ابن ملجم .

وَكَتَبْتُ إِلَىٰ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ : « أَنْ جَمْعُ ^(١) بِالْحُسَيْنِ ، وَتَمَثَّلْتُ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَةِ ^(٢) :

« لَيْتَ أَشْيَاخِي - يَذِرُ - عَلِمُوا جَزَعَ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ »
 وَرَجَعْتُ الْكَعْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِذَ عَلَى الثَّنِيَّةِ ^(٣) ، لَكَانَ - فِيمَا جَرَى عَلَى -
 مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَى نَكَالًا ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ - عِقَابًا .
 « وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِيْنَا »

* *

فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا نَعِمَةٌ أَهْذَاهَا كَاشِحٌ ^(٤) ، وَنَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ .
 وَهُمْ اِهْتَمَّازُونَ الْمَشَاءِ وَنَ ^(٥) بَنِيمٍ ، وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا
 النِّصَا ، وَالْفَوَاةُ ^(٦) الَّذِينَ لَا يَتَرُكُونَ أَدِيمًا ^(٧) صَحِيحًا ، وَالشَّعَاءُ ^(٨) الَّذِينَ
 ذَكَرَهُمُ الْأَخْفُ بْنُ قَبَسٍ فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدُوقُ مُحَمَّدٌ إِلَّا مِنْهُمْ »
 « حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَّةً ، وَلَيْسَ - وَرَاءَ اللَّهِ - لِمَرَّةٍ مَذْهَبٌ »
 وَاللَّهِ ، مَا عَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ ، وَلَا انْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ ^(٩) ، وَلَا
 نَصَبْتُ لَكَ ^(١٠) بَعْدَ النَّشِيعِ ، وَلَا أَزْمَعْتُ بِأَسَا مِنْكَ مَعَ ضَمَانٍ تَكْفَلْتُ بِهِ

(١) يشير إلى محرمين عبد الله بن زياد على قتل الحسين حين أرسل عمر بن سعد لقتله وأعطاه شمر وأمر عبد الله عمرو بن سعد أن يصبغ بالدهن أي يصبغ عليه الحماق .

(٢) وقعة الحرّة - يشير إلى ما فعله يزيد بن معاوية حين أرسل عقبة بن مسلم لحاربة أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام ، ولما تمّ ليبريد ذلك تمثل يقول ابن الربري : « ليت أشياخي الخ . »

(٣) يشير إلى درهم الحاج الكوفة المنعيق وصلبه عبد الله بن الزبير وهو يصبه بالنداء أي اللقيح ، والنشبة : طريق القعة . (٤) الكاشح : المذو .

(٥) الهارون : الذين يكتزون الحر وهو البنية ، وللشاهون : الذين يكتزون السي من الناس بالبنية .

(٦) الفواة : جمع فاة وهو لاسل . (٧) الأديم الجله .

(٨) الشعاء : الذين يسمون من الناس بالفساد . (٩) الصاعية : صاعية الرجل خاصته الذين

يسمون إليه ويتشوقون لجلسه . (١٠) ولا نصبت لك : طردتك

الثِّقَةُ عَنْكَ ، وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ . فَصِيحَ عَبَثَ الْجَفَاءِ بِأَذْمَتَيْ^(١) ،
وَعَثَ الْمُعْثُوقُ فِي مَوَاتَانِي ، وَتَمَكَّنَ الضَّيَاعُ مِنْ وَسَائِلِي ؟ وَلِمَ صَافَتْ
مَذَاهِبِي ، وَأَكْذَبَتْ مَطَالِبِي ؟ وَعَلَامَ رَضِيتُ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّغْلِيْقِ . بَلْ
مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ^(٢) ؟ وَإِنْ غَلَبَنِي الْمَغْلَبُ^(٣) ، وَفَعَرَ عَلَى الْعَاجِزِ الضَّعِيفُ ،
وَلَطَمَنِي غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ^(٤) ؟ وَمَا لَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَفْتَرَسَ ، وَتَذَرِكُنِي
وَلَمَّا أَمْرَقَ^(٥) ؟ أَمْ كَيْفَ لَا تَنْتَضِرُ جَوَانِحَ الْأَكْفَاءِ^(٦) حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ
بِكَ ؟ وَتَقَطِّعُ أَفْكَاسَ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَاتَةِ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ وَقَدْ
زَانَنِي قَدِيمُ خِدْمَتِكَ ، وَزَهَانِي وَنَمُ نِعْمَتِكَ ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي
سِمَاطِكَ^(٧) ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ الْمُخْمُودَ عَلَى بِسَاطِكَ ؟

« أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غَرَّ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ - أَنْجُمًا
تَنَاهَ يَطْلُ الرُّوْضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضَحَا ، وَيُخَالُ الْوُشْيُ فِيهِ مُنْمَنًا »

(١) الأذمة : العهود والحرمان . (٢) رصيت من العيبة بالاياب : مثل يضرب في القنطرة بالسلامة
قال امرؤ القيس :

« لقد طومتني - الآفاق - حتى رضى من النيمة بالاياب . »

(٣) الغلب : أى الضيف . قال الشاعر :

« فاك لم يغر عليك كفاحر صيف ولم يهلك مثل ملب . »

(٤) و المثل : لو ذات سوار لطمتي ، يشير إلى ضعف للعدى وحفارته والعادة أن السوار
لا تلبسه إلا الحرمة . قال الشاعر :

« بلاد ليس يملكه بلاد عداوة عيردى حب ودين »

يبطك منه حرماً لم يحره ويربح منكى عرض مصون .

وقال للمرى : « خف يا كريم على حرص لعمركه لعائن ، طعم لا يقاس بكما

إذا راحت - لما حطت - سبكت وكم تحطم من در فاسبكا . »

(٥) وتذكرني ولما أمرق : يشير إلى قول للشاعر العدى ، وقد اشبهه به عثمان عفان وكتابه إلى على :

« فان كنتما كولا فكن أنت آكلى وإلا فأدركى ولما أمرق . »

(٦) الأكفاء : جمع كفء وهو الند أى المثل .

(٧) السباط : المص ، وقد مر بك قول ابن زيد بن وى ص « ١٤٤ »

« إذا ما استوى في القمصه فاندجوة ، وقام سباطا حلقه لئلا الصدر

أى صفا حلقه . »

وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا مَاءٌ مِثْلُ مَاءِ بَيْتِهِ بِفَضَائِلِكَ، وَتَقَلَّدَتِ الْجَوَازَاهُ إِلَّا عِقْدًا
فَصَلَّتُهُ بِمَآئِكَ، وَأَسْتَمَلَى الرَّيْسُ إِلَّا نَاءَهُ مَلَأَتْهُ بِمَحَاسِنِكَ، وَبَثَّ^(١) الْمِسْكُ
إِلَّا حَدِيثًا أَدْعَتْهُ فِي عَمَائِكَ؟ مَا يَوْمُ «حَلِيمَةَ» بِسِرٍّ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُنْكَ
سَلِيًّا^(٢)، وَلَا حَلِيَّتُكَ عَطْلًا^(٣)، وَلَا وَصْمُكَ غُفْلًا، بَلْ وَجَدْتُ آجْرًا وَحِصًّا^(٤)
فَبَيَّنْتُ، وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَمَةٍ فَقُلْتُ، حَاشَ لَكَ أَنْ أَعْدَمَ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ^(٥)
وَأَكُونَ كَالَّذِيبَالَةِ^(٦) الْمَنْصُوبَةِ نَصِيٍّ لِلنَّاسِ وَتَحْتَرِقُ، فَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَهُوَ
- يَكْ وَبِي - فِيكَ أَوْلَى، وَلَمْ نَمْرِي إِنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أُنَحْوَلَ^(٧) إِذَا بَلَمْتَنِي
الشَّمْسُ وَبَنَى بِي الْمَنْزِلُ، وَأَصْفَعَ عَنِ الْمَطَامِعِ الْبَنَى تَقَطُّعَ أَغْنَاكَ الرَّجَالِ .
فَلَا أُسْتَوِطِنُ الْعَجْزَ، وَلَا أَطْمَنُّ إِلَى الْغُرُورِ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ :
«خَايِرِي أُمُّ قَامِرٍ»^(٨) وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنْ الْجَلَاءَ^(٩) سِبَاهُ^(١٠) وَالنُّفْلَةَ^(١١) :

(١) بَثَّ : نذر ، وقوله « ما يوم حليمة سر » مثل يضرب في كل أمر متعالم مشهور ، وأصله أن
الحارث بن أبي شمر وحده حبشاً إلى اللندر بن ماء السماء في البروة التي قتل فيها ، وأمر ابنته حليمة فأخرجت
لهم مركباً فيه خلوق أي طيب ، فقال حلقهم طرحت إليهم ، فجعلت تحلقهم وهي من أجل نساء عصرها ،
ومضى التوم حتى أتوا اللندر ، طالوا أنبياءك من عدد صاحبها وهو يدين لك بالطاعة وبطبيخ حاجتك ، فباهر
اللندر بذلك ، وعمل اللندر وعسكره سبي العلة لخدوا عليه فقتلوه ، وكان الحارث قد أوصاهم بذلك قبل أن
يوجههم إليه ، قيل : ما يوم حليمة سر فبعت مثلاً .

(٢) السليبي : الملبوس (٣) العطل : العاطل . طال الطمراني :

« أصالة الرأي سائق من الحطل وحليمة الفصل رانقوى العطل . »

(٤) الآخر : الطيب ، والحسن : الخير . وقد تناول الكتاب والشعراء هذا المعنى ، ولكن كما لم يراع أبداع
من قول أمير الشعراء في قصة قدير على لسان وصيفة ملكة فارس :

« إني وصفت ذهاً في يومه ولم أصف - بالطيب - إلا زمعه

وقلت من شمس النهار : مشرقه . »

(٥) يشير إلى قوله تعالى : « وحوه يومئذ حاشمة عامة ناصة تعمل تاراً حليمة . »

(٦) يشير إلى قول عباس بن الأخنف :

« صرت كالثي ذفلة نمبت نصي للباس وهي تحرق . »

(٧) في المثل « إياك الشمس تحول » (٨) خاسري أم طمر : مثل يضرب لمن عرف

الدين وتطلبها ولم تنمه سرفته أن يميل إليها ويتر بها . قال الجاهل زهير :

« خذوك بالقول المحال نصبح أم طمر . »

(٩) الجلاء : التزوج من الوطن . (١٠) السباه : الأسر . (١١) والنفلة : النكال .

«وَمَنْ يَشْتَرِبْ مِنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْحَبًا
وَتَذَفْنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ يُسَى يَكُنْ تَأْسَاءُ النَّارِ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا»^(١)،
عَارِفًا أَنَّ الْأَدَبَ الْوَطَنُ لَا يَمُحُّ فِرَاقُهُ، وَالْخَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ زِيَالُهُ^(٢)،
وَالسَّبَبُ لَا يَمُحُّ، وَالْجَمَالُ لَا يَمُحُّ، ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّعْدِ بِالْكَوَاكِبِ أَهْلِي
أَثَرًا، وَلَا أَسْنَى خَطَرًا، مِنْ أَقْرِانٍ غَنَى النَّفْسِ بِهِ، وَاتِّظَامِهَا نَسَقًا^(٣) مَعَهُ،
فَإِنَّ الْحَاظِرَ لَهَا، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَّ
مَنْهَلَ بَرٍّ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ، وَضَوَّحَكَ قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ، وَأَعْطَى
حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ.

وَقِيلَ لَهُ: «أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَبًا فَبَهِذَا مَيِّتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ»
غَيْرَ أَنَّ الْوَطَنَ مَحْبُوبٌ، وَالْمَنْشَأُ مَأْلُوفٌ، وَاللَّيْبُ يَحْنُ إِلَى وَطَنِهِ، حَيْنَ
النَّجِيبِ^(٤) إِلَى عَطَنِهِ^(٥)، وَالكَرِيمُ لَا يَمُحُّوْ أَرْضًا فِيهَا قَوَائِلُهُ^(٦)، وَلَا
يَنْسَى بِلَادًا فِيهَا مَرَاضِعُهُ، قَالَ الْأَوَّلُ:

«أَحَبُّ بِلَادٍ لِلَّهِ مَا يَنْ مَنِمَجٍ - إِلَى وَسْطَى - أَنْ يَصُوبَ مَسْحَابُهَا
بِلَادُهَا حَلَّ الشَّكَابُ تَمَامِي^(٧) وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا»
هَذَا إِلَى مُنَآلَاتِي بِعَقْدِ جَوَارِكِ، وَمُنَافَسَتِي بِلَحْظَةِ مِنْ قُرْبِكَ، وَأَعْتَادِي

(١) كَبْكَب: الحبل . (٢) الرِّيَالُ: المفاخرة .

(٣) النَسَقُ: مَا كَانَ عَلَى نِطَامٍ وَاحِدٍ . (٤) الْحَبِيبُ: الْفِعْلُ الْكَرِيمُ مِنَ الْإِبِلِ .

(٥) الْعَطْنُ: مَرْكَ الْإِبِلِ حَوْلَ الْمَاءِ .

(٦) الْقَوَائِلُ: جَمْعُ قَائِلَةٍ وَهِيَ الَّتِي تَتَلَقَّى لِلْوُلُودِ عِنْدَ حُرُوجِهِ (الْبَابَةُ) .

(٧) وَفِي رِوَايَةٍ: «عَنْ الْبَابِ .» وَفِي أُخْرَى: «شَقَّ الْقَابِ» وَفِي رِوَايَةِ الْهَامِ:

«نَظِمْتُ عَلَى تَمَامِي» وَالتَّمَامُ: مَا يُلْحَقُ لِلْعَمَلِ لِيَقْبَلَ فِيهِ مِنَ الْحَسَنِ . قَالَ الشَّاعِرُ:

«وَالِدَا الْمَلِيَّةِ أَتَيْتُ أَظْهَرَهَا أَلَيْتُ كُلَّ تَيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ

أَنَّ الطَّمْعَ - فِي غَيْرِكَ - طَبَعٌ ، وَالْفَنَى - مِنْ مِوَالِكَ - عَنَّا ، وَابْتَدَلَ مِنْكَ أَعْوَرٌ ،
وَالْمَوْضُ لَفَاكٌ ^(١) :

« وَإِذَا أَنْظَرْتُ إِلَى أُمِيرِي زَادَنِي - صَنَاءً بِهِ - نَظْرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ »
وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) ، وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَأُسْتَمْعَدَ الْمَرْخُ
وَالْعَفَارُ ^(٣) ، فَهَذِهِ الْبَرَاءَةُ يَمُنُّ بِتَوَلَّائِكَ ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنكَ ، وَهَلَّا
كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ ، وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ :

« يَا مَنْ يَمِيزُ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ »
أَعِيدُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ ^(٤) خَلْبًا ^(٥) ، وَأُسْتَظَرَّ جَهَامًا ^(٦) ، وَأُكْدِمَ ^(٧)
فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعُقْبَانِ ^(٨) وَالرَّحِمِ ، فَأَ
أُبَسْتُ ^(٩) لَكَ إِلَّا لِتَدْرٍ ، وَمَا حَرَكْتُ لَكَ الْخَوَارَ ^(١٠) إِلَّا لِتَحْنٍ ، وَمَا
نَبَّهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامٍ ^(١١) ، وَمَا سَرَيْتُ إِلَيْكَ ، إِلَّا لِأَحْمَدِ السَّرَى ^(١٢) لَدَيْكَ . وَإِنَّكَ

(١) لفاء : حبيب . قال الشاعر :

« وما أُرْ بالصفيف وطلوني ولا حلى الماء ولا الحبيس »

(٢) كل الصيد في جوف الفرا : انظر « ص »

(٣) المرح والعفار : نوطان من الشجر سرهما الاتفاق ، وقريب من هذا قول للمري :

« وأبصت بك الحل - والحل - شمر - وأبجى من حاك الطلع والصال . »

(٤) أشيم : أراق السحاب لأرى أين يعطر . (٥) الخلب : البرق الذي لا يصحبه غيث .

(٦) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٧) أكدم : أمس - والثلث المري : « كدمت في غير مكدم » - وهو يضرب لمن يرد الشيء من غير أهله .

(٨) أبست إلى قول المتنبي :

« ولا تشك إلى قوم فتشتمهم شكوى المريج إلى العقبان والرحم . »

(٩) أبست : رفقت من الرق . (١٠) الخوار : ولد الناقة . (١١) يشير إلى قول بشار بن برد :

« إذا أبطعتك حروب العدا حبه لها حمراً ، ثم تم »

سقى لا ينام على غيرة ولا يضرب الماء إلا بدم . »

(١٢) يشير إلى قول الجهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى » يشير إلى قرب الفرج بعد الضيق .

إِنْ سَنَيْتَ ^(١) عَقْدَ أُنْرَى تَبَسَّرَ، وَتَقَى أَعْدَرْتَ ^(٢) فِي فَكَ أُنْرَى لَمْ يَتَعَدَّرَ،
وَعَلَمَكَ مُحِيطُ بَأَنَّ الْمَرْوُفَ فَمَرَّةُ النِّعْمَةِ، وَالشَّقَاقَةَ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ، وَفَضَلَ
الْجَاهِ - تَعَوَّدُ بِهِ - صَدَقَةُ :

« وَإِذَا أُنْرُوْهُ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ - فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ ^(٣) »
لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا بِذَرَاكَ ^(٤)، وَتَسْتَعْرِضُ فِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ، وَأَسْتَأْنِفُ التَّادِبَ
بِأَدَبِكَ، وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحَظَةٍ ^(٥)، وَلَا أَدَعُ
لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لِقِظَةٍ، وَاللهُ مُبَشِّرُكَ مِنْ إِبْلَاقِي بِهِذِهِ الطُّلْبَةِ ^(٦)، وَإِشْكَائِي ^(٧)
مِنْ هَذِهِ الشُّكُوَى، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمَنْعِ، وَتُسَوِّدُهَا أَحْفَظُ
مُسَوِّدِجٍ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ، وَذَلِكَ يَدِهِ وَهَيْئُ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا تَوَالَتْ عِذْرُ هَذَا التَّنْبِيهِ، وَأَنْسَقَتْ دَرَرُهُ، فَهَزَّ عِطْفُ غُلَوَانِهِ،
وَجَرَ ذَيْلَ خِيَلَانِهِ، عَارَصَهُ النُّظُمُ مُبَاهِيًا، بَلَّ كَأَيْدِهِ مُدَاهِيًا، حِينَ أَشْفَقَ
أَنْ يَسْتَعْطِفَكَ أَسْتَعْطَافُهُ، وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ أَلْطَافُهُ ^(٨) : فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ ^(٩)
مِنْهُ، وَاعْتَدَّ بِالْفَائِدَةِ لَهُ، فَزَالَ يَسْتَكِدُّ الذَّهْنَ الْعَلِيلَ، وَالْحَاطِرَ الْكَكِيلَ،
حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مَجْلُوءَةً، فِي أَفْوَابِهَا، مَنْصُوصَةٌ ^(١٠)، بِحُلِيِّهَا وَمَلَابِهَا ^(١١) :

(١) سليت : يبرن وسهت .

(٢) أعدرت : طلت العدر .

(٣) البيت لأبي تمام . (٤) ذراك : كنفك وطفك .

(٥) لحظة : نظره .

(٦) الطلعة : المطلوب . (٧) إشكائي : إزالة شكواي .

(٨) ألفتاه : حبه وبره .

(٩) العائدة : الجليل أو المنيح .

(١٠) منصوصة : مرموعة على النعمة لية الرفاه . (١١) اللاب : الرغائب .

مَلَهُوسٍ فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمَنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ الدَّسِيمِ^(١)
 سَرْنَا عَيْشَنَا الرَّبِيقُ الْخَوَاسِى لَوْ يَدُومُ السَّرُورُ لِمَسْتَدِيمِ
 وَطَرْتُ مَا أَنْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى زَمَنٌ ، مَا دِمَامُهُ بِالْذَّمِ
 إِذْ خَتَمَ الرِّضَا الْمُسَوِّغَ مِنْكَ وَبِزَاجِ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ
 وَغَرِبَ بَعْضُ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الْمَبْشُورَةِ ، نَشْوَانٌ مِنْ سُلَافِ النِّعَمِ
 طَالَمَا نَافَرَ الْهَوَى - مِنْهُ - غِرًّا لَمْ يَطْلُ عَهْدُ جِيدِهِ بِالنِّعَمِ

* *

أَيُّهَا الْمَوْفِى بِظُلْمِ الْأَيَّامِ لَيْسَ يَوْنِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ
 قَمَرِ الْأَفَقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ هُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ
 وَهُوَ الذَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْعَوُ - بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ - نَحْوُ الْعَظِيمِ

* *

بَوَّاءُ اللَّهِ « جَهْورًا » شَرَفَ السُّو دَدٍ فِي السَّرْوِ وَاللَّبَّابِ الصَّبِيمِ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْرَ ، فَكَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْعُمُومِ
 قَلَدَ الْفَمْرِ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ ، وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ
 خَطَرُهُ يَقْتَضِي الْكَمَالَ ، يَنْوَعِي خَلْقِي بَارِعٍ وَخَلَقَ وَسِيمِ

* *

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ: هَا أَنَا أَشْكُو، وَالْمَصَا بَدُو قَرَحَهَا لِلْحَلِيمِ
 مَا عَنَّا أَنْ يَأْتِيَ السَّابِقُ الْمَزَّ بَطَّ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالْطَّلِيمِ
 وَبَقَاءُ الْحَسَامِ - فِي الْجَفْنِ - يَنْفِي مِنْهُ بَسَدَ الْمَضَاءِ وَالتَّضْمِيمِ

(١) انظر شرح هذه القصيدة في «س ٥٠» من هذا الديوان

أَفَصَبْرٌ مِثْلَ خَسَا مِنَ الْآيَاتِ م؟ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ !
وَمَعْنَى - مِنَ الصَّنَى - بَهَنَاتٍ نَكَاتٌ بِالْكُلُومِ قَرَحَ الْكُلُومِ
مَسَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ، وَفِي الْمَاءِ نِدِ أَنْسُ يَتَنِي يَبْرُهُ السَّقِيمِ
نَارُ بَنِي سَرَى - إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ - لَطَاهَا، فَأَصْبَحَتْ كَالْعَرِيمِ
بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ نَشَأَ - تَكَ بُرْدًا وَسَلَامًا، كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ
لِلشَّفِيعِ النَّشَاءِ، وَالْحَمْدُ - فِي صَوْتِ بِ الْحَيَا - لِلرَّيَاحِ ، لَا لِلنُّيُومِ
وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُذَلَّلَ - لِي الصَّنِيبِ - مَتَابِي إِلَى الْمُهْمَمِ الزَّعِيمِ
وَوِدَادٌ - يُبَيِّرُ الْأَهْرُ مَا شَاءَ ، وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ
وَمَنَاءُ أَرْسَلَتْهُ مَلَوَّةَ الطَّا مِنْ عَن شَوْقِهِ ، وَلَهْوِ الْمُقِيمِ
فَهَوْرِيْمَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا قُفْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ
لَمْ يَزَلْ مُضْطَبًّا - عَلَى هَفْوَةِ الْجَا نِي - مُصِيبًا إِلَى أَهْذَارِ الْكَرِيمِ
وَمَتَى تَبْدَأِ الصَّنِيعَةَ يُورِلُكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالشَّيْمِ
وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَبَسٍ :

« لَيْسَ دَهْرِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُمٍ وَبَلَاءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ
لَيْسَ يُسْتَنْكَرُ النُّحُولُ لِلْفَلِي ، جَسَدِي مُبْتَلَى بِقَلْبٍ مَشُومِ . »

* *

هَا كَمَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَسْطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْحَبَلُ ، لَهَا ذَنْبُ التَّعْصِيرِ ،
وَحَرَمَةُ الْإِخْلَاصِ ، فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةِ ، وَأَشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ ، لِيَتَأْتِيَ لَكَ
الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ مِنْ بَرِّمَقَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إلى المظفر^(١)

« وكتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأظفـس،

صاحب بطليوس ، وصمئها قصيدة أولها .

ليبيض الطلى ، ولسود اللـم

يعقلى - مد بن عنى - لم »

لَمَّا لَبَسَ الْحَاجِبُ - أَعَزَّ اللَّهُ - رِداءَ الْمَجْدِ مُطْعَمًا ، وَحَمَلَ لِوَاءَ الْحَمَا

(١) كان الظفر من أعظم ملوك الطوائف . وكان أحرص الناس - كما يقولون - على جمع علوم الأدب ونوادير الأخبار وعبود التاريخ ، وقد ألب كتماناً كبيراً - في الأدب - في عشرة أحرار ضحكة ، وقد واد « بطليوس » مد موت أبيه « عبد الله بن مسلمة » المعروف بابن الأظفـس وقد استند « عبد الله » هذا الملك سنة ٤٣١ هـ - مد فتنة بني أمية بالأندلس - لما مات أمه ابنه « أبو بكر للظفر » وطأ أمره وبه شأنه ، ومالها حق مات سنة ٤٦١ هـ . وحله عليها أمه التوكل حتى قتله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ . وقد كان ابن هاد يبرمه بقتله - فيما يقولون - وكان التوكل قدم راحة في ساعة الظ والثر مع شحاعة مفرطة ومروسية تامة ، وقد رثاه ابن عدون قصيدته المشهورة ، وهى :

« المهر يجمع - مد النجى - بالآخر
أبهاك أبهاك لا آتوك موهبة
فما دمر حرب - وإن أبدى مسلمة -
ولا هودة بين الرأس - تأحمد
ولا نمرتك - من ديك - نومتها
ما ليالى - أقال الله عزتنا
في كل حين لها - في كل جارة
نمرت بالثى ، لكن كي نمر به
كم دولة - قديمته والتمتع بمحمدها -
موت بدارا ، وملك غرب قاتله ،
واسترجعت - من بني ساسان - ما وهبت
وأبتمت أحتها طمها ، وطاد على
وما أألت ذوى الهات - من يمن -
ومرت سباً - من كل طافية - ،
وأعنت على كليب - حكمها ومرت

فما البكاء على الأشباح والصور
من نومة بين ناب الليث والظفر
والبيض والسود مثل البيض والسمر
يد الصراب - وهي الصادم الذكر
فما صاعقة عبيها سوى السهر
من الليالى ، وحانتها يد المسير -
منه حراح ، وإن زافت من الصر
كلايم تار إلى الحائى من الزهر
لم تقى منها ، وسل ذكرارك من خبر
وكان صعباً - على الأملك - ذا أثر
ولم تدع - لبي يونان - من أثر
عاد وجرحهم منها ناقض للرد
ولا أبارت ذوى الثنايات من مفر
فما الليلى رايح منهم بجمع
مهلهلا بين سح الأرض والبحر

مُتَلَنَّا ، فَأَسْتَظَارَ بَارِقُ فُجْرِهِ ، وَأَسْتَضَاءَ فَاتِحُ ذِكْرِهِ ، وَشَهَرَتْ عَاسِيَتُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَسَارَتْ مَا تَرَاهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ ، لِمَا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ ،

ولم ترد - على الليل - محته
ودوخ آل ديات وإحوتهم
والفت صدى - بالمرق - على
وأهلك «أبرويزا» بابه وورث
ولدت «بزد حرد» العين واخترت
ولم ترد مواضى «رسم» ونا
يوم الليل سو بدر موا وسى
ومرقت «حمرأ» بالبيض، واخلفت
وأعرفت بنجب - فوق طارحة -
وحببت شيب هناك دما، وحطت
ومارعت - لأبى اليعنان - محته
وأحررت سيف أشقاها أبا حسن ،
ولبتها - إذ علت عمراً عارحة -
وفى ابن هدد وان المصطفى «حسن»
محمتا قائل : « ما افتاله أحد »
وأردت ابن رباد الحسين ، فلم
ومحب - بالظى - مودى أبى أنس،
وأزلت مصمماً - من رأس شاهقة -
ولم تراقب مكان ابن الزبير ، ولا
وأملت - فى لطيم الحن - حبلتها ،
ولم تدع - لأبى الدنان - فامبه ،
وأحرق شلو «زبد» بدماء حرق
وأظفرت بالويلد - بن اليريد - ولم
« حباة » حب رملت أنجب لها ،
ولم تعد نصب السطاح ثابئة
وأسبلت دمة الروح الأمى على
وأشرفت جعفرأ - والفعل ينظره -
وأحمرت فى الأمين - العهد، وانتدبت
وما ووت يهود لليسعج ، هولا
وأوجعت فى - مراها - كل معتد ،

ولا تلت أسداً من ربا حجر
عسا ، ونصت بى بدر على النهر
يد ابنه أحر العيب والشمر
يزد جرد لى « مرد » فلم يمر
هنم سوى الفرس - جمع الترك والحرر
« دى حاب » عه سداً فى أبة العير
قليب بدر - بى به - لى سفر
- من فيله - « حزة » الطلام الحرر
وأصفت « طلعة » القباس بالمر
لى الزبير ، ولم تستجى من عمر
ولم تزوده إلا الصبح فى المر
وأمكن - من حبى - راحق شمر
عدت علماً بى شادت من البشر
أنت محصلة الألب والنسكر
وسمنا ساكت لم فوت من حصر
بؤ تشع له - قد طاح - أو طفر
ولم ترد الردى عه قنا « زمر »
كانت بها معة المختار فى وزر
راحت عيادته ناليت والمجر
واستوسقت لأبى الدنان فى البحر
ليس العظيم لها « عمرو » بمصر
- عليه وحداً - قلوب الآلى والسور
تبق الحلالة بين الكأس والوتر
و « أحمد » ظفرته محبة القطر
من رأس مروان أو أشياحه المر
دم ببح لال للمصطفى هند
والشج يحى برق الصادم الذكر
لجمر بابه والأعبد الفدر
بما فأكد للفر من مرد
وأعرقته - بقداها - كل مقتدر

وَأَسْبَغَ مِنْ نَمِيمِهِ ، وَوَسَّأَ - لِلْأَمِيلِينَ - مِنْ أَكْثَانِهِ ، وَهَزَّ - إِلَى الرَّاحِيَيْنِ - مِنْ أَصْطَفَائِهِ ، وَدَفَرَّتْ أَجْنَحَةُ الْأَهْوَاءِ إِلَيْهِ ، وَأَهْتَزَّتْ جَوَانِحُ الْأَمَالِ إِلَيْهِ ،

ورفعت كل مأون ومؤتمن ، وأسفلت كل منصور ومستم
وأهتزت آل جلد - لحالم - ذيل زباء لم تفر من القدر



في الظفر - والألغام ما برحت - والورى منها على سر
سحقا ليومكم يوما ، ولا حلت - بثله - ليلة في عقل المر
من الأسرة ؟ أو من للأنة ؟ أو - من للأسنة ؟ يهدى إلى الثمر
من القلى ؟ وعوالى الخط قد عقدت - أطراف السنها - بالى والمصر
وطوقت - بالمأيا السود - بصهم - فاعى بذلك ، وما منها سوى الذكر
من قبرة ؟ أو من للبراة ؟ أو - من قساحة ؟ أو قطع والصر ؟
أو دمع حكاية ؟ أو دمع آفة ؟ أو وقع حلقة نهي على القدر ؟
وبع السباح وبيع الناس - لو سفل - وحرة الدين والديا على عمر
سفت ترى الفعل والعائن حامية - لرى إليهم - سحبا - لا إلى الطر
ثلاثة ما رأى الصمرات مثلهم - وسلا - ولو عررا بالشمس والقمر
ثلاثة ما ارتقى للسرال حيث رقوا - وكل ما طار - من سر - ولم يطر
ثلاثة كدوات القمر - مد تأوا - من - معنى القمر لم يربح ولم يحر
وسر - من كل شيء - به أطيه - حتى التفع بالآمال والمكر
أين الحلال الذى صنت ، ما صه - قلوبا وعبوت الأهم الزهر ؟
أين الإماء الذى أرسوا فواعده - على دعائم من عزّ ومن ظفر
أين الزواء الذى أصغى أشرافه - فلم يرد أحد منها على سكدر
كانوا رواسى أرض الله - مذأوا - هنا - استظارت بمن ميار لم تخر
كانوا مصايحما ، قد حيوا عثرت - هدى الخليفة - يا الله - فى سر
كانوا شفى الدهر ، فاستموتهم حذق - منه بأحلام عادى حتى المعمر
ويل امه من طلوب الآثار مدركه - منهم بأسد سراق فى الوعى صبر
من لى - ولا من بهم - إن أطلت نوب - ولم يكن ليها يقضى إلى صبر ؟
من لى ومن بهم إن عطلت سنن - وأخلفت آلسن الآثار والسير ؟
من لى ومن بهم إن طلعت عن - ولم يكن وودعا يقضى إلى صبر ؟
على الفضائل - إلا الصبر - سلام مرهوب للأحر منتظر
يرجو عسى ، وله - فى أختها - أمل - والعمر فدى عيب شق وفو غير
قرطت - آفات من فيها - باعضة - على الحمال حتى اليافوت والنور .

وَكَثُرَ التَّنَائُرُ عَلَى تَقْيُوثِهِ، وَالتَّنَافُسُ فِي الْأَعْتِلَاقِ بِحَبْلِهِ، وَكُلُّهُ اسْتَفْرَعَ
جَهْدَهُ، وَتَرَمَّلَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ، وَلَا غَرَوَ أَنْ يُسْتَمَطَّرَ الْعَمَامُ، وَيَكْتَرَّرَ
- فِي الْمَشْرَبِ الْمَذْبِ - الرَّحَامُ ^(١).

وَمَا زِلْتُ - أُنْفِي اللَّهَ الْحَاجِبَ - أَتَلَقَّى مِنْ مَسَاعِيهِ الْمَشْكُورَةِ، وَيَقْرَعُ
تَمَنِّي بِمَآثِرِهِ الْمَآثُورَةِ، مَا هُوَ أُنْدَى مِنْ مُلُوحِ الْأَمَلِ، وَأَشْهَى مِنْ اخْتِلَاسِ
الْقَبْلِ، وَأَغْضُ مِنْ جَنَى الزَّهْرِ، وَمَاهُوَ الْطَفُّ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ، حَتَّى أَتَقَادَتِ
نَفْسِي فِي زِمَامِ التَّأْمِيلِ وَالْمُودَةِ، وَتَاوَزَتِ إِلَى الْأَخْذِ بِحِطِّهِ مِنَ الْأَعْتِلَاقِ
وَالْمَاوِجَةِ، وَنَظَرْتُ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعْدِ الْمَانِعَةِ، وَأَمْتِدَادِ
الثَّانِي الْمُعْتَرِضَةِ، فَمَضَضْتُ طَرْفَ الْخَيْبَةِ، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ
دَرْكِ الْأُمْنِيِّ، إِلَى أَنْ نَدَبَنِي الْأَدِيبُ «أَبُو فَلَانٍ» إِلَى مُخَاطَبَتِهِ، وَحَرَضَنِي عَلَى
مُكَاتَبَتِهِ، وَنَبَهَنِي عَلَى مَا فِي التَّنَاقُلِ - عَنْ مُدَاخَلَتِهِ - مِنَ التَّضْيِيعِ الصَّرِيحِ،
وَالْتَقْصِيرِ الْبَيْنِ الصَّحِيحِ، إِذْ هُوَ أَسْنَى عِلْقٍ غُولِي فِيهِ، وَأَنْفَسُ ذُخْرِ نُوفَسِ
فِيهِ، فَطَرِبْتُ - إِلَى ذَلِكَ - كَمَا طَرِبَ الْفُشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْخَمَرُ، وَأَهْتَرَزْتُ كَمَا
أَهْتَرَزَ - تَحْتَ الْبَارِحِ ^(٢) - النُّصْنُ الرُّطْبِ، وَرَأَيْتُ شُكْرَ يَدِ الْعَلِيَاءِ فِيمَا حَتْنِي
إِلَيْهِ، وَحَضَنِي عَلَيْهِ، بِمَا فِيهِ حِلْيَةُ الْفَخْرِ، وَمَكْرُمَةُ الدَّهْرِ، أَنْ أَسْتَفْتَحَ
بَابَ الْمُكَاتَبَةِ بِالشَّفَاعَةِ، وَأَنْتَهَجَ طَرِيقَ الْمُخَاطَبَةِ فِي الْعِيَاةِ بِهِ، وَتَبَيَّنْتُ - بَعْدَ
ذِمَامِ الطَّلَبِ، وَحُرْمَةِ الْوُدِّ وَالْأَدَبِ - مَا اسْتَقْصِرُ نَفْسِي مَعَهُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي

(١) يشهد إلى التل للجمهور : « للورد المذنب كبير الرحام »

(٢) ربح بارح - ربح شديدة .

خِدْمَتِهِ وَغَبْتِهِ قَلَمِي ، وَقَدْ تَأَخَّرَ قَدَمِي ، وَبَعْدَ الْإِقْصَارِ بَيْتُهُ كِتَابِي ، دُونَ
 أَنْ أَرْمِ إِلَيْهِ رِكَابِي ، وَهُوَ فَتَى نَامَ جَدُّهُ ، وَأَسْتَقِظَ حَدُّهُ ، فَتَنَكَّرَ الزَّمَانُ لَهُ ،
 وَأَهْتَرَتْ الْأَيَّامُ لَهُ ، يَنْ ذَلَابِ سِمَايَةٍ عَوَتْ عَلَيْهِ ، وَعَقَارِبِ وَشَايَةٍ دَبَّتْ
 إِلَيْهِ ، وَأَصْلِي بِنَارِ حَرْبٍ لَمْ يَخْنِهَا ، وَآلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقٍ أَحْبَبْتُهُ ، وَالْبُعْدِ
 عَنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَمَمْلَقِ تَمَامِهِ ، عَلَى صَبِيقِ خَالِهِ ، وَصَنِيفِ إِحْسَانِهِ ،
 وَأَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْحَاجِبَ إِلَّا وِلَاءَهُ ، وَعَلَيْهِ الْإِثْنَا ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ
 يُعِيدُ شُكْرَهُ وَيُنْدِيهِ ، وَيَنْشُرُ حَمْدَهُ وَيَطْوِيهِ ، وَالْحَاجِبُ - أَدَامَ اللَّهُ إِعْزَازَهُ -
 وَلِيَ بِأَعْدَائِهِ عَلَى زَمَانِهِ الْفُشُومَ ، وَأَمَلِي بِإِنْصَافِهِ مِنْ دَهْرِهِ الظُّلُومَ ، بِالْبَاسِ
 مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ مَا عَرَى مِنْهُ ، وَإِيرَادِهِ مِنْ شَرِيعَةِ رِضَاهُ مَا حُلِيَ عَنْهُ ،
 وَالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفْقَى الَّذِي لَمْ يَزَلْ كَوَكَبَ سَمَدٍ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَلْقَى
 نَسِيمَ حَيَاةٍ إِلَّا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَمَّا يُؤَلِّفُهُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي شَانِهِ ،
 مُسْتَجَزِلُ شُكْرِ مَنْ أَنْهَضَهُ لِسَانُ ، وَأَسْتَقَلَّ بِهِ يَكُنْ ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ ،
 وَالْمَعْمُودُ مِنْهُ كَرَمُ الْفِعْلِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُعْلِيهِ ، وَهُوَ حَسْبُهُ وَحَسْبِي فِيهِ .
 وَلَمَّا اطَّرَدَ هَذَا التَّرُّبُ بِحُسْنِ انْسَافِهِ ، وَلَذِيذِ مَذَاقِهِ ، هَزَّتِ النَّظْمُ أَرْيَحِيَّةً
 جَذِبَ لَهَا بَيْنَانَهُ ، وَعَارَضَتْهُ بِهَا فِي مَيْدَانِهِ ، وَأَبَتْ أَنْ يَنْفَرِدَ التَّرُّبُ بِإِلْقَاءِ
 الْحَاجِبِ وَمُشَافَهَتِهِ ، وَتَسْتَبِدَّ بِأَنْ تُلَمَعَ غُرَّتُهُ ، وَتُحْدَمَ بِالْحُضُورِ حَضْرَتُهُ ،
 فَأَبَتْ مِنْهُ مَا إِنْ أَنْتَمَ عِنْدَ تَصَفُّحِهِ بِالصَّفْعِ عَنِ الزَّلَلِ الَّذِي يَعْزُضُ فِيهِ ،
 وَالْخَلَلِ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ ، وَصَلَ الْبُتْمَةُ بِمِثْلِهَا ، وَفَرَنَ الْمَارِفَةَ بِشَكْلِهَا .
 لِبَيْضِ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّتَمِ بِسَقْلِي - مُذْ بِنَّ عَنِّي - لَمْ^(١)

* *

وَأَرْوَحَ، لَا مُتَمَنِّي رِفْدِهِ يَخِيبُ، وَلَا جَارُهُ يُشْتَفَمُ
ذَلُولُ الدُّمَائَةِ مَسْبُؤُ الْإِبَالِ تَقِيفُ الْغَزِيمِ إِذَا مَا أَقْدَرَمُ
تَمَّا لِلْمَجَرَّةِ - فِي أَفْقِهَا - فَجَرَّ عَلَيْهَا ذُبُولَ الْهَمَمِ
وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهَرَ النُّجُومِ وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدَّيَمِ
تَهِيكُ - إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ - مَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَدْرُ تِيمِ
فَشَامَ السُّيُوفُ بِهِمَ الْكُمَاةِ وَرَوَى الْقَنَا فِي نُحُورِ الْبُهَمِ
جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْعَفَاةِ وَيُعْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ
يَهِيحُ النَّزَالُ بِهِ وَالسُّوَا لُ لَيْثًا هَصُورًا وَبَحْرًا خِصَمِ
شَهِيدَانَا، لَا وَفَى فَعَصَلَ الْخِطَابِ وَخُصَّ بِفَضْلِ التَّهْنِ وَالْحِكَمِ
وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ جَرَى السِّيفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ

* *

وَمُسْتَعْمِدُ بَكْرِيمِ الْفَعَا لِي - عَفْوًا - إِذَا مَا اللَّيْمُ أُسْتَدَمُ
شَمَائِلُ تُهَجَّرُ عَنْهَا الشُّمُولُ وَتُحَوَّلُ لَهَا مُشْجِيَاثُ النِّعَمِ
عَلَى الرُّوضِ مِنْهَا رُؤَاةٌ يَرُوقُ وَفِي الْمِسْكِ طِيبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ

* *

أَبُوهُ النَّبِيُّ فَلْ غَرَبَ الضَّلَالِ وَلَاءَمَ شَبَّ الْهَدَى قَالَتَامُ
وَلَاذَ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعْمِلًا يَذِمُّهُ أَتْلَجَ وَافِي الدَّمَمِ
وَجَاعَلَهُ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجَمَا دِ مِنْ دَانٍ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّمَمِ

فَلَا سَائِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذْكَ وَلَا سَائِيَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمٌ
تَقِيلُ فِي الْبُزْ - مِنْ جَمِيرٍ - مَقَاوِلَ عَزَّوَا جَمِيعِ الْأَمَمِ
هُمْ نَشَّوُوا الْمَلِكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ
نُجُومُ هُدًى - وَالْمَالِ بُرُوجُ - وَأَسَدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمُ

* * *

« أَبَا بَكْرٍ » أَسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ ، وَلَا زِلْتَ - مِنْ رَيْبِهَا - فِي حَرَمِ
أُنَادِيكَ - عَنْ مِقَةٍ - عَهْدُهَا كَمَا وَشَتِ الرُّوضِ أَيْدِي الرَّهَمِ
وَإِنْ يَبْدُنِي عَنْكَ شَخْطُ النَّوَى فَحَظِّي أَحْسَنَ وَنَفْسِي ظَلَمَ
وَإِنِّي لَا صَغِيرَكَ تَحْضَ الْهَوَى وَأَخْنِي - لِيُعْدِكَ - بَرَحَ الْأَلَمِ
وَفَيْرُكَ أَخْفَرَ هَذَا الْقَمَامِ إِذَا حُسْنٌ ظَنَى عَلَيْهِ أَذَمَ

* * *

وَمُسْتَشْفِعٍ بِنَا ، بَشَرَتُهُ - عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْأَتَمِ
وَقَدَمًا أَقْلَتِ الْمَيِّءَ الْعِثَارَ وَأَحْسَنْتِ بِالْعَفْصِ - مِمَّا جَرَمَ
وَعِنْدِي - لِشُكْرِكَ - ظَلَمُ الْمُقُودِ تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثَّوَمِ
تُجِدُ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ
فَمِنْ مُمْصَا يِفْقَاجِ السُّعُودِ وَتُمْ نَامِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ ، مَا يَلُمُهُ لَكُمْ حَشَمٌ ، وَاللَّيَالِي بَدَنُهُ

هَذَا أَعَزُّ أَفْهَمُ الْحَاجِبِ مَا اقْتَنَصَتْهُ الْقَرِيحَةُ مَعَ اقْتِصَافِهَا ، وَأَجَابَهَا بِدِ
الْبِدِيَّةِ عِنْدَ اسْتِدْعَائِهَا ، وَاللَّهْنُ ^(١) عَلِيلٌ ، وَالطَّبْعُ كَلِيلٌ ، وَالرَّوِيَّةُ فَاسِدَةٌ ،
وَسَوْقُ الْأَدَبِ - إِلَّا عِنْدَهُ - كَاسِدَةٌ ، وَلَوْ أَنِّي أَوْثَيْتُ - فِي النَّثْرِ - غَزَاةَ قَهْرِي ،
وَبِرَاقَةَ ابْنِ سَهْلٍ ، وَأُمِدِدْتُ - فِي النِّظْمِ - بِنِظْمِ الْبُحْتَرِيِّ ، وَمِصْنَاعَةِ الطَّائِي ^(٢)
لَمَا رَدَدْتُ - إِلَى الْحَاجِبِ - إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَلَا أَوْزَدْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا صَدَرَ عَنْهُ ،
وَلَا أَفَقَدْتُ مَا أَفَقَدْتُ إِلَّا يَنْ أَمِلَ يَنْسُطُ ، وَخَجَلٍ يَقْبِضُ ، فَرَأَيْتُهُ مُوَفَّقٌ فِي
أَنْ يَمْنَحَ مَا بَعَثَ الْأَمَلُ إِسْمَافًا ، وَمَا أَوْجَبَ الْحَجَلُ إِغْضَاءً ، لِئَانِّي الْإِحْسَانَ مِنْ
جِهَاتِهِ ، وَيَسْلُكُ - إِلَى الْفَضْلِ - طُرُقَاتِهِ . وَمُرَاجَعَتُهُ لِي عَنْ كِتَابِي بِعَهْدٍ كَرِيمٍ يَكُونُ
كَمُخْلَاةٍ لِعَيْنِ الرِّضَا بِوَحْيَةِ الْقَوْلِ ، أَفُفُّ بِهِ مِنْ تَوَالِي النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَأَنْتِظَامِ
الْأَحْوَالِ - بِالصَّلَاحِ - لَدَيْهِ - عَلَى مَا تَبْتَهِجُ لَهُ نَفْسِي ، وَيَنْتَظِمُ مَعَهُ عَقْدُ أَنْفِي ،
يَدُهُ مِنْدِي جَنَاهَا شَهْدٌ ، وَشَدَاهَا عَثْبٌ وَوَرْدٌ ، وَرِدَاوُهَا الشُّكْرُ الْجَزِيلُ ،
وَأَتْبَعُهَا النَّوَاءَ الْجَمِيلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَلِيُتْلَغَ مِنِّي سَلَامًا يُهْدِي إِلَيْهِ نَدَاهُ ^(٣) ، وَنَحْمِيهَ أَوْلَاهَا عِنْدِي وَآخِرُهَا عِنْدَهُ .

(١) وفي الأصل : « واللهم » .

(٢) هي أبا تمام .

(٣) الند (بالفتح) وبكسر : الطيب أو الصبر ، وفي الأصل : « يهدي إليه » .

إلى ابن مسleme

« وكتب من قرطبة إلى ابن مسleme بإشبيلية

قبل تحوله إليها : »

يَا سَيِّدِي وَأَرْفَعُ هُدًى ، وَأَوَّلُ الدَّخَائِرِ فِي عَدَدِي ، وَأَخْطَرَ عِلْقِي مَلَأْتُ مِنْ
أَقْنَانِهِ يَدِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عَيْشَةٍ بَارِدَةِ الظَّلَالِ ، وَنِعْمَةٍ سَابِغَةِ الْأَذْيَالِ ،
قَدْ تَقَاصَرَ الشَّكَاةُ عَلَيْكَ ، وَتَوَالَى الْحَدِيثُ الْحَسَنُ عَنْكَ ، حَتَّى حَلَّتْ مَحَلَّ الْأَمَانَةِ ،
وَكَنتَ مَوْضِعَ تَقْلِيدِ الْوَطَنِ ، وَثَبَاتِ الطُّورَةِ ، وَاللَّهُ يُتِمَّكَ بِمَا حَازَهُ لَكَ مِنَ
الْخَيْرِ ، وَوَفَّرَهُ عَلَيْكَ مِنْ طِيبِ الدُّكْرِ .

فِي عَلَيْكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا تَقْتَضِيهِ الْمُطْلَةُ مِنْ إِظْلَامِ الْخَاطِرِ ، وَصَدِّ النَفْسِ ،
وَيَحْنِيهِ طَوْلُ الْمُقَامِ مِنْ إِخْلَاقِ الدِّيَابِجَةِ وَإِخْصَاصِ الْقَدْرِ ، وَقَدْ أَنْ أَجْتَنِي
فَمَرَّةً مِنْ آدَابِ أَطْلَتِ الْإِعْتِنَاءُ بِهَا ، وَأَخْلَاقِي أَدَمْتُ رِيَاضَةَ النَّفْسِ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا
غَضَضْتُ الْمُلُوكَ وَجَدْتُ عِبِيرَهُمُ الَّذِي أَنْسَى ^(١) السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الدَّاهِرَ مَعَهُ ،
وَأَتَمَّبَ الْفَاكِرَ بَعْدَهُ ، الْحَاجِبَ فَغَرَّ الدَّوْلَةَ مَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاؤُهُ ، وَكَبَّتْ
أَعْدَاءُهُ ، مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ سَنِيِّ الْهَمَمِ ، وَتَمَاحَةِ الشِّيمِ ، وَأَنْتِظَامِ أَسْبَابِ
الرِّيَاسَةِ ، وَكَمَالِ آلَاتِ السِّيَاسَةِ ، وَاجْتِمَاعِ الْمَنَاقِبِ الَّتِي أَفْرَدَتْهُ عَنِ النَّظَرَاءِ ،
وَأَعْلَنَتْهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْأَكْفَاءِ ، فَرَأَيْتُ قَبْلَ أَنْ أُحْتَمِلَ لِعَيْرِهِ نِعْمَةً ، أَوْ لَوْسَمَ
بِمَنْ سِوَاهُ بِصِيمَةٍ - أَنْ أَعْرِضَ نَفْسِي تَمْلُوكَةً عَلَيْهِ ، عَرَضَ مَنْ لَا يَوْمَ لَهَا
- لِإِجَارَتِهِ - إِلَّا بِالْأَسْتِجَارَةِ ، وَلَا يَطْمَعُ لَهَا - فِي قَبُولِهِ - إِلَّا بِالْمُسَاعَاةِ ، فَلَوْ
كَنتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُيَيْنَةَ بَرَاعَةً نَظِيمَ ، وَجَعَفَرَ ابْنَ يَحْيَى بَلَاغَةً ثَوِيًّا ، وَإِبْرَاهِيمَ

أَبْنُ مَهْدِيٍّ طَيْبٌ مُجَالَسَةٌ ، وَإِمْتِنَاعٌ مُشَاهَدَةٌ ، ثُمَّ حَضَرَتْ مُجْلِسَةُ الْعَالِي ، لَمَّا كُنْتُ بِسَمَةِ إِحَاطَتِهِ الْإِفَى جَانِبِ التَّقْصِيرِ ، وَتَحْتِ غَمْرَةِ النُّقْصَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَتَدَمَّ فِي نَجَابَةِ غَرَسِ الْيَدِ ، وَإِصَابَةِ طَرِيقِ الْمَصْنَعِ ، مِنْ وَلَايَةِ أَخْلَصِهَا وَنَصِيحَةِ أَنْحَضِهَا ، وَشُكْرِ أَجْنِيهِ الْفَضِّ مِنْ زَهْرَاتِهِ ، وَتَنَاهِ أَهْدَى إِلَيْهِ الْعَطْرِ مِنْ نَفْعَاتِهِ ، مِنْهَا مَا سَوَّغَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَوْهِبَةِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْهَضَكَ بِأَهْلِهِ الشُّكْرَ لَهَا ، وَمِنْهَا شَرَفُ مَذْهَبِكَ ، وَكَرَمُ سَجِيَّتِكَ ، وَحِجَّةُ مُشَارَكَتِكَ لِمَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْهَا أَسْتِجَابِي ، وَلَا أَسْتَدْعَاهَا بِمِثْلِ أَسْبَابِي ، مِنْ تَدَانِي الْجِدَارِ وَتَصَافِي السَّلَفِ ، وَالْإِتِّمَاءِ إِلَى أُمْرَةِ الْأَدَبِ ، فَإِنْ وَافَقَتِ الْمُسَاعَفَةُ الْإِرَادَةَ فَحَظُّ أَقْبَلٍ ، وَعَبْدٌ بَلَغَ مِنْ قَبُولِ سَيِّدِهِ مَا أَمَلَ

وَلَمْ أَقُلْ - عَمْرُكَ اللَّهُ - كَمَا قِيلَ فِي النَّجْمَيْنِ ، بَلْ قُلْتُ : « وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَيْنِ » وَإِنْ عَاقَ حِرْمَانُ عَادَتُهُ أَنْ يُعَوَّقَ عَنِ الظُّفْرِ ، وَيَعْتَرِضَ دُونَ الْأَمْلِ ، فَأَعْلِمُهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - أَنِّي فِي حَالِي الْعُطْلَةِ مَعَ غَيْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ - وَيَوْمَى الْأَنْتِطَاعِ وَالتَّصَوُّفِ (١) ، كَأَلْمَهْدِيِّ بِالْجَنَمِ حِينَ هَدِمَ ذُكَاؤُهُ ، وَمُتَيْتِمٍ الصَّيِّدِ حِينَ لَمْ يَحِدِ الْمَاءُ .

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا غَيْرُهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَأَلَوْحَشٍ يُذْنِيهِ مِنَ الْأَنْسِ الْمَحْلُ وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ بِالْفُسْحَةِ فِي مُهْرِهِ ، وَالْإِعْلَاءِ لِأَمْرِهِ ، وَيَصْرِفُ الْأَفْدَارَ مَعَ إِثَارِهِ ، وَيُصْرِفُ وَجْهَهُ التَّوْفِيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَلَكَ - يَا سَيِّدِي - فِي أُنْتِدَابِكَ مَا أُنْتَدَبْتُكَ لَهُ مَا لِلْسَّامِيِّ النُّجَجِ مِنَ الشُّكْرِ ، وَلِلْمُجْتَمِعِ الْبَالِغِ مِنَ الْعَذْرِ ، مِلَاكُ الْأَمْرِ بِتَقْدِيمِ الْمُرَاجَعَةِ بِالْجَوَابِ ، فَأَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَالْجَنَابِ فَأَعْتِدْ عَلَيْهِ ، وَأَهْدِي إِلَيْكَ تَذْيِ الْفَضِّ النَّاضِرِ مِنْ سَلَاحِي ، وَالْأَرَجِ الْعَاطِرِ مِنْ تَحِيَّتِي .

(١) التصوف : هـ : هاروا واليا . المدول والإصراف . وى الأصل « ويومى الأخطان » .

رسالة إلى المعتضد

« وكتب إرذلك إلى المعتضد رقة يقول فيها :

أَحَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ فَخِرِ الدَّوْلَةِ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَمَوْلَى الْمَنَاقِبِ
الْجَلِيلَةِ، وَالضَّرَائِبِ النَّفِيسَةِ - فِي أَكْمَلِ مَا تَكْفُلُ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ،
وَنَفَازِ الْأَمْرِ، وَأَخْطَأَهُ مِنَ النِّتَمِ بِأَسْبَغِهَا سِرًّا بَالًا، وَأَبْرَدَهَا ظِلَالًا، وَأَحْدَهَا مَأَلًا.
كُنْتُ - أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ - مَوْلَايَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرٍ
عِنْدِهِ بِمَا أَيْقَنْتُ أَنَّهُ أَتَعَلَى إِلَيْهِ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ، فَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى بَعْضِ
أَسْبَابِهِ بِمَا يَقُومُ مَقَامَ الْمُرَاجَعَةِ لِي بِمَا يَرْتَفِعُ عَنْ قَدْرِي، وَلَا تَتَّسِعُ لَهُ سَاحَةٌ
شُكْرِي، لِيَمْلِي أَنَّهُ مِنَ الْحَاجِبِ - أَيْدُهُ اللَّهُ - صَدَرَ، وَبَعْدَ إِذْنِهِ ^(١) فَقَدْ،
وَالَّذِي عَدَانِي عَنْ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْحَاجِبِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ -
الثَّادِبُ بِآدَابِ خِصْيَانِ الْعَبِيدِ فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ، وَتَرَكَ التَّبَسُّطَ وَالْإِفْدَامَ،
وَقَلَّمَ اسْتَنْتَ أَوَائِلُ مَطَالِبِ الْإِتْبَاعِ لِحَضْرَةِ الْمُلُوكِ عَنْ وَسَائِطِ مُنْهَدُهَا
وَتَمْتِدُّ أَوْقَاتِ الْإِمْكَانِ بِهَا، لِأَنِّي مَا اخْتَذْتُ إِلَى الْحَاجِبِ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوهَ -
فَيْرِ سَيَادَتِهِ ذَرِيعَةً، أَوْ التَّمَسُّتُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ تَفَاسَةٍ نَفْسِهِ شَفَاعَةً، وَأَيُّ
مَعْنَى لِيَشْلِي عَنْ تَقْيُوثِ ظِلَالِهِ، وَالْإِفْتِصَامِ بِجَبْلِهِ. وَمِصْنَاعَةُ الْآدَابِ كَاسِدَةٌ إِلَّا
عَلَيْهِ، وَطَرِيقُ الْأَمَلِ مُوحِشَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَدْعُنِي إِلَى اسْتِطْلَاحِ مَا قَبْلَهُ
شَكٌّ فِي كَرَمِهِ، وَلَا سُوءُ ظَنٍّ بِسَاحَةِ شَيْعِهِ، بَلْ لَزُومُ الطَّرِيقَةِ فِي التَّوَحُّدِ
لِلْمَطْلَبِ، وَالتَّدرُّجِ إِلَى إِحْرَارِ الْأَدَبِ، وَحَسْبِي أَنْ أَمْلِيَ قَدْ أُوتِيَ الْجَنَابُ

الرَّحْبَ ، وَالْمَشْرَبَ الْمَذْبَ ، وَلَعَلَّ الْخَطُوطَ سَكُشَفُ ، وَالتَّوَابِ سَتُصْرَفُ ،
إِلَى أَنْ أُبْعَدَ إِلَى أُبْعَدَ غَايَاتِ الْأَمَلِ مِنْ مُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَّاهُ ، وَالنَّظَرَ إِلَى
غُرَّتِهِ الزَّهْرَاءُ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْصَرِفُ فِكْرِي ، وَلَا يَنْصَرِمُ حِينَ مِنْ تُهْمِرِي ، إِلَّا
فِي الذِّكْرِ لَهُ ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ ، وَالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَا أَقْدَمُ الْإِعْتِذَارِ مِنْ
مَهَابَةِ تَمَلُّكِ جَنَانِي ، وَحَصْرِ يَكَادُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْمُشَافَهَةِ لِسَانِي ، فَإِنْ
حَدَّثَ ذَلِكَ فَعُذْرِي مُعْذَرٌ ^(١) الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ وَقَدْ أَقْطَعَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ،
فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِنْ قَرَاهَةِ الْعَبْدِ أَنْ تَمْلِكَ قَلْبَهُ هَيْئَةً سَيِّدِهِ » .

وَسَيُفْضَى - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - إِلَى مَا يَسْتَجِيزُهُ الْحَاجِبُ مَوْلَايَ مِنْ إِمْتِنَاعٍ مِنْ
شَاهِدَةٍ ، وَيَسْتَطِرْقُهُ مِنْ أَدَبٍ يَسْتَظْلِمُهُ مِنْ إِيْجَالٍ طَلَبٍ ، وَجَمَالٍ مَذْهَبٍ ،
كَمَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي سَأَصِلُ إِلَى مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنْ بَهَاءِ مَنْظَرٍ ، وَسَنَاةِ تَجَرِبٍ ،
وَرِفْعَةِ شَأْنٍ ، وَعَظَمِ سُلْطَانٍ ، وَلَعَلَّ السَّعَادَةَ تُهَيِّئُ لِي مِنَ الْخَطِّ مَا أَثْبِتُ بِهِ
مَا أَدْعِيْتُهُ لِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الْعَصَمَاتِ ، وَأُنْجِزُ مَعَهُ مَا قَدَمْتُ عَنْهَا مِنْ هَذِهِ
الْعِدَاتِ ، فَحَوْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَفِيلٌ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، زَادَ اللَّهُ
الْحَاجِبَ مَوْلَايَ مِنْ سَنَى قَسَمِهِ ، وَهَنَى نِعْمِهِ ، وَبَلَّغَهُ النُّهَايَةَ مِنْ آمَالِهِ .

رسالة من قرطبة

« وكتب إليه بعد أن صدر من حضرته إلى قرطبة »

رسالة يقول فيها :

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ لِلنِّعَمِ يُطَوِّقُهَا ، وَالْأَمَالِ يُصَرِّفُهَا ^(٢) ، وَالْبَنَى يُقَلِّدُهَا
وَالْأَحْرَارَ يَسْتَعْبِدُهَا .

(١) في الأصل : « لعنري عند الفضل . »

(٢) ولي نسخة النسخة المتروكة من النسخة النسخة للبرية : « يصدفها » .

يَعْلَمُ الَّذِي أَسْأَلُهُ إِعْزَازَ مَوْلَايَ وَإِعْلَاءَ أَمْرِهِ ، وَصِلَةَ تَأْيِيدِهِ ، وَتَمَكِّينَ
نَصْرِهِ ، أَنِّي - لَمْ أَزَلْ مُنْذُ فَارَقْتُ حَضْرَتَهُ الْجَلِيلَةَ حَضْرَةَ الْمَجْدِ وَالسِّيَادَةِ ، وَعَمَلِ
الْإِقْبَالِ وَالسَّمَادَةِ - لَهَجَ اللِّسَانِ بِمَا حَبَّانِي مِنْ ثَمَارِ الْحِكْمَةِ وَالنَّمَةِ ، وَأَفَادَنِي
مِنْ عَقْدِ الْآدَبِ وَالنَّسَبِ ، فِنْ كَيْدِ حَاسِدٍ تَصَدَّعَتْ ، وَأَنْفَاسٍ مُنَافِسٍ
تَقَطَّعَتْ ، وَنَاعِمِ الْبَالِ أَكْشَفَتْ بَالَهُ ، وَمُتَشَنِّجِ الْحَالِي طَالَمَا تَمَيَّنْتُ حَالَهُ ، وَقَلَمًا
أَنَاكَ أَذْنَى مَكَانَةٍ مِنْهُ ، وَأَرْزَقُ أَوَّلَ دَرَجَةٍ مِنَ الْخُصُوصِ بِهِ ، تَحْسُدُهُ
الْكُوَاكِبُ فِي إِشْرَافِهَا ، وَتَتَحَسَّدُ إِلَيْهِ الْأُمَانِي مِنْ أَطْرَافِهَا ، لِمَبِيدِهِ الدِّينَ
أَنَا آخِرُهُمْ فِي الْخِلْدَمَةِ ، وَأَوَّلُهُمْ فِي شُكْرِ النَّمَةِ ، وَيَرْفَعُ مِنْ جَمِيعِهِمْ مَا
أُنْخَفَضَ ، وَيَنْسُطُ مِنْ أَمَانِهِمْ مَا أُقْبِضَ ، وَلَا يُعْذِرُهُمُ التَّقَلُّبُ فِي نِعْمَتِهِ ،
وَالْإِعْتِلَاقُ بِأَسْبَابِ ذِمَّتِهِ ، بِعَبْدِهِ وَكَرَمِهِ ، وَكَأَنَّ مِنْ مَوْلَايَ - أَعَزُّهُ اللَّهُ -
إِشَارَةٌ بَلَّ عِبَارَةً أَعَدَّدْتُهَا طَلِيلَةً لِسُعُودِ تَتَوَافَى طَلَقًا ، وَمُقَدِّمَاتٍ لِمَسَرَّاتِ
تَتَوَالِي نَسَقًا ، فَلَمَّا لَحِقَ الْجَنَمُ بِمَدِّ تَرْكِهِ النَّفْسَ لَدَيْهِ ، وَالْبَرَاءَةَ مِنْهَا إِلَيْهِ ،
بِالْوَسْنِ الَّذِي أَسْلَانِي عَنْهُ ، وَأَسْنَى لِي الْعَمُوضَ مِنْهُ ، تَأَثَّبْتُ مِنْ طَاعَتِهِ
الْمُقَرَّنَةِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي نَفْسِي تَمْلُوكَتِهِ لِمَا أَنَا مُهْتَأٌ بِهِ مُنَافَسُ فِيهِ ، فَسَاحَقَتِ
الْمَآرِبُ ، وَأَفْتَحَتِ الْمَطَالِبُ ، وَلَمْ يَرِنِّي تَمَذُّرُ وَجْهِ حَاوِلَتِهِ ، وَلَا عَذَابِي تَبَسُّرِ
أَمْرِ تَقَاوُلَتِهِ ، وَلَمْ تَبْقَ عِلَّةٌ تُسَوِّغُ بِإِعْتِرَاضِهَا الْإِعْذَارَ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى مَا يُعَاوَدُ
أَمْرُهُ ، وَتَتَجَدَّدُ فِي الْحَرَكَةِ إِذْنُهُ ، وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ لَأَنْ الْإِذْنَ بِمَدِّ هَدَاهُ ، وَلِأَنَّ
الْيَمَادَ لَمْ يُحْكَمْ عَقْدُهُ ، بَلْ تَجَنَّبْتُ أَنْ أُدِلَّ بِتَرْكِ الْمُسَاوَرَةِ ، أَوْ أُخِلَّ بِرَسْمِ
الْمُؤَامَرَةِ ، فَلَمَوْلَايَ الطُّوْلُ فِي أَمْرِ الْوَسَاطَةِ جُنْدُهُ بِمِرَاجَعَةٍ أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، وَاجْتِهَدُ
فِي الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا ، وَأَفْهَمُ يُمِيلُنِي الْأَمَالَ مِنْ وَفْقَةٍ بِحَضْرَتِهِ ، وَنَظَرَةٍ إِلَى غُرَّتِهِ ،
وَتَقْيِيلِ لِرَاحَتِهِ ، وَتَصَرُّفِي فِي سَاحَتِهِ ، فَهُوَ الْمَالِكُ لِدَوْلِكَ ، الْقَادِرُ عَلَيْهِ .

من رسالة

« وله من رسالة حنف أبو الحسن هنا أكثرها
ولم يذكر إلا قطرة من وابل ، أو فتنة من سحر
بابل ، وها أنا مشتتة على تواليها ، إشارة لحسن
معانيها ، واستفادة من سني أدبها فيها ، وهي (١) : »

يَا سَيِّدِي الَّذِي كُنْتُ أَرَاهُ أَعَدَّ عُدْدِي ، وَأَخَصَّ جُنَّتِي ، مِنْ زَمَنِي ، وَمَنْ
أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي أَمْلَحِ الْأَحْوَالِ ، وَأَفْسَحِ الْأَمَالِ .

أَبْدَيْ جَرْمِي كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَرْحِ الضَّرُورَةِ الْحَافِزَةِ إِلَى مَا صَنَعْتَ بِمَا
بَلَّغَنِي أَنَّكَ صَدِّكَ الْأَمَانِ بِي عَلَيْهِ ، وَأَوَّلِ السَّفِيهَانِ الرَّأْيِ فِيهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ
وَقِيلَ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ ، وَهَانَ عَلَى الْأَمَلْسِ مَا لَاقَى الدُّبُرُ .

وَأَوْسَطُهُ بِمَا بَنَيْتَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ انفِصَالِكَ عَنِّي ، وَبَرَاءَتِكَ مِنْ آكِدِ الْمِحْنَةِ
مَنِّي ، وَأَنَّكَ لَمْ تَسْكُنْ فِي وَرْدٍ وَلَا صَدْرٍ مِنْ مُشَارَكَتِي فِيهَا ، وَلَا كَانَتْ لَكَ
نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ فِي مُظَاهَرَتِكَ لِي عَلَيْهَا ، مَعَ الْقُدْرَةِ لَكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ،
وَتَذْلِيلِ صَنْبِهَا ، وَتَلْيِينِ شَدِيدِهَا ، وَتَقْرِيبِ بَعِيدِهَا ، فَأَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ
وَمَا ذَاكَ بَخْلًا مَنِّي لِخَلِي عَلَيْكَ بِالْإِعْضَاءِ أَنْتَ عَيْنِي (وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي)
غَضُّ أَجْفَانِيَا عَلَى الْقَدَى (٢) وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو النَّمْشَةِ (٣) ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ :
يَقِي' الْوُدَّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) ابن بسام . (٢) جملة « وليس من حق عيني » ساقطة من الأصل ، وقد أبتناها لأن السياق
يخصها ، وهو يشير إلى قول ابن الرومي :

« أنت عيني ، وليس من حق عيني غرض أجفاني على الأعداء . »

(٣) اللاتيسية : للمادة وبمعنى الأديم : ظاهره الذي عليه الشعر ، أي إنما يهاد إلى النفاق من الأديم
مسلطه بغيره ، وهو مثل يضرب في إمكان الرجاء والاستعانة به في الأصل « وإنما يعاتب الأديم على البقرة . »

أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِ مُعَلَّلَةٍ وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَفْوَامٍ
وَأَخْبَتْهُ بِتَكْلِيفِكَ مَا كَانَ سَبَبَ الْكِتَابِ ، وَالذَّاعِي إِلَى الْخِطَابِ ، عَسَاكَ أَنْ
تَتَلَا فِي عَوْدًا ، مَا ضَيَعْتَ بَدْءًا ، وَتَهْتِلَ آخِرًا ، مَا أَغْفَلْتَ أَوَّلًا ، فَيَعُودَ عَيْنُ
مَا أَفْسَدْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ : « كَذَابَةٌ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ » ^(١) فَتَنَّمَتْهُ
الْفَوْتُ قَبْلَ الْعَطَبِ .

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا أَسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَتْبَاعًا
فِي عِلْمِكَ أَنِّي سَجَنْتُ مُعَالَبَةً بِالْهَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْعَمَى ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ
أَتْبَاعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ إِذَا يَقُولُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَمْنَعْ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضٍ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ . »
دُونَ تَأْنٍ تَذَرُكَ بَعْضُ الْحَاجَةِ بِهِ ، أَوْ اسْتِثْنَاتٍ تُؤْمِنُ مُوَاقِعَةَ الزَّلَلِ مَعَهُ ،
بَلْ : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ . » وَشَهِدَ ابْنُ الْمَشَارِ الْعَارِي عَنِ النَّقْعَةِ
وَالْأَمَانَةِ ، الْبَعِيدُ مِنَ الرَّعِيَةِ وَالْعِيَانَةِ ، النَّاسِرُ لِأَذْنَيْهِ طَمَعًا ، الْآكِلُ
بِيَدَيْهِ جَشْمًا ، فَكَانَ : « الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَدَامٌ . » وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنْ الْحَقَّ
بِالشُّهُودِ ، وَهُوَ وَأَوْ قَمَرٍ وَفِيهِمْ ، وَتَوْنُ الْجَمْعِ الْمُضَافِ مَعَهُمْ ، دُونَ أَنْ يُلْحَقَ
بِخَزِيْمَةِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، وَيَتَوَبَّ مُنْفَرِدًا عَنْ أَتْنَيْنِ .

« لَيْسَ عَلَى أَقْهٍ مِمَّنْ تَنْكَرِي أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ . »

(١) يضرب للأمر الذي انتهى نفاذه ، وذلك أن الجهد إذا حُلِمَ أي فسد لإحاطة وقوع فيه دود فتنب

لم يرج له إصلاح ، ويزوي عن الوليد بن جبلة أنه كتب إلى معاوية :
« يا أبا عبد الله الكتاب إلى علي كفاينة وقد حُلِمَ الأديم . »

وَلَيْتَنِي مَعَ مَنْ لَا يَحِلُّ قَوْلُهُ عَلَيَّ، أُعْذِرُ فِي شَهَادَتِهِ إِلَيَّ، وَلَمْ يَقْتَرِنْ الْحَشَفُ
مَعَ سُوءِ الْكَيْلَةِ، وَيَسْتَضِيْفُ لِي الْغُدَّةُ إِلَى الْمَوْتِ فِي يَتِّ سُلُوْلِيَّةٍ، خُطَّتَا
خَسِيفٌ لَمْ أَرِ النَّجَاءَ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ رَكِبْتُ الْحَوْلِي الْأَشْمَبَ، وَرَأَيْتُ خُرَّاسَانَ
مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبُ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى سِجْنِي بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ إِنْقَاذِهِ، لَهُ
مَجْلِسُ حَضْرَةٍ فَمَهَا الْخَضِرَةُ وَمَنْ أَغْلَمَ بِسِيَاهُمْ، وَجَرَى فِي غِشْيَانِ الْحُكَّامِ
عَجْزَاهُمْ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ انْتَهَمَنِي بِالْمُنِيبِ عَلَى عَهْدِ الْمُتَوَلَّى مَوْلَايَ - كَانَ - نَقَعَ
اللَّهُ صَدَاهُ، وَبَلَّ ثَرَاهُ، وَثَبَّتَ عِنْدَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنِّي يَمُنُّ ثَمَامِلُهُ الْهَيْمُ، وَلَا
تَرْتَفِعُ عَنْهُ الظَّنُّ، فَكُلُّهُمْ أَقْنَى بِالْإِعْذَارِ إِلَيَّ، فِيمَا شَهِدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَيَّ،
ثُمَّ سَجَّيْتُ أَنْ لَمْ آتِ بِعَدْفٍ، أَوْ أَصْدَحَ مِنَ الْحُبَّةِ بِمَقْنَعٍ، فَاحْتَاطَ وَاجْتَهَدَ،
وَتَحَرَّى وَاقْتَصَدَ، وَصَالَحَنِي مِنْ هَذِهِ الْفُتْيَا عَلَى النَّصِيفِ بِتَأْخِيرِ الْإِعْذَارِ،
وَتَقْدِيمِ الصَّلَاحِ، وَالصَّلُحُ جَائِزٌ لِلْمُسْلِمِينَ^(١)، ثُمَّ أَظْهَرْتُ إِلَيْهِ عَقْدًا كَانَ
الْمُتَوَلَّى قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَتَوَرَّ ضَرِيحَهُ، قَدْ أَشْهَدَ فِيهِ أَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَأَنْ
جَمِيعَ مَا تَحِيطُ بِهِ الدَّارُ الَّتِي تُؤْتِي بَعْدَ هَذَا الْإِشْهَادِ فِيهَا، إِنَّمَا هُوَ لِلنَّائِيَةِ الَّتِي
فِي حِصْنَتِهِ، حَاشَا دَقَائِقَ يَبْنِيهَا، وَعُقُورَاتٍ عَيْنَهَا، وَمَمْلُومٌ أَنْ مَنْ أَشْهَدَ بِهَذَا عَلَى
نَفْسِهِ، وَتَقَيَّدَ مِثْلُهُ مِنْ لَفْظِهِ، فَحَالَ أَنْ يُخْلَفَ عَهْدًا، وَيَهْلِكَ مِنْ وَصِيَّةٍ،
وَسَأَلْتُهُ الشُّورَى فِيمَا أَثْبَتَهُ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ
تَكُنِ الشُّورَى مِنْ أَدَبِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ: « وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَلَاذَا

(١) جاء في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجامعة لأحكام القضاء التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري
قوله: « والصَّحُّ جَائِزٌ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحْلَ حَرَامًا أَوْ حَرَمَ حَلَالًا. » وفي الأصل: « والسَّجْنُ
جَائِزٌ لِلْمُسْلِمِينَ »

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . لَوْ جَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا لِفَاحُ الْعَقْلِ ، وَرَأَيْدُ الصَّوَابِ ، وَأَنَّ الْمَشَاوِرِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، صَوَابًا يَفُوزُ بِمَحْمَدِيهِ ، أَوْ خَطَأً يُشَارِكُ فِي مَذْمَتِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

« وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاةً مَكَانَ الْخَوَافِ عُدَّةً لِلْقَوَادِمِ ^(١) . »
قَدْ قَرَعْتُ لَهُ الْعَصَا وَنَبَّهْتُ عَلَى أَنَّ الَّذِي دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ، لَا يَسُوعُ دَفْعِي عَنْهُ ، وَلَا يَجُوزُ مَنبِئِي مِنْهُ ^(٢) ، فَعَيْنِي عَلَى عَوَائِدِ : كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُوقٍ لَهَا مَثَلًا ، إِذَا قَطَعْنَا مِنْهُ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ ، وَكَانَ آخِرُهَا الَّذِي نَسَخَ بِهِ مَا قَبْلَهُ - أَنْ تُذَرِّجَ الشُّورَى إِلَى أَبْنَاءِ الشُّورَى لِلْوَرْتَةِ ، فَتَوَيْتُ أَرْقُبُ هَذَا الْحَيْنَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَحِينَ ، كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرَّيِّعُ : وَكَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءٌ .

« فَكُنْتُ وَإِيَّاهُ سَحَابَةً مُنْجِلٍ رَجَاهَا ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ اسْتَهْلَتِ »

وي فصل منها :

وَلَمْ أَقْصُ عَلَيْكَ يَا مَسِيدِي مِمَّا أَجْلَبَتْهُ إِلَّا مَا شَمِرَ شُهُورَةَ الْأَنْهَمِ ،
وَعَرِفَ مَعْرِفَةَ النَّسَبِ ، وَمَا يَوْمُ حَكِيمَةٍ بِسِرٍّ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ حَبْسِي قَدْ
وُضِعْتُ مِنَ السَّجَنِ فِي مَوْضِعٍ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِوَضْعِ مَسْتُورِي النَّاسِ ،
وَذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَفِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَبَعْضُهُ أَهْوَى مِنْ بَعْضٍ ،
فَقَبِيتُ مِنْ مُطَالَبَةٍ بَعْضٍ مَا يَهْتَمُّ النَّاطِرُونَ فِي السَّجَنِ لَهُ وَيَسْتَعُونَ إِلَيْهِ - بِمَا
أَقْتَضَى ثَقَلِي إِلَى حَيْثُ الْجَنَاءُ الْمَفْسِدُونَ ، وَالْأَصُوصُ الْمُقِيدُونَ ، وَشَكَوْتُ
ذَلِكَ إِلَى الْحَكَمِ الْحَالِسِ لِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ بِمَشْهَدٍ مَنْ تَقَدَّمَ

(١) البيت لبشار بن برد . (٢) في الأصل : « وبه على الذي دعوته إليه ، لا يسوع لي دعه عنه ، ولا يجوز مني منه . » وما أفتناه هنا هو ما يمكن أن يعطيه به المعنى .

وَصَفَهُ ، فَاتَّقَى مِنَ الرَّصَا بِهِ ، وَأَظْهَرَ الْأَمْتِاضَ مِنْهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُوَكَّلِ
بِالسَّجْنِ فِي اخْتِيَارِ مَجْلِسِ أَتَابِنُ فِيهِ مَنْ لَا تَلِيْقُ بِي مُلَابَسَتُهُ ، وَأَتَيْدُ هَمِّنْ
لَا تُرْضَى لِي مُجَالَسَتُهُ ، ثُمَّ لَمْ أَتَبَثْ أَنْ أَحْضَرَهُ مَجْلِسَ نَظَرِهِ ، وَأَمَرَ بِتَأْدِيهِ ،
عَلَى أُمْتِثَالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَانْتِهَائِهِ إِلَى مَا حَدَّ لَهُ ، وَأَسْتَأْنَفَ الْعَهْدَ فِي
التَّضْيِيقِ عَلَى ، وَمَنَعَ مَنِ اعْتَادَ صِلَتِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَيَّ ، فَأَصْعِدْتُ إِلَى غُرْفَةٍ
فِي السَّجْنِ أَفْتَنِي بِهَا مَعَ خَسَاسَتِهَا ، وَأَسْلَانِي مِنَ الْمُصِيبَةِ بِالْكَوْنِ فِيهَا
- عَلَى مَضَامِيهَا - أَفْرِادِي مِنَ لَقِيفِ الْأَخْلَاطِ ، وَمَنْ صَنَعَهُ السَّجْنُ مِنَ السَّفَلَةِ
وَالسَّقَاطِ ، فَحِينَ اسْتَوَاىَ إِلَيْهَا عَهْدَ بِحَطَى إِلَيْهِمْ ، وَخَلَطِي بِهِمْ ، وَوَضَعِي
يَنْتَهُمْ ، فَتَقَلْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ مَنْ أَبْلَغَ إِلَيَّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَكَمِ
رِسَالَةً جَامِعَةً مِنَ السَّبِّ الْفَاحِشِ فُتُوهُ ، مُشْتَمِلَةً مِنَ الْوَعِيدِ الْمُرْهِبِ عَلَى
صُرُوبِهِ . فَلَوْدَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي .

« وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِيرِ ضَمِيفٍ ، وَلَمْ يَفْلِكَ مِثْلُ مُقْلَبٍ »
قَلَمُ اسْتَطْعَ صَبْرًا ، وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ أَبْلَيْتُ عُذْرًا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُعَذِّرَ لِي لَيْدِي
وَكَادُ (١) ، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مَنْ لَا يَسْتَقِيدُ . فَأَلَمُوا بِعِزِّ لَا حِمَالَهُ ، وَلَمْ أَسْتَحِزْ
أَنْ أَكُونَ ثَالِثَ الْأَذَلِّينِ الْعَمِيرِ وَالْوَتِيدِ ، وَذَكَرْتُ أَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الظُّلْمِ

(١) يشير إلى قول ليد بمالط بنه :

هو ما طولا بالي قد علمنا ولا تخشوا وجهاء ولا تخلفا العصر

وقولا : « هو لره الذي لا خليه أُنَاع ولا خذا الصدق ولا عذر »

• إلى الحول ، ثم أحم السلام عليكما ومن بك حولًا كملًا قد احذر

واحذر كأخذو أني يهنر ، فما سد تمام الحول إذا أمسكتا من النوح والبكاء على أيها فلها العذر .

وَالْهَرَبَ يَمَّا لَا يُطَاقُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« لَا عَارَ لَا عَارَ فِي الْفِرَارِ ، فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهُدَى إِلَى الْغَارِ »

وَنَظَرْتُ فِي مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ ، وَالْتَمِسْتُ مِنَ الْأُجْبَةِ ، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ إِيمَانِي نَفْسِي بِإِنْسَانِي أَهْلِي ، وَقَطَعَهَا فِي مُوَاصَلَةِ وَطَنِي ، غَبْنٌ فِي الرَّأْيِ ، وَخَوْزٌ فِي الْعَزْمِ ، وَوَجَدْتُ الْحُرِّيَّاتُ عَلَى الشُّكْلِ ، وَلَا يَتَأَمُّ عَلَى الذَّلِّ ، وَأَذِنْتُ إِلَى قَوْلِهِمْ : لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبِلَادِ نَسَبٌ ، وَإِذَا بَنَّا بِكَ مَثَرِلٌ فَتَحَوَّلَ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

« أَرَى النَّاسَ أَحْذَوْتَهُ فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا

كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتُ فَكُلُّ مَكَانٍ وَطَنٌ »

وَلَمْ أَسْتَعْرِبْ أَنْ أُسَامَ بِمَثَلِ هَذَا الْحَسَنِ فِي مَسْقَطِ رَأْيِي ، وَمَعَقُ^(١) تَمَامِي ، وَأَوَّلِ أَرْضٍ مَسَّ ثَرَابُهَا جِلْدِي ، فَقَدِيمًا صَاعَ الْمَرْءِ الْفَاضِلُ فِي وَطَنِهِ ، وَكَسَدَ الْعَلِيقُ الْفَيْيَظُ فِي مَعْدِنِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

« أَصْنَعُ فِي مَشْرِئِي ، وَكَمْ بَلَدٍ يَمُودُ عَوْدُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبَةٍ »

فَأَسْتَحَرْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاصْبَحَ وَجْهِ الْمُنْذِرِ ، ثَابِتَ قَائِمِ الْحِجَّةِ ، عِنْدَ مَنْ غَضَّ عَيْنَ الْهَوَى ، وَخَرَّنَ لِسَانَ التَّعَسُّفِ ، وَاللَّهُ يُصِيبُ غَرَضَ الصُّوَابِ بِرَأْيِي ، وَيُقَرِّبُ قَايَةَ النِّجَاحِ عَلَى سَعْيِي ، حَسْبَمَا ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ أَنِّي مَظْلُومٌ مَبْنِيٌّ

(١) اللق : للوضع الذي لم يأتى لثقوفه عن الصبي التمام ، ومع قوله :

« بلاد بها عن الشباب تمامي وأولها أرض مس جلدي ترابها . »

عَلَى مَنْ مَنُوبٌ مَا لَمْ آتِهِ إِلَى، فَهُوَ الْمُوْمَلُ لِلنَّكَ، وَالرَّجُؤُ لَهُ، وَلَمَعْرُكَ بِأَسِيدِي
 إِنْسَاةٌ^(١) الْمُدْرِ لَتَضِيْقُ عَنْكَ، وَمَا نَكَادُ تَنْسَعُ لَكَ، فِي إِسْلَامِكَ تَلِيدُكَ
 وَابْنُ جَارِكَ وَشَيْخِكَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُتَابِرًا عَلَيْهِ آخِذَا عَنْهُ مُقْتَسِبًا مِنْهُ مَعَ
 إِكْتَارِكَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا، وَالْأَعْتَادِ بِهِ، وَأَدْعَاهُ الْحِفْظَ لَهُ، وَقَدْ رَوَيْتَ أَنَّ
 حَسَنَ الْعَمْدِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَصِمْتَ النُّلَ: « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . »
 قَالَهُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَلَا أَقْلٌ مِنْ أَسْتَعْمَالِ الْجِدِّ، وَأَسْتَعْرِاقِ الْجَهْدِ، فَيُبْلَغُ
 نَفْسِ عُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ، وَلَا لَوْمْ فِي أَمْرِي بَلَّغَ الْعُدْرَ، وَلَكِنْ مِنْ لَكَ
 بِأَخِيكَ كُلِّهِ، وَمَا حُمَّ وَاقِعٌ، وَلَا حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ،
 وَتَقَدَّمَ مِنْ فِئْلِي مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أَمِنْتُ بَعْضَ الْأَمْنِ، إِلَّا
 أَنْزَرًا^(٢) مِنْ وَعِيدِ سَقَطَ إِلَى بَأْنِ السُّنَى لَمْ يَرْتَفِعْ، وَأَنْ مَادَّةَ الْبُنْيِ لَمْ تَنْقَطِعْ،
 وَأَنْ الْبَصِيرَةَ مُسْتَحْكِمَةً فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْأَفْقِ الَّذِي أَحْلُ بِهِ، وَالْجَنَابَ الَّذِي
 أَحْطُ فِيهِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي ظَنِّي مَا كَانَ أَشَارَ لِي إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ كُنْتُ آوِي
 إِلَى الثَّقَةِ بِعَهْدِهِ، وَأَبْنَى عَلَى الْوِثَاقَةِ مِنْ عَقْدِهِ، مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمَوْسُومِينَ بِالْأَثَرَةِ
 عِنْدَ الْحَكَمِ الْمَذْكُورِ وَالْمَكَانَةِ مِنْهُ، وَقَدْ عَابَتْهُ عَلَى تَأْخِيرِهِ عَنْ مُطَافَرَتِي
 وَتَقْصِيرِهِ فِي مُوَازَرَتِي، فَاعْتَذَرَ بِأَنْ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَنَفْعَ لِلْحِيلَةِ فِيهِ، إِذِ
 الْمُحَرَّضُ عَلَى لَا تَتَأَنَّى مُعَارَضَتَهُ، وَلَا يَتَّبِعُ الْإِسْتِغْنَاءَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ وَصَفَنِي
 بِالْبَذَاهِ وَعَابَنِي بِالتَّسْلُطِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَوَأَفَّهِ مَا اسْتَجَزْتُ هَذَا بِمَدِّ أَنْ هَتَكَ

(١) و الأصل : « لا ساعة العذر . » و هو هامش الأصل « لها سه » وقد أجمنا مكتبها « ساعة »

التي هي على سورتها و الخط ليسهم للى . (٢) الرز و الرز و الصوت الخى تسبه من يهد .

مِنْ مِثْرِي مَا هَتَكَ ، وَأَتَهَكَ مَا أَتَهَكَ ، إِنْ كُنْتُ أَقُولُ مَعْدُورًا ، وَأَهْتُ
مَعْدُورًا ، فَكَيْفَ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَحْدُثْ سَبَبٌ ، وَلَا غَرَضٌ مُرْجِبٌ ، وَمَالِي
وَهَذَا الْمَجْتَنِّي ثُمَّ مَالِيَا ، وَ« سَكَنْتُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ » ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ
يُكْرِ مِنْ النَّهْمِ الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَاهَا :

« فَلَمَّا رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لِي لَا يَبْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا ،

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ كُسَلًا [❦] مَسَامِيهُ بِالْسِنَةِ حِدَادٍ

وَيَا سَيِّدِي :

لَوْ بَقِيَ الْمَاءُ حَلَقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالظِّلِّمَاَنِ بِالْمَاءِ أَعْتَصَارِي
وَوَاللَّهِ مَا تَوَحَّشْتُ أَنْ أُؤْتَى مِنْ أَوْدِيَتٍ مِنْهُ مَعَ أَتْصَالِي بِهِ ، وَأَنْقَطَعِي إِلَيْهِ ،
وَأَتَسَايَ بِالتَّامِيلِ لَهُ ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ . إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الثُّغَى ذِمَّتُمْ .
وَلَكِنْ :

إِذَا كَانَ فَيْرُ اللَّهِ - لِلرَّءِ - عُدَّةً أَتَتْهُ الرَّايَا مِنْ وَجْهِ الْقَوَائِدِ

لَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّيْمِ ، وَشُرُوطِ الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ ، أَنْ يَهَبَ لِي مَا أَنْكَرَ
لِيَ عَرَفَ ، وَيَهْفِرَ مَا سَخِطَ لِيَ ارْضَى ، وَيَدْفَعَ بَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُؤْوِزَ
الَّذِي هُوَ أَجَلُّ وَأَرْفَعُ ، وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَ مَا نَصَّ لَهُ مِنْ سِمَايَةٍ ، وَزُفَ إِلَيْهِ مِنْ
وِسَايَةٍ ، فَإِنْ كَانَ بِإِحْلَاءِ الْقَاءِ ، وَفَضَحَ الْمُغْبِرِ الْمُتَقَرَّبِ بِهِ وَأَفْصَاهُ ، وَإِنْ كَانَ
حَقَّاصَبَرٌ صَبْرَ الْحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءَ الْكَرِيمِ ، وَقَبِلَ إِنْابَةَ الْمُغْتَبِ ، وَأَقْتَصَدَ
فِي مُوَاخَذَةِ الْمُذْنِبِ ، فَقَدَّمَ التَّوْقِيفَ ، قَبْلَ التَّثْقِيفِ ، وَالتَّائِبَ ، قَبْلَ التَّأْدِيبِ
فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ ، وَالْحُرْمُ بِالْمُنَى وَالْمَصِيَا لِلْعَبْدِ

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَمَا لَا تَلُمُهُ عَلَى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ؟
وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَنْ بِالْخَضِرَةِ قَوْمًا لَا يَحْضُرُهُمُ الْعَدُوُّ تُحْتَمَلُ سَقَطَاتُهُمْ ،
وَتُنْفَرُ هَقَوَاتُهُمْ ، وَتُقَالُ عَرَاتُهُمْ :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ قَمَرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا^(١)
وَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُدُونُ بِوَسِيلَةٍ إِلَّا شَارَكَهُمْ فِيهَا ، وَلَا يَمُوتُونَ بِذَرِيعَةٍ يَنْفَرِدُونَ
دُونِي بِهَا :

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا
كَأَنَّكَ كَانَتْ مُسَاحَتُهُمْ لِسَابِقَةٍ سَلَفَتْ فَقَدْ أُحْزِنَتْ مِنْهَا الْحَظُّ الْأَعْلَى، أَوَّلُ كَيْمَالِ
أَدَبٍ فَقَدْ ضَرَبَتْ فِيهِ بِالْقِدْحِ الْمُحَلَّى ، أَوْ لِلْطُفِّ تَوَدُّدٍ فَاقْصُرَتْ فِي الْإِجْتِهَادِ
فَإِنِّي أَنَى حُرَيْمَتِ التَّوْفِيقِ ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ، رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدَ .
فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَبْطَلِي أَسَاءَ فِينِي سُوءُ الْقَضَاءِ لِي الْعُدْرُ
وَاللَّهِ لَقَدْ أَظْهَرْتُ مَذْحَهُ ، وَأَضْمَرْتُ نُصْحَهُ ، وَتَمَتَّتْ عَلَى الصَّاعِيَةِ لَهُ ، وَجَرَيْتُ
مِلءَ الْعِنَانِ إِلَى الْإِعْتِلَاقِ بِهِ ، أَسْقِيهِ السَّائِفَ مِنْ مِيَاهِ وَدَى ، وَأَكْسِيهِ السَّابِغَ
مِنْ بُرُودِ خَدَيِ ، وَأُجْنِيهِ الْقَضَّ مِنْ ثَمَرَاتِ شُكْرِي ، وَأَهْدِي إِلَيْهِ الْمَعِطَرَ
مِنْ نَفَحَاتِ ذِكْرِي لَا يُفِيدُنِي التَّحَبُّبُ إِلَيْهِ ، إِلَّا ضِيَاعًا لَدَيْهِ ، وَلَا يَزِيدُنِي
التَّقَرُّبُ مِنْهُ ، إِلَّا بُعْدًا عَنْهُ :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِهِ ابْنَ حَيَّةٍ إِذَا النَّزْعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدَا
وَالَّذِي أُحِبُّهُ مِنْكَ ، وَأَتَّقِي فِي الْمَسَارَعَةِ إِلَيْهِ بِكَ لِقَائَهُ مُجَارِيًا ذِكْرِي ، مُقَاوِمًا

(١) أَيُّ لَيْبِي مَرَّ الثَّلَاثَةِ بِأُمِّ مَرِّ الْقِي لَأَكْسِيهِ الصَّبُوحَ بِصَاحِبِكَ ، وَوِ الْأَمَلِ :
« وَمَا مَرَّ الثَّلَاثَةِ - أُمُّ مَرِّو - بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا »

فِي أَمْرِي ، مُعْلِمًا لَهُ بِالَّذِي لَا يَذْهَبُ عَنْهُ - مِنْ أَنَّ الَّذِي اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي قَائِمٌ
مَا يُبْشِرُ الْعَدُوَّ بِهِ ، وَيُسَاءِلُ الْمَوْلَى مِنْهُ - فَالْجَلَاءُ أَخُو الْقَتْلِ ، وَالنُّزْبَةُ أَخَدَةُ السَّبَابِ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَخْشَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِكُمْ مَا فَسَلَوْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« وَمَنْ يَتَرَبَّعَنَّ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْجَبًا
وَيُذَفُّ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا ،
وَقَدْ هَجَرْتُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ ظِلِّي ، وَالذَّارَ الَّتِي كَانَتْ مِهَادِي ، وَغَيْبْتُ عَنْ أُمِّ
أَنَا وَاحِدَهَا ، تَحْتَدُّ أَنْفَاسُهَا شَوْقًا إِلَيَّ ، وَتَنْفُضُ أَجْفَانَهَا حُزْنًا عَلَيَّ ، وَاللَّهُ يَرَى
بُكَاءَهَا ، وَيَسْمَعُ لِي - عَلَى مَنْ ظَلَمْتَنِي - نِدَاءَهَا ، فَلَا اسْتِجَابَةَ مَضْمُونَةَ الْمُخْلِصِ
وَالْمَظْلُومِ ، وَقَدْ حَلَّتْ السَّمْتَيْنِ ، وَأَسْتَوْجَبْتُ الصَّفَتَيْنِ ، وَلِتَكُنْ بُيُوتُكَ الَّتِي
تَذْخِرُهَا عَلَيْهَا كَلِمَةً تَأْمِينٍ ، وَإِشَارَةً إِلَى تَأْنِيسٍ وَتَسْكِينٍ ، تُرَاجِعُنِي بِهَا
فَأُظْهِرُ بِحَيْثُ أَنَا آمِنًا ، وَأَلْقِي الْمَصَامِطَ مُطْمَئِنًّا ، فَإِنْ وَجَدْتَ عَمَزَ الشُّقْرِ ،
فَالْمَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْخِمْرَةَ (١) ، فَإِنْ أَشْبَهْتَ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ ، أَعْلَمْتَنِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ
الْأَمْنُ فِي مَطَانِدِهِ ، وَتَقَرَّرْتُ السَّلَامَةَ فِي مَوَاطِنِهَا ، وَصَبَرْتُ حَتَّى يُحْكَمَ اللَّهُ لِي
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ حَالٍ
مُعَقَّبٌ ، وَلَرُبَّمَا أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا تَحْمَدُ ، وَلَكَ يَا سَيِّدِي فِي اتِّدَابِكَ لِمَا
نَدَبْتُكَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ ، وَالْأَيَادِي قُرُوضٌ ، وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ :

« لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . »

وَالْتَحِيَّةُ الطَّيِّبَةُ وَالسَّلَامُ الْمُرَدَّدُ عَلَى سَيِّدِي :

(١) الخمر : اسم لشيء من الاجتهاد أى وضع الحمار على الرأس ، وهو مثل يضرب بين خلق الأشهاد
وجرب الأورد .

شعر الملكين

(١)

شعر المعتضد

« قال المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبو عمرو

عباد بن محمد بن عبد ربه الله . »

إذا نام أقوام من الجهد - سلة -

أشهد هي أنت تمام في الحال
وإن راق أقواماً آمن الناس - منطق

يروق ، بنا من مقال وأعمال .

(وقال)

« أقوم - على الأيام - حير مقام ،

وأوقفت الأعداء - سر ضرام

وأثقت في كس الحامد - مهج ،

ولو كان في الدكر الجليل - حامى

وأبلغ من دنياى - غنى مؤلفاء ،

وأضرب - في كل الملا - بهام

إذا مسح الأملاك غنى ، فانه

يبته عند الأيام - تملى . »

(وقال)

« من كان يلو من نوال فأنا الذى لست يسال

الجل حين قبضة ، والجود حين الحسبال

أبصرت رشدنى فى الندى ، فالجل صدق كالغلال

هنا زفاف طمسه ، والجود حلو كالزال . »

(وقال)

« لو كان غلى - من الاشمال - منتزحاً ،

تذى لقد حبيب النفس : واربها

لكنها شغلها بالجهد - مجتهداً -

يلويه من حه إن إن أو قربا . »

« لقد بسط الله المكرم من كفى

طست - على العلات منها - أنا كفى

تتادى بيوت الليل - من مرط بنها -

يمى : « قد أسرفت ظاني كفى »

أقرى ييمى بالساح فتنهى

ولا ترعى غلا يقول لها : ينى

لعمرك ، ما الاسراف في طيبة ،

ولكن طبع الحل عندى كالخصب . »

(وقال)

« من قشاعة والكرم إلا العالوم للطم

من لست نعمت عنده غير التمدل والضم

أحيا المكرم والملا وأقام ما د الهيم

بلى المادة ، وسيمه قد قط هامات البهم . »

(وقال)

« لعمرك إلى - بالمدامة - نوال ،

وإلى - لما يجرى التنبأى - لصال

وإلى - لحل الحليل - لناعش ،

وإلى - فقتل الماوى - لقتال

نمت زمانى - بين كد وراحة -

فكرأى أسدلو ، وقطب آمال

مأسى على الأذات والهوى - طاكفا

والنقى - بساحات الرياضة - أختال

ولست - على الإيماء - أظلل بيقين

من الجهد ، إلى - في المال - لحتال

(وقال)

« منى السادة قد قامت على قدم
وقد خلفت لها في مجلس الكرم
فان أردت - إلهي - بلوري حساً
فلمسكني زمام الدهر والألم
فاني لا عدك الدهر من حسن ،
ولا عدك بهم من أكرم الشيم
أفأزع - الدهر - عنهم كل ذي طلب
وأطرد - الدهر - عنهم كل ذي ضم . »

(وقال)

« عن التصدق بديروا ، وما جرت من تصد
إذا جيت طرق المرائس عن أسد
إذا احتضوا الجبل أعرشت عنهم ،
وإن من أقوام كتمت الذي أسدى
لله ما أخى من المدل والندى ،
ولله ما أبدى من الفصل والهد
ولا ألتق صبي ضمير ناشئة
إذا لم تجدت أمة مروءة عندي . »

(وقال)

« ألام ، وما لوى على الحب - واحد ،
وقد صادق طرف كليل وحاح
أنحب هي - واللؤاد يحيا -
لقد مرَّ محبوب تمامه حاجب
أروم مؤادى - في الغرام - ليلى
وكيف وما دون الأية حاجب . »

(وقال)

« زهر الأسنة في الميحاء فحدث زهرى
غرس أشجارها مستحزول الدهر
ما إن ذكرت لها من مراك جلال
إلا تحفنه بالصارم الذكر
حق غدوت وأعدائي تخاطبي
يا قاتل الناس بالأحتاد والعكر . »

(وقال)

« وإذا توهرت للسالك لم أرم .
نيتي السرى إلا برأى مقدر . »

وإذا طلبت مريمسة ففانحى

ميا المريمسة والسلا السهرى . »

(وقال)

« كلام - كتل الدر - تنثره ثراً
ووصل - كطل الروض - تصطيكه ترراً
ولو لم تشب وصلى بهجر لحتي
أشاهه بها الشمس أو ألقم الدوا . »

(وقال)

« أنك الليل متكرراً ياقصه سنا البدر
ذر الساعات تسطه ستجمعه يد العجر . »
(وقال في القاضي أبي القاسم أبيه) .

« ألا يا مليكا يرتقى ورياح
وبحرأله - في الملكات - عباب
ومولى عدتي - مذتات - مكارم ،
يصوب سها من راحتيه - سحاب
أطيتك في سرى وحهرى - ساهداً ،
علم يك لي - إلا اللام - ثواب
وأملت جهدي في رضاك مشرا . »

ومن دون أن أهي إليه حجاب
ولما كبا حدى إليك ولم يسغ
لنسى - على سوء اللقاب - شراب
وقل اصطبارى - حين لالى صدك
سمن العلف - لإفسوة وثاب
فورت ينسى أبتى مرجة لها
على أن حلو الجيش بمدك صاب
وما هرتى إلا رسوك أن جرت
للى به صم المضاب وكعب
قال مقالاً لم أحد عن مقال
ماباً ، وعن صفى الأمور مناب
دعاك أمير للؤمنين مثوياً
قلت : « أمير للؤمنين عباب
لجئت أفد السير ، حتى كأنما
يطير يسرى - في الفلق - عباب
وما كنت - بعدالين - لإموئناً . »
هزى على ألا يكون لإباب

لجأدت - وما كادت - على يدها
 وقد يبلع الماء الفير من الصلح
 قفلت لها : « حاتي ثيابك إني
 أقفل نوار الأظفى على الورد
 وميل على حصى بحسك » فاشتت
 تيد الذى أملت منها كما تبدى
 عنافاً ولما أرويا للشوق بيننا
 - مرادى ومشي - كالفرار من الزند
 مياسعة - ما كان أقصر وقتها
 لى - تحصت غير مذمومة العهد -
 (وقال)
 « يتادون قلبي ، والفرام يحجب ،
 وقفلت - فى حين النداء - وجب
 مشوق دعاه الشوق والوجد والهموى
 يحجب نداء الحب وهو يحجب
 يقاسى مؤادى الوحب والمحواسل -
 فكيف تراه إن حواه حبيب ؟
 إذا أخطأ الأحباب ترتيب حلهم
 فانت - مؤادى - دائماً - ليصيب
 عليم بأسرار العرام ، لأنه
 صير - بأدواء المسلا - طيب
 يواصل سرّاً ، ويصرم ظاهراً ،
 ودك من أصاغر - يحجب ، «
 (وقال)
 « بيض الهند والأسل الحداد
 أرمى أنت جسم لى مرادى
 فأبلغ سيق ، وأريج نفسى ،
 وتعمد حائق فى كل نادى
 ففى الدهر فى قتل الأظفى ،
 وحسم رقابهم فى كل وادى
 هناك الغرض - والرحمن - عندي
 كقتل الغرض فى حل الجهاد . «
 (وقال)
 « وليل ظفنا فيه لعل كاستنا
 إلى أن بدت تصيح - فى الليل - أعمال

ولنكك الدنيا إلى حبيبة
 فما عك لى - إلا إليك - ذهب
 وضحك فى ترك اللام ، فانه
 - وحك - فى قلبي ظناً وحراب
 إذا كانت النعى تكدر ما لادى
 فما من إلا محبة وعذاب
 ولا تمضت بللمع كفى فانه
 - وحدك - نفس الملا وخراب
 فوالله ما أبهى بدك غير أن
 تحمل عدوى راحتك وعذاب
 ويهدى إليك اللس دون تصع
 عنة صدق لم يشبه كدباب
 مكل نوال لى ، إليك انشابه ،
 وأنت عليه - بالثناء - مثاب
 بيت مكين الأسر ، مادو شارق ،
 وما لاح فى أفق السماء ، ذهب . «
 (وقال)
 « يا قاتل الصب ولا واق
 لا ترص الله بأعناق
 عينك قد قادت إلى الردى
 فالقلب أتاح إلى راقى
 لولاك والرحمن ما كنت من
 يحسب فى حمة عشاق
 قد لدغت صدقك قلبي صعل
 نعم لادغ بدريق . «
 (وقال)
 « رمي الله من يصل مؤادى بحبه
 سيرا ، وعصى منه فى جنة الخلد
 غزالية المئين شمس السنا
 كتيبة الردين غصبة اللبد
 شكوت إليها حبا بمسامى
 وأعطتها ما قد لفت من الوجد
 نصادف ظهري بقلبي - وهو سالم -
 فأمدى ، ودود الشوق البرح قد يمدى

(وقال)

« ذكرتك في نفسي تشبعت بنسبي
أمدك يا فتى الجنان والروح
الله يعلم أني لست أهرم
مهرى ولا تنقص فيكم تباريحى
إن كنت أهرج مني حكم شفا
فإن سرّك عندي غير مفروح . »

(وقال)

« يا جاهل الحب إن الحب دوسند
مهما أهرجه يوماً سوف أجد
أيهل الحب من أخص به حرق
تكاثر من حرماً الأضواء تنقد
الله يعلم أن شقيق أبدا
لا يقضى الشوق حق ينمى الأبد
إن يثرب الحسب يرد الوصل منتشاً
يهدى إليه بؤادى حرماً يجد . »

(وقال)

« لله ذو الحب ماذا يصح
يسئله ملك الزمان ويخص
لحب سلطنت عظيم شاه
مهما يقل قولاً قلبي يصح
إن يثر المحرمان ملك مهنتى
أقبل إليه بجألي أقصرع
ماذا انتفعت بجألي عند الهوى
حال الهوى أبداً أهل وأرفع . »

(وقال)

« لله ما حله الأعاسى و خلدى
لمن غدا والدى كالروح والمسد
للأوحى أن الجيش الذى ظفرت
منه بأصم خلقى والأمم يدي
مؤتى الزمى والزيات لفته
في الحد والمرد لاني البينة الرعد
إذا رآه الصلا نأته مفصحة
يا فرة العين بنى العبد الكبد . »

وولت نجوم الليل نهرى مزجة

وجاء مع الصباح نصر وابل
ففضت من هنا وفاك - ليلة
وتم لنا فتح ميين وآمال .
(وقال)

« وليل أمدنا فيه حرب معامة
إلى أن بدا الصبح في الليل تأخير (١)
وجاءت نجوم الصبح ففرت في النسي
نولت نجوم الليل والليل مفهود
لحرنا - من اللذات - أطيب طيبها
ولم يمدنا هم ولا طاق تكدير
خلاؤه - لو طال - فامت مسرة
ولكن ليالى الوصل ميهن قصير . »

(وقال)

« أدم أن تلي غير صاح ؟
وأى من سلوكى و انراج
وكنت النهر - أصاد المال
قد أصبحت من صيد لللاح
تسقى البجة كأس صد
وترحها - لتليل - براح
ولوشاة حياتي - الدهر - سفت
حرور القلب من شيم فراح
وكانت تصنع الحسى جيلا
ولكن ليس تلقى غير لاح
نفسى - وديتك - من عمار
ونادى : هلم إلى اصطباح . »

(وقال)

« يطول على الدهر إن لم ألقها ،
ويقرر - إن لا تبتها - أطول الدهر
لها فرة كالبد - عند تمامه -
وصعدا غير نفا صفة البدر
وقد كثل الدمن - ملك به الصبا -
ولفظ كما انحلت الظلام من البر »

(١) هذه القطوعة أدرجت سهواً ضمن شعر

(وقال)

« أترى اللقاء كما نحت يوحى
تظنّ صبح بالسرور وضيق
حطم تعطى القبال قرب من
للي له منشوق منشوق
ملك أغتر أمار أن تعطى به
لسواى أخاط ولحلى ملحق
أمدى أبا الحبش للوقت أنه
للككرات ميسر وموض
باصى به الزمن الهوى كأنه
نشر على وجه الزمان وروى
ملك إذا فطنا طيب ثناءه
ظلت به أوهاما تنطق
حسب الزيادة أن عدت مرادة
سواء هو التاج والفرق .
(وقال)

« صرمت عرف الصبا لدمع خاطره
من ألقى من أناى ظلي أشاطره
أراد تحديد ذكره على شحط
وما تيقنى أفى الدهر ذاكره
يأتى المراد به والدار دابسة
يا حدا العلى لو صحت زواجره
ذخرى أبا الحبش هل يقضى اللقاء لنا
ميشنى ملك حص أنت خاطره
نصاره قيسر إن قام منصرفاً
لله أوله بمجد وآخره .
(وقال)

« كأنما ياسينا المص
كواكب فى السماء تبيض
والطرف الجوى حواءه
تكدت عدواء ناله المص . .
(وقال)

« تلم ومدنياً يسهر وتعبير محبة ولا يسهر
لئن دلم هذا وهذا به سيرتك وحدا ولا يشتر .

(وقال)

« ألام وما عظمى من الجبد تائم
وإنت فؤادى بالمالى طائم
وإن قصدت بى حقة من طلابها
ثابت استهادى فى الطلاب طائم
يمز على نفسى إذا رمت راحة
براح مئنبى الطبايع للكرائم
وأسهر ليلى مفكراً غير طامم
وفغرى على القلائ شبحان تائم
ينلدى احتبادى إن أحس بعثرة
ألا أين يا عباد تلك العزائم
تبتز آملى وهوى مرانمى
وتذكرنى لذاتهن المرائم .
(وقال)

« أناى الحب مغرم مستيل
كل نيل أله لى قليل
لى ختمان من يطن صبيحاً
وفؤادى من الفرام طيل
(١) أعطى عفى
إن صبرى - على التجنى - جيل
لى ذمى - مثل الحساب - مستيل
هو من أكثره تلتفى دليل .
(وقال)

« إنى على ألقى بالسهد والكمد
أدعوك يا معنى الأحسام بالسهد
قلعت قلبى الذى أعطاك حوهره
إنى وهنتك محس النفس والكبد
يا درة لم تلج فى كب ما تعبها
إلا أهل إليها آخر الأبد
قل بصفك لا أرجو الفكك له
مثل الفريسة حلت فى يدى أسد .
(١) هكذا وجد تافصاً بالأصل .

(وقال)

« يا خربة تسخر باليسر
ومعلقة تفت باليسر
ومبها تلم من جوهر
وماؤه من أصل الجر
ومنطقاً أوتيت من سره
أحرّ في قلبي من الجر
وشادنا تبس شـهـه
ووكل الأجفان بالسر
تاجر في الله تهر بالرضى
وترغ الجنة في التبر . »

(وقال)

« يا درة قلبي بها مفتون
يسلوه وإن سئل السلوطين
الله يسلم أن قلبي مرم
من كال داصر ليس يكون
أو أن من يشرى رضاك عوزه
بالحد قلنا : إنه للمبون . »

(وقال)

« يا قرا أصح لي مالكا
لا تركي مكنا مالكا
وملقة الكبد التي ضها
ميتها الدهر بأوجالكا
رف على قلب الصيد الذي
يود أن يجرى على دالكا
حلت في خلق ولم
رضيت بالصح لأمالكا . »

(وقال)

« يصبرني أهل اللودة دائماً
. وإن فؤادي والآله صبور
أغار على ممي الزائلة إنني
على كل حسن في الزمان غيور
أصرف نفسي في أمور كثيرة
وأعلم أن البارثا تدمور . »

(وقال)

« نحن من التبر فوه ووق
كأنه الصبح تحه شفق
يا أبداع الناس وعائه
رف على من أذاب الأرق
مددت كفي رجاء وأحكم
لا تتركوني بتالي الفرق
بحر دموي مفرق جدي
تداركوا مهتقي وبى رمق . »

(وقال)

« ربي الله حاليأ حديثاً وماضياً
وإن كنت قد جردت عزمي ماضياً
فأ ليالي لا تزال ترومسي
ويرمين في صائب السهم قاضياً
وقد علت أن المخطوب تليق
وما زلت - من ليس الدنيا تشارياً
أجسد في الدنيا ثياباً جديدة
يحدد منها الجود ما كان بالياً
فأ سرّ لي بجل بماطر مهيتي
ولا سرّ بجل الناس قط يبالياً
ألا حبنا في الحمد لإتلاف طارفي
وبدلي عند الحمد نفس وماليا . »

(وقال)

« يهور على قلبي هوى ويهيم
وأسرني إن الحبيب أمير
أطوع لأسر الحب طوع مسلم
وإن كان من شأني أباً وهور
أغار عليه من لحاظي صيانة
وأكرمه بحت الحب غيور
أخف لي . فليأ الحبيب طاني
. لعمرك في كل الأمور وهور . »

(وقال)

« أظلت ظفار الجند باليعنى والسر
وقصرت أعمار العداة على سر
ووسعت سبل الجود طبعاً وستة
لأشياء - فى الطياء صابوها صدرى
ملا مجد للانس ما كان منه
يشترك فى النهر بالنعى والأمر . »
(وقال)

« كان على القطر فى شاطئ النهر
وفد همرت فيه الأراحر كالزهر
ترش بماء الورد رشا وتنى
تغليظ أمواه بطيخة الحر . »

(وقال حين دخل على المعتد ماله)

« أرى أنت فائدة الزمان
تقدقت للمالك فى ماله
وقد رمتك من بلد سيد
مأذناك الإله بلا توات
بذلنا جهدنا عنهما وحزما
ووطننا الكساء على الطمان
وأجهدنا العزائم والسماعي
وأملنا الحسام مع السنان
لبيئ أهل ماله انتصارى
ولإعزازى لهم همد الموان
سيفقذهم وضيهم جيما
وضاع الخير إن دوت لباني
وأوقبهم ذرا دوج للمال .
« كما أجنيهم عن الأمان . »

وأصناف الذى يبدى لسانى
إليهم ما يمن لهم جناني .
خلق عليهم شكر امتناضى
وما خلق امتنان بامتنان
ولكن الحقائق مبهرات
وكم حير يتوب عن البيان
ألم أعتهم من دل كفر
حرى فى ضيقهم ملء السنان
وتوراة محسرة أمرت
مطالت فله السبع الثنائى
إلى أن تار بى حرم يمان
فأدرك سؤله المصعب اليانى
وأصنيت الصوارم خطبات
مكان تصاؤما سحر البيان
ضاد البرّ ممسور اللاني
وآب الفسق مهدوم اللاني
وقلم لامل حاسمهم يصل
وآلت السامع بالأدان
وكان دوو الهندى ماوى ثاو
قتيل أو قنيد القتل فاني
مذ اقترت بيريرم يهود
أباح حاسمهم حسن القران
هناجر ما أوليت ميسم
- من الفتكات بكر أو عوان
وحسى فى سبيل الله موت
يكون ثوابه غلة الجنان . »

(٢)

شعر المعتمد

(تأليفه الله حين خرج من مائة مستتباً لأيه :)

« سكن مؤادك لا تذهب به الفكر
ماذا يبعد عليك البث والحد
وازجر جفوك لا ترضى البكاء لها
واسبر قد كنت عند الخطب تصطبر
ولان يحسن قدر قد حاق من وطر
فلا سمحاً لما يأتي به القدر
ولان تكن حجة في القبر واحدة
فكم غنوت ومن أشياك الطفر
إن كنت في حيرة من حرم مجرم
فان عنوك - في ظلماتها - قر
كم زمرة - وشاف القلب - صاعده
وعبرة من شئون العبي تنسدر
فوض إلى الله مما أنت خائفه
وحق يستمد بالله يفتخر
ولا ترك خطوب إن عدا زمن
فأله يدفع والمصور يقتصر
واسبر ، فإني من قوم أولى حله
- إذا أصابهم مكروهة - صبروا
من مثل قومك - واللك الهام أبو
عمرو أبوك - له مجد ومفتخر
سبيدع يه الآلاف مقتدراً
ويستغل عطايه ويعتخر
له يد كل جبار يقبلها
لولا نداء لفتنا إليها « الحبر »
يا ضيفاً يقتل الأبطال مقتراً
لا « وحنى فاني الثاب والظفر
وفارسا تحمد الأبرار صوابه »
« من جدد القن فهو الصادم الذكر »

هو الذي لم تغم يثاك صفته
إلا تأتي سراد وأغضى وطر
قد أحلتني صروف - أنت تملها
وقال موردها : « مالي بها صدر »
فالس جازة ، والين دامة ،
والصوت مرتفع ، والر متفطر
وزاد مني ما يلجم من سقم
وشهد رأساً ولم يثنى الكبر
وذبت إلا دعاء في يسكني
أني عهدك لغو حين يعتذر
لم يأت جدد ذنباً يستحق به
هناً ، وما هو قد ناداك يحتفر
ما القرب إلا على قوم دوى دغل
وفي لهم عهدك الدهود إذ غدروا
قوم نصحتهم غش ، وصديقهم
مين ، ولهمهم إن صروف اسخرو
يميز البنس في الألفاظ إن تعاقوا
وهرف الحقد في الألفاظ إن لغروا
إن يحرق القلب نعت من مقامه
فإنما ذاك من نار القل ضرر
مولاي دعوة مملوك به ظناً
برحوى راحك السلسل الحصر
أجب نداء أني قلب تملكه
أسي وذى مقة أودى بها السهر
لم أوت من زنى شفا أسر به
فلس أهد ما كاس ولا وتر
ولا تملكني دل ولا خن
ولا سى خلتي نتج ولا حور

بيت مؤيدا ما لاح برق
ومضى الملم على قضيب .

(وله إليه)

« ألا ليلى طلق الخطم فما
ويواحد ألقى الخلاق أجما
ترقى بعد وده لك شعبة
إذا كان ذو ودّ سواء نصنا
لئن كنت من جمل مدبك طامرا
مكم ما تراقك له : « لما »
ألقى مثل جذا شكورا وصارما
يجر من الأعداء لينا وأخذما
على من السخط الأليم سحابة
فأمر بهاريج الرضى كي تشما .
(وله إليه)

« مولاي أشكركم إلهاء أصبح قلبي به فريحا
إن لم توجه رصاك هي طست أدري له سرها
سخطك قد زادني سقاما
فأنت إلى الرضى مسجعا . »

(وله إليه)

« يا ليت حرب داق الأعادي
طعني منه أريا وسما
هذا إذا ناشوه حربا
وقا إذا استوهبه سلا
لا غرو أن حم مك جسم
مادة الأسد أن تحما
وليبنى أن طلت يدرا
لأصير الحق مستما
لا زلت تلقى المادة مؤسى
مك وتلقى الولاية نسي
وتحزم من قال من حود
إن يكن الحق قد ألبا .
(وله)

« يا بدر تم تجسلى بالأرض لفرق منه
المجز خلق فيم « لا تحبب » منه . »

رصاص راحة غسى لا لجت به
هو الخاد الذي لدمر أدخر
هو اللدام التي أساور بها فإذا
عديتها جئت في قلبي الفعكر
ما تركي المرمس زهد ولا ورج
لم يفارق لمرى سسى الصخر
وإنما أنا ساع في رصاك فإن
أحسنت به فلا يسح لي الصر
ما سرى وأحلى عصر صطكم
يوم أخل به في عبي القصر
أحل ولي راحة أخرى طقت بها
ظلم الكلى والفتا والهام تنثر
كم راحة لي في الأعداء واضحة
تقى القبال وما يلى لها الخبر

سارت بها العيسى والآفاق فأنصرت
فليس في كل حق غيرها سر
لا زلت فاعزة نساء شاعرة
لا يملح الوهم أدلها ولا الصر
ولا يزل وزد من حسن رأيك لي
آوى إليه فعم الكعب والورد
أليك روضة مكري حاء منتها
ندى ييمى لا طلق ولا مطر
حملت ذكراك وأرحتها شعرا
فكل أوقتها للحنى عمر . »

(وله إليه)

« أيا ملكا يحل من الصرب
ومن يلد غفران الذنوب
ومن في كفه مؤسى ونمى
تصرف في العدو والمحب
تسخطك للضى أهل نسي
ومالى غير دعوك من طيب
ولست بمتكر ذنبى ولك
خى قد جئت في حال اللرب
فان عافيتي بجرأ مثلى
وإن تصليح فليس من الصرب . »

ابن عمار^(١)

« وكتب ذو الوزادين أبو بكر بن عمار
إلى المعتد على الله حين تهبس النمراني
على الرشيد ابنه إذ حاول أمر مريبه . »

« أصفق على أم أميخ للى صبي فأضى عرى أم أعوج مع الركب

(١) ابن عمار

الوزير أبو بكر « محمد بن عمار » ذو النفس الصامية - كما يقول المراكشي - كان أحد الشعراء
المجيدين على طريقة أبي القاسم « محمد بن عافى الأندلسي » وربما كان أحلى منظما منه - في كثير من شعره .
ولشعره ديوان يدور بين أئمة أهل الأندلس ولم أر أحدا من أدركته سى من أهل الآداب الذين أخذت عنهم
إلا رأيته مقدما له مؤثرا لشعره ، وربما تمالى بهمم وشبهه بأبي الطيب وهيمات . فن ضاعده المصهورة التي
أحاد فيها ما أراد ، قصيدته التي كتبها من سرقة حين مرق للمعتد بالله بينه وبين المعتد لأنه شمله عن
كثير من أسره فعاد وعي : -

« على والا ما بكاء الصائم وفي ولا ما نواح المائم

وهي آثار الرعد صرحة طالع لنأر، وهو البرق صعقة صامم

ومالبت زهر الجوم حدادها لنفري، ولا قتله وما تم .»

وي هذه القصيدة يقول يمدح للمعتد بالله :

« أئني أن يراه الله إلا مغلدا حية (١) سيف أو حلة طارم .»

ومن جيد لسيبه قوله في قصيدة يمدح بها المعتد بالله :

« جاء الهوى فاستشمره طاره وبسبه فاستعذوه أواره

لا تطلوا - في الحب - عزاء، إنما عبداته في حاكمه أحراره

قالوا أضرب بك الهوى فأجبتهم : يا حبذا وحدا أضراره

قلبي هو أختار القام لحسه زيا ، غلوه وما يختاره

عيرتموني بالحوول ، وإنما هرف للهد أن ترق شعاره

وشتم لفراق من آفته ولربما حجب اللال سراره

أحبتم السلوان هب بسبه ؟ أو انذاك النوم هاد غراره ؟

إن كان أعياء القلب من حرب الحوى خذفته من دمي لاذأ صارده .»

ولابن عمار هذا مع المعتد أخبارا رجيحية هي مجعها أهل الأندلس ، وأنا - إن شاء الله - موود منها ما لا يخل
بالشرط الذي ألزمته ، ولا يخرج من الحد الذي رسمته ، حسب ما بقى على خاطري من فذلك لأنني كنت في

وإني تلمو إلى إليك مودة يثمرها ما قد تعرض من ذنبي
إذا عرفت قد رأى مشيت مع الهوى وإن أنقته نكبت على صفي

حداثة سقى قد صرت نتائج إلى أخبار ابن عمار هذا مع المتشد لما قصته من الأداب . وقد فقت خزانة
حفظي فلم ألب فيها إلا نفة يسيرة وأنا موردها إلى شاء الله عز وجل :

فابن عمار هذا هو محمد بن عمار يكنى أبا بكر أصله من « شلب » من قرية من أعمالها يقال لها : « شنبوس »
مولده ومولد آبائه بها ، كان حامل البيت ليس له ولا لأسلافه في الرياسة في قديم الدهر ولا حديثه مخطئ ولا زكا
منهم بها أحد . ورد مدينة شلب طفلا منشأ بها وتعلم علم الأدب على جماعة منهم أبو المحاج يوسف بن عيسى
الأحلم ، ثم رحل إلى قرطبة فتأدب بها . ومهر في صناعة الشعر فكان قصاراه التكبب به فلم يزل يحول
الأندلس مستقرا لا يحس بمدحه الملوك دون غيرهم بل لا يبالى من أحد ولا من استعطف من ملك أو سوقه ،
وله في ذلك خبر غريب ، وذلك أنه ورد في من سفراته شلب لا يملك إلا دابة لا يجد عليها مكتب وشعر
إلى رجل من وجوه أهل السوق وكان قدره عند ذلك الرجل أن ملأ له الحلة شعيرا ووجه بها إليه ، فركبها
ابن عمار من أجل الصلات وأحس الحوائث — ثم اتفق أن علت حال ابن عمار وساعده الحد ونهس به البعث
واتضح أمره أن ولاد المتشد على الله مدينة شلب وأعمالها أول ما ألقى الأمر إليه فدخلها ابن عمار في
موكب صمم وحمة عبيد وحشم وأطهر محرة لم يطهرها للمتشد على الله حين وليها أيام أبيه للمتشد بالله ،
فكان أول شيء سأل عنه الرجل صاحبه صاحب الشعر ، فقال : ما صنع فلان أهو حي ؟ قالوا : نعم
فأرسل إليه بعلته يعنيها مد أن ملأها دراهم وقال لرسوله : « قل له لو ملأها برا ملأناها دراهم » ولم يزل
ابن عمار على الحال التي ذكرناها من التقبب في بلاد الأندلس للاستجداء والاستعطاف إلى أن ورد على
المتشد بالله أني عمرو فامتدحه بقصيدته للشهيرة التي أولها :

« أدر الراحة فالقيم قد انزى والحم قد صرف الصانع السرى
والصبح قد أهدى لنا كأموره لما استرد الليل منا السرى »

وفيها يقول بمدح المتشد :

« عاد المحصر نائل مكفه والحو قد لس الرداء الأعبر
فداح زبد الحد ، لا ينك من نار الوحي إلا إلى نار القرى
يختار أنت يهب المريدة كاعاء والطرف أجرد ، والحسام مجهورا »

وفي هذه القصيدة يقول في وصف وقعة أوقعا المتشد بالبربر :

« شقيت سيك أمة لم تنقد إلا لليهود ، وإن سموا بربرا
أثرت رحك من رؤوس كآتهم لما رأيت الحص يصفق مشرا
وخضبت سيك من دماء نهورم لما عهدت الحس يلبس أجرا . »

ومن أبيات هذه القصيدة بيت لم أسمع لمقدم ولا متأخر بمثله وهو قوله :

« السيف أفصح من « زياد » حطبة سقى الحرب إن كانت سيك منك منها . »

ولما ألفد للمتشد بهذه القصيدة استعصها وأمر له بحال ذئاب موركب ، وأمر أن يكتب في ديوان الشعراء
فكان كذلك ، ثم تلقى بالمتشد على الله سوهاذ ذاك شاب سظم نزل حله منه فتردد وموات بقمته له هوى

وما أغرب الأيام فيما قضت به ترقى بمدى منك آس من فري
أهلك الحق لئلا لك في دى وأرجوك الحب الذى لك في قلبى

وتأكد إلى أن صار ابن عمار الملق بالمتمد من شمراثة (١) ، وأدى إليه من حل وريده. كان المتمد لا يستغنى عنه ساعة من ليل ولا نهار ، ثم اتفق أن ولي للمتمد على الله شلب من قبل أبيه فاستوزر بن عمار هذا في تلك الولاية وسلم إليه جميع أموره فلب عليه ابن عمار غلبة شديدة ، وسادت السمعة ضمه ، فانفضى نظر المتمد التفرق بينهما ولى ابن عمار عن بلاده حسب ما تقدم الإيماء إليه ، فلم يزل ابن عمار متعباً في أقاصي بلاد الأندلس إلى أن تولى للمتمد بالله ، فاستداه المتمد وقربه أشد تقرب حتى كان يشاركه فيما لا يشارك الرجل فيه أهله ولا أباه . وله مع أمهات كونهما شلب خبر عجيب ، وذلك أن المتمد استداه لية إلى مجلس أمه على ما كانت العادة جارية به إلا أنه في تلك الليلة زاد في الحب به والبر له على المعتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم للمتمد عليه : « تضمن رأسك منى على وساد واحد » فكان ذلك . قال ابن عمار : فنهضت في هاتف في اليوم يقول : « لا تمتر أبها للسكنى إنه سيفتك ولو بعد حين » قال : « فالتفت من نوى غوما وعمودت ثم عدت » فنهضت في الهاتف على حالته الأولى فالتفت ، ثم عدت فسمته ثالثة فالتفت جردت من أنوائى ، وانفطت في مضى الحضر وقصدت دهلجى القصر مستطفاً به ، وقد أرممت على أنى إذا أصبحت مستعبداً حتى آتى البحر فأركبه وأقصد بلاد الدرّة فأكون في مص حال البربر حتى أموت ، فالتفت للمتمد فاحتقدنى فلم يمدنى فأمر بطلي فطلت له في نواحي القصر وخرج هو بنفسه يهوكاً على سيفه والشعلة تحمل بين يديه ، وكان هو الذى وقع على مكانت منى حركة فأحس بي وقال : « ما هذا يصررك في هذا الحضور ؟ » ثم أمر به فمضى ، فخرحت عرياناً ليس على إلا السراويل . فلما رآنى فاست صياه دموماً وقال : « يا أما بكر ما الذى حثك على هذا ؟ » فلم أر بدا من أن صدقته ، فضعمت عليه نصق من أوها إلى آخرها ، صحك وقال : « يا أنا بكر ، أصابت أحلام هذه آثار الحمار » ثم قال لى « وكبب أفكك » أرأيت أحداً يقتل نفسه ؟ ما أت إلا كفى » ففكر لى ابن عمار ودعا له بطول البقاء ، وناسى الأمر ضمه ، وسرت على ذلك الأيام والأيال إلى أن كان من أمره ما سيأتى الإيماء إليه ، فصفت رقياً بن عمار وقتل المتمد نفسه كما قال .

ولما ألقى الأمر إلى المتمد سأل ابن عمار ولاية شلب وهو كانت يلقه ومنشأه كما تقدم ، فأجابه المتمد إلى ذلك وولاه إيما أنه ولاية جبل إليه جميع أمورها حارحها ودخلها ، فاستدرت ولاية ابن عمار عليها إلى أن اشتد شوق المتمد إليه وصف من احتمال الصبر عنه ، فاستداه وحرله ضمه واستعوزره ، فكانت حاله معه شبيهة بحال جعفر بن يحيى مع الرشيد ولم يزل للمتمد بعده لكل أمر جليل ويؤمله لكل رتبة عالية ، وكان ابن عمار مع هذا لا يئط به أمر إلا اضطلع به ، وكان فيه كالمسكة المهداة ، واشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الأندلس إذا ذكر ضده ابن عمار . قال هو رجل الجبرية ، وكان ابن عمار هو الذى رده من قصد اشبيلية وقرطبة وأعمالها ، وذلك أنه خرج في جيوش ضخمة يقصد بلاد المتمد طامساً فيها ، فظاه الناس ، وامتلات صدور أهل تلك الجهات رعباً منه ، وبقنوا ضلفهم عن دفاعه . فتولى ابن عمار رده بالطف حية وأمر تدير ، وذلك أنه ظم سفرة شطرنج في غاية الاتقان والادماج لم يكن عند ملك مثله ، جبل سورها من الأبوس والعود الرطب والصندل ، وحلها بالذهب ، وحمل أرضها طاية في الاتقان خرج من عند المتمد رسولاً إلى لادمنش عليه في أول بلاده للسلجق ما عظم الأندلس فخره وباعه (١) القمن : بفتح أوله وتشديد ثانيه أراد به رأس المتمد وحج المظالم التى تتلاقى في وسط الصدر حيث ينتهت الشمس.

ولى حسنات لوأمت يبضها الى الممر لم يرفع ثنابة سري

في إكرامه وأمر وجوه دولته بالتردد إلى خبائه وللسارة في حوائجه فأظهر ابن عمار تلك السفارة فركبها
بعض خواص الأدمش منتقل خبرها إليه وكان الطبع (الأدمش) مولوا بالشرطي طما لقي ابن عمار سأله
« كيف أنت في الشرطي ؟ » وكان ابن عمار يبه طرفة عالية فأجابه بكانه منه ، فقال له يلى أن ضدك
سفرة في عاية الامتنان ، قال ابن عمار نعم ، فقال كيف السبيل إلى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار لترجانه قل له أنا
اتيك بها على أن ألب ملك عليها ، فإن قلنى معى لك ، وإن غلبك فى حكمى ، فقال له الأدمش حلها
تنتظر إليها ، فأمر ابن عمار من جاء بها ، فلما وضعت بين يدى الطبع صلب وقال ما ملئت أن أمان الشرطي
يبلغ الى هذا الحد ، ثم قال لابن عمار كيف قلت فأعاد عليه الكلام الأول ، فقال له الأدمش لا ألب ملك
على حكم مجهول لا أدرى ما هو ، ولله فيه لا يمكنى ، فقال ابن عمار لا ألب الا على هذا الوجه وأمر
بالسفرة فطويت وكشف ابن عمار سر ما أراد له لرجل وثق بهم من وجوه دولة الأدمش وجعل لهم أموالا
عطية على أن يوازروه على أمره فطروا فتعلقت من الطبع بالسفرة وشاوروا حاصته فيها رسمه ابن عمار
هوئوا عليه ، فقالوا له : « إن غلبت كان عندك سرور ليس عند ملك مثلك وإن غلبك فما عساه أن يحكم
وقبوا عده إظهار ذلك للمعز من قبي يطلب منه ، وقالوا إن طلب ابن عمار ما لم يمكن معن لك برده
من ذلك ، ولم يزالوا به حتى أحب ، وأرسل إلى ابن عمار ، فجاء ومعه السفارة ، فقال له : « قد قبلت
مارسته . » فقال له ابن عمار : « فاحل بيني وبينك شهوداً يساهم له ، فأمر الأدمش بهم فحضروا
واحتضوا لمبلان ، وكان ابن عمار كما ذكرنا طرفة في الأدمش لا يقوم له أحد فيها ، صلب الأدمش طرفة
ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن للطبع فيها مطر . طما حقت الطرفة . قال له ابن عمار : « هل صح أن لى
حكمى ؟ » قال « نعم » قال : « أن ترجع من هاهنا إلى بلادك » فأسود وجه الطبع وقام وقعد
وقال لحواصه « قد كنت أحلف من هذا حتى هو تنوه على في أمثال هذا القول » وم مالكث والتماذى
لوجه . فمحموا ذلك عليه وقالوا له : « كيف يحمل بك الممر وأنت ملك ملوك النصارى في وقتك » لم
يزالوا به حتى سكن وقال : « لا أروح حتى آخذ أتاوة طامير خلاف هذه السنة ، فقال ابن عمار « هذا
كله لك » وجاءه بما أراد فرجع ، وكلف الله بأمره ، ودعمه بمجولة وحسن دفاعه من المسلمين ، ورجع
ابن عمار إلى إشبيلية ، وقد امتثلت نفس للمتمد سروراً به ، ثم إن المتمد حدث له أهل في التصل على
مربية وأعمالها ، وحى لقي تعرف بجمير ، وكانت بيد أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر كان هو التصل عليها
وللدبر لأسرها ، لجمير المتمد جيوشا عطية ، وتكمل له ابن عمار بأحدها وإحراج ابن طاهر منها فطلق
ابن طاهر حين خرج من مربية بين عبد المرير ببلنسية ، فكان بها إلى أن مات رحمه الله ، ولما تلب
ابن عمار على مربية دار ملك بين طاهر كما ذكرنا حديثه فسه ، وسؤل له سوء رأيه أن يسلط بأمره ،
وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ، فلم يزل يصرف الحيلة في ذلك إلى أن تم له بفضه ، ودانت له مربية
وأعمالها ، وطلع في ملك بلسية إلى أن قام عليه رجل من أهل مربية ، يقال له ابن رشيقي كان أبوه من
من عرفاء الجند بهاء ، وكان ابن عمار قد خرج لبعض أمره فطمأن ابن رشيقي هذا إلى نفسه ، وقلعت معه
الامة وسن الجند ، فجاء يركن حتى للمدينة ، وقد فلتت أبولها دونه فاحصروها بمن معه إليها ، فاحتقت

وكم قد فرت يتالاي من صرية فلا غرو يوما أن تفل من غربي

عليه ولم يقد على دخولها ، فبق حاراً لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه ، وقد كان بلغ للتمد قيامه عليه وخلع يده من طاقته ، فلم ير إلا الهروب ملأاً فهرب حتى لحق بين هود بسرعة فأقام متمد حتى حمل عليهم وخلفوا فاقطعه ، وبفضه في عيونهم ما نزل مع صاحبه وولى لسمته ، فأخرجوه من بلادهم ولم تزل البلاد تتنازعه وملوكها يقتلونه ، إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس في حاية للمة يدعى شقورة ، كان للتملب عليه رجلا يقال له ابن مبارك مأكرم ومادته ، وأحسن تزيهه ، ثم بداه بعد أيام فقبس عليه وقيده وحله في سجنه . فلما رأى ابن مبارك ذلك منه قال له لا عليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوني عندك ، ولعرضي عليهم فلما منهم إلا من يرفض ، فمن كان أشدهم رغبة حل لك مالا ووجهت في إليه ، ففعل ابن مبارك ذلك لما حرمه على أحد من ملوك الأندلس إلا وغ فيه ، وكنت فيمن كتب إلى للتمد ، وفي ذلك يقول ابن عمار :

« أصبحت في السوق ينادي على رأسي بأنواع من اللال

والله ما جاز على ماله من ضمي بالتمن العالي . »

وفي هذا السجن يقول ابن عمار وقد استعصى نورة يستطع بها فتخفرت عليه فاستعصى موسى فأتى بها ، حال في ذلك :

« بوسى شقورة عندي أدبت على كل بوسى

هستت هارول فيها فطلت أطلب موسى . »

وبعث للتمد على الله من رحله من سلم ابن عمار من يد ابن مبارك بعد أن بعث إليه جمال وخيل ، وأمر للتمد الذين تسلموا ابن عمار أن يزيدوا في الاحتياط عليه وتحميده ، فخرجوا به حتى واما قرطبة ، ووافق ذلك كون للتمد بها ، فدخلها ابن عمار أشنع دخول وأسوأه على أهلها بين عدلى بين وثبوه ظاهرة فتناس ، وقد كان للتمد أسرا يخرج الناس خالصتهم وطاعتهم حتى مضطروا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اعتزت له وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤسائهم ، فاستعيد منهم من يصل إلى قبيل يده أو يرد عليه ابن عمار السلام وغيرهم ، لا يصل إلى قبيل وكابه أو طرف ثوبه ، ومنهم من ينظر إليه على سد لا يستطيع الوصول إليه ، صباح يحيل الأحوال ، ومديح الدول ، فدخل ابن عمار قرطبة كما ذكرنا بعد المزة القساء ، وللك الشامخ ، والرياسة الفارعة ، دليلا ، حائما فقيرا ، لا يملك إلا ثوبه الذي عليه ، فسبحان من سلبه ما هو به ، وصمه ما كان به أمته ، وأخبر بهنس المؤمنين به ما اتفق لهم منه من فرط ذكائه وسرعة فطنته قال : « لما قربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارس من البلد يركض يهصدنا ، فلما رآه ابن عمار وكان ممثا أزال العمامة عن رأسه ، فلباه الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر إلى ابن عمار ودخل ممثا في الصف ففى ، فسألناه فبم جاء فقال « الذى حثت به صمه هذا الرجل قبل أن أصل إليه » فقلنا أنه أرسل لينزل حماته ، فأدخل على للتمد على الله على الحالة التي ذكرت يرسف في قيوده ، فجلس للتمد يسعد عليه أبياده ونسه ، وابن عمار في ذلك كله ، طرقت الرأس لا يمس إلى أن اهضى كلام للتمد ، فكلان من جواب ابن عمار أن قال : « ما أنكر شيئا مما يذكره مولانا - إيقاه الله - ولو أنكرته لفهدت على » به الجذبات فضلا من يطفى ، ولكن عثرت فأقل ، وزلت فاصبح « فقال للتمد : « هيأت لهما عثرة لا هلال » وأمر به فاحضر في النهر إلى إيجيلية فدخل به إيجيلية على الحال التي دخل عليها قرطبة وجبل ، في غرة من باب قصر التمد المعروف بالقصر المبارك ثم وبقى إلى وقتنا

ولا بد ما بيني وبينك من ظا يطبقها ما بين هرق إلى غرب

هذا طلال سجنه هناك . كبت عنه في هذا السجى فصادق لو توسل به إلى الله لزع من جوره ، أو إلى الله لكف من دوره ، مكات دق لم تسح ، ودعوات لم تسح ، وتعام لم تسح ، فنها قوله :

«سجياك إلى عاقبت - أندي وأسح ، وهذرك إلى عاقبت - أحلى وأوصح
وإن كان - بين المخطئين - سرية ، فأنت - إلى الأدنى من الله - تسح
حنانيك إلى أخدي برأيك ، لا قطع ، عداى ولو أثرت عليك وأقصوا
فان رحا أن ضدك غير ما يخوض عندي اليوم به ويخرج
ولم لا وقد أسلفت ودا وحمة ، يحسبون في ليل الخطايا يصح
ومى قد أغشت أعمال مفسد ، أما تفقد الأعمال تحت تصح
ألقى بما بيني وبينك من رضى له - نحو روح الله - باب مفتح
وعب على آثار جرم سلكها ، بهمة رضى منك تمحو وتصح
ولا تكتف قول الوشاة ورأيهم ، فكل إناه ملى به يرشح
سيأتك في أمسى حديث وقد آتى ، يرورى عبد العزيز موشح
وما ذاك إلا ما علت مامى ، إذا ثبت لا أهلك آسو وأمرح
كأنى بهم - لا در - لله درهم - أشاروا نحاس بالبيت وصرخوا
وطاوا : « سيجزه ملان بعله » ، غلت : « وقد يغفلان ويصح
ألا إلى نطقاً للؤيد يرتعى ، ولكن حلما للؤيد يرجح
وماذا حس الواشون أن يزيدوا ، سوى أن ذمى واضح متصح
صم لى دب غير أن لخله ، صماء يزل الذب عنها فيسبح
عليه سلام كيف دار به الهوى ، إلى عبتوا أو على فيزح
ويجنه إلى مت السلو فإنى ، أموت ول شوق إليه مبرح
وبين صلوى من هواه تمية ، سقم لو أن الحلم يخلج . »

ولما بلغت المتمد هذه القصيدة وأنشئت بين يديه كان بحضرته رجل من البمداديين ، لجل يزرى على البيت وبين صلوى ويقول ما أراد هذا للمنى ، فكان من جواب المتمد رحمه الله أن قال : أما لك سلبه الله المروءة والوفاء ، لما أهدمه اللطفة والكاه أما نظر إلى بيت المتمد من طرف حق وهو -

« وإذا التنية أنشئت أظفارها الفيت كل تمية لا تسح . »

ولم يزل ابن حمار هذا بسجن المتمد إلى أن قله صبرا في شهر سنة ٤٧٩ ، وتخلص خبر قله أنه لما طال سجنه كتب إليه بالقصيدة التي تقدم إنشادها ، فأدركت المتمد بعض الرقة ، فوجه إليه ليلاهوى بعض مجالس أنه فأتى به يرسف في قيوده ، لجل المتمد يمسد منته عليه ، وأجابه قله ، لم يكن لابن حمار جواب ولا هذر غير أنه أخذ في البكاء ، وجعل يفرق للمتمد ، ويمسح عطفيه ، ويستجلب من الألفاظ كل ما يقدر أنه يزرع له الرقة في قلب المتمد ثم له بس ما أراد من ذلك ، وصطلت المتمد سابقته وقدم حرمته ، عهسه ، مكتب ابن حمار من فوره بما دار له للمتمد إلى به الراضى بالله ، فوافاه الكتاب - وبغفرته قوم كانت بينهم وبين ابن حمار من قديم - لما قرأ الراضى الكتاب قال لهم : « ما أرى ابن حمار إلا سيحطس » فقالوا له « ومن أين علم مولانا ذلك » فقال : « هذا كتاب ابن حمار يخبرنى فيه أن مولانا للمتمد قد

ولاشك أن الطومك سجة فلم يبق إلا أن تخلف من حتى .
(الجواب للمتمد على الله)

« قدم إلى ما عتدت عندي من الرب وود تلك التي حبا من الحب
مق تقى تلقى قد بلوته صفوحا من الحاق رءوفا على الصب
سأوليك منى ما عتدت من الرضى وأمرض مما كان إن كان من ذنب
لها أشعر الرحمن تلى قسوة ولا صار لسيال الأذمة من شهي
تسكفه أسي به لك مسودة فليس يمانى العسر مطرك لللب . »

(وللمتمد على الله إلى ذى الوزارين أبى بكر)

« قد زارنا الذرجس الكرى وقد عطشنا وم رى
وغمر في مجلس نقى وإن من يومنا المشى
ولى حبيب غدا سبي ياليت ساعد السبي . »

(وللمتمد إلى الوزير أبى عمر بن عطش)

« عديت أبا عمر من مق بمنبر غيبسه محمد
وداد صحيح ، وخلق دليج وطق صحيح ، لدى المتمد
أتى الببهة تدى بدنها وأبدع ماى الرياض التدى
أزاهر : لم تتشقى بالأنو ف لظما ، ولا خيت باليد
خجلت لشكوكى في طبا فاكنت أسع للمتمد
وقد عبرت لك تلك الرزى ليضع طاو وبرى صدى
فهون عليك من اللاتات إذا كان صرى بالمرصد
وكن عبرى أسي سائل سؤال مدلة على مسعد
جاءتك صرراء عند الننا م نرى من الأفق الأهد
لجيتك بالمس الرجى ولا شك بالملس السجدي
وعلتك بالرقى لو أنه أبيع لى الزهد لم يزهد . »

وصده بالملاس « ما ظهر القوم الفرح وم يطنون عبره ، طما قاموا من مجلس الرضى نهرنا حديث
ابن عمار أقبح بشر ، وزادوا به زيادات قبيحة صنت هذا الكتاب عن ذكرها فبلغ المتمد ذلك فأرسل
إلى ابن عمار ، وقال له : « هل أخبرت أحدا بما كان بيني وبينك البارحة » فأكثر ابن عمار كل
الأنكار ، فقال للمتمد لرسول « قل له الورقان اللتان استديعتهما كنت في إحداهما القصيدة ، فما ضلت
بالأخرى ؟ » فادعى أنه ليس بها القصيدة فقال للمتمد « ألم السوداء » فلم يجز جوابا ، فخرج للمتمد حقا
ويده الطبرزين حتى صعد العرقة انق فيها ابن عمار ، طما رآه علم أنه قائم ، فجلس ابن عمار يرحب ويودعه
تقله حتى أنكب على قدمي للمتمد يقبلها والمتمد لا يلبى شيئا ملاء بالطبرزين القى في يده ولم يزل يضربه
به حتى برد ، ورجع للمتمد فأمر بنفسه وتكفينه وصلى عليه ودفنه بالصغير المبارك ، لهذا ما انتهى إليا من
غير ابن عمار ملخصا حسب ما بقى على خاطرى : « للمعب في تلخيص أخبار المغرب ،

(وله رحمه الله)

« كتابي وعندي من فرائدك ما عسى
وما خطت الأقدام إلا وأدسى
ولولا طلاب المجد زرتك طيبه
عينا كما زار الديو ورق الورود
قبلت ما تحت الظلم من اللبا
وعاقت ما فوق الوشاح إلى القدر
أفأثبته حي وحاضرة مي
لئن غبت عن صبي فأبك وكبدى
أثبتي على الهدى كان بينا
فأرى على ما فعلين من المهد . »

(وهو وزير الكائن أبي الوليد بن الملم)

« أيك الله إنه يوم
نحسب فيه الصلاة والصوم
وتحضر الزاح غير واية
لا تار في حرما ولا لوم
فامسك إليه فاته أمل
يلفنه في نديك القوم
لازلت مستيقظ السردلا
وعك في أمه الزدى نوم . »

(فأجابه أيده الله)

« حث بغفارة الجراح وقد
أمكن ورد ملا يطل حوم
وسمت في الطيب والسرور من
لم يزر يوما بطيبه سوم
وحامو المجلس للمد لكم
فادخل إليه وليدخل القوم
إلى كؤس لو شاء شاربها
يوم فيها لا يمكن النوم . »

(فاجابوه رحمه الله)

« ليك ليك من ماد
له الديو الزحب والندي
ها أنا بالباب جد في
قبلته وجهك السي
هرمه والفاء باسم
هرمه أت والنهي . »

(وقال)

« سلى قلبي إن كنت غير حلية
بأن ليس في حي ليرك مطية
وأن لي القلب الذي ليس حاليا
من الوجد والجلن الذي ليس بهج
بذكريك الصن يحز عد ما
يهب نسيم ، والرائة تطلم
فوانقه لا أهلك أذكر موسى
فديك ولا أهلك تحرك أنزع . »

(وقال)

« ألكم إلى الملب الشجي ماد
متلك معه للآسى أصفاد
رجل اصطباري إذ رحم قاتلا
أوب الأجابة بينا اليماد
يا من تمكت دنوم ووصالم
نبدأ على من الشحوب حداد
كم بت منكم بين غصق فانة
كاليف تمنط مشه الأعماد . »

(وقال في مشققة اسمها « اعتياد » يؤخذ حروف اسمها من أوائل هذه الأبيات .

« أفتأبى الشخص من ناظري وحاضرة في صميم البؤاد
عليك السلام بقدر التجبول ودمع الشئون وقدر الجهاد
تملكت من صعب الرام وصادقت ودي سهل القباد
مرادى ثيابك في كل حين فبالت أنى أعطى مرادى
أقيس على العهد ما يتنا ولا تستحيل لطول العباد
دستاسمك المخلو في طي شعري وألعت فيه حروف اعتياد . »

(وقال)

« ظلي مواله لمعديه وعاشق من لا يباله
خلى الظلوم كما زدت مودة زاد تحنيه
يا غمر الله له دبه في ظلم صب عالم فيه
يا حسن الوجه بحق الهوى لا ترض قبح المحرم والنيه . »

(وقال)

إني رأيتك في المنام صبيحتي وكأن ساعدك الوثير وسادى
وكانا ماعنى وشحكوت ما أشكوه من وحدى وطول سهادى
وكانى قبلت ثمرك والظلى والوجنين ولت منك مرادى
وهواك لولا أن طبعك زائر في السبلى ما دلت ظم رقاد . »

(وقال يستعدي الوزير للمصرى الحكيم)

« أياها صاحب الذى فارقت عبي ونبسى منه السنا والساء
نحن في المجلس الذى يهب الزا حة وللسمع الذى والثناء
تضامنى الذى صميك فى القد ذة والرقعة الهوى والهواء
ماه تلف واحدة ومجا قد أهداك الحيا والحياه . »

(وله)

« لما تأت ناى الكرى من ناظري وصرجه لما اصرفت عليه
طلب البشير بشارة يجرى بها فوجبت ظلي واحضرت إليه . »

(وله)

« الجود أحلى على ظلي من الطفر ومن مثال قصى السؤل والوطر
وفن غناء أروى في الصروح لنا يا طلة الشمس في الأصائل والبكر
وقد حلت إلى ما اعتدت من كرم حين أرض إلى مستأخر للطر
وقد تناهت ينى عن كاسها غضبا وبعث الأذن أيضاً نعمة الوتر
حتى أمك مسننى ما تجوده به . وأوسع الممد بالأخرى على الأثر
طهتها غلا أرضى ألسناح بها عفرقة أكف العرب باليد . »

(وله)

« من لفلوك بتأو الأصيد الطل هيات جاء تمكم مهدية الدول
خطبت قرطبة المستاء إذ منعت من جاء يخطبها باليس والأسل
وكم غدت حاطلا حتى حرمت لها فأصبحت في سرى الخلق والحلال
عرس اللوك لنا في نصرها عرس كل اللوك به في مأثم الوحل
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم محوم ليت جرح الس منتدل . »

(وله إلى المتصد بالله)

« مولاي يا ذا الأيادي كوا كفات النوادي
أبا هيد مدّ لحم داء الأعادي
واعتادت النفس مني تصيد الآساد
لأن عليها مقبم رائج أو لباد
أكر بالصرب فيها والطن عند الحلال
حتى أبحت حاما بمخفات حداد
إن لم تكن أسد عيل تحكي حادر واد
بحق لحم وطى وكعندة ومراد
ملكك من أرضي عرس إلى قري سنداد . »

(وله رحمه الله)

« تظن بنا أم الريح سامة الأعر الرحمن ذماً توالمعه
أأسلم طيا في ماضي كسائه وعبر تمام في مؤادي مطاله
وردوة حس أختي من ثمارها وبارد ظلم لم تحسدر هرائمه
إنأ نسنت كنى نوالا نصيه على مفتيها أو عدوا تماره . »

(وله)

« أمطلع دهر نحوم الكلام ومفرقه من خلان الحلق
أناا لريصك والمم حتى لدينا دأسي به قد حك
هناك موارد ود صفت يملك فيها الذي أنهلك . »

(وله)

« دوا بهنت مفعلا بحمان أو روضة مسكية الرجال
لال عروساً قد زعت تولدت ما بين سكرنا قد وبنان
سما لأمرك إذ دعوت إلى التي تدع القلوب ظلة الأحران
أما الكؤوس قد جرت ما بيننا يندى غزال ساهر الأجلان
حت ينصين للدام بطرته ويحكله ومي أشا غنائ
فلا لسرك لم أكن لأنيبه لأصحبنا من بني سهوان . »

(وله)

« إن كان نصريما لثبرتمد فلا جملن مكانه وودا
من قهوة ضمنت أكوسها نارا تكون على الخلد بردا . »

(وله)

« اهرب الكأس ووداد وودادك وتأنس بدكرها في اغرادك
فر غلب من حقوقك مرآ . وسكناء في سواد فؤادك . »

(وله)

« حسنت كتابي على فوزه بإيساره الفرة الزاهرة
بالبت شهي يكون الكتاب تلتله للثة الساهرة . »

(وله في اعتياد أهما)

« بكرت علوم وى الفؤاد بلابل سفها وهل يلى الخليم الجاهل
يا حسنه كسى طائى عاشق من لا يرد هواى منها غافل
حب «اعتياد» والجوايح ساكن لا القلب خاق به ولا هو راحل
يا طيبة ملت فؤاد محمد أو لم يروك المهرير السائل
من شك أنى هائم بك مغرم ممثل هواك له على دلائل
لون كته صبرة ومدامع مقلت سحائبها وحسم نازل . »

(وله في اعتياد أهما)

« أدار النوى كم دار بك تلهدى وكم حقى من دار أهب أعيدي
حلفت به لو قد تعرض دونه كفة الأهادى والنسج المررد
لبردت فصر ب للهند فافضى سرادى وعزما مثل حد للهند
فاحل خل من مؤاد حليه عمل «اعتياد» من مؤاد محمد
ولكنها الأنداد تردى بلا طبا ونسبى بلا قتل وترى بلايد . »

(وله)

« مشمك أنوح في مطسى ووجهك أملح في ناظرى
ظفرت بقربك صد امتاع فى ذاك سميت بالظافر . »

(وله)

« بأها التمس اتى فلى لها أحد البروج
لولاك لم أك مؤثرا مرش المهرير على السروج . »

(وله)

« أراح لطيل طينها والكبرى الحفا مض به تفاعلة واحى وودا
والتمنى ثمرأ شععت لنسبه طليل لى أنى شمنت به
ولو قدرت زلزلت على حل يقظه ولكن حجاب الهن ما يبتنا معا . »

أما وجدت هنا الشوق مرجاً ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله رطب القطر أم هبته كما قد سقت قلبي على حرمه بردا
على الطلج جيباً ، والمرأة سة وروض الزمان فوجاء وغصن القاقدا .

(وله)

« من عاشق يتكوساته إلى عجب هائم منه
كلها ص إلى الله حرا طآن إلى وصله
يأرب على جمع هذا بدا وقرب الشكل إلى شكه . »

(وله)

« قلبي لبدك هي عائل فتشوق صبيح وجسى طليل
وودي على حب ما تليق تزول الجبال وما لا يزول
فلا أستجلى لسد النيار فأنى مع الحد لا أستجلى . »

(وله)

« القلب قد لح ما يحصر والوجد قد جل ما يستر
والدمع جار قطره والدمع بال شمس أمه
هذا ومن أحسنه أصل كيب به
لكن عدتي نائبات النوى - ودوحه -
والكوكب الوفا تحت الدنى في أهله و
والرحس الفواح عبالدى في روضه
قد حبرت هي أنى امرؤ في شحور
فأبنت الإشفاق من حالي ومثل ما ت
واستفهمت أن كنت داعة أو ذا اشتيا
سبدق : لم تنسى عاشقا أفضى كما أ

إد قلت : هل من ألم طائب ما بك أو شوق فاصبر
طلت بالشك هواى الهى يعرفه اليب والمصر
والله ما سقى إلا هوى كل هوى في حبه يسفر
غير جسمى فأعلمى أمى أروم ثيابك ولا أقدر
فاستبرى الله من الظلم لى فإن من يحلم يتنفر . »

(وقال)

« يا طيبة لطفت من نازها فالقلمين والأحداق والكبد (١)

حي لك الناس طراً يشهدون به وأنت شاهدة إن ينهم حسد

لم يهرب الوصل فيما ستنا أبداً لو كنت واحدة مثل الذى أجده . »

(وقال)

« هل راكب فاهب عنهم يحسن إذ لا كتاب يوافي فيحسني (١)
قد مت إلا فناء في يسره أن القواد بالقيام يرجي
ما سرح النعم من عين وأطلقه إلا اعتياد أسى في القلب مسحون
صبراً لئلا تلى بالجد أسرى بالقرب يوما يداوين فيشلى
كيف اصطاري وفي كاتون فارقي ظلي وما نحى في أقطاب تفرق
شخص يذكرني فاه وفرته شمس النهار وأفاس الريلحين
لقد سطنت إلى ذاك الرضاب لكم قد مات من يميني فيروني
وإن أفاض دموعي نوح باكبة حكم أراه يتبين فيشجني
وإن بدت وأضتني المصوم لقد هدته وهو يدني فيشلي
أرحل فقد عزائي بأيه ملكم حلت من خصره عقد الثمانين
يا حسن إفران ساعات التوحيث كواكباً في ليالي بسده الجوث
والله ما فارقتني باختيارهم وإنما الدهر بالكروه يرمي
وما تبدلت حبا غير جههم إذ تبدلت دين الكفر من ديني
أمدى الحبيب ألقى لو كان مقتدراً لكان النفس والأهلين يدينني
يارب قرب - على خير - ثلاثيا بالطالع السعد والطير اليماني . »

(وقال)

« ولما التقينا لوداع شديدة وقضيت في ساحة الفجر وإيات (٢)
وقرنت الجرد التناق وصلقت طبول ولاحت إفران علامات
بكينا دما حق كائن صيوتا لحري النجوم المرديها راحات
وكننا نرعى الأرب سد ثلاثة فكيف وقد كانت عليها زيادات »

(وقال)

« أهلاً بكم صبتكم - نحوى - الدم وحان أن يسقى لي بكم حلم
حشو للماي ولو ليلاً بجملة فلن تضلوا ومن يصرى لكم حلم
لأتم القوم إن خطوا يمد ظم وأن يقولوا يصبضل الخطاب ظم
لاخرق - إن عوقوا كتباً - ولا حصر إذ يتدون ولا جور إذا حكموا
اندم أبا الأصح المصوب فلق من مش الودة لا يزرى به سام
هنا فؤادي قد طار السرور به إذ كنت تملك الوحدة الرسم
سأكم الليل ما أشكوه من بعد وأسأله الصبح عكم حين يتهم . »

(١) وردت هذه القصيدة في « ش ٦١ » وقد كتبت خطأ لابن زريقون .
(٢) وردت هذه القصيدة في « س ١٠٩ » وقد كتبت خطأ لابن زريقون .

(وقال)

« الشمس تغيب من جلالك نصير سرعة ذلك
واليث يحي أن يصب لما يراه من نواك
والبدر يطلع ناصراً حق يدم من كلاك . »

(وقال)

« وشادن أسأله فهو يجاد بالهوية والورد (١)
ببت أسقى الراح من ريقه وأجنى الورد من الحد . »

(وله)

« يا عللاً إذا بدا لي نجات من فؤادي دجة الكربان
وغرالا للعتية بطني حركات حكاها فتكافى
تبت إذ حزت بلوصال ولفح حياتي تمككا وسماني
مترق بموقف أنت منه في سواد القلوب والمحدثات
أنا أخشى عليك ياساكن القلب للعلل بالصد من طرات »

(وله)

« أنا في عذاب من مراثك سكران من حر اشتياك
صب الفؤاد إلى أفا لك وارثاك واحضاك
لا تحيي أن سلوت لما تولى من مراثك
مدي حطوت أفت لا تشق ما لم تلاك
فصلى جميل الطن في وثقي ظلي وذاك . »

(وقال)

« وشمة تنى ظلام الدنى في لعدم من الناس
قد جبل الرحمن من لطفه حياتها في القطع فراس
ساعتها والكأس يسي بها من ريقه أشهى من الكأس
ضياؤها لاشك من وجهه وحرها من حر أحاسي »

(وله)

« يا بديع الحسن والإخسالك يا بدر الدياس
يا غرالا صاد مدي بالطلل لبت الهياج
قد ضيا بنتا وجهك عن ضوء السراج »

(وله)

« ثم له الحسن بالبنار واقترن الليل بالنهار
أخبرني أبيض جدي بك آسي وفا يباري

قد حوى مجلسي تملأ إن يك من ربه ظاري .
(وله)

« لله در أبي السات من فارس هم الجنان
تخشا آسار الرجا ل كما تريم به التيات
فيأسه يقدى العدا ومحنه يسي الحسن . »
(وله)

« يقاتل بالخط محبوبنا وبالسيف والرمح أنقى قتال
نطورا يصيد ظباء النساء وطورا يصيد أسود الرجال . »
(وله)

« إذا ما انقضت الرغى دارما وقت وجهك بالمفسر
حسنا ياك شمس الضحى عليها سحاب من المنبر . »
(وله)

« يا قرا على له مطلع وشادنا في مهدي يرفع
والله ما أطع في البش مذ أصبحت يوسدك لأطع
ليت كما يرفع في مهدي آني في رفته أكرم . »
(وله)

« وأئن يلب بالمهوم كاهنت أرماع تجوى بالعداء نواجا
ذي لفة يسي القول بها رشاً من عند رضوان أماناها ربا . »
(وله)

« مجي حكى ما نوه السما ففصر منه طوال الزمان
وصاغوا مثل الثريا عليه كواكب تخفى لنا بالنجاح
وتزدلت أطوائه بالنجوم كما ليس الأمن توب الصباح . »
(وله)

« أيا عس لا نجرمي واصبري فإن الهوى ما به مصف
حبيب جفاك وقت عصا ك ولاح لحاك ولا ملطف
شجون منين الجفون الكرى وهو سنها أدما نرف . »
(وله)

« أصررت طرفك عند منتهى الفتا فبسدنا لطرفي أنه
أو ليس وجهك فوقه قسرا يحل بغير نوره الحلك . »
(وله)

« فتبكت مقلنا بالقلب من وبكت مقلنا شوقاً إليه

طی لحظه تا سیف جا دو دمی له سحاب بید .

(وله)

« یا قرا افعه نژادی مقلد لم تشب بایک
ومن خدا سترق حر الکلام قد حظه بیک
نثرت در القریض نثرا بقوم دمی له سکه
فلک لله در نفع ینخرج دوا من بحرک
وجادت الطیر مودعات سرک یاسرکل مک
یتان دلا علی وداد حصه لی بیک . »

(وله)

« پشت دارسل انساناً من علی خلفک الجیل
نروا خیراً فیه یأی نصفک و السنر والقبول
لو أنه مهتی لکانت نصر فی قدرک الخلیل . »

(وله)

« نرضاً یا ابا یحیی ومن طفرت کس به مدائی صله الطاهر
إن حل ما بیننا ویمانا التاضر ناظر التلب حنا نعوک ناظر
أحی مکاک من قلی وأمنه کما حی الماحب الإسلام بالتر . »

(وله)

« أحتفی وهدی وعظماً أهذا
بعد بأن تهری واعر علی عادتک . »

(وله)

« وردت أنا الفصح یاسیدی ورود الکری بد طول السهاد
ولما احتلت نأ لم تحمل من الیمن والتلف غیر السواد
ودوک منا طبوراً فنت طیر إلیک بریش الوداد . »

(وله)

« أبا الولید تحاوز وه لنا التنبیما
واقبل جواباً علی ظلمک الصبح مرهناً
زفقت غری مرهناً تمجب روضاً أرضنا
حلوتها لی سواد تحملو اللاتی یضا
وه مرهناً نرواً لا حظک الفروضا
وسوف أرفع جیدی من قدرک الخفوضاً . »

(وله إلى أبيه رحمه الله)

« يا متبع الإكرام لعلما ومتبع الإلغام إعلما
وعادلا في الناس لكتبه أصبح للأموال ظلما
فرت في كلك بحر الندى بهارم أسكنته الهاما
وجمت فيك خصال الورى وحزت آراء واقدا
فالوت والميش بينك قد صرمن أسيافا وأقلما
أهلت بالإلغام ظهري، لقد أظمت من شكرك إعلما
سكنت إضلالي كي ترى تزيد في همك أعواما
فاسلم لاهراق دماء المداد ما طرد الإصباح لإطلاما . »

(وله إليه يطلب مجنا)

« أيا ماجدا لم يرم شامخاً من المجد فاحل غير الفتن
سألك صفراء بكراً جلد على بها شامخاً للفتن
تزد السنين إذا أمها شيا حده من قوم السن
وإن كنت من مشر في الوشي أقاموا القلوب مقام الجن . »

(وله إليه يطلب عوادا)

« ألا يا غرة السند وقرّة نظر الأسد
ومولاي الذي ما زل يسحب حلة الحمد
لعبك همه حامت بركني الصر الجرد
ويرغب ضارعا منها إلى طليك في الورد
وإن تخبه من عبد تمنّ به على عد . »

(بحث إليه ممرحا فكتب إليه)

« خلعت ثوب الصبي على العيد الوفي
يا مسترقا بنما . كل حر سري
أنى على الورد سرج كالحدي فوق الهدى
صوف أورد رعي عليه قلب الكسي . »

(وله إليه)

« يا أبا لك الذي كفاه مجلت السحاب
أفمت بالبش الكما ب على الخيل العرب
وغدوت تخشى لهما ب كما ترعى فتواب
برضاك أصر ذاتي ال آملك مى ذا اقتراب
وبليب أليس لديك هرفت أيلم الشلاب
يفكرت منه أو لبنيته من أهديك الهذاب
بعبا سناني في الطفا ل وهدسي في الضراب

وشب الساق في الها قل بالنثر لا يشاب
لازلت تشعل النحر موخذتلك في القراب
(وله إليه)

« يا أبها الملك الذي لم يزل يسرى إلى غرته السارى
وجلسا في كفه بالندى والبأس بين الماء والنار
اهنا قد ملك الذي تشعنى منك واشكر نعم البارى .
(وله إليه يطلب الإذن بالصيد)

« امعن من صد رحاك ساعة يرتاح فيها بالصياد أرايب
حتى يصيد صدك الأطلال في يوم الرغى بأسة وقواضب .
(وله إليه)

« وساعة الرمان مسقة قصت فيها أرابا وءل
ملا أراى الإله ملك رضى إن لم أصد من عدك كل بءل .
(وله إليه)

« أروء البدر يشرق والظلام وسدتر الله مد على الأنام
وليت العاب إقداما وبأسا ورب التصل والعم الجسام
صيدك مولع بالصيد قنما وحب الصيد من شيع الكرام
فاذك به واسلم للأعداى بدير عليهم كأس الحمام .
(وله إليه)

« أيا ملكا همى صله ولم ألف في بحر صماء زحرا
عهدت النمار للجر ومدت وثاقى بخار أباديك حررا
دعونا الأمان لما رضيت بلادت توالى عليها وتجرى
علم يبق لى أمل أرتجيه سرى أن أقوم معاك شكرا
غيت ولا ملك إلا غدا غدا ملك كفك قهراً وفرا

(وقال)

أمتصدا بالله دعوة أمل رجلك على صد ما أصبح ذاقرب
فأقم مأموولا وأم مبهما وحملت أمانيه على مورد عذب
موارد ما حلال هنن حائما ولا عادرته غير مستنبت العرب
وما أنا ظمان لتهل وردكم وحسى موقوف على وردكم حسى
أربابى أملت منذ كنت آملا وتحتل من علباء فى المنزل الرحب
بلكت أغذ السر حتى كاس لا فرط اغذاذى على ظهر أنجب
فأليت أعلى الناس قهرا وسؤدا وعدلا فذنه النفس صدقا بلا كذب
يحن لى راجيه كالواقى الصب ويهز المعروف كالصارم الضرب
ولى لما تولى وأوليت شاكر فن شكر النساء نال رضى الرب .

وقال (١)

« لما تجاسكت النعوم وفتحت القلب الصديق
قالوا المصروع سياسة فليد منك لم خضوع
والله من ظم المفضوع ع على في الم التقيع
إن تطلب من الدنيا ملكي وتلقى الجوع

(١) جاء في كتاب المراكشي قبل هذه الآيات الرائعة مايلي :

قال يوسف بن تاشفين لمصر قومه من وجوه أصحابه : « كنت أظن أني ملكت شيئاً ، ولما رأيت تلك البلاد صمرت في عين مملكتي ، وكيف الحيلة في تحصيلها ؟ » فالتحق رأيها ورأى أصحابه على أن يرأسوا للعهد يستأذنونهم رجال من صلحاء أصحابهم وغبوا في الزباط بالأندلس ، ومجاهدة العدو والكول بعض الحصون المصابة لاروم إلى أن يموتوا فقتلوا ، وكتبوا إلى المعتمد بذلك ، فأذن لهم بعد أن وافق على ذلك ابن الألفس للتوكل صاحب الثغور ، ولما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قوم من شيعتهم مبنون بالجزيرة في بلادها ، فأذا كان أمر من قيام يدهونهم أو إظهار لمسلكتهم وجدوا في كل بلد أحوالاً ، وقد كانت قلوب أهل الأندلس كما ذكرنا قد أضررت حب يوسف وأصحابه ، فجزر يوسف من خيار أصحابه رجالا انتخبهم ، وأمر عليهم وحلام من قراحه يسمى « بلحين » وأمر إليه ما أراد ، فجاز بحسين المذكور وقصد المعتمد من ملوك الحريرة ، فقال : « أين تأمرني يالكول ؟ » فوجه معه المعتمد من أصحابه من ينزله بعض الحصون التي اختارها لهم فنزل حيث أنزلوه هو وأصحابه ، وأقاموا هناك إلى أن ثارت الفتنة على المعتمد ، وكان مدقها في شوال من سنة ٤٨٣ بأخذ جزيرة طريف التابعة للمعتمد من المدونة دون مقدمة طاهرة توجب ذلك ، ففتشت جوهه وأحوالها ملتفة ، واختارت بلادهم وقلوب أهلها على عتبته منتظبة ، ولما أخذ المراكشيون حريرة طريف نادوا فيها بدعوة أمير المؤمنين انتصر ذلك في الأندلس ، وزحف القوم الذين قدمنا ذكرهم السكاكوت والحصون إلى قرطبة لحاصروها وفيها عباد بن المعتمد اللقب بالأمون ، وقد تقدم ذكره ، وهو من أكبر ولده ، فدخلوا البلد وقتل عباد هذا بعد أن أبلى عناءاً ، وأظهر في الدفاع عن نفسه حله وصبراً ، وذلك في مستهل صفر الكائن في سنة ٤٨٤ فرادت الإحنة والخنة ، واستمرت في طوائف الفتنة . واجتمعت على الثورة بمصر اشيلية طائفة ، فأعلم المعتمد بما اعتقدته الطائفة المذكورة وكشف له عن مرادها ، وأثبت هذه سوء اعتقادها ، وأغرى جنزقي أديبها ، وسلك معها ، وحض على هتك حرمتها ، وكشف حرمتها ، فأبى له ذلك مجده الأصيل ، ورأيه الأصيل ، ومنعته الجليل ، وما حياه الله من حسن اليقين ، وصحة العقل والدين ، إلى أن أمكنهم الفترة يوم الثلاثاء متصرف رجب من السنة المذكورة طاموا بمهيش غير مستنصر ، واستنصروا بنائاً غير مستنصر ، فبرز هو من قصره ، سيفه يديه ، وغلاته ترف على جسده لادركة له ولا دوع عليه ، فلقى على باب من أبواب المدينة يسمى باب المرج فارساً من الفارسيين مدهور البجدة شاكى السلاح ، فرماه الفارس برمح قصير أنابيب القنات ، وطويل شفرة السنان ، فالتوى المرح بملاتيه وخرج تحت إبطه ، وعصمه الله منه ودفعه بنفسه عنه ، وصوب هو سيفه على طاق الفارس مشقة إلى أملاكه ، غرّ صرماً ، وانتهزت تلك الجوع ، ونزل للمسلمون الأسوار منها ، وظن أهل اشيلية أن الخناق قد تنفس ، فلما كان عصر ذلك اليوم ، طردهم القوم ، فظفر بقلب إليه من واديه

فألقب به ضلوعه لم تلم القلب الصلوع
لم أستطع حرف الطبا ع أسلب الدفء الرفيع ؟
قد رمت يوم نزلهم إلا تحصنى الدروع
وبرزت ليس سوى القبيح من الحشى شيء دفعوع
وبدلت نصي كى قبيح بل إذا قيل بها الصحيح
أجلى تأخر لم يمكن بهوى ذلى والخفوع
ما سرت قط إلى الفتاة لى وكان من أملى الزفوع
شبح الألى أما منهم والأصل تلجئة الفروع .»

ويش من سكى ناديه ، وبلغ فيه الأمل حاسده وشانيه ، وخبث البرى شوانيه ، فاطع صمدا العبل
والقول ، وذهبت القوة من أيدى أهلها والحوول ، وكان الذى ظهر عليها من جهة البر رجل من أصحاب
يوسف أمير السنين والتوت الخال أياما يسيره إلى أن ورد الأمير سير ابن أبى بكر بن تاشفين وهو ابن أمى
أمير للسنين بساكره مظاهرة ، وحشود من الرعية وامرة ، والناس فى حلال هذه الأيام قد حاسرهم
الجرع ، وحالط قلوبهم الملع ، يقطعون السبل سياحة ، ويمبرون النهر ساحة ، ويهولون مجارى الأنهار ،
ويترامون من درفات الأسوار : حرصاً على الحياة والوعود بالعهده ، القبيون على صريح الود ، فاقبوا إلى
أن كان يوم الأحد لإحدى وعشرين خلت من رجب من السنة المذكورة ، وهذا يوم الكاتبة العظمى والطامة
الكبرى فيه حم الأسر الواقع ، واتسع الحرق على المراتع ، ودخل البلد من واديه ، وأصاب حاضره واديه ،
بعد أن جد الفريقان فى القتال ، واختبت القتلتان فى الزبال ، وطهر من دماغ للمعتد - رحمه الله - وبأسه ،
وتراميه على الموت بنفسه ، مالا يزيد عليه ، ولا تاء خلق إليه ، وفى ذلك بقوله للمعتد بعد ما نزل بالعدوة
أسيراً حياً :

« لما تماسكت الصلوع ونهت القلب الصديق » . . . الخ

فشنت المارة فى البلد ولم يترك البربر لأحد من أهلها سبدا ولا ليداً ، وانتهت قصور للمعتد نبياً قبيحاً ،
وأخذ هو قبيحاً ناليد ، وأجبر على محاطة ابنه للمعتد بالله والراضى بالله ، وكانا يعقيلين من مفاصل الأندلس
للمعبودة لو شاء أن يمتنما بهما لم يمسلم أحد إليهما . أحد الحسين يسمى رنة ، والآخر مارة ، فكتب
رحم الله ، وكتب السيدة الكبرى أمهما مستطعين مسترحين معلنين أن دم السك منهن مسترهن بقبولتهما
فأثما من الفل وأيا وضع يديهما فى يد أحد من الناس بعد أيها ، ثم عطفتها عواطف الرحمة ، ونظروا فى
حقوق أبويهما للفرقة بحق الله عز وجل ، فتسك كل منهما بدينه ، وببد دنياه ، وتزلا من الحسين بعد
عهد مبرمة ومواثيق عككة . فأما للمعتد بالله فإن القائد الواصل إليه قبض عند نزوله على كل ما كان يملكه
وأما الراضى بالله فعند خروجه من قصره قتل غيلة وأخفى جسده ، ووحل للمعتد وآله بعد استكمال جميع
أحواله ، ولم يصحب من ذلك كله غيلة زاد ، فركب بالسنين ، وحل بالعدوة على الدنهي ، فكان نزوله
من العدوة بنتيجة . .

(وقال)

« قل لمن قد جمع الطلح وهو ما أحصى سوايه (١) »

(١) قال للراكني في كتاب اللجب :

« أظم للمتند بطبعة أياماً ، ولفيه بها المصري القاصر ، لجري منه على سوء طاقته من فيج الكندية وإفراط الاخلاف، ورفع إليه أشجاراً قديمة كان قد مدحه بها ، وأضاف إلى ذلك قصيدة استجدها صد وصوله إليه ولم يكن عند المتند في ذلك اليوم مما زود به فيما يلي أكثر من ستة وثلاثين مثقالاً طبع عليها ، وكتب معها بقطة شعر بمنزلة من قلتها سقطت من خطي ووجه بها إليه لم يجاوبه من انقطة على سهولة الشعر على ساطره وحسنه عليه كان هذا الرجل أعني المصري الأعمى أسرع الناس في الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحركة المتند على الله على الجواب بقطة أولها : قل لمن قد جمع الخ »

وأقام للمتند بطبعة رحمه الله أياماً على الحال التي تقدم ذكرها ، ثم انتقل إلى مدينة مكناسة ، فأقام بها أشهراً إلى أن نفذ الأمر بتسليمهم إلى مدينة انجات ، فأمدوا بها إلى أن توفى للمتند رحمه الله ودفن بها ضربه مروع هناك ، وكانت وفاته في شهر سنة ٨٧٧ وقيل سنة ٨ فأنه أعلم ، توفى وسنه إحدى وخمسون سنة ، فمن أحسن ما روي مما روي به للمتند على الله مقطوعة من شعر ابن الباقاة أولها :

« لكل في مسمى الأشياء عيقاته وليس - من مئاهن - ظلمات
والبحر في صبة المراء منعم أنوار حالاته فيها استعالات
ونحن من لب الشطرنج في يده وربما فرت باليسق العاة
فالفض يدرك من الدنيا وساكنها فالأرض قد أقمرت والناس قد ماتوا
وقل لخالها الأرضي قد كنت سريرة العالم العلوي « انجات »
طوت مطلقها لابل سذلتها من لم تزل دوقه للجزايات
من كان بين البدي والبأس أصله ضنعية وعطايه جنيدات
أحسرت إلا التواء للقبود به وكيف تنكر في الروضات حيات
وقلت من ذؤابات فلم عكست من رأسه نحو رحليه الذؤابات
وأوه ليتاً غافوا منه حادية فنزتهم طمدوى اليث طادات.. »

وله من قصيدة يرثيها وهي كثيرة الجيد أولها :

« مهيسة دخلتها النابات على أساود لهسم فيها وآساد
وكمية كانت الآمال تنصرها فالיום لا طاكف فيها ولا باد
تلك الرماح وماح الخط تنفها خطب الزمان تنافا غير معتاد
والبيض يبيض الظبا فلت مضاربها أيدي الزدى ونمتها دون إجماد
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة وكلم هو ليقات وميماد
كمن دراري سمد لدعوت ووهت هناك من دور للبعد افراد
نور ونور فهذا بسد نصته فوى وذلك خبا من بهد إجماد
يا منيف انقريت الكرمات غلذ في ضم رحك واجمع فضة الزاد »

كان في الصرة شعر فننظرنا جسوا به
قد أثبتناك ههنا جلب الثمر ثوابه

ويا مؤمل واديهم ليسكنه خب القطيع، وجب الزرع بالوادي
ضلت سبيل الندى بآبى السيل، فسر لنير قصد، فإهديك من هاد.

وفيا يقول :

« استهت - الاغداة النهر - كونهم وللشئثات كأموات بألحاد
والناس قد مثلوا العبرين، واعتبروا من لؤلؤ طافيات فوق أرباد
حط القناع، ولم تستر محبرة ومزقت أوحه تمرق أبرد
تعرقوا حيرة، من بعد ما نشأوا أهلا بأهل، وأولاداً بأولاد
حال الرداع صبت كل صارخة وصارح من معداة ومن فاد
سارت سفائنهم بسوا النوح يتمهل كأنها إمل يمدو بها الحادى
كم سأل في اللامع دمع، وكم حلت تلك القطائع من فعات أكراد
منلى نكم - يا بى ماء السماء - إذا ماء السماء أبى سقيا حاشا المادى.

وعى طوية حفا هذا ما اخترت له منها .

« ولما اتصل برعدة للشعراء وملحى أهل الكدية ما صنع للتد رحه الله مع المحرى تمرضوا له بكل طريق، وقصدوه من كل فج حيق، فقال في ذلك رحه الله .

« شعراء طنحة كلهم وللرب، دهموا من الاغراب أبعد مذهب
سألوا العبد من الأسيذ - وإيه بؤالم لأحق، فاجب واجب
لولا الحياء وهرة الخبيسة - على الحشا - ساوهم في الطلب
قد كان - لا يستل الندى - بحرل، وإن نادى الصريح باباه اركب يركب»

وله في هذا الملحى رحه الله :

« قبح النمر، فإذا صمنا كلا أعطى تقيا نرما
قد هوى - طلقاً - بمن طادته أن ينادى كل من يهوى لما
من إذا البث همى منبراً أخذتها كفه فاعطها
من غمام الجود من راحته صفت ربح به فاقشما
من إذا قيل الخناصم وإن تلقى العاود هما سسما
قل لمن يطمع في فائسه قد أزال اليأس ذاك الطما
راج لا يملك إلا دعوة جبر الله الفاة الصيما .

معارضات الشعراء لابن زيدون^(١)

سركم الوصل غنًا لا قدتكم
فكان بالوهم موجوداً ومظنوناً
مصرى من السلك عن مسراكم خبر
بُسَيْدَ عهد هواكم سَيِّرُهُ فِينَا
أَيَّامَ بَدْرِكُمْ يَجْلُو لِيَالِينَا
نُوراً وَطِيكُم يَرعى بُوَادِينَا
مهلاً فلم نستقد دين الهوى تبناً
ولا قرأنا بصحف للس تلقينا
قد نصرف العلل فيؤينا ويرشدنا
ونترك الدار تسلينا ونشجعينا
وتتبع الحى والأشواق محرقة
نحوم بالماء والأرحام نحمينا
كواكب بساء النقع قد جعلت
لنا رجوتاً وما كنا شياطينا

معارضات أمير الشعراء

اندلسية

« نظم أمير الشعراء هذه القصيدة الزائفة وهو
مطاف بأشبانيا وميا يمن لأوطى الويز ويصف
كثيراً من مشاهد ومسامه

» أولع كثير من الشعراء من قديماء وعدي
بمعارضات ابن زيدون ، ولو أردنا أن نتت
معارضاتهم الكثيرة لتصادمه الشهيرة لاحقاً إلى
سفرهم بلجترى بقصيدة « أبى بكر بن الملح »
التي ذكرها « ابن سام » في كتاب السيرة من
القدماء ، وقصائد أمير الشعراء أحمد شوقي بك التي
عارض بها ابن زيدون .

معارضة أبى بكر

قال ابن سام بعد أن ذكر نوبة ابن زيدون التي أولها :
« أخشى الناس بدلا من تدائينا » (٢)
« وعده القصيدة بحلتها مريدة » ، وقد عارضه
فيها جماعة فصرخوا عنه منهم « أبو بكر بن الملح »
نارعه فيها الراية ، فصرخ الاية حيث يقول من
قصيدة أولها .

هل يسمع أريج شكروا فيشكينا
أو يرجع القول مفناه فيغنينا
ثم استمر في غزلها إلى أن قال :

يا باخلين حلينا أن نودعكم

وقد بعدتم عن القيا فحيونا
فتوا نزرکم وإن كانت قرائدکم

نزرأ ، ومثلكم بالوصل ممنونا

(١) اطر ٢ ص ٤١٢ « (٢) اطر ٢ ص ٤١٢ »

يأتهم دالطلع أشباه حوادينا

نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟

ماذا تقص علينا غير أن يدا

قصت حناك حالت في حواشينا

رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا

أخا الغريب : وطلاً غير نادينا

كل رمته النوى اريش الفراق لنا

سهماً ، وسل عليك الين سكينا

إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصع

من الجناحين عى لا يلبينا

فلان يك الجنس - يابن الطلح - فرقنا

إن للصائب يحصن المصايينا

لم تال ماءك تحننا ولا طاماً

ولا آد كراً ، ولا شجواً أمانينا

تجر من فن ساقاً إلى فن

وتسحب الذيل ترناد للؤاسينا

أساة جسدك شتى حين تطلبهم

فن لروحك بالنطس للداوينا

✽

أها لنا ! نازحى أليك بأندلس

وإن حللنا رفيقاً من رواينا

رسم وقفنا على رسم الوفاء له

نخيش بالسمع ، والإجلال ينيننا

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم

ولا مفارقهم إلا مصلينا

لو لم يسودوا بدين فيه منه

للناس ، كانت لهم أخلاقهم دينا

لم نسر من حرم إلا إلى حرم

كالخمر من « بابل » سارت « لدارينا »

لما بنا الخلد نابت عنه نسخته

ثمائل الورد « خيرياً » و « نسرنا »

نسقى تراهم ثناء ، كلما ثرت

دموعنا نظمت منها مراتينا

كادت عيون قوافينا تحركه

وكدن يوقظن في التراب السلاطينا

لكن مصر وإن أغضت على مقه

عين من الخلد بالكافور نسقينا

على حوانها رفعت ثماننا

وحول حافاتنا قامت رواقينا

ملاعب مرحت فيها مآربنا

وأربع أنست فيها أمانينا

ومطلع لسعود من أواخرنا

ومغرب لجدود من أولينا

بنا فلم نخل من روح يراوحنا

من بر مصر وريحان ينادينا

كأتم موسى ، على أسم الله تكفلنا

وبأسمه ذهبت في اليم تلقينا

ومصر كالكرم ذى الإحسان : فأكمة

لحاضرين ، وأكواب لبادينا

✽

ياسارى البرق يرمى عن جوانحننا

بعد الهدوء ويهيم عن مآقينا

لما تفرق فى دمع السماء دماً

هاج البكا لفضبتنا الارض باقينا

الليل يشهد لم تهتك دياجيه

كلّى نيام ولم تهتف بسالينا

والنجم لم يرنا إلا كلّى قدم

قيام ليل الهوى للعهد راعينا

كزفرة فى سماء الليل حائرة

مما تردد فيه حين يضوينا

بالله إن جيت طلاء الصاب كلّى

نجمائب النور محدوا (بجزينا)

ترد عنك يداه كل عادية

إنسا يمتن فساداً أو شياطينا

حتى حوتك سماء النبل عالية

كلّى النيوث وإن كانت ميامينا

واحرزتك شغوف اللازورد كلّى

وشى الزبرجد من أخواف واديننا

وحازك الريف أرجاء مورجة

ربت خنائل ، وأهوتته بسائينا

قف إلى النيل واهتف فى خنائله

وازل كما نزل الطل الرياحينا

وأس ما بات يذوى من منارلنا

بالحادثات ويضوى من مئانينا

✽

ويامعطرة الوادى سرت سحراً

فطاب كل طروح من مرامينا

ذكية الذيل لو خلنا غلاتها

قيص يوسف لم نجسب مغالينا

جشمت سوك السرى حتى أتيت لنا

بالورد كتباً ، وبالريا عناوينا

فلو مجزينك بالأرواح عالية

عن طيب مسراك لم تهض جوازينا

هل من ذبولك مسكى نخله .

غرائب الشوق وشيا من أمالينا

إلى الذين وجدنا ود غيرهم

دنيا وودهو الصافى هو الديننا

✽

يا من تغار عليهم من ضمائرنا

ومن مصون هواهم فى تناجينا

فاب الحنين إليكم فى خواطرنا -

عن الدلال عليكم فى أمانينا

جئنا إلى الصبر ندعوه كمادتنا

- فى النابتات - فلما تأخذ بأيدينا

والسعد لودلم، والنعمى لو أطردت،
والسيل لوعف، وللقدار لودينا
ألقى على الأرض حتى ردها ذهباً
ماء - لمسنا به الإكبر - أوطينا
أعداء من عنده «التابوت» وارتسمت
على جوانبه - الأنوار من سينا
له مبالغ ما فى الخلق من كرم
عهد الكرام وميثاق الوفيين
لم يجر للهر إعذار ولا عرس
إلا بأيننا أو فى ليالينا
ولا حوى السعد أظفى فى أعنته
منا جيداً، ولا أرخى مياديننا
نحن اليواقيت خاض النار حوهرنا
ولم يهن بيد التشتيت غاليينا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق
إذا تلوت كالحرباء شافينا
لم تزل الشمس ميزاناً ولا صعدت
فى ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا
ألم تؤله على حماماته، ورأت
عليه آبناءها الفر الميامينا ؟
إن غازلت شاطئيه فى الضحى لبنا
خائل السندس للوشية الفينا
وبات كل مجاج الواد من شجر
لواظت القز بالخيطان تومينا

وما غلبنا على دمع ولا جلد
حتى أئتتنا واكم من مياصينا
ونابى كأن الحشر آخره
تميقا فيه ذكر اكم وتحيينا
نطوى دجاء بجرح من فراقكمو
يكاد فى علس الأسعار - يطوينا
إذا رسا النجم لم ترقأ عجربا
حتى يزول، ولم تهدأ تراقينا
بقنا قاسى الدواهى من كواكبه
حتى قعدنا بها : حمرى نقاسينا
يمسده النهار فيحفه تجلدا
للشامتين، ويأسوه تأسينا
مُتَقِيَا الْعَهْد - كَأَنَّ الْكَفَّ الْزَيْ - رِقَّة
أى ذهننا، وأعطاف الصالينا
إذ الرمان منا غينا، راهبة
ترف أوقاتنا فيها رياحينا
الوصل صافية، والعيش ناعية
والسعد حاشية، والهر ماشينا
والشمس تختال فى العقيان تحسبها
«بلقيس» ترفل فى وشى اليمانيينا
والنيل يقبل كالدينيا إذا احتفلت
لم كان فيها وفاء للصافينا

وهذه الأرض من سهل ومن جبل .

قبل (القيصر) دِنَاهَا (فراعينا)

ولم يضع حجراً بان على حجر

في الأرض إلا على آثار بانينا

كان أهرام مصر حائط نهضت

به يد البحر لا بنيان فانينا

لإوانه الفخم من عليا مقاصره

يفنى اللوك ولا يبقى الأواوين

كانها ورملا حولها التطلعت

سفينة غرقت إلا أساطينا

كانها تحت لألاء الضحى ذهباً

كنوز (فرعون) عطلين للوازي

بسم الله

أرض الأبوة والليلاء ، طيها

مر الصبا في ذبول من تصاينا

كانت محجلة فيها مواقنا

غرا سلسلة للجري قوافينا

قآب - من كُرّة الأيام - لاعنا ،

وثاب - من سنة لأحلام - لاهينا

ولم ندع لليل صائناً ، فدعت

« بأن نخس قتال البحر : آمينا »

لو استعلمنا : نلخصنا الجوّ صابغة . . .

والجوّ نار وغى ، والبحر غسلينا

سعيأ إلى مصر تقضى حق ذا كرنا

فيها إذا نبى الوافى وبأكيئا

كَنَزٌ (بحلوان) عند الله نطلبه

خير الودئع من خير للؤديئا

لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا

لم يأت الشوق إلا من نواحينا

إذا حملنا لمصر أوله شجنأ

لم ندر أى هوى الأمين شاحينا

زحلة

« وقال معارماً قصيدة ابن زيدون التي أولها :

« ما للندام تديرها عيناك »

شيمت أحلامى قلب هالك

ولحت من طرق لللاح شباكى

ورجعت أدرج الشاب وورده

أمشى مكاهما على الأشواك

وبجاني واه كأن خوفه

لما تلقت حشة للتباكى

شاكى السلاح إذا خلا بضلوعه

فأذا أهيب به فليس بشاك

قد راعه أنى طويت جباثلى

من بعد طول تناول وفكاك

وبع ابن جنهى كل غاية لتبقو .

بعد الشباب عزيزة الإثر الك

ودخلت في ليلين فرعك والذبحى
ولتت كالصبح للنور فلك
ووجدت في كنه الجوانح نشوة
من طيب فيك ومن سلاف لك
وتعلمت لغة الكلام وخاطبت
عينى في لغة الهوى عينك
ومحوت كل لئنة من خاطرى
ونبيت كل تعاتب وتشاكي
لا أُمسى من عمر الرمان ولا غدة
مُجمَع الزمان فكان يوم رضاك
لُنان رَدْنى إليك من النوى
أقدار سَير للعيادة دراك
جمعت تزيلى ظهرها من فرقة
كرة وراء صوالج الأفلاك
نمشى عليها فوق كل فجاة
كالطير فوق مكامن الأشراك
وَلَوْ أَنَّ بالشوق للزار وجدتنى
ملقى الرجال عَلَى نراك انما كى
بنت البقاع وَأَمْ يَرْدُونِيَّهَا
طيبى كجلقى واسكبى برداك
ومشقى جنات النعم وإلما
القيت سلسلتي عنهن رهاك

لم تبقَ منا يا فؤاد بقية
لفتوة أو فضلة لمرآك
كنا إذا صقت نستبق الهوى
ونشد شد المصبة القُتاك
واليوم تبعث في حين تهرنى
ما يبعث الماقوس فى السناك
يا حارة الوادى طرت وعادنى
ما يشبه الأحلام من دكراك
مُثَلَّتْ فى الذكري هواك وفى الكرى
والذكريات حدى السنين أخا كى
ولقد مررت عَلَى الرِّياض بربوة
عنا كنت جياهما ألقاك
ضَحِكْتُ إِلَى وحوها وعيونها
ووحدت فى أغلسها رهاك
منهبت فى الأيام أذكر رفقا
بين الحداول والعيون حواك
أذكرت هرولة الصبابة والهوى
لما خطرت يقبلان خطاك
لم أدر ما طيبُ العناق عَلَى الهوى
حتى ترفق ساعدى فطواك
وتأودت أعطفان بانك فى يدي
وأحرى من خَفَرَتِها خدك

كالنفيد من ستر ومن شبك
 وكأن كل ذؤابة من شاقق
 ركن المجرة أو جدار سماك
 سكنت نواحي الليل إلا أنه
 في الأيك أو وترأشجي حراك
 شرقاً عروس الأرز كل خريدة
 تحت السماء من البلاد فذاك
 ركز البيان على ذراك لواءه
 ومنى ملوك الشعر في مضاك
 أدهاؤك الزهر الشموس ولا أرى
 أرضاً تمخض بالشموس سواك
 من كل أروع علمه في شعره
 ويراعه من خلقه هلاك
 جمع القصاد من رهاك وربما
 سرق الثمائل من نسيم صباك
 (موسى) يبابك في للكارم والملا
 وعصاه في سحر البيان عصاك
 أحللت شعري منك في عليا الذرا
 وجمته برواية الأملاك
 إن تكرمي يا زحل شعري لئني
 أنكرت كل قصيدة إلاك
 أنت الخليل بديعة وغويبه
 الله صافك والزلف رواك

قسما لو انتمت الجداول والربا
 لتهلل القردوس ثم نماك
 مراك مرآه وعينك عينه
 لم يا زحيلة لا يكون أباك
 تلك الكروم بقية من بابل
 هيئات نقي الباطي جنك
 تبدى كوشى القرس أفن صبغة
 قناطرين إلى ألد جياك
 خرزات مسك أو عقود الكهربا
 أودعن كافوراً من الأسلاك
 فكرت في لبن الجنان وخمرها
 لما رأيت الماء مس طلاك
 لم أنس من هبة الزمان عتبة
 سلفت بظلك واهضت بذراك
 كنت العروس على منصة جنحها
 لبنان في الوشى الكريم جلاك
 يمشى إليك العظ في الديكاج أو
 في العاج من أى الشاب أذاك
 ضمت ذراعها الطيبة رقة
 «حينئذ» و«المحرمون» فاحتضناك
 والبدر في ثبج السماء منور
 سألت خلاه على البرى وحلاله
 والثيرات بمن السحاب مطلة

وقال

« وقال مارضاً كافيّة ابن زيدون التي أولها :

« ودع الصبر عب ودعك (١) »

ردت الروح على النفس منك

أحسن الأيام يوم أرجعك

مرّ من بعدك ماروعف

أترى يا حلو بمدى روعك

كم شكوت البين بالليل إلى

مطلع الفجر عسى أن يطلعك

وبشت الشوق في ريع الصبا

فشكا الحرقة بما أستودعك

يا نعيم وعذابى فى الموى

بنولى فى الموى ما جمعك

أنت روحى ظلم الواشى الذى

زعم القلب سلا أو ضيعك

موقى عندك لا أعلمه

آه لو تعلم عندى موقعك

أرجفوا أنك شاك موجع

ليت لى فوق الضنا ما أوجعك

نامت الأعين ، إلا مقلة

تسكب الدمع وترعى مضجعك



صفحات من كتاب الذخيرة لابن بسام

وبرع أدبه ، وحاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق
لسانه ، فذهب به الملك كل مذهب وحن فنده
كل مطلب ، وكان علقه من عبد الله بن أحمد بن
المكرى أحد حكام قرطبة طغر أحمى ، أداه إلى
السن ، فألقى منه يومئذ على أبى الوليد بن حور
في حياة والده أبى الحزم فشفع له واشغله من مكبته
وصيره في مسائه ، ولما ولّى الأمر - سدائه - نوه
به وأسى خطه وقدمه في الدين اصطنع لثولته ،
وأوسع رانته وحله كرامة لم تقنه بها زعموا ، واتفق
أن من له مطلب بمصر إدرى الحسى بمالقة ،
فأطاع الثواء هناك ، والتقرب من إدريس ، وحب
على نفسه ، وأحصره بمجالس أسه ، فكتب عليه ابن
جهور ، وصرفه في السفارة بينه وبين أسراء الأندلس
مما جرى بينهم من التراسل والمداخلة ، فاستغل
ذلك لعمل ما أوتي به من اللس والممارسة ، فاكسب
البلاء والفسقة ولم يحمده ذلك من التهافت في الترق
لحد الهمة ، فهو عما قليل إلى عاد صاحب إشبيلية
احتدته إلى ذلك حاصر من وطئه إليه ، وتزل على
كنفه ، وصار من حواسه ومهاجته ، يحالسه في
حلوانه ، ويرسل له في مهم رسائله على حال من
التوسعة ، وكان دهايه لعامد سنة ٤٢١ هـ
لأحدى وأربعين وأرسائه . قال أبو الحسن : « فأما
سمة درعه ، وتدفق طبعه ، وغرارة بيانه ، ورقة
حليته لاه ، فالصبح الذي لا يكر ولا يرد ،
والرمل الذي لا يصى ولا يمد . »

بدايته وتصرفه بخون القول

أخبرني من لأدع خبره من وزراء إشبيلية قال :
« عهدي بأبى الوليدة ثمما على جنازة منى حرمه
واللس بمنزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع
يجيب بما أجاب به غيره لسمة ميده ، وحضور
جنازه . » وقد أخرجت من أشعاره التي هي حبول
وغرر ونواذر أخباره التي هي مأسر وأمر ، ورسائله

فصل في ذكر دى الوزراء الكاتب أبى الوليد
ابن زيدون واحتلاب عيون أخباره ، وخصوص رسائله
وأشعاره .

قال أبو الحسن كان أبو الوليد غاية بشور ومطوم
وخاتمة شعراء محروم ، أحد من خبر الأيام خبراً ،
وفاق الأنام طراً ، بصرف السلطان لها وضراً ،
ووسع البيان دليلاً وثراً ، إلى أدب ليس للمرتدقة ،
ولا لغيره تأله ، وشعر ليس للسحر يباه ، ولا
لنجوم الزهر اقتراه ، وحط من النثر عرب
للبيان ، شمرى الألفاظ والمعاني أحسن غير واحد
من وزراء إشبيلية قال : جلس ابن حد العزيز من
يد هاد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، وبقيت
حصرته من أهل هذا الشأن ، أرى من طهر الأسماء
وأحلى من صدر الحان ، هم فاستغلاب (محمد بن
الباس) المشهور أمره ، والآنى في القسم الثاني من
هذا الديوان ذكره ، فكان أبى الوليد نفس بذلك
رواهاً أبى محمد بن الحد على الإشارة بالاستثناء مما
هناك ، فكانت الكتب قد من إنشاء أبى الوليد
إلى فرق الأندلس ، يقال ثأني ماسيلية كتب هي
بالعلم الحظير ، أشبه منها بالشور

حظوته عند ابن جهور

وقد أرى ذكره أبو مروان بن حيان في وصف
من كان اصطنع ابن حور من رجال دولته ، فقال
« نوه بفق الآداب ، ومعدة الطرف ، والشاعر الديع
الوصف ، أبى الوليد أحد بن زيدون دى الأبوّة
السنية بمرطبة ، والوساه ، والمراية ، وحلاوة
للظوم ، والسلاطة ، وقوة الممارسة ، والاحتنا في
المعرفة ، وقدمه لظفر على أهل الامة ليس الأمور
للمرتبة وقصره صد مكانه من الخاصة والسفارة بينه
وبين الرؤسا ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على
قرب للوك » قال أبو مروان وكان أبو الوليد من
أبناء وجوه الفقهاء بمرطبة في أيام الجماعة والفتنة

سكالهم إنا عنى يوما

أبا فضل الكريم .

بأنه

وأبو الوليد بن زيدون - على كثرة إحسانه - كثير
الاحتدام في البثر والنظام ، وكتب إلى أبي بكر مسلم
وهو محب بقرطة مد مراده من الحسن ، صلا
من رقة :

« ولغنى ألك أحد اللاتين ومن أمثالهم
ويل للشئ من الحلى ، وكان على الأملس ملاقي
الفبر واعتك على انصافك هي وترى ألك أحد
الهة من لم أستطع صبرا ، وعلمت أن العاجز من
لا يستند فالمرء يصير لاء الله ، ولم أستمر أن أكون
ثالث الأدلين للبر والود ، وتذكرت أن الفرار
من الظلم والحرب بما لا يتفق من سن للرسلي ،
وقد قال تعالى على لسان موسى : ففرت منكم لما
جعتكم . مطرت في عارقة الوطن قدديما ضاع
العاصل في وطنه ، وكند العلق البيط في معدته
كما قال :

« أصبح في معشري وكم بلد

يكون هود الكباء من حطبه »

فاستحرت الله في إغداد الحزم ، وأنا الآن حيث أمنت
بمس الأمن إلا أن السبي لم يرتفع ومادة البهي لم
تقطع ، وختم رسالته بهذا المعظم :

« شحطنا وما بالدار بأي ولا شحط

وشط - عن نهوى - للزار وما شطوا .

.....
كأن أول هذه القصيدة ناظر إلى قول راشد أبي حكيمة
حيث يقول :

« ومستوحش لم بعض في أرض غربة

ولسكنه من يحب غرب .

ويناسب أيضا قول المتنبي :

« إذنا ترحلت من قوم وقد قدروا

أد لا تارهم فالراحت هم .

قوله حرمت وما تشبه البيت ناس من قول المتنبي :

لئن أخرست الخلل ، واستوت أمد للطلق الجزل .

.....
.....
.....

وله في ابن جهور ، وكتب بها من السجن :

« ما جال بك خطي في سائر القصر

إلا ذكرتك ذكر العبي بالأثر . » الخ

وله أيضا قصيدة مريدة خاطب بها ابن جهور وهو
في تلك الحال من الاحتال أو لها :

« ألم يأن أن يكي العمام على مثلي

ويطبل نأري البرق منصل النصل . »

وفي ابن جهور يقول :

« بي جهور أحرقتم بحفائكم

حناني ، ها بال اللدائخ تفتت

تصدوي سكالهم الورد إماما

تطلب لكم أماسه حين يمحرق . »

وأراه توارد في مدين البيتين مع أبي علي بن رشيق
القيرواني حيث يقول :

« أراك انتهت أحك الله

وعندك مفت وعندي مقه

وأني عليك وقد سؤني

كما طيب المود من أحره . »

وأحفاه معاً من قول أبي تمام :

« نولا اشتعل النار فيها حاورت

ما كان يعرف نصل طيب المود . »

وأشددني بمس أهل وقتنا ، وهو أبو سروان بن
شماخ له :

« ثواب هائي ، مأبوت صائلي

وكانت وكننت النار والتمبر الورد . »

ولميره :

« إن مسج النار جسمي

أبدت ، طيب مسيم . »

وقوله لا يكن عهدك ورد أس قول العباس بن الأحنف :
« لا تجبلي وصلنا كالورد حين مضي »
دا طرفة وأدعى الورد كالأس .
كرّره العباس في موضع آخر ، فقال :
« ولستكني شبت بالورد عهدا »
وليس يدوم الورد والأس دائم .

ما أخرجه من شعر ابن زيدون في النسيب وما
يناسبه من قصيدة :

« بتم وبنا فإهنت جوائننا
شوقاً إليكم ولا جنت ما ليها (١)
لم لتقد بمدكم إلا الوفاء لكم
رأياً ولم تظف لحسره دنيا
تكاد حين تتاحيكم ضائراً
بعضي علينا الأسي لولا تأسينا
حلت لمدكم أياها ضفت
سوداً وكانت بكم يمساً ليالينا
إذ جاب العيش طلق من تألفنا
ومورد القهو صاف من تصانينا
وإذ همزنا حصون الأس دابة
قدومها بلجينا معه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فإ
حكتم لأيماننا إلا راحينا
لا تحسبوا تأيكم ما بيننا
إذ طلما غير الثأى الميئنا
والله ما طلب أهواؤنا بدلا
منكم ولا انصرفت حكم أمانينا
ياسارى البرق فاد القصر فاسق به
من كالأصرف الهوى والوديعينا
ويا نسيم السبا ملع تحيئنا
من لو على البعد حيا كان يحيننا
رجب ملك كأن الله أنشأه
مكا وقد بد إنشاء الورى طيناً

(١) أئمتنا هذه الأيات لا اختلاف روايتها عن
رواية الديوان .

« إن لا يشب فلقد شابت له كبدي »
شيب إذا خضت سلة لصال .
وقد كرّر هذا للمنى أبو الطيب في مواضع من
شعره وكلف به وشب الكلام به تصرف ، وقد
تهدم إنشاءه ، ومنه أيضاً قول صد الحليل المرسى
للمتعمد ابن عاد :

« أترك على حلاتها حياى
وإن كان الصبا لها شكلا .
وكتب أيضاً أبو الوليد بن زيدون من عبه ذلك
للى أبى حفص بن برد هذه الأيات :

« ماعلى طيبي ياس يجرح الدهر وياس (١)
ربما أشرف طائر ، على الآمال ياس
ولقد يتحكك إعفا له ، ووردك احتراس
والهادير سهام والقدوير قياس
يا أبا حفص وما ساء واك في فهم لياس
من ساء رأيك لى وحق الخطافئاس
ورداى لك من لم يخالفه القياس
أذؤب هانت بلدى فانهم واتهاس
يليد الورد السبق وله صد افتراس
إن أكن أصمت شو ساً ظلمت احتراس
تأمل كيف يعنى ملة الفهد العباس
ويقت المسك في قتر ب ميوطا ويداس
لا يكن عهدك ورداً إن عهدى لك آس
وأدرى كرى كاساً ما امتطت كفك كاس
مضى أن يسبح الدهر فقد طاك العباس .
قوله يليد الورد السبق البيت كقول النابغة :

« وغلت يا قوم إن البيت متجس
على برائته لوثبة السارى .
وأخذه ابن الرومى قال :
« سكنت سكوماً كان وما يوثبة
عباس كفذاك البيت لوثب يلد . »

(١) أئمتنا هذه الأيات هنا لا اختلاف روايتها عن
رواية الديوان .

إذا تأوذا آدته - وفاحية -

توم القنود وأدته البرى لينا
كانت له الشمس ظنرا في أكنته
بل ما تحسلى لنا إلا أحينا
يا روضة طال ما أحت لواحنا
وردا حلاه الصبا عصا وسرينا
ويا حياة تعلقا بزهرتها
مى ضروا ولذات أفاينا
لنا لسبك إحلالا وتكرمة
وقدرك للفتلى عن داك صينا
يا حنة الخلد أبدلا بسلها
والكثور المعد زقوما وصلها
كأنا لم نبت والوصل ثالنا
والسعد قدس من أحمان واشينا
سران فى خاطر الظفء يكتسا
حق يكاد لسان الصبح يشينا
إنظر أمانى عبدالوى سورا
مكتوبة ، وأحدنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم يسل بعنله
فربا وإن كان يطينا ميوجا
لم نحب أفق جمال أنت كوكه
- سالى عنه - ولم نهجره قالبا
ولا اختيارا تخينك من كت
لكر هدى على كره - هوادينا
فأسى عليك وقد حثت مشمة
فينا الشول ، وغنانا مفتينا
لا كؤوس الراح تدى من شمانك
سما اوتياح ، ولا الأوتار تلحينا
دوى على الوصل حاد صا حافظة
فاخر من دان أصافا كما دينا
فما استفدنا حيلنا منك صرما
ولا استفدنا حيا عك يلينا
ولو صبا غونا من ملو مظه
بدر الدس لم يكن حاشاك يميننا
أبدى وفاء ، وإن لم تبدلى صلا
فانكر ينعنا ، والظيف يميننا

وفى الجواب متاع إن شملت *

يمس الأباى التى ما زلت توليا
عليك مى سلام الله ما بحت
صباة لك غفيا فخصيا . «
وهذه القصيدة محمدنا مريدة وقد طارضه فيها
جماعة قصروا عنه (١)
وله من أخرى أثر زهرة كانت له بمية الزهراء :
« إني ذكرتك بالزهراء مشافا
والأفق خلق ووجه الأرض فموا . «
وله من أخرى ، وكنت بها من بطيوس أيام تكرره
عليها دوى من حرر طامه وحر كلامه :
« يا دمع صب ما شئت أن تصوبا
ويا مؤادى أن أن بدوبا . «
وله :
« وصح الحق للبرى وفى لك البقى . «
وقال :
« صحت صبح بها الشيم ربح مطرة الدمى . «
وقوله :
« يا ليل طل لا أشهى إلا كسرى قصرك
لو دلت عسى قرى مات أرمي فرك . «
وقوله :
« ودع الصبر محب ودعك
دائع من سره ما استودعك . «
وقال :
« عيى وجيك ما لو شئت لم يصح
سر إذا دامت الأشياء لم يدع . «
ومها يقول :
« أحمل واستطل أصبر وحرأمن
وول أبى ول اسبح وصر أطلع . «
أراء احدى بها البيت مدح أبى الميثل الأعرابى :
« فاصدق وهب وهه والصف وأحمل
واصلح ودار وكاف واحلم واسمع
والطف ولن وتأن وادفن واتخذ
واكرم وجد وحلم واحمل وادفع . «
كقولك ديك الجبن :
« أحل والقر وضر والطح ولن واخن
ورضى وان وانديب للعمال . «
وعننا البيت سننه للوفورن وعدوه نغما
(١) وقد أبتنا بعض منظمه وبنات فى « ١٠٤ »

وله من أخرى في ابن جهور :

« مسددا الصباح على سراك وقيما »
فعلنى بفرعك ليك العرييا .

وقال ابن زيدون أيضا :

« أما وألحاط مراض صحاح
نصي وأعطاف لثاوى صواح . »

وفي بني جهور يقول عند نكة بن ذكوان :

« نولا نوجهور ما أفرقت هم »

حد السوالف في أحيادها تلح .

قوله في عبدة القصيدة إن السيوف إذا ما طاب

جودها في أول الطمع لم يعلق بها الطبع ، ينظر

لمحظ صريب إلى قول حبيب :

« والسيف مالم يلف فيه صيل »

من سنمه لم يتطعم صقال .

وله من أخرى يرى للمتصد بن عباد بزرعة ابنه

اسماعيل لابن الأطلس وقتل ولد إسحاق بن عبد الله

في تلك الحرب :

« ليهن الهدى إنحاح سبك في المنا »

• وإن راح صنع الله نوك وأخذى .

وفاة ابن زيدون

وعما يتعلق بذكر وفاة ذي الوزاريين ورحمة الله

عليه صل من تاريخ الشيخ أبي مروان بن حيان

وأبت إنباته لنل ساه ، وحسن الساه . يقول

فيه ، وفي يوم الاثنين لثلاث صغرة لية غلت من

ذي الحجة سنة اثنين وستين وأربعمائة سار

الحاجب سراج الدولة هاد بن محمد إلى إشبيلية المحفرة

الأميرة لمطالمتها ، وتأيس أهلها من وحة خائرت

عامتهم من أهل عدوان رحل منهم على يهودى جاء (١)

لأمر حجة السوق عندهم ، مرهم أب سب

الشرية فطش به للسلم وسط السوق وجرحه

وحرك عليه العمة ، فقبض عليه صاحب المدينة

بها عبد الله بن سلام وأعطاه فكان لعامة الناس في

حبسه كلام وإكثار خشن ناله ، غطاب السلطان

بقرطة يرمه ما كان منه ويستأمره و شأه ، لجل

أغاذ ولما لحاجب سراج الدولة إلى إشبيلية في جيش

(١) في القطة التالية كثير من الاضطراب وقد
أهنتهما كما

وتعطيا وتجهم التني قال :

« الل ائل اقطع اهل حل سسل أهد »

زد حش بش تقضل ائل سرسل .

ثم زاد التني من هذا وصى حق قال :

« حش ائى اسم اسر قد جد »

مراته جد رف اسر بل .

بنته للعروف . وأحسن لعمري ابن زيدون في

هذا القصم ، وداع بالحدث في صدر القديم ، ولو

فرع سمح أبى منصور هذا الشذوذ لما كان عند

ابن وسكبير مذكور ، ولا أعرب بترائب الصحاح

ولا سدائم الدبع . ومن شعر أبى الوليد في

الغيب السائر الرعب الطيار اللجج الخفيف

الروح قوله :

« أما وصاك معى ماله ثمن »

لو كان سلعى في ملكه الزمن .

وقال من أخرى :

« أنت معى السى وسر الصلوع »

وسبل الهوى وقصد الموع .

وقال :

« عرب بأرض الشرق بشكر الصا »

تحملا معى السلام إلى العرب

وما ضر أغاس الصا في احتالها

سلام فى يديه جسم إلى قلب .

وهذا مقول من قول الصاس بن الأحنف حيث يقول :

« تافقه ما شطت نوى طاهن »

سار من المعى إلى انقلب .

وقال أبو الوليد من أخرى :

« ساحب أعدائى لألك منهم »

يا من يصح بقلتيه ويقيم .

وقال من قصيدة :

« أما في نسيم الريح حرف معروف »

لما هل ذات الوصف بالجرع موقوف .

وقال أيضا أبو الوليد من جملة قصيدة :

« يا أيها الملك الهوى تديره »

ألقى لمملكة الزمان ملاكا .

عليه، إذ كان منهم مصعباً له، هاوياً إليهم، حدياً عليهم
وليبة خبير بينهم ومن سلطانهم الحديث انولاية ،
فصار مصابه كفاً فيه من تأييدهم والبقاء لمن نرد
به وحده لأرب غيرة ولا حرم إذا أمر الله إخوانه
باجتماع بقاء قتله التذنب أن بكر ولده ساد أمته
سامياً مساه طائفا هذه طائفا متناه بأبوة صدق
يجرى إلى البلى بنيفه من ساحة ودماعة وحساة
وزراعة وصرفة ووفور حظ من أدب بلاغة وكتابة
وعركة في التنايم العلمية واشتداد في رعاية متقدم
القمة لم يقدر إخوان أبيه معها إلا غيبته خلال
حرّكي حله مما قيل بعد أبيه عند سلطانة قسطنطين
اللياسة فاستصر في استحصاره وأدناه من احتبائه
ورقاه في سرايب والده متقلاً له في درجتها راضياً
بلاده فيما ظاه به منها حتى مرع دروتها مما قليل
فأحفظاه بالوزارة وصيروه وزيراً لحصرته الأنيمة
اشييلية، وحمله أطام حططها العلمية معاطس الناس
من قوام الملكة خلة ولاية المدينة وواتاه الزمان ،
والله يؤتي صله من يشاء له الفصل والامتنان .

وقال :

« لا طار لي حظ إلى غاية

إن لم أكن منك مريض الجناح

وتشاك بسيد السب أمية

مالي على النحر سواها اقتراح

لم يشي عن أهل ما جرى

قد يرمع الحرق وتؤمى الجراح

فاحمد بحسبى الزأى من يرمع

منه المدا بكل شاكي السلاح

واشفع فلشائع نسى بما

نمر من عقد وثيق النواج

إن سحاب الألق منها الميا

والجد و تأليفا لرياح . »

وكان القاضى أبو بكر بن ذكوان أجمل من اشتغل
عليه أو أن مجدداً وعرفاً ونفساً في العلم ونظراً مع
دعابة حين خلواته تحمل حي المعنى ورقاه عند
نشواته كالتنوخى والمهلي، فإذا أصبحوا بكر أبو بكر
إلى مصادفة ما يتجه عليه الحكم ومواجهته وأذكر

كثيف من نخبة غلمانه ووجوه رجاله لمشاردة القصة
والاحتياط على العلماء غفروا منه وسط هذا اليوم
وأخذ منه ذا الوزراء ابن أبو الوليد بن زيدون أحد
الثلاثة أكابر وزراءه الثلاثة ووزارتهم عهد دولته
أزومه الفؤاد مع الحجاب على قية وطك متألاً منه
ولم ينفذه في التوفيق لأجله ، فمضى لطيفه مساقاً إلى
منيعه وخلف ولده أبو بكر الله الوزارة للرئاسة
بالكتابة ، ورآه ساداً مكانه بالحصرة ، فأقر فيها
أهلها ، ثم أمر بالسير وراء والده لأمر كلفه أجل
بالانطلاق له ، فمضى نجبه غداة يوم السبت لثمان
خون من المحرم سنة ثلاث وستين بعد ما ، غلت
منهم منازلهم بقرطبة وصيرت إلى سواهم ، فحدث
الناس بسبق مكان الأدب ابن زيدون لدى السلطان
وإن استساكه لعل سرية مصححه المصعد دافه .
كان من المتقدم على الله رعاية خصوصية أبيه به
يحيى باستمرارها تتناهى المختصان به المظليل لديه
للمستحان لخاصة ابن سرتين وابن عمار إلى أن عملا
في إصاده وإصاده أبيه الزئب سعد فأسمى حله ،
فمندها استساعاً عهته ، واستملاً مكانه ، واحتوى
على خاصة السلطان وتدير دولته ، ولكل دولة
رجال ، ولكل مكتب إبدال ، ولم يطل الأمد لابن
زيدون بعد لحاق ابنه به ، ووحدانه إياه مترايباً
في حرصه ، فأوحى على الآلة على جهده في استدعائها
على انتهاء للدة ، وإتياك القوة ، فاستقر به وحده
إلى أن قضى نجبه ، وهلك بداه حصرته اشيلية
صدر رح سنة ثلاث وستين ، فمدس بها متهودا
معتقدا ، واحتوى ترابها عليه ، فباعد ما بين قبره
وقبر أبيه لديها رحمة الله عليها هدتولى من أبي الوليد
كحل لن يغلب المهر مثله جلالاً وديناً وبراعة وسلطاناً
وظرفاً وحولاً من سرايب البلاغة فظفا وعرفاً بمرقة
لم يغلف لها سده طائفا غرانه بين الكلامين ورعاية
في العنين إلا أن يكون عند أول التحقيق والتحصيل
في النظم أمد طلاء، واحتفاء ملا يلقه فيه حمير
ولا يخفى رهقا عهوده في القئين عسودل مقافع
حضور عند أهل الليرة ، ولما اتصل خبر ملكه
بشهرته أهل قرطبة شيعوه وبكروا للنفقة وحزنوا

ما كان عليه من فكاكه فكأنه في بردية الامام
وكأنه وقار بديل أوهمام مع صله في قضائه وإعناذ
الحكم بمتنفي الحق وإمضائه حتى إذا راح الروح
طدوا إلى القمص وتجاروا في ميدانهم كل وصف
إلى أن اختلس أبو بكر منها وتخلص ذيل مؤانته
عنها ، فاستأنس منه بسواء وأفاضل فيما كانوا فيه
وما تملياه ، واتفق أن سر يوماً بغيره في لمة من
إخوانه وجماحة من عمار ميدانه فطغوا عليه مسلمين
ووقعوا عليه متأبين ، فقال أبو الوليد :

« يا قهره الطر الثرى لا سدن

حلو من التيقال فيك حلال »

وله :

« على داره الشرق منى تحية

ركت وهلى وادى العيق سلام »

وله :

« خليلي لا طر سر ولا أخفى

فأحلم من أسى معوقاً كما أخفى »

وله يرثي :

« أعناد يا أوى لللوك لقد حدا

عليك زمال من سجيته الفدر . »

ونظم من خبر هذه الواقعة لمحسة . قال أبو مروان
في سنة اثنتين وأربعين وأرساة أوقع ابن عباد
بإبن الأطلس إلى جنب يابرة ، وكان سب هذه
الحرب أن فتح ابن يحيى صاحب لبة يؤمئذ خليفة ابن
الأطلس وإلى آل عباد للضرورة فكاشمه ابن الأطلس
وخانه فيها كان اثنته عليه من ماله الصامت عند
ما حمله إليه ودية عند تورطه في حرب ابن عباد قبل
فانبت بينهما المصبة ، وأرسل ابن الأطلس في
ذلك الوقت خيله للضرب على ابن يحيى فاستنات عاد
فأرسل إليه خيلاً متتابة فلحقت الخيل الأطلسية وهي
قد شلت العارضة على لبة ، فكرت عليهم إذ كانوا
منهم واسترسلوا في اتباع العباديين ولا يشعرون ،
فإذا بهاد بمحله في كين قد خرج أترم فدهشوا
وولوا الأديار ، فركبهم السيف ، وبذل عباد المال
في رؤوسهم ، وكانت تمامة خيل ابن الأطلس وأبطال

وجهه غر لباد من رؤوسهم مائة وحسين رأساً
ومن خيلهم مثلهما نفس جناح قره وألف حاذى وجهه
ثم إن عباد أترنك جمع خلفاء خيله وقود عليها ابنه
إسماعيل مع وزيره ابن سلام ، وخرج نحو بلاد
ابن الأطلس يابرة وقد استدعى أيضاً ابن الأطلس
خليفته إسحاق بن عبد الله فليحت به خيله مع ابنه
أبي الرمد أن جمع ابن الأطلس بغايا جيشه من
هرعته المتقدمة الذكر ، وأخرج كل من قدر على
ركوب دابة من الليان يبله وحشد من رجاله البرادى
بمنه غلقاً كثيراً وأقل بمجمه هذا المنحوب ليدفع
خيل ابن عباد من بلده يابرة ، وقد كان برابرة
خليفته إسحاق في عسكره قالوا له لا تخفهم طست
تعرف قدر من زح نحوك ونحن رأيناهم وسعنا
بمجمهم لم شيبيلة فلم يسع منهم ومعى ، فالتقى
الفرغان من غير نزول ولا تمكة فاختلطوا واجتلفوا
عليها لحق الماديون الضراب وتاموا التشنات لحاد
البرابرة عند أصحاب إسحاق ، وانهمز ابن الأطلس
وحمل السيف على جميع من معه ، فاستأصاهم القتل
وقتل ولد إسحاق وحر رأسه وبست إلى شيبيلة
مع رأس ابن عم ابن الأطلس صاحب يابرة
يدي سيد الله الحرار ونحنا ابن الأطلس في خيله
إلى يابرة . قال أبو مروان وألف ما سمعت في
إحصاء قتلى هذه الواقعة ثلاثة آلاف فأزيد
وأخبرني من أتى به أن طليوس بلغت خالصة
الفكاكين والأسواق من استصالح القتل لأهلها
في وقعة ابن عباد هذه بختيان أعمار الباء الشيوخ
الكهول الذين أسهبوا يوشد فاستدلت على يسو
للصية ، وجزع إسحاق بن عبد الله بمصاب ابنه
ولم يستعر لصد عباد في طلب رأس ابنه ، فإن
عباداً أضاهه إلى رأس جده محمد بن عبد الله شيبيلة
انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام ولم يزل الرسل عند آل عاد مع هذه
رؤوس أهدتها الفتنة لليرة حتى شحتا شيبيلة على الأمير
الأحلس بن أبي بكر الجي . بجزائى مقفل محترم عليه ،
مأسر بقصه ، لأنك أنه مال أبي منيرة فاذا هو ملو

من الرؤوس ما عظم ذلك وعاه ، وأمر برمح كل رأس منها إلى من بقي من طبه بالمصرة . حدثني من رأى رأس يحيى بن علي الخوذي ثابت الرسم غير متكلم الشكل مدمع إلى سنن ولده مدقه .

وقال ابن زيادون وابن جهور من قصيدة أولها : « أجل إن ليل حيث أحيأوها الأزدي »

مادة حنبا في مرابها الأسد »

وكان ابن جهور يومئذ كسر دنان الجر ، وكان أيضاً يومئذ مثل ذلك صد الزحف بن سعد للصخر شعر أوله :

« كسرت لمبر الدين أوعية الجر »

فأحررت حمل السبق في الكسرو المجير

صعدت إلى القمر الذي حموا

ففرقت منه فاسترحنا من القمر .

في أبيات غير هذه استوردت جعلها وإنما ذهب إلى عكس قول من تقدم من أعيان الشعراء من ذم صلب الفراء ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة الكسول وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

« يا لقوى لقد حى السلطان »

لا يكن لذى أهان الهوان . الخ

وبلغني أن الجاحظ أتت هذه الأبيات ، فقال للشعر من حق الفتوة أن أكتبها قائماً وما أقدر إلا أن يسدني لفرس به ، قال المحدث فأمضته ، وقام يكتسبها ، وكان بكر بن حارثة هذا مولى بي أسد طيب الشعر خليفاً ماحداً ، وكان يألف هدهداً يأتيه كل يوم في موضع يصبه شراباً ملائزال يشرب على صسوته إلى أن يسكر ، وكان أيضاً يهوى فلاناً نصرانياً وهو القاتل :

« زناره في خصره مقود »

كانه من كبدي مقود .

وبكر القاتل :

« قلبي إلى ما صرت في دامي »

يكتر أسفلي وأوجلي

كيف احتراشي من عدوي إذا

بكن عدوي بين أسلامي .

ولصالح ابن حيد في ذلك :

« ليس هي ولا طويل انتحاي »

لنهب أول عى شباي .

وحج وقال ابن زيادون يرى :

« انظر لحال السرو كيف تحال »

ولسولة العلياء كيف تحال .

وله من أخرى مما وجدته بخط ابن حيان يرى أنا الحرم ابن جهور :

« ألم تر أن الشمس قد صمها القمر »

وإن قد كفنا فهدنا القمر البدر .

وله من أخرى في هذا اللعروس ، وقد تكررت فيها بعض أبيات القصيدة الأولى ورثي بها أم أبي الوليد ابن جهور يقول فيها :

« هو الدهر ، فاصبر لذى أحدث الدهر »

فمن شيم الأحرار في مثلاً - الصبر .

إلى أبيات غير هذه من سائر أبيات القصيدة استمر فيها بالتقديم والتأخير والتأنيث والتذكير رثي بها آخرها عبادا المتصد ، وجعل أول قصيدته قوله :

« هو الدهر فاصبر لذى أحدث الدهر . »

ثم أتبعه بقوله :

« حياة الوردى نزع إلى الموت مبيع »

لهم فيه إصباح كما يوضع السر .

يتلاه أبو الوليد بهذه القصيدة ثلاث الحظيطة بنسه ، ويتصرف تصرف أبي حنيفة في مدحه ، فاستودكر وقدم فيه وأمر . قال أبو اللاء :

« وب لحد قد صار لحداً مراراً »

صاحكا من تراحم الأضداد .

وبلغني أنه وجد لابن زيادون إثر موت عباد شعر يقول فيه :

« لقد سرنا أن النني موكل »

بطافية قد حم منه حمام »

تحاب صوب لزن عن ذلك الصدى »

وسر عليه الليث وهو حمام .

وقال مخاطب الوزير ثابا طار بن جهور من قصيدته : ١١٩ .

ونخل من سيف الفدري
 حيشة للطلال الطليل
 والروض مسطور ثم
 (م) عليه أفاض القبول
 والشمس زرعها خلا
 ل اليم عن طرف كميل
 امان يحصد الزعد من
 ورق السحابة كالطول
 ويهز كصف البرق في الـ
 آفاق مرهقة النصول
 زمن ستصكه الحيا
 م من وتذمل عن هدبل
 يا برق أودية الى (١)
 تهديك نقي من رسول
 عرج بتسلب عيبا
 ماخضت من تلك الطلول
 * واللع على هرفت حـ
 من قرارة العرف الأصيل
 فإذا جلاك أبو الوليد
 سد بناظر البقط النبيل
 فافراه من ثيل سلا
 ما يقتضى حسن التبروا
 يا غرة الزمن الهم
 (م) وعزة الأدب الجليل
 وعصم السلم القمص
 -م على شيا الزمخ الطويل
 أصلت إلى خدام
 ففكرتك بالشكر الجليل
 لم أستحل مما عهد
 ن مع الزمان المستحيل
 شمع عناقك الحليـ
 سة في لدى تلكه الجليل

(١) ولي الأصل : أودية

« أترت حرر القرى إذ رضى
 ونهته إذ هذا فانتض . »
 ومما أظنه ابن بام من لب أي الوليد الصحيح
 الأقسام ، التنازع من الاطباع والأوهام ، المصدق
 قول الجفريه فيها يس من الإلهام قوله :
 « نلى نصر اليأس فيك الأمل
 وحل تخنيك دون الميل . »
 وقوله أيضاً :
 « فديتك ليس لي قلب مأسو
 ولاخس مآلف إن جيت . »
 وقوله :
 « أنى أصبح عهدك
 أم كيف أظف وعدك ؟ »
 ولأبي بكر بن عمار مخاطب أبا الوليد بن زيدون
 رحهما الله :
 « كيف اصرزت على الدليل
 وقطعت أسباب الوصول
 وقتلتي ، وزعمت أنت
 الدف من ققتيل
 وعليك حاهدت الصدا
 واليك ملت عن الصنول
 يا فاتلى ومداى
 في صفتى أهدى دليل
 ما ألقى السفل الجلب
 ل بذلك الوجه الجليل
 فبرزت في خلق الكره
 -م ورواه خلق البثيل
 ودعوتني حتى أجيـ
 -تك ثم حدثت من السيل
 جد بالليل فارتد
 -مى منك تنق بالليل
 واذكر على زمن قطنا
 . بصانية شمول
 إذ لسحب الأذيال ما
 . بين الخليم إلى التخيـ

وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطة متندي
لأحرار المصير ، ومنازلها ملياً لجياد النظم والنثر
يمشوا أهل الأدب إلى سوء غربتها ، وتهاكك أفراد
الشراء على حلاوة عمرتها ، إلى سهولة حجابها ،
وكثرة متبائها ، تخطط ذلك بلسان صاب ، وكرم
السبب ، وطهارة أثواب ، على أنها سمح الله لها ،
وقد زهوا طرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول
فيها السبل ، لغة سالنا ، ومجاهرتها بلذاتها ، كتبت
- زعموا - على أحد حاشي ثوبها :

« أنا والله أصلح للمعالي

وأمنى شقيق وأني نيا . »

وكتبت على الآخر :

« أمكن عاشق من ثم غدى

وأهلى قلبى ، من يشتهيها . »

هكذا وحدث هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من هذه
تألفيه ، وإلى الأدب من غلط الغل إن كان وقع فيه ،
ولما مع أبي الوليد أخبار طول وصار فوات إحسانها
ويشقى استعاضتها - وأما ذلك خاطرها ، وغرارة
لواذرها ، فأية من آيات فاطرها - مرت بلوزير
أبي حاتم بن عبدوس المتقدم الذكر ، وكان بقرطة
أحد أعيان المصير ، وبمس من هذى بأسها ، وقصر
على حكمها ، وألمام داره بركة تولد على كثرة
الأمطار ، وربما استمتعت بهى ، مما هلك من الأفتار
وقد قصر أبو طرس كيه ، وظرفى مطلبه ، وحمر
أهوانه إليه ، ففان له أبا طرس :

« أنت الحبيب وهذه مصر

تصدقتا ، فكلا كما بحر . »

تركته لا يحير حرفاً ، ولا يرد طرفاً ، وطله عمرها
ومر أبي طرس حتى أديا على الثمانين وهو لا يدع
سياستها ، ولا يفل مواصتها - وتعب هذا
الامر المستطيل حال ولادة ، فكان يحمل كفا ،
ويرفع ظها ، على خوف واديه ، وخود رواحه
وغوايه ، أراجيل أجد ، وطقا من الطرف جرى
إليه حتى استوفاه - وكانت يزعموا - عرض أيا تآمن
النصر ، وقد قرأت أعيان منه في بعض التماثيل
أضربت عن ذكره ، وظرفه بأسره لأن أكره

ولئن أبيت راغب
وأفك عثرة مستحيل

يا ألس بدر في الطلا

م وجد ظل في الليل

فحكمت أبيت بطلها

سوى الصليحة - في مثل . »

ولابن زيديون يتنزل في ولادة :

« يا قزحا وصغير القلب مشواه

أسكت ديناك هيدا أنت مولاه . »

وله ينشوق إليها :

« غريب بأرض الفرق يشكر قصبا

نعملها مه السلام إلى الغرب

وما ضر أناس الصبا في احتلالها

سلام لقي يديه حم إلى قلب . »

وله :

« أيوخى الرمان وأنت أنسى

ويظلمنى النهار وأنت شمسى . »

وله :

« ولقد شكوكك بالنصير إلى الهوى

ودعوت من حتى عليك مأنا . »

وله يتنزل ويصان ويحطف ويستزل :

« يا مستحيا بأشبه ومغشا لنا صبه . »

وكتب عن التفتد إلى صهره للوق أبي الحيوش

ابن مجاهد :

« عرفت عرف الصبا إذ مذهب فاطره

من أحن من أنا في قلب أشاطره

أراد تمجيد ذكراه على شط

وما يقن أنت النمر فأكره

فاى للزوار به والمار دانية

يا جندا للقال لو صحت زواجره

على أيا الجليش هل يقضى القناء لنا

ليشنى منك قلب أنت هاجره . »

قال ابن سلم : وأما ولادة لقي ذكرها ابن زيديون

في شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن بن حيد الله

التنصرى ، وكان في نساء زمائها واحدة أو أنها

حضور شاهد ، وغزوة أوابد وحسن منظر وغير

ليس له عسدي إعادة ولا إهداء ، ولا من كتابي
في أرض ولا سباء . ونفسه هنا يعني من أخبار
أيها المستكني هذا لأطباب الآداب ، ووفاء بقرط
الكتاب ، نسخه من كتاب ابن حبان :

هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الناصري ، يبيع يوم
قتل عبد الرحمن للمستظهر يوم السبت ثلاث خلود من
ذو القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، فسمى
بالمستكن بالله ، اسماً ذكر له فاختاره لنفسه ، وحكم
سوء الاتفاق به لما كتبه لعبد الله المستكن العباسي
أول من تسمى به في اسمه ووجهه وتخلقه وضفّه
بل كان هذا زائداً عليه مقصراً عن خلال ملوكية
كانت في المستكن سبه لم يحسنها محمد هذا لقرط
تخلقه على اشتباههما في سائر ذلك كله من نوبتهما
بالقصة ، واستظهارهما بالقصة ، واعتداء كل منهما
على ابن عم ذي رحم ماسة ، وتوسط كل منهما
في شأنه بإسراء خبيثة ، وذلك حسنة التميزية ،
ولها ابنة عسكرية للروزية ، فأصبحت في ذلك على
قرط التباين عبرة ، وقال صاحب خط العروس :
ومن عجب افتقارهما في الأخلاق ، وفي السر والقلب
وأن كل واحد منهما خلق من الأمر ، وكل واحد
منها تركه أبوه صغيراً ، ولم يحسن محمد من هذا
الأمر في ورد ولا صدر ، إنما أرسله الله على الأمة
بحنة وبليّة ، إذ كان منذ عرف غفلاً صلاً متقطّعاً إلى
البطالة ، مجولاً على الجهالة ، عاطلاً عن كل خلق تكل
على فضيلة ، عصته الفتنة فألقى حتى استبجاز طلب
الصدقة ، وعاد حتى أمّاه أمه على ما لم من الله
رأيت . أيام الحنف بأهل بيت في الدولة الحمدية ، ولم
يكن ممن خلفه الاعتقال منهم لركابته . يبعد أهل
الثلاثة يومئذ بقرطبة أوائل منهم فتلانهم بمأثم
من ذكاتها تكلها ومخاطبة ، وبالجلسة في تخنيس
التصرف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس
في الإمارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ولا أهمل إذ
لم يزل مروعاً بالتخلف والركاكة ، مشتهراً بالعرب
والطاعة ، صمد السر والعلانية ، أسر القهورة ،

طهر الحلوّة ضد الفتنة عبد الرحمن المستظهر في
الأدب والقرعة ، وكان انتصح هذه السنة المؤرّحة
القاسم بن حود بخلافه ، وآخرها محمد هذا المذكور
وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر تصرمت تلك السنة
المكرّة على ثلاثة خطاه ، وهذا من غريب الأنباء
وفقه البقاء السرمدي ، وقد عمد هذا الأمر ولم يكن
من أمه ، فخلق جميع الناس بالإيثار واستلهم
بالأهوية ، ورأى أن اللال عزيز ، وأن النصر
رخيص يقوم مقامه ، وينوب مثابه ، وكان يقول
قناس أجبني ، ارموا كيف شتم ، وارتسوا بما
أحببت من الخطأ فسمى بالوزارة في أيامه مفردة
ومثناة أرافل الدائرة ، وأخبت النظار مصلاً من
زحمت العسكات والحمنة ، وأما القرطبة العليا
ومدونها من رفيع المنازل ، لحماها أكبر من التجار
والعلماء ، وأحال الناس على ابتناء هذه للدارل عند
السلطان بالطاوية في كرة الدولة ففتروا به ، وعمرها
ثاءه ، وعلفوا بالتي ، فلما استبانوا ضيقه وقصوا
خطهم ، وتجراً كثير منهم منها ، وأسم أنه لم
يتخلها ولا سباً عند تكرار التصيط عليهم للرامة
مند إلحاح الإضافة ، لجرت لبضهم عد الانتباه عن
تلك الخطأ نوادر ظرعة مصححة وانتهى هذا
التنويه العام بهسنا للسك الهام إلى أن فصله أيضاً
في طبقات أهل العلم فأسمهم منهم الفقهاء فأثر الطية
منهم للشاويرين أصحاب الصون بالارتقاء إلى خطّة
الوزارة خالطاً لهم فيها بما ذكرناه من زحمت
الحمنة وكبار الدائرة ، وجاء في ذلك بطامة لم تسع
في الأصغر الحالية مأخذاً والمفوا بالدين وحمته ،
وطلبوا زيادة المثل على العامة ، فافقتوا بهسفه
الخطأ وعدوا أيديهم عليها ، وعبروا من خطيئتي
المخطأ عنها مفرطين بما يصاب من ذلك إلى أن
عضوا لسيلهم ، وارتقى للمستكن أيضاً بكتير من
يحمل الطاهر ، وبدرس مسائل الفقه من أصاغر الطبقة
الفتية إلى طبقات عليهم من مائة الفوري ، فوسم
كلهم بوسم الفتوى فأسرف في ذلك حتى بلغ عددهم

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر عيره ، أبلت بعد
كالقصب ، وردف كالكتيب ، وقد أطلعت نرجس
للقل ، على ورد الحبل ، فلما إلى دوش مديح ، وماء
سحج ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل
أنهاره ، وقد لطلّ مشور ، وجب الراح مندور
طما شبا نازها ، وأدركت فينا نازها ، برح كل منا
بجبه ، وشكا إليه ماغله ، وبنا بيلة نعي الحوان
التور ، وعطف رمان الصدور ، فلما اغمطنا ضبا
ساحاً ، أنشدتها ارتيأحاً :

« ودع السبر مح ودع

دائماً من سره ما استودعك . »

قال أبو الوليد وكانت هذه قد غننا :

« أحبنا إلى طفت مؤمل

وساعدني دهرى وواصلني حي

وحاء يهبي اليتيم قره

ما عطيتني نفسي ، وردتله قلبي . »

سألها الإعادة سير أسر ولادة ، لجفا منها برقي

التبسم ، وبدا طارفي التجم ، وعانت حبة :

« وما ضرت حتى لدت أنت به

ولكننا ولادة اشتيت ضري

فقامت تجم الدبل طارة به

وتنح طل الفم بالشم الرطب . »

بقنا على العتاب ، من غير اصطداب ، ودم للدام

صفوك ، وما بدأ فهو متروك ، فلما قامت خطاه

الأطيار ، على منابر الأشجار ، واهت من الاعتراف

وبكرت إلى الانصراف ، وشت بمسك الأعاس

على كالور الاطراس :

« لو كنت تصف لي الهوى مايتنا

لم تنو جالتي ولم تمنني

وتركت غصناً مشراً بجمله

وجنعت لقصن القى لم يشر

ولقد طلت بأني بدو السما

لكن دهميت لستوني بالعتري . »

قرطبة يومئذ الأرمي ، وفلك مما لم يجد في
الفارين ، وكثر الإرجاف جبر رجال الدائرة ،
فاضطرت قرطبة لكثرة ما فيها من الردة ، ففض
على جماعة من بني عمه وحاشيتهم على بن أحد
ابن حرم وابن عمه عبد الوهاب اللقي الذي ذكر
سجوا بالمطوق ، ثم جادل المستكي ابن عمه عبد العزيز
المرق علق وأسماً ميثاً وساء إلى الناس علم بهل عليهم
اعتباله ، وفي أيام المستكي هذا استؤصل بقية قصور
حده الناصر بطرأ ، وطست أعلام قصور
الرهاء ، واقتلع نخاس الأبواب ورساس التي
وعبر ذلك من الآلات ، طوى بحرأها سلط الدنيا
وتغير حسنها إذ كانت له حبة الأرض صدا طلها قبل
تمام اللذة من كان أصعب قوة من فارة لك ،
وأوهس بيتنا من بقية التروء ، والله يسلط جوده على
من يشاء له المرأة والجهوت ، طما كات سعة
ست عفرة وتمحرك يحيى بن جود إلى قرطبة ، وضمف
أمر المستكي ، اتفق اللأ على خله ودخلوا عليه
وقالوا : لقد علم الله احتدادنا في شيتك ، فاحتاس
ذلك طلها ، واضطربنا إلى مقاربة عدونا ومغض
حارجوك إليه ، ولا ندري ما يحدث عليك سدا
فإن لك الكرة فلا تياس ، فع اليوم غد ،
ماحل الرد ، واستشعر الفل ، واهتسل
الذرة ، وعزم على الحرب ، فخرج على وجهه
وقد لبس ثياب البانيات ، متعباً من أسراهم لم يميز
منهم لمراسه على التحيث ، وخرج عن قرطبة ،
فأت باقليش ، فكانت دولته قسمة عمر صهراً
صعاً فكلمات سوداً مشوحات مشغولات اتعنى
ما لحصته من كلام ابن جيان . قال أبو الوليد :
كثرت في أيام الشباب ، ومهرة التماي ماغما مائة
تسمى ولادة ، فلما قدم القاه ، وساعد القضاء
كتبت لي :

« ترعب لفا جن الطلام زيارتي

فإني رأيت الليل أكرم للسر

وفي ملك ماوكان باليد مايندا -

وبالقصن لم طلع وبالجهم لم يبر . »

صفحات من كتاب نفح الطيب

وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب (التبيين) في خلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب (اليعين) في خلفاء المرق للسودى .
ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في السبب أرق منها وهي التي يقول فيها :

« كأننا لم نبت والوصل ثالثا

والسعد قد غص من أجبال واشليا

سران في حاطر الطعام يكتسا

حتى يكاد لسان الصباح يشتينا . »

وهل شأ هدمك من النساء مثل ولاده الرواية التي تقول مدحاً للوزير ابن زيدون ، وكان له غلام اسمه علي :

« ما لابن زيدون على مصله

يتبني طلقاً ولا داب لي

يعطى شزراً إذا جتسه

كأنما حث لأحمى على . »

ومن حكايات أهل الأندلس في حلج المنابر والطرب والطرف وغير ذلك كسرعة الارتحال ما حكاه صاحب (بدائع البداة) قال :

أخبرني من أتى به بما هذا مناه -

قال : « خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ، ومعهما الوزير ابن خلدون من إشبيلية إلى منقرة لبي عباد لموضع يقال له (الفلنت) تحف به مروج مفرقة الأنوار ، متينة الأنجاد والأفوار ، متبسمة عن ثور النوار ، في زمان ربيع سقت الأرض السحب به بوسيا ووليا وجلبها في زاهر مليها وباهر حليا ، وأرداف الرى قد تآزرت بالأرز الحضر من بلتها وأجباد الجدائل قد نظم النوار قللده حول نباتها ، وبجاسر الزهر نطر أردية السام عند جباتها ، وهناك من البهار مازيه على مدام النضار ، ومن الفرجس

الريان ، ما برز أبواص الأجان ، وقد لووا الاغراج فهو والطرب والترف في روضى النبات والأدب ، وشوا صاحباً لهم يسي (خليفة) هو قوام لذتهم وعظام مسرتهم ليأتيهم ببديد يدهيون لهم بدعية في لجين زجاجة ، ويروونه منها بما يقتضى بحريكه فهرب من القلوب ولزجاجة ، وجلسوا لاحتظاره ، وترقب حوده على آثاره ، فلما يعرفوا به مقبلا من أول الفج بادوا إلى لقائه ، وسارعوا إلى نحوه وتلقائه ، واتفق أن فارساً من الجدد رك فرسه صدمه ، ووطأ عليه بهقمة عطه ، وأجرى دمه وكسر قعال التبيذ الذي كان معه ، ومرتق من شلمه ما كان البحر جمه ، ومضى على غلوائه واكفأ حتى خي عن البين حائفاً من متعلق به يحين بتلقه الحين ، وحين وصل الوزراء إليه تأسلفوا عليه ، وأماصوا في ذكر الزمان وهذوانه والخطب وألوانه ، ودخلوه بطوام للضرات على تمام السررات وتكديده الأوث للسمات بالأمان للوليات ، قال ابن زيدون :

« ألهو والمتوف بنا مطيه

وأمن والنون لما يحينه . »

قال ابن خلدون :

« وى يوم وما أدراك يوم

مضى لصالنا ومضى حليته . »

قال ابن عمار :

« هما طارنا واح وروح

تكسرتا فاشفاف وسيفه . »

وكتب الوزير الفهيد أبو خالد ابن ريدرت إلى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز أثر مسدوره من بلنسية .

« راحته لمصح بها السقم . . . » الأبيات

ولما ورد إشبيلية نزل بدعوة الوزير الكاتب دى

فعى وإن اشتهرت بالفرق والمغرب لم يذكر جلتها
إلا اقليل ، وقد كنت وقت المغرب على تديس
لها بعض طلاء اللرب ولم يحمرنى منها الآن إلا قوله
و للطح :

« ما قميون بهم النج تمسينا
ومن ظلك حى الأظاف تمسينا
تألف كلفت يحسينا ويعسينا
تمرق حاك و شبل الهسينا
أخفى الفراق بديلا » الخ
وما أحسن قوله في هذا التديس :

« ما للأحسة دانوا بالنوى ورأوا
تمويس حد الاما بالمعد حين مأوا
رعاهم الله كانوا للعود دعوا
عنيتهم وشاة المساد سموا
غبط المدا من سافينا الهوى فنعوا
بأت نفس ظال الدهر آمينا . »

وقد ذكرنا في الباب الرابع موشحة ابن الوكيل
القي وطأ فيها لوية ابن زيدون هذه فلتراجع -
روح - وقال ذو الوراقين ابن زيدون يقول :
« وصح الصبح للمي » الأيات
وعاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها في غير
هذا المثل حق . وسألت حارة من حواري الأندلس
دا الوراقين أنا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت
ألشدته لياه وهو :

« بأسطى عن وسال كنت وارده
هل ملك لي غله أن صحت واضطى . »
وكانت الجارية المذكورة تتشقى حق قرشياً والوزير
يملك ذلك وحى لاملم أنه يمل ، حال :
« كدوتنى من ثياب السقم أسبها ظها
وصصيرت من لحف الضنا فرمى
..... » الأيات

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون تويت ابنته
وبعد الفراغ من دفنها وقت فئاس عند منصرفهم
من الجنازة ليفكر لهم ، فليل فإنه ما أماد في ذلك
الوقت عبارة ظاهراً لأحد .

الوزرايين . أبي طاهر بن مسلمة ، وهو ينى مجلساً ،
صنع أياتاً كتبت فيه :

« عمر من يسردا الغلسا » الأيات
وقال فيه أيضاً :

« ادوما قد حسن المجلس » الأيات
وكتب إلى الوزير أبي المال للملب بن طاهر يستعجه :
« طابت لنا ليلنا الحالية » الأيات
وكتب إليه ذو الوراقين أبو طاهر المذكور معاناً :

« تباعدنا على قرب الجوار
كلنا صدنا شحط المرار
تطلع لى هلال المهر يبرا
وصلو هلال ومهك في سرار
وشاع شليح قطك لى بوصلى
هلا كان ذك و استلار
أيجدل أن ترى عى صوراً
مأصح مولنا دون اصطبار
وكت أريد سمك من هتاق
ولكن عافى مرط الحار
مراع مودنى واحطط حواري
فأنت الله أوصى بالحوار
وزدنى منعما من غير أمر
وأس موحشاً من هتر دار . »
وكتب إليه ابن زيدون :

« هوى وإن تاءت منك دوى » الأيات
وكان أبو الطلف يدورد إختيارية رسولا قد سأله
أن يريه شيئاً من شعره فله به حق كتب إليه
شعراً يسطقه ، فأجابه ابن زيدون في العروض
والقافية :

« أفدتنى من هائس الدور » الأيات
وحى أكثر مما ذكر . وكتب (أعنى ذا الوراقين
ابن زيدون) إلى ولادة :

« أخفى التثاني بديلا من تدينا » الأيات
ولما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ،
ولأن كثيراً من الناس لا يدرك جلتها ، ويظن أن
ما في الثلاثين وغيرها منها عز جميعها وليس كذلك

ابن جهور

قال في المطمع :

الوزير الأجل أبو الحزم جهور بن محمد
ابن جهور ، وشو جهور أهل بيت وزارة
اشتهروا كاشتهار ابن هيرة في وزارة ،
وأبو الحزم هذا أبجدهم في المكومات ،
وأبجدهم في الملمات - ركب متون الفنون
فراضا ، ووقع في بحور المهن فغضا ،
منبسط غير منكش ، لا طائش اللسان ولا
رهش ، وقد كان وزير في الدولة العاصمية
فشرفت بجلاله ، واعتزت باستقلاله ، فلما
اقرضت ، وعافت العن واعتضت ، تعجز من
التدبير مدتها ، وخلى لأخلافه تدبير الرياسة
وشقتها ، وجعل يقبل مع أولئك الوزراء
ويدر غير مظهر للأفراد ، ولا متصرف في
ميدان ذلك الطراد ، إلى أن بلغت الفتنة
مداها ، وسوخت ما شادت رداها ، وذهب
من كان يبعد في الرياسة ويحب ويسعى في
الفتنة ، ولما ارتفع الوبال ، وأدبر ذلك الاقبال
راسل مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تخيلا
منه وتعميرا وتداويا على أهل الخلافة وفروها
وعرض عليهم تقديم المعتد هشام وأومض
منه لأهل قرطبة برق خلبه يشامقة بسرعة
التيار ، وتجميل انتكائها ، وأجابوا إلى
دعائه ، وأجابوا إلى استدعائه ، وتوجهوا مع
ذلك الأمل ، وألوا قرطبة أحسن الملم ،

فدخلوها بعدفتن كثيرة ، واضطرابات مستتيرة
والبلد مقفر ، والجلد مسفر ، فلم يبق غير يسير
حتى نبذ واضطرب أمره نخلع ، واختلق
من الملك وانزع ، واقتضت الدولة الأموية ،
وارتقت الدولة العلوية ، واستولى على قرطبة
عند ذلك أبو الحزم ، ودبرها بالجد والعزم ،
وضبطها ضبطا آمن حاقها ، ورفع طارق
تلك الفتنة وطائفا ، وخلا له الجوق قطار ،
واقضى اللبائن والأوطار ، فعدت له قرطبة
على أكل حائنها ، وانجلي به نور جلالها ، ولم تزل
به مشرقة ، وغصون الآمال فيها مورقة إلى
أن توفي سنة ٤٣٥ هـ فانتقل الأمر إلى ابنه
أبي الوليد ، واشتمل منه على طارف وتليد ،
وكان لأبي الحرم أدب ووقار وحلم سارت بها
الأمثال وعلم المثال ، وقد أثبت من شعره
ما هو لائق ، وذلك قوله في تفضيل الورد . .

« الورد أحسن ما رأت عيني وأذ
كي ما سقى ماء السحاب الجائد
خضت نواوير الرياض لحسنه .

فتذلت تنقاد وهي شواهد
واذا تبسدى الورد في أغصانه
يزهو فذا ميت وهنا حاسد

وأذا أتى وفد الربيع مبشرا
تطاول صفحاته فبمن الوافد

ليس البشر كالنشر باسمه
خبر عليه من النبوة شاهد
وإذا نرى الورد من أوراقه
بقيت عوارفه ههنا خوالده .



وقال صاحب كتاب المذهب :

ولما انقطعت دعوة بني أمية كما ذكرنا
بالأنديلس ، ولم يبق من عقبهم من يصلح
للإمارة ، ولا من تليق به الرياسة استولى
على تدير ملك قرطبة جهور بن محمد بن
جهور ، ويكنى أبا الخزم ، وقد قتم ذكر
نسبه في ترجمة هشام ، وأبو الخزم هذا
قديم الرياسة شريف البيت كان آثوه وزراء
السولة الحكيمة والعامة ، وهو موصوف
بالهياء ، وبعد العور ، وحساسة العقل ،
وحسن التدبير ، ولم يدخل من دهانه في العنق
الكائة قبل ذلك وكان يتصان عنها ، ويظهر
الفراسة والتدين والعفاف ، فلما خلا له الجور
وأصفر الفناء ، وأقهر الادي من الرؤساء
وأمكنه الفرسة وثب عليها فتولى أمرها ،
واضطلع بحمايتها ، ولم ينتقل إلى رتبة الإمارة
ظاهرا جريا على ما قمتنا من إظهار سنن
العفاف بل دبرها تديرا لم يسبق إليه ، وذلك
أه جعل نفسه ممسكا للوضع إلى أن يحجى
من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك
ورب البواين والحشم على تلك القصور
على ما كانت عليه أيام السولة ولم يتحول من
دوره إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال

السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو
للشرف عليهم ، وصبر أهل الأسواق جندا له
وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم
محسنة عليهم يأخذون ربهم ورؤوس الأموال
باقية محفوظة يؤخذون بها ويراعون في كل
وقت كيف حفظهم لها ، ومرتق السلاح
عليهم ، وأمرهم بتفرقة في الدكاكين والسيوت
حتى إذا دمهم أمر في ليل أو نهار كان
سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو
دكانه ، وكان أبو الخزم هذا يشهد الجائر ،
ويعود الرضى جاريا على طريقة الصالحين ،
وهو مع ذلك يدبر الأمور تدبير الملوك
المتعبلين ، وكان آمنا وادعا وقرطبة في أيامه
حرما يأمن فيه كل حائف ، واستمر أمره على
ذلك إلى أن مات في عرّة صرسة ٤٣٥ هـ
فكانت مدة تديره منذ استولى إلى أن
مات أربع عشرة سنة وأشهر ، ثم ولي
ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه
أبو الوليد محمد بن جهور ، جري في السياسة
وحسن التدبير على سنن أبيه عبر نخل بشيء
من ذلك إلى أن مات أبو الوليد المذكور في
سليخ شوال من سنة ٤٤٣ هـ فطلب عليه بعد
أمور جوت - الأمير الملقب بالمأمون ابن ذي
النون صاحب طليطة فديرها مدة يسيرة
إلى أن مات ، وخلق فيها بعده من البربر
رجل يعرف بابن عكاشة أظن اسمه موسى ،
فكان بها إلى أن غلبه عليها وأخرجه منها
الأمير الظاهر بمول لية أبو القاسم محمد بن

وثب عليها فتولى وقام بحمايتها ، ولم ينتقل إلى رتبة الأمانة ظاهرا بل رتبها ودرها تديرا لم يسبق إليه ، وأظهر أنه حام للبلد إلى أن يجيء من يستحقه ، ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الامارة ولم يتحول عن داره إليها ، ودعا ما يتحصل من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم له .

وكان جهور يشهد الجبارة ، ويعود المرضى ، ويحضر الأفراح على طريق الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الأمور تدير الممالك ، وكان مأمون الجانب فأمن الناس في أيامه ، وبقي كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وقام بأمرها بعده أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات .

بنو عباد

• أما أحوال إشبيلية فلها كانت في طاعة الفاطميين أعنى على بن حود ، والقاسم بن حود ، ويحيى بن علي بن حود أيام كان الأمر داثرا بينهم على ما تقدم ذكره . فلما زحف يحيى بن علي بالبر إلى قرطبة وهرب القاسم بن حود منها ، وقصد إشبيلية ، وقد كان ابنه محمد والحسن مقيمين بها أجمع أمر أهل إشبيلية ، واتفق رأيهم على إخراج محمد والحسن عنها قبل وصول القاسم أيهما فأخرجوهما ، وجاء القاسم فنعموه دخول البلد أيضا ، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع إليه أمرهم ، وتجتمع به كلهم فتولرد

عباد على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها دارا للذك وسدغلبة المعتمد عليها صارت تبعالا شيبيلة .

جهور (١)

جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله ابن محمد بن المر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة رئيس قرطبة ، يكنى أبا الحزم . روى عن أبي بكر عباس بن المهدي ، وأبي محمد الأصلي ، والقاضي أبي عبد الله بن معرج ، وأبي القاسم خلف بن القاسم ، وأبي يحيى زكريا بن الأشج وغيرهم . وسمع منهم وأخذ العلم عنهم ، وقد أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عتاب المقيي ، فقال حدثنا ثقة من الشيخ الأكبر ، وهو يعني أبا الحزم هذا ، ثم صار تدير أهل قرطبة إلى أبي الحزم هذا فألقها بالرياسة فيها ، إلى أن توفي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم من سنة ٣٥٤ هـ ودفن بداره ، وصلى عليه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور متولى الأمر من بعده ، وكان سنة يوم وفاته إحدى وسبعين سنة ، وكان مولده أول المحرم سنة ٣٦٤ هـ .

أما قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن جهور بن محمد بن جهور ، وكان من وزراء الخليفة العاصرية ، موصوف بالدهام والعقل ، ولم يدخل في شيء من العلق قبل هذا بل كان يتصاون عنها ، فلما خلا الجو وأمكنته الفرصة

وأجابوه إلى ما أراد ، ولم يزل يدبر أمر
إشيلية ، وهؤلاء المذكورون من وزرائه ،
وكان له من الولد إسماعيل وهو الأكبر يكنى
أبا الوليد وعباد يكنى أبا عمرو ، فأما إسماعيل
فخرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لأبيه
أمل في التعطب على ما كان البربر يملكونه
من الحصون القريبة من إشيلية بسكر من
جند إشيلية ، فالتقى هو وصاحب صناجة ،
فأسلمت إسماعيل عساكره ، وكان أول قتيل
وقطع رأسه وسبربه إلى مائة إلى إدريس
ابن علي الفاطمي كما تقتسم ، وبقي الأمر
كذلك ، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور
أحسن تدبير ، وكان صالحا مصلحا إلى أن
مات في شهر رنة ٤٣٩ .

اختيارهم بعد محض الرأي وتنقيح التدبير
على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن
عباد اللخمي لما كانوا يملونه من حصة
عقله ، وسعة صدره ، وعلاوة همته ، وحسن
تدبيره ، فرضوا عليه ما أرادوه من ذلك ،
فحبب الاستعداد ، وخاف عاقبة الاضرار أولا
وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم
رجالا يساهم لهم يكونون له أعوانا ووزراء
وشركاء لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يحدث
حدثا إلا بمشورتهم ، وهؤلاء المسمون هم
الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ،
ومحمد بن يريم الاطاني ، وأبو الأصح عيسى
سجاج الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن علي
الهورزي ورجال آخرون ذهب غنى أسباطهم
ولا أعرف قبائلهم ويوتهم ، ففعلوا ذلك

صفحات من كتاب العيني (١)

عن مقاومته فأخرجوه ، فاستدعاه القاضي
أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد
إليه بإشيلية ، وأذاع أمره ، وقام
بنصره ، فسار إليه وقام بجوابه ، وكتب
بظهوره إلى مالوك الأندلس فأجاب أكثرهم
وخطبوا له ، وجرت بيعته في المحرم سنة
تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم إن عباد سير
جيشا إلى زهير العامري بأنه يخطب للوئيد
فاستجند زهير حيوس بن مكر الصنهاجي

وأما إشيلية فاستولى عليها قاضيا محمد
ابن إسماعيل بن عباد اللخمي ، وهو من
ولد النعمان بن المنذر ، وفي هذا الوقت
ظهر أمر المؤيد هشام بن الحكم ، وكان
قد اختفى وانقطع خبره ، وكان ظهوره بمالقه
ثم سار منها إلى المرتبة ، فخففه صاحبها زهير
العامري وأخرجه منها ، وقصد قلعة رباح
فأطاعه أهلها ، فسار إليهم صاحبها أول
إسماعيل ذي النون ، فظفر بهم وضعفوا

وتلاحق بجريز أصحابه وأشباهه ، وترك
الظافر ملقى على الأرض ، فرآه عليه بعض
أهل قرطبة فأبصره على تلك الحالة فنزع
رداءه وألقاه عليه ، وكان أبوه إذا ذكره
يحتل بهذا البيت :

« ولم أدر من ألقى عليه رداءه

سوى أنه قد سل عن ماجد محض. »

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها حتى عاد
ملكها إليه وترك ولده المأمون فيها فأقام بها
حتى أخذها يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد
حروب كثيرة يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى
وأخذت لإشبيلية من أبيه المعتمد ، وبقي
مسجوناً في أغصان إلى أن مات بها ، وكان
هذا وأولاده جميعهم - الرشيد ، والمأمون ،
والراضى ، والمعتمد ، وأبوه ، وجدته علماء
شعراء -

ملوك الطوائف (١)

بقم الأستاذ نيكلسون

تفرقت امبراطورية عبد الرحمن الثالث
العظيمة ، وظهر على أقطابها عدة ممالك
صغيرة « دويلات » أنشأها الظرف
والمصادقات ، وكان يحكمها بعض القادة
المظفرين .

وقد أحسن نيكلسون في تشبيه تاريخ
إسبانيا في القرن الحادى عشر الميلادى

(١) صلي مختار من كتاب نظرات في تاريخ

صاحب غرناطة ، فسار إليه بجيشه معات
هساكر ابن عباد ، ولم يكن بين العسكرين
قتال ، وأقام زهير ببأسه ، وجاء حيوس إلى
مالقة فمات وولى بعده ابنه باديس ، واجتمع
هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحيوس فلم
يستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير ، وجع
كثير من أصحابه ، والتقى عسكر ابن عباد
وابنه إسماعيل مع باديس بن حيوس ،
وعسكر إدريس العلوى صاحب سبتة بطنجة
واقتتلا قتالا شديدا فقتل إسماعيل ثم مات
بعده القاسم أبو القاسم بن عباد وولى
بعده ابنه أبو عمرو ، ولقب المعتمد بالله فسط
ماولى وأظهر وفاة المؤيد ، واشتمل بأمر
إشبيلية وبقي كذلك إلى أن مات وولى بعده
ابنه أبو القاسم محمد ولقب بالمعتمد على الله ،
فاتح في ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك
كثيرا من الأندلس ، وملك قرطبة أيضا ،
وولى عليها ابنه الظافر بالله فبلغ خبر ملكه
لها إلى يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة
خسده عليهما فسمن له جرير بن عكاشة ،
وسار إلى قرطبة ، فأقام يسى في ذلك وهو
ينتظر الفرصة ، فاتفق أن في بعض الليالى
جاء مطر عظيم ومعه رج شديدة ورعد وبرق فثار
جرير فخرج الظافر فيمن معه من العبيد والحرس ،
وكان صغير السن فحمل عليهم ودفعهم عن
الباب ، ثم إنه عثر في بعض كراته فسقط
فوثب عليه شخص فقتله ولم يبلغ الخبر إلى
الأخند . أما الملك الأندلسى فقد ملك

كل جهة فتحوها فغاش أولئك المسيحيون في كنف المسلمين ، وأحسنت الحكومة معاملتهم ، ومنحتهم الحرية الدينية وكثيرا ما رفعتهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي بلاط الملك . فاعتنى كثير منهم الحضارة الاسلامية وافنن بها افتنا .

حتى رأينا « القارذ » كاهن قرطبة في أواسط القرن التاسع ليلاد بولول في أوائل ذلك العصر شاكيا من أبناء دينه انصرفهم إلى مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وهيامهم بدراسة كتابات لاهوت نبي المسلمين وفلاسفتهم لا يقصدون بذلك إلى تفنيدها بل يقصدون إلى التعبير عن خوالجهم بأسلوب عربي رائع صحيح .

وكان القارذ يقاضل .

أى يتاح لانسان في هذه الأيام أن يقابل واحدا من أبناء جسننا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة ؟ ومن ذا الذى يدرس منهم فصول الأنجيل وسبر الأنبياء والحواريين ؟ واحسرتاه :

إن كل الشبان المسيحيين ذوى المواهب لا يعرفون الا العربية والا كتابات العرب فهم يقرءونها ويدرسونها بحماسة باقة منهاها كما أنهم ينفقون المال الطائل لا قتلتها في مكاتبهم وتراهم أى وجدوا يذيعون أن تلك الآداب جذيرة بالاعجاب .

فإذا تجاوزت عن ذلك وأخذت تحذتهم عن الكتب المسيحية أزور جانبهم وأجلبوك

بتاريخ إيطاليا في القرن الخامس عشر ، فقد كان وجه الشبه - كما يقول - كبيرا جدا بينهما .

وكان هؤلاء القادة الذين اقتسموا بلاد الأندلس أشبه بأولئك القادة الذين كان يطلق عليهم في إيطاليا اسم : « Condottieri » وكان من بينهم ملوك العبادية الذين قطنوا لإشبيلية ، وهم أقوى ملوك ، وقد أطلق عليهم كتاب المسلمين اسم : « ملوك الطوائف » وعلى الرغم من أن ذلك كان عصر تدهور سياسى ، وعلى الرغم من أن إسبانيا تشكو هجز مواردها الاقتصادية ، فقد وصل المجتمع في تلك الأيام الى مستوى لم يصل الى مثله من قبل .

وهنا يجدر بنا أن نقف لحظة علنا نستطيع أن نستعرض فيها أماما الشوط البعيد المدى الذى قطعته الآداب والعلوم في طريق النجاح في ذلك العصر الذى يعد أزهى أعصور الاحتلال الاسلامى في أوروبا .



فيينا ترى العرب الفاتحين في آسيا - كما بينا ذلك - قد سحرتهم حضارة قديمة تفوق حضارتهم بما لا نهاية له فأذعنوا لها وظهر أثرها فيهم إذ تراهم لم يكادوا يعبرون مضيق جبل طارق - في الغرب - حتى انعكست الآية تماما .

وذلك أهم بعد أن طلبوا على شبه الجزيرة وقع في أيديهم آلاف المسيحيين من



وقد كان الشعر العربي - في أوروبا -
على الاجال الخصاص التي رأيناها في الشعر
المعاصر في الشرق .

فان الأوزان المصطلح عليها والقيود التي
لم يستطع أساطين بغداد أن يحرروا أنفسهم
من ربقتها ظلت بحذافيرها في قرطبة وإشبيلية .
وكما تأثر الشعر العربي في الشرق بالأدب
الفارسي ، فقد تأثر في إسبانيا كذلك بالحداد
الآريين والساميين واندماجهما شيئا فشيئا .

فكان ذلك سببا في ادخال عناصر
جديدة ظهرت في آدابها ، ولعل أمتع ميزات
الشعر الأندلسي هي ذلك الوجدان العاطفي
الراقي الذي يندر وجود مثله في النسيب
والذي ظهر كثيرا في أغانيهم عن الحب وهو
وجدان لا يقتصر على تصوير فروسية القرون
الوسطى بل يتخطى ذلك إلى حد أن نحسبه
إحساسا جديدا بمحاسن الطبيعة التي جلته .

ولهذه الميزة سول فهم ذلك الشعر على
الكثيرين من الآريين الذين قد لا يسول
عليهم فهم روح العلاقات أو قصائد المتنبي

بإذراء أنها أسفار تافهة لا خطر لها .

واحسرتاه عليهم ! لقد نسي المسيحيون
أنفسهم حتى ليندروا بين آلاف منا على
على فرد يستطيع أن يجر إلى أحد أصدقائه
رسالة لاثنية بأسلوب لا بأس به على حين
ترى جمهورهم قادرة على الإجابة عما في نفوسهم
بأسلوب عربي رائع ، وعلى حين ترى حذقهم
في قرض الشعر العربي قد وصل إلى حد فاقوا
معه العرب أنفسهم .

ومهما يكن في كلام هذا السكاهن من
اغراق فما يترفع عن الجدل والتشكك أن
الثقافة الإسلامية قد أخذت بألباب
المسيحيين الإسبان ، كما افتنق بها اليهود
الذين خدموا الشعر والفلسفة بمساعدتهم
العديدة وكتاباتهم التي أنشئوها بلغتهم وبلغت
أبناءهم العرب .

أما المولدون والصابئون من الإسبانين
الذين لانوا بالإسلام فقد استعربوا تماما بعد
أجيال قليلة ، ومن هؤلاء نبيغ أشهر من
ازدان بهم الأدب العربي .



دراسات الكتاب لابن زيدون

« أبتنا في هذه الصفحات أهم الدراسات
التي كتبت - في العصر الحديث - عن
ابن زيدون إعمالاً للفائدة . »

١ - دراسة الدكتور أحمد ضيف^(١)

اقتدت الوزارة في الأندلس بالأدب ، فكان الوزير كاتباً وشاعراً ، وكان أشهر الكتاب والشعراء وزراء ، وكانت المهرة بالكتابة والشعر ، وفنون الأدب ، ومروغ العلوم من وسائل الوصول إلى امتلاك الوزارة ، فكان للوزراء أثر عظيم في سير البلاغة والأدب ، وأصبحت منزلة الأدب كمنزلة الوزراء أنفسهم في الدولة ، وظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربوا في مناصب الملك ، وتعلموا في مراكز الدولة ، وتعلموا على شفتيها ، وهم جباة من الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء وأصحاب النور ، وأعلام الحياة العقلية .

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الأدباء والشعراء المجهدين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المرومي الأندلسي القرطبي ، أشهر من عرف في حلبة الأدباء ، وأطهرهم ميعة في فنون الكلام وأساليب الشعر والبيان ، لأنه صبورة من صور الأدب في الأندلس ، وصحيفة من صفح البلاغة هناك ، وثمرة من ثمار عرس العرب في بلاد المغرب .

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة في سنة ٣٩٤ هـ وتوفي بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ وهو ثالث ثلاثة نسوا ابن زيدون : أحدهم أبو بكر عبد الله بن أحمد بن غالب وأخيه ، والثاني أبو بكر ابنه وكان وزيراً للمعتد بن حباد ومات مقتولاً ، وهم من أصل عربي كما أمرنا إلى ذلك في كلامنا على التفاعل التي نزلت الأندلس من العرب . كان أبوه قاضياً مشهوراً بين قضاة قرطبة ، وطالماً وأديباً . مات سنة ٤٠٥ هـ فكان عمر ابنه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكان أبو الوليد منذ حداثة ميلاله إلى العلم والتعلم ، فاندفع يطلب لنفسه الكمال الخلق ، وكانت لغته في قرطبة ساحة العلوم والآداب ، فانكب على الفرس والبعث ، وأخذ الأدب عن رجاله للروم ، وكان له ميل شديد لعلوم العرب وفنون اللغة لحفظ منها شيئاً كثيراً ، كما وهي كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب وحوادثها ، ووسائل اللغة ، حتى أصبح في مقدمة الشعراء والأدباء ، واندمج في مجالس الأدب ، فصار طاماً من أعلامها ودعامة من دعائمها ، وكانت قرطبة لا تزال في أوج علاوها على الرغم من أمول شمس بني أمية بها ، وأعلمها في رخاء من الفناء ، أكثرهم يميل إلى العلم والأدب ومجالسة الأدباء ، فامتلات الحافل والمجامع بضروب القهر والطرب ، وكان لابن زيدون خلق روح ودعابة ويميل إلى الجون ، فصاحه ذلك على أن يسبق غيره ، وأن يتال ههنا

(١) من كتابه بلاغة العرب في الأندلس للدكتور أحمد ضيف

واسعة بين أتباعه . وكان فناء أثر عظيم في هذه المجالس ، فاتجه الناس إلى الانعماج فيها واستعذبوا هذا المورد ، وانصرفت هم الأدباء إلى التلوق في هذا الميدان ، فكان لذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء وصورة البلاغة من نظم ونثر ، وكأنا شامت كل سبغة جديدة في الجامع الأدبية لجرى الوزراء على الجاهرة بالبحر ، وكان ابن زيدون أحد أقطاب هؤلاء ، فاجذب إليه الأصغار .

وكان لولادة بنت للتكي الخليفة الأموي شهرة عظيمة في قرطبة لجأ إليها وطعها وأدبها ، فوقع ابن زيدون في هزيمتها ووقت في شركه ، واشتغل كل منهما على صاحبه ، حتى حسد عليها وحسدوا الناس عليه ، وكان من بين هؤلاء الحساد الوزير أبو طاهر بن عبدوس وهو كبير المحول والطلول ، هرب إلى ولادة حتى ألقاها إليه ، وكانت ولادة ملت صداقة ابن زيدون واتهمته كما اتهمها بذلك أمها ، هبت عاصفة من الحفا بينهما شقت من شغلها وحالت بين قلوبها ، لذلك غلب ابن عبدوس ابن زيدون على أمره ، واستولى على قلب ولادة ، ثم حدث أن رحلت إلى ابن زيدون فكتب عن لسانها لابن عبدوس رسالة القهيرة الغزلية ، ثم استأثر بها ثانية ابن عبدوس ، فكانت هذه الحال سبب اضطراب في حياة ابن زيدون العقلية والسياسية وهكذا كانت حال الوزراء وأرباب الدولة وعقول الأدباء ، وأصحاب الأفلام والفكرين ، وهذه الحادثة من أكبر الحوادث في حياة ابن زيدون . عاش ابن زيدون في بيئة كلها اضطراب ودياس ، وترى ودرج في ذلك وتقلد الوزارة فيها ، لأنه اشترك في حوادث الاضطراب التي كانت على أثر زوال دولة بني أمية ، فكان من أشيع ابن جهور أحد ملوك الطوائف الذي ادعى لنفسه الملك في قرطبة بعد انحلال الدولة الأموية سنة ٤٦٣ وصلت منزلة ابن زيدون هناك ، فانجذب إليه ابن جهور وزيراً له فلك أزمة الأمور ، وكان أقرب الناس إلى سيده الذي استعان به كثيراً في المسائل السياسية ، وتأمين الصلة بينه وبين الأمراء الآخرين لذلك ودعائه ، فكانوا يمسكون ابن جهور على الاختصاص به ، وحدثت حوادث أفرقت عليه صدور كثير من مناصبه والحاسديه على نفسه ومنزله ، فهاجوا عليه عند ابن جهور حتى أمر بسجنه فسجنه طويلاً ، فاستمر واستصعب بما يلين من أبه الحديدي ، فلم يفلح في إرضاء الأمير مرم على إكمال الحياة والحرب من السجن . واختفى بقرطبة إلى أن استفتح بأبي الوليد بن حمور عند أبيه أبي الحرم حتى شفع له ، وجهه أبو الوليد بعد موت أبيه من اللقمة في دولته ، ولكن ابن زيدون لم يأمن على نفسه من بقاءه في قرطبة ، فهاجر إلى إشبيلية سنة ٤٤٦ ودخل في حاشية المصنف بن حباد وصار وزيراً لابنه للحمد وبقي هناك إلى آخر عمره . هذه حياته وأخلاقه ، وقد ذكرنا في شعره ونثره ومنها يرى أن حركات عقله كانت تطفو تلك خطوطه بخطوة ، فكانت حياته العقلية نتيجة هذه الحياة ، فلك يمكن أن تتسم آثاره الأدبية إلى أقسام ثلاثة : عتقه لولادة وأثر ذلك في نفسه وما كتبه في هذا ، ثم مدسه لابن جهور وابن حباد ثم أثر السجن في حياته العقلية .

شعر ابن زيدون

كان لأخلاق ابن زيدون والبيئة التي عاش فيها وميول الناس إلى القوم أثر عظيم في شعره ، فقد كان للبحر مساحة خاصة في النظم والنثر ، فبرع ابن زيدون في النزل ، وكثير من شعره في ذلك كله منبسط من حوران في نفسه وعلايل ميوله وأهوائه ، أذكر ذلك كله حبه لولادة ، فإن عتقه عنها يضع له ليلاً واسعاً

من الخيال قال فيه ما شاء وشاءت هواطه أن توحى إليه ، كذلك كانت آلامه وما لاقاه في السجن باثماً من بواش استنهاض ملكة الشعر فيه وإظهارها من إلهاماته الفنية .

وعى به أعداؤه وحسدوه إلى ابن جور ، وكاد له منافسوه في حبّ ولادة حق تلوا منه ، وشفوا لحتم بحمل ابن جور على سجنه بعد أن أله مقرة الوزير بدير ملكة ، وبعد أن اتشه وعرف له رأيه السيد وبراهته في إيدارة الأمور وسفه زمام الدولة ، ولم يكن لابن جور أن يخطي في نظره لما اشتهر به نفسه من سداد الرأي وصحته ، فإذا تله ابن زيدون مكاة في نفس ابن جور ، فقد كان ذلك من جدارة واستحقاق ، ولكن أعداؤه تمكنوا من ابن جور فضرب عليه وأمر سجنه ، فأثار هذا السجن من نفس ابن زيدون طامعة فنية جديدة رقت من خياله الشعرى آثارها آلامه فأخذ يشأ أيتها حبلا ، ويغن في آلامه ووصلها والتصير عنها مرة شعراً ومرة نثراً . . . والفى يبرج فنه دائماً بكل ما يرى ويسمع ويشعر ، ولقد كانت نفس ابن زيدون من القموس النقية الإدراك ، التي إذا أتت تشأ أبيه الموسيقى ، وإذا شكت تشكو شكاة القلوب الملوثة شعوراً الواسعة التصوّر والإدراك الدقيق ، الذي يجعل الشكوى حيلة والكلام فيها حبلا . كتب ابن زيدون من السجن إلى صديقه أبي حمس بن برد يشكو ويئن من بلواه وهو ينهمه الأمل مرة ويقصده اليأس أخرى ، ولا يترك شاردة تمرّ بخاطرهم إلا هدأ بها نفسه ، وتسلّى بها عن آلامه . يتسلّم أحياناً إلى القضاء يشعر في نفسه راحة وإطمان ، ويقف أمامه مصحات الأيام فلا يمس من الحوادث التي ألمت به ، ويرجع إلى صديقه فيسليه هو نفسه ، ويسأله ألا يكف عن مجونه وتسلّيته ، لأن السعادة خلسة ، ثم يهود فيذكر أعداءه ويلهمه مه ويمين أن ذلك ليس بالسبب لأنه :

إن قسا الشعر طمساء من الصخر النحاس

ويرى أنه حصد لمكاته ، وبرز ذلك بالبر والمحكم والحرية والتحكم من أحوال العالم وحوادث الحياة ، وبرجع أئنته وأله وحفده على الناس ، ولا سيما حاسديه ، وعصر المثل كل يسكن من نفسه ، وهو في ذلك كعادته في الشكوى : يهبط مرة إلى الدرك الأسفل من اليأس ، ويرفع أخرى إلى دروة الرجاء ، وكأنه في شعار مستتر بينه وبين نفسه وشعوره ، كل هذه اللماح في أبيات قليلة بأسلوب جبل رفيق ، يكاد يلحح الإنسان فيها خاطره المضطرب للتأوج . حيث يقول :

« ما على طليّ بأس يجرح الصخر واسو » الخ

هذه نقحات القلوب ، وهذا هو الشعر الأقوى يستولى على النفس ويظهرها الحكمة والبصرة ، وهذا هو حال القول ، ليس ذلك لأنه مطرب مرسس بوزنه وقافيته ، بل لأنه ساحر بمخانيه وجاله ، كل معنى فيه يحتاج إليه النفس في مثل هذه اللواقف ، ولقد كانت هذه اللماح سائمة للنفس لأن الشاعر صادق في قوله ، مبرر عن شعوره يرسم صوره من عه الحزينة الثالثة ، لهذا كان الشعر حبلا .

وقد بدأ قصيدة من قصائده في هذا الشعر بنفسه ، وأمين في ذلك ، وكأنما كان يبيك حظه ويندبه بهذا الأسلوب الشعرى ، وكأنما كل معنى من هذه اللماح كانت تبهى خاطره وترجع نفسه ، فلما مدح ابن جور مدحه في قالب استعطاف ، وتوسط بين اللوح الحامس والثلب الجدى ، وقد ظهر بنفس كبيرة وألف أهم حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جور ، فكان لما أشد منه تائباً ، لأنه كثيراً ما كان في مثل هذا الموقف لا ينسى الشعر بنفسه ، ولا يريد أن يعلل عليها ولوحها أنه في موقف مثله ، وكأنه كان يتسلّى بهذا ، لأنه يرى أن أعداءه لم يتلوا منه إلا لأنه لاقاهم بنفسه ومنه حتى إنه قال متكبهاج :

« ولو أنى أستطيع كي أرضى الصدا غريت بعض الحلم خطاً من الجمل .
وكل قصائده التي أرسلها يستطع بها ابن جهور في أثر ذلك الشفاء الذي إليه في سجنه ، وصورة من صور
البؤس الذي حرك شعوره وحتى من لسانه ، وأثار في صه عواطفه القسرية للعلة للعودة هماً ولحماً .
ولكن أسلوبه في الشكوى والاستعطاف واحد في لطفه ونفقه ، وما أشبه قصائده في ذلك وما فيها من
من اللغز برسائله الحدية ، وكأشما كان فكره سجيناً مثله من شدة تأمله في السجن ، فانه لم يخرج من
عادته في ضرب الأمثال والفخر بنفسه ، وأنه أصل إنسان وأكرم من دب على وجه الأرض .
غير أن كلامه مع ذلك غلب الذائق ، وريق الحاشية ، جناب خلاب ، تلمع عليه سبب الابتكار
والصدق والتعبير ، فانه ليس من الخيالات الشعرية العرمة ، بل به كثير من الحقائق التي كان يلمحها عليه
شعوره كما قال :

« ما جال صدك لحظي في سنا القبر إلا ذكرتك فذكر العين بالأثر . »

وكتب إلى أحد أصدقائه وهو مخض بمرطبة بعد مراره من السجن ، قال :

« ... وبلغني أنك أحد اللاعين في الخ »

إلى أن قال :

« شحطاً وما نالنا مأي ولا شحط وشط بمن نهوى للرار وما شطوا . »

إلى آخر ما قال في هذه القصيدة التي هي من أبداع قصائد الشكوى وأجملها ذكر الماضي والحاضر والاستغفار
والاستعطاف ، والسرور بذكر ما مضى والتكاه على الحاضر ، وهي أيضاً أظهر في لحنها الجدية من
كثير من شعره ، ولذلك كانت أحف في أسلوبها ومنايها ، ليس بها تلك الرقة للمهودة في كلامه ، كل ذلك
ماحه السجن وما تدوقه من الآلام ، مرسه في شعره ، لأنه رجل في يعرف كيف يصور ما يشعر به ويبر عما
يحاول بمحاطره . ولقد يلاحظ الإنسان أن آراء ابن زيدون آراء عامة ليست ناشئة عن تفكير طويل أو
علم واسع ، وإنما هو حيالي أكثر منه مفكراً ، وشاعر أكثر منه طالماً ، وهذه كل حال شعره ونفقه .
أما مدحه ورتاؤه صفاتي الرثة الأخيرة من شعره ، لأنه على جال أسلوبه في ذلك ، وحس شعره في اللغز
لا يكاد يثر إلا لاسديبه على معنى حديد ولا رأى خاص ، بل يكاد يكون كل ما جاءه من اللغز من قبل معارضة
شيرة من الشعراء والأخذ بما يهيم مزجاً ذلك بما له من البراعة والصناعة والاهتمام .

ومن أجل قصائده كلامه في المصداق بن عباد وابنه للشمس ، ومن أرقى كلامه في الشكوى ، وأرق
مباراه وصولاً إلى القلوب بكأؤه على الماضي ، والتفقد بذكره وما كان فيه من السيم كقولوه :

« الهوى في طالع تلك النجوم وللى في صوب داك السيم . »

ولقد كان ينظر إلى أيامه الماضية فيحس إليها حنيناً مؤلماً ، فإذا قرأت شعره في ذلك رأيت نفسك كأنك
واقف على أطلال سمادته البالية ، فبكى وبكى معه ، كما قال :

« ألا هل إلى الزمراء أوبة فارج تحمت مبانها مدامه نرجا . »

الغزل في شعر ابن زيدون

يتبين من أحوال الاجتماع في الأندلس ، وميول النفوس ، واختلاط النساء بالرجال ، واندماج كثير من
الأدبيات في مجالس النهو والطرب ، أن المرأة شغلت جزءاً عظيماً من أوقات الرجل المفكرين ، وملاأت

ومعهم ، كما أن مجالس العرب كان لها سلطان عظيم على نفوسهم ، فكانت المرأة تحرك المواطن والتمور ، والفرقة تدرك القول ، وتعمل عليها القول ، وتفتح أمامها طرق التصور والخيال ، والقول ثمة بنشوة الغرام والرهوس مثقة بحرارة اللداع ، والناس لا يفتهم الطرب ، ولا يريدون أن يتواروا به لملقته بنفوسهم ، حتى في أشد الخن ، قد رأينا أن ابن زيدون كتب وهو في سجنه لصديقه أبي حصن بن برد يقول :

« وأدر دكرى كاساً ما امتطت كملك كاس

واغضم صمو الليالي إنما الجيش اخلاص . »

وقع ابن زيدون في شرك ولادة بنت المستكفي بالله ، وكانت حلية ملجبة طرعة رديئة بين الأدباء « تامل الشعراء ، وساجل الأدباء ، وحقوق البرعاء . . . خرجت على نهاية في الأدب والطرف ، حصور شامد ، وعرارة أوايد ، وحسن منظر ومعب ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطة متسدى لأحرار العصر ، ومناظرة ملجأ لحياذ النظم والثر ، يمشو أهل الأدب إلى سوء غرتها ، ويتهاك أمراء الشعراء والكتائب على حلاوة صهرتها ، وسهولة حمامها ، وكثرة منابها ، تخطط ذلك ملو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب ، على أنها أوحدت لقول مينا السبيل لغة مالاتها ، وبجهرتها بلداتها . . . » وقالوا « إنها كانت للعرب كملية للفرق ، إلا أن هذه تريد الحس ، وأما الأدب والشعر والبادرة وحفة الروح فلم تكن تنصر عنها ، وكان لها صنعة في الماء ، وكان لها مجلس يشاء أدباء قرطبة وطرفاؤها ، يبر في الدار وإشاد كثير مما اقتضاه صهرها وكانت من الأدب والطرف ، وتتمتع السع والطرف ، بحيث تخطى القلوب والأبواب ، وتجد الشيب إلى أحلاق الشباب » فقال ابن زيدون رصاها ، ووقع من نصها كما وقعت هي من فسه ، حتى كتبت إليه نصرت له موعدا فكانت :

« ترقي إذا جين الظلام ريارتي فأني وأيت الليل أكرم لمر

وفي مك ما لو كان النمس لم تلح وبالدرد لم يطلع وبالنعم لم يمر . »

قال أبو الوليد : « طما طوى النهار نوره ، وضر الليل ذنايره ، أقيت بقدر كالتضيب ، وردف كالكتيب ، وقد أطلبت نرحس الليل ، على ورد الحجل ، فلنا إلى روص مدرج ، وطل سرجس ، قد قامت رايات أشجاره ، وقامت سلاسل أهباه ، ودر الطل مشور ، وجيب الراح منور . طما شبتنا فارها ، وأدركت ما تأرها ، صرح كل ما بحه وشكا ما بقلبه وألشدتها :

« ودع الصبر مح ودعك فائق من سره ما استودعك . »

وكتبت إليه بعد ذلك قول :

« ألا هل لنا من بعد هذا التفرق سبيل يشكو كل صب بما لقي . »

إلى أن قالت :

« تمر الليالي لا أرى اليقنى ولا الصبر من ورق التثوق منق

سقى الله أروماً قد غدت لك منزلاً بكل سكوب حائل الويل مفق . »

ولا نريد الآن أن نكلم في المتي وآثره في النفس وما يوجه من روائع القول وجمال الفكر حتى عند طامة النفس ، فإن تاريخ الإنسانية حامل بموادته ، ولكنا قول : إلى المتي في كلام الرب أو شعر النزل كما يسمونه ، ليس مع المسائل الجزئية بل لأن الشعر القوي هو وحمر النفوس وجمال الإدراك الإنساني ، أكثر

أكبر مظاهر الجمال في الحياة ، ومن لم يفتح قلبه يوماً ما ، لم ير غير ظواهرها ولم يقرب إلى نفس بسيم ضوء من جمال مظاهر الحياة وأسرى النفوس في التألف ، وكثير من آمال الناس في تلك الصلة النفسية ، والعشق وما فيه من سعادة وجمال سر كامن في الشعر ، لأنه مصدر الشعر الخيالي الخليل . فذلك كان أجل الشعر ما يكشف عن سر من أسرار النفوس ، ويفتح القلوب . ويظهر مكنونات الإنسان وأخلاقه وآلامه وآمله . إن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مدينون لها بأفضل الصفات لديهم وهي وصف شعور الناس ، والتأثير الذي يشعر بالحب لا يتكلم عن نفسه حب ، وإنما يجمع آلام العشاق وأنهم يتألم ويحس معهم ، وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب لنفس من سماع هذا الأتي . إن الشاعر يصوغ بكلماته امتزازات القلوب ورنات ما يحول من المعاني ويدبها إلى النفوس فتصو إليها ، ويدبها بين العشاق يرى كل قلبه وكأنه ينظر في سماء يرى فيها صورته ، وذلك لا يكون إلا في الشعر .

فإذا أخطأ العرب في إيمانهم في هذا النوع والإكثار منه ، فقد أخطأوا من جهة واحدة : وهي تكرار المعاني وتجليد بعضهم بعضاً في ذلك ، وطهم أن كل قلب يجب بشكل واحد ، وإن صلة الحب بتطاهر الجسم قوية متينة ، وأن المعاني محصورة في ذلك . ولكن ابن زيدون ليس من هؤلاء المفلذين ، بل من الذين كانوا يحولون حولات واسعة في الخيال ، فكان فياً ممدعاً . أرايت شعراء العرب كيف يطنون في وصف الأمكة التي احتسوا فيها مع صديقاتهم ، وهم يتخذون ذلك وسيلة لأسرى : الأول إحياء ذكرى تلك الأيام والأمكة وما فيها ، إذ كل شيء هناك كان يشهد بهم ويصف على عشقهم ، وتلك الأمكة جبة لأنها احتوت عليهم ، والأصواء التي تطلع عليهم والأشجار التي كانت تظله . والكواكب التي كانت تحس أحاسيسهم ، جذيرة بأن لا تنسى ، لأنها أثر من آثار العشق . الثاني أن الشاعر الذي يمر من التكرار ، ويعرف أن معاني العشق والحب سرها ما تفتد ، هو يحاول على شيء من المعاني الأخرى التي لها صلة بذلك ، كي يتسنى له أن يجول في ميدان أوسع ليصل إلى التعبير عن سراده ، أو يمنع القول من أن يدركها اللال . فهو يستعين بذلك كما يستعين المصور الناهر بالألوان لإظهار الصورة التي يريد أن يبرزها . كذلك كان ابن زيدون من هؤلاء العنيد أو قرياً منهم . فقد اتعاً إلى مدينة الزهراء الحمية في أيام الربيع ، يريد أن يسل نفسه ويغضب عنها من أثر حبه ولادة ، فذكر في شعر أرسله إليها كل ما كان يحيط به إذ ذاك وأبدع أبما إبداع ، واعتاد اعتاداً عظيماً في ذلك ، فقال :

« إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والأحق طلق ووجه الأرض قدرا »

وإذا كان لابن زيدون ميزة في شعره العرلى فليس ذلك في ابتكار المعاني التي لم يسبق إليها ، وإنما في طريقة تصويرها بسماءات تلك النفوس وتسل على القلوب وكأن الإنسان لم يقرأ مثلاً ولم يسمع بما يشبهها لجودة الاقتان في التصوير والأسلوب . كما في قوله :

« إليك من الأمل هذا ارتياحى وأنت من الزمان مدى القراحى » .

وقد يسمع الإنسان أتيته في شعره ، ويرى أنه للفرقة من خلال كلامه ، وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك التعلق بالنفس الذين يملآن نفوس العشاق ويمتلئ منهم راحة الحياة ولذاتها . على أنه يشهد ذكر عذوبته ويدوق الآلام بسببها . فيقول :

« متى أتيتك ما بين يراحي ومعاني » .

ولقد بلغ درجة من التميز يحمل بها القارئ على الاعتقاد بأنه علم كل الإخلاص في حبه ، وأن حبه هذا هو كل أميته ، وأنه يرى في سبيل الشق ما لا يراه غيره ، ويهون عليه كل شيء في سبيل لإرضاء حبيبته حتى حياته ، وهو غرور بهذا كما قال :

« أنى تصيح عندك أم كيف تعطف عندك . »

على أنها لا يرى ابن زيدون من التصنع أحياناً فيما يقول لأنه كان كديره من الشراء بغيره من غير شعور ، فإن تمككه من الصنعة كان يقتضي لسانه قول الشر ، كما قالوا إن السلطان أمره أن يمارض قطعاً كل منى بها ، واستحسن الخائب ، فأشأ أحياناً كأنها صادرة من عاشق مقيم ، وصنفا مدح السلطان ، فقال :

« يفصر فرك ليس الطويلا ويثنى وصالك قلى المليلا . »

وفي حش كلامه ، ما يدل على أنه كان يتصيد الألفاظ والماني التي قيلت في المتن ، يسطعها ويلبسها ثوباً جديداً وكثيراً له ، وقد مرع برامة عطيفة في ذلك كما قل :

« يا عزالا أسارنى موهناً في يد الحب . »

وهو في كل كلامه مدح مجيد متعوق على غيره ، خفيف الروح ، هذب الألفاظ ، سهل الأسلوب . أما توبيته التي أرسلها إلى ولاده وشها كثيراً من شدة ورده وآرائه المختلفة . هي على شهرتها وحالها ككل شعره ولذلك لم نذكرها .

نثر ابن زيدون

اشتهر ابن زيدون برسائنه الحدية والمهرلية . أما الأولى فهي التي كتبها في سببه يستطع بها ابن جهور وأما الرسالة المهرلية فكتبها على لسان ولادة يتبهم على ابن هندوس ويبدل منه لمشاركته في عرامه . اشتهر ابن زيدون بنائين الرسائلين لحودة أسلوبهما النادر المثال ، واختلافهما على كثير من الأساء التاريخية والأمثال المرمية ، واقتباس أبيات من الشعر معروفة وقت في صوغ الكلام وكأشها حملت من أحله ، أو قيس على سببه ، وليس من السهل اقتباس النثر في أمثله ، ولا من الجيد أن يحرض الإنسان لهما الأدب الواسع وبسبب عليه الاختيار منه ، ويعطى نفسه من الصلال في واهية ، ويميز بين الجيد وغيره ، ويختار ما يناسب المقام ، ويكون ذلك معولاً لدى النفس ، ثم يصوغ ذلك كله في قالب واحد ويصنع بعض أحراره إلى مصفا ، ويعصمه كما يعصم الربد ، فلا ينفار منه جزء مع آخر .

إن الكلام على هذا الحول أصعب من الابتكار في التأليف للتدأ ، وكما قرب إلى القارئ الأسلوب وصعب عليه معرفة تأليفه ، شعر بسعة اطلاع الكاتب ، وأجبر به وكبريت في عنه مبرته ، وكما فاحأه اسم لم يكن يحظر له نال ، أو رأى عاب من ذهنه ، أو تلميح إلى قصة لا يخطر أن تذكر في مثل هذا الكلام ، أو هارة تحرك من نفسه حب الاستطلاع ، أو مثل القبط به ، أو ذكر رجل شهير يحمده ، أو نكتة تدر بها نفسه ، أو مسألة مية يرتاح لها ويمتد بدكرها ، واد انجابه بالكاتب وما كتب ، ورأى أن كل إنسان غير قادر على ذلك ، وأن هذه صفة يختار بها الكاتب عن سواه . كل ذلك في نثر ابن زيدون وهو من دواعي الإيجاب بأسلوبه في رسائله ، هذ عرف كيف يأتي في كتاباته بالتناسق في الماني والألفاظ ، بل عرف أن يأتي بهذا التناسق في التأليف والجمع ، وكيف يتعمد كلام غيره ويرصفه رصفاً جيلاً ، كما أمكنه أن يرسم لنفسه منبهاً جم فيه كل مطلوماته ، واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه ، فكانت رسائله أيقنة

جميلة ، وكان كالمهندس الماهر الذى يعرف كيف يجمع بين البحر والمحرم ، وللصور الفنان الذى يؤلف بين اللون والوقت . ولقد حاول ابن زيدون فى رسالتيه الوصول إلى غرضه ، فلم يدع وسيلة ما يحسم بها للمضى فى نفس القارئ لتفتل عليه المثاني ويكون غرضه أوضح ، ورأيه أظهر ، إلا أنها ، ككل ما ذكره من الأمثلة الملتصقة والماتى المختارة قصد به توصيح ما يريد .

فى رسالته الجديدة أراد أن يستعطف ابن جهور ، ويرى نفسه مما اتهم به ويكمل بأعدائه ، فبدأ رسالته بالاستعطف وهو يستدل به تارة ، ويمدح ابن جهور ويظهر إحلاصه له ويتعلق إليه أخرى ، ويحتذر عنه فيما وقع منه فى حق ، ثم يبين له شدة ألمه من شجاعة أعدائه ، فقال :

« يا مولاي وسيدى الذى ودادى له . الخ . »

ثم أحد يضل بالأمال ، ويصرى فى ذلك الأمثال ، ليسل نفسه ويهدى منها بسبارات شعرية يريد أن يؤثر بها فى نفس المرجو ويحمده على كل شيء ، كما يحمد الله على السراء والضراء ، فقال :

« هذا القبح محمود عواقبه ، وهذه البوة عمرة ثم تنحلى . »

ثم وقف موقف اللذة وكأنما يسبح الإنسان بكاءه فى كلامه ، واستصر دونه فى ساحة طهر سيده ، وفى جوار ما ارتكبه غيره من الذنوب الكبيرة ، فقال :

« وأعود ما أقول : ما هذا الذنب الذى لم يسه عموك . الخ »

والعجب فى ذلك من حضور دهنه وحده مما يدل على ثقله الشديد ، ثم أخذ صدق يبرى نفسه ، ويصبر من سيده الذى يصلى إلى أعدائه ، على ما كان له من القلة التى لم تدع عنه ذلك ، وأخذ يلوم ابن جهور لو ما لا يظهر إلا من خلال عباراته ، لشدة تحمكه من تصرف الكلام واحتراسه فيما يقول :

« فكيف ولادى إلا نعمة أهداها كاشح . الخ »

ثم ذكره بإحلاصه له ، ومدحه بإياه ، وأخذ يرجع إلى استعطائه ويعلمه ، فقال :

« وقد زانى رسم خضعتك . الخ »

ثم حادته مرة نفسه فافضل غلة أخرى ، وبين له أن مثله لا يصير على الهوان وأنه يستطيع فرائه وهو يلمه إلى مكان آخر ، ويحاطر فى مجرته هذه بما عسى أن يلاقى من الآلام مستأناً بأذنه وفصله ، فقال :

« ولسمرك ما جهلت أن صريح الزاى أن أحوال إذا بلغت الشمس الخ . »

وكأنه شعر بأن هذا يدعو ابن جهور إلى أن ينسى استعطائه لما يظن فى هذا الكلام من عجب ابن زيدون بنفسه ، فأخذ يلفت من حديثه ، ويسكن من حياجه ، ويظهر تحمكه بجوار سيده لأنه أصل فيه لديه فى الحياة ، فقال :

« غير أن الوطن محبوب ، وللتنا مألوف . الخ »

ثم أخذ يقوى ألمه فى إجابة طلبه ، ويصرى بالأمثال فى ذلك ، ويمدح البناء فى حوار سيده بقوله

« أعينك ونفسى من أن أشبه خطا وأستمطر جاما . الخ »

هنا أكثر ما فى هذه الرسالة الجديدة ، وأعظم ما فيها تأليفاً الذى يرى من خلاله تلك النفس الحائرة المضطربة التى تبيع سريرة وتحمده أحياناً ثم ترجع وتلين ، وكأنما الكاتب فى نزاع مستمر بين نفسه وأمواله ، أو كأنه هو ونفسه قرنان ، يشتد كل منهما عند ملأه من قوة صا .

هذه صورة نفس ابن زيدون يرأها القارئ إذا قلب من كتب ونظر إلى حركاته فيه وهو يكتب أو

يسكر في هذه الرسالة . يرى نعمة الأية وهو يفر بها ويطن أنه من أهل الفضل ، ويرى نعمة للثبته ، وهو يحس وبعد الذنوب الكبيرة التي تستحق مثل عقوبته ، لا يريد أن يقول هذا ظلم ، ولكن يريد أن يقول هذا حق وحق في الرأي ، ويرى نعمة الكيفية التي أحسنها الاكدار فقلت وأخذت تستصنف وتستشعر وتتملق ، يرى الإنسان كل ذلك في هذه الرسالة ، ومن هنا جالها وإدخالها . لا ما بها من الأسلوب البليغ أو الصارات المختارة لا غير .

أما رسالته الثانية التي كتبها لابن عبدوس من لسان ولادة ، فقد دلّ فيها على اطلاع واسع بالأمثال والأخبار ، وعلى باع أوسع في المعاني ، لأنه أقنع في ذم ابن عبدوس إقناعاً ، وتكملاً به تيكماً لا مثيل له حتى إنه ليحب إلى الإنسان أنه جمع كل ما يمكن أن يقال في الذم والتهكم وأمره على ابن عبدوس واستعمل أسلوباً جليلاً خلافاً يضل على تمكنه من التصرف في الكلام ومعرفة امتلاكه عقول القراء ، لأن هذه الرسالة على ضوئها وكثرة الاقتباس فيها الذي يستغرق أروسة أحاسنها أو أكثر ، وعلى ما فيها من الأمثال المعروفة والآيات المشهورة ، والاطلاع في ذكر الأسماء التي يكثر منها القليل ، ليس فيها ما يدعو إلى الملل ، ولا ما يستحق الاستهجان والانتقال . على أن بها شيئاً كثيراً من تلك الصيوب ، قد ذكر أكثر من حين اسمها المشهورى الرجال ، مردها سرداً ، وكان يكثر صغرها ، وأكثر أيضاً من صفات الذم مما كاد يكون ثثرة ولو ، ولكنه يستر كل ذلك مراعاة في الصناعة ، وليس أدل على حياء الطبع وغلظه من هذه الرسالة ، فقد ابتدأها بسعادة مادرة ، ولكنها سعادة أديبه فيه فقال :

« أما بعد أيها العاص سقاه الخ »

وسار على هذا النحو وأكثر من ذكر هذه الأسماء ، ثم أقنع في القم والحسن في صفاته فقال :

« وهما لم تلاحظك حين كاتبة من عيونك ملؤها حينها حس بها من تود . الخ »

واحتدر على هذا النحو إلى آخر الرسالة يصعب الأمثال للاستهزاء والتهكم ، ولقد كشف ابن زيدون في هذه الرسالة عن نفس حقودة محبة للانتظام وأنه شديد الحفيظة ، ودل على غلظة في طبعه ، وحسونة في أخلاقه مع ذلك فهي رسالة تارة أسلوبها ، وتأسق عباراتها ، وأمل أن زيدون أحد هذا الأسلوب عن الحافظ في بعض رسائله ، كما في رسالة الترميز والتدوير .

٢ - دراسة الأستاذ السكندري

عقله وأدبه وبديته :

نشأ ابن زيدون في عصر احتل فيه ظلم ملك بني أمية لجأه ثورة البربر للشووية ، وفات هذه الثورة وآثار المصاردة في كل شيء من علم وأدب وهون صاربة مجرأتها في قرطبة ، فكانت فية بالطاء ، والفتقاء والقويين والشمراء والمحيين في كل صناعة مما يتنوا في عصر المنصور الهوى* ، فصادف ابن زيدون من نيل من علمهم وكرم من أدبهم ، وكان أبوه وعديته من أهل الفقه والأدب فلم يكن إقباله على ما أخذ به أهلوه أنفسهم يدعاً من نفسه ، وإنما جرى من مضاهوم فزهم خطاً وأدياً ، وسد بيت وطو همة .

كتابة ابن زيدون

(أ) طريقته فيها :

كانت طريقة كتابة الأندلسيين منذ عصر الناصر والمستمر جارية على أسلوب ابن العميد وحلبته من أمثال صاحب بن عباد والبديع والحواروي والصابي ومن تابعهم من أمثال الحريري والصادق والاصفهاني ، وكان الكاتب الأندلسي الذي يسبح على منوالها ، وإن حلّ المأثور من السطع وضرب بعض القرآن والحديث لا يملأ ذلك على قوله فتفقد فيه صورة نفسه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التثبيبات الزائفة والتعطيلات الحسنة ثم هو لا يخرج عن التزم السجع طائلاً . وابن زيدون رضي هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فأما ما رماه في كتاباته منها فهو :

- ١ - حل النظم من مشهور الأبيات .
 - ٢ - الاحتجاج والاستشهاد بكثير من هذه الأبيات مستصلاً لها استعمال الأمثال ملائمتها إلى قائلها .
 - ٣ - الاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث بملطفاً أو تغيير بعض لفظها .
 - ٤ - تضييق الحكم والأمثال بلفظ أصحها أو تغيير في لفظها .
- ولما ماخلف فيه فهو :
- ١ - عدم التزام السجع
 - ٢ - الاستكثار من أمثال العرب القديمة استكثاراً كاد يسد قوله الحاصل بجمانه صائلاً وبخاصة العرب من هذه الأمثال .
 - ٣ - الاستكثار جداً من ذكر أسماء رجال التاريخ المشهورين .
 - ٤ - الاستكثار جداً من أسماء الوقائع الشهيرة في التاريخ .
 - ٥ - الاستكثار من الحيل المتراكمة على مثال واحد في المعنى الواحد حتى يتكون منها فصل طويل يشتمل مرافقاً كثيراً من الرسالة لو اقتصر على مقرة واحدة من الفقر المتكررة في المعنى لترك الرسالة إلى عسها أو سدسها . وهذه الطريقة عبت على كتابته وهي على رساليته الجدية والمهرية أغلب ولا سيما المهرية .

(ب) ميزته فيها :

اشتهر ابن زيدون عند المعاصرين والمشارفة بأه من علماء الكتاب والشعراء ، فأما الشعر فلا جدال في استحلاله ، ملائمة ذلك للصحة النافع فيها تاويل وتحليل يخرجان عن حد بلافة الكتابة في ذاتها إلى أمور غلوحة من جوهر الاجادة ، وذلك أن كتابته اشتهرت بين الناس لأسرinen :

أولاً : أنها ليست على منوال كتابة الأندلسيين في عصره بل هي مخالفة لها في بعض الصور ، وصندوق الصل المخالف لصل الناس من وجل متوسط في الحال لاقت بدائه للألفاظ ، بأمر لغوس ، فكيف به لو صدر عن ذي شأن غيب بمنصب رفيع ونسب مهين ، وصيت فاضح في السياسة والأدب والشعر وحسن المعاصرة والمدامة .

وثانياً : أنها بأهارة لامعائها وروعة أساليبها وشدة حوكمها في نفس قارئها بل بما اشتملت عليه من وفرة التضمين والاستشهاد والواقع وأسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في الإهدور ، ويهده

بطول الباع ، وسعة الاطلاع ، ويكبر من شأنها ، إذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بتأثير
الأقوال ، مرمزة بكثير من حوادث التاريخ وأسماه الأبطال ، بحيث إذا حفظ قارئ متأدب الرسالة
أودعت صدره زبدة اطلاع كثير وبخت طويل ، فكان شهرته آسية من طريق التتبع والتعليم ،
فتكون في الأدب أشبه بحق من متون العلم كثير المسائل والاحكام وحيز العبارة ، وهذا السبب بينه هو
سبب شهرة مقامات الحريري ، وبسبب القاصد المخترة على كثير من أسماه الرجال وحوادث التاريخ والحكم
والأمثال ، كقصيدة ابن دريد ورواية ابن عسود في رثاء دولة بني الأفطس ، ونونية الرندي ، ولامية
ابن الوردى ، ونونية الباقى ونحوها ، وكلها عطية الأثر في التعليم والتأديب وسرعة التوفيق على
أكثر ما لا يسع الأديب جهله في لفظ يسير وزمن قصير ، لاقى لافقتها ذاتها وحسن تأثيرها في النفس حتى
تشبع النفس لهاها ، وتقل على قائلها ، ولذلك تجد رسالة ابن زيدون الجدية التي استعمل بها جهورا
لم تؤد ما وصفت له . ولا نرى كلاما هذا أن الرجل كان قليل الخاطر ، أو صنيف الارتحال ، فكل
من تعرض لذكر أخاره يصعبه بقوة المارسة ، وسرعة النسيان والارتحال ، وأنه كان في مجلس ولادة
يرحم على اللطعات الشعرية اللينة ، ويحاضر بالكلمات البادرة والأحوية المسكتة ، ودين بسبب حرمة موقف
قناس يرمونه على اختلاف طبقاتهم فما أحاب أهدأ بما أحاب به غيره ، وذلك غاية لا يدرك .

وإنما خلق الرجل شاعرا مطبوعا ، واسطرته الوراثة إلى التزسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر
أحببه منها بالنثر ، وأكثر الفاربة لا يتحدثون إلا في شعره على عكس الممارسة .

رسائله الجديدة

هذه الرسالة أشهر رسائله وأبلغها ، وأكثرها فائدة على المتطبعين الذين يحفظونها لرواج صولها وتعدد
الأفراض التي رمت إليها ، والمعار التي لوح بها على ما أنشأه من أمل كاتبها ، وما حوته من روعة
التأثير في النفس . وهذه الرسالة ستبها من السحر إلى جوار يستطعم بها ولكنه منح الاستطعام
بكثير من الزهو والامثال ، واستطاع القاصد على ديب متوهم على طريقته الكتابية التي وصفتها آنفا .
ولذا حفظنا هذه الرسالة إلى حاصر الأفراض التي تألفت منها وجدنا أنها لا تمدو عمرة أفراض تؤدي في
عمرة أسطر إلا أن كثرة الجمل المترادة الأسلوب بالصورة زادت في دفعها طولا .

وذلك أنه لم يداه بأقليل السيادة أولا ، ثم اعتذر له من نكته إياه مد ما أحس الجلب له الإنسان بصدق
خدمته له وثمة عليه ، بأن عمل الخير قد يعود على صاحبه بالنثر ، وأول هذه اللقاة بأنها صادرة من
حسن نية وقصد تأديب ، ثم أخذ يقرئ القاصد ، ويستطعم هذا القاصد الذي كان يصعبه كليا لروح الأبالسة
وكبار الفتاك والمخارجين على الأنبياء والأئمة والدين ، مع أن اللقاة لا تخرج من وشاية حادس جهور
لم شك في الذي نوه بذكره ، ثم أخذه الزهو فذكر أنه كان في مكتته أن يستبدل بخدمته خدمة من
يرحب بمن للذك ، غير أنه من عليه مغارة وطه ومولاه القديم ، ثم هوذمه من أن يكون معه كالستجير
من الرضاء بالنثر ، وناشده التي حتى توقع المكافأة ، ثم استلم نثر هذه الرسالة ورأى أن يستعملها
بقيمة ، فكانت هذه في رأينا آفة لفظ ، وأهذب مودعا ، وأطبع الساقا .

« ثم أورد القصيدة وقال : »

محاسن هذه الرسالة ومعاييرها

لا ريب أن مكان هذه الرسالة من الأدب العربي مكان للثهور المأثور المحفوظ في الصدور المحل في السطور وذلك لأمرين :

الأول : أنها جراب أدب حاولت بمناهج مختلفة من هيون مواد الأدب بما صنعت من اقتباس التراكيب والحديث ، والأمثال ، والحكم ، والآيات المصهورة ، وحل نظم الكثير منها والإشارة إلى ما فيها من وقائع التاريخ المهمة التي يجدر بالأديب معرفتها والاستفهام بها .

الثاني : حسن ملائمتها بين هذه الصنوف وحودة وصلها وجمع شتاتها في موضوع واحد مما يسر على غير خلق التوفيق بين متباينة ، وعمل نعلها غريباً ونسجها جيداً .

الثالث : حفاة عبارتها وبرالة لفظها في كثير من مواضعها وخاصة ما استقل به كاتبها معنى وإنشاء . ولكننا لما نظرنا إليها بعين البائد وأصا البحث في بلاغتها أي مطابقتها في سانيها ومبانيها للتقضى الغرض الذي وصفت له ، وهو الاستطاف ، وجدنا أنها تقرر دون بلوغه لجة أمور :

الأول : كثرة ماردة كاتبها فيها من عبارات الاختنا على مولاه بطول ثأته عليه وحسن سابعه عنده وعظيم بلاه في إفامة دوله مما يهده الرئيس عادة تبييراً وتجييماً .

الثاني : تهديد مولاه بأنه لولا حب الوطن لكان له أروع مقام في خدمة غيره من الملوك الذين يتسارعون إلى الترحيب به ، ويقاسمون في استخدام أمثاله .

الثالث : أن وصفا بهذه الصورة يجعلها غير كافية فيإنجاح الغرض الذي وصفت له (وهو تحريك عاطفة للرحمة والنعو) بما يصرف نفس قارئها عن أن يتأثر ببلاغتها ويتغلغل في ذكر الحوادث والتفصيل التي أتت عليها ، وأسماها الناس ، ومضرب الأمثال ، فلا يفرغ القارئ من معرف اسم رجل حتى يقع في مصرب مثل ، ولا يخلص من تفهم شاهد حتى يتفهم في أوامر منه ، فينظم فهمه ، ويقتلث تأثره ، ورائعاً يأتي التأثير من اسباب حمرة من الانحداعات المتكررة ، بكثر الببارات البليغة المؤثرة ، صحت بمحبوها أقرأ كياً في النفس ، حشيش الشفقة ، ونش للمعو ، ويمثل ذلك كال الإلقاء للبرقش بكثير من أنواع البديع غير مؤثر يلافتة ، لفظه الدهن عن التأثير ، وصره إلى تمهم البديعية .

ومن هذه الوجهة ترى أن رسالة ابن زيدون ليست مثالا يجتدى للإثناء الطبع للوثر في النفس .
الزابع : وقوع بعض جهوات له ذكرهما الصلدى كاحتياج فطارما إلى ذكر طار بهد تتم معناها وتنفهم بها مع ما يهدما (وهذه ضرب صلفاً عن ذكرهما) وكبس أخطاء في اللفظ والوقائع (وهذه تثير إلى بعضها ، ومن أراد سراجة الجميع فليبه بهرح الصلدى) .

لن هذه قوله (وتأولت في يمة القبة) وسباق كلامه في هذا الفصل يقتضي ذكر أسما أناس منكرات يراً هو أن يكون منهم ، ولم يتقل أحد من أهل الأثر أن أحداً من باع فيها تأولها أو نكتها .

ومنها قوله . « وتخلت عن الصلاة في بي قريظة » ولم يلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنكر على من تخلف عن صلاة الصلوة في بي قريظة وصلافا في الدري بل أقر الجميع على عملها وحد ذلك من اجتهاد الصحابة .

ومنها قوله « وزعمت أن يمة أبي بكر كانت لفة » مع أن قائم هذه الكلمة عمر بن الخطاب ، ولم يقلها عن إرادة سوء فلا يلبي أن يثبت به في أعمال الجناة .

ومنها قوله « وكنت إلى عمرو بن سعد أن جسد الحسين » مع أن المكتوب إليه الحرث بن يزيد التميمي لا عمرو بن سعد .

وقد أتى الصنفى على عيوب آتية من تصحيف أو سوء تأويل منه هو ، أمرنا عنها خوف التناول .

رسالته الهزلية

كان الوزير أبو عاصم بن صدوس يخاص ابن زيدون في حب ولادة ، فاتفق أن حدثت وفاة بينهما ، فأرسل ابن صدوس إليها امرأة من صواحبات تبتليها إليه ، وتذكرها بصله وأدبه ، فحدثت ولادة للمرأة الحليمة ، وكنت ابن زيدون إلى ابن صدوس عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه وينكم ويهجو ويوعده . وى طناً أن ابن زيدون كتبها من نفسه تشفياً من ابن صدوس لا عن رأي ولادة ورواها عما ألتفت فيها وأقنع .

والرسالة كما عتقا في عدة أعراسها وتكرار أساليب صولها ، وذلك أنه بدأها بوصف ابن صدوس بأوصاف الخلق والمجلاء منكرأ منه إرسال خليته إلى ولادة ، ثمثية عليه ومرغمة فيه ، واصفة له بأوصاف أعيان الرمان من اللحاء ، والأدهاء ، والأطباء ، والفلاسفة ، والشعسان من فلان وفلان ، وإن ولادة طردتها أشنع طردة ، ثم أحد يهجو بأوصاف في الخلق والخلق ، وإن ولادة لو أرادت الرجل لكان لها من الأكفاء من قومها وأعيان رماها من بصله ساً وشرماً وحالاً الخ .

٣ . دراسة الأستاذ علام سلامه^(١)

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جالب بن زيدون المرومي القرطبي كان من أبناء وحوه الفقهاء قرطبة وبرز في الأدب والقصود ، مم عليه فصل ، وداع صيته ، وارتفعت مكانته ، واحتسب به أبو الوليد ابن جهور أحد ملوك الطوائف والتمهده وديراً وأشد عليه في العبارات نيه وحين ملوك الأندلس ، فأعجب القوم به ، وتموا إليه لإبهم إبراهيم ، وحسن سيرته ، واتفق أن تم عليه ابن جهور وحببه ، فاستعظمه برسالته السابعة وأماها طم يس ذلك عنه شيئاً تحيل لعمه حتى تسال من حبسه واتصل بالمعتصم بن عباد صاحب إشبيلية سنة ٤٤١ هـ ظل منه عمل السوءاء من أهوآد ، واستخلصه استعلاص للمعتصم لاس أنى دؤآد بحاله في حوآته ، ويركن إلى إشارته ، ولم يزل هذه وعند انه المعتصم قائم الحاء وامر الحرمة حتى توفي سنة ٤٦٣ هـ وكان له ابن يقال له أبو بكر تولى ووزارة المعتصم ، وقتل يوم أحد يوسف بن تاشفين قرطبة سنة ٤٨٤ هـ وقد أتى عليه ابن يسام في السيرة قوله : كان أبو الوليد غاية مشور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني محروم ، فاق الأنام طرا ، ووسع البيان ظلاً وشرأ ، إلى أدب يس لحر تفتقه ، ولاقدر تأله ، وشر ليس لحر بيان ، ولالنجوم الزهر اقتراه ، وحط من لنتز غرب اللاني ، شعري الألفاظ واللاني .

وجما يحكى عنه في سمة البيان والفترة على التفتق في أساليب الكلام أن اخته توفيت موقف للناس عند منصرفهم من الجلزة ليشكر لهم ، فآ أماد عبارة قلها لأحد ، وهذا يجب لداية ، ولا سها من عزون ضد قلانة من كبده :

« ولكنه صوب القول لدا انبرت سحاب منه أعقت بسحاب . »

كتابه

كان ابن زيدون مع صفاء قريحته ، وقوة سليفته و البيان يؤثر الرواية والثاني لنسج القول . وكان مع سمة روايته الفنون الأدب عليها بأخبار العجم والغرب ، متسكاً من كل ما يميز الأدب بسبب ، وليس بدءاً أن يكون لكل أولئك آثار و كتابه ، وليس بدءاً أن لم تكن كتابته عفو الخاطر السامع ، ولا وحى البديهة البادرة ، ولا صرامة صر الحبيب ووليدة التكلف ، قد جاءت خلاصة الرواية المحسنة تؤيدها قوة الطبع ومصانة التلميح السديده ، يؤازره لطف الذوق ، كما جاءت سبكاً رائحة صانها صنع من مبتكر للماني الساهرة ، ومستل الأمثال السائرة ، ومتقن الآيات النادرة ، ورسماً غرائد من أخبار الناس ونوادر الحوادث . ولئن كان البدء قد فاته و استرسال الطبع ، ولطف الخيال ، ورشاقة اللغز ، لقد فاق هو البدء في متانة الباني ، والتحمل في نواحي اللغز ، والصر بمواضع الاقتباس ، وتوشية الرسائل بأخبار الناس . أما أوضح ميزاته طعنة الألفاظ في غير كرازة ، وطول الأسلوب في غير اعتساف ، ورصانة اللغز في غير حفاف ، والتأليف في جمال الخيال وحلال الحقيقة .

ومن غاين رسائله رسائله الهدية والمرية وكتابه غرّة في حين الآداب العربية ، وقد هي بمرحبا كثير من الأداء . أما شعره فله دياحة رائحة ، وصياغة بارعة كما هو شأنك للتصان ، أو حقائق الأزهار ، إذا سب أسلاك صاحب بنية ، وإن مدح حظه شاعر مريته ، ومن مقطعاته التي تشهد له بمجودة الطبع ، وإلهام الصبغة قوله :

« بيني وبينك ماوشئت لم يجمع سر إذا داعت الأسرار لم يدع . »

ومن شعره الذي يحتلظ بالروح رقة ، وبالحواء لطافة تصبغته التي كتبها إلى ولادة التي كان شديد الكلف بها والقيام محبا يستديم عهدا ، ويؤكد ودعا ، وفيها يقول :

« أفضى الثاني بديلا من تدانينا وذب من طيب لثاباً نحافينا . » الخ

وقد سبق أكثر هذه القصيدة لزاحتها ، وقد منى من شطورها ابن الوكيل في موشحة ، وسدسها بمس أداء المغرب .

٤ - دراسة الأستاذ أحمد زكي باشا

أولية ابن زيدون

كان في جمة القبائل التي دعت إلى الأندلس وحط من بي غزوم توطنوا في جهات قرطبة وما إليها ، وتاهيك بهذه القبيلة ذات الشرف الصميم ، والسان القويم .

فكان بنو زيدون من رجالاتهم للعدودين ، خصوصاً في اللغة والأدب ، واشتهر منهم ثلاثة حفظ لنا التاريخ أسماءهم ، وهم :

(١) أبو بكر طاب بن زيدون

(٢) أبو الوليد أحمد بن زيدون

(٣) أبو بكر بن زيدون

كان مولد الأول في سنة ٣٠٤ ومات سنة ٤٠٥ بعد أن بلغ من العمر مائة سنة . توفي في ضيعة له . ثم هُجروا تابوته إلى قرطبة ، فدفن بالرئيس (أي الصاحبة) .

ومناك رثاء أبو بكر عبادة الشاعر الأندلسي بما يرمدا به قومه في قوله :

« أي ركن من الرئاسة هبنا وجوم من المكادم هبنا

حلوه من بلدة نحو أخرى كي يواووا به تراه الأريضا

مثل حل السحاب ماء طيبا لتداوى به مكاناً مريضاً . »

وأما ثانيهم هو واسطة المقد ، والذي يدور عليه كلاما . والثالث هو الذي هلك بعد أبيه (أن الوليد) ووزارة للعبد بن عباد ، وانتم لأبيه من دى الوراقين ابن حمار ، وكان أبو بكر ههنا هو الذي تولى السفارة من ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الأقصى حينما تنمر الاسمايون مع ملكهم الإدوموش (الفرس السادس) ملوك الطوائف ، وحسبوا لى عاد في غلب يطول شرحه ، ولا يسع المقام تلخيصه .

من هو ابن زيدون ؟

هو ذو الوراقين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد بن زيدون المرومي الأندلسي . كان مولده قرطبة في سنة ٣٩٤ هـ في الوقت الذي سرى فيه الاحتلال في جميع الخلافة الروانية بالأندلس بعد أن بلغت من الحد نهاية الهبات ، وأدركت من اللجاجة ما لا تصدق منه الروايات . في ذلك الوقت تحلت عرى الدولة ، فاهتم المسلمون على أنفسهم ، وتحادفوا ، واستقصروا أعداءهم على بعضهم بعضاً ، وسلبوا البلاد والقلاع والمقصون واحداً تلو الآخر إلى أعدائهم وأمدتهم بالمعونة على إحواهم ، وهكذا حتى أودت تلك الفوضى بدلك الملك الكبير ، ثم أتت على القوم ما كلهم فأصبحوا حبيراً سعد عبي . تتبادل عنهم بقولنا كيف وأين ؟ في تلك الأيام استظهروا على شهادتهم بحر ديولها ، وامتزوا بظلالها من أحلاف أباطيلها . حتى انتشت عصاهم ، ودارت بدائرة السوء على الجبهة راحم .

كان ابتداء الاضطلال والاعمال من أول يوم جلس فيه للمستعين على عرش الخلافة في منتصف ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ .

قد كانت أيامه كلها كما وصفا ابن حيان الأندلسي « شتاداً بكرات ، صاناً مششومات ، كرهات للبداء والمانعة ، قبيحات للنسب والمانعة ، حاقدة فيها حيف ، ولا ورق حوف ، ولا من سرور ، ولا فقد غمور مع تير السيرة ، وحرق الهبة ، واشتغال الفتنة ، واحتلاء السمية ، وظن الأمن وطول الممانعة ، دولة كلها ذما أنها تمحست من الفاقة الكبرى ، وآت من القى بسدها إلى ما كان أعصل وأدهى . مما طوى بباط الدنيا ، وعفا رسمها وأهلك أهلها ، وإذا أراد الله شيئاً أمصاه . »

وكذلك لم يكن في المستكى أدنى كفاية للخلافة . وإنما أرسله الله على الأمة عنة وبليّة . إذ كان منذ عرف منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، غافلاً عن كل حيلة تدل على فضله ، صمت الفتنة فأمعن ، وهلك حتى أماته أمه ، ولقد رآه أبو حيان مؤرخ الأندلس للجمهور أيام الحيف بأهل بيته في الدولة المودية ولم يكن من خلفه الاحتال منهم تركا كته . كان يقصد أهل الفلاحه يومئذ بحرطبة أوائل منهم لملتهم بأهلهم من زكاتها . قال « وقد أجم أهل التحصيل أنه لم يجلس في الإمارة منذ تلك الفتنة أسقط منه :

ولا أحمس . إذ لم يزل معروفاً بالتحط والركاكة ، مشتهراً بالعرب والبطالة ، سقيم السر والعلانية ، أسير الشهوة ، عامل الخلوة . »

فذلك الوقت هو الذي أشار إليه ابن حزم بقوله :

« عصبة لم يقع في البحر مثلاً ، أرضه رجل في مسافة ثلاثة أيام في مثلها ، يسمى كل واحد منهم بأمر المؤمنين ، ويخط له في زمن واحد : أحدهم حلف المحصر بإشيبيلة على أنه حشام بن الحكم اللؤي . والثاني محمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة المحصرة ، والثالث محمد بن علي بن حمود بمدينة مائقة ، والرابع إدريس بن يحيى بن علي بن بستانه ، تلك هي الأيام التي نرى العرب والبربر فيها في حصار مستديم ، وكان كل من الفريقين منتصباً على نفسه ، وكان الجميع في حلاف مع أمل للعرب الأقصى من الجنوب ، وفي حروب وخطوب مع بقايا الأمم الآسيبية من الشمال والغرب . في ذلك الوقت نصيب تهرق أمل الأندلس قرناً . وتلب في كل حجة منها متطب . وهم الذين عرفهم التاريخ باسم — ملوك الطوائف — وقد أرادوا أن يضعوا أنفسهم وممالكهم تحت سوا ألقاب الخلافة ، كما تهاوا أشلاءها . فكان منهم المعتضد ، والمأمون ، ولؤلؤ بن المستنير ، وللقدر ، وللمعتمد ، وللموفق ، وللموفق . إلى غير ذلك من الألقاب الخلافة . حتى قال في ذلك أبو علي الحسن بن رشيق ببين سارا سير الشمس ، وبقياء البحر ، وهما :

« مما يزهدني في أرض أندلس سماع معتد بها ومعتد

ألقاب مملكتها في غير موضعها كالمريحي احتاخاً صولة الأسد . »

فكانت طرطوش ، وسرقطة ، وافرغة ، ولاردة ، وحلمة أيوب في يد بني حمود . وكانت بلنسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز ، وكان الشرقي موقوف طليطلة في يد بني دي الكون وكانت قرطبة في يد أبناء حمور ، وكانت اشبيلية في يد بني صاد ، وكانت مائقة والجزيرة الطلعة وقرطبة في يد بني رزال من البربر ، وأما للمرية فكانت في يد رهير العامري الحادم ، ثم حيران العامري الحادم ، ثم ابن صنادح وكانت دابية وأملها والجزائر الشرقية (البليار) في يد مجاهد العامري ، وكانت طليوس وبطنة وشترين في يد بني الأطلس ، فلاحظ إذا كثرت الورداء في تلك الأيام ، ولاعب إذا كثرت أيضاً ذوات الوزاريين ، فالناس على دين ملوكهم ، فكان كل من امتك مائة كيلو مترات في مثلها يمد يده سلطاناً كبيراً . ويحصد من الحاشية ما يصارع به أبهة الخلافة وقد كان يهضم بها قريباً — فكثرة ضد الورداء ، وكثرة بينهم الذين يملكون أنفسهم بدى الوزاريين .

ومن الطبيعي أن الرئاسة إذا انحطت عن حالاتها نجا الرؤوس في السقوط ، فلما نالت الخلافة في الأندلس صارت الورداء أيضاً في دولتها الموان . فإن المسعين الذي ذكرناه قال بعد أن جلس على عرش الخلافة الناس أجمعين . ارتدوا كيف شتم ، وارتدوا بما أحببتهم من الخطط ، فسمى بالورداء مفردة ومثناة أرادله الدائرة ، وأغابت الظفار ، فضلاً عن زعامة الكتاب والحكمة (من ابن بسم) وصارت هذه الزمة تحط مع انحطاط الدول ، حتى نزلت في أواسط القرن الثامن للهجرة إلى المرحلة التي وصفا لنا ابن فضل الله العمري حيث قال :

« سألت الشيخ العلامة ركن الدين أبا عبد الله بن التوم ردة الوزير بالعرب ، فقال : ليست بطائل ، ولا لصاحبها شيء من الأسر . بل هو كالجلجوش يخرج من قدام السلطان يوم الجمعة : حقيقة دون السمعة » وقد استبد هؤلاء الرؤساء جديراً ما تغلبوا عليه من الجملات ، واعتطلت الدعوة للخلافة ، فلم يبق لخليفة

هاشمي أو أموي ذكر على منابر الأندلس خلا أيام سيرة دمي فيها بإشيلية هشام للوزير بن الحكم (أو لحسن شبه له) حينما انتصت الحيلة، واسطر إليه التذير. ثم انقطع ذلك، فأشبهت حال ملوك الأندلس بعد الفتنة حال ملوك الطوائف من الفرس بعد قتل دارا. وحال قواد الاسكندر بعد وفاته. ولم يزل هؤلاء الرؤساء في اقتتال وتغافل، يستعينون ببدوهم حياً بميل ثمة إلى هذا وطورا إلى ذلك حتى اختلت الأحوال إلى أن تولاهم الشعب فاستنصروا بالبرابطين فانظلم الظلم، وعادت للياء ذاربا. ولكن إلى أجل معين. ثم عاد الانشقاق والاضرام، فأنعت كلمة الاسلام، واسطأ ذلك النور، وباد القوم من أنحرهم في سنة ٨٩٧ هجرية. بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون. لأن دحوهم كان في سنة ٩٢ هجرية على يد طارق بن زياد.



رصدت الستار عن هذا للنظر الموزن ليكون لكم ولأهم للشرح تذكرة وهجرة. خصوصاً في الأوقات الحاضرة، والآن أقول لكم إنه على الرغم من توالي انخف. واضطراب الأحوال كانت سوق الأدب رائحة وبصافته ناضرة. بكل أمير، وكل وزير، وكل كاتب، وكل وجه كان له من الأدب نصيب وامر. حرما من تسليم الأندلس بين ملوك القوافل أن سي جمهور استبدوا بقرطبة وأن سي عباد استأثروا بإشيلية، وفي الملكة الأولى دوج دو الورلزيين ابن زيدون وترى وطهر صله. وفي الثانية قصي بقية أئمه في العز والكرامة. وكانت بها وفاته في محرم سنة ٤٦٣ هـ على التحقيق الفتيق كما من عليه ماصره ابن سام ولاهجرة بالأقوال الأخرى من وفاته. لأن الذين قالوا بوفاته في سنة ٤٠٥ هـ خلطوا بينه وبين أية قاتب ابن زيدون.

اشتغل ابن زيدون بالأدب، ولحن من كتبه، وعب من دقائقه. إلى أن رجع وبلغ من صناعتى الشعر والتنظيم المبلغ الطاق. حتى قال فيه ابن بسام:

«كان أبو الوليد حاية مشور ومنظوم وحائمة شعراء سي محروم... الخ.»

وما هم أن أصبح في الأندلس «مقيم ذلك المي، وعاشق ولادة لامي، راد على مجون ليلي، وقيس لبي، وابن أري ريمة صاحب القزوا، تركه هواه أنحف من قلم، وأشهر من نثر على علم. وله مع ولاده أخبار ماحكي مثلها ابن أبي حنيفة، ولا الاصغاني من سكان وادى الحقيق، ولا الأصمى من أهل ذلك الفريق، أندى من ليم الصباح، وأرق من رقى العوادي في ثور الأفاح»

وإذا تصفنا دواوين الأدب عند الأمم الأخرى لا نجد له شياً سوى يمولس شاعر الرومان. ونقسم حياته ابن زيدون إلى قسمين مهمين (١) في قرطبة، (٢) في إشيلية.



أولاً - في قرطبة: برع ابن زيدون في الأدب، حتى كان أبو الوليد في الأندلس شبيهاً ومثيلاً لأبي الوليد في دولة المتوكل العباسي، وقد سباه الناس بحزى الأندلس، ولقد صدقوا. فمن جهة المخطوط منه في صلاه قوله:

أخفت ثلث الهوى غصبا ولى ثلث... الخ.

ثم علم بعد ذلك بحب ولاده بنت لستكن الحليفة الأموي بالأندلس، وكانت أديبة، شاعرة، جزة القول حسنة الشعر، هائلت الشعراء، وعاجل الأديبه. وحررت مرأ طويلاً ولم تزوج قط. جاءت على خلاف

أيها وكل أوصالها . فكانت مصداقاً لقوله تعالى « يخرج الخبيث من لئيت » وقد اجتهد جليلها بمد
نكبة أيها وقته ، ضارت تجلس لشعراء والكتاب وتناظرهم ، وتناظرهم ، وتشتاق الكبراء منهم .
وكانت على خلق جميل ، وأدب نصن .

وكان لابن زيدون معاً أخبار تطرف القلوب ، وتشتف المسمع ، لأنه خلق في هواها المنزى عذاره ،
وقد شهد المؤرخون كلهم لها بالعلمة والحيانة . ولكن الشعراء في كل واديهم ، فكيف لا يبرم
بولاده أبو الوليد بن زيدون .

وللقام لا ينسج لأشعاره فيها وإشعارها إليه . ولكي آتيكم براموز ومثال ، واترك الباقي لغير هذا المجال .
ودعا ذات يوم ما تشدهما سر محلا :

« ودع الصبر محب ودعك . . . الخ »

ثم قال :

« ياتواها وصير القلب القلب مشوا . . . الخ »

ولما كان مجلس ولادة بقرطة متسدى لأحرار المر . وماذا ملعباً لحياة النظم والنثر . يمشو أهل
الأدب إلى ضوء غرتها ، وينهات أمراء الشعراء والكتاب على حلالة مسرتها ، وهي مع ذلك عافطة
على حلو النص ، وكرم الأساب ، وطهارة الاستواب ، ولتدطمع سهم في الاستتار بها دون ابن زيدون
فنازحه على حبها وزاجه في ودعا رجل من رجاله عصره ، وهو أبو عبد الله البطليوسي ، فكتب إليه
ابن زيدون يزجره بهذا الزجر :

« أيا عبد الإله اسع . . . الخ . »

ومنها الوزير أبو طاهر ابن عبيدوس الملقب بالفار . وكان من أكابر رجال قرطبة ، فاشتاط ابن زيدون
وبعث إليه بهذه الآيات :

« أثرت هزير العرى إذ دهن . . . الخ »

ثم كتب له رسالته للشهيرة على لسان ولادة ، وقد عث فيها به كما جث الجاحظ في رسالته « التريع
والندوير » بأحمد بن عبد الوهاب الكاتب في بغداد ، فاشتهرت رسالة ابن زيدون في المشارق والمغرب
وهي التي صرحها كثير من أدهاء للثائرة ، كإبن نباتة والصفدي .

وشرح ابن نباتة قد طبع في مصر صراوا . وهو في طية الحبس ونهاية الفاقة . وأما شرح الصفدي
لهذه الرسالة فلم يصل . على أن ابن عبيدوس لم يثق من محاولته . حتى تمكن من إلهاع الجفوة بين
ابن زيدون ولولادة ، واستأثر بها دونه ، فاشتط ابن زيدون والتجأ إلى قريضة الفارس ، طبع الرجل بقوله :

« أكرم بولادة فخرا لمخرا لو غرت بين يطار وعطار »

قالوا أبو طاهر أغنى علم بها قلت الفراشة قد تدلو من النار

• صيرتمونا بأن قد صار يخلطنا ميم نحب وما في ذاك من عار

أكل شهي أمهنا من أطايسه بعضاً وبعضاً صفعتنا عنه الفار .

واليد فاز ابن زيدون بماء . من إصاء الفار من حماء . بل أن ولادة أخنثت بميت بذلك الوزير . حتى إنها
صرت به ذات يوم في تربها وسربها ، وكان الهذير ابن عبيدوس حالاً على داره يستنشق الهواء الطليل ،
وكانت أمام ديرة بركة تجمت فيها مياه الطر ، وانساق إليها هيء من أقدار الدار . وكان الوزير

جالسا في أبيه وعظمت وقدره تركية ، ونظر في صليبه ، وحضر أعوانه إليه . فلما قربت منه ولادة ثالثة باسمه ، فحس إليها وبش ، واقرب من البدر طالت له وهي تنير إلى البركة : يا ابن عبدوس :

« أنت الحبيب وهذه مصر شمسها فكلما كابر » .

ثم هزت كالنهي الشارد وتركته حائراً ثاراً . باهتاً صليماً ، لا يهيم جواباً ، ولا يهي خطأ ولا مسواها ، وهذا البيت لأبي تواس تمتثل به ولادة وعظمت هذا النمل الحسن من اللوح إلى الهباء .

غير أن هذا الوزير صبر حتى خلا جو قرطبة من ابن زيدون فاستأثر بولاده وعاش وعاشت حتى بلغا الثمانين وهما يتراسلان ويرفان في ساهين الأدب ورياض الطاف .



لم يبلغ ابن زيدون الخامسة والعشرين من عمره حتى به ذكره ، وهم صيته . اصطحه أبو الخزم بن جهور المتقلب على قرطبة ونواحيها وصواحيها ونوه به لانه وآه في الأدب ، وعمدة الطرب . والشاعر البديع الوصف . ولما له قرطبة من الأنوة السلية ، والوسامة والندرية ، وحلاوة النظم ، وقوة العارسة ، والافتنان في المعرفة ، فكانت الكتب تمتد من إلفائه إلى هرق الأندلس يقول : تأتي اشيلية كتبها بالنظم الخطير أشبه منها للثبور . ثم ترقى وظالم الدولة القرطبية حتى صار إليه النظر على أهل القمة . ثم رآه ابن جهور أهلاً للورادة فراه إليها . بل حله ذا الوزراء ، فكان منه بمنزلة السكير والوزير والسفير . فحكم أفضله إلى ملوك الطوائف لأمور سياسية . ولها برات تختصها للمعاملات والمعاملات التي التي يوجبها ، أو يدعو إليها علاقاتهم أو مع ملوك الأسبانيين الذين كانوا يترصون به وبهم ودوائر السوء . فأحس ابن زيدون التصرف في ذلك . وعلم على قلوب الملوك . حتى كان كل ملك يخطب دمه . ويتنسى أن يقيم عنده . ولكنه بعد انتهاء مهمته يرجع إلى صاحبه بقرطبة وإلى محال أسسه بها . وهو به أهلها في ذلك الوقت المضطرب دالته الداخلية والمحطوب الخارجية . كانت الحاسوس لها أثر في مصالح الدولة ، وفي أحوال الأفراد .

ترك أمور الدولة وسياساتها حاشاً . وعتصر على الدائرة التي ارضعنا لافئنا الجولان فيها وهي ميدان الأدب .

وتذكر حكاية تدل على الجاسوسية القردية في تلك الأيام .

كانت بقرطبة حارية تمتد في من الترشيع . وكانت لوجها كاتمة . ولكن الخبر وصل إلى الوزير ابن زيدون ، فلم يبا به لأن القوم كلهم كانوا متسلطين في هذه السيل .

وكانت الجارية تقول الشعر لجاشت صها بيت فد وانتع عليها ما تريد . وهذا البيت هو :

« يا مصطفى عن وصال كنت وارده . هل منك لي لغة إن صحت : واعطني . »

لجأت إلى كبير الوزراء . وأمير الشعراء . وسأله أن يزيد عليه شيئاً وهي تظن أنه لا يلم بما هي فيه من الغرام . فأملك القرطاس واغضم فرصة الروى ، وما يلمه من السر للطوى ، فكتب :

« كسوتني من ثياب السقم أسبغت ظلاً وصيرت من لطف الضيق فرهي . »

.....

« جنى إذا الندى الإجلال طيب كرى جفا للثام وصاح الليل يا غرمي . »

ومن تأمل أحوال الأندلسيين رأى أنهم كانوا يبالغون في اللقب بالفرعدين في كل ما اشتبهوا به أو اشتبهوا

من أحوالهم ، فمنازلهم ومعارضهم ومنازلهم سبوا بما اختاره الصفيون في بلادهم كذلك
حاكومهم في مجالس أسمهم . وأما أقصر على ما يصلح ابن زيدون وصحبه ، وأمه ذلك بما كان في بغداد .
كان في دار السلام الوزير الهلبي المشهور ، والفاضل التنوخي ، وقد بلغنا من الكبر سنًا طاليًا . ولها ذنون
يضاء تنال على صدورهما ، وكانا يصطحبان في النهار أمور الدولة بماية الحشمة والوقار . حتى إذا جن الليل
اجتمعا في مجلس المقار ، فكانا يفرغان في أواني من البلور والفضة ، ولا يكتفيا بلادة الفراب ، بل
يسان أدفاتهما في الأواني ، ثم يرش كل منها الفراب بقطر العاشات الفريسة على صاحبه لئلا لها قدة
السكر حسا ومسي . باطنًا وطاهرًا ، ويستترآن على ذلك طرفا من الليل . حتى إذا جاء الصباح عادا إلى
أشغالهما ، الوزير في تدبير الدولة ، والفاضل القضاة في النظر في الخصومات ، والحكم على منضى القمع ،
واستترًا على هذه الحال في مساقرة للدم ، حتى وأماها الحمام .

فاسمعوا ظير ذلك في فرطية . كان للفاضل أبو بكر بن ذكوان ، من الجلالة باسمي مكان ، أدركته حرقة
الأدب ، وله في العلم باع طويل ، وكان يشبه في خلوة مع ابن زيدون ، بالفاضل التنوخي مع الوزير الهلبي ،
ومناك ما شئت من دعابات ورفافات ، وما تخيلت من فكاهات ومجانات ، حتى إذا أسبعا ، ذهب
دو الوزاوين إلى شاته في دياره ، وبكر أبو بكر إلى مجلس الحكم ينتهي الحق ، ومنى اقتراب المساء
عادا إلى النصب ، وتجاوزا في ميدانها كل وصف ، إلى أن سطا الدهر على أبي بكر .
واتفق أن مر ابن زيدون يوماً بغير ابن ذكوان في لمة من إخوانه ، وجاءه من عمار يسدانه ، صفوا
عليه مسلمين ، فقال أبو الوليد بن زيدون مرحلاً :

« الطر لحال السرو كيف تحال . . . الخ »



في أدب حر يصل إلى هذه للكافة قبل أن يصل إلى الثلاثين من العمر ، فكيف لا يكون كما كان
المتنبي حرب الزمان والدهر . ثم قد دبت غاروب البيرة بينه وبين حاسدي نعمته وسعادته ، والملاطين
والأنساد تألبوا عليه وآسروا حتى انتهوا بإذاعه في هراكم ، ونحوها لدى الأمير ابن حمور طمسه
حسبًا طالت مدته ، فكانت تلك السجون مثارا لشجونه ، بعد أن صاغ لبي جهور ولاسيما لأبي الحوم
قلائد وحرائد ، كتب إليه من السجون أشعاراً ورسائل عتاره ، فامت بها نفسه في التتمل والاعتذار
والاستشفاع والاستعطاف ، ولكن المراجيح له على مركزه في الدولة ، وعلى حب ولادة كانوا دائماً
يفودون ، بقي في السجن مدة مئيت على الحسابة يوم .

كتب لابن حمور تلك الرسالة البديعة التي طبها أحد المستشرقين في سنة ١٨٨٩ . وهي التي حررها
العلامة صلاح الدين الصفدي .

ولقد رازته أمه في سجنه . فطانتا دمتها ، فقال يحاطبها من قصيدته اللامية التي وجهها إلى
ابن حمور مستطفاً :

« ألم بأن أن يكي الصمام على مثل . . . الخ »

وما أظن وصفه لنفسه ولوشاته في إحدى قصائمه الطناتق :

« كان الوشاة - وقد نمت بأفكهم - أسباط مقبوب وكنت الديا . »

هذه الأحوال مضاة إلى نفس كبيرة تصبى مرادها الأبدان ، شيع رأس ابن زيدون وجلسه هرا قبل

الأولاد ، هدر رأى الشيب في رأسه وطأه . فبكى على نفسه وقال من قصيدة أخرى يستعطف بها ابن جهور أيضا :

« لم تطو برد شبابي وكبر وأرى برق المشيب انطلق في طأوس الشعر
قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كتب ولشبية غصن غير مهتر . »
ومعها يقول بما يرميها بأه طرف قدره :

« أجب رف على الآفاق من أدنى غرس له من خناه يالغ الثمر ؟
وسية سبها إن لا تنكس سبا هو الوداد صاعا من غير ما كثر . »

بعدنا بذلك على أن الشيب ألم برأسه وبلغيته ، قبل أن يصل إلى الثلاثين من عمره . وذلك مصداق لما ذكرناه من أنه بلغ مراتب العلاء وهو في سن الفتوة وربان الصبا ، ودكر الصلابة أمه كان يحصب السواد . ثم أنه تحيل في الحرب ونجح . فلما خرج من السس اختفى بقرط . وأقام فيها متوارياً ، ثم علم قصيدة طويلة يخاطب فيها ولادة ويستهنس الأدب أما بكر بن مسلم للشماعة ويستزل أما الحرم بن جهور ومعها يعرفنا أن مدة حبسه طعت حس سني . قال :

« سسون من الأيام حس قطعنا أسيراً ، وإن لم يدشد ولا ربط . »

والقصيدة طويلة حيلة جليلة ، ثم إنه مارال أب الوليد بن جهور يستشبع به إلى أبيه أبي الحرم ، حتى شفع له وأنتشه من نكته وصبره و صناعته ، ولما ولي الأمر سعد والده توه به وقدمه في الدين استطاع لدولته وجاهه كرامة لم تقنه ، دعوها . فلا عربة إذا كنى واستبكي حيناً مات أبو الوليد بن جهور الذي أداله من الحبس والعداب ألواناً . هـ وحد ابن سام يحط ابن حيان هذه المرتبة الديفة لابن ريدون في أبي الحرم :

« ألم تر أن الشمس قد صمها العبر الخ »

ولكننا سود إلى ولادة وسماهل هل سى أبو الوليد ولادة ؟ كلا . بل عاد إلى التردد إليها والتفرد معها ، وكان يذكرها في قرطه وراسلها بأشواره الرائعة القائمة .
ذهب سرة إلى الرهراء يتأمل في محاسنها وصفها بوله :

« إلى ذكرتك بالرهراء مشتاقاً الخ »

ثم أرسله أبو الوليد بن جهور سعيماً إلى حصرة إندريس الحسى بمالقة . فأطال التواء هناك واقترب من إندريس وخب على نفسه ، وأحصره مجالس أمه ، صف عليه ابن جهور وصبره على السفارة بينه وبين أسراء الأندلس فيما يجري بينهم من التماس والمداخلة . إلى هنا انقضت أيامه في قرطبة ، فمقد حتى أبو الوليد أن يلقى من الوليد مالا فاه من الوالد . وحينئذ صحت عريته على الهجرة من قرطبة والذهاب إلى المعتصم بن عباد بأشبيلية . فلامه بعض أصحابه على ما اضرمه من التحول عن وطنه وهجر أهله وخلاته ، فكتب إليه رسالة صافية يستدبر فيها لنفسه ويؤمل من جعلها ماضية :

« وكنت أول حبسى قد وصعت من السجن في موضع قد جرت العادة بوضع مستورى الناس . . . الخ . »
ولكن ابن زيدون كان قد داق من الشعر جلوه وسره فلم يرض لنفسه بالذهاب إلى لأشبيلية دون أن يكون على ثقة من أمره . فذلك كتب رسائل بدنية إلى بعض القريين من المعتصم ، ثم إلى المعتصم نفسه ، ليهد السيل إلى الهجرة . حتى إذا تحقق أنه سيفعل في لأشبيلية على الرحب والسعة أزعج الرحيل إليها ، وكان ذلك في سنة ١٤٦ هـ هجرة .

واتفق في وقت خروجه من قرطبة إلى إشبيلية أن سادته عيد الأضحي ، رأى الناس مبتهجين باليه ، وم يتراوون ويتبادلون التهاني ، وهو فريد طريد ، فطاست نفسه بوصف حاله :

« خليلي لا مفر يسر ولا أصحى الخ »

طما وصل لإشبيلية . نزل على كنف المعتد ، وأصبح من حواصه ومجاهبه بحاله في خلواته ، ورسله في مهم رساله ، وولاه الوزارة وحفظ له لفته « ذا الوزاريين » .

كان المعتد جعل مجلسه معطاه من مجلس انه وولى عهده المعتد بن فياد مكتب المعتد لابن زيدون :

« أيها للحط على علما وله في النمس أعلى مجلس

بغواذي لك حب يقتضى أن ترى تحمل فوق الأرواس .

فأجاب ابن زيدون يشكره :

« أسيط الظل فوق الرجس أم ييم الروض تحت الحنيس ؟ »

ولكن هل أساء ذلك ولادة وعاسها . أم قرطبة وما سكنها ؟ كلا لم يزل صاحبها مشغوا بجهده وبذلك وأسماره أكبر دليل على ذلك . فكما حات له فرصة ، أو مرته بشوة . قال فيها أقوالا تذيب المواد . فلقد تنوَّق إلى قرطبة وسأكنها قصيدة تدل على حبه لها وللى فيها ، فقال :

« على الصب العهدي من تحبة الخ »

وكان يظنه عن بي جهور ما يسوءه في نفسه وراحته في قرطبة ، فقال يحاطبهم :

« بي حور أحرقتو بمحائلكم فؤادي لا مال للذائع تصبق

تصدوني كالصبر الورد إغما تنوح لكم أحاسه حين يحرق .

وأما أمداحه في المعتد بن عاد ففي كثير حيل .

وقد كفت عنه إلى صهره اللوق أبي الحيش بن مجاهد الطامري صاحب داية والجرائر العرقية المروية الآن بمحائر البليار :

« عرفت عرف الصا لودع طاهره الخ »

قلت فيما تهدم إن ملوك الطوائف كانوا أنفسهم على أنفسهم ، وإن الحرب كانت دائرة بينهم فإليكم مثالا واحدا مما يخلق بين زيدون ، وذلك أن الحرب وقت بين المعتد صاحب إشبيلية ، وبين ابن الأطلس صاحب سليلوس ، فانهم ابن الأطلس مريعة فطيمة ، وحس حواصة جسية ، قال ابن زيدون يحيى المعتد :

« لبن الهدى إنحاح سيك في المنا الخ »

هذا مع أن ابن زيدون سبق له مدح ابن الأطلس بمدحة عراء في قصيدته التي يقول فيها

« ليس الظلي ولسود اللهم الخ »

ولا غرابة في ذلك ، فالملك عقيم ، وتماريت السياسة تسمى بالتصير من حال إلى حال . خصوصا إذا انصبت أمة من الأمم على نفسها وحاضنت في عمار الخطوب والفتن ، وفوق ذلك ، أطلس القلب من مدح إلى هجاء ومن ملام إلى سلام ، هو سجية من سعايا التمرأ الكرام وغير الكرام .

طما مات للمعتد بن عباد وتولى الملك ابنه المعتد بن عباد كان لابن زيدون عنده تلك الكرامة وهذه الحفاوة ، تدل على ذلك شهادة التاريخ . ويؤيدنا قوله ابن زيدون نفسه في رثاء المعتد ومحاطبه روحه بعد دفة :

«أعباد ! يأرون للربك لقد عدا ، عليك زمان من سحيته القدر.» الخ

ومن المعلوم أن ابن زيدون هو الذى دبر حيلة المتصد وأطهر صوتيه وأغراه بأعدائه ، ووزن له الإيثار سبيله ووزرائه . هذا شحاح صدرهم ، وبكنا فى سرورهم . طأ آل الأمر إلى القصد ، فلم حسابه وحصوله وسعوا لديه فى الكاية به ، ثم رموا إليه برقة فيها قصيدة طوية أولها :

« يا أيها للكل اللطى الأعظم انقطع ويردى كل مانع ينم !

واحسم سبطك داء كل منافق يبدى الجليل . وعد ذلك يكتم !»

وهى قصيدة طوية تألفت من ٢٧ بيتاً كلها اغواء ، وابن زيدون على سبيل التصريح للغموم . ولكن للمتند كان عقل من ابن حور . فلم يصح تلك النجاسة ، ولم تنفع لديه تلك السعاية فقالى صدم وردكيدم وحررم :

« كدنت مماكم : صرحوا أو جمعوا الخ .»

طأ بلغ ابن زيدون ما راحهم به ، وتحقق حسن مدحه ، وعلم أن حيلتهم قد أخلفت ، وسمايتهم ماقتت ، وسهامهم تبرعت ، ومكأنهم تعدت وتورعت ، قال يمدح المتند ويهرس بأطوية بصيدة طوية مطلها :

« انهر إلى أملى مصبح أجم الخ .»

واستقر المتند به فى وراثته ، فكان أحد وراثته الثلاثة الأكبر الشاه وراثته (أى أحد الثلاثة الذين يلق كل واحد منهم بدى الوراثة) والآخرا هما ذو الوراثة ابن حمار ، وذو الوراثة ابن حنون (جد صاحب التاريخ المشهور) .

خرج الثلاثة فى أحد الأيام من أشبيل إلى مطرة (قصر خلوى) لى عاد بموسم يحال له القنت (تقريبا لقط اسانى) وهو متزه تحب به مروح مشرفة الأوار ، متسعة الأعواد والأحوار ، متسعة من ثور البوار فى زمان ربيع سقت الأرض السحب فيه يوسيتها وولها ، وحلتها فى راهر ملتها وياهر حليها ، وأهداف الرنى قد تأزوت بالأور الحصر من باتها ، وأجباد الحداون قد نظم الوار ثلاثه حول لباتها ، وبجاس الرمر نطر أردية السائم عند جانبها ، وهناك من البهار ، مايررى على مناهل النصره ومن انحرس الزمان مايرأ سواهن الأحمان ، وقد نوا الامراد للهو والطرب ، والتزده وروضى البسات والأدب ، وشوا صاحبا لهم يسمى «حليعة» هو قوام لمتهم ، وسطام مسرتهم ، ليأتيم ببيد يدهون لهم بدمه فى لحين راحه ، ويرمونه بما يتنى بتحريكه لهرت عن النلوب وإراحه ، جلسوا لانتظاره ، وترقب عوده على آثاره ، طأ بصروا به متسلا من أول الفج بادروا إلى لقائه وساروا نحوه . واتفق أن فارساً من الجند رك فرسه صدمه ، ووطئ عليه بهتم أعظمه ، وأخرى دمه ، وكسر قصال (١) البيذ الذى كان معه ، وفرق من شملهم ما كان الدهر حمه ، ومضى على غلوائه راكماً حتى حى عن البى ، خائفاً من منطلق به يحى شغلته الحين ، وحب وصل الوراء إليه تأسوا عليه وأفصوا فى ذكر الزمان وعدوانه والمط وألوانه ، ودحوه بطوام المصراة ، على تمام المصراة ، وتكديره الأوقات المتصا ، بالآفات المؤلمات ، هال ابن زيدون :

« أتلوه والحنوف بما مطية وأمس والنون لما يحبه »

قال ابن حنون :

« وى يوم وما أنراك يوم مضى قضا لنا ومضى خليفه »

(١) القصيدة كناية يستعملها المغاربة والأندلسيون بمعنى جرة التثنية ، وهو لانه من الفجار .

قال ابن عمار :

« مما عجزنا وأراح دروح تكسرنا أشفاق وجهه »

ولابن زيدون مدائح في المتمد بن عباد كلها درو وغرو ، وآيات بينات ، وله معه مديحيات ومطامرات ومساحلات ، تارة يهتفه إلى قاضي الحيا في قصوره البديعة ، وتارة يرسل له الفتح ويكتب عليه الأشعار ، يدعو إلى تناول الفغار ، وتارة يهنيه ، وأخرى يمدحه ، وله بيتان قد بلغا حد الإبداع في هذا الباب . قال يحاطبه :

« مهما امتدحت سواك قبل فاعلم مدحى إلى مدحى لك استعتراد

ينفى الميادين الفوارس حقبة كيما يطعمها الزوال طراد »

فما أحسن هذا التوصل بالقرن على المديح ، حتى إذا أجاد وبلغ المراد أهدى ثمرته إلى ابن عباد . هذه فطرة من بحر من بحر شعرة ذلك الفرد ، وأما مثره ففيه سيد حصره ، ومما يحمله كثيرون أنه ألف كتاباً في التاريخ وجهه ابن حزم من مفاخر الأدلس ، وقال إن أبا الوليد بن زيدون ألف كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس على منوع كتاب التبيين في خلفاء المعرق للسعودي ، وقد قل صاحب نصح الطيب سطرا أو سطرين عن هذا الكتاب الذي لم يبق له أثر ولا عين .

وما زال ابن زيدون يشوق قرطبة ولحن فيها ويصل لدى المتمد بن عباد حتى جعل قرطبة متعته أمه . فسمى في مديحة أهلها . ومواصلة دوى الحكم فيها لأنه رأى عدم العائلة والمكايدة لاستئناسك أهلها بدهوة الخلافة وأنتهم من رواها عنهم واضطام رسومها في طوم ، فلما فاز بالرام وانظمت تلك العاصمة الصحة في ملكه ، ذهب إليها سرعاً وأتم بتدبير شؤونها ، هناك جاشت نفسه بالعصر على سائر ملوك الطوائف قال « من للوك يشأو الأسيد البطل الخ . »

أما ابن زيدون ، فقد عاد قرر العيون إلى وطنه وأهله ، وكانت له شبه كبيرة في قرطبة ، فارتفع جده ، وراود إقبال الدبا عليه وبلغت خطوته عند المتمد درجة لا يطعم فيها .

فجئنا سبي في حلاكة صاحبه ، ابن مرتين وابن عمار ، وتلطفا في إسناده وإسناد ابنه من بعده ليحلوا لها الجلو ، وليمردا بالاستئثار بابن عاد ، ولقد ساعتهما الطروب .

عند وقعت فتنة في إشبيلية واسطر ابن عباد لتسجيل برسالة جيش كثيف إليها تحت قيادة ابنه سراج الدولة بن عاد ، فسول ابن مرتين وابن عمار لابن عاد أن يرسل ابن زيدون مع سراج الدولة وتلطفا في تفهم السلطان أن يذهب في الزيارات في حقل للدهاء ، وحطط لقطام ، لما له من المكاة العالية والحام الرمع ، ولأنه محبوب لدى جميع القلوب ، ثم وسوسا له بأن المصلحة لكل المصلحة هي في وجود ابن زيدون الوزير لائق المنصب المحبوب بحاش سراج الدولة الذي هو قرعة عين الملك ، ومطبخ الأنظار لبقاء البيت المباحي ، وما زال الرجلان ينحان على هذا المتوال حتى أظلموا خصوصاً لنياب ابن زيدون في مرض أزمه البيت .

صدر إليه الأمر بالذهاب ولم ينفذه السلطان في التوقف لما به من الآلام ، فخرج منها مع المحاحب سراج الدولة بن عاد والجيش متوجهين إلى إشبيلية ، وكان ذلك يوم ١٣ ذي الحجة سنة ٤٦٢ ، وخلف في قرطبة ابنه الوزير الكاتب أبو بكر بن زيدون ، ولكن صاحبنا (ابن مرتين وابن عمار) مازالا يسلطان لدى ابن عاد حتى صدر الأمر إلى أبي بكر بن زيدون أيضا بأن يلحق بآبيه في إشبيلية . حيث خلا لها الجو فاستأثرا بالأمور كلها وانعزدا بتدبير الدولة بلا مشاورة لها في المواقف ولا مراض

لها في اغراضها ، وكان زوال دولة ابن عباد كمال مقدارا على يد هذين الرجلين فان سرين ، يكنى في التعريف بمراميه أنه ابن سرين أى أنه من أصل غير عربى ، فان همه رجل إسباني ، وأما ابن عمار فقد أنكر أصل ابن عباد ، وشق عصا طاعته ، وسعى في الفساد والحرب ، وحرق اليهود ، وغان وألب ابن عاد حتى أوحى دولته ، على ماهو معروف مشهور .

أما ابن ريدون وهو في إشبيلية ، فلم يطل الأمد به بعد خاق ابنه به ، فكانت له ليكفته ويدفنه بها في صدر وحب سنة ٤٦٣ ، حيث تولى منه كهل أن يخلط الدهر مثله حالا وبأيا وروعة وظرفاً . وهو عد أولى التحقيق في العلم أمد طلقاً ، وأحث عقلاً ، فلا يلحقه تمصير ، ولا يخفى وهناً ، ولما وصل خبره إلى قرطبة ، وله فيها عشرة كبيرة وأشياء كثار ، تارعه وحزنوا عليه لأنه كان منهم ، هالوباً إليهم ، حداً عليهم ، وليحة خير بينهم وبين سلطاتهم الحديث الولاية .

فأراد السلطان أن يترصام فأرسل لابنه (أى أبى بكر ابن ريدون) وقره إليه ، ووفاه في صرمان والله حتى أحطاه بالوزارة وقد اعتم هذا فرصة ماوقع من دى الوراويين ابن عمار من المروج على ابن عاد فأوفر صدر ابن عباد عليه ، وماراله يعمل لديه حتى كان سناً في هلاك ابن عمار على ماهو معروف مشهور .

انتهى الكتاب



تم طبعه « بشركة مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده » في يوم الخميس ٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥١ (٤ اغسطس سنة ١٩٣٢) م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

فهرس

القوائى من ديوان ابن زيدون^(١)

صفحة

٢٥٣ لأنت الذى قسى عليه تنوب

٢٥٩ يا قر الديوان ، وللوكب

٢٦٤ يا راحتى وعنايى

٢٦٩ قد ضاق لى - فى حبك - للذهب

٢٦٩ سوى أننى محض الموى صادق الحب

٢٧٣ أم لك ايك طيب

٢٧٥ وما فى الحق غصى واجتنائى

٢٧٦ يا ليت غائب ذاك المهدي قد آبا

(٢٨٦) يختطف الناس من قريب

(٢٨٧) وما آجتعا ولا أقرقا لأهاب

(٢٨٩) (من العيان فكنتوني أبا العجب)

(٣٢٥) (قللت لهم إن الشكول أقارب)

(٣٧٠) (نادى لتفقدجيب النفس واحربا)

(٣٧١) (وقدصادني طرف كليل وحاجب)

(٣٧١) (وبجر له فى الكرمات عباب)

(٣٧٢) (ولقلبى حين النداء وجيب)

(٣٧٨) (ومن يلتذ غفران الذنوب)

(٣٧٩) (فأضفى عزى أم أعوج مع الركب)

(٣٨٥) (وردتلك التبي حجابا من المتب)

حرف الألف

صفحة

٧٥ فاقن شكرا وعزاء

٧٧ ونلت عافية الشفاء

(٧٧) (فيه حكى أو قضائى)

٢٢٩ وهل يملك النعم الشوق للصبا

٢٦٠ حين يجلو بلفظه السخفاء

(٢٨٥) (يملل فى الأرض وفى السماء)

(٣٨٧) (ونفى منه السنا والسنا)

حرف الباء

١٩ يا دمع صب ما شئت أن تصوبا

٣٤ تحملها منه السلام إلى القرب

٤٠ فيقصر - عن لوم المحب - عتاب

(٤٠) (خبير بأدواء النفوس طيب)

٦٠ زمنا ، فكان السجن منه ثوابى

٦٩ فصلى بفرعك ليلى الفرييا

٩١ يامن تزييت الرئاسة حين ألبس ثوبها

(٩٦) (زأرى وأبذر كلب شر ذبيه)

(١٧١) (فصبت ما كنيه وعذبه)

(٢٣٠) (وليل أقالسيه بلىء للكواكب)

(١) كل ما وضناه بين قوسين هو لغير ابن زيدون

صفحة	صفحة
١٥٨	(ارماح قومي بالمدة لواصبا) (٣٩٣)
٢٦١	(كفاه بخلت السحاب) (٣٩٥)
(٣٧٣)	(يرتاح فيها باصطياد أرناب) (٣٩٦)
(٣٧٣)	(رجاك على بعد فأصبح ذا قرب) (٣٩٦)
(٣٧٨)	(وما أحصى صوابه) (٣٩٩)
(٣٨٤)	(فذهبوا من الاغراب أبعد مذهب) (٤٠٠)
(٣٩٣)	حرف التاء
حرف الدال	وقد خفقت في ساحة القصر رايات ٦١ و ٣٩١
(٣٩٢ و ٦٠)	وأعزل عن رضاك وقد وليت ٢٦٦
(٦٨)	(جداول ماء أرسلت فأسبطرت) (٢٠٩)
٧٤	(ليس من الوحش ولا النسات) (٢٨٧)
٧٨	(عن فؤادي دجنة الكربات) (٣٩٢)
(٨٦)	(ولفني من منايهن غايات) (٣٩٩)
١٦٥	حرف الثاء
١٧٧	وأوفى له بالعهد إذ هو ناكث ٢٧٧
١٩٧	حرف الجيم
(٢٠٤)	(قلبي لها أحد العروج) (٣٨٩)
(٢٠٦)	(يا بدر البياحي) (٣٩٢)
(٢١٠)	حرف الحاء
(٢١٠)	فما حل من أمسى مشوقا كما أنسى ٥٤
(٢١٦)	تصبي، ولا عطف نشاوى صواح ٨٨
(٢١٩)	(وأخذني الحمد بأثمن الربيع) ٩٦
٢٢٣	كأشرب العذب في نسو الصدى

صفحة	صفحة
(٣٩٠) (فأقلب منهن والأحلاق والكبد)	٢٢٣ فأقلب منهن والأحلاق والكبد
(٣٩٤) (ورود الكرى بعد طول المسهاد)	٢٤٩ ادناك الأمل البعيد
(٣٩٥) (وقرة ناظر المجد)	٢٤٩ وهادما كل وحد
(٣٩٩) (أسود - لهم فيها - وآساد)	٢٥٠ وأفس هديك نور الهدى
(٤٠٠) (خف القطين وجف الزرع بالوادي)	٢٥٣ لديك فاشكو بعض ما أنا واجد
	٢٦٢ وزهدت فيمن ليس فيك بزاهد
حرف الراء	٢٦٤ يا سوء ما لقي الفؤاد
(٣٣) (ملكاً يحسنه انظلية جعفر)	٢٦٨ وأصابك بما لم أرد
٣٨ لما جرت بالذي تشكوه أقدار	٢٧١ ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
٥٨ كتل هواي في حال الجوار	(٢٧٤) وبلغت من ظلي للدي
٦١ وأمرضت حسادي، وحاشاك أن تبري	(٢٧٨) وواصل حبيل صدي
٩٢ إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر	(٣١٧) (وإن الفنى عارية فتروذ)
(٩٢) (إما من الطول أو من القصر)	(٣٢٦) (وتعرت ذات يوم تبترد)
٩٨ وفاضح الرثا الوسنان إن نظرا	(٣٧١) (إذا خفيت طرق العرائس عن أسد)
١١٩ مضمخة الأنفاس طيبة النشر	(٣٨٥) (متى يختبر غيبه محمد)
١٤٠ فن شيم الأبرار - في مثلها - الصبر	(٣٨٦) (وقى خلدي مانيه من لوعة الوجد)
١٥٠ وأن قد كفانا قدنا القمر البدر	(٣٨٦) (فتفك عنه للأسى أصفاد)
١٥٢ عفارى دونه ريق العذارى	(٣٨٧) (وحاضرة في صميم الفؤاد)
١٦٨ واطلع كما طلع الصباح الزاهر	(٣٨٧) (وكان ساعدك الوثير وسادي)
١٧٠ غصن أثمرت ذواء بدر	(٣٨٨) (كروا كفات الفؤادي)
١٧٤ فن شيم الأبرار في مثلها الصبر	(٣٨٩) (فلاحين مكانه وردا)
(٢٠١) (بأن للره لم يخلق صباره)	(٣٨٩) (وكم عفى عن دار أهيف أعيد)
(٢٠٥) (تروح بالخورق والسديم)	(٣٨٩) (فض به فتاحة وأجتنى وردا)
	(٣٩٠) (ولا وجدت مناخطوب النوى بدا)

صفحة	ما أبرزته غرائز الفكر	صفحة
(٣٧٦)	وقصرت أعمار العداة على قصر	٢٤٤
(٣٧٦)	(وقد زهرت فيه الأزاهر كالزهر)	٢٤٨
(٣٧٧)	(ماذا يفيد عليك البعث والحذر)	٢٥٤
(٣٨٠)	(والنعم قد صرف العنان على السرى)	٢٥٩
(٣٨٧)	(ومن منال قصى السؤل والوطر)	٢٦٧
(٣٨٩)	بأصاره الفرة الزاهره	٢٦٨
(٣٨٩)	(ووجهك أملح في خاطري)	٢٧٢
(٣٩٠)	(والوجد قد جل فاستر)	٢٧٢
(٣٩٢)	(وأقترن الليل بالنهار)	٢٨١
(٣٩٣)	(وقنعت وجهك بالخمر)	(٢٩٨)
(٣٩٤)	(كنى به فدعاني فصله الظافر)	(حرف لفصل اللفظ مقدور)
(٣٩٦)	(يسرى إلى عرته السارى)	(ويبقى من لئال الأحاديث واللذّر)
(٣٩٦)	(ولم ألق في بحر نعماء زحرا)	(غربت أشجارها مستعرجل الثمر)
	حرف السين	(فيها السرى إلا رأى مقرر)
	يخرج الدهر ويأسو	(ووصل كظل الروض تعطيكه زرا)
(٩٣)	(الشيب عنرا في التبول براسي)	(يناقضه سنا البدر)
٩٨	وقد آن أن تترع الأكؤس	(إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير)
١٠٦	أطول عمر يهيج الأفتسا	(ويقصر أن لاقيتها أطول الدهر)
١١١	ويظلم لي النهار وأنت شمسى	(من أفق من أفا في قلبى أنشأطره)
(١٩٣)	(ها أثر منهم جنى ودارس)	(وتصبر عنه ولا يصبر)
(٢٤٧)	(أم نسيم الروض تحت الحندس)	(ومقلة تنفت بالسحر)
(٢٩٧)	(وارع إذا لله أشا)	(وإن فؤادى - والإله - صبور)
		(وإمأرنى ، إنه الجويب أمير)

صفحة
١٨٤٩ بنصك أن الدين من بعض ما نرى
(٢٠٩) (تفرع لتي شيب فظيع)
(٢١٠) (وهز للشرفية والوقوع)
٢٦٣ ومثير كأمته الدموع
٢٦٥ محضا ولا م به الواسي فلم أطع
٢٧٠ وسبيل الهوى وقصد الولوع
(٢٧١) أناديك لما عيل صبرى فاسمى
٢٧٩ سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع
(٣٧٨) (ويا واحدا فاق الخلائق أجمعا)
(٣٢٨) (نفس لا تمار ولا تباع)
(٣٧٣) (يمنوله ملك الزمان وغضخ)
(٣٨٦) (بأن ليس في حبي لغيرك مطعم)
(٣٨٨) (ألا غفر الرحمن ذنبا تواقه)
(٣٩٣) (وشادنا في مهجتي يرتع)
(٣٩٧) (وتنهه القلب الصديق)
(٤٠٠) (كلما أعطى تعباً نزعا)

حرف الفاء

لنا، هل لثات الوقف بالجرع - موقف ٢٣
(٢٠٤) (تخوفنى الأعداء والنفس أخوف)
٢٦٨ أنا مستودع لعلنى شريف
٢٧٨ ذكوك منى بالأقاس موصول
٢٧٩ يا من تهايت - فى الظلمة - نجفا

صفحة
(٢٩٨) (بأنس السماع وحسب الكؤوس)
(٣٩٢) (تهدى للعلم عن الناس)
حرف الشين
هل منك لى غلة إن صحت «واعطشى» ٢٨٠
حرف الصاد
(٦٨) (فى غير ذاك من الأمور أرخص)
حرف الضاد
نشب وافر ، وحاه عريض ٨٢
ونبهته اذهدا فاقتمض ٢٣٧
(٣٧٤) (كواكب فى السماء تبيض)
(٣٩٤) (وهب لنا التغميض)

حرف الطاء

وشط - بمن نهوى - المزار وما شطوا ١٣

حرف العين

(٢٢) (يوما وصلنى ساعه)
(٦٦) (وخذ - فيما ترى - أودع)
ذهب التؤاد فليس فيه براجع ٧٩
(٩٧) (نفس لا تمار ولا تباع)
عارض كرب بلطفه رفه ١١٨
(١١٨) (ببقى السواء مطامه)
أم فى لثات التي قدّمت منتفع ١٣٠
(١٤٥) (من الدهر حتى قيل لئن يتصلحا)

- صفحة
(٣٨٨) (ومشرقة من خلال الحلك)
(٣٨٩) (وثأنس بذكرها في انفرادك)
(٣٩٢) (فتغيب مسرعة لنك)
(٣٩٢) (سكران من خر اشتياقك)
(٣٩٣) (فبدا لطرفي أنه فلك)
(٣٩٤) (مقالة لم تشب يافك)
(٣٩٤) (وغلخلا أعهدكا)
(٤٠٥) (ولحت من طرق لللاح شباك)
(٤٠٨) (ردت الروح علي المصفي معك)

حرف اللام

- (رحال عن الباب الذي أنا داحله) (٣٢)
فديتك واعتزرت علي ذليل ٥٧
أم عهدنا الدر يجتات الحلل ٦٢
(سهام العدا غنى فكتمت نصالها) (٦٨)
وموردهم حيث الدماء مناهل ٩٩
(نهال وأساب المنايا نهالها) (٩٩)
تخالط لون الحب الوجال ١٠٥
(لَو أَبصره الواشي لقرت بلايله) (١٠٨)
ويطلب تأري البرق منصلت النصل ١١٢
(فلا تستصر ماء الصنيعة بالطلل) (١١٥)
وحدي - في رجائك - الكايل ١٢٠
لا تخش مني فسيما ولا بدلا ١٣٩

- صفحة
(٢٩٣) (وصول ليس بالجاق)
(٣٧٠) (فلست على العلات منها أخاصك)
(٣٩٣) (فإن الهوى مابه منصف)

حرف القاف

- (على الصديق والمدو صدقه) (٤٩)
جناني ، ولكن للدأخ تعبق ٦٠
(وما للره إلا عهده ومواقفه) (٢٠٠)
والأفق طلق ومرأى الأرض قدرا ٢٥٧
(فنطل نصبح بالسرور ونمبق) (٣٧٤)
(كأنه الصبح تحته تنق) (٣٧٥)

حرف الكاف

- فيميل - في سكر الصا - عطفاك ٩
ذائع من سره ما استودعك ١٢
بكل السننا جلالك ١١١
واطلب فمسدك يصمن الإدراكا ١٣٦
دعهم فشانهم غير شانك ١٤٧
(كلهما ذو أنف وعحك) (٢١٧)
' أم كيف أخلف وعذك ٢٦٦
لا تظهرى غلا بمود أراك ٢٧٠
إلا بوصل قمعرك ٢٧٢
(لا تتركنى - هككنا - هالكنا) (٣٧٥)

٣٧٤	(كل نيل أناله لى قليل)	١٤٩	وحز للى وتنجز الآمالا
٣٨٨	(هيات جاءكم مهديّة النول)	١٥٣	ولسولة العليا كيف تدال
٣٨٩	(سفا وهل يثنى الحليم الجاهل)	١٦٥	فى للنظر الحسن الجميل
٣٩٠	(لى محب هائم مثله)	(١٦٦)	(ولم يعجز لا الحويل)
٣٩٠	(فشوق محب وجسمى عليل)	١٦٧	كم لها من ألم يذنى الأمل
٣٩٣	(وبالسيف والرمح أمضى قتال)	١٦٩	قد لقيح التشوق عن حيل
٣٩٤	(منى على خلقك الجميل)	١٩٥	وحال تجنيك دون الحيل
٣٩٦	(قنصت فيها أرابنا وحجل)	٢٢٤	ومطلعها من جيوب الحلل
	حرف الميم	(٢٤٢)	(يا دهر أن لك من خليل)
٣٥	ريح مطرة النسيم	٢٦٩	لقد قتت - فى الحسن - بدر الكمال
٥٠	وللى فى هبوب ذاك النسيم	٢٦٣	ويشقى وصالك قلبى العليل
٧٦	وعلى أنت بها عالم	٢٤٨	وسوغت دأبا نساء الأجل
١٢٦	بمقلى - مذنب عفى - لم	٢٧٥	يا حائر الحكم أفديه بمن عدلا
١٨٨	يعطى اعتبارى ماحملت فأعلم	٢٧٥	لا ولا ذاك التجنى مللا
١٩٢	إذ العيش غضى والزمان غلام	٢٦٩	يملا عيني من تأمل
٢٤١	عن القصد إن أعيالك منه مرام	٢٨٠	يميل - مع الزمان - كما يميل
٢٤٣	علينا أذمة لا تنم	(٢٩٢)	(ولكن على أثر لاسير قفوها)
٢٧١	يا من يصح بقلتيه ويسقم	(٢٩٢)	(وليس عليه فى النكاح سبيل؟)
٢٧٦	زكت ، وعلى وادى العقيق سلام	(٣٧٠)	(ولمى لما يهوى الندامى لعمال)
٢٧٩	قام بك العذر فلا لأثم	(٣٧٠)	(فأنا الذى لست ببال)
(٢٩٢)	(كما باهت بصحبته الكرام)	(٣٧٢)	(الى أن مدت للصبح فى الليل لعمال)
٣٠٣	ومرويا لسكل لمنم		

صفحة	منة
(٢٢١) (بدور الزمان واسد العرين)	(٣١٧) (من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً)
٢٦٥ ودعوت من حق عليك فأمننا	(٣٢٩) (أخت بني الأكرمين من جشم)
٢٦٧ واستعدت القلب شوقاً بعد سلوان	(٣٣٢) (إلا لتوهن قوة العظام)
٢٧٠ سأحفظ بك ما ضيقت مني	(٣٧٠) (إلا الظالم المظلم)
٢٧١ حسب للقيم أنه قد أحضنا	(٣٧٠) (وأوقد في الأعداء شر ضرام)
٢٧٣ وعططتني ولطالما أعلمتني	(٣٧١) (وقد خلقت لها في مجلس الكرم)
٢٧٣ وعن تهادى الأسى والشوق سلوانا	(٣٧٤) (فان مؤادى بالمعالي لها ثم)
٢٧٦ لو كان ساحي في وصله الزمن	(٣٧٨) (طعمين منه أرى يا وسما)
٢٧٨ وقصينا الذي علينا وزدا	(٣٧٩) (ووى والا ما تواج الحاتم)
٢٧٨ من الحسن فنون	(٣٨٦) (يجب فيه الصلاة والصوم)
(٣٧٥) (يسلو - وإن سئل السلو - ضنين)	(٣٨٦) (أمكن ورد فلا يطل حوم)
(٣٧٦) (قد قفت للمالك في معان)	(٣٩١) (وكان أن يتسلى بك حلم)
(٣٨٨) (أوروضة مسكية الريحان)	(٣٩٥) (ومتبع الاسام اتاماً)
(٣٩١) (إذ لا كتاب يوافيني فيحييني)	(٣٩٦) (وستر الله مد على الأيام)
(٣٩٣) (من فارس نهم الجبان)	حرف النون
(٣٩٥) (من المجد فاحتل غير القن)	وناب - عن طيب لقيانا - نجافينا ٤
(٤٠١) (أو يرجع القول معناه فيمعيننا)	ونفى الشك اليقين ٣٩
(٤٠٢) (تشجى لؤاديك أو تشجى لؤادينا)	بعت ودى بلا ثمن ٦٨
حرف الهاء	في حل الظرف الحسن ١٧٠
٢٥٨ انتك دينك عبدا أنت دنياه	موتقاني يد الخن ١٠٨
٢٦٦ ومقتنا لنا محبة	(١٠٨) (أبهرنا بك كرك أم كنيانا)
(٢٨٨) (قل ذكاء فإله من شبه)	(١٠٩) (إذ لا كتاب يوافيني فيحييني)

سنة .		
(٣٣٢)	(أن الرؤوس محل النجى)	حرف الياء
(٢٧٨)	(فالأرض تشرق منه)	
(٣٧٩)	(ونعيمه فاستعذبوه أواره)	فلتسناها هذه التالية
(٣٨٧)	(وعاشق من لا يباله)	٥٩
(٣٨٧)	(وصرفته لما انصرف علىه)	(فروق ، فرامح ، فقيه) (٢٠٥)
(٣٩٣)	(وبكت مقلتاى شوقا إليه)	(وإن كنت قد جردت عزى ماضيا) (٢٧٥)
	حرف الواو	(وقد عطشنا و ثم رى) (٣٨٥)
		(له الندى الرحب والندى) (٣٨٦)
(٢١٧)	(هوز من قراقر إلى سوى)	(طلى العبيد الوفى) (٣٩٥) .



فَخْنَارُ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

تضمن هذا الديوان عيون الشعر الجاهلي

لستة من خول الشعراء

وهم

- | | |
|--------------------------------|-------------------|
| (١) أمروء القيس | (٤) طرفة بن العبد |
| (٢) النابغة الذبياني | (٥) عنترة بن شداد |
| (٣) زهير بن أبي سُلي المُزَنِي | (٦) علقمة الفحل |

صح روايته، وشرح غريبه، وضبطه

مُصْطَفَى السَّقَا

مدرس اللغة العربية وآدابها بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية بالقاهرة
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد وحرف جميل مضبوط بالشكل ومصحح
بناية الاعتناء ومجلد بالقماش للذهب .
يطلب من مكتبة :

مصطفى البابی الحلبي وأولاده بمصر

ص . ب . ب . النورية رقم ٧١

التي تقدم الفهرس الحلوى للكتب الأدبية وخلافها لمن يطلبه بجائناً

